تيسير الكريم المنان في سيرة أمير المؤمنين

عثمان بن عفان

(رضي الله عنه)

شخصيته وعصره

تأليف:

د. علي محمد محمد الصلابي

د. علي محمَّد محمَّد الصَّلاّبي

تيسير الكريم المنَّان

في سيرة أمير المؤمنين

عُثْمَان بن عَفَّان رضي الله عنه

شخصيته وعصره

دار ابن كثير

تيسير الكريم المنَّان في سيرة أمير المؤمنين

عُثْمَان بن عَفَّان رضي الله عنه

شخصيته وعصره

تاليف

د. علي محمَّد محمَّد الصَّلاَّبي

دار ابن كثير

الإهداء

إلى العلماء العاملين، والدعاء المخلصين، وطلاب العلم المجتهدين، وأبناء الأمَّة الغيورين، أهدي هذا الكتاب سائلاً المولى – عزَّ وجل– بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلى أن يكون خالصاً لوجهه الكريم.

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

[الكهف: 110]

المؤلف

علي محمَّد محمَّد الصلابي

المقدِّمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ *﴾ [آل عمران: 102].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا*﴾ [النساء: 1] .

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا *﴾ [الأحزاب: 07-71].

أمَّا بعد:

هذا الكتاب يتحدَّث عن شخصية عثمان بن عفَّان - رضي الله عنه - وعصره، وهو امتدادٌ لما سبقه من كتبٍ تحدَّثت عن الصّدِّيق، والفاروق، تبحث في دراسة عهد الخلفاء الرَّاشدين ؛ لكي نستخرج الدُّروس، والعبر، ونستوعب السُّنن، والقوانين الإلهيَّة في حركة المجتمعات، وبناء الدُّول، ونهضة الشُّعوب، وتربية القادة، والأفراد العاملين لنشر دين الله بين النَّاس .

إنَّ عودة الأمَّة لما كانت عليه في قيادتها للبشـريَّة منوطٌ بسـيرها على هدي النَّبيّ(ﷺ) وخلفائه الرَّاشـدين، فقد أخبر الحبيب المصـطفى(ﷺ) عن المراحل التَّاريخية الَّتي تمرُّ بها الأمَّة في مسـيرتها في الحياة، فقال(ﷺ): « تكون النُّبوَّة فيكم ما شـاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها الله إذا شـاء أن يرفعها، ثمَّ تكون خلافةٌ على منهاج النُّبوَّة، فتكون ما شـاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شـاء الله أن يرفعها، ثمَّ تكون ملكاً عاضّاً، فيكون ما شاء الله أن تكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثمَّ تكون خلافةٌ على منهاج النبوَّة »[1].

إنَّ معرفة عهد الخلافة الرَّاشـدة، ومنهاج النُّبوَّة خطوةٌ لا بدَّ منها في تحقيق الأهداف الَّتي تسـعى الأمَّة لتحقيقها في هذه الحياة ؛ فقد قال(ﷺ): « عليكم بسنَّتي، وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديّين من بعدي »[2].

إنَّ تاريخ عصـر الخلفاء الرَّاشـدين مليءٌ بالدُّروس، والعبر، وهي متناثرةٌ في بطون الكتب، والمصـادر، والمراجع سـواءٌ كانت تاريخيَّةً، أو حديثيَّةً، أو فقهيَّةً، أو أدبيَّةً، أو تفسـيريَّة، فنحن في أشـدِّ الحاجة لجمعها، وترتيبها، وتوثيقها، وتحليلها، فتاريخ الخلافة الرَّاشدة إذا أحسن عرضه ؛ يغذِّي الأرواح، ويهذِّب النُّفوس، وينوِّر القلوب، ويبني العقول، ويشـحذ الهمم، ويقدِّم الدُّروس، ويسـهِّل العبر، وينضـج الأفكار، ويوضِّـح معالم هذه الخلافة، وصـفات قادتها، ونظام حكمها، وأخلاق جيلها، وعوامل ازدهارها، وأسـباب زوالها ؛ فنسـتفيد من ذلك في إعداد الجيل المسـلم؛ الّذي يتربَّى على منهاج النُّبوَّة، وفقه الخلافة الرَّاشـدة، ونتعرَّف على حياة

---

(1) المسند (273/4) . والبزَّار رقم (1588) رجاله ثقاتٌ .
(2) سنن أبي داود (201/4) . والتِّرمذيُّ (44/5) حسنٌ صحيح .

عصـــر مَنْ قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالسَّــابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَــارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *﴾ [التوبة: 100] .

وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: 29] .

وقال فيهم رسول الله(ﷺ): « خير أمّتي القرن الّذي بعثتُ فيهم ... »[1] .

وقال فيهم عبد الله بن مسعود: « من كان مستنّاً فليستنَّ بمن قد مات ؛ فإنَّ الحيَّ لا تؤمن عليه الفتنة)، أولئك أصحاب محمَّد(ﷺ)، كانوا والله أفضل هذه الأمة ! وأبرَّها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلَّها تكلُّفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيّه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتَّبعوهم في اثارهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقهم، ودينهم، فإنَّهم كانوا على الهدي المستقيم »[2].

فالصَّحابة قاموا بتطبيق أحكام الإسلام ونشروه في مشارق الأرض ومغاربها، فعصرهم خير العصور، فهم الذين علّموا الأمَّة القران الكريم، ورووا السُّنن، والآثار عن رسول الله(ﷺ)، فتاريخهم هو الكنز الّذي حفظ مدَّخرات الأمَّة في الفكر، والثقافة، والعلم، والجهاد، وحركة الفتوحات، والتَّعامل مع الشُّعوب، والأمم، فتجد الأجيال في هذا التَّاريخ المجيد ما يعينها على مواصلة رحلتها في الحياة على منهجٍ صحيحٍ، وهديٍ رشيدٍ، وتعرف من خلاله حقيقة رسالتها، ودورها في دنيا النَّاس.

---

[1] مسلمٌ (1963/4 - 1964) .

[2] شرح السُّنَّة للبغوي (214/1 - 215) .

إنَّ التاريخ الإسلاميَّ أصبح غرضاً ومرمىً لسهام أعداء الإسلام على مختلف مذاهبهم، وعقائدهم، يحاولون أن يوجدوا فجوةً في الإسلام، وتاريخه الزَّاهر ؛ حتَّى يتسنَّى لهم عزل الأجيال عن الإسلام، وعقيدته، وشريعته، وقيمه، وتراثه العلميِّ، ولذلك يبذلون قصارى جهدهم لنفث السُّموم في المجتمع الإسلاميِّ .

لقد حاول المستشرقون على مختلف مشاربهم أن ينشروا كلَّ روايةٍ باطلةٍ تنقص من شأن الصَّحابة الكرام، وتطعن في تاريخ الأمَّة المجيد، وتصوِّر تاريخهم بأنَّه صراعٌ على السُّلطة، والسِّيادة، والنُّفوذ، ولذلك يجب الحذر من كلِّ مؤرخ كاذب، ومستشرقٍ حاقدٍ، وعلمانيٍّ جاهلٍ، وكلِّ من سار على نهجهم، ولا بدَّ من الدِّفاع المستميت عن تاريخنا الخالد، والهجوم الشُّجاع على مناهج الكذَّابين والمنحرفين، ويكون هذا الهجوم المبارك بقذائف الحقِّ العلميَّة المملوءة بالحقائق السَّاطعة، والأدلَّة القاطعة، والبراهين الدَّامغة .

إنَّ صياغة التَّاريخ الإسلاميِّ بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة ضرورةٌ ملحَّةٌ لأبناء الأمَّة، وقد بدأت أقلام الباحثين والكتَّاب تصوغ التَّاريخ من هذا المنظور، وهم لم يبدؤوا من فراغ ؛ لأنَّ الله حمى دينه، وحمى أمَّة الإسلام، فقيَّض لتاريخ الصَّحابة من يحقِّق وقائعه، ويصحِّح أخباره، ويكشف السِّتار عن الوضَّاعين، والكذَّابين من ملفِّقي الأخبار، ويرجع الفضل في ذلك الجهد العظيم إلى الله، ثم إلى أهل السُّنَّة والجماعة من أئمَّة الفقهاء والمحدِّثين، الَّذين حفلت مصادرهم بالكثير من الإشارات، والرِّوايات الصَّحيحة الَّتي تنقض، وتردُّ كلَّ ما وضعه الملفِّقون[1].

---

[1] المنهج الإسلامي لكتابة التَّاريخ ، د . محمَّد محزون ، ص 4 .

هذا، وقد سِـرْتُ على أصـول منهج أهل السُّـنَّة، فعكفت على المصـادر، والمراجع القديمة، والحديثة، ولم أعتمد في دراسـة عصـر الخلفاء الرَّاشـدين على الطَّبري، وابن الأثير، والذَّهبي، وكتب التاريخ المشهورة فقط ؛ بل رجعت إلى كتب التَّفسـير، والحديث، وشـروحها، وكتب العقائد، والفرق، وكتب التَّراجم، والجرح، والتَّعديل، وكتب الفقه، فوجدت فيها مادَّةً تاريخيَّةً غزيرةً، يصـعب الوقوف على حقيقتها في الكتب التَّاريخيَّة المعروفة، والمتداولة، وقد شـرعت في هذا الكتاب بالحديث عن الخليفة الرَّاشـد عثمان بن عفَّان – رضـي الله عنه – الّذي قال فيه رسول الله(ﷺ): « وأصدقها حياءً عثمان »[1] .

وقال فيه رسول الله(ﷺ) في غزوة تبوك بعد تقديمه النَّفقة العظيمة: « ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم، ما ضَرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم»[2]، وقد بشَّره رسول الله(ﷺ) بالجنَّة على بلوى تصـيبه[3]، وحثَّ النَّاسَ عند وقوع الفتنة أن يكونوا مع عثمان، وأصـحابه، فعن أبي هريرة – رضـي الله عنه – قال: إنِّي سمعت رسـول الله يقول: « إنَّكم تلقون بعدي فتنةً، واختلافاً – أو اختلافاً وفتنةً –، فقال له قائلٌ من النَّاس: فمن لنا يا رسول الله ؟ ! قال: عليكم بالأمين، وأصحابه » وهو يشير إلى عثمان[4] .

وقد كان الصَّـحابة – رضـي الله عنهم – في زمن النبي(ﷺ) لا يعدلون بأبي بكر أحداً، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، فعن ابن عمر – رضـي الله عنهما – قال: (كنَّا

---

[1] فضائل الصَّحابة ، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (604/1) إسناده صحيحٌ .
[2] سنن التِّرمذيِّ رقم (3785) .
[3] البخاريُّ رقم (3695) .
[4] فضائل الصَّحابة (550/1) إسناده صحيحٌ .

في زمن النَّبي(ﷺ) لا نعدل بأبي بكر أحداً ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثم نترك أصحاب النَّبيّ(ﷺ) لا نفاضل بينهم)[1] .

❖ **وقد قال فيه الشاعر النُّميري:**

عَشِيَّةَ يَدْخُلُونَ بِغَيْرِ إِذْن عَلَى مُتَوَكِّلٍ أَوْفَى وَطَابَا

خَلِيْلُ مُحَمَّدٍ وَوَزِيْرُ صِدْق وَرَابِعُ خَيْرِ مَنْ وَطِأَى التُّرابا[2]

❖ **وقال فيه أبو محمَّد القحطاني:**

لَمَّا قَضَى صِدِّيقُ أَحْمَدَ نَحْبَهُ دَفَعَ الخِلاَفَةَ لِلإِمَامِ الثَّانِي

أَعني بِهِ الفَارُوقَ فَرَّقَ عَنْوةً بِالسَّيْفِ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيمَانِ

هُوَ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ بَعْدَ خَفَائِهِ وَمحَا الظَّلاَمَ وَبَاحَ بِالْكِتمَان

وَمَضَى وَخَلَّى الأَمْرَ شُورَى بَيْنَهُم فِي الأَمْرِ فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانِ

مَنْ كَانَ يَسْهَرُ لَيْلَهُ فِي رَكْعَةٍ وِتْراً فَيُكْمِلُ خَتْمَةَ القُرْان

❖ **إلى أن قال:**

والْوَيلُ لِلرَّكْبِ الَّذِيْنَ سَعَوا إِلَى عُثْمَانَ فَاجْتَمَعُوا على العِصْيَانِ[3]

إنَّ حياة ذي النُّورين عثمان بن عفَّان – رضي الله عنه – صفحةٌ مشرقةٌ في تاريخ الأمَّة، وقد قمت بتتبُّع أخباره، وحياته، وعصره، وقمت بترتيبها، وتنسيقها،

---

[1] البخاريُّ ، كتاب فضائل أصحاب النَّبيّ (ص) رقم (3698) .
[2] البداية والنِّهاية (206/7) .
[3] نونيَّة القحطاني ، ص (21 - 25) .

وتوثيقها، وتحليلها ؛ لكي تصـــبح في متناول أبناء أمَّتي على مختلف طبقاتهم من علماء، ودعاةٍ، وخطباء، وســـاســـةٍ، ومفكِّرين، وقادة جيوش، وحكَّامٍ، وطلاَّب علمٍ، وعامَّة النَّاس ؛ لعلَّهم يســـتفيدون منها في حياتهم، ويقتدون بها في أعمالهم، فيكرمهم الله بالفوز في الدَّارين .

لقد تحدَّثت في هذا الكتاب عن اســم ذي النُّورين، ونســبه، وكنيته، وألقابه، وأســرته، ومكانته في الجاهليَّة، وإســلامه، وزواجه من رقيَّة بنت رســول الله(ﷺ)، وابتلائه، وهجرته للحبشـــة، وعن حياته مع القران الكريم، وملازمته للنَّبيِّ(ﷺ)، وعن مواقفه في غزوات رسول الله(ﷺ)، وعن حياته الاجتماعيَّة بالمدينة، ومساهمته الاقتصـاديَّة في بناء الدَّولة، وتتبَّعت أحاديث رسـول الله(ﷺ) في ذي النُّورين فيما ورد في فضائله مع غيره، وما ورد عن رسول الله في أخباره عن الفتنة الَّتي يقتل فيها عثمان، وتكلَّمت عن مكانته في عهد الصِّـــدِّيق، والفاروق، وبيَّنت قصَّـــة استخلافه، وما قام به عبد الرحمن بن عوف من عملٍ عظيمٍ في إشـرافه على إدارة الشُّـــورى، ورددت على الروايات الباطلة الَّتي دسَّـــت في قصَّـــة الشُّـــورى، فأثبتُّ بطلانها وزيفها بالحجج العلميَّة، والبراهين القويَّة، والأدلَّة المنطقيَّة، وذكرت أقوال أهل العلم في أحقيَّة عثمان بالخلافة، وانعقاد الإجماع على خلافته، وشـــرحت منهج عثمان – رضـي الله عنه – في نظام الحكم من خلال رسـائله للولاة، وأمراء الجند، وعامَّة الناس، ومواقفه في الحياة، فقد وضَّـــح – رضـــي الله عنه – المرجعيَّة العليا للدَّولة، وحقَّ الأمَّة في محاكمة الخليفة، وقواعد الشُّـورى، والعدل، والمسـاواة، والحريَّات، وأهميَّة الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر في حياة المجتمعات .

وقد أشرت إلى أهمِّ صفات عثمان – رضي الله عنه – القياديَّة، وذكرت تسع عشرة صفةً من صفاته مع المواقف الدَّالة على تلك الصِّفات الرَّفيعة، والأخلاق الحميدة، وتحدَّثت عن المؤسَّسة الماليَّة، فبيَّنت معالم السِّياسة الماليَّة الّتي أعلنها عثمان عندما تولَّى الحكم، وأنواع النَّفقات العامَّة في عهده، كصرف مرتبات الولاة، والجنود، والإنفاق على الحجِّ، وتمويل إعادة بناء المسجد النَّبويِّ، وتوسعة المسجد الحرام، وإنشاء أوَّل أسطولٍ بحريٍّ، وتحويل السَّاحل من الشُّعيبة إلى جدَّة، وتمويل حفر الآبار، ورواتب المؤذِّنين، وأشرت إلى أثر تدفُّق الأموال على الحياة الاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، وإلى حقيقة العلاقة بين عثمان، وأقاربه، والعطاء من بيت المال، وتكلَّمت عن مؤسَّسة القضاء، وبعض الاجتهادات الفقهيَّة لعثمان، والّتي أثرت في المدارس الفقهيَّة فيما بعد .

وجمعت فتوحات عثمان المتناثرة في كتب التَّاريخ، وقمت بترتيبها، وتنظيمها وفق حركة الجيوش في المشرق، وبلاد الشَّام، وفي الجبهة المصريَّة، والشَّمال الإفريقي، واستخرجت من حركة الفتوح دروساً، وعبراً، وفوائد، كتحقُّق وعد الله للمؤمنين، وتطوُّر فنون الحرب، والسِّياسة، والاهتمام بحدود الدَّولة، والحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدوِّ، وجمع المعلومات عن الأعداء، وترجمت لبعض قادة الفتوح، كالأحنف بن قيس، وعبد الرَّحمن بن ربيعة الباهلي، وسلمان بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة الفهريّ، وأشدتُ بأعظم مفاخر عثمان في توحيده للأمَّة على قراءة المصحف العثمانيِّ، ووضَّحت المراحل الّتي مرَّت بها كتابة القران الكريم، وتحدَّثت عن الباعث على جمع القران في عهده، واستشارته لجمهور الصَّحابة، وعن عدد المصاحف الّتي أرسلها إلى الأمصار، وفهم الصَّحابة لآيات

النَّهي عن الاختلاف، وعن مؤسَّسة الولاة، وأقاليم الدَّولة في عهده، وسياسته مع الولاة، وحقوقهم، وواجباتهم، وأســاليبه في متابعة ولاته، ومراقبتهم، والاطلاع على أخبارهم، وبيَّنت حقيقة ولاة عثمان – رضي الله عنهم – وماذا لهم، وماذا عليهم، وحقيقة علاقة عثمان بأبي ذرٍّ، وابن مسعود، وعمار بن ياسر – رضي الله عنهم– جميعاً .

وفصَّلت أسباب فتنة مقتل عثمان، وأهمِيَّة دراسة وقائع هذه الفتنة، وتحدَّثت عن كلّ سـببٍ من الأسـباب في فقرةٍ مسـتقلَّةٍ، كالرَّخاء وأثره في المجتمع، وطبيعة التحوُّل الاجتماعيّ، ومجيء عثمان بعد عمر – رضـــي الله عنهما – وخروج كبار الصَّـــحابة من المدينة، والعصـــبيَّة الجاهليَّة، وتوقُّف الفتوحات، والورع الجاهليّ، وطموح الطَّامحين، وتامر الحاقدين، والتَّدبير المحكم لإثارة الماخذ ضدَّ الخليفة الرَّاشد المظلوم، واســتخدام الأســاليب والوســائل المهيِّجة للناس، وعن أثر السَّــبئية في أحداث الفتنة، والخطوات الَّتي اتَّخذها عثمان – رضـــي الله عنه – لمعالجتها، كإرسـال لجان تحقيقٍ، وتفتيشٍ، وإرسـاله لكلِّ الأمصـار كتاباً شـاملاً بمثابة إعلانٍ عامٍّ لكلِّ المســلمين، ومشــورته لولاة الأمصـــار، وإقامة الحجَّة على المتمرِّدين، والاســتجابة لبعض مطالبهم، وبيَّنت ضــوابط التعامل مع الفتن من خلال فقه عثمان – رضـي الله عنه –، كالتَّثبُّت، ولزوم العدل، والإنصـاف، والحلم، والأناة، والحرص على ما يجمع، ونبذ ما يفرِّق، ولزوم الصَّــمت، والحذر من كثرة الكلام، واسـتشـارة العلماء الرَّبَّانيّين، والاسـترشـاد بأحاديث رسـول الله(ﷺ) في الفتن، ووصـفت احتلال أهل الفتنة للمدينة، وحصـارهم لعثمان، ودفع الصَّـحابة عنه، ورفضه لذلك، وذكرت مواقف الصَّحابة من مقتل عثمان – رضي الله عنه – وما

ورد من أقوالهم في الفتنة .

إنَّ هذا الكتاب يبرهن على عظمة ذي النُّورين، ويثبت للقارأى الكريم بأنَّه كان عظيماً بإيمانه، وبعلمه، وبخُلُقه، وباثاره، وكانت عظمته مستمدةً من فهمه، وتطبيقه للإسلام، وصلته العظيمة بالله واتِّباعه لهدي الرَّسول الكريم(ﷺ) .

إن عثمان – رضي الله عنه – من الأئمَّة الّذين يتأسَّى الناس بهديهم، وبأقوالهم، وأفعالهم في هذه الحياة، فسيرته من أقوى مصادر الإيمان، والعاطفة الإسلاميَّة الصَّحيحة، والفهم السَّليم لهذا الدِّين، فلذلك اجتهدت في دراسة شخصيته، وعصره حسب وسعي، وطاقتي، غير مدعٍ عصمةً، ولا متبرأٍ من زلَّةٍ، ووجهَ الله الكريم لا غيره قصدتُ، وثوابَه أردتُ، وهو المسؤول في المعونة عليه، والانتفاع به، إنَّه طيِّب الأسماء، وسميع الدُّعاء .

هذا، وقد انتهيتُ من هذا الكتاب السَّاعة الثَّانية من فجر يوم الأربعاء بتاريخ 8 من شهر ربيع الثاني لعام 1423 هـ الموافق 2002/6/18 م والفضل لله من قبلُ، ومن بعدُ، وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعل عملي لوجهه خالصاً، ولعباده نافعاً، وأن يثيبني على كلِّ حرف كتبته، ويجعله في ميزان حسناتي، وأن يثيب إخواني الّذين أعانوني بكافَّة ما يملكون من أجل إتمام هذا الجهد المتواضع، ونرجو من كلِّ مسلم يطَّلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربه، ومغفرته، ورحمته، ورضوانه من دعائه ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ *﴾ **[النمل: 19]** .

وقال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلاَ مُمْسِــــكَ لَهَا وَمَا يُمْسِــــكْ فَلاَ مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *﴾ [فاطر: 2] .

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى اله وصحبه أجمعين .

سبحانك اللّهمَّ وبحمدك

أشهد أن لا إله إلاَّ أنت

أستغفرك وأتوب إليك

واخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

الفقير إلى عفو ربِّه، ومغفرته، ورحمته، ورضوانه

علي محمَّد محمَّد ألَصلابيُّ

الفصل الأوَّل : ذو النُّورين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه بين مكَّة والمدينة

المبحث الأوَّل : اسمه، ونسبه، وكنيته، وألقابه، وصفته، وأسرته، ومكانته في الجاهلية

أولاً: اسمه، ونسبه، وكنيته، وألقابه:

1- هو عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيِّ بن كلاب[1]، ويلتقي نسبه بنسب رسول الله(ﷺ) في عبد مناف . وأمَّه أروى بنت كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصـــيٍّ[2]، وأمُّها أمُّ حكيم البيضـاء بنت عبد المطلب، وهي شـقيقة عبد الله والد النَّبيِّ(ﷺ)، ويقال: إنَّهما وُلدا توءماً، حكاه الزُّبير بن بكَّار، فكان ابن بنت عمَّة النَّبيّ(ﷺ)، وكان النَّبيُّ(ﷺ) ابن خال والدته، وقد أسـلمت أمُّ عثمان، وماتت في خلافة ابنها عثمان، وأنَّه كان ممَّن حملها إلى قبرها[3]، وأمَّا أبوه فهلك في الجاهليَّة .

2- كنيته: كان يكنى في الجاهليَّة أبا عمرو، فلمَّا وُلد له من رقيَّة بنت رسـول الله غلامٌ سمَّاه عبد الله، واكتنى به، فكنَّاه المسلمون أبا عبد الله[4].

3- لقبه: كان عثمان رضي الله عنه يلقَّب بذي النُّورين، وقد ذكر بدر الدِّين

---

(1) الطَّبقات ، لابن سعد (53/3) . والإصابة (377/4) رقم (5463) .
(2) التَّمهيد والبيان ، لمحمد يحيى الأندلسي ، ص (19) .
(3) الخلافة الرَّاشدة والدَّولة الأمويَّة ، د . يحيى اليحيى ، ص (388) .
(4) التَّمهيد والبيان ، ص (19) .

العيني[1] في شـرحه على صـحيح البخاريّ: أنه قيل للمهلب بن أبي صـفرة[2]: لم قيل لعثمان: ذو النُّورين؟

فقال: لأنَّا لا نعلم أحداً أرسل ستراً على بنتي نبيٍّ غيره[3].

وقال عبد الله بن عمر بن أبان الجعفيُّ: قال لي خالي حسـين الجعفيُّ: يا بني ! أتدري لِمَ سُمِّي عثمان ذا النُّورين ؟ قلت: لا أدري ! قال: لم يجمع بين ابنتي نبيٍّ منذ خلق الله ادم إلى أن تقوم السَّاعة، غير عثمان، فلذلك سمِّي ذا النُّورين[4] .

وقيل: قد سمِّي بذي النُّورين ؛ لأنَّه كان يكثر من تلاوة القران في كلِّ ليلة في صلاته، فالقران نورٌ، وقيام اللَّيل نورٌ[5] .

4- ولادته: ولد في مكَّة بعد عام الفيل بسـتِّ سـنين على الصَّـحيح[6]، وقيل: ولد في الطَّائف ؛ فهو أصغر من رسول الله(ﷺ) بنحو خمس سنين[7] .

5- صفته الخَلْقيَّة: كان رجلاً ليس بالقصير، ولا بالطَّويل، رقيق البشرة، كثَّ اللِّحية، عظيمها، عظيم الكراديس[8]، عظيم ما بين المنكبين، كثير شـعر الرَّأس، يصفِّر لحيته، وقال الزُّهري: كان عثمان رجلاً مربوعاً، حسن الشَّعر، حسن الوجه،

---

[1] هو محمود بن أحمد بن موسى العيني ، أبو محمَّد: من علماء التَّاريخ ، والحديث ، والفقه ، له تاليف كثيرةٌ . توفِّي 855 هـ .
[2] انظر: شذرات الذهب (286/7) . والضَّوء اللامع (131/10) .
[3] هو المهلَّب بن أبي صفرة الأزدي العقلي: من الأمراء الأبطال ، غزا الهند في خلافة معاوية ، وولي الجزيرة لابن الزُّبير ، وحارب الخوارج في عهد عبد الملك بن مروان ، ثمَّ ولي خراسان من قبله سنة 79 هـ ، وترجع شهرته إلى حرب الخوارج . توفي 83 هـ . وفيات الأعيان (350/5) ، سير أعلام النبلاء (383/4) .
[4] عمدة القاري شرح صحيح البخاريّ (201/16) .
[5] سنن البيهقي (73/7) ، قال الدُّكتور عاطف لماضة: خبرٌ حسن .
[6] عثمان بن عفان ذو النُّورين - لعباس العقاد ، ص (79) .
[7] عثمان بن عفان ، لصادق عرجون ، ص (45) .
[8] الكراديس: جمع كردوس ، وهو كلُّ عظمين التقيا في مفصل .

أصلع، أرْوَح الرِّجلين[1]، وأقنى[2]، خدل السَّاقين[3]، طويل الذِّراعين، قد كسا ذراعيه، جعد الشَّعر، أحسن النَّاس ثغراً، جُمَّتُه[4] أسفل من أذنيه، حسن الوجه، والرَّاجح: أنَّه أبيض اللَّون، وقيل: أسمر اللَّون[5].

ثانياً: أسرته:

تزوَّج عثمان رضي الله عنه ثماني زوجات، كلُّهنَّ بعد الإسلام وَهُنَّ: رقيَّة بنت رسول الله(ﷺ)، وقد أنجبت له عبد الله بن عثمان، ثمَّ تزوج أمَّ كلثوم بنت رسول الله(ﷺ) بعد وفاة رقيَّة، وتزوج فاختة بنت غزوان؛ وهي أخت الأمير عتبة بن غزوان، وأنجبت لعثمان عبد الله الأصغر، وأم عمرو بنت جندب الأزديَّة ؛ وقد أنجبت لعثمان: عَمْراً، وخالداً، وأبان، وعُمَرَ، ومريم، وتزوَّج فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزوميَّة ؛ وأنجبت لعثمان: الوليد، وسعيداً، وأمَّ سعد، وتزوَّج أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزاريَّة ؛ وأنجبت لعثمان، عبد الملك،وتزوَّج رملة بنت شيبة بن ربيعة الأمويَّة ؛ وأنجبت لعثمان، عائشة، وأمَّ أبان، وأمَّ عمرو، وقد أسلمت رملة، وبايعت رسول الله(ﷺ)، وتزوَّج نائلة بنت الفرافصة الكلبيَّة، وكانت على النَّصرانية، وقد أسلمت قبل أن يدخل بها، وحَسُنَ إسلامها[6] .

وأمَّا أبناؤه ؛ فقد كانوا تسعة أبناء من الذُّكور من خمس زوجاتٍ . وهم: عبد

---

(1) تاريخ الطَّبري (440/5) . وأروح الرِّجلين: منفرج ما بينهما .
(2) أقنى: طويل الأنف مع دقة أرنبته ، وحدب في وسطه .
(3) خدل الساقين: أي: ضخم السَّاقين .
(4) جمَّته: مجتمع شعر الرأس .
(5) صفة الصَّفوة (295/1) ، صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النُّورين ، ص (15) .
(6) تاريخ الطَّبري (441/5) ، والتَّمهيد والبيان في مقتل الشَّهيد عثمان ، ص (19) . والأمين ذو النُّورين ، لمحمود شاكر ، ص (364) .

الله: وأمَّه رقيَّة بنت رســـول الله(ﷺ)، ولد قبل الهجرة بعامين، وأخذته أمُّهُ معها عندما هاجرت مع زوجها عثمان إلى المدينة، وفي أوائل أيَّام الحياة في المدينة نقره الدِّيك في وجهه قرب عينه، وأخذ مكان نقر الدِّيك يتَّسـع حتَّى طمر وجهه حتَّى مات في السَّنة الرابعة للهجرة، وكان عمره ستَّ سنواتٍ[1].

وعبد الله الأصـــغر: وأمُّه فاختة بنت غزوان . وعمرو: وأمُّه أم عمرو بنت جندب، وقد روى عن أبيه، وعن أســـامة بن زيدٍ، وروى عنه عليُّ بن الحســـين، وسـعيد بن المسـيِّب، وأبو الزِّنَّاد، وهو قليل الحديث، وتزوَّج رملة بنت معاوية بن أبي سفيان، توفي سنة ثمانين للهجرة .

وخالد: وأمَّه أم عمرو بنت جندب . وأبان: وأمه أم عمرو بنت جندب، كان إماماً في الفقه، يكنى أبا سعيد، وتولَّى إمرة المدينة سبع سنين في عهد عبد الملك بن مروان، سمع أباه، وزيد بن ثابت، له أحاديث قليلةٌ، منها ما رواه عن عثمان: « مَنْ قال في أوَّل يومه وليلته: بسـم الله الَّذي لا يضـرُّ مع اسمه شـيءٌ في الأرض ولا في السَّماء، وهو السَّميع العليم ؛ لم يضرَّه ذلك اليوم شيءٌ، أو تلك اللَّيلة » . فلمَّا أصـاب أبانَ الفالجُ قال: إنِّي والله نسيت هذا الدُّعاء ليمضـي فيَّ أمر الله[2]. ويعتبر من فقهاء المدينة في زمنه، وقد توفِّي سنة خمس ومئةٍ[3] .

وعمر: وأمُّه أم عمرو بنت جندب . والوليد: وأمَّه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة المخزوميَّة . وســـعيد: وأمُّه فاطمة بنت الوليد المخزوميَّة، تولَّى أمر

---

(1) الأمين ذو النُّورين ، ص(365) ، والتَّمهيد والبيان ، ص(19) .
(2) سنن التِّرمذي ، كتاب الدَّعوات رقم (3385) حديثٌ صحيحٌ .
(3) سير أعلام النبلاء (253/4) . وتاريخ القضاعي ، ص(308) .

خراسان عام ستةٍ وخمسين أيَّام معاوية بن أبي سفيان . وعبد الملك: وأمُّه أمُّ البنين بنت عيينة بن حصـن، ومات صـغيراً . ويقال: ولدت نائلة بنت الفرافصـة ولداً لعثمان سُمِّيَ: عنبسة[1] .

وأمَّا بناته ؛ فهنَّ سبعٌ من خمس نساءٍ . مريم: وأمَّها أمُّ عمرو بنت جندب . وأمُّ سـعيد: وأمُّها فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس المخزوميَّة . وعائشـة: وأمُّها رملة بنت شـيبة بن ربيعة . ومريم بنت عثمان: وأمُّها نائلة بنت الفرافصـة . وأمُّ البنين: وأمُّها أم[2] ولد .

وأمَّا شقيقة عثمان ؛ فهي امنة بنت عفَّان، فقد عملت ماشطةً في الجاهليَّة، ثمَّ تزوَّجت الحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي، وأَسرتْ سريَّةُ عبد الله ابن جحش الحكم بن كيسان، وفي المدينة أسلم، وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله؛ حتَّى قتل يوم بئر معونة شهيداً في بداية السَّنة الرَّابعة للهجرة، وبقيت امنة بنت عفَّان في مكَّة على شِـركِها حتَّى يوم الفتح، حيث أسـلمت مع أمِّها، وبقيَّة أخواتها، وبايعت رسـول الله(ﷺ) مع هند بنت عتبة امرأة أبي سـفيان على ألا يشركن بالله شيئاً، ولا يسرقْن، ولا يزنين[3] .

وأمَّا إخوة عثمان من أمِّه ؛ فله ثلاثة إخوةٍ، وهم: الوليد بن عقبة بن أبي معيط، قتل أبوه يوم بدرٍ صـبراً وهو كافرٌ، وخرج الوليد مع أخيه عمارة بعد الحديبية لردِّ أختهما أمِّ كلثوم الَّتي أسلمت، وهاجرت، فأبى رسول الله(ﷺ) ردَّها،

---

(1) الأمين ذو النُّورين ، ص (369) .
(2) التَّمهيد والبيان ، ص(20) .
(3) الأمين ذو النُّورين ، ص (346) .

وأسلم الوليد يوم الفتح . وعمارة بن عقبة، تأخَّر إسلامه . وخالد بن عقبة .

وأمَّا أخواته من أمِّه ؛ فهنَّ: أمُّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، أسلمت بمكَّة، وهاجرت، وبايعت رسول الله(ﷺ)، وهي أوَّل من هاجر من النِّساء بعد أن عاد رسول الله(ﷺ) إلى المدينة بعد صلح الحديبية . وأمُّ حكيم بنت عقبة . وهند بنت عقبة[1].

ثالثاً: مكانته في الجاهليَّة:

كان رضي الله عنه في أيَّام الجاهليَّة من أفضل النَّاس في قومه ؛ فهو عريض الجاه، ثريٌّ، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبُّونه أشدَّ الحبِّ، ويوقِّرونه، لم يسجد في الجاهليَّة لصنم قطُّ، ولم يقترف فاحشة قطُّ، فلم يشرب خمراً قبل الإسلام، وكان يقول: إنَّها تذهب العقل . والعقل أسمى ما منحه الله للإنسان، وعلى الإنسان أن يسمو به، لا أن يصارعه، وفي الجاهليَّة كذلك لم تجذبه أغاني الشَّباب، ولا حلقات اللَّهو، ثمَّ إنَّ عثمان كان يتعفَّف عن أن يرى عورته[2]، ويرحم الله عثمان رضي الله عنه فقد يسَّر لنا سبيل التعرُّف عليه، حيث قال: «ما تغنَّيت، ولا تمنَّيت، ولا مسَسْت ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله(ﷺ)، ولا شربت خمراً في جاهليَّةٍ، ولا إسلام، ولا زنيت في جاهليَّة ولا في إسلامٍ »[3] .

وكان رضي الله عنه على علمٍ بمعارف العرب في الجاهليَّة، ومنها الأنساب، والأمثال، وأخبار الأيَّام، وساح في الأرض، فرحل إلى الشَّام، والحبشة، وعاشر

---

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص (354) .
(2) موسوعة التَّاريخ الإسلامي ، لأحمد شلبي (618/1) .
(3) حلية الأولياء (60/1 ، 61) الخبر صحيحٌ .

أقواماً غير العرب، فعرف من أحوالهم، وأطوارهم ما ليس يعرفه غيره[1]، واهتمَّ بتجارته الّتي ورثها عن والده، ونمت ثرواته، وأصبح يعدُّ من رجالات بني أميَّة الّذين لهم مكانةٌ في قريشٍ كلِّها، فقد كان المجتمع المكِّيُّ الجاهليُّ الّذي عاش فيه عثمان يقدِّر الرِّجال حسب أموالهم، ويُهاب فيه الرِّجال حسب أولادهم، وإخوتهم، ثمَّ عشيرتهم، وقومهم، فنال عثمان مكانةً مرموقةً في قومه، ومحبَّةً كبيرةً . ومن أطرف ما يروى عن حبِّ الناس لعثمان لما تجمَّع فيه من صفات الخير: أنَّ المرأة العربية في عصره كانت تغنّي لطفلها أغنيةً تحمل تقدير النَّاس له، وثناءهم عليه، فقد كانت تقول:

أحبُّك والرَّحمن		حبَّ قريشٍ لعثمان[2]

رابعاً: إسلامه:

كان عثمان قد ناهز الرَّابعة والثلاثين من عمره حين دعاه أبو بكر الصِّدِّيق إلى الإسلام، ولم يُعْرف عنه تلكُّؤٌ، أو تلعثمٌ، بل كان سبّاقاً أجاب على الفور دعوة الصِّدِّيق، فكان بذلك من السَّابقين الأوَّلين حتَّى قال أبو إسحاق: كان أوَّل النَّاس إسلاماً بعد أبي بكرٍ، وعليٍّ، وزيد بن حارثة عثمان[3]، فكان بذلك رابع من أسلم من الرِّجال، ولعلَّ سبقه هذا إلى الإسلام كان نتيجةً لما حدث له عند عودته من الشَّام، وقد قصَّه رضي الله عنه على رسول الله(ﷺ) حين دخل عليه هو، وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام، وقرأ عليهما القران، وأنبأهما

[1] عبقريَّة عثمان ، للعقَّاد ، ص (72) .
[2] موسوعة التَّاريخ الإسلامي (618/1) .
[3] السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (287/1 ، 288 ، 289) .

بحقوق الإسلام، ووعدهما الكرامة من الله، فامنا، وصدَّقا . فقال عثمان: يا رسول الله! قدمت حديثاً من الشَّـــام، فلمَّا كنَّا بين معان والزَّرقاء، ونحن كالنِّيام إذا منادٍ ينادينا: أيُّها النِّيام ! هبُّوا ؛ فإنَّ أحمد قد خرج بمكَّة، فقدمنا، فسمعنا بك[1] .

لا شـكَّ أنَّ هذه الحادثة تترك في نفس صـاحبها أثراً إيجابياً لا يسـتطيع أن يتخلَّى عنه، عندما يرى الحقيقة ماثلةً بين عينيه، فمن ذا الذي يسـمع بخروج النبيِّ(ﷺ) قبل أن يصل إلى البلد الّذي يعيش فيه ؛ حتَّى إذا نزله، ووجد الأحداث والحقائق تنطق كلُّها بصـدق ما سمع به، ثمَّ يتردد في إجابة الدَّعوة ؟ ! لا يسـتطيع الإنسـان مهما كان مكابراً إلا أن يذعن للحقِّ، ومهما أظهر الجفاء فإنَّ ضميره لا يزال يتلجلج في صـدره؛ حتَّى يؤمن به أو يموت، فيتخلَّص من وخز الضَّـمير، وتأنيبه، ولم تكن سرعة تلبيته عن طيشٍ، أو حمقٍ، ولكنَّها كانت عن يقينٍ راسخٍ، وتصـديقٍ لا يتطرَّق إليه شـكٌّ[2]، فقد تأمّل في هذه الدَّعوة الجديدة بهدوءٍ كعادته في معالجة الأمور، فوجد: أنَّها دعوةٌ إلى الفضـيلة، ونبذٌ للرَّذيلة، دعوةٌ إلى التَّوحيد، وتحذير من الشِّـرك، دعوةٌ إلى العبادة، وترهيب من الغفلة، ودعوةٌ إلى الأخلاق الفاضلة، وترهيبٌ من الأخلاق السَّيِّئة، ثمَّ نظر إلى قومه، فإذا هم يعبدون الأوثان، ويأكلون الميتة، ويسيئون الجوار، ويستحلُّون المحارم من سفك الدِّماء، وغيرها[3]، وإذا بالنَّبيِّ محمَّد بن عبد الله(ﷺ) صـادقٌ أمينٌ، يُعرف عنه كلُّ خير، ولا يُعرف عنه شـرٌّ قطُّ، فلم تعهد عليه كذبةٌ، ولم تحسـب عليه خيانةٌ، فإذا هو يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وإلى صلة الرَّحم، وحسن الجوار، والصَّلاة، والصَّوم،

---

(1) الطَّبقات ، لابن سعد (55/3) .
(2) جولة تاريخيَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص (302) .
(3) انظر: مرويَّات العهد المكِّي ، لعادل عبد الغفور (805/2) .

وألا يُعبد غير الله[1]، فأسـلم على يد أبي بكرٍ الصِّـدِّيق، ومضـى في إيمانه قدماً، قويّاً، هادئاً، وديعاً، صـابراً، عظيماً، راضـياً، عفوّاً، كريماً، محسـناً، رحيماً، سـخيّاً، باذلاً، يؤاسـي المؤمنين، ويعين المستضعفين، حتَّى اشـتدَّت قناة الإسـلام[2]، وفي إسلام عثمان قالت خالته سعدى بنت كريز:

هَدَى الله عُثْمَانَا بِقَوْلِي إِلَى الْهُدَى	وَأَرْشَـــدَهُ والله يَهْـدِي إلى الحَقِّ
فَتَـابَعَ بِالرَّأْيِ السَّـــدِيْدِ مُحَمَّـداً	وَكَانَ بِرَأْيٍ لاَ يُصَـدُّ عَنِ الصِّـدْقِ
وَأَنْكَحَـهُ الْمَبْعُوثُ بِالْحَقِّ بِنْتَـهُ	فَكَانَ كَبَدْرٍ مَازَجَ الشَّمْسَ فِي الأُفْقِ
فِـدَاؤُكَ يَا بْنَ الهَـاشِمِيّين مُهْجَتِي	وَأَنْتَ أَمِيْنُ اللهِ أُرْسِـلْتَ لِلْخَلْقِ[3]

خامساً: زواجه من رقيَّة بنت رسول الله(ﷺ):

فرح المسـلمون بإسـلام عثمان فرحاً شـديداً، وتوثَّقت بينه وبينهم عُرا المحبَّة، وأخوَّة الإيمان، وأكرمه الله تعالى بالزَّواج من بنت رسـول الله(ﷺ) رقيَّة، وقصَّـة ذلك: أنَّ رسـول الله(ﷺ) كان قد زوَّجها من عتبة بن أبي لهب، وزوَّج أختها أمَّ كلثوم من عتيبة بن أبي لهب، فلمَّا نزلت سـورة المسـد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَـبَ ۝ سَـيَصْـلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَـدٍ *﴾ **[المسـد: 1 - 5]** قال لهما أبو لهب، وأمُّهما أمُّ جميل بنت حرب بن أميَّة (حمَّالة الحطب): فارقا ابنتي محمَّد !

---

[1] عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لصادق عرجون ، ص(53) .
[2] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (1/37) .
[3] البداية والنِّهاية (7/210) .

ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامةً من الله تعالى لهما، وهواناً لابني أبي لهبٍ[1]، وما كاد عثمان بن عفَّان رضــي الله عنه يســمع بخبر طلاق رقيَّة حتَّى اســتطار[2] فرحاً ... وبادر فخطبها من رســول الله(ﷺ) فزوَّجها الرَّســول الكريم(ﷺ) منه، وزفَّتها[3] أمُّ المؤمنين خديجة بنت خويلد، وقد كان عثمان من أبهى قريش طلعةً، وكانت هي تضاهيه قسامةً، وصباحةً، فكان يقال لها حين زُفَّت إليه:

أَحْسَـــنُ زَوْجَيْنِ رَأى إنْسَـــانُ   رُقَـيَّـةُ، وَزَوْجُـهَـا عُـثْـمَـانُ[4]

وعن عبد الرَّحمن بن عثمان القرشيِّ: أنَّ رسول الله(ﷺ) دخل على ابنته وهي تغسل رأس عثمان، فقال: يا بُنية ! أحسني إلى أبي عبد الله، فإنَّه أشبه أصحابي بي خُلُقاً[5] .

ظنَّت أمُّ جميل بنت حرب، وزوجها أبولهب: أنَّهما بتســـريح رقيَّة، وأمِّ كلثوم رضـــي الله عنهما ســـيصـــيبان من البيت المحمَّديِّ مقتلاً، أو ســـيوهنانه، ولكنَّ الله -عز وجل- اختار لرقيَّة، وأمِّ كلثوم الخيْر، وردَّ الشَّـــقيَّيْن أمَّ جميلٍ، وأبا لهبٍ بغيظهما لم ينالاً خيراً، وكفى الله البيت النَّبويَّ شرَّهما، وكان أمر الله قدراً مقدوراً[6].

سادساً: ابتلاؤه، وهجرته إلى الحبشة:

إنَّ سنَّة الابتلاء ماضيةٌ في الأفراد، والجماعات، والشُّعوب، والأمم، والدُّول،

[1] ذو النُّورين عثمان بن عفان رضي الله عنه لمحمد رشيد رضا ، ص(12) .
[2] كاد يطير من شدَّة الفرح .
[3] زفَّتها: قدَّمتها إلى زوجها .
[4] أنساب الأشراف ، ص(89) .
[5] رواه الطَّبراني ورجاله ثقاتٌ ، قاله الهيثمي ، المجمع ، رقم (81/9) .
[6] دماءٌ على قميص عثمان ، د . إبراهيم المنتاوي ، ص (84) .

وقد مضت هذه السُّنَّة في الصَّحابة الكرام، وتحمَّلوا من البلاء ما تنوء به الرَّواسي الشَّامخات، وبذلوا أموالهم، ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسلم أشراف المسلمين من هذا الابتلاء، فقد أوذي عثمان، وعذِّب في سبيل الله تعالى على يدي عمِّه الحكم بن أبي العاص بن أميَّة، الّذي أخذه، فأوثقه رباطاً، وقال له: أترغب عن ملَّة ابائك إلى دينٍ محدثٍ ؟ والله لا أحُلُّك أبداً حتى تدع ما أنت عليه من هذا الدِّين ! فقال عثمان رضي الله عنه: والله لا أدعه أبداً، ولا أفارقه ! فلمَّا رأى الحكم صلابته في دينه ؛ تركه[1]، واشتدَّ الإيذاء بالمسلمين جميعاً، وتجاوز الحدَّ ؛ حيث قُتل ياسرٌ، وزوجته سميَّة، والنَّبيُّ يتألَّم أشدَّ الألم، ويفكِّر إلى أين يذهب المسلمون ؟ ثمَّ اهتدى رسول الله(ﷺ) إلى الحبشة، حيث قال للمسلمين: « لو خرجتم إلى الحبشة ؛ فإنَّ بها ملكاً صالحاً، لا يظلم عنده أحدٌ»[2].

وبدأت الهجرة والنَّبيُّ(ﷺ) يتألَّم، وهو يرى الفئة المؤمنة تتسلَّل سرّاً[3] خارجةً من مكَّة، ويركبون البحر، وخرج يمتطي بعضهم الدَّواب، والبعض الاخر يسير على الأقدام، وتابعوا السَّير حتَّى وصلوا ساحل البحر الأحمر، ثمَّ أمَّروا عليهم عثمان بن مظعون، وشاءت عناية الله أن يجدوا سفينتين، فركبوا مقابل نصف دينار لكلٍّ منهم، وعلمت قريش، فأسرعت في تعقُّبهم إلى السَّاحل، ولكنَّهم كانوا قد أبحرت بهم السَّفينتان[4]، وكان ممَّن هاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الأولى، والهجرة الثَّانية

---

(1) التَّمهيد والبيان ، ص(22) .
(2) الهجرة في القران الكريم ، ص (290) . والسِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (413/1) .
(3) دماءٌ على قميص عثمان ، ص(15) . والطَّبقات (204/1) .
(4) الطَّبقات (204/1) . وتاريخ الطَّبري (69/2) .

عثمان بن عفَّان، ومعه فيهما امرأته رقيَّة بنت رســـول الله(ﷺ)، وكان وصــــولهم للحبشــة في شــهر رجب من السَّـنة الخامســة من البعثة، فوجدوا الأمن، والأمان، وحرِّيَّة العبادة، وقد تحدَّث القران الكريم عن هجرة المســـــلمين الأوائل إلى أرض الحبشــــة قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ *﴾ **[النحل: 41] .**

وقد نقل القرطبيُّ – رحمه الله – قول قتادة – رحمه الله –: المراد: أصـــــحاب محمَّدٍ(ﷺ)، ظلمهم المشركون بمكَّة، وأخرجوهم ؛ حتَّى لحق طائفةٌ منهم بالحبشـة، ثمَّ بوَّأهم الله تعالى دار الهجرة، جعل لهم أنصاراً من المؤمنين[1] .

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ *﴾ **[الزمر: 10].**
قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: يريد جعفر بن أبي طالب، والّذين خرجوا معه إلى الحبشــة[2] . وقد اســتفاد عثمان رضــي الله عنه من هذه الهجرة، وأضــاف خبرةً، ودروساً لنفسه، استفاد منها في مسيرته الميمونة، ومن أهمِّ هذه الدُّروس، والعبر:

1 – أنَّ ثبات المؤمنين على عقيدتهم بعد أن يُنزل بهم الأشـــرار، والضَّـــالون أنواع العذاب والاضـــطهاد دليلٌ على صـــدق إيمانهم، وإخلاصـــهم في معتقداتهم، وسموِّ نفوســـهم، وأرواحهم، بحيث يرون ما هم عليه من راحة الضَّـــمير، واطمئنان النَّفس، والعقل، وما يأملونه من رضـــا الله – جلَّ شـــأنه – أعظمُ بكثير ممَّا ينال أجســادهم من تعذيبٍ، وحرمانٍ، واضــطهادٍ، لأنَّ السَّيطرة في المؤمنين الصَّـادقين،

---
[1] الجامع لأحكام القران (107/10) .
[2] المصدر السَّابق نفسه (240/15) .

والدُّعاة المخلصين، تكون دائماً وأبداً لأرواحهم، لا لأجسادهم، وهم يسرعون إلى تلبية مطلب أرواحهم من حيث لا يبالون بما تتطلَّبه أجسـامهم من راحةٍ، وشـبعٍ، ولذَّةٍ، وبهذا تنتصر الدَّعوات وبهذا تتحرَّر الجماهير من الظُّلمات، والجهالات[1] .

2 – وقد تعلَّم عثمان رضي الله عنه من هدي النبي(ﷺ) الشَّفقة على الأمَّة، وظهرت هذه الشَّفقة عندما تولَّى الخلافة، وقَبْلها لما كان في المجتمع المدنيّ في عَهْدِ النَّبيِّ(ﷺ)، وأبي بكرٍ، وعمر رضـي الله عنهما فقد رأى بعينه وبصـيرة قلبه شـفقة النَّبيِّ(ﷺ) على أصـــحابه، ورحمته بهم، وحرصـــه الشَّـــديد للبحث عن أمنهم، وراحتهم، ولذلك أشـــار عليهم بالذَّهاب إلى الملك العادل الّذي لا يظلم عنده أحدٌ، فكان الأمر كما قال(ﷺ)، فأمنوا في دينهم، ونزلوا عنده في خير منزلٍ[2]، فالرَّسـول(ﷺ) هو الّذي وجَّه الأنظار إلى الحبشـة، وهو الّذي اختار المكان الامن لجماعته، ودعوته؛ كي يحميها من الإبادة، وهذه تربيةٌ نبويَّةٌ لقيادات المســلمين في كلِّ عصـــرٍ أن تخطِّط بحكمةٍ، وبُعد نظرٍ لحماية الدَّعوة، والدُّعاة، وتبحث عن الأرض الامنة الّتي تكون عاصمةً احتياطيَّةً للدَّعوة، ومركزاً من مراكز انطلاقها فيما لو تعرَّض المركز الرَّئيســـيُّ للخطر، أو وقع احتمال اجتياحه، فجنود الدَّعوة هم الثَّروة الحقيقيَّة، وهم الّذين تنصـــبُّ الجهود كلُّها لحفظهم، وحمايتهم، دون أن يتمَّ أيُّ تفريطٍ بأرواحهم، وأمنهم، ومســـلمٌ واحدٌ يعادل ما على الأرض من بشـــرٍ خارجين عن دين الله، وتوحيده[3].

3 – وتعلَّم عثمان رضـي الله عنه من هدي النَّبيِّ(ﷺ) في هجرة الحبشـة: أنَّ

---

[1] السِّيرة النَّبوية ، للدُّكتور مصطفى السِّباعي ، ص(57) .
[2] الهجرة في القران الكريم ، ص(312) .
[3] التَّربية القياديَّة (333/1) .

الأخطار لا بدَّ أن يتجشَّـــمها المقرَّبون إلى القائد، وأهله، ورحمه، أمَّا أن يكون خواصُّ القائد في منأى عن الخطر، ويدفع إليه الأبعدون غير ذوي المكانة، فهو منهجٌ بعيدٌ عن نهج النَّبيّ(ﷺ)[1]، ولهذا لما تولى ذو النُّورين الخلافة كان أقرباؤه في مقدَّمة الجيوش، فهذا عبد الله بن أبي سـرح في فتوحات إفريقية، وذاك عبد الله بن عامر في فتوحات المشـــرق، وألزم معاوية أن يركب البحر ومعه زوجته، وأن يكون في مقدَّمة الجيوش الغازية، وســيأتي تفصـــيل ذلك بإذن الله عند حديثنا عن الفتوحات .

4 - كان عثمان رضـــي الله عنه أول من هاجر إلى الحبشـــة بأهله من هذه الأمَّة[2]، قال رسـول الله(ﷺ): « صـحبهما الله ! إنَّ عثمان لأوَّل من هاجر إلى الله بأهله بعد لوطٍ »[3].

ولما أُشيع: أن أهل مكة قد أسلموا وبلغ ذلك مهاجري الحبشة أقبلوا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكَّة كان باطلاً، فدخلوا في جوار بعض أهل مكة، وكان فيمن رجع عثمان بن عفَّان وزوجه رقيَّة رضـي الله عنهما[4]، واستقرَّ المقام به حتَّى أذن الله بالهجرة إلى المدينة، ومنذ اليوم الّذي أسلم فيه عثمان لزم النَّبيَّ(ﷺ) حيث كان، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه، أو في مهمَّةٍ من المهامِّ الّتي يندب لها، ولا يغني أحد فيها غناءه، شأنه في هذه الملازمة شأن الخلفاء الرَّاشدين جميعاً، كأنَّما هي خاصَّةٌ من خواصِّهم، رشَّحهم لها ما رشَّحهم بعد ذلك

(1) المصدر السَّابق نفسه (333/1) . والسِّيرة النَّبوية للصَّلاَّبي (348/1) .
(2) الصواعق المرسلة (314/1) .
(3) المعرفة والتَّاريخ (268/3) ضعيف الإسناد .
(4) السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام (402/1) .

للخلافة متعاقبين[1]، لقد كان ذو النُّورين على صـــلةٍ وثيقةٍ بالدَّعوة الكبرى من سنتها الأولى، فلم يَفُتْهُ شيءٌ من أخبار النُّبوَّة الخاصَّة، والعامَّة في حياة النَّبيِّ(ﷺ)، ولم يَفُتْهُ شــيءٌ بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشَّــيخين، ولم يَفُتْهُ بعبارةٍ أخرى شيءٌ ممَّا نسميه اليوم بأعمال التَّأسيس في الدَّولة الإسلاميَّة[2] .

* * *

[1] عثمان بن عفان ، للعقاد ، ص(80) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(78) .

المبحث الثَّاني : حياة عثمان رضي الله عنه مع القران الكريم

كان المنهج التَّربويُّ الّذي تربَّى عليه عثمان بن عفَّان وكلُّ الصَّحابة الكرام هو القران الكريم، المنزَّل من عند ربِّ العالمين، فهو المصـــدر الوحيد للتَّلقِّي ؛ لذلك حرص الحبيب المصـــطفى على توحيد مصـــدر التَّلقِّي وتفرُّده، وأن يكون القران الكريم وحده هو المنهج الّذي يتربَّى عليه الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والجماعة المســـلمة، فكانت للايات الكريمة الّتي سمعها عثمان رضـــي الله عنه من رســـول الله(ﷺ) مباشـرةً أثرها في صـياغة شـخصـيَّة ذي النُّورين الإسـلاميَّة، فقد طهَّرت قلبه، وزكَّت نفســـه، وتفاعلت معها روحه، فتحوَّل إلى إنســـانٍ جديدٍ بقيمه، ومشـاعره، وأهدافه، وسلوكه، وتطلُّعاته[1]، وقد تعلَّق عثمان رضـي الله عنه بالقران الكريم، وحدَّثنا أبو عبد الرَّحمن السُّـــلمي كيف تعلَّمه من رســـول الله(ﷺ)، وله أقوالٌ تدلُّ على حبِّه الشَّـــديد للعيش مع كتاب الله تعالى، فعن أبي عبد الرحمن السُّـلمي قال: حدَّثنا الّذين كانوا يقرئوننا القران – كعثمان بن عفَّان، وعبد الله بن مســـعودٍ، وغيرهما: أنَّهم كانوا إذا تعلَّموا من النَّبيِّ(ﷺ) عشـــر ايات، لم يتجاوزوها حتَّى يتعلموا مـا فيهـا من العلم، والعمـل، قـالوا: فتعلَّمنـا القران، والعلم، والعمـل جميعاً، ولهذا كانوا يبقون مـدَّةً في حفظ السُّـــورة[2]، وذلـك: أن الله تعالى قـال: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ *﴾ [ص: 29]

وقد روى عثمان رضـي الله عنه عن رسـول الله(ﷺ) قوله: « خيركم من تعلَّم

[1] السِّيرة النَّبويَّة ، للصَّلاَّبي (145/1) .
[2] الفتاوى (177/13) .

القران وعلَّمه »[1] .

وقد عرض القران الكريم كاملاً على رســول الله(ﷺ) قبل وفاته، ومن أشــهر تلاميذ عثمان في تعلُّمِ القران الكريم، أبو عبد الرحمن السُّـــلمي، والمغيرة بن أبي شـــهابٍ، وأبو الأســـود، وزِرّ بن حُبَيْش[2]، وقد حفظ لنا التَّاريخ بعض أقوال عثمان رضي الله عنه في القران الكريم حيث قال: لو طهرت قلوبنا؛ لما شبعت من كلام الله عزَّ وجلَّ[3]، وقال: إني لأكره أن يأتي عليَّ يوم لا أنظر فيه إلى عهد الله.[4] – يعني المصــحف – وقال: حُبِّب إليَّ من الدُّنيا ثلاثٌ: إشــباع الجيعان، وكسـوة العريان، وتلاوة القران.[5] وقال: أربعةٌ ظاهرهنَّ فضـيلة، وباطنهنَّ فريضـةٌ: مخالطة الصَّـالحين فضـيلةٌ، والاقتداء بهم فريضـة، وتلاوة القران فضـيلةٌ، والعمل به فريضـةٌ، وزيارة القبور فضيلةٌ، والاستعداد للموت فريضـةٌ، وعيادة المريض فضـيلةٌ، واتخاذ الوصيَّة فريضةٌ[6] .

وقال رضي الله عنه: أضيع الأشياء عشرة: عالمٌ لا يُسألُ عنه، وعلمٌ لا يُعمل به، ورأيٌ صوابٌ لا يُقبل، وسلاحٌ لا يستعمل، ومسجدٌ لا يُصلَّى فيه، ومصحفٌ لا يقرأ فيه، ومالٌ لا ينفق منه، وخيلٌ لا تُركب، وعلم الزُّهد في بطن من يريد الدُّنيا، وعمرٌ طويلٌ لا يتزوَّد صاحبه فيه لسفره[7] .

وكان رضي الله عنه حافظاً لكتاب الله، وكان حجره لا يكاد يفارق المصحف،

---

(1) البخاريُّ ، فضائل القران رقم (5027) .
(2) تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين للذَّهبي ، ص (467) .
(3) الفتاوى (122/11) . والبداية والنِّهاية (225/7) .
(4) البداية والنِّهاية (225/7) . وفرائد الكلام ، ص (275) .
(5) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد ، ص(88) .
(6) المصدر السَّابق نفسه ، ص(90) وفرائد الكلام ، ص (278) .
(7) المصدر السَّابق نفسه ، ص(91) . وفرائد الكلام ، ص (278) .

فقيل له في ذلك، فقال: إنَّه مباركٌ جاء به مباركٌ[1] . وما مات عثمان حتَّى خرق مصـــحفه من كثرة ما يديم[2] النَّظر فيه، وقالت امرأة عثمان يوم الدَّار: اقتلوه، أو دعوه، فوالله لقد كان يحيي اللَّيل بالقران في ركعة[3].

وقد ذكر عنه أنَّه قرأ القران ليلةً في ركعةٍ لم يصـلِّ غيرها[4]. وقد تحقَّق فيه قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَـاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْـــتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ *﴾ **[الزمر: 9]** .

لقد تشـرَّب عثمان رضـي الله عنه بالمنهج القرانيّ، وتتلمذ على يدي رسـول الله(ﷺ)، وعرف من خلال القران الكريم من هو الإلـه الّـذي يجـب أن يعبـده، وكان النَّبيُّ(ﷺ) يغرس في نفسه معاني تلك الايات العظيمة، فقد حرص(ﷺ) أن يربِّي أصـحابه على التصـوُّر الصَّـحيح عن ربِّهم، وعن حقِّه عليهم، مدركاً: أنَّ هذا التصوُّر سيورث التَّصديق، واليقين عندما تصفو النُّفوس،

وتستقيم الفطرة، فأصبحت نظرة ذي النُّورين إلى الله – عزَّ وجل –، والكون، والحياة، والجنَّة، والنَّار، والقضـاء، والقدر، وحقيقة الإنسـان، وصراعه مع الشَّيطان مستمدةً من القران الكريم، وهدي النَّبيِّ(ﷺ) .

فالله سبحانه وتعالى منزَّهٌ عن النَّقائص، موصوفٌ بالكمالات، الّتي لا تتناهى

---

[1] البيان والتّبيان (177/3) ، فرائد الكلام ، ص (273) .
[2] يديم: يطيل . البداية والنِّهاية (225/7) .
[3] البداية والنّهاية (225/7) .
[4] الخلافة الرَّاشدة والدَّولة الأمويَّة ، ص (397) .

فهو سبحانه (واحدٌ لا شريك له، ولم يتَّخذ صاحبةً ولا ولداً) .

وأنَّه سبحانه حدَّد مضمون هذه العبوديَّة، وهذا التَّوحيد في القران الكريم[1] .
وأمَّا نظرته للكون، فقد استمدَّها من قول الله تعالى: ﴿قُلْ أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ۝ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ *﴾ **[فصلت: 9 - 12]** .

وأمَّا هذه الحياة مهما طالت ؛ فهي إلى زوالٍ، وأنَّ متاعها مهما عظم ؛ فإنَّه قليلٌ حقيرٌ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *﴾ **[يونس: 24]** .

وأمَّا نظرته إلى الجنَّة، فقد استمدَّها من خلال الايات الكريمة، فأصبح هذا التصوُّر رادعاً له في حياته عن أيِّ انحرافٍ عن شريعة الله، فيرى المتتبّع لسيرة ذي النُّورين عمق استيعابه لفقه القدوم على الله عزَّ وجلَّ، وشدَّة خوفه من عذاب الله، وعقابه، وسنرى ذلك في صفحات هذا البحث بإذن الله تعالى .

وأمَّا مفهوم القضاء، والقدر، فقد استمدَّه من كتاب الله، وتعليم رسول

[1] منهج الرَّسول في غرس الرُّوح الجهاديَّة ، ص (10 إلى 16) .

الله(ﷺ) له، فقد رسخ مفهوم القضاء والقدر في قلبه، واستوعب مراتبه في كتاب الله تعالى، فكان على يقينٍ بأنَّ علم الله محيطٌ بكلِّ شـــيءٍ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ *﴾ **[يونس: 61]** .

وأنَّ الله تعالى قد كتب كلَّ شـــيءٍ كائنٍ، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ *﴾ **[يس: 12]** .

وأنَّ مشيئة الله نافذةٌ، وقدرته تامَّةٌ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا *﴾ **[فاطر: 44]** .

وأن الله خالقٌ لكلِّ شـــيءٍ ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَـــيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ *﴾ **[الأنعام: 102]** .

وقد ترتَّب على الفهم الصَّـــحيح والاعتقاد الرَّاســـخ في قلبه لحقيقة القضـــاء والقدر، ثمارٌ نافعةٌ، ومفيدةٌ، ظهرت في حياته، وســـنراها - بإذن الله تعالى - في هذا الكتاب، وعرف من خلال القران الكريم حقيقة نفســه، وبني الإنســان، وأنَّ حقيقة خلقه ترجع إلى أصـلين: الأصـل البعيد، وهو الخلقة الأولى من طينٍ، حين ســوَّاه، ونفخ فيه الرُّوح . والأصــل القريب، وهو خلقه من نطفةٍ، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُـــلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ۝ ثُمَّ سَـــوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّـــمْعَ

وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ *﴾ [السَّجدة: 7 -9] .

وعرف: أنَّ هذا الإنســان خلقه الله بيده، وأكرمه بالصُّــورة الحســنة، والقامة المعتدلة، ومنحه العقل، والنُّطق، والتَّمييز، وســخَّر له ما في السَّــموات والأرض، وفضَّله على كثير من خلقه، وكرَّمه بإرساله الرُّسل له، وأنَّ من أروع مظاهر تكريم المولى – عزَّ وجلَّ – للإنســان أن جعله أهلاً لحبِّه، ورضــاه، ويكون ذلك باتِّباع النَّبيِّ(ﷺ) الّذي دعا النَّاس إلى الإسلام ؛ لكي يحيوا حياةً طيِّبةً في الدُّنيا، ويظفروا بالنَّعيم المقيم في الاخرة، قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَــالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَــنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [النحل: 97] .

وعرف عثمان رضــي الله عنه من خلال القران الكريم حقيقة الصِّــراع بين الإنسان والشَّيطان، وأنَّ هذا العدوَّ يأتي للإنسان من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله يوســوس له بالمعصــية، ويســتثير فيه كوامن الشَّــهوات، فكان مستعيناً بالله على عدوِّه إبليس، وانتصر عليه في حياته .

وتعلَّم من قصَّة ادم مع الشَّيطان في القران الكريم: أنَّ ادم هو أصل البشر، وجوهر الإســلام الطَّاعة المطلقة لله، وأنَّ الإنســان له قابليَّةٌ للوقوع في الخطيئة . وتعلَّم من خطيئة ادم ضرورة توكُّل المسلم على ربِّه، وأهميَّة التَّوبة . والاستغفار في حياة المؤمن، وضــرورة الاحتراز من الحســد، والكبر، وأهمِّيَّة التَّخاطب بأحســن الكلام مع الصَّــحابة لقول الله تعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَــنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِيناً *﴾ [الإسراء: 53] .

لقد أكرم المولى – عزَّ وجل – عثمان بن عفَّان رضي الله عنه بالإسلام فعاش به، وجاهد به من أجل نشــره، واســتمدَّ أصــوله، وفروعه من كتاب الله، وهدي النَّبيِّ(ﷺ) وأصــبح من أئمَّة الهدى ؛ الّذين يرسمون للنَّاس خطَّ ســيرهم، ويتأسَّــى النَّاس بأقوالهم، وأفعالهم في هذه الحياة، ولا ننســـى: أنَّ عثمان بن عفَّان كان من كُتَّاب الوحي لرسول الله(ﷺ)[1].

* * *

[1] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص(22) ، والتَّبيين في أنساب القرشيِّين ، ص(94) .

المبحث الثَّالث : ملازمته للنَّبيِّ(ﷺ) في المدينة

إنَّ الرَّافد القويَّ الَّذي أثَّر في شخصية عثمان رضي الله عنه وصقل مواهبه، وفجَّر طاقته، وهذَّب نفسه هو مصاحبته لرسول الله(ﷺ) وتتلمذه على يديه في مدرسة النُّبوَّة ؛ ذلك أنَّ عثمان رضي الله عنه لازم الرَّسول(ﷺ) في مكَّة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته، فقد نظَّم عثمان نفسه، وحرص على التَّلمذة في حلقات مدرسة النبوَّة في فروعٍ شتَّى من المعارف، والعلوم على يدي معلِّم البشريَّة، وهاديها، والَّذي أدَّبه ربُّه فأحسن تأديبه، فحرص على تعلُّم القران الكريم، والسُّنَّة المطهَّرة من سيِّد الخلق أجمعين، وهذا عثمان يحدِّثنا عن ملازمته لرسول الله(ﷺ)، فيقول:

(إنَّ الله – عزَّ وجلَّ – بعث محمَّداً بالحقِّ وأنزل عليه الكتاب، فكنت ممَّن استجاب لله، ولرسوله، وامن، فهاجرت الهجرتين الأوليين، ونلت صهر رسول الله، ورأيت هَدْيه)[1]، لقد تربَّى عثمان رضي الله عنه على المنهج القرانيِّ، وكان المربِّي له رسول الله(ﷺ)، وكانت نقطة البدء في تربية عثمان لقاءه برسول الله(ﷺ)، فحدث له تحوُّلٌ غريبٌ، واهتداءٌ مفاجىءٌ بمجرَّد اتِّصاله بالنَّبيِّ(ﷺ)؛ فخرج من دائرة الظَّلام إلى دائرة النُّور، واكتسب الإيمان، وطرح الكفر، وقوي على تحمُّل الشَّدائد، والمصائب في سبيل الإسلام، وعقيدته السَّمحة.

كانت شخصية رسول الله(ﷺ) تملك قوى الجذب، والتَّأثير في الاخرين، فقد صنعه الله على عينه، وجعله أكمل صورة لبشر في تاريخ الأرض، والعظمة دائماً

---

(1) فضائل الصَّحابة ، لأبي عبد الله أحمد بن حنبل (597/1) إسناده صحيحٌ .

تُحبُّ، وتُحاط من النَّاس بالإعجاب، ويلتفُّ حولها المعجبون، يلتصقون بها التصاقاً بدافع الإعجاب، والحبِّ، ولكنَّ رســـول الله(ﷺ) يضـــيف إلى عظمته تلك: أنَّه رســـول الله، متلقِّي الوحي من الله، ومبلِّغه إلى النَّاس، وذلك بُعْدٌ اخر، له أثره في تكييف مشـــاعر ذلك المؤمن تجاهه، فهو لا يحبُّه لذاته فقط، كما يحبُّ العظماء من الناس، ولكن أيضاً لتلك النَّفحة الربَّانيَّة الّتي تشمله من عند الله، فهو معه في حضـرة الوحي الإلهيِّ المكرم، ومن ثمَّ يلتقي في شـــخص الرَّســـول(ﷺ): البشـــر العظيم، والرَّسـول العظيم، ثمَّ يصبحان شيئاً واحداً في النِّهاية، غير متميِّز البداية، ولا النِّهاية ؛ حبٌّ عميقٌ شاملٌ للرَّسول البشـر، أو للبشـر الرَّسول، ويرتبط حبُّ الله بحبِّ رســوله، ويمتزجان في نفســه، فيصــبحان في مشـــاعره هما نقطة ارتكاز المشاعر كلِّها، ومحور الحركة الشُّعورية، والسُّلوكيَّة كلِّها كذلك .

كان هذا الحبُّ الّذي حرَّك الرَّعيل الأوَّل من الصَّـــحابة هو مفتاح التَّربية الإســـلاميَّة، ونقطة ارتكازها، ومنطلقها الّذي تنطلق منه[1]، لقد حصـــل لعثمان رضـــي الله عنه وللصَّـــحابة ببركة صـــحبتهم لرســـول الله(ﷺ)، وتربيتهم على يديه أحوالٌ إيمانيَّةٌ عاليةٌ، ولقد تتلمذ عثمان رضـي الله عنه على يدي رسول الله(ﷺ)، فتعلَّم منه القران الكريم، والسُّـــنَّة النَّبويَّة، وأحكام التِّلاوة، وتزكية النُّفوس، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَـــلاَلٍ مُبِينٍ *﴾ **[آل عمران: 164].**

وحرص على التبحُّر في الهدي النَّبويّ الكريم خلال ملازمته لرســـول الله(ﷺ) في غزواته، وسـلمه، وقد أمدَّته تلك المعايشـة بخبرةٍ، ودربةٍ، ودرايةٍ بشـؤون الحرب،

---

(1) منهج التَّربية الإسلاميَّة ، لمحمد قطب ، ص(34 ، 35) .

ومعرفةٍ بطبائع النُّفوس، وغرائزها، وفي الصَّفحات القادمة سنبيِّن - بإذن الله تعالى - مواقفه في الميادين الجهاديَّة، والسِّياسيَّة، والاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة مع رسول الله(ﷺ) في العهد المدنيّ .

أولاً: عثمان رضي الله عنه في ميادين الجهاد مع رسول الله:

شرع رسول الله(ﷺ) بعد استقراره بالمدينة في تثبيت دعائم الدَّولة الإسلاميَّة، فاخى بين المهاجرين، والأنصار، فكلُّ مهاجريٍّ يتَّخذ أخاً له من الأنصار، فكان نصيب عثمان بن عفَّان في المؤاخاة أوس بن ثابت[1]، ثمَّ أقام النَّبيُّ(ﷺ) المسجد، وأبرم المعاهدة مع اليهود، وبدأت حركة السَّرايا، واهتمَّ بالبناء الاقتصاديّ، والتَّعليميِّ، والتَّربويِّ في المجتمع الجديد، وكان عثمان رضي الله عنه من أعمدة الدَّولة الإسلاميَّة، فلم يبخل بمشورةٍ، أو مالٍ، أو رأيٍ، وشهد المشاهد كلَّها إلا غزوة بدر[2].

1- عثمان وغزوة بدر:

لما خرج المسلمون لغزوة بدر كانت زوجة عثمان السَّيدة رقيَّة بنت رسول الله(ﷺ) مريضةً بمرض الحصبة، ولزمت الفراش، في الوقت الّذي دعا فيه رسول الله(ﷺ) للخروج لملاقاة القافلة، وسارع عثمان رضي الله عنه للخروج مع رسول الله(ﷺ)، إلا أنَّه تلقَّى أمراً بالبقاء إلى جانب رقيَّة رضي الله عنها لتمريضها، وامتثل لهذا الأمر بنفسٍ راضيةٍ، وبقي إلى جوار زوجته الصَّابرة الطَّاهرة رُقيَّة ابنة

---

(1) الأمين ذو النُّورين ، ص(40) .

(2) الخلفاء الرَّاشدون ، عبد الوهاب النَّجار ، ص(269) .

رسـول الله(ﷺ) ؛ إذ اشـتد بها المرض، وطاف بها شـبح الموت، كانت رقيَّة رضـي الله عنها تجود بأنفاسها، وهي تتلهَّف لرؤية أبيها الّذي خرجِ إلى بدرٍ، ورؤية أختها زينب في مكَّة، وجعل عثمان رضـــي الله عنه يرنو إليها من خلال دموعه، والحزن يعتصـــر قلبه[1]، وودَّعت نبض الحياة وهي تشـــهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسـول الله، ولحقت بالرَّفيق الأعلى، ولم ترَ أباها رسـول الله(ﷺ)، حيث كان ببدرٍ مع أصـحابه الكرام، يُعلون كلمة الله، فلم يشـهد دفنها رضـي الله عنها وجُهِّزت رقيَّة ثمَّ حُمل جثمانها الطَّاهر على الأعناق، وقد ســـار خلفه زوجها عثمان وهو حزينٌ، حتَّى إذا بلغـت الجنـازة البقيع؛ دفنـت رقيَّـة هنـاك، وقـد انهمرت دموع المشيِّعين، وسوِّي التُّراب على قبر رقيَّة بنت رسول الله(ﷺ)، وفيما هم عائدون إذا بزيد بن حارثة قد أقبل على ناقة رسـول الله(ﷺ) يبشِّـر بسـلامة رسـول الله(ﷺ)، وقتل المشـــركين، وأســـر أبطالهم، وتلقَّى المســـلمون في المدينة هذه الأنباء بوجوهٍ مستبشرةٍ بنصر الله لعباده المؤمنين، وكان من بين المستبشرين وجه عثمان الّذي لم يستطع أن يخفي الامه لفقده رقيَّة رضي الله عنها .

وبعد عودة الرســـول(ﷺ) علم بوفاة رقيَّة رضــــي الله عنها فخرج إلى البقيع، ووقف على قبر ابنته يدعو لها بالغفران[2] .

لم يكن عثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه ممَّن تخلَّفوا عن بدرٍ لتقاعسٍ منه، أو هروبٍ ينشـده كما يزعم أصـحاب الأهواءِ ممَّن طعن عليه بتغيُّبه عن بدرٍ، فهو لم يقصـد مخالفة الرَّسـول(ﷺ) ؛ لأنَّ الفضـل الّذي حازه أهل بدر في شـهود بدرٍ

(1) نساء أهل البيت ، أحمد خليل جمعة ، ص(491 - 504) .
(2) دماء على قميص عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، ص(20) .

طاعةً للرَّســول، ومتابعةً له ؛ حازه عثمان رضــي الله عنه، حيث خرج فيمن خرج مع رسول الله فردَّه(ﷺ) للقيام على ابنته، فكان في أجلِّ فرضٍ لطاعته لرسول الله بتخلُّفه عن بدرٍ، وقد ضرب له بسهمه، وأجره، فشاركهم في الغنيمة، والفضل، والأجر لطاعته لله، ورســوله وانقياده لهما[1]، فعن عثمان بن عبد الله بن موهبٍ، قال: جاء رجلٌ من مصر حجَّ البيت فقال: يابن عمر ! إنِّي سائلك عن شيءٍ، فحدِّثني أنشــدك الله بحرمة هذا البيت ! هل تعلم أنَّ عثمان تغيَّب عن بدرٍ فلم يشهدها ؟ فقال:

نعم، ولكن أمَّا تغيُّبه عن بدرٍ فإنَّه كانت تحته بنت رسول الله(ﷺ)، فمرضت رضي الله عنها فقال له رسول الله(ﷺ): لك أجر رجلٍ شهد بدراً، وسهمه[2] . وعن أبي وائلٍ عن عثمان بن عفَّان رضــي الله عنه أنَّه قال: أمَّا يوم بدرٍ ؛ فقد تخلَّفت على بنت رسول الله، وقد ضرب رسول الله لي فيها بسهم . وقال زائدة في حديثه: ومن ضرب له رســول الله(ﷺ) فيها بســهمٍ ؛ فقد شــهد[3] . وقد عُدَّ عثمان رضي الله عنه من البدريِّين بالاتِّفاق[4] .

2- عثمان، وغزوة أحدٍ:

في غزوة أحدٍ منح الله - عزَّ وجلَّ - النَّصــر للمســلمين في أوَّل المعركة، وأخذت سيوف المسلمين تعمل عملها في رقاب المشركين، وكانت الهزيمة لا شكَّ فيها، وقُتل أصــحاب لواء المشــركين واحداً واحداً، ولم يقدر أحدٌ أن يدنو من

[1] كتاب: الإمامة والرَّدُّ على الرَّافضة ، للأصبهاني ، ص(302) .
[2] البخاري رقم (3698) .
[3] الإمامة والرَّدُّ على الرَّافضة ، ص(304) .
[4] عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لصادق عرجون ، ص(47) .

اللِّواء، وانهزم المشـــركون، وولولت النِّســـوة بعد أن كنَّ يغنِّين بحماسٍ، ويضـــربن بالدُّفوف، فألقين بالدُّفوف، وانصـرفن مذعوراتٍ إلى الجبل كاشـفاتٍ سـيقانهنَّ .. ولكن مال ميزان المعركة فجأةً، وكان سبب ذلك: أنَّ الرُّماة الّذين أوكل إليهم النَّبيّ مكاناً على ســفح الجبل، لا يغادرونه مهما كانت نتيجة المعركة قد تخلَّوا إلا قليلاً عن أماكنهم، ونزلوا إلى السَّاحة يطلبون الغنائم لما نظروا المسلمين يجمعونها، وانتهز خالد بن الوليد قائد سلاح الفرسان القرشيِّ فرصة خلوِّ الجبل من الرُّماة، وقلَّة من به منهم، فكرَّ بالخيل، ومعه عكرمة بن أبي جهل، فقتلوا بقيَّة الرُّماة ومعهم أميرهم عبد الله بن جبير رضـــي الله عنه الّذي ثبت هو وطائفةٌ قليلةٌ معه، وفي غفلة المســـلمين، وأثناء انشـــغالهم بالغنائم أطبق خالدٌ ومن معه عليهم، فأعملوا فيهم القتل، فاضطرب أمر المسلمين اضطراباً شديداً، وانهزمت طائفةٌ من المسلمين إلى قرب المدينة منهم عثمان بن عفَّان، ولم يرجعوا حتَّى انفضَّ القتال، وفرقةٌ صـــاروا حيارى لما سمعوا: أن النَّبيَّ(ﷺ) قد قتل، وفرقةٌ ثبتت مع النَّبيِّ(ﷺ) .

أمَّا الفرقة الّتي انهزمت، وفرَّت، فلقد أنزل الله فيها قراناً يُتلى إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ *﴾ **[آل عمران: 155] .**

غير أنَّ أصـــحاب الأهواء لا يرون إلا ما تهوى أنفســـهم، فلم يروا من المتراجعين، إلا عثمان رضـــي الله عنه فكانوا يتَّهمونه دون ســـائر المتراجعين من الصَّــحابة،وهل يبقى وحده ؟ ولو فعل ؛ لخاطر بنفســه[1]، وبعد أن عفا الله عن

---

[1] الأمين ذو النُّورين ، ص(49) .

المتراجعين، فالحكم واضـــحٌ جليٌّ، لا لبس فيه، ولا غموض . فلا مؤاخذة بعد ذلك على عثمان بن عفان رضي الله عنه [1] فيكفي: أنَّ الله عفا عنه بنصِّ القران الكريم، وحياته الجهادية بمجموعها تشهد له على شجاعته رضي الله عنه .

3- في غزوة غطفان (ذي إمر):

ندب رســـول الله(ﷺ) المســـلمين للخروج إلى غطفان، فخرجوا في أربعمئة رجلٍ، ومعهم بعض الجياد، واستخلف على المدينة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه فأصاب المسلمون رجلاً منهم (بذي القُصَّة) يقال له: جبار من بني ثعلبة، فأدخل على رســول الله(ﷺ)، فأخبره مِنْ خَبرهم، وقال: لن يلاقوك، لما سمعوا بمســيرك ؛ هربوا في رؤوس الجبال، وأنا ســائر معك، فدعاه رســول الله(ﷺ) إلى الإســلام، فأسلم، وضمَّه رسول الله(ﷺ) إلى بلالٍ، ولم يلاق رسول الله(ﷺ) أحداً، ثمَّ أقبل رسول الله(ﷺ) إلى المدينة ولم يلقَ كيداً، وكانت غيبته إحدى عشرة ليلةً[2].

4- في غزوة ذات الرِّقاع:

بلغ رسول الله(ﷺ): أنَّ جمعاً من غطفان من ثعلبة وأنمار يريدون غزو المدينة، فخرج في أربعمئةٍ من أصـــحابه ؛ حتَّى قدم صـــراراً، وكان رســـول الله(ﷺ) قد اســـتخلف على المدينة قبل خروجه عثمان بن عفَّان، ولقي المســـلمون جمعاً غفيراً من غطفان، وتقارب النَّاس، ولم يكن بينهم حربٌ، وقد خاف النَّاس بعضـــهم بعضاً، حتَّى صلَّى رسول الله(ﷺ) بالنَّاس صلاة الخوف، ثمَّ انصرف بالنَّاس، وقد

---

(1) ذو النُّورين مع النَّبيّ (ص) ، د . عاطف لماضة ، ص(32) .
(2) الرَّوض الأنف (137/3) . والطَّبقات ، لابن سعد (34/2 ، 35) .

غاب عن المدينة خمسة عشر يوماً[1] .

5- في بيعة الرِّضوان:

عندما نزل رسـول الله(ﷺ) الحديبية رأى من الضَّـرورة إرسـال مبعوثٍ خاصٍّ من جانبه إلى قريش، يبلغهم فيها نواياه السِّـلميَّة بعدم الرَّغبة في القتال، وحرصـه على احترام المقدَّسـات، ومن ثمَّ أداء مناسـك العمرة، والعودة إلى المدينة، فوقع الاختيار على أن يكون مبعوث الرَّسول(ﷺ) إلى قريش (خراش بن أميَّة الخزاعي) وحمله على جمل يقال له: (الثَّعلب)، فلمَّا دخل مكة عقرت به قريش، وأرادوا قتل خراش، فمنعهم الأحابيش، فعاد خراش بن أميَّة إلى رسـول الله(ﷺ)، وأخبره بما صنعت قريش، فأراد رسول الله(ﷺ) أن يرسل سفيراً اخر بتبليغ قريشٍ رسالة رسول الله(ﷺ)، ووقع الاختيار في بداية الأمر على عمر بن الخطاب[2]، فاعتذر

لرسـول الله(ﷺ) عن الذَّهاب إليهم، وأشـار على رسـول الله(ﷺ) أن يبعث عثمان مكانه[3]، وعرض عمر رضـي الله عنه رأيه هذا معزَّزاً بالحجَّة الواضـحة، وهي ضـرورة توافر الحماية لمن يخالط هؤلاء الأعداء، وحيث إنَّ هذا الأمر لم يكن متحقِّقاً بالنِّسبة إلى عمر رضي الله عنه فقد أشار على النَّبيِّ(ﷺ) بعثمان رضي الله عنه لأنَّ له قبيلةً تحميه من أذى المشركين، حتى يبلِّغ رسالة رسول الله(ﷺ)[4]، وقال لرسول الله(ﷺ):إنِّي أخاف قريشاً على نفسي، قد عرفت عداوتي لها، وليس

---

[1] الأمين ذو النُّورين ، ص(52 ، 53) .
[2] غزوة الحديبية لأبي فارس ، ص(83) .
[3] المغازي (600/2) .
[4] المصدر السَّابق نفسه .

بها من بني عديٍّ من يمنعني، وإن أحببت يا رســـول الله ! دخلت عليهم[1] . فلم يقل رسـول الله(ﷺ) شيئاً، قال عمر: ولكن أدلُّك يا رسـول الله ! على رجلٍ أعزَّ بمكَّة مني، وأكثر عشـيرةً، وأمنع: عثمان بن عفَّان . فدعا رسـول الله(ﷺ) عثمان رضـــي الله عنه فقال: اذهب إلى قريش فخبرهم أنَّا لم نأت لقتال أحدٍ، وإنَّما جئنا زوَّاراً لهذا البيت، معظِّمين لحرمته، معنا الهديُ، ننحره، وننصـــرف . فخرج عثمان بن عفَّان رضـي الله عنه حتَّى أتى بلدح[2]، فوجد قريشـاً هناك، فقالوا: أين تريد ؟ قال: بعثني رســـول الله(ﷺ) إليكم، يدعوكم إلى الله، وإلى الإســـلام، تدخلون في دين الله كـافَّةً، فـإنَّ الله مظهر دينـه، ومعزٌّ نبيِّـه، وأخرى: تكفُّون ويلي هـذا منـه غيركم، فـإن ظفروا بمحمَّـد ؛ فـذلـك مـا أردتم، وإن ظفر محمَّدٌ كنتم بالخيـار أن تـدخلوا فيمـا دخـل فيـه النَّـاس، أو تقـاتلوا، وأنتم وافرون جـامُّون، إنَّ الحرب قـد نهكتكم، وأذهبـت بالأمـاثـل منكم ... فجعـل عثمـان يكلِّمهم، فيـأتيهم بمـا لا يريدون، ويقولون: قد سمعنا ما تقول، ولا كان هذا أبداً، ولا دخلها علينا عنوةً، فارجع إلى صــاحبك، فأخبره، أنَّه لا يصـــل إلينا . فقام إليهم أبان بن سـعيد ابن العاص، فرحَّب به، وأجاره، وقال: لا تقصـــر عن حاجتك، ثمَّ نزل عن فرسٍ كان عليه، فحمل عثمان على السَّرج، وردفه وراءه، فدخل عثمان مكَّة، فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً: أبا ســـفيان بن حرب، وصـــفوان بن أميَّة، وغيرهم ممن لقي ببلده، ومنهم من لحقي بمكَّة، فجعلوا يردُّون عليه: إنَّ محمداً لا يدخلها علينا أبداً[3] .

وعرض المشـركون على عثمان رضـي الله عنه أن يطوف بالبيت، فأبى[4]، وقام

---

[1] مكان قريب من مكَّة .
[2] زاد المعاد (290/3) . والسِّيرة النَّبويَّة لابن هشام(344/3) .
[3] زاد المعاد (290/3) .
[4] المصدر السَّابق نفسه (290/3) .

عثمان بتبليغ رسالة رسول الله(ﷺ) إلى المستضعفين بمكَّة، وبشَّرهم بقرب الفرج، والمخرج[1]، وأخذ منهم رسالةً شفهيَّة إلى رسول الله(ﷺ) جاء فيها: اقرأ على رسول الله(ﷺ) منَّا السَّلام، إنَّ الّذي أنزله بالحديبية لقادر على أن يدخله بطن مكَّة[2]، وتسرَّبت شائعة إلى المسلمين، مفادها: أنَّ عثمان قتل، فدعا رسول الله أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين، ومناجزتهم، فاستجاب الصَّحابة وبايعوه على الموت[3]، سوى الجدِّ بن قيس، وذلك لنفاقه[4]، وفي روايةٍ، أنَّ البيعة كانت على الصَّبر[5]، وفي روايةٍ: على عدم الفرار[6]، ولا تعارض في ذلك ؛ لأنَّ المبايعة على الموت تعني: الصَّبر، وعدم الفرار[7]، وكان أوَّل من بايعه على ذلك أبو سنان عبد الله بن وهب الأسدي[8]، فخرج النَّاس بعده يبايعون على بيعته، وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرَّات، في أوَّل الناس، وأوسطهم، واخر[9]، وقال النَّبيُّ(ﷺ) بيده اليمنى: (هذه يد عثمان) فضرب بها على يده[10]، وكان عدد الصَّحابة الّذين أخذ منهم الرَّسول المبايعة تحت الشَّجرة ألفاً وأربعمئة صحابيٍّ[11] .

وقد تحدَّث القران الكريم عن أهل بيعة الرِّضوان، وورد فضلهم في نصوصٍ كثيرةٍ من الايات القرانيَّة، والأحاديث النَّبويَّة، منها:

---

(1) غزوة الحديبية لأبي فارس ، ص(85) .
(2) البخاريُّ ، رقم الحديث (4169) .
(3) السِّيرة النَّبويَّة في ضوء المصادر الأصليَّة ، ص(486) .
(4) البخاريُّ ، رقم (4169) .
(5) مسلم ، رقم (1856) .
(6) السِّيرة النَّبويَّة في ضوء المصادر الأصلية ، (486) .
(7) المصدر السَّابق نفسه .
(8) المصدر السَّابق نفسه .
(9) زاد المعاد (291/3) .
(10) صحيح السِّيرة النَّبويَّة ، ص(404) .
(11) السِّيرة النَّبويَّة في ضوء المصادر الأصلية ، ص(482) .

1- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *﴾ [الفتح: 10] .

2- قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:17- 18]

3 – قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال لنا رسول الله(ﷺ) يوم الحديبية: « أنتم خير أهل الأرض » وكنَّا ألفاً وأربعمئةٍ، ولو كنت أبصر لأريتكم موضع الشَّجر[1]. هذا الحديث صريحٌ في فضل أصحاب الشَّجرة، فقد كان من المسلمين إذ ذاك جماعةٌ بمكَّة، وبالمدينة، وبغيرهما ... وتمسَّك به بعض الشّيعة في تفضيل عليٍّ على عثمان؛ لأنَّ علياً كان من جملة من خوطب بذلك، وممن بايع تحت الشَّجرة، وكان عثمان حينئذٍ غائباً، وهذا التمسُّك باطلٌ ؛ لأنَّ النَّبيّ(ﷺ) بايع عنه، فاستوى معهم عثمان في الخيريَّة المذكورة، ولم يقصد في الحديث إلى تفضيل بعضهم على بعضٍ[2].

وفي الحديبية ذكر المحبُّ الطَّبريُّ اختصاص عثمان بعدَّة أمورٍ، منها: اختصاصه بإقامة يد النَّبيّ الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصَّحابة، وعثمان غائبٌ، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله(ﷺ) إلى من بمكَّة أسيراً من المسلمين، وذكر

---

(1) مسلمٌ (1485/3) .
(2) فتح الباري (443/7) .

شــهادة النَّبيّ لعثمان بموافقته في ترك الطَّواف لما أرسـله في تلك الرِّسـالة[1]، فعن إياس بن ســـلمة عن أبيه: أنَّ النَّبيَّ(ﷺ) بايع عثمان إحدى يديه على الأخرى، فقال الناس: هنيئاً لأبي عبد الله الطَّواف بالبيت امناً، فقال النَّبيّ(ﷺ): « لو مكث كذا ما طاف حتَّى أطوف »[2].

وقد اتُّهم عثمان ظلماً بأنَّه لم يبايع رسول الله(ﷺ) بيعة الرِّضوان، وكان متغيّباً عنها ! ! فهذه من الاتِّهامات الّتي أُلصِـــقت بعثمان في أحضـــان فتنةٍ أريد بها تقويض أركان الخلافة خاصَّةً[3]، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله تعالى. وعن أنسٍ، قال: لما أمر رسـول الله(ﷺ) ببيعة الرِّضـوان كان عثمان بن عفَّان بعثه رسـول الله إلى أهل مكَّة، فبايعه النَّاس، فقال: إنَّ عثمان في حاجة الله، وحاجة رســوله، فضـــرب بإحدى يديه على الأرض فكانت يد رســول الله(ﷺ) لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم[4].

6- شفاعة عثمان بن عفَّان في عبد الله بن أبي السَّرح في فتح مكَّة:

لما كان يوم فتح مكَّة اختبأ عبد الله بن ســعد بن أبي السَّــرح عند عثمان بن عفَّان، فجاء به حتَّى أوقفه على النَّبيّ(ﷺ)، فقال: يا رســول الله ! بايع عبد الله، فرفع رأســـه، فنظر إليه ثلاثاً، كلُّ ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاثٍ، ثمَّ أقبل على الصَّحابة فقال: « أما كان فيكم رجلٌ رشيدٌ يقوم إلى هذا حيث راني كففت يدي عن بيعته، فيقتله ؟ » فقالوا: ما ندري يا رســول الله ما في نفســك ! ألا أومأت

[1] الرِّياض النَّضرة في مناقب العشرة ، ص(490 ، 491) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، (491) وفي سنده ضعفٌ .
[3] ذو النُّورين مع النَّبيّ (ص) ، ص(32) .
[4] سير السَّلف الصَّالحين (181/1)، إسناده ضعيف ، والحديث صحيحٌ . سنن التِّرمذي رقم (3702) .

إلينا بعينك ؟ قال: « إنَّه لا ينبغي لنبيٍّ أن يكون له خائنة الأعين »[1]، وجاء في روايةٍ: لما كان يوم فتح مكَّة أمَّن رسول الله النَّاس إلا أربعة نفر، وقال: « اقتلوهم؛ وإن وجدتموهم متعلِّقين بأستار الكعبة » عكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيسُ بن صُبابة[2]، وعبد الله بن سعد بن أبي السَّرح[3]، فأمَّا عبد الله بن خطل ؛ فأدرك وهو متعلِّق بأستار الكعبة، فاستبق إليه سعيد بن حارث، وعمَّار بن ياسر، فسبق سعيدٌ عماراً، وكان أشبَّ الرَّجلين، فقتله .

وأمَّا عكرمة ؛ فركب في البحر فأصابتهم ريحٌ عاصف، فقال أصحاب السَّفينة: أخلصوا فإنَّ الهتكم لا تغني عنكم شيئاً ها هنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجِّني في البحر إلا الإخلاص لا ينجِّني في البر غيره، الّلهُمَّ لك عليَّ عهدٌ إن أنت عافيتني ممَّا أنا فيه أن اتي محمداً ؛ حتَّى أضع يدي في يده، ولأجدنَّه عَفُوّاً كريماً ! فجاء، وأسلم، وأمَّا عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح ؛ فإنَّه اختبأ عند عثمان بن عفَّان، فلمَّا دعا رسول الله النَّاس إلى البيعة ؛ جاء به ؛ حتَّى أوقفه على النَّبيّ(ﷺ)، ثمَّ ذكر الباقي كما مرَّ معنا[4].

وعن عبد الله بن عبَّاسٍ، قال: كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح يكتب لرسول الله(ﷺ)، فأزلَّه الشَّيطان، فلحق بالكفَّار، فأمر به رسول الله(ﷺ) أن يقتل يوم الفتح، فاستجار له عثمان، فأجاره رسول الله[5] . وذكر ابن إسحاق سبب أمر رسول الله بقتل سعدٍ، وشفاعة عثمان فيه، فقال: وإنَّما أمر رسول الله بقتله ؛

---

(1) الصَّارم المسلول على شاتم الرَّسول (ص) ، ص(109) .
(2) أضواء البيان في تاريخ القران ، لصابر أبي سليمان ، ص(79) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .
(4) المصدر السابق نفسه ، ص(80) .
(5) المصدر السابق نفسه .

لأنَّه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله(ﷺ) الوحي، فارتدَّ مشركاً راجعاً إلى قريش، ففرَّ إلى عثمان بن عفَّان، وكان أخاه للرَّضاعة، فغيَّبه، حتَّى أتى به رسول الله(ﷺ) بعد أن اطمأنَّ النَّاسُ، وأهلُ مكَّة، فاستأمن له . قال ابن هشام: ثمَّ أسلم بعد، فولاه عمر بن الخطَّاب بعض أعماله، ثمَّ ولاه عثمان بن عفَّان بعد عمر[1].

7- غزوة تبوك:

في العام التَّاسع الهجريِّ ولَّى هرقل وجهه المتامر صوب الجزيرة العربيَّة متلمظاً برغبةٍ شريرة في العدوان عليها، والتهامها . . وأمر قوَّاته بالاستعداد، وانتظار أمره بالزَّحف، وترامت الأنباء إلى الرَّسول(ﷺ) فنادى في أصحابه بالتَّهيُّؤ للجهاد، وكان الصَّيف حارّاً يصهر الجبال، وكانت البلاد تعاني الجدب، والعسرة، فإن قاوم المسلمون بإيمانهم وطأة الحرِّ القاتل، وخرجوا إلى الجهاد فوق الصَّحراء الملتهبة المتأجِّجة، فمن أين لهم العتاد، والنَّفقات الّتي يتطلَّبها الجهاد . . ؟ لقد حضَّ الرَّسول على التَّبرُّع، فأعطى كلٌّ قدر وسعه، وسارعت النِّساء بالحلي يقدِّمنه إلى رسول الله(ﷺ) يستعين به في إعداد الجيش .. بيد أنَّ التَّبرعات جميعَها لم تكن لتغني كثيراً أمام المتطلَّبات للجيش الكبير .. ونظر الرسول(ﷺ) إلى الصُّفوف الطَّويلة العريضة من الّذين تهيَّؤوا للقتال وقال: « من يجهز هؤلاء، ويغفر الله له ؟» وما كاد عثمان يسمع نداء الرَّسول(ﷺ) هذا ؛ حتَّى سارع إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ، وهكذا وجدت العسرة الضَّاغطة (عثمانها المعطاء)[2] . وقام رضي الله

---

[1] السِّيرة النَّبويَّة لابن هشام(57/4 ، 58) .

[2] فتح الباري (67/7) . وخلفاء الرَّسول ، ص (250) . والعشرة المبشرون بالجنَّة ، محمد صالح عوض ، ص(53) .

عنه بتجهيز الجيش، حتَّى لم يتركه بحاجة إلى خطامٍ، أو عقالٍ .

يقول ابن شهابٍ الزُّهريُّ: قدَّم عثمان لجيش العسرة في غزوة تبوك تسعمئةٍ وأربعين بعيراً، وستين فرساً أتمَّ بها الألف، وجاء عثمان إلى رسول الله في جيش العسرة بعشرة الاف دينارٍ صبَّها بين يديه، فجعل الرسول يقلِّبها بيده، ويقول: «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم» – مرَّتين[1]–.

لقد كان عثمان رضي الله عنه صاحب القِدْح المعلَّى في الإنفاق في هذه الغزوة[2]، وهذا عبد الرَّحمن بن حباب يحدِّثنا عن نفقة عثمان، حيث قال: شهدت النَّبيَّ(ﷺ) وهو يحثُّ على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفَّان، فقال: يا رسول الله ! عليَّ مئتا بعير بأحلاسها، وأقتابها في سبيل الله، ثمَّ حضَّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان، فقال: يا رسول الله ! عليَّ ثلاثمئة بعيرٍ بأحلاسها، وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر، ويقول: « ما على عثمان ماعمل بعد هذه ! ما على عثمان ما عمل بعد هذه ! »[3]. وعن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنهما قال: جاء عثمان بن عفَّان إلى النَّبيِّ(ﷺ) بألف دينارٍ في ثوبه حين جهَّز النَّبيّ(ﷺ) جيش العسرة، قال: فجعل النَّبيُّ(ﷺ) يقلِّبها بيده، ويقول: « ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم » يردِّدها مراراً[4] .

إنَّه يبدو وكأنَّه المموِّل الوحيد للأمَّة الجديدة ! ! ومضى الرَّسول(ﷺ) على رأس جيشه، حتَّى وصلوا موطناً يُدعى تبوك في منتصف الطَّريق بين المدينة

---

[1] سنن التِّرمذي رقم (3785) . وصحيح التوثيق ، ص(26) .
[2] السِّيرة النَّبويَّة في ضوء المصادر الأصلية ، ص(615) .
[3] سنن التِّرمذي ، رقم (3700) .
[4] المصدر السَّابق نفسه ، رقم (3702) .

ودمشـق، وهناك جاءته الأنباء مبشِّـرةً بأنَّ هرقل الّذي كان يعد العدَّة للزّحف من دمشـق، قد ثلم الله عزمه، وغادر دمشـق نافضـاً يديه من محاولته اليائسـة بعد أن علم بخروج النَّبيّ، وأصــحابه إليه، ورجع الجيش بكلِّ عتاده الّذي أمده به عثمان، فهل اسـترجع من ذلك شـيئاً ؟ كلا .. وحاشـاه أن يفعل ! ! وقد ظلَّ كما كان دوماً ســـريع التَّلبية لكلِّ إيماءةٍ من النَّبيِّ(ﷺ) تعني جديداً من البذل، ومزيداً من العطاء[1].

ثانياً: من حياته الاجتماعيَّة في المدينة:

1- زواجه من أمِّ كلثوم سنة 3 هـ:

عُرفت أمُّ كلثوم رضي الله عنها بكنيتها، ولا يعرف لها اسم إلا ما ذكره الحاكم عن مصعب الزُّبيري: أنَّ اسمها أميَّة، وهي أكبر سنّاً من فاطمة رضي الله عنها[2].

قال سـعيد بن المسـيِّب: تأيَّم عثمان من رقيَّة بنت رسـول الله(ﷺ)، وتأيَّمت حفصـــة بنت عمر من زوجها، فمرَّ عمر بعثمان، فقال: هل لك في حفصـــة ؟ وكـان عثمـان قـد سمع رســـول الله(ﷺ) يـذكرهـا فلم يجبـه، وذكـر ذلـك عمر للنَّبيِّ(ﷺ)، فقال: « هل لك في خير من ذلك؟ أتزوَّج حفصـــة، وأزوِّج عثمان خيراً منها: أمَّ كلثوم»[3]. وفي رواية البخاريِّ: قال عمر: تأيَّمت حفصـة بنت عمر من خنيس بن حذافة السَّـهمي، وكان من أصـحاب رسـول الله، فتوفِّي في المدينة .

---

[1] خلفاء الرَّسول ، ص (138) . والعشرة المبشرون بالجنَّة ،ص(31) .
[2] الدَّوحة النَّبويَّة الشَّريفة ، فاروق حمادة ، ص(45 ، 46) .
[3] مستدرك الحاكم (49/4) . والاثار لأبي يوسف ، رقم (1957) .

فقال عمر: أتيت عثمان بن عفَّان، فعرضـــت عليه حفصـــة بنت عمر، قال: فقلت: إن شـئت أنكحتك حفصــة، فقال: ســأنظر في أمري، فلبثت لياليَ، ثمَّ لقيني، فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا .

قال عمر: فلقيت أبا بكر الصِّـدِّيق، فقلت: إن شـئت زوَّجتك حفصـة بنت عمر، فصـمت أبو بكر الصـديق رضـي الله عنه، فلم يرجع إليَّ شـيئاً، فكنت عليه أوجد منِّي على عثمان، فلبثت لياليَ، ثمَّ خطبها رسـول الله(ﷺ)، فأنكحتها إيَّاه، فلقيني أبو بكر، فقال: لعلَّك وجدت عليَّ حين عرضـت عليَّ حفصـة، فلم أرجع إليك شـــيئاً؟ قال عمر: نعم . قال: فإنَّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضـــت عليَّ، إلا أنِّي كنت علمت: أن رسول الله قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله(ﷺ)، ولو تركها رسول الله ؛ قبلتها[1].

وتروي أمُّ المؤمنين الصِّـدِّيقة بنت الصِّـدِّيق رضـي الله عنها خبر زواج أمِّ كلثوم من عثمان رضــــي الله عنه فتقول: لما زوَّج النبيُّ ابنته أمَّ كلثوم ؛ قال لأم أيمن: « هيِّئي ابنتي أمَّ كلثوم، وزفِّيها إلى عثمان، واخفقي[2] بين يديها بالدُّفِّ » ففعلت ذلك، فجاءها النَّبيُّ(ﷺ) بعد الثَّالثة فدخل عليها فقال: « يا بُنيَّة ! كيف وجدت بعلك . ؟ » قالت: خير بعلٍ[3] . وعن أبي هريرة رضــــي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ(ﷺ) وقف عند باب المسجد، فقال: يا عثمان ! هذا جبريل أخبرني: أنَّ الله قد زوجك أمَّ كلثوم بمثل صداق رقيَّة، وعلى مثل صحبتها . وكان ذلك سنة ثلاثٍ من الهجرة

---

[1] البخاريُّ ، كتاب النِّكاح ، رقم (5122) .

[2] خفق: اضطرب ، وتحرَّك .

[3] السِّيرة النَّبويَّة ، لأبي شهبة (231/2) . ودماء على قميص عثمان ، ص(22) .

النَّبويَّة، في ربيع الأوَّل، وبنى بها في جمادى الاخرة[1] .

2- وفاة عبد الله بن عثمان:

وفي جمادى الأولى سنة أربع من الهجرة مات عبد الله بن عثمان رضي الله عنه من رقيَّة بنت رسول الله(ﷺ)، وهو ابن ستِّ سنين، فصلَّى رسول الله(ﷺ) عليه، ونزل حفرته والده عثمان[2]، وهذه محنةٌ عظيمةٌ تعرَّض لها عثمان، وما أكثر المحن في حياة الدُّعاة إلى الله تعالى!

3- وفاة أمِّ كلثوم رضي الله عنها:

ولم تزل أمُّ كلثوم عند عثمان رضي الله عنه إلى أن توفِّيت في شعبان سنة تسع من الهجرة، بسبب مرضٍ نزل بها، وصلَّى عليها رسول الله(ﷺ)، وجلس على قبرها . وعن أنس بن مالكٍ: أنَّه رأى النَّبيَّ(ﷺ) جالساً على قبر أمِّ كلثوم، قال: فرأيت عينيه تدمعان، فقال: « هل منكم رجلٌ لم يقارف الليلة ؟ » فقال أبو طلحة: أنا، قال: « فانزل في قبرها »[3]. وعن ليلى بنت قانف الثَّقفيَّة، قالت: كنت فيمن غسَّل أمَّ كلثوم بنت رسول الله(ﷺ) عند وفاتها، فكان أوَّل ما أعطانا رسول الله(ﷺ) الحقو، ثمَّ الدِّرع، ثمَّ الخمار، ثمَّ الملحفة، ثمَّ أدرجت بعده في الثَّوب الاخر، قالت: ورسول الله(ﷺ) عند الباب، ومعه كفنها، يناولنا إيَّاه ثوباً ثوباً[4]، وجاء عند ابن سعدٍ: أنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ، والفضل بن العبَّاس، وأسامة بن

---

[1] سنن ابن ماجه رقم (110) وفيه عثمان بن خالد ، وهو ضعيفٌ .
[2] الكامل ، لابن الأثير (130/2) . ودماء على قميص عثمان ، ص(22) .
[3] البخاري ، كتاب الجنائز ، رقم (1342) .
[4] سنن أبي داود ، رقم (3157) .

زيدٍ، قد نزلوا في حفرتها مع أبي طلحة، وأنَّ الّتي غسَّـلتها هي أسماء بنت عُميس، وصفيَّة بنت عبد المطَّلب[1] .

وقد تأثَّر عثمان رضـي الله عنه وحزن حزناً عظيماً على فراقه لأمِّ كلثوم، ورأى رسـول الله(ﷺ) عثمان رضـي الله عنه وهو يسـير منكسـراً، وفي وجهه حزنٌ لما أصـابه، فدنا منه وقال: « لو كانت عندنا ثالثةٌ لزوَّجناكها يا عثمان »[2] ! وهذا دليل حبِّ رسـول الله(ﷺ) لعثمان، ودليل وفاء عثمان لنبيِّه، وتوقيره، وفيه دليلٌ على نفي ما اعتاده النَّاس من التَّشـاؤم في مثل هذا الموطن، فإنَّ قدر الله ماضٍ، وأمره نافذٌ، ولا رادَّ لأمره[3] .

ثالثاً: من مساهمته الاقتصاديَّة في بناء الدَّولة:

كان عثمان رضـي الله عنه من الأغنياء الّذين أغناهم الله – عزَّ وجلَّ – وكان صـاحب تجارةٍ، وأموالٍ طائلةٍ، ولكنَّه اسـتخدم هذه الأموال في طاعة الله – عزَّ وجلَّ – وابتغاء مرضـاته، وما عنده، وصـار سـبَّاقاً لكلِّ خيرٍ، ينفق، ولا يخشـى الفقر، وممَّا أنفقه رضي الله عنه من نفقاته الكثيرة على سبيل المثال ما يأتي:

1- بئر رومة:

عندما قدم النَّبيُّ(ﷺ) المدينة المنوَّرة ؛ وجد: أنَّ الماء العذب قليلٌ، وليس بالمدينة ما يستعذب غير بئر رومة، فقال رسـول الله(ﷺ): « من يشـتري رومة،

---

[1] الطبقات ، لابن سعد (39/8) . والدَّوحة النَّبويَّة ، ص(48) .
[2] مجمع الزَّوائد للهيثمي (83/9) ، إسناده حسن لما له من شواهد .
[3] الخلفاء الرَّاشدون ، أعمال ، وأحداث ، د . أمين القضاة ، ص(73) .

فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخيرٍ له منها في الجنة ؟ »[1] . وقال(ﷺ): « من حفر بئر رومة فله الجنَّة »[2] .

وقد كانت رومة قبل قدوم النَّبيّ(ﷺ) لا يشرب منها أحد إلا بثمن، فلمَّا قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجل من بني غفار عينٌ يقال لها: رومة، وكان يبيع منها القربة بمدٍّ، فقال النَّبيُّ(ﷺ): « تبيعها بعينٍ في الجنة ؟ » فقال: يا رسول الله ! ليس لي، ولا لعيالي غيرها . فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهمٍ، ثمَّ أتى النَّبيَّ(ﷺ)، فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: « نعم ! » قال: قد جعلتها للمسلمين[3]، وقيل: كانت رومة رَكِيَّةً ليهوديٍّ يبيع المسلمين ماءها، فاشتراها عثمان بن عفَّان من اليهوديّ بعشرين ألف درهمٍ، فجعلها للغنيّ، والفقير، وابن السَّبيل[4] .

2- توسعة المسجد النَّبويِّ:

بعد أن بنى رسول الله(ﷺ) مسجده في المدينة صار المسلمون يجتمعون فيه ليصلُّوا الصَّلوات الخمس، ويحضروا خطب النَّبيِّ(ﷺ) الّتي يُصدر إليهم فيها أوامره، ونواهيه، ويتعلَّمون في المسجد أمور دينهم، وينطلقون منه إلى الغزوات، ثمَّ يعودون بعدها، ولذلك ضاق المسجد بالنَّاس، فرغب النَّبيُّ(ﷺ) من بعض الصَّحابة أن يشتري بقعةً بجانب المسجد، لكي تزاد في المسجد، حتَّى يتَّسع لأهله، فقال(ﷺ): « من يشتري بقعة ال فلان، فيزيدها في المسجد بخيرٍ له منها

[1] صحيح النَّسائي ، للألباني (766/2) .
[2] أخرجه البخاريُّ ، رقم (2778) معلقاً ، وهو صحيحٌ لشواهده .
[3] تحفة الأحوذي بشرح سنن التِّرمذي (196/10) .
[4] فتح الباري (408/5) . والحكمة في الدَّعوة إلى الله ، ص(231) .

في الجنَّة؟ » فاشتراها عثمان بن عفَّان رضي الله عنه من صلب ماله[1] بخمسة وعشرين ألف درهمٍ، أو بعشرين ألفاً، ثمَّ أضيفت للمسجد[2]، ووسَّع على المسلمين، رضي الله عنه، وأرضاه[3] .

3- العسرة، وعثمانها المعطاء:

عندما أراد رسول الله(ﷺ) الرَّحيل إلى غزوة تبوك حثَّ الصحابة الأغنياء على البذل لتجهيز جيش العسرة الّذي أعدَّه رسول الله(ﷺ) لغزو الرُّوم، فأنفق الأموال من صحابة رسول الله(ﷺ) كلٌّ على حسب طاقته وجهده، أمَّا عثمان فقد أنفق نفقةً عظيمة لم ينفق أحدٌ مثلها[4]، وقد تمَّ بيانها عند حديثنا عن موقفه في غزوة تبوك .

***

(1) صحيح سنن التِّرمذي للألباني (209/3) ، رقم (2921) .
(2) صحيح سنن النَّسائي (766/2) .
(3) أعلام المسلمين لخالد البيطار (41/3) .
(4) الحكمة في الدَّعوة إلى الله ، ص(231) .

المبحث الرَّابع : من أحاديث الرسول(ﷺ) في عثمان بن عفَّان

أولاً: فيما ورد في فضائله مع غيره:

1- افتح له وبشره بالجنَّة على بلوى تصيبه:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنت مع النَّبيِّ(ﷺ) في حائطٍ من حيطان المدينة، فجاء رجل، فاستفتح، فقال النَّبيُّ(ﷺ): « افتح له، وبشِّره بالجنَّة » . ففتحت له ؛ فإذا هو أبو بكر، فبشَّرته بما قال رسول الله، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي(ﷺ): « افتح له وبشره بالجنة » . ففتحت له ؛ فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النَّبيُّ(ﷺ)، فحمد الله . ثمَّ استفتح رجلٌ، فقال لي: « افتح له وبشِّره بالجنَّة على بلوى تصيبه » . فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله(ﷺ)، فحمد الله، ثمَّ قال: الله المستعان[1].

هذا الحديث تضمَّن فضيلة هؤلاء الثَّلاثة المذكورين، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان ؛ وأنَّهم من أهل الجنَّة، كما تضمَّن فضيلةً لأبي موسى . وفيه دلالة على جواز الثَّناء على الإنسان في وجهه إذا أمنت عليه الإعجاب ونحوه . وفيه معجزةٌ ظاهرةٌ للنَّبيِّ(ﷺ) لإخباره بقصَّة عثمان، والبلوى، وأنَّ الثَّلاثة يستمرُّون على الإيمان، والهدى[2] .

---

[1] البخاريُّ ، رقم (3695) .
[2] شرح النَّوويِّ على صحيح مسلمٍ (171-170/15) .

2- اسكن أُحُد فليس عليك إلا نبيٌّ وصدِّيقٌ وشهيدان:

عن أنسٍ رضـي الله عنه قال: صـعد النَّبيُّ(ﷺ) أحداً، ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فَرَجَف، فقال: « اسـكن أحد – أظنُّه ضـربه برجله – فليس عليك إلا نبيٌّ، وصدِّيقٌ، وشهيدان »[1].

3- اهدأ فما عليك إلا نبيٌّ، أو صديقٌ، أو شهيدٌ:

عن أبي هريرة رضـي الله عنه: أنَّ رسـول الله(ﷺ) كان على حراء، وأبو بكر، وعمر، وعثمـان، وعليٌّ، وطلحة، والزُّبير، فتحرَّكـت الصَّـــخرة، فقـال رســـول الله(ﷺ): « اهدأ فما عليك إلا نبيٌّ، أو صدِّيقٌ، أو شهيدٌ »[2] .

4- حياء عثمان رضي الله عنه:

عن يحيى بن سـعيد بن العاص: أنَّ سـعيد بن العاص أخبره: أنَّ عائشـة زوج النَّبيِّ(ﷺ) وعثمـان حـدَّثاه: أنَّ أبا بكر اســـتـأذن على رســـول الله(ﷺ) وهو مضـطجعٌ على فراشـه لابسٌ مِرْطَ عائشـة، فأذن لأبي بكرٍ ؛ وهو كذلك، فقضـى إليه حاجته، ثمَّ انصرف، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو على تلك الحال، فقضى إليه حاجته، ثمَّ انصـرف، قال عثمان: ثم اسـتأذنت عليه، فجلس، وقال لعائشـة: « اجمعي عليك ثيابك » . فقضيت إليه حاجتي، ثمَّ انصرفت، فقالت عائشة: يا رســـول الله ! ما لي لم أرَكَ فزعت لأبي بكرٍ، وعمر رضـــي الله عنهما كما فزعت لعثمان ؟ ! قال رسول الله(ﷺ): « إن عثمان رجلٌ حَييٌّ، وإِنِّي خشيت إن أذنت

---

[1] البخاريُّ ، رقم (3697) .
[2] مسلم ، رقم (2417) .

له على تلك الحال ألا يبلغ إليّ في حاجته »[1] .

5- استحياء الملائكة من عثمان:

عن أبي ســـلمة بن عبد الرحمن: أن عائشـــة قالت: كان رســـول الله(ﷺ) مضطجعاً في بيتي، كاشفاً عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدَّث، ثمَّ اســـتأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدَّث، ثمَّ اســـتأذن عثمان، فجلس رســـول الله(ﷺ) وســـوَّى ثيابه. قال محمد - أحد رواة الحديث - ولا أقول ذلك في يومٍ واحدٍ - فدخل فتحدَّث، فلمَّا خرج؛ قالت عائشـــة: دخل أبوبكر، فلم تَهْتَشَّ له، ولم تُبَالِهِ، ثمَّ دخل عمر، فلم تَهْتَشَّ له، ولم تُبالِهِ، ثمَّ دخل عثمان، فجلستَ، وسوَّيت ثيابك! فقال: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه الملائكة؟!»[2].

قال المناوي: مقام عثمان مقام الحياء، والحياء فرعٌ يتولَّد من إجلال من يشـــاهده، ويعظِّم قدره، مع نقصٍ يجده في النَّفس، فكأنَّه غلب عليه إجلال الحقِّ تعالى، ورأى نفسه بعين النَّقص، والتقصير، وهما من جليل خصال العباد المقرَّبين، فَعَلَتْ رتبة عثمان كذلك، فاســـتحيت منه خلاصـــة الله من خلقه، كما أنَّ من أحبَّ الله؛ أحبَّ أولياءه، ومن خاف الله؛ خاف منه كلُّ شيءٍ[3].

---

[1] مسلم ، رقم (2402) .
[2] مسلم ، رقم (2401) .
[3] فيض القدير للمناوي (302/4) .

6- أصدقها حياءً عثمان:

عن أنس بن مالكٍ، قال: قال رســـول الله(ﷺ): « أرحم أمَّتي أبو بكرٍ، وأشدُّها في دين الله عمر، وأصدقهاحياءً عثمان، وأعلمها بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأقرأها لكتاب الله أبيٌّ، وأعلمها بالفرائض زيد بن ثابت، ولكلِّ أمة أمينٌ، وأمين هذه الأمَّة أبو عبيدة بن الجراح »[1].

ثانياً: إخبار رسول الله عن الفتنة الّتي يُقتل فيها عثمان:

1- من نجا من ثلاثٍ فقد نجا:

عن عبد الله بن حوالة: أنَّ رســول الله(ﷺ) قال: « من نجا من ثلاثٍ ؛ فقد نجا - ثلاث مرَّات -: موتي، والدَّجال، وقتل خليفة مصطبرٍ بالحقِّ، معطيه »[2].

ومعلوم: أنَّ الخليفة الّذي قتل مصـــطبراً بالحقِّ هو عثمان، فالقرائن تدلُّ على أنَّ الخليفة المقصـود بهذا الحديث هو عثمان بن عفَّان رضــي الله عنه وفي الحديث - والله أعلم - لفتةٌ عظيمةٌ إلى أهمِّيَّة السَّـلامة من الخوض في هذه الفتنة حسِّـياً، ومعنوياً، أمَّا حسِّياً فذلك يكون في زمن الفتنة، من تحريضٍ، وتأليبٍ، وقتلٍ، وغير ذلك، وأمَّا معنوياً فبعد الفتنة من خوض فيها بالباطل، وكلامٍ فيها بغير حقٍّ، وبهذا يكون الحديث عامَّاً للأمَّة، وليس خاصّاً بمن أدرك الفتنة[3].

---

[1] فضائل الصَّحابة ، للإمام أحمد (604/1) إسناده صحيحٌ .
[2] المسند (419/4) (346/5) ، تحقيق: أحمد شاكر .
[3] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (44/1) .

2- يقتل فيها هذا المقنَّع يومئذٍ:

عن ابن عمر قال: ذكر رسـول الله(ﷺ) فتنةً، فمرَّ رجلٌ، فقال: « يقتل فيها هذا المقنَّع يومئذٍ مظلوماً »، قال: فنظرت، فإذا هو عثمان بن عفَّان[1].

3- هذا يومئذٍ على الهدى:

عن كعب بن عجرة، قال: ذكر رسول الله فتنةً، فقربها، فمرَّ رجلٌ مقنِّعٌ رأسه، فقال رسـول الله(ﷺ): « هذا يومئذٍ على الهدى » . فوثبتُ، فأخذت بضـبعي عثمان، ثم استقبلت رسول الله(ﷺ) فقلت: هذا ؟ قال: « هذا »[2] .

4- تهيج فتنةٌ كالصَّياصي، فهذا ومن معه على الحقِّ:

عن مرَّة البهزيّ، قال: كنت عند رســول الله(ﷺ)، وقال بهز - من رواة الحديث-: قال رسـول الله(ﷺ): « تهيج فتنةٌ كالصَّـياصـي، فهذا ومن معه على الحقِّ » . قال: فذهبت، فأخذت بمجامع ثوبه، فإذا هو عثمان بن عفَّان رضـي الله عنه[3].

5- هذا يومئذٍ وأصحابه على الحقِّ، والهدى:

عن أبي الأشـعث قال: قامت خطباء بإيلياء في إمارة معاوية رضـي الله عنه فتكلَّموا، وكان اخر من تكلَّم مرَّة بن كعب، فقال: لولا حديثٌ سمعته من رسـول الله(ﷺ) ؛ ما قمت، سمعت رسـول الله(ﷺ) يذكر فتنةً، فقرَّبها، فمرَّ رجلٌ مقنَّعٌ،

---

[1] فضائل الصَّحابة (551/1) إسناده حسنٌ .
[2] صحيح سنن ابن ماجه (24/1) .
[3] المسند (33/5) له طرقٌ تقوِّيه .

فقال: « هذا يومئذٍ وأصحابه على الحقِّ، والهدى » . فقلت: هذا يا رسول الله؟! وأقبلت بوجهه إليه، فقال: « هذا » فإذا هو عثمان رضي الله عنه[1] .

6- عليكم بالأمين وأصحابه:

عن أبي حبيبة: أنَّه دخل الدَّار وعثمان محصـــورٌ فيها، وأنَّه سمع أبا هريرة يســـتأذن عثمان في الكلام، فأذن له، فقام، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: إِنِّي سمعت رســـول الله يقول: « إنكم تلقون بعدي فتنةً، واختلافاً - أو قال -: اختلافاً، وفتنة » . فقال له قائلٌ من النَّاس: فمن لنا يا رســـول الله ؟ ! قال: « عليكم بالأمين وأصحابه » وهو يشير إلى عثمان بذلك[2] .

7- فإن أرادك المنافقون على خلعه ؛ فلا تخلعه:

عن عبد الله بن عامرٍ، عن النُّعمان بن بشير، عن عائشة، قالت: أرسل رسول الله(ﷺ) إلى عثمان، فأقبل عليه رسول الله(ﷺ)، فلمَّا رأينا رسول الله(ﷺ) أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من اخر كلامه كلمة أن ضرب بين منكبيه، وقال: « يا عثمان ! إن الله - عزَّ وجلَّ - عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتَّى تلقاني » ثلاثاً[3] .

8 - إنَّ رسول الله(ﷺ) عهد إليَّ عهداً، وإِنِّي صابرٌ نفسي عليه:

عن أبي سـهلة، عن عائشـة، قالت: قال رسـول الله(ﷺ): « ادعوا لي بعض

(1) فضائل الصَّحابة (550/1) إسناده صحيحٌ .
(2) المصدر السَّابق نفسه .
(3) فضائل الصَّحابة (631/1) إسناده صحيحٌ.

أصحابي » . قلت: أبو بكر ؟ قال: « لا » قالت: قلت: عثمان ؟ قال:« نعم!» فلمَّا جاء ؛ قال: تنحَّيْ، فجعل يُسَـــارُّه[1]، ولون عثمان يتغيَّر، فلمَّا كان يوم الدَّار، وحُصِـرَ؛ قلنا: يا أمير المؤمنين ! ألا تقاتل ؟ قال: لا ! إنَّ رسـول الله(ﷺ) عهد إلي عهداً، وإِنِّي صابرٌ نفسي عليه[2] .

وهذا الحديث يبيِّن شـدَّة محبَّة رسـول الله لعثمان رضـي الله عنه، وحرصـه على مصـــالح الأمَّة بعده، فقد أخبره بأشـــياء تتعلَّق بهذه الفتنة الَّتي ســـتنتهي بقتله، وحرص عليه الصَّلاة والسَّلام على سرِّيَّتها، حتَّى إنَّه لم يصل إلينا منها إلا ما صرح به عثمان رضي الله عنه أثناء الفتنة لما قيل له: ألا تقاتل ؟ فقد قال: لا، إنَّ رسول الله عهد إليَّ عهداً، وإِنِّي صابرٌ عليه[3] .

ويظهر من قوله هذا: أنَّ النَّبيَّ(ﷺ) قد أرشـــده إلى الموقف الصَّـــحيح، عند اشـتعال الفتنة، وذلك أخذاً منه(ﷺ) بحجز الفتنة أن تنطلق. وفي بعض الرِّوايات زيادةٌ تكشـف عن بعض مكنون هذه المسـارَّة، فقد جاء فيها: أنَّ النَّبيَّ(ﷺ) قال له: « وإن سألوك أن تنخلع من قميص قمصك الله – عزَّ وجلَّ – فلا تفعل »[4] . ومضـمون هذا العهد الَّذي ذكره عثمان رضـي الله عنه يتعلَّق بالفتنة، والوصـيَّة بالصَّـبر فيها وعدم الخلع، وإن كان يفهم من هذه الأحاديث بأنَّه سـيكون خليفةً يوماً ما . ويبدو: أنَّ هناك وصـــايا، وإرشـــادات تتعلَّق بهذه الفتنة، انفرد بمعرفتها عثمان رضـــي الله عنه، وذلك محافظةً من النَّبيِّ(ﷺ) على السِّـــرِّيَّة فيها، وممَّا يبين

---

[1] من المسارَّة مفاعلة من السرّ: أي: المناجاة .

[2] فضائل الصَّحابة (605/1) إسناده صحيحٌ.

[3] المصدر السَّابق نفسه .

[4] فضائل الصَّحابة (613/1) إسناده صحيحٌ. والطَّبقات (66/3 - 67) .

ذلك: أنَّه أمر عائشة رضي الله عنها بالانصراف[1] عندما أراد الإسرار بها لعثمان رضـــي الله عنه، كما أنَّه أسـرَّ إليه إسـراراً، رغم خلوِّ المكان من غيرهما، حتَّى تغيَّر لونه، ممَّا يدلُّ على عظم المسرِّ به، وربط عائشة رضي الله عنها هذا الإسرار بالفتنة دليلٌ واضحٌ على أنَّ هذه المسارَّة كانت حول الفتنة الّتي قتل فيها، كما أنَّ الإسرار تضـــمَّن توجيهات منه(ﷺ) إلى عثمان ؛ ليقف الموقف الصَّـــحيح عند عرض الخلع، وأنَّ النَّبيَّ(ﷺ) لم يقتصـــر على الإخبار بوقوع الفتنة، فقد أخبر بذلك علانيةً في أحاديث كثيرةٍ كما تقدَّم، فإسـراره يدلُّ على أنَّ هذا الإسـرار تضـمَّن أشـــياء أخرى زيادةً على الإخبار عن وقوعها، ورغب عليه الصَّـــلاة والسَّـــلام بالمحافظة على سرِّيَّتها لحكمةٍ اقتضت ذلك - الله أعلم بها - .

وهذا الحديث يفسِّــر لنا جليّاً ســبب إصــرار عثمان على رفض القتال أثناء الحصـار، كما يفسِّـر أيضـاً سـبب رفضـه للتَّنازل عن الخلافة وخلعها عندما عرض القوم عليه ذلك، وهما موقفان طالما تساءل الباحثون والمؤرِّخون عن السَّبب الّذي أدَّى عثمان إليهما، واستشكلوهما[2] .

وحادث فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه من ضمن حوادث كثيرةٍ أخبر رسول الله في حياته بأنَّها ســتقع بالغيب، فإنَّ علم الغيب صــفةٌ من صــفات الله - عزَّ وجلَّ -، ليســـت لأحدٍ من خلقه، وإنما ذلك علمٌ أطلعه الله عليه، وأمره أن يبيِّنه للنَّاس[3]، قال تعالى: ﴿قُلْ لاَ﴾ **[الأعراف: 188].**

[1] فقد قال لها النَّبيّ (ص): (تنحَّيْ) ومعنى التَّنحي: الانصراف ، الفيروزابادي ، القاموس المحيط (396/4) . ولسان العرب (311/15) .
[2] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (48/1) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .

المبحث الخامس : ذو النُّورين في عهد الصدِّيق والفاروق

أولاً: في عهد الصِّدِّيق

1- من أهل الشُّورى في مسائل الدَّولة العليا:

كان عثمان رضي الله عنه من الصَّحابة، وأهل الشُّورى الّذين يؤخذ رأيهم في أمَّهات المسائل في خلافة أبي بكر، فهو ثاني اثنين في الحظوة عند الصِّدِّيق: عمر ابن الخطَّاب للحزَامة، والشَّدائد، وعثمان بن عفَّان للرِّفق، والأناة . وكان عمر وزير الخلافة الصِّدِّيقيَّة، وكان عثمان أمينها العام، وناموسها الأعظم، وكاتبها الأكبر[1]، وكان رأيه مقدَّماً عند الصِّدِّيق، فبعد أن قضى أبو بكر على حركة الرِّدَّة؛ أراد أن يغزو الرُّوم، وينطلق الجيش المجاهد إلى أطراف الأرض، فقام في النَّاس يستشيرهم، فقال الألبَّاء ما عندهم، ثمَّ استزادهم أبو بكرٍ، فقال: ما ترون ؟ فقال عثمان: إنِّي أرى أنَّك ناصحٌ لأهل هذا الدِّين، شفيقٌ عليهم، فإذا رأيت رأياً لعامَّتهم صلاحاً ؛ فاعزم على إمضائه، فإنَّك غير ظنين[2]، فقال طلحة، والزُّبير، وسعدٌ، وأبو عبيدة، وسعيد بن زيد، ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين، والأنصار رضي الله عنهم: صدق عثمان ! ما رأيتَ من رأيٍ فأمْضهِ[3] . ولما أراد الصِّدِّيق أن يبعث والياً إلى البحرين، استشار أصحابه، فقال عثمان: ابعث رجلاً قد بعثه رسول الله إليهم، فقدم عليه[4] بإسلامهم، وطاعتهم، وقد عرفوه، وعرفهم،

---

(1) عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لصادق عرجون ، ص(58) .
(2) تاريخ دمشق ، لابن عساكر (63/2 - 65) . وأبو بكر الصِّدِّيق للصَّلابي ، ص(364) .
(3) أبو بكر الصِّديق للصَّلابي ، ص(364) .
(4) أي: على النَّبيّ (ص) .

وعرف بلادهم – يعني: العلاء بن الحضـــرمي رضـــي الله عنه – فبعث الصِّـــدِّيق العلاء إلى البحرين[1] .

ولما اشـــتدَّ المرض بأبي بكرٍ اســـتشـــار النَّاس فيمن يحبُّون أن يقوم بالأمر من بعده، فأشـــاروا بعمر، وكان رأي عثمان في عمر: الّلهمَّ علمي به: أنَّ سـريرته خيرٌ من علانيته، وأنَّه ليس فينا مثله[2] .

فقال أبو بكر: يرحمك الله ! والله لو تركته ما عَدَتْك[3] !

2– أزمةٌ اقتصاديَّةٌ في عهد الصِّدِّيق:

عن ابن عباس قال: قحط المطر على عهد أبي بكر الصِّـــدِّيق، فاجتمع النَّاس إلى أبي بكرٍ، فقالوا: السَّماء لم تمطر، والأرض لم تُنبت، والنَّاس في شـدَّةٍ شـديدة . فقال أبو بكر: انصـرفوا، واصـبروا، فإنَّكم لا تُمسـون حتَّى يُفرِّجَ الله الكريم عنكم . قال: فما لبثنا أن جاء أُجَرَاء عثمان من الشَّـــام، فجاءته مئة راحلةٍ بُرّاً – أو قال: طعاماً – فاجتمع النَّاس إلى باب عثمان، فقرعوا عليه الباب، فخرج إليهم عثمان في ملأ من الناس فقال: ما تشـــاؤون ؟ قالوا: الزَّمان قد قحط: السَّـــماء لا تمطر، والأرض لا تُنبت، والنَّاس في شـدَّة شـديدةٍ، وقد بلغنا أنَّ عندك طعاماً، فبعنا حتَّى نوسِّـــع على فقراء المســـلمين . فقال عثمان: حبّاً وكرامةً، ادخلوا فاشـــتروا، فدخل التُّجار، فإذا الطَّعام موضـــوع في دار عثمان، فقال: يا معشـــر التُّجار كم تربحونني

---

[1] كنز العمال (620/5) ، رقم (14093) . وتاريخ الطَّبري (122/4) . والقيود الواردة على سلطة الدَّولة ، عبد الله الكيلاني ، ص(169) .
[2] الكامل لابن الأثير (79/2) .الخلفاء الرَّاشدون ، لمحمود شاكر ، ص(101) .
[3] الكامل لابن الأثير (79/2) .

على شرائي من الشَّام؟ قالوا: للعشرة اثنا عشر . قال عثمان: قد زادوني . قالوا: للعشرة خمسة عشر . قال عثمان: قد زادوني . قال التُّجار: يا أبا عمرو ما بقي بالمدينة تجارٌ غيرنا، فمن زادك؟ قال: زادني الله – تبارك وتعالى – بكلِّ درهم عشرة، أعندكم زيادة ؟ قالوا: اللهم لا ! قال: فإنِّي أُشهد الله أنِّي قد جعلت هذا الطعام صدقةً على فقراء المسلمين[1] ! قال ابن عبَّاس: فرأيت من ليلتي رسول الله(ﷺ) في المنام، وهو على برذونٍ أبلق[2]، عليه حُلَّة من نورٍ، في رجليه نعلان من نورٍ، وبيده قصبة من نورٍ، وهو مستعجلٌ فقلت: يا رسول الله ! قد اشتدَّ شوقي إليك، وإلى كلامك، فأين تُبادر ؟ قال: « يا بن عباس ! إنَّ عثمان قد تصدَّق بصدقةٍ، وإنَّ الله قد قبلها منه، وزوَّجه عروساً في الجنَّة، وقد دُعينا إلى عرسه»[3].

فهل يفتح الله تعالى اذان عبَّاد المال، ومحتكري قوت العباد شحّاً، وجشعاً إلى صوت هذه العظمة العثمانيَّة حتَّى تدلف إلى قلوبهم فتهزَّها هزَّة الأريحيَّة، والعطف، وتوقظ فيها بواعث الرَّحمة، والإحسان بالفقراء، والمساكين، والأرامل، واليتامى، وذوي الحاجات من أهل الفاقة، والبؤس، الّذين طحنتهم أزمة الحياة، واعتصرت دماءهم شراباً لذوي القلوب المتحجِّرة من الأثرياء ؟ فما أحوج المسلمين في هذه المرحلة من حياتهم إلى نفحةٍ عثمانيَّة في إنفاق الأموال على الفقراء، والمساكين، والمحتاجين ؛ تسري بينهم تعاطفاً، ومؤاساةً، وبرّاً وإحساناً[4].

---

[1] الرِّقة والبكاء ، لابن قدامة ، ص(190) . والخلفاء الرَّاشدون لحسن أيوب ، ص(191) . وشهيد الدَّار ، لأحمد الخروف ، ص(21) .

[2] الَّذي فيه سوادٌ ، وبياضٌ .

[3] الرِّقَّة والبكاء ، ص(190) .

[4] عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لصادق عرجون ، ص(52) .

هذا موقف من مواقف الكرم والبرِّ لعثمان رضـي الله عنه، فقد كان رضـي الله عنه من أرحم النَّاس بالنَّاس، فهو يقرأ قول ربِّ النَّاس: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَـــانَ لَيَطْغَى*﴾ [العلق: 6] ؛ فيصـــدُّه ذلك عن الطُّغيان، ويقرأ قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَـوْنَ أَنْفُسَـكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 44] . فيجعله ذلك من أبعد النَّاس عن النِّفاق والمنافقين، ويقرأ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْـــرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّـابِرِينَ فِي الْبَأْسَـاءِ وَالضَّـرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَـدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ *﴾ [البقرة: 177] فيحمله ذلك على أن يكون من[1] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ *﴾ [البقرة: 177] .

ثانياً: في عهد الفاروق:

كان عثمان ذا مكانةٍ عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يسألوا عمر عن شيءٍ ؛ رَمَوه بعثمان، وبعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان يســـمَّى الرَّديف – والرَّديف بلســـان العرب: هو الذي يكون بعد الرَّجل، والعرب تقول ذلك للرَّجل الّذي يرجونه بعد رئيس – وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شيءٍ ؛ ثلَّثوا بالعبَّاس[2] .

وقد حدث ذات مرَّةٍ أن خرج عمر بالنَّاس، وعسـكر بهم بما يُدعى (صِـراراً)

(1) شهيد الدَّار ، ص(22 ، 23) .
(2) تاريخ الطَّبري (83/4) ، المرتضى للنَّدوي ، ص(131) .

فجاء عثمان، فسـألـه: ما بلغك ؟ ما الّذي تريد ؟ فنادى عمر رضـي الله عنه (الصَّلاة جامعة) ثمَّ أخبر النَّاس عن عزمه في غزو العراق[1] .

ولما وِلّي عمر الخلافة اسـتشـار وجوه الصَّـحابة في عطائه من بيت مال المسلمين، فقال له عثمان: كل، وأطعم[2] . وعندما أرسل أبو عبيدة إلى عمر أن يقدم إلى بيت المقدس، ليفتحه، فاستشار عمر النَّاس، فأشار عثمان بأن لا يركب إليهم ؛ ليكون أحقر لهم، وأرغم لأنوفهم، وقال لعمر: فأنت إن أقمت ولم تسـر إليهم رأوا أنَّك بأمرهم مستخفٌّ، ولقتالهم مستعدٌّ، فلم يلبثوا إلى السَّير حتى ينزلوا على الصَّـغار، ويعطوا الجزية[3]. وأشـار عليٌّ بالمسـير، فهوى عمر ما قال عليٌّ، ليكون أخف وطأةً على المسلمين في حصارهم[4] .

لقد كانت مكانة عثمان رضي الله عنه في خلافة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه كمكانة الوزير من الخليفة، وإن شئت ؛ فقل هي مكانة عمر من أبي بكرٍ في خلافته، وقد صـنع الله لأبي بكرٍ بوزارة عمر لخلافته مايصـنعه لخير أهله، وصـنع لعمر بوزارة عثمان لخلافته ما يصـنعه لخير أهله ؛ فقد كان أبو بكر أرحم النَّاس بالنَّاس، وكان عمر أشدَّهم في الحقِّ، فمزج الله رحمة الصِّدِّيق بشدَّة عمر، فكانت منهما خلافة الصِّدق وسياسة العدل، وقوة الحزم .

وكان عثمان رضي الله عنه أشبه بالصِّدِّيق في رحمته، وكان عمر على سننه في

---

[1] عثمان بن عفان رضي الله عنه ، الخليفة الشَّاكر الصَّابر ، ص(63) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .
[3] عثمان بن عفان رضي الله عنه ، محمَّد حسين هيكل ، ص(47 - 48) نقلاً عن السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص(24) .
[4] عثمان بن عفان ، الخليفة الشاكر ، ص(63) .

شدَّته، فلمَّا تولَّى بعد أبي بكر جعل الله له في وزارة عثمان لخلافته عوضاً من رحمة الصِّـدِّيق، ورفقه ؛ فكان منهما تلك الأمثال المضـروبة في أنظمة الحكم، وسـياسـة الأمَّة أحكم ســياســة، وأعدلها، وقد عرف النَّاس هذه المكانة لعثمان في خلافة عمر، فهو الّذي أشـار على عمر بفكرة الدِّيوان، وكتابة التَّاريخ كما جاء في بعض الرِّوايات:

1- الدِّيوان:

لما اتسعت الفتوحات، وكثرت الأموال ؛ جمع عمر ناساً من أصحاب رسول الله(ﷺ) ليستشيرهم في هذا المال، فقال عثمان: أرى مالاً كثيراً يسع النَّاس وإن لم يُحصَوا حتَّى يعرف من أخذ منهم ممَّن لم يأخذ خشيت أن ينتشر الأمر ! فأقرَّ عمر رأي عثمان، وانتهى بهم ذلك إلى تدوين الدَّواوين[1] .

2- التَّاريخ:

جاء في بعض الرِّوايات: أن الّذي أشــار على عمر بجعل السَّــنة الهجرية تبدأ بالمحرم هو عثمان ؛ وذلك: أنَّهم لما اتَّفقوا بعد مشــاوراتٍ على جعل مبدأ التَّاريخ الإسـلامي من هجرة النَّبيِّ(ﷺ) ؛ لأنها فرقت بين الحقِّ، والباطل - تعدَّدت الاراء في أيِّ الأشـهر يُجعل بدايةً للسَّـنة، فقال عثمان: أرِّخوا من المحرم أوَّل السَّـنة، وهو شـهرٌ حرامٌ، وأوَّل الشُّـهور في العدَّة، وهو منصرف الناس من الحجِّ، فرضي عمر، وَمَنْ شــهده من أصــحابه رأي عثمان، واســتقرَّ عليه الأمر، وأصــبح مبدأ تاريخ

[1] تاريخ الطَّبري (203/5). وعثمان بن عفان رضي الله عنه، لصادق عرجون، ص(60).

الإسلام[1].

3- أرض الخراج:

كان عثمان رضي الله عنه ممَّن أيَّدوا رأي عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في عدم تقسيم أرض الفتوح على الفاتحين، وإبقائها فيئاً للمسلمين، وللذُّرِّيَّة من بعدهم[2] .

4- حجُّه مع أمَّهات المؤمنين:

لما استُخلف عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ؛ بعث تلك السَّنة على الحجِّ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فحجَّ بالنَّاس، وحجَّ مع عمر أيضاً اخر حَجَّةٍ حجَّها عمر سنة ثلاثٍ وعشرين، وأذن عمر تلك السَّنة لأزواج النَّبيِّ(ﷺ) في الحجِّ، فحُملن في الهوادج، وبعث معهنَّ عثمان بن عفَّان، وعبد الرحمن بن عوف، فكان عثمان يسير على راحلته أمامهنَّ، فلا يدع أحداً يدنو منهنَّ، وينزلن مع عمر كلَّ منزلٍ، فكان عثمان، وعبد الرحمن ينزلان بهنَّ في الشِّعاب، فيُقبلانهنَّ الشِّعاب، وينزلان هما في أذلِّ الشُّعب، فلا يتركان أحداً يمرُّ عليهنَّ[3] .

* * *

(1) عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لصادق عرجون ، ص(60) .
(2) السياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص(25) .
(3) طبقات ابن سعد (134/3) . وأنساب الأشراف (465/1 ، 466) . ومجلَّة البحوث الإسلاميَّة ، العدد العاشر ، ص(263) .

الفصل الثَّاني : استخلاف ذي النُّورين، ومنهجه في الحكم، وأهمُّ صفاته الشَّخصية

المبحث الأوَّل : استخلاف ذي النُّورين

أولاً: الفقه العمري في الاستخلاف:

استمرَّ اهتمام الفاروق رضي الله عنه بوحدة الأمَّة، ومستقبلها حتَّى اللَّحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من الام جراحاته البالغة، وهي بلا شـــكٍّ لحظاتٌ خالدةٌ، تجلَّى فيها إيمان الفاروق العميق، وإخلاصـــه، وإيثاره[1]، وقد استطاع الفاروق في تلك اللَّحظات الحرجة أن يبتكر طريقةً جديدةً لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلاً ملموســاً، ومَعْلَماً واضــحاً على فقهه في سياسة الدَّولة الإسلاميَّة، لقد مضى قبله الرَّسول(ﷺ)، ولم يستخلف بعده أحداً بنصٍّ صريح، ولقد مضى أبو بكرٍ الصِّدِّيق، واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصَّــحابة، ولما طُلب من الفاروق أن يســتخلف وهو على فراش الموت ؛ فكَّر في الأمر مليّاً، وقرَّر أن يسلك مسلكاً اخر يتناسب مع المقام؛ فرسول الله(ﷺ) ترك النَّاس، وكلُّهم مقرٌّ بأفضـــلية أبي بكرٍ، وأســـبقيته عليهم، فاحتمال الخلاف كان نادراً، وخصـوصـاً: أنَّ النبي(ﷺ) وجه الأمَّة قولاً وفعلاً إلى أنَّ أبا بكر أولى بالأمر من بعده .

[1] الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب ، للعاني ، ص(161) .

والصِّدِّيق لما استخلف عمر ؛ كان يعلم: أنَّ عند الصحابة أجمعين قناعة بأنَّ عمر أقوى، وأفضل من يحمل المسؤوليَّة بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصَّحابة، ولم يخالف رأيه أحدٌ منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر[1] . وأمَّا طريقة انتخاب الخليفة الجديد، فتعتمد على جعل الشورى في عددٍ محصورٍ، وقد حصر ستَّةً من صحابة رسول الله(ﷺ) كلُّهم يصلحون لتولِّي الأمر، ولو أنهم يتفاوتون، وحدَّد لهم طريقة الانتخاب، ومدَّته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة، وحدَّد الحكم في المجلس، والمرجِّح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعةً من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات في المجلس، وعقاب من يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحدٍ يدخل، أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحلِّ، والعقد[2].

وهذا بيانُ ما أُجمل في الفقرات السَّابقة:

1- العدد الّذي حدده للشُّورى، وأسماؤهم:

أمَّا العدد، فهو ستَّةٌ، وهم: عليُّ بن أبي طالبٍ، وعثمان بن عفَّان، وعبد الرَّحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقَّاص، والزُّبير بن العوَّام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعاً . وترك سعيد بن زيدٍ، وهو من العشرة المبشَّرين بالجنَّة، ولعلَّه تركه لأنَّه من قبيلته بني عديٍّ[3]، وكان عمر رضي الله عنه حريصاً على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أنَّ فيهم من هو أهلٌ لها، فهو يُبعد قريبه سعيد بن زيد عن

(1) أوَّليَّات الفاروق ، ص(122) .
(2) أوليَّات الفاروق ، ص (124) .
(3) البداية والنِّهاية (142/7) .

قائمة المرشَّحين للخلافة[1] .

[1] الخلفاء الرَّاشدون للخالدي ، ص(98) .

2- طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم، ويتشـاوروا، وفيهم عبد الله بن عمر يحضـر معهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيءٌ، ويصلِّي بالناس أثناء التَّشاور صهيب الرُّوميُّ، وقال له: أنت أمير الصَّـــلاة في هذه الأيام الثَّلاثة . حتَّى لا يولِّي إمامة الصلاة أحداً من السِّتَّة، فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة[1]، وأمر المقداد بن الأسود، وأبا طلحة الأنصاريَّ أن يرقبا سير الانتخابات[2] .

3- مدَّة الانتخابات، أو المشاورة:

حدَّدها الفاروق رضـــي الله عنه بثلاثة أيَّام، وهي فترةٌ كافيةٌ، وإن زادوا عليها؛ فمعنى ذلك أنَّ شـقَّة الخلاف سـتتَّسـع، ولذلك قال لهم: لا يأتي اليوم الرَّابع إلا وعليكم أمير[3] .

4- عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

أخرج ابن سـعدٍ بإسـنادٍ رجاله ثقاتٌ: أنَّ عمر رضـي الله عنه قال لصـهيبٍ: صـــلِّ بالنَّاس ثلاثاً، وليخل هؤلاء الرَّهط في بيتٍ، فإذا اجتمعوا على رجلٍ ؛ فمن خالفهم فاضربوا رأسه[4]، فعمر رضي الله عنه أمر بقتل من يريد أن يخالف هؤلاء الرَّهط ويشقَّ عصا المسلمين، ويفرِّق بينهم، عملاً بقوله(ﷺ): « من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجلٍ منكم، يريد أن يشقَّ عصاكم، أو يفرِّق جماعتكم فاقتلوه »[5].

---

(1) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهنساوي ، ص(213) .
(2) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسِّياسة ، ص(648) .
(3) الطَّبقات ، لابن سعد (364/3) .
(4) المصدر السَّابق نفسه (342/3) .
(5) مسلم (1480/3) .

وما جاء في كتب التَّاريخ من أنَّ عمر رضي الله عنه أمرهم بالاجتماع، والتَّشاور، وحدَّد لهم أنَّه إذا اجتمع خمسةٌ منهم على رجلٍ، وأبى أحدهم، فليضرب رأسه بالسَّيف، وإن اجتمع أربعة، ورضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان، فاضرب رؤوسهما[1]، فهذه من الرِّوايات الّتي لا تصح سنداً، فهي من الغرائب ؛ الّتي ساقها أبو مخنف - الإمامي الشّيعي - مخالفاً فيها النُّصوص الصَّحيحة، وما عرف من سير الصَّحابة رضي الله عنهم، فما ذكر أبو مخنف من قول عمر لصهيبٍ: وقم على رؤوسهم - أي: أهل الشُّورى - فإن اجتمع خمسةٌ، ورضوا رجلاً، وأبى واحدٌ، فاشدخ رأسه بالسَّيف، وإن اتَّفق أربعةٌ، فرضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان ؛ فاضرب رؤوسهما[2]: فهذا قولٌ منكرٌ، وكيف يقول عمر رضي الله عنه هذا، وهو يعلم: أنَّهم هم الصَّفوة من أصحاب رسول الله(ﷺ)، وهو الّذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم، وقدرهم[3]، وقد ورد عن ابن سعدٍ: أنَّ عمر قال للأنصار: أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيَّامٍ، فإن استقاموا وإلا فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم[4]، وهذه الرِّواية منقطعةٌ، وفي إسنادها (سماك بن حرب) وهو ضعيفٌ، وقد تغير بأَخَرةٍ[5] .

5- الحكم في حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس، وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قال لهم: فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم،

(1) تاريخ الطَّبري (226/5) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .
(3) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطَّبري ، د . يحيى اليحيى ، ص(175) .
(4) الطَّبقات ، لابن سعد (342/3) .
(5) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطَّبري ، ص(176) .

فحكِّموا عبد الله بن عمر، فأيُّ الفريقين حكم له ؛ فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضـــوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الّذين فيهم عبد الرَّحمن بن عوف، ووصـف عبد الرَّحمن بن عوف بأنَّه مسـدَّدٌ رشـيدٌ ؛ فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبد الرَّحمن بن عوف مسدَّدٌ رشيدٌ، له من الله حافظ، فاسمعوا منه[1] .

6- جماعةٌ من جنود الله تراقب الاختيار، وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاريَّ، وقال له: يا أبا طلحة ! إنَّ الله - عزَّ وجلَّ- أعزَّ الإسـلام بكم، فاختر خمسـين رجلاً من الأنصـار، فاسـتحثَّ هؤلاء الرَّهط، حتَّى يختاروا رجلاً منهم[2] . وقال للمقداد بن الأسـود: إذا وضـعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرَّهط في بيتٍ حتَّى يختاروا رجلاً منهم[3] .

7- جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل:

ومن فوائد قصَّة الشُّورى: جواز تولية المفضـول مع وجود الأفضـل ؛ لأنَّ عمر جعل الشُّورى في ستَّة أنفسٍ مع علمه: أنَّ بعضـهم كان أفضـل من بعضٍ، ويؤخذ هذا من ســـيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد، حيث كان لا يراعي الفضـل في الدِّين فقط، بل يضمُّ إليه مزيد المعرفة بالسِّياسة مع اجتناب ما يخالف الشَّـرع منها، فاسـتخلف معاوية، والمغيرة بن شـعبة، وعمرو بن العاص مع وجود من هو أفضـــل من كلٍّ منهم في أمر الدِّين، والعلم، كأبي الدَّرداء في الشَّـــام، وابن

---

(1) تاريخ الطَّبري (325/5) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، (225/5) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .

مسعود في الكوفة[1].

8- جمع عمر بين التَّعيين، وعدمه:

جمع عمر بين التَّعيين، كما فعل أبو بكر - أي: تعيين المرشَّـــح - وبين عدم التَّعيين كما فعل الرسول(ﷺ)، فعيَّن ستَّةً، وطلب منهم التَّشاور في الأمر[2] .

9- الشُّورى ليست بين الستَّة فقط:

عرف عمر، أنَّ الشُّورى لن تكون بين السَّتَّة فقط، وإنَّما ستكون في أخذ رأي النَّاس في المدينة، فيمن يتولَّى الخلافة، حيث جعل لهم أمد ثلاثة أيَّام، فيمكنهم من المشـــاورة، والمناظرة لتقع ولاية مَنْ يتولى بعده عن اتِّفاقٍ من معظم الموجودين حينئذٍ ببلده الّتي هي دار الهجرة، وبها معظم الصَّـــحابة، وكلُّ من كان ســاكناً في بلدٍ غيرها كان تبعاً لهم فيما يتَّفقون عليه، فما زالت المدينة حتَّى ســـنة 23 هـ- مجمع الصَّحابةِ بل لأنَّ كبار الصَّحابة فيها، حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة[3].

10- أهل الشُّورى أعلى هيئةٍ سياسيَّةٍ:

إنَّ عمر رضـي الله عنه أناط بأهل الشُّـورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم، ومن المهمِّ أن نشير إلى أنَّ أحداً من أهل الشُّورى لم يعارض هذا القرار الّذي اتَّخذه عمر، كما أنَّ أحداً من الصَّـــحابة الاخرين لم يثر أيَّ اعتراض عليه، ذلك ما تدلُّ

---

[1] المدينة النَّبويَّة فجر الإسلام والعصر الرَّاشدي (97/2) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .
[3] المصدر السَّابق نفسه .

عليه النُّصـوص الّتي بين أيدينا، فنحن لا نعلم: أنَّ اقتراحاً اخر قد صـدر عن أحدٍ من النَّاس في ذلك العصـر، أو أنَّ معارضـةً ثارت حول أمر عمر خلال السَّـاعات الأخيرة من حياته، أو بعد وفاته، وإنَّما رضـــي النَّاس كافَّةً هذا التَّدبير، ورأوا فيه مصلحةً لجماعة المسلمين، وفي وسعنا أن نقول: إنَّ عمر قد أحدث هيئةً سياسيةً عليا، مهمَّتها انتخاب رئيس الدَّولة، أو الخليفة، وهذا التَّنظيم الدُّســتوري الجديد، الّذي أبدعته عبقريَّة عمر لا يتعارض مع المبادىء الأسـاسـيَّة الّتي أقرَّها الإسـلام، ولا ســيَّما فيما يتعلَّق بالشُّــورى؛ لأنَّ العبرة من حيث النَّتيجة للبيعة العامَّة الّتي تجري في المســجد الجامع . وعلى هذا لا يتوجَّه السُّـؤال الّذي قد يرد على بعض الأذهان، وهو: من أعطى عمر هذا الحقَّ ؟ ما هو مســتند عمر في هذا التَّدبير ؟ ويكفي أن نعلم أنَّ جماعة من المســلمين قد أقرَّت هذا التَّدبير، ورضـــيت به، ولم يُسـمع صـوت اعتراضٍ عليه، حتَّى نتأكَّد: أنَّ الإجماع- وهو من مصـادر التَّشـريع - قد انعقد على صحَّته، ونفاذه[1]، ولا ننسى: أنَّ عمر خليفةٌ راشدٌ، كما ينبغي أن نؤكِّد: أنَّ أهل الشُّورى أعلى هيئة سياسيَّةٍ قد أقرَّه نظام الحكم في الإسلام في العهد الرَّاشـــدي، كما: أنَّ الهيئة الّتي سمَّاها عمر، تمتَّعت بمزايا لم يتمتَّع بها غيرها من جماعة المســلمين، وهذه المزايا مُنحت لها من الله، وبلَّغها الرَّســول ؛ فلا يمكن عنـد المؤمنين أن يبلغ أحـدٌ من المســـلمين مبلغ هؤلاء العشـــرة، من التَّقوى، والأمانة[2] .

هكذا ختم عمر رضـــي الله عنه حياته، ولم يشـــغله ما نزل به من البلاء، ولا

---

[1] نظام الحكم في الشَّريعة والتَّاريخ الإسلامي ، لظافر القاسمي (227/1 ، 228) .
[2] المصدر السَّابق نفسه (229/1) .

سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظاماً صالحاً للشُّورى لم يسبقه إليه أحدٌ، ولا يُشكُّ: أنَّ أصل الشُّورى مقرَّرٌ في القران الكريم، والسُّنَّة القوليَّة، والفعليَّة، وقد عمل بها رسول الله(ﷺ) وأبو بكرٍ، ولم يكن عمر مبتدعاً بالنِّسبة للأصل، ولكنَّ الّذي عمله عمر هو تعيين الطَّريقة الّتي يُختار بها الخليفة، وحصر عددٍ معيَّنٍ جعلها فيهم، وهذا لم يفعله الرّسول(ﷺ)، ولا الصِّدِّيق رضي الله عنه، بل أوَّل من فعل ذلك عمر، ونِعمَ ما فعل ! فقد كانت أفضل الطُّرق المناسبة لحال الصَّحابة في ذلك الوقت[1].

ثانياً: وصية عمر رضي الله عنه للخليفة الّذي بعده:

أوصى الفاروق عمر رضي الله عنه الخليفة الّذي سيخلفه في قيادة الأمَّة بوصيةٍ مهمَّةٍ، قال فيها: أوصيك بتقوى الله وحده، لا شريك له وأوصيك بالمهاجرين الأوَّلين خيراً ؛ أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنَّهم ردء العدوِّ، وجباة الفأي، لا تحمل منهم إلا عن فضل منهم، وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنَّهم أصل العرب ومادَّة الإسلام، أن تأخذ من حواشي أموالهم، فتردّها على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمَّة خيراً، أن تقاتل مَنْ وراءهم، ولا تكلِّفهم فوق طاقتهم إذا أدَّوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً، أو عن يدٍ وهم صاغرون، وأوصيك بتقوى الله، والحذر منه، ومخافة مقته أن يطَّلع منك على ريبةٍ، وأوصيك أن تخشى الله في النَّاس، ولا تخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرَّعيَّة، والتَّفرُّغ

(1) أوَّليَّات الفاروق ، ص (127) .

لحوائجهم، وثغورهم، ولا تؤثر غنيَّهم على فقيرهم، فإنَّ في ذلك بإذن الله ســــلامة قلبك، وحظّاً لوزرك، وخيراً في عاقبة أمرك حتَّى تفضــــي في ذلك إلى من يعرف ســــريرتك، ويحول بينك وبين قلبك، وامرك أن تشــــتدَّ في أمر الله، وفي حدوده ومعاصــــيه على قريب النَّاس، وبعيدهم، ثمَّ لا تأخذك في أحدٍ الرَّأفة؛ حتى تنتهك منه مثل جرمه، واجعل النَّاس عندك ســــواءً، لا تبال على مَنْ وجب الحقُّ، ولا تأخذك في الله لومة لائم .

وإيَّاك والمحاباة فيما ولاك الله ممَّا أفاء على المؤمنين، فتجور، وتظلم، وتحرم نفســك من ذلك ما قد وسَّـعه الله عليك، وقد أصـبحت بمنزلة من منازل الدُّنيا والاخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلاً، وعفَّةً عمَّا بســـط لك، اقترفت به إيماناً، ورضواناً .

وإن غلبك الهوى، اقترفت به غضـب الله، وأوصـيك ألا ترخِّص لنفسـك، ولا لغيرك في ظلم أهل الذِّمة، وقد أوصـيتك، وخصـصـتك، ونصـحتك، فابتغ بذلك وجه الله، والدَّار الاخرة، واخترت من دلالتك ما كنت دالاًّ عليه نفســي، وولدي، فإن عملت بالّذي وعظتك، وانتهيت إلى الّذي أمرتك، أخذت منه نصــيباً وافراً، وحظّاً وافياً، وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمَّك، ولم تترك معاظم الأمور عند الّذي يرضــى به الله عنك ؛ يكن ذلك بك انتقاصــاً، ورأيك فيه مدخولاً ؛ لأنَّ الأهواء مشتركةٌ .

ورأس الخطيئة إبليس، داعٍ إلى كلِّ مهلكةٍ، وقد أضــلَّ القرون السَّــالفة قبلك، فأوردهم النَّار وبئس الورد المورود، وبئس الثَّمن أن يكون حظُّ امرأى موالاةً لعدو

الله، الدَّاعي إلى معاصـــيه، ثمَّ اركب الحقَّ، وخض إليه الغمرات، وكن واعظاً لنفسك، وأناشدك الله إلا ترحَّمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم، ورحمت صـــغيرهم، ووقَّرت عالمهم، ولا تضـــرَّ بهم ؛ فيذلوا، ولا تســـتأثر عليهم بالفيء ؛ فتغضـــبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلِّها ؛ فتفقرهم، ولا تجمِّرهم في البعوث فينقطع نســـلهم، ولا تجعل المال دولةً بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم ؛ فيأكل قويُّهم ضـــعيفهم . هذه وصـــيَّتي إليك، وأشـــهد الله عليك، وأقرأ عليك السَّلام[1].

هذه الوصية تدلُّ على بعد نظر عمر في مسائل الحكم والإدارة، وتفصح عن نهجٍ، ونظام حكم وإدارةٍ متكاملٍ، فقد تضـــمَّنت الوصـــيَّة أموراً غايةً في الأهمية، فحقَّ أن تكون وثيقةً نفيســـةً، لما احتوته من قواعد ومبادأى أســـاســـيَّةٍ للحكم متكاملة الجوانب الدِّينيَّة، والسِّياسيَّة، والعسكريَّة، والاقتصاديَّة، والاجتماعية يأتي في مقدِّمتها:

1- الحرص على تقوى الله وخشيته:

أ - الوصـية بالحرص الشَّـديد، على تقوى الله، والخشـية منه في السـرِّ والعلن، في القول والعمل ؛ لأنَّ من اتَّقى الله ؛ وقاه، ومن خشيه ؛ صانه، وحماه (أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له) (وأوصيك بتقوى الله والحذر منه .. وأوصيك أن تخشى الله).

[1] الطَّبقات ، لابن سعد (339/3) . والبيان والتَّبيين للجاحظ (46/2) . والكامل في التَّاريخ (210/2). والخليفة الفاروق عمر بن الخطَّاب، للعاني، ص(171، 172).

ب – إقامة حدود الله على القريب، والبعيد (لا تبال على مَنْ وجب الحقُّ) (ولا تأخذك في الله لومة لائم) لأنَّ حدود الله نصَّــت عليها الشَّــريعة، فهي من الدِّين، ولأنَّ الشَّــريعة حجَّةٌ على النَّاس، وأعمالهم وأفعالهم تقاس بمقتضــاها، وأنَّ التَّغافل عنها إفسادٌ للدِّين، والمجتمع .

ج – الاســتقامة (اســتقم كما أمرت) وهي من الضَّــرورات الدِّينيَّة والدنيويَّة الّتي يجب على الحاكم التَّحلِّي بها قولاً وعملاً أوَّلاً، ثمَّ الرَّعيَّة (كن واعظاً لنفسك) (وابتغ بذلك وجه الله، والدَّار الاخرة)

2– النَّاحية السِّياسيَّة، وتضمَّنت:

أ – الالتزام بالعدل ؛ لأنَّه أساس الحكم، ولأنَّ إقامته بين الرَّعيَّة، تحقِّق للحكم قوَّةً، وهيبةً، ومتانةً ســياســيَّةً، واجتماعيَّةً، وتزيد من هيبة واحترام الحاكم في نفوس النَّاس (وأوصيك بالعدل)، (واجعل النَّاس عندك سواءً) .

ب – العناية بالمســـلمين الأوائل من المهاجرين والأنصـــار ؛ لســـابقتهم في الإسلام، ولأنَّ العقيدة وما أفرزته من نظام سياسيٍّ، قام على أكتافهم، فهم أهله، وحملته، وحماته (أوصـــيك بالمهاجرين الأوَّلين خيراً، أن تعرف لهم ســـابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم) .

3– الناحية العسكرية، وتضمنت:

أ – الاهتمام بالجيش وإعداده إعداداً يتناســب وعظم المســؤولية الملقاة على عاتقه لضــمان أمن الدَّولة، وســلامتها، والعناية بســدِّ حاجات المقاتلين(التفرُّغ

لحوائجهم وثغورهم) .

ب – تجنُّب إبقاء المقاتلين لمدَّة طويلةٍ في الثُّغور بعيداً عن عوائلهم، وتلافياً لما قد يسبِّبه ذلك من مللٍ، وقلقٍ، وهبوطٍ في المعنويَّات، فمن الضَّروري منحهم إجازاتٍ معلومةً في أوقاتٍ معلومةٍ يستريحون فيها، ويجدِّدون نشاطهم خلالها من جهةٍ، ويعودون إلى عوائلهم لكي لا ينقطع نسلهم من جهة ثانيةٍ (ولا تجمِّرهم في البعوث، فينقطع نسلهم) (وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنَّهم ردء العدوّ) .

ج – إعطاء كلِّ مقاتلٍ ما يستحقُّه من فيءٍ، وعطاءٍ، وذلك لضمان موردٍ ثابتٍ له، ولعائلته، يدفعه إلى الجهاد، ويصرف عنه التَّفكير في شؤونه الماليَّة (ولا تستأثر عليهم بالفيء ؛ فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلِّها، فتفقرهم) .

4- النَّاحية الاقتصاديَّة والماليَّة، وتضمَّنت:

أ – العناية بتوزيع الأموال بين النَّاس بالعدل، والقسطاس المستقيم، وتلافي كلِّ ما من شأنه تجميع الأموال عند طبقةٍ منهم دون أخرى (ولا تجعل الأموال دُولةً بين الأغنياء منهم) .

ب – عدم تكليف أهل الذمَّة فوق طاقتهم ؛ إن هم أدَّوا ما عليهم من التزاماتٍ ماليَّةٍ للدَّولة (ولا تكلِّفهم فوق طاقتهم إذا أدَّوا ما عليهم للمؤمنين) .

ج – ضمان الحقوق الماليَّة للنَّاس، وعدم التَّفريط بها، وتجنُّب فرض ما لا طاقة لهم به (ولا تحمل منهم إلا عن فضلٍ منهم) (أن تأخذ حواشي أموالهم

فتردَّها على فقرائهم)[1].

5- النَّاحية الاجتماعيَّة، وتضمَّنت:

أ – الاهتمام بالرَّعية، والعمل على تفقُّد أمورهم، وسدِّ احتياجاتهم، وإعطائهم حقوقهم من فيءٍ وعطاءٍ (ولا تحرمهم عطاياهم عند محلِّها) .

ب – اجتناب الأثرة، والمحاباة، واتِّباع الهوى، لما فيها من أخطارٍ تقود إلى انحراف الرَّاعي، وتؤدِّي إلى فساد المجتمع، واضطراب علاقاته الإنسانيَّة (وإيَّاك والأثرة، والمحاباة

فيما ولاك الله) (ولا تؤثر غنيَّهم على فقيرهم) .

ج – احترام الرَّعية، وتوقيرها والتَّواضع لها، صغيرها وكبيرها ؛ لما في ذلك من سموٍّ في العلاقات الاجتماعيَّة، تؤدِّي إلى زيادة تلاحم الرَّعيَّة بقائدها، وحبِّها له (وأناشدك الله إلا ترحَّمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم، ووقَّرت عالمهم) .

د – الانفتاح على الرَّعيَّة، وذلك بسماع شكاواهم، وإنصاف بعضهم من بعضٍ، وبعكسه تضطرب العلاقات بينهم، ويعمُّ الارتباك في المجتمع (ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويُّهم ضعيفهم) .

هـ- اتباع الحقِّ، والحرص على تحقيقه في المجتمع وفي كلِّ الظُّروف، والأحوال؛

---

[1] الخليفة الفاروق عمر بن الخطَّاب ، للعاني ، ص(174 - 175) .

لكونه ضرورةً اجتماعيَّةً لا بدَّ من تحقيقها بين النَّاس، (ثمَّ اركب الحقَّ، وخض إليه الغمرات) (واجعل النَّاس عندك سواءً، لا تبال على من وجب الحقُّ).

و – اجتناب الظُّلم بكلِّ صوره، وأشكاله، خاصَّةً مع أهل الذمَّة ؛ لأنَّ العدل مطلوبٌ إقامته بين جميع رعايا الدَّولة مسلمين، وذمِّيين، لينعم الجميع بعدل الإسلام (وأوصيك ألا ترخص لنفسك، ولا لغيرك في ظلم أهل الذِّمَّة) .

ز – الاهتمام بأهل البادية، ورعايتهم، والعناية بهم (وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنَّهم أصل العرب، ومادَّة الإسلام)[1].

ح – وكان من ضمن وصية عمر لمن بعده: ألا يُقَرَّ لي عاملٌ أكثر من سنةٍ، وأقرُّوا الأشعريَّ أربع سنين[2] .

ثالثاً: منهج عبد الرحمن بن عوف في إدارة الشُّورى:

1- اجتماع الرَّهط للمشاورة:

لم يكد يفرغ النَّاس من دفن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حتَّى أسرع رهط الشُّورى وأعضاء مجلس الدَّولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها وقيل: إنَّهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهريَّة أختِ الضَّحاك ابن قيس ؛ ليقضوا في أعظم قضيَّةٍ عرضت في حياة المسلمين – بعد وفاة عمر – وقد تكلَّم القوم، وبسطوا اراءهم، واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمةٍ سواء،

---

(1) المصدر السابق نفسه ، ص(173 - 175) .
(2) عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص(102) .

رضيها الخاصَّة، والكافَّة من المسلمين[1].

2- عبد الرحمن يدعو إلى التنازل:

عندما اجتمع أهل الشُّـــورى قال لهم عبد الرَّحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم . فقال الزُّبير: جعلت أمري إلى عليٍّ . وقال طلحة: جعلت أمري إلى عثمان . وقال سعد: جعلت أمري إلى عبد الرَّحمن بن عوف . وأصبح المرشَّحون ثلاثةً، عليَّ بن أبي طالب، وعثمانَ بن عفان، وعبدَ الرحمن بن عوف . فقال عبدُ الرحمن: أيكما تبرَّأ من هذا الأمر، فنجعله إليه، والله عليه والإســـلام لينظرنَّ أفضلهم في نفسه، فأسكت الشَّيخان . فقال عبد الرحمن بن عوف: أفتجعلونه إليَّ والله عليَّ أن لا الو عن أفضلكما ؟ قالا: نعم[2]!

3- تفويض ابن عوف بإدارة عمليَّة الشُّورى:

بدأ عبد الرحمن بن عوف رضـــي الله عنه اتصـــالاته، ومشـــاوراته فور انتهاء اجتماع المرشَّحين السِّتَّة صباح يوم الأحد، واستمرَّت مشاوراته، واتِّصالاته ثلاثة أيامٍ كاملة، حتَّى فجر يوم الأربعاء الرَّابع من المحرم، وهو موعد انتهاء المهلة الّتي حدَّدها لهم عمر، وبدأ عبد الرَّحمن بعليِّ بن أبي طالبٍ، فقال له: إن لم أبايعك فأشـــر عليَّ، فمن ترشـــح للخلافة ؟ قال عليٌّ: عثمان بن عفَّان، وذهب عبد الرَّحمن إلى عثمان، وقال له: إن لم أبايعك، فمن ترشِّـــح للخلافة ؟ فقال عثمان: عليَّ بن أبي طالب ... وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصَّـــحابة الاخرين،

---

[1] عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ، لصادق عرجون ، ص(62 ، 63) .
[2] البخاريُّ ، كتاب فضائل أصحاب النَّبيِّ (ص) ، رقم (3700) .

واستشارهم، وكان يشاور كلَّ من يلقاه في المدينة من كبار الصَّحابة، وأشرافهم، ومن أمراء الأجناد، ومن يأتي للمدينة، وشملت مشاوراته النِّساء في خدورهنَّ، وقد أبدَيْنَ رأيهن، كما شملت الصِّبيان، والعبيد في المدينة .

وكانت نتيجة مشـــاورات عبد الرَّحمن بن عوف: أنَّ معظم المســـلمين كانوا يشـــيرون بعثمان بن عفَّان، ومنهم من كان يشـــير بعليِّ بن أبي طالب رضـــي الله عنهما، وفي منتصـــف ليلة الأربعاء، ذهب عبد الرحمن بن عوف: إلى بيت ابن أُخته: المسور بن مخرمة، فطرق البيت، فوجد المسور نائماً[1]، فضرب الباب حتَّى استيقظ، فقال: أراك نائماً، فوالله ما اكتحلت هذه اللَّيلة بكبير نوم ! انطلق فادع الزُّبير، وســـعداً. فدعوتهما له: فشـــاورهما ثمَّ دعاني، فقال: ادع لي عليّاً، فدعوته، فناجاه حتَّى ابهارَّ[2] اللَّيل، ثمَّ قام عليٌّ من عنده ... ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتَّى فرَّق بينهما المؤذِّن بالصُّبح[3] .

4- الاتفاق على بيعة عثمان:

وبعد صلاة صبح يوم البيعة (اليوم الأخير من شهر ذي الحجة 23 هـــ/6 نوفمبر 644م) وكان صهيب الرُّومي الإمام، إذ أقبل عبد الرَّحمن بن عوف، وقد اعتمَّ بالعمامة الّتي عمَّمه بها رســـول الله(ﷺ) ؛ وكان قد اجتمع رجال الشُّـــورى عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين، والأنصار، وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشَّـــام، وعمير بن ســـعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير

---

(1) الخلفاء الرَّاشدون للخالدي ، ص(106 ، 107) .
(2) ابهارَّ: أي: انتصف .
(3) البخاريُّ ، كتاب الأحكام ، رقم (7207) .

مصر، وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، وصاحبوه إلى المدينة[1].

وجاء في رواية البخاريِّ: (... فلمَّا صــلَّى للنَّاس الصُّــبح، واجتمع أولئك الرَّهط عند المنبر، فأرسل إلى من كان حاضراً من المهاجرين، والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر، فلمَّا اجتمعوا ؛ تشــهَّد عبد الرحمن، ثمَّ قال: أمَّا بعد: يا عليُّ ! إنِّي قد نظرت في أمر النَّاس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل على نفسك سبيلاً . فقال[2]: أبايعك على سنَّة الله، ورسوله، والخليفتين من بعده . فبايعه النَّاس: المهاجرون، والأنصــار، وأمراء الأجناد، والمســلمون[3] . وجاء في رواية صــاحب التَّمهيد، والبيان: أنَّ عليَّ بن أبي طالب أوَّل من بايع بعد عبد الرَّحمن بن عوف[4].

5- حكمة عبد الرحمن بن عوف في تنفيذ خطَّة الشُّورى:

نفَّذ عبد الرحمن بن عوف خطَّة الشُّــورى بما دلَّ على شــرف عقله، ونبل نفســه، وإيثاره مصلحة المسلمين العامَّة على مصلحته الخاصَّة، ونفعه الفردي، وترك عن طواعيةٍ ورضاً أعظم منصبٍ يطمح إليه إنسان في الدُّنيا، ليجمع كلمة المسلمين، وحقَّق أوَّل مظهر من مظاهر الشُّورى المنظَّمة في اختيار مَنْ يجلس على عرش الخلافة، ويســوس أمور المســلمين ؛ فهو قد اصــطنع من الأناة، والصَّــبر، والحزم، وحســـن التَّدبير ما كفل له النَّجاح في أداء مهمَّته العظمى، وقد كانت

[1] شهيد الدَّار ، ص(37) . ولدى المقارنة مع التاريخ السابق يجد القارىء ثمة خلافاً واضحاً في تحديد تاريخ البيعة .
[2] قوله: فقال: « أي: عبد الرحمن مخاطباً عثمان » .
[3] البخاريُّ ، كتاب الأحكام ، رقم (7207) .
[4] التَّمهيد والبيان ، ص (26) .

الخطوات الّتي اتخذها كالاتي:

أ – بسط برنامجه في أوّل جلسةٍ عقدها مجلس الشُّورى في دائرة الزَّمن الّذي حدَّده لهم عمر ؛ وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشُّورى على أن يُدلوا برأيهم؛ فعرف مذهب كلِّ واحدٍ منهم، ومرماه، فسار في طريقه على بيِّنةٍ من أمره .

ب – وخلع نفسه، وتنازل عن حقِّه في الخلافة ؛ ليدفع الظُّنون، ويستمسك بعروة الثِّقة الوثقى .

ج – أخذ في تعرُّف نهاية ما يصبو إليه كلُّ واحدٍ من أصحابه، وشركائه في الشُّورى، فلم يزل يقلِّب وجوه الرَّأي معهم، حتَّى انتهى إلى شبه انتخابٍ جزئيٍّ، فاز فيه عثمان برأي سعد بن أبي وقَّاص، ورأي الزُّبير بن العوام، فلاحت له أغلبية اراء الأعضاء الحاضرين معه .

د – عمد إلى معرفة كلِّ واحد من الإمامين: عثمان، وعليٍّ في صاحبه بالنِّسبة إلى وزنه من سائر الرَّهط الّذين رشَّحهم عمر، فعرف من كلِّ واحدٍ منهما: أنَّه لا يعدل صاحبه أحداً، إذا فاته الأمر .

و – أخذ في تعرُّف رأي مَنْ وراء مجلس الشُّورى من خاصَّة الأمَّة، وذوي رأيها، ثمَّ من عامَّتها، وضعفائها، فرأى أنَّ معظم النَّاس لا يعدلون أحداً بعثمان، فبايع له، وبايعه عامَّة النَّاس[1] .

---

[1] عثمان بن عفَّان رضي الله عنه - لصادق عرجون ، ص (70 ، 71) .

لقد تمكَّن عبد الرحمن بن عوف بكياسته، وأمانته، واستقامته، ونسيانه نفسه بالتَّخلِّي عن الطَّمع في الخلافة، والزُّهد بأعلى منصـــبٍ في الدَّولة أن يجتاز هذه المحنة، وقاد ركب الشُّورى بمهارةٍ، وتجرُّدٍ ممَّا يستحقُّ أعظم التَّقدير[1] .

قال الذَّهبي: ومن أفضـــل أعمال عبد الرَّحمن عزلُه نفســـه من الأمر وقت الشُّـــورى، واختياره للأمَّة مَنْ أشـــار به أهل الحلِّ، والعقد، فنهض في ذلك أتمَّ نهوض على جمع الأمَّة على عثمان، ولو كان محابياً فيها، لأخذها لنفســـه، أو لولاها ابن عمِّه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقَّاص[2].

وبهذا تحقَّقت صورةٌ أخرى من صور الشُّورى في عهد الخلفاء الرَّاشدين: وهي الاستخلاف عن طريق مجلس الشُّورى ؛ ليعيِّنوا أحدهم بعد أخذ المشورة العامَّة، ثمَّ البيعة العامَّة[3].

رابعاً: أباطيل إماميَّة دُسَّت في قصَّة الشُّورى:

هناك أباطيل كثيرة، وأكاذيب للأعداء دُسَّت في التَّاريخ الإسلاميِّ، منها في قصَّة الشُّورى، وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقَّفها المستشرقون، وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثَّر بها الكثير من المؤرِّخين، والمفكِّرين المحدثين، ولم يمحِّصوا الرِّوايات، ويحقِّقوا في سندها، ومتنها، فانتشرت بين المسلمين .

لقد وردت روايات باطلة حول قصة الشُّورى، وتولية عثمان بن عفَّان الخلافة

---

[1] مجلَّة البحوث الإسلامية ، العدد (10) ص(255) .
[2] سير أعلام النبلاء (86/1) .
[3] دراسات في عهد النُّبوة والخلافة الرَّاشدة ، ص(278) .

ودُسَّتْ فيها الأباطيل، والأكاذيب، وألَّف جماعةٌ كتباً خاصَّةً، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشُّورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[1]، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقديِّ في خبر الشُّورى، وبيعة عثمان، وتاريخ تولِّيه للخلافة[2]، وروايةً من طريق عبيد الله بن موسى تضمَّنت مقتل عمر، وحصره للشُّورى في السِّتَّة ووصيته لكلٍّ من عليٍّ، وعثمان إذا تولَّى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيبٍ في هذا الأمر[3].

وقد نقل البلاذري خبر الشُّورى، وبيعة عثمان عن أبي مخنف[4]، وعن هشام الكلبي، منها ما نقله عن أبي مخنف، ومنها ما تفرَّد به[5]، وعن الواقدي[6]، وعن عبيد الله بن موسى[7]، واعتمد الطَّبريُّ في هذه القصَّة على عدَّة روايات منها رواية أبي مخنفٍ[8]، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصَّة الشُّورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهريِّ[9]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشُّورى) للواقديِّ[10]، وقد تضمَّنت الرِّوايات الشيعيَّة عدَّة أمورٍ مدسوسةٍ ليس لها دليلٌ من الصِّحَّة، وهي:

1- اتِّهام الصَّحابة بالمحاباة في أمر المسلمين: اتَّهمت الرِّوايات الشِّيعيَّة الصَّحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا عليٍّ بأن يقوم عبد الرَّحمن باختيار

---

(1) الذَّريعة إلى تصانيف الشِّيعة (246/14) .
(2) الطَّبقات الكبرى (63/3) ، (67/3) .
(3) المصدر السَّابق نفسه (340/3) .
(4) أنساب الأشراف (18/5 ، 19) .
(5) المصدر السَّابق نفسه .
(6) المصدر السَّابق نفسه .
(7) المصدر السَّابق نفسه (6/5) .
(8) أثر التشيُّع على الرِّوايات التَّاريخية ، د . عبد العزيز نور ، ص (321) وهو العمدة في هذه الفقرة .
(9) شرح نهج البلاغة (49/9 ، 50 ، 58) .
(10) المصدر السَّابق نفسه (15/9) .

الخليفة، فقد ورد عند أبي مخنف، وهشـــام الكلبيِ عن أبيه، وأحمد الجوهريّ: أنَّ عمر جعل ترجيح الكفَّتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأنَّ علياً أحسَّ بأن الخلافة ذهبت منه ؛ لأنَّ عبد الرحمن سيقدِّم عثمان للمصاهرة الّتي بينهما[1]، وقد نفى ابن تيميَّة أيَّ ارتباط في النَّسـب القريب بين عثمان، وعبد الرحمن فقال: فإنَّ عبد الرحمن ليس أخاً لعثمان، ولا ابن عمِّه، ولا من قبيلته أصـلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أميَّة، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أميَّة، فإنَّ بني زهرة أخوال النَّبيّ(ﷺ)، ومنهم عبد الرحمن بن عوف، وسـعد بن أبي وقَّاص الّذي قال له النبي(ﷺ): « هذا خالي فليرني امرؤ خاله »[2]. فإنَّ النَّبيّ(ﷺ) لم يؤاخ بين مهاجريٍّ، ومهاجريٍّ، ولا بين أنصـاريٍّ وأنصـاريٍّ، وإنَّما اخى بين المهاجرين، والأنصـار، فاخى بين عبد الرحمن بن عوف، وسـعد بن الرَّبيع الأنصـاري[3]، وحديثه مشـهورٌ ثابتٌ في الصِّـحاح، وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[4] .

وقد بنت الرِّوايات الشِّـيعيَّة محاباة عبد الرَّحمن لعثمان للمصـاهرة الّتي كانت بينهما، متناسيةً، أنَّ قوَّة النَّسـب أقوى من المصاهرة من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى تناسـوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأوَّل، وأنَّها لا تقوم على نسـبٍ ولا مصاهرة، وأمَّا كيفية المصاهرة الّتي كانت بين عبد الرحمن، وعثمان ؛ فهي أنَّ عبد الرحمن تزوَّج أمَّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد[5] .

---

(1) أثر التشيُّع على الرِّوايات التَّاريخية ، ص (322) .

(2) صحيح سنن التِّرمذي (220/3) رقم (4018) .

(3) البخاريُّ ، كتاب مناقب الأنصار رقم (3780) .

(4) منهاج السُّنَّة النَّبويَّة (271/6 - 272) .

(5) الطَّبقات الكبرى (127/3) .

2- حزبٌ أمويٌّ، وحزبٌ هاشميٌّ:

أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادَّةٍ بين بني هاشم، وبني أميَّة أثناء المبايعة ؛ وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك بروايةٍ صحيحةٍ، ولا ضعيفةٍ[1]، وقد انساق بعض المؤرِّخين خلف الرِّوايات الشِّيعيَّة الإماميَّة، وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الرِّوايات، فصوَّروا تشاور أصحاب الرَّسول(ﷺ) في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائريِّ، وأنَّ النَّاس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أمويٍّ، وحزب هاشميٍّ، وهو تصوُّر موهومٌ، واستنتاجٌ مردودٌ لا دليل عليه ؛ إذ إنَّه ليس نابعاً من ذلك الجوِّ الّذي كان يعيشه أصحاب رسول الله حينما كان يقف المهاجريُّ مع الأنصاريِّ ضدَّ أبيه، وأخيه، وابن عمِّه وبني عشيرته، وليس نابعاً من تصوُّر هؤلاء الصَّحب وهم يضحُّون بكلِّ شيءٍ من حطام الدُّنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصَّحيحة لهؤلاء النُّخبة من المبشَّرين بالجنَّة، فالأحداث الكثيرة الّتي رويت عن هؤلاء تثبت: أنَّ هؤلاء كانوا أكبر بكثيرٍ من أن ينطلقوا من هذه الزَّاوية الضَّيِّقة في معالجة أمورهم، فليست القضيَّة قضيَّة تمثيلٍ عائليٍّ، أو عشائريٍّ، فهم أهل شورى لمكانتهم من الإسلام[2] .

3- أقوال نسبت زوراً أو بهتاناً لعليٍّ رضي الله عنه:

قال ابن كثير: وما يذكره كثيرٌ عن المؤرِّخين كابن جرير، وغيره عن رجالٍ لا يعرفون: أنَّ علياً قال لعبد الرَّحمن: خدعتني، وإنَّك إنَّما وليته لأنَّه صهرك،

[1] مرويات أبي مخنفٍ في تاريخ الطَّبري ، ص(177 ، 178) .
[2] الخلفاء الرَّاشدون ، أمين القضاة ، ص(78 ، 79) .

وليشاورك كلَّ يومٍ في شأنه، وأنَّه تلكَّأ حتَّى قال عبد الرحمن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا *﴾ [الفتح: 10]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصِّحاح، فهي مردودةٌ على قائليها، وناقليها، والله أعلم، والمظنون من الصَّحابة خلاف ما يتوهَّم كثيرٌ من الإماميَّة، وأغبياء القصَّاص الّذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها، وسقيمها، ومبادها، وقويمها، والله الموفق للصَّواب[1] .

4- اتِّهام عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة:

وقد ذكر أبو مخنفٍ في روايته في قضية الشُّورى عن عمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة أنَّهما جلسا عند الباب، وردَّ سعدٌ عليهما، فهذا يستغرب من رعاع النَّاس فضلاً عن الصَّحابة الكرام، وكيف يقول سعدٌ لهما: تريدان أن تقولا: حضرنا وكنا من أهل الشُّورى . وقد علم النَّاس أهل الشُّورى بأعيانهم، واستفاض ذلك عندهم. وفي الحقيقة: أنَّ رواية أبي مخنفٍ يناقض بعضها بعضاً، وهي واضحةٌ لمن تدبَّرها وقارنها بالأصول الصَّحيحة، وغرائبها أشهر من ذكرها، وقد أشار الدُّكتور يحيى اليحيى إلى نماذج، وأمثلةٍ تكفي لإسقاط هذه الرِّواية وعدم الاعتبار بها[2] . هذه بعض الإشارات العابرة ذكرتها للتَّنبيه والتَّحذير من تلك السُّموم المبثوثة في تراثنا التَّاريخيِّ، والموروث الثَّقافي للأمَّة، فقد أثرت في رجال الفكر، والقلم، والتاريخ.

---

[1] البداية والنهاية (7/152) .
[2] مرويَّات أبي مخنفٍ ، ص(179) .

خامساً: أحقِّيَّة خلافة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه:

لا يشـــكُّ مؤمنٌ في أحقِّيَّة خلافة عثمان رضـــي الله عنه وصـــحَّتها، وأنَّه لا مطعن فيها لأحدٍ إلا ممَّن أصيب قلبه بزيغ، فنقم على أصحاب رسول الله(ﷺ) بســـبب ما حلَّ في قلبه من الغيظ منهم، وهذا لم يحصـــل إلا من الأعداء الّذين جعلوا رأس مالهم في هذه الحياة الدُّنيا هو ســـبُّ الصَّـــحابة رضـــي الله عنهم، وبغضـــهم، ولا قيمة لما يوجِّهونه من المطاعن على خلافة الثَّلاثة رضـــي الله عنهم لظهور بطلانه، وأنَّها افتراءاتٌ لا تصـحُّ، وقد جاء في جملةٍ من النُّصـوص القطعيَّة الصَّـــحيحة، والاثار الشَّـــهيرة التَّنبيه، والإيماء إلى أحقيَّة خلافة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، ومن ذلك[1]:

1 – قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْـتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَـى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْـرِكُونَ بِي شَـيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ *﴾ [النور: 55] . وجه الاسـتدلال بهذه الاية على أحقِّيَّة خلافة عثمان رضـي الله عنه أنَّه من الّذين اسـتخلفهم الله في الأرض، ومكَّن لهم فيها، وسـار في النَّاس أيام خلافته سـيرةً حسـنةً ؛ حيث حكم فيهم بالعدل، وأقام الصَّـــلاة، واتى الزَّكاة، وأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، فهذه الاية تضـــمَّنت الإشارة إلى أحقِّيَّة خلافته رضي الله عنه[2] .

---

[1] عقيدة أهل السُّنَّة في الصَّحابة (656/2) .
[2] عقيدة أهل السُّنَّة في الصَّحابة (656/2) .

2 – قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَـــتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَـدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْـلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَـناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا *﴾ **[الفتح: 16]** . وجه الاستدلال بهذه الاية على أحقِّيَّة خلافة عثمان رضـــي الله عنه هو أنَّ الدَّاعي لهؤلاء الأعراب داع يدعوهم بعد نبيّه(ﷺ) وهو أبو بكر، وعمر، وعثمان، رضـي الله عنهم، فأبو بكر دعاهم إلى قتال الرُّوم، والفرس، والتُّرك فوجبت طاعة هؤلاء الثَّلاثة رضي الله عنهم بنصِّ القران، وإذا وجبت طـاعتهم، صــحَّـت خلافتهم، رضـــي الله عنهم، وأرضاهم[1].

3 – عن أبي موسـى رضـي الله عنه قال: إنَّ النَّبيّ(ﷺ) دخل حائطاً، وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجلٌ يستأذن، فقال: « ائذن له، وبشِّره بالجنَّة » فإذا هو أبو بكر، ثمَّ جاء اخر يســتأذن، فقال: « ائذن له، وبشِّــره بالجنَّة » فإذا هو عمر، ثمَّ جاء اخر يستأذن، فقال: « ائذن له وبشِّره بالجنَّة على بلوى تصيبه » فإذا هو عثمان ابن عفَّان[2] . هذا الحديث فيه إشـــارةٌ إلى ترتيب الثَّلاثة في الخلافة، وإخبارٌ عن بلوى تصيب عثمان، وهذه البلوى حصلت له رضي الله عنه، وهي حصــاره يوم الدَّار، حتَّى قتل انذاك مظلوماً، فالحديث علمٌ من أعلام النُّبوَّة، وفيه الإشارة إلى كونه شهيداً رضي الله عنه، وأرضاه[3].

4 – روى أبو داود – رحمه الله – بإســـناده إلى جابر بن عبد الله: أنَّه كان يحدِّث: أنَّ رسول الله(ﷺ) قال: رأى اللَّيلة رجلٌ صـالحٌ: أنَّ أبا بكر نيط برسول

(1) الفصل في الملل والأهواء والنِّحل (4/109 - 110) .
(2) البخاريُّ ، رقم (3695) .
(3) عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة (2/657) .

الله، ونيط عمر بأبي بكرٍ، ونيط عثمان بعمر . قال جابر: فلمَّا قمنا من عند رسول الله(ﷺ) قلنا: أمَّا الرَّجل الصَّالح ؛ فرسول الله(ﷺ)، وأمَّا تنوُّط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر ؛ الَّذي بعث الله به نبيَّه(ﷺ)[1] .

5 – وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال:سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: « إنَّها ستكون فتنةٌ، واختلافٌ، أو اختلافٌ، وفتنةٌ » قال: قلنا: يا رسول الله ! فما تأمرنا ؟ قال: « عليكم بالأمين، وأصحابه » وأشار إلى عثمان[2] .

وهذا الحديث فيه معجزةٌ ظاهرةٌ للنَّبيِّ(ﷺ) الدَّالَّة على صدق نبوَّته ؛ حيث أخبر بالفتنة الَّتي حصلت أيام خلافة عثمان وكانت كما أخبر، كما تضمَّن الحديث التَّنبيه على أحقيَّة خلافة عثمان؛ إذ إنَّه(ﷺ) أرشد النَّاس إلى أن يلزموه، وأخبر بأنَّه حين وقوع الفتنة والاختلاف فالحقُّ مع أمير المؤمنين، وأمرهم بالالتفاف حوله وملازمته، لكونه على الحقِّ، والخارجون عليه على الباطل، أهل زيغ، وهوىً، وقد شهد له الرسول(ﷺ) بأنَّه سيكون مستمرّاً على الهدى لا ينفكُّ عنه[3] .

6 – روى أبو عيسى التِّرمذيُّ بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيّ(ﷺ) قال: « يا عثمان ! إنَّه لعلَّ الله يقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه ؛ فلا تخلعه لهم »[4] . ففي هذا الحديث الإشارة إلى الخلافة، واستعارة القميص لها وذكر الخلع ترشيحٌ، أي: سيجعلك الله خليفةً، فإن قصد النَّاس

---

[1] سنن أبي داود (513/2) .
[2] المستدرك (99/3) ثمَّ قال: حديثٌ صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .
[3] عقيدة أهل السنَّة والجماعة في الصَّحابة (660/2) .
[4] فضائل الصَّحابة (613/1) إسناده صحيحٌ .

عزلك، فلا تعزل نفسك عنها لأجلهم لكونك على الحقِّ، وكونهم على الباطل[1].

7 – وروى التِّرمذيُّ بإسـناده إلى أبي سـهلة، قال: قال لي عثمان يوم الدَّار: إنَّ رسـول الله(ﷺ) قد عهد إليَّ عهداً، فأنا صـابرٌ عليه[2] . فقوله: قد عهد إليَّ عهداً، أي: أوصـاني ألا أخلع بقوله: وإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم، فأنا صابرٌ عليه، أي: على ذلك العهد[3].

8 – وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة رضـي الله عنها: أن رسـول الله(ﷺ) قال: « ادعوا لي – أو ليت عندي – رجلاً من أصـحابي » . قالت: قلت: أبو بكر . قال: « لا ! » قلت: عمر . قال: « لا!» قلت: ابن عمِّك عليٌّ . قال: « لا ! » قلت: فعثمان: قال: « نعم ! » قالت: فجاء عثمان، فقال: « قومي ! » قال: فجعل النَّبيُّ(ﷺ) يسرُّ إلى عثمان، ولون عثمان يتغيَّر . قال: فلما كان يوم الدَّار ؛ قلنا: ألا تقاتل ؟ قال: لا: إنَّ رسول الله(ﷺ) عهد إليَّ أمراً فأنا صابرٌ نفسي عليه[4].

فهذا الحديث والَّذي قبله فيهما دلالةٌ على صـحَّة خلافته، فمن أنكر خلافته ولم يره من أهل الجنَّة، والشُّـهداء، وأسـاء الأدب فيه باللِّسـان، أو الجنان، فهو خارجٌ عن دائرة الإيمان، وحيِّز الإسلام[5].

---

[1] الدِّين الخالص (446/3) .
[2] فضائل الصَّحابة (605/1) إسناده صحيحٌ . والتِّرمذي (295/5) .
[3] تحفة الأحوذيّ (209/10) .
[4] فضائل الصَّحابة (605/1) إسناده صحيحٌ . والمستدرك (99/3) حديثٌ صحيح الإسناد ، ولم يخرِّجاه ، ووافقه الذَّهبي .
[5] الدِّين الخالص (446/3) .

9 – وممَّا دل على صحَّة خلافته، وإمامته ما رواه البخاريُّ بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنَّا في زمن النَّبيّ(ﷺ) لا نعدل بأبي بكرٍ أحداً، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ نترك أصحاب النَّبيّ(ﷺ) لا نفاضل بينهم[1]، وفي هذا إشارة إلى أنَّ الله – تعالى – ألهمهم، وألقى في رُوعهم ما كان صانعه بعد نبيّه(ﷺ) من أمر ترتيب الخلافة[2].

قال ابن تيميَّة: فهذا إخبارٌ عمَّا كان عليه الصَّحابة على عهد النَّبيّ(ﷺ) من تفضيل أبي بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، وقد روي: أنَّ ذلك كان يبلغ النَّبيّ(ﷺ)، فلا ينكره، وحينئذٍ فيكون هذا التَّفضيل ثابتاً بالنَّص، وإلا فيكون ثابتاً بما ظهر بين المهاجرين، والأنصار على عهد النَّبيِّ(ﷺ) من غير نكيرٍ، وبما ظهر لما توفي عمر، فإنَّهم كلَّهم بايعوا عثمان بن عفَّان من غير رغبةٍ، ولا رهبةٍ، ولم ينكر هذه الولاية منكرٌ منهم[3] .

وكل ما تقدَّم ذكره من النُّصوص في هذه الفقرة أدلَّةٌ قويَّةٌ كلُّها فيها الإشارة والتَّنبيه إلى أحقِّيَّة خلافة عثمان رضي الله عنه، وأنَّه لا مرية في ذلك ولا نزاع عند المتمسِّكين بالكتاب، والسُّنَّة، والّذين هم أسعد النَّاس بالعمل بهما، وهم أهل السُّنَّة، والجماعة، فيجب على كلِّ مسلمٍ أن يعتقد أحقِّيَّة عثمان رضي الله عنه، وأن يسلِّم تسليماً كاملاً للنُّصوص الدَّالَّة على ذلك[4] .

---

[1] البخاريُّ ، كتاب فضائل أصحاب النَّبيّ (ص) ، رقم (3698) .
[2] عقيدة أهل السُّنَّة (664/2) .
[3] منهاج السُّنَّة (165/3) .
[4] عقيدة أهل السُّنة (664/2) .

سادساً: انعقاد الإجماع على خلافة عثمان:

أجمع أصحاب رسول الله(ﷺ)، وكذا من جاء بعدهم ممَّن سلك سبيلهم من أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ عثمان بن عفَّان رضي الله عنه أحقُّ النَّاس بخلافة النُّبوَّة بعد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، ولم يخالف، أو يعارض في هذا أحدٌ، بل الجميع سلَّم له بذلك ؛ لكونه أفضل خلق الله على الإطلاق بعد الشَّيخين أبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، وقد نقل الإجماع على أحقيَّة عثمان رضي الله عنه بالخلافة بعد عمر رضي الله عنه طائفةٌ من أهل العلم بالحديث، وغيرهم، ومن تلك النُّقول[1]:

1- ما رواه ابن أبي شيبة بإسناده إلى حارثة بن مضرب، قال: حججت في إمارة عمر، فلم يكونوا يشكُّون: أنَّ الخلافة من بعده لعثمان[2].

2- وروى أبو نعيم الأصبهانيُّ بإسناده إلى حذيفة رضي الله عنه قال: إنِّي لواقف مع عمر تمسُّ ركبتي ركبته، فقال: من ترى قومك يؤمِّرون؟ قال: إنَّ الناس قد أسندوا أمرهم إلى ابن عفَّان[3].

3- ونقل الحافظ الذَّهبي عن شريك بن عبد الله القاضي، أنَّه قال: قُبض النَّبيّ(ﷺ) فاستخلف المسلمون أبا بكرٍ، فلو علموا: أنَّ فيهم أحداً أفضل منه ؛ كانوا قد غَشّوا، ثمَّ استخلف أبو بكرٍ عمر، فقام بما قام به من الحقِّ، والعدل، فلمَّا احتضر جعل الأمر شورى بين ستَّةٍ، فاجتمعوا على عثمان، فلو علموا: أن

---

(1) المصدر السَّابق نفسه (665/2) .
(2) المصنَّف (588/14) .
(3) كتاب الإمامة والردّ على الرَّافضة ، ص(306) .

فيهم أفضل منه كانوا قد غشّونا[1] .

فهذه النُّقول فيها بيانٌ واضــح في أنَّ أصــحاب النَّبيّ(ﷺ) قد اشــتهر بينهم أولويَّة عثمان بالخلافة، وما زال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حيَّاً ؛ لما سبق من علمهم ببعض النُّصوص المشيرة إلى أنَّ ترتيبه سيكون في خلافة النُّبوَّة بعد الفاروق رضي الله عنه، ولعلمهم أنَّه أفضل النَّاس على الإطلاق بعد أبي بكرٍ، وعمر رضي الله عنهما[2] .

4- روى ابن سعدٍ بإسناده إلى النزَّال بن سبرة رضي الله عنه قال: قال عبد الله ابن مسعودٍ حين استُخلف عثمان: استخلفنا خير من بقي، ولم نألُ - أي: لم نقصر في اختيار الأفضل - وفي روايةٍ أخرى قال: أمَّرنا خير من بقي، ولم نأل[3] .

5- وقال الحسن بن محمَّد الزَّعفرانيُّ: سمعت الشَّافعيَّ يقول: أجمع النَّاس على خلافة أبي بكرٍ، واستخلف أبو بكرٍ عمر، ثمَّ جعل عمر الشُّورى إلى ستَّةٍ على أن يولّوها واحداً، فولَّوها عثمان رضي الله عنهم أجمعين[4] .

وقد نقل أبو حامد محمَّد المقدسيُّ كلاماً عزاه للإمام الشَّافعيِّ - رحمه الله -: أنَّه قال: واعلموا: أنَّ الإمام الحقُّ بعد عمر رضي الله عنه عثمان رضي الله عنه بجعل أهل الشُّورى اختيار الإمامة إلى عبد الرحمن بن عوف، واختياره لعثمان رضي الله عنه، وإجماع الصَّحابة رضي الله عنهم، وصوبوا رأيه فيما فعله، وأقام

---

[1] ميزان الاعتدال (273/2) .
[2] عقيدة أهل السُّنَّة (666/2) .
[3] الطَّبقات الكبرى (63/3) .
[4] مناقب الشَّافعي للبيهقي (434/1 ، 435) .

النَّاس على محجَّة الحقِّ، وبسط العدل إلى أن استشهد رضي الله عنه[1] .

6- وذكر ابن تيميَّة عن الإمام أحمد: أنَّه قال: لم يجتمعوا على بيعة أحدٍ ما اجتمعوا على بيعة عثمان[2] .

7- وقال أبو الحسن الأشعريُّ: وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر بعقد مَنْ عقد له الإمامة من أصحاب الشُّورى، الّذين نصَّ عليهم عمر، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله، وعدله[3].

8 – وقال عثمان الصَّابوني مبيِّناً عقيدة السَّلف، وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة بعد أن ذكر: أنَّهم يقولون أوَّلاً بخلافة الصِّدِّيق، ثمَّ عمر، قال: ثمَّ خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشُّورى، وإجماع الأصحاب كافَّةً، ورضاهم به حتَّى جعل الأمر إليه[4] .

9- وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة – رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع العلماء المصلحين –: وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفَّان، لم يتخلَّف عن بيعته أحد .. فلمَّا بايعه ذوو الشَّوكة، والقدرة صار إماماً، وإلا فلو قُدِّر أن عبد الرحمن بايعه ولم يبايعه عليٌّ، ولا غيره من الصَّحابة أهل الشوكة لم يصر إماماً، ولكن عمر لما جعلها شورى في ستَّةٍ: عثمان، وعليٍّ، وطلحة، والزُّبير، وسعدٍ، وعبد الرحمن بن عوف، ثمَّ إنَّه خرج طلحة، والزُّبير، وسعد باختيارهم، وبقي عثمان، وعليٌّ، وعبد

---

[1] الردّ على الرَّافضة ، ص(319 ، 320) .
[2] منهاج السُّنَّة (166/3) . والسُّنَّة للخلال ، ص(320) .
[3] الإبانة عن أصول الدِّيانة ، ص(68) .
[4] عقيدة السَّلف وأصحاب الحديث ضمن الرَّسائل المنبريَّة (139/1) .

الرحمن لا يتولَّى ويولي أحد الرَّجلين، وأقام عبد الرحمن ثلاثاً حلف أنَّه لم يغمض فيها بكبير نوم يشاور السَّابقين الأوَّلين، والتَّابعين لهم بإحسان، يشاور أمراء الأجناد، وكانوا قد حجُّوا مع عمر ذلك العام، فأشار عليه المسلمون بولاية عثمان، وذكر ؛ أنَّهم كلَّهم قدَّموا عثمان، فبايعوه لا عن رغبةٍ أعطاهم إيَّاها، ولا عن رهبةٍ أخافهم بها، ولهذا قال غير واحدٍ من السَّلف، والأئمة كأيوب السَّختيانيّ، وأحمد بن حنبل، والدَّارقطني، وغيرهم: من قدَّم عليّاً على عثمان، فقد أزرى بالمهاجرين، والأنصار، وهذا من الأدلَّة الدَّالَّة على أنَّ عثمان أفضل، لأنَّهم قدَّموه باختيارهم، واشتوارهم[1] .

10- وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله تعالى – حاكياً لإجماع الصَّحابة على خلافة عثمان رضي الله عنه: ويروى: أنَّ أهل الشُّورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن، ليجتهد للمسلمين في أفضلهم، ليولِّيه، فيذكر: أنَّه سأل من يمكنه سؤاله من أهل الشُّورى، وغيرهم، فلا يشير إلا بعثمان بن عفَّان، حتَّى إنَّه قال لعليٍّ رضي الله عنه: أرأيت إن لم أولك بمن تشير به عليَّ ؟ قال: بعثمان، وقال لعثمان رضي الله عنه: أرأيت إن لم أولِّك بمن تشير به ؟ قال: بعليِّ بن أبي طالبٍ، والظَّاهر: أنَّ هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة، وينخلع عبد الرَّحمن منها لينظر الأفضل، والله عليه والإسلام ليجتهد في أفضل الرَّجلين فيوليه، ثمَّ نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير النَّاس فيهما ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس النَّاس، وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً، مثنى وفرادى ومجتمعين، سرّاً وجهراً، حتَّى

[1] مناهج السُّنَّة (134/1) .

خلص إلى النِّسـاء المخدَّرات في حجابهنَّ، وحتَّى سـأل الولدان في المكاتب، وحتَّى سـأل من يَرِدُ من الرُّكبان، والأعراب إلى المدينة في مدَّة ثلاثة أيَّامٍ بلياليها، فلم يجد اثنين يختلفان في تقدُّم عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، فسعى في ذلك عبد الرَّحمن ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نومٍ إلا في صـلاةٍ، ودعاءٍ، واسـتخارةٍ، وسـؤالٍ من ذوي الرَّأي عنهم، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه، فلمَّا كان اللَّيلة الّتي يسـفر صـباحها عن اليوم الرَّابع من موت عمر بن الخطَّاب رضـي الله عنه جـاء إلى منزل ابن أخته المســـور بن مخرمة، وأمره أن ينـادي لـه عليّاً، وعثمان، رضـي الله عنهما، فناداهما، فحضـرا إلى عبد الرَّحمن، فأخبرهما: أنَّه سـأل النَّاس، فلم يجد أحداً يعدل بهما أحداً، ثمَّ أخذ العهد على كلٍّ منهما أيضـــاً لئن ولاه ؛ ليعدلنَّ، ولئن وِلّي عليه ؛ ليســمعنَّ، وليطيعنَّ، ثمَّ خرج إلى المســجد، وقد لبس عبد الرَّحمن العمامة الّتي عمَّمه بها رسـول الله(ﷺ)، وتقلَّد سـيفاً، وبعث إلى وجوه النَّاس من المهاجرين، والأنصـــار، ونودي في النَّاس عامَّةً: الصَّـــلاة جامعةً، فامتلأ المســـجد بالنَّاس حتَّى غصَّ بالنَّاس، وتراصَّ النَّاس، وتراصَّـــوا حتَّى لم يبق لعثمان موضـع يجلس فيه إلا في أخريات النَّاس - وكان رجلاً حييّاً رضـي الله عنه - .

ثمَّ صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله(ﷺ) فوقف وقوفاً طويلاً، ودعا دعاءً طويلاً، لم يســمعه النَّاس، ثمَّ تكلَّم، فقال: أيُّها الناس ! إِنِّي ســألتكم ســرّاً وجهراً عن إمـامكم، فلم أجـدكم تعـدلون بأحـد هـذين الرَّجلين إمَّـا عليٍّ، وإمـا عثمـان، فقم إليَّ يا عليُّ، فقام إليه، فوقف تحت المنبر، فأخذ عبد الرَّحمن بيده، فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله، وسنَّة نبيِّه(ﷺ)، وفعل أبي بكرٍ، وعمر ؟

قال: اللَّهم لا ! ولكن على جهدي من ذلك، وطاقتي . قال: فأرسل يده، وقال: قم إليَّ يا عثمان ! فأخذ بيده، وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسـنَّة رسوله(ﷺ) وفعل أبي بكرٍ، وعمر ؟ قال: اللَّهمَّ نعم ! قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ؛ ويده في يد عثمان وقال: اللَّهمَّ اسمع، واشهد ! اللهم اسمع، واشهد ! اللَّهمَّ اسمع، واشهد ! اللَّهُمَّ إنِّي قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان .

وقال: وازدحم النَّاس يبايعون عثمان حتَّى غشـوه تحت المنبر، قال: فقعد عبد الرَّحمن مقعد النَّبيّ(ﷺ)، وأجلس عثمان تحته على الدَّرجة الثانية، وجاء إليه النَّاس يبايعونه، وبايعه عليٌّ بن أبي طالبٍ أولاً، ويقال: ثانياً[1] .

فهذه النُّقول المتقدِّم ذكرها للإجماع عن هؤلاء الأئمَّة كلُّها تفيد إفادةً قطعيَّةً أنَّ البيعة بالخلافة تمَّت لعثمان رضـي الله عنه بإجماع الصَّـحابة رضـوان الله عليهم أجمعين، ولم يخالف، أو يعارض في ذلك أحدٌ[2] .

سابعاً: حكم تقديم عليٍّ على عثمان رضي الله عنهما:

نُذكِّر – هنا – بأنَّ الصـحابة الكرام – رضـي الله عنهم – كلُّهم عدول، لا يجوز الطعنُ بواحدٍ منهم، وما حَدَث بين بعضـهم، فهو اختلافٌ في وجهات النظر، ولا علاقة له بإيمان هذا الصحابي أو ذاك، أو قُرْبه من النبي(ﷺ) .

وكانت الخلافة قضية استطاع المسلمون أن يحلُّوا إشكالاتها، ويتغلبوا على ما

---

[1] البداية والنهاية (7/159 - 161) .
[2] عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة (2/671) .

اعترضهم من عقبات كَأْداء .

وقال ابن تيميَّة: اســتقرَّ أمر أهل السُّــنَّة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسـألة – مسـألة عثمان وعليٍّ – ليسـت من الأصـول الّتي يُضـلَّل المخالف فيها عند جمهور أهل السُّنَّة، لكن المسألة الّتي يُضلَّل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك: أنَّهم يؤمنون بأنَّ الخليفة بعد رسول الله(ﷺ) أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ عليٌّ، ومن طعن في خلافة أحدٍ من هؤلاء الأئمَّة ؛ فهو أضلُّ من حمار أهله[1].

وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل عليٍّ على عثمان:

فقال: فيها روايتان:

إحداهما: لا يســـوَّغ ذلك، فمن قال به فقد خرج من السُّـــنَّة إلى البدعة ؛ لمخالفته لإجماع الصَّــحابة ؛ يروى ذلك عن غير واحدٍ، منهم أيوب السَّــختياني، وأحمد بن حنبل، والدَّارقطنيّ .

والثانية: لا يُبدَّع من قدَّم عليّاً، لتقارب حال عثمان، وعليٍّ[2] .

* * *

[1] مجموعة الفتاوى (101/3 ، 102) .
[2] المصدر السابق نفسه (267/4) .

المبحث الثاني : منهج عثمان بن عفَّان في الحكم

عندما بويع عثمان رضـي الله عنه بالخلافة قام في النَّاس خطيباً، فأعلن عن منهجه السِّياسيِّ مبيِّناً: أنَّه سيتقيَّد بالكتاب، والسُّنَّة، وسيرة الشَّيخين، كما أشار في خطبته إلى أنَّه سيسوس النَّاس بالحلم، والحكمة إلا فيما استوجبوه من الحدود، ثمَّ حذَّرهم من الرُّكون إلى الدُّنيا، والافتتان بحطامها خوفاً من التَّنافس، والتَّباغض، والتَّحاسـد بينهم، ممَّا يفضـي بالأمَّة إلى الفرقة، والخلاف، وكأنَّ عثمان رضـي الله عنه ينظر وراء الحجب ببصـيرته النَّفَّاذة إلى ما سـيحدث في هذه الأمَّة من الفتن بسبب الأهواء، وتهالك النَّاس بعدما بويع[1] فقال:

« أمَّا بعد: فإنِّي كلِّفت، وقد قبلت، ألا وإنِّي متَّبعٌ، ولسـت بمبتدعٍ، ألا وإنَّ لكم عليَّ بعد كتاب الله، وسنَّة نبيه(ﷺ) ثلاثاً: اتِّباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه، وسـننتم، وسـنَّ أهل الخير فيما تسـنُّوا عن ملأ، والكفَّ عنكم إلا فيما استوجبتم العقوبة، وإن الدُّنيا خضرةٌ وقد شهيت إلى النَّاس ومال إليها كثيرٌ منهم، فلا تركنوا إلى الدُّنيا ولا تثقوا بها، فإنَّها ليسـت بثقةٍ، واعلموا أنَّها غير تاركةٍ إلا من تركها»[2].

وأمَّا قول بعض النَّاس بأن عثمان لما خطب أوَّل خطبةٍ أرتج عليه، فلم يدر مايقول ؛ حتَّى قال: أيُّها النَّاس ! إنَّ أوَّل مركبٍ صـعبٌ، وإن أعش، فسـتأتيكم

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (392/1) .
[2] تاريخ الطَّبري (443/5) .

الخطبة على وجهها، فهو شـــيءٌ يذكره صـــاحب العِقْد[1]، وغيره ممَّن يذكر طرف الفوائد، وأنَّ إسناده غير صحيح[2].

أولاً: كُتب عثمان إلى عمَّاله، وولاته، وأمراء الجند، وعامَّة النَّاس:

أقرَّ عثمان رضي الله عنه عُمَّال عمر رضي الله عنه، فلم يعزل منهم أحداً عاماً كاملاً أخذاً بوصيَّة عمر رضي الله عنه، والنَّاظر في الكتب الّتي بعث بها إلى الولاة وعمَّال المال، وأمراء الأجناد يقف على النَّهج، الّذي أراد السَّير عليه، وأخذ الأمَّة به[3] .

1- أوَّل كتابٍ كتبه عثمان إلى جميع ولاته:

أمَّا بعد: فإنَّ الله أمر الأئمَّة أن يكونوا رعاةً، ولم يتقدَّم إليهم أن يكونوا جباةً، وإنَّ صـدر هذه الأمَّة خلقوا رعاة، ولم يخلقوا جباة، وليوشـكنَّ أئمَّتكم أن يصـيروا جباةً، ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء، والأمانة، والوفاء . ألا وإنَّ أعدل السِّـــيرة أن تنظروا في أمور المســـلمين فيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثمَّ تثنُّوا بالذمَّة، فتعطوهم الّذي لهم، وتأخذوهم بالّذي عليهم، ثمَّ العدو الّذي تنتابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء[4] .

والملاحظ: أنَّ عثمان رضـــي الله عنه أكَّد في هذا الكتاب الموجَّه إلى ولاته في

---

(1) المراد: ابن عبد ربه الأندلسي ، صاحب كتاب العقد الفريد ، وهو كتاب في طريق الأخبار والحكايات والنَّوادر ، ولا يهتم بسند الخبر ، أو صحَّته .
(2) خلافة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، د. السَّلمي، ص(34، 35)الخبر من طريق الواقدي، وهو متروك.
(3) تحقيق مواقف الصَّحابة (393/1) .
(4) تاريخ الطَّبري (244/5) .

الأمصـــار واجبهم نحو الرَّعية، وعرَّفهم: أنَّ مهمَّتهم ليســـت هي جمع المال، وإنَّما تتمثَّل في رعاية مصالح النَّاس، ولأجل ذلك بيَّن السِّياسة الّتي يسوسون بها الأمَّة، وهي أخذ النَّاس بما عليهم من الواجبات، وإعطاؤهم حقوقهم، فإذا كانوا كذلك ؛ صـلحت الأمَّة، وإذا انقلبوا جباةً ليس همُّهم إلا جمع المال، انقطع الحياء، وفُقدت الأمـانـة، والوفـاء[1]، لقـد كـان في كتـاب عثمـان للولاة: التركيز على قيم العـدل السِّـياسـيِّ، والاجتماعيِّ، والاقتصـاديِّ بإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم، وأخذ ما عليهم، وإعلاء شأن مبدأ الرِّعاية السِّياسيَّة، لا الجباية، وتكثير الأموال[2].

ونبَّه على ما سـيكون عند تغير الولاة من رعاةٍ إلى جباةٍ، بأنَّ ذلك سـبب في تقلُّص مكـارم الأخلاق، الّتي مثَّل لهـا بالحيـاء، والأمـانـة، والوفـاء، وذلـك أنَّ بين الرَّاعي والرَّعيَّة خيطاً سامياً من العلاقات المتينة، ويؤكِّده، ويثبِّته اتفاق الجميع على هدفٍ واحدٍ، وهو ابتغاء وجه الله تعالى، فالوالي يســـعى لهذا الهدف بما يقدِّمه لإمامه من طاعة، وولاءٍ، وأمانةٍ، ووفاءٍ، ويبقى خُلُق الحياء الّذي أشار إليه عثمان يُظلُّ الجميع، فيمنعهم من ارتكاب ما يُستقبح، أو التَّعرض لجرح المشاعر، والإيقاع في الحرج . ثمَّ يوصــــي عثمان ولاته بالعدل في الرَّعية، وذلك بأخذ ما عليهم من الحقوق، وبذل ما لهم من ذلك، ويشـــير إلى نقطة مهمَّةٍ، وهي: أنَّ الوفاء بالعهود من أهمِّ أسباب الفتح، والنَّصر على الأعداء، وقد بيَّن التَّاريخ أثر هذا الخلق الرَّفيع في تفوُّق المسلمين الإداريِّ والحربيِّ[3] .

2- كتابه إلى قادة الجنود:

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة (393/1) .
[2] الدَّولة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، لحمدي شاهين ، ص(246) .
[3] التَّاريخ الإسلاميُّ (369/12) .

وكان أوّل كتابٍ كتبه إلى قادة الأجناد في الفروج[1]: أمَّا بعد: فإنَّكم حماة المسلمين، وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يَغب عنَّا، بل كان على ملأ منَّا، ولا يبلغني عن أحدٍ منكم تغييرٌ، ولا تبديلٌ، فيغيِّر الله بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإنِّي أنظر فيما ألزمني الله النَّظر فيه، والقيام عليه[2].

وفي هذا الكتاب لفت نظرٍ إلى أنَّ الأمور لن تتغيَّر بتغيُّر الخليفة ؛ لأنَّ الخلفاء ومن دونهم من الولاة يسيرون على خطٍّ واحدٍ، وهو القيام بمهمَّة تطبيق الإسلام في واقع الحياة . وقوله: وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا بل كان على ملأ منَّا. إشارةٌ إلى أنَّ حكم أولئك الخلفاء يقوم على الشُّورى، وذلك يترتَّب عليه أنَّ جميع القضايا المهمَّة تكون معلومةً بتفاصيلها عند أهل الحلِّ والعقد، فإذا ذهب الحاكم، وخلفه حاكمٌ اخر، سار على المنهج نفسه، لوضوح الهدف لدى الجميع. وقوله: (ولا تغيِّروا، فيغيِّر الله بكم) وَعْيٌ لسنن الله تعالى في هذا الكون، فمعيَّة الله – جلَّ وعلا – لأوليائه بالتَّوفيق، والحماية، والنَّصر مشروطةٌ بلزومهم شريعته، واستسلامهم لأمره، فإذا تغيَّروا في ذلك غيَّر الله ما بهم، واستبدل بهم غيرهم في الهيمنة والتَّمكين[3]، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ *﴾ **[الرعد: 11]** . وذكَّرهم بأنَّه على علمٍ بواجبه، يؤدِّيه، ويقوم عليه ليتلاقى عمل الرَّعية، وعمل الرَّاعي في الشُّعور بالواجب، والقيام به، ويشعر كلُّ فردٍ أنَّه يعمل لأمَّته، كما

---

(1) الفروج: يعني الأقاليم .
(2) تاريخ الطَّبريِّ (244/5) .
(3) التَّاريخ الإسلاميُّ (370/12) .

يعمل لنفسه[1].

3- كتابه إلى عمَّال الخراج:

وكان أوَّل كتابٍ كتبه إلى عمَّال الخراج: أمَّا بعد، فإنَّ الله خلق الخلق بالحقِّ، فلا يقبل إلا الحقَّ، خذوا الحقَّ، وأعطوا الحقَّ به، والأمانةَ الأمانةَ، قوموا عليها، ولا تكونوا أوَّل من يُسلَبُها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاءَ الوفاءَ، لا تظلموا اليتيم، ولا المعاهد، فإنَّ الله خصمٌ لمن ظلمهم[2] .

خصَّ في هذا الكتاب وزراء المال الّذين يجبونه من أفراد الأمَّة ؛ لينفق في مصـــالحها العامَّة، فبيَّن لهم: أنَّ الله لا يقبل إلا الحقَّ، والحقُّ قائمٌ على الأمانة، والوفاء، ثمَّ ميَّز صـــنفين من الرَّعية، هما ضـــعيفاها: اليتيم، والمعاهد، فحضَّ على التَّجافي عن ظلمهما ؛ لأنَّ الله هو المتوِلّي حمايتهما[3]، ويذكِّرهم بأنَّهم إذا ظلموهم؛ فإنَّهم معرَّضون لنقمة الله تعالى ؛ لأنَّه خصمٌ لمن ظلم هؤلاء المستضعفين، وفي هذا لفتةٌ إلى جانبٍ من جوانب عظمة الإسـلام حيث يدعو إلى نصـر المظلومين، وإن كانوا من الكفَّار المعاهدين[4].

4- كتابه إلى العامَّة:

أمَّا بعد: فإنَّكم إنَّما بلغتم بالاقتداء، والاتِّباع، فلا تلفتنَّكم الدُّنيا عن أمركم، فإنَّ أمر هذه الأمَّة صـــائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاثٍ فيكم: تكامل النِّعم،

---

[1] عثمان بن عفَّان رضي الله عنه لصادق عرجون ، ص(199) .
[2] تاريخ الطَّبري (244/5) .
[3] عثمان بن عفَّان رضي الله عنه لصادق عرجون ، ص(198) .
[4] التَّاريخ الإسلامي (371/20) .

وبلوغ أولادكم من السَّبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القران، فإن رسـول الله(ﷺ) قال: « الكفر في العجمة، فإذا استعجم عليهم أمرٌ، تكلَّفوا، وابتدعوا »[1].

وفي هذا الخطاب نلاحظ: أنَّ عثمان رضـــي الله عنه رغَّب عامَّة الأمَّة في الاتِّباع، وترك التكلُّف، والابتداع، وأنَّه حذَّرهم تغيُّر الحال إذا اجتمعت لهم ثلاث خلال: تكامل النِّعم ؛ الّذي يبطر النُّفوس، ويدفعها إلى التَّرف، ويصـــدُّها عن الاجتهاد، والعمل، ويصـــرفها إلى الفراغ، والكســـل، حتى تفتر حيويَّتها، وتخور عزائمها . وبلوغ أولادها من السَّـبايا، وقد لمســت الأمَّة في تاريخها أثر هؤلاء في المجتمع الإسلاميّ من الوجهة السِّياسيَّة، والاجتماعيَّة، والدِّينيَّة . وقراءة الأعراب، والأعاجم القران، وإنَّما يريد عثمان بذلك ما في طبائع الأعراب من جفاءٍ، وغلظ الأكباد، فلا تبلغ هداية القران مكان الخير من أفئدتهم ؛ وكذلك يريد ما في الأعاجم من أخلاقٍ موروثةٍ، وعقائد متأصِّـــلةٍ، وعاداتٍ قديمةٍ تباعد بينهم وبين سـنن القران في الهداية، وقد ظهر أثر الأعراب في فرقة الخوارج الّذين كانت كثرتهم من أولئك الجفاة، فهم كانوا أقرأ النَّاس للقران، وأبعدهم عن هدايته، ثمَّ ظهر فيمن عداهم أثر الأعاجم فيما ابتدعوه من مذاهب، وتكلفوه من اراء كانت شـــرّاً على المســلمين في عقائدهم، ومنهم أكثر الفرق الضَّــالة الّتي لعبت في تاريخ الإســلام أخطر دورٍ[2] .

ثانياً: المرجعيَّة العليا للدَّولة:

---

[1] تاريخ الطَّبري (245/5) .

[2] عثمان بن عفَّان رضي الله عنه لصادق عرجون ، ص(199) .

أعلن ذو النُّورين: أنَّ مرجعيته العليا لدولته كتاب الله، وسـنَّة رسـوله(ﷺ)، والاقتداء بالشَّـيخين في هديهم، فقد قال:... ألا وإنِّي متَّبعٌ، ولسـت بمبتدعٍ، ألا وإنَّ لكم عليَّ بعد كتاب الله، وسـنَّة نبيّه(ﷺ) ثلاثاً: اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه، وسننتم[1] .

1- فالمصـدر الأول هو كتاب الله . قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا *﴾ **[النساء: 105] .**

فكتاب الله تعالى يشـتمل على جميع الأحكام الشَّـرعية الّتي تتعلَّق بشـؤون الحياة، كما يتضـمَّن مبادىء أسـاسـيَّةً، وأحكاماً قاطعةً لإصـلاح كلِّ شـعبةٍ من شـعب الحياة، كما بيَّن القران الكريم للمسـلمين كلَّ ما يحتاجون إليه من أسـسٍ تقوم عليها دولتهم .

2- المصدر الثَّاني: السنَّة المطهَّرة الّتي يستمدُّ منها الدُّستور الإسلاميُّ أصوله، ومن خلالها يمكن معرفة الصِّيغ التَّنفيذيَّة، والتطبيقيَّة لأحكام القران[2].

3- الاقتداء بالشَّيخين:

قال رسول الله(ﷺ): « اقتدوا باللَّذين من بعدي: أبي بكرٍ، وعمر »[3] .

إنَّ دولة ذي النُّورين خضعت للشَّريعة، وأصبحت سيادة الشَّريعة الإسلاميَّة فيها فوق كلِّ تشـريع وفوق كلِّ قانونٍ، وأعطت لنا صـورةً مضـيئةً مشـرِّفةً على أنَّ

---
(1) تاريخ الطَّبري (443/5) .
(2) فقه التَّمكين في القران الكريم للصَّلاَّبي ، ص(432) .
(3) صحيح سنن التِّرمذيِّ (200/3) .

الدَّولة الإسـلاميَّة دولة شـريعةٍ، خاضـعةً بكلِّ أجهزتها لأحكام هذه الشَّـريعة، والحـاكم فيهـا مقيَّد بأحكـامهـا، لا يتقـدَّم، ولا يتـأخَّر عنهـا[1]، ففي دولـة ذي النُّورين، وفي مجتمع الصَّـحابة، الشَّـريعة فوق الجميع، يخضـع لها الحاكم، والمحكوم، وطاعة الخليفة مقيَّدةٌ بطاعته لله، قال رسول الله(ﷺ): « لا طاعة في المعصية، إنَّما الطَّاعة في المعروف »[2]، وهيمنة الشَّـريعة على الدَّولة من خصـائص الخلافة الرَّاشـدة، فحكومة الخلافة الرَّاشـدة تتميَّز عن الحكومات الأخرى بعدَّة خصائص، منها:

- أنَّ اختصـاصـات الحكومة (الخليفة) عامَّة ؛ أي: تقوم على التَّكامل بين الشُّؤون الدُّنيويَّة، والدِّينيَّة .
- أنَّ حكومة الخلافة ملزمةٌ بتنفيذ أحكام الشَّريعة .
- أنَّ الخلافة تقوم على وحدة العالم الإسلاميِّ[3] .

ثالثاً: حقُّ الأمَّة في محاكمة الخليفة:

الأمـر الّذي لا شك فيه: أنَّ سلطة الخليفة ليست مطلقةً، وإنَّما هي مقيدةٌ بقيدين:

1 - ألا يخالف نصّاً صـريحاً ورد في القران الكريم والسُّـنَّة، وأن يكون الإجراء الّذي يتَّخذه متَّفقاً - فضلاً عن ذلك - مع روح الشَّريعة، ومقاصدها .

---

[1] نظام الحكم في الإسلام ، ص(227) .
[2] البخاريُّ ، رقم (7145) .
[3] فقه الخلافة ، للسَّنهوري ، ص(80) .

2 – ألا يخالف ما اتَّفقت عليه الأمَّة الإسلاميَّة، أو يخرج على إرادتها .

وأساس ذلك: أنَّ الخليفة نائبٌ عن الأمَّة، منها يستمدُّ سلطانه، ويرجع إليها في تحديد هذا السُّلطان، ومداه، فالأمَّة تستطيع في كلِّ وقت أن توسع من هذا السُّلطان، وأن تضيِّق منه، أو تقيِّده بقيودٍ كلَّما رأت في ذلك مصلحةً، أو ضماناً لحسن القيام على أمر الله، ومصلحة الأمَّة[1]، ويكون ذلك من خلال مجلس شورى الأمَّة، وقد أكَّد عثمان رضي الله عنه حقَّ الأمَّة في محاسبة الخليفة في قوله: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد ؛ فضعوا رجلي في القيد[2]. وحينما أخذت طائفةٌ عليه بعض أخطاء – في زعمها – في تصريفه لشؤون الحكم، وإسناد وظائفه، وتظاهرت عليه جموعٌ منهم لمحاسبته على أعماله، فأذعن رضوان الله عليه لرغبتهم، ولم ينكر عليهم هذا الحقَّ، وأبدى استعداداً كريماً لإصلاح ما عسى أن يكون أخطأه التَّوفيق في إبرامه[3] .

رابعاً: الشُّورى:

إنَّ من قواعد الدَّولة الإسلاميَّة حتميَّة تشاور قادة الدَّولة وحكَّامها مع المسلمين والنُّزول على رضاهم، ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشُّورى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ *﴾ [آل عمران: 159] .

---

[1] الدَّولة والسِّيادة ، د . فتحي عبد الكريم ، ص(268) .
[2] مسند الإمام أحمد ، الموسوعة الحديثيّة ، رقم (524) .
[3] الدَّولة والسِّيادة ، ص(379) .

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ **[الشورى: 38].**

وقد اتَّخذ عثمان رضي الله عنه في دولته مجلساً للشُّورى يتألَّف من كبار أصحاب رسول الله(ﷺ) من المهاجرين والأنصار[1]، وقد طلب عثمان رضي الله عنه من العمَّال، والقادة قائلاً: أمَّا بعد: فقوموا على ما فارقتم عليه عمر، ولا تبدِّلوا، ومهما أشكل عليكم ؛ فردُّوه إلينا نجمع عليه الأمَّة، ثم نردُّه عليكم[2]، فأخذ قادته بذلك، فكانوا إذا همُّوا بالغزو، والتقدُّم في الفتوحات الإسلاميَّة؛ استأذنوه، واستشاروه، فيقوم هو بدوره بجمع الصَّحابة، واستشارتهم للإعداد، والإقرار، والتَّنفيذ، ووضع الخطط المناسبة لذلك، ومن ثمَّ يأذن لهم[3]، فقد قام عبد الله بن أبي سرح، بالكتابة إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه طالباً منه أن يأذن له بأن يغزو أطراف إفريقيَّة، وذلك لقرب جزر الرُّوم من المسلمين، فأجابه الخليفة عثمان إلى ذلك بعد المشورة، وندب إليه النَّاس[4]، كما أنَّ معاوية بن أبي سفيان حين أراد فتح جزيرة قبرص، ورودس ؛ فعل الشَّيء نفسه في استشارة القيادة العليا المركزيَّة، وطلب الإذن بالسَّماح له، ولم يأته الجواب إلا بعد انعقاد مجلس الشُّورى، وبحثه في الموضوع، ومن ثمَّ السَّماح له[5].

وكان قادة الخليفة عثمان رضي الله عنه في إدارتهم للمعارك الحربية يتشاورون

---

[1] الإدارة العسكرية في الدَّولة الإسلاميَّة (277/1) .
[2] الإدارة العسكرية في الدَّولة الإسلاميَّة (277/1) نقلاً عن تاريخ الطَّبري .
[3] فتوح مصر ، ص(83) .
[4] المصدر السَّابق نفسه ، ص(183) .
[5] الإدارة العسكرية (278/1) .

فيما بينهم[1].

كما شــاور عثمان كبار الصَّــحابة في جمع القران، وفي قتل عبيد الله بن عمر للهرمزان، وحول التَّدابير الكفيلة بقطع دابر الفتنة، وفي مقام القضــاء، وغير ذلك من المواقف، والأحداث الّتي سيأتي بيانها في محلِّها بإذن الله .

خامساً: العدل والمساواة:

إنَّ من أهداف الحكم الإسـلاميِّ الحرص على إقامة قواعد النِّظام الإسـلاميِّ الّتي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهمِّ هذه القواعد: العدلُ، والمساواة، فقد كتب ذو النُّورين إلى النَّاس في الأمصـار، أن ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، ولا يُذِلَّ المؤمن نفســه، فإنِّي مع الضــعيف على القويِّ ما دام مظلوماً إن شــاء الله[2]. فقد كانت سياسته تقوم على العدل بأسمى صوره، فقد أقام الحدَّ على والي الكوفة الوليد بن عقبة (أخوه لأمِّه)، عندما شــهد عليه الشُّــهود بأنَّه شــرب الخمر، وعزله عن الولاية بسـبب ذلك، وسـيأتي تفصـيل هذه القصَّـة بإذن الله، وقبوله بتولية أبي موســى الأشـعريِّ مكانه ؛ لأنَّ أهل الكوفة لم يوافقوا على تولية سـعيد بن العاص خلفاً للوليد، وقد روي عنه أيضــاً: أنَّه غضــب على خادم له يوماً، فعرك أذنه، حتَّى أوجعه، ولم يســتطع أن ينام ليلته انذاك إلا بعد أن دعا خادمه إلى مضــجعه، وأمره أن يقتصَّ منه، فيعرك أذنه، وقد أبى الخادم في بادأى الأمر، ولكن عثمان أمره ثانيةً في حزمٍ، فأطاعه[3] .

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] تاريخ الطَّبري (414/4) .
[3] نظام الحكم في عهد الخلفاء الرَّاشدين ، حمد محمَّد الصَّمد ، ص(149) .

سادساً: الحرِّيَّات:

مبدأ الحرية من المبادأى الأســـاســـيَّة الّتي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الرَّاشـدين، ويقضـي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحرِّيَّة العامَّة للنَّاس كافَّةً ضـمن حدود الشَّـريعة الإسـلاميَّة، وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسـلام لحريَّة النَّاس، جميع النَّاس دعوةً واسـعةً، وعريضـةً قلَّما تشـتمل على مثلها دعوةٌ في التَّاريخ، وفي عهد الخلفاء الرَّاشدين كانت الحريات العامَّة المعروفة في أيَّامنا معلومةً، ومصونةً[1]، كحرية العقيدة الدِّينيَّة، وحريَّة التنقُّل، وحقِّ الأمن، وحرمة المسكن، وحرِّيَّة الملكيَّة، وحرية الرَّأي .

سابعاً: الاحتساب:

اهتمَّ أمير المؤمنين عثمان رضـي الله عنه بالاحتسـاب بنفسـه كما أسـنده إلى غيره، فقد ثبت قيامه رضي الله عنه بالاحتساب في مجالاتٍ عدَّةٍ منها:

1- إنكاره على لبس الثَّوب المعصفر:

ومن احتســابه رضــي الله عنه: أنَّه أنكر على محمَّد بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لبسه الثَّوب المعصفر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: راح عثمان رضي الله عنه إلى مكَّة حاجّاً، ودخلتْ على محمَّد بن جعفر بن أبي طالب امرأته،

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(157 ، 158) .

فبات معها حتَّى أصـبح غدا عليه ردع[1]، الطِّيب، وملحفةٌ معصـفرةٌ مفدَّمةٌ[2]، فأدرك النَّاس بملَلٍ[3]، قبل أن يروحوا؛ فلمَّا راه عثمان رضي الله عنه انتهر، وأفَّف، وقال: أتلبس المعصفر، وقد نهى عنه رسول الله(ﷺ)[4]؟!.

2- إنكاره على قاصدات العمرة والحجِّ وهنَّ في العدَّة:

ومن احتسـابه رضـي الله عنه أنَّه كان يرد النِّسـاء اللَّواتي كنَّ يخرجن للعمرة، أو الحجِّ، وهنَّ في العدَّة، فقد روى الإمام عبد الرزاق عن مجاهدٍ، قال: كان عمر، وعثمان رضي الله عنهما يُرجعان حواجَّ ومعتمراتٍ من الجحفة، وذي الحليفة[5] .

3- أمره بذبح الحمام:

ومن احتسـابه: أنَّه منع الناس من الانشـغال في طيران الحمام[6]، لما بدؤوا فيه مع سـعة العيش، وأمرهم بذبحه، فقد روى الإمام البخاريُّ عن الحسـن، قال: سمعت عثمان رضي الله عنه يأمر في خطبته بقتل الكلاب، وذبح الحمام[7].

4- احتسابه على اللَّعب بالنَّرد:

كان عثمان رضـي الله عنه ينهى عن اللَّعب بالنَّرد، وأمرهم بتحريقه، أو كسـره ممَّن كان في بيته، فقد روى الإمام البيهقيُّ عن زبيد بن الصَّـلت، أنَّه سمع عثمان بن عفَّان رضـي الله عنه وهو على المنبر يقول: يا أيُّها الناس إيَّاكم والميسـر - يريد

---

[1] ردع: لطخ وأثر .
[2] مفدَّمةٌ: مشبعةٌ حمرةً .
[3] ملل: موضع بين مكَّة والمدينة .
[4] المسند، رقم (517). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر: تعليقات الشيخ على المسند (384/1).
[5] المصنف ، رقم (12071) .
[6] تاريخ الطَّبري (415/5) .
[7] الأدب المفرد ، باب ذبح الحمام ، رقم (1307) .

النَّرد – فإنَّها قد ذكرت لي: أنَّها في بيوت ناسٍ منكم، فمن كان في بيته؛ فليحرقها، أو فليكسـرها . وقال عثمان رضـي الله عنه مرَّةً أخرى وهو على المنبر: يا أيها الناس ! إنِّي قد كلَّمتكم في هذا النَّرد، ولم أركم أخرجتموها، فلقد هممت أن امر بحزمِ الحطب، ثمَّ أرسل إلى بيوت الّذين هم في بيوتهم، فأحرقها عليهم[1].

5– إخراجه من يراه على شرٍّ، أو يشهر سلاحاً في المدينة:

ومن احتسابه أيضاً: أنَّه كان ينكر على من يراه على شرٍّ، أو كان يحمل معه سـلاحاً، ويخرجه من المدينة، فعن سـالم بن عبد الله رضـي الله عنه قال: وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شرٍّ، أو شهر سلاحٍ عصا فما فوقها إلا سيَّره[2].

6– ضربه لمن استخف بعمِّ النَّبيِّ(ﷺ):

ففي أيام خلافته ضـرب رجلاً في منازعةٍ اسـتخفَّ فيها بالعبَّاس بن عبد المطلب عمِّ الرَّسول(ﷺ)، فقيل له عن مبرِّرات ضربه . فقال: نعم ! أيفخِّم رسول الله(ﷺ) عمَّه، وأرخِّص في الاستخفاف به، لقد خالف رسول الله(ﷺ) مَنْ فعل ذلك ومَنْ رضي به منه[3] .

7– نهيه عن الخمر ؛ لأنَّها أم الخبائث:

روى النَّسائيُّ في سننه، والبيهقيُّ في سننه عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه

---

(1) السُّنن الكبرى ، كتاب الشَّهادات (215/10) .
(2) تاريخ الطَّبري (416/5) معظم هذه الفقرة أخذتها من كتاب الحسبة في العصر النَّبوي ، والعهد الرَّاشدي للدكتور فضل إلهي .
(3) تاريخ الطَّبري (417/5) .

أنَّه قال:

اجتنبوا الخمر ؛ فإنَّها أمُّ الخبائث، إنَّه كان رجلٌ ممَّن خلا قبلكم يتعبَّد، فَعَلِقَتْه امرأة أغوته، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنَّها تدعوك للشَّهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفق كلَّما دخل باباً أغلقَته دونه، حتَّى أفضى إلى امرأةٍ وضيئةٍ، عندها غلامٌ، وباطية خمرٍ، فقالت: والله ما دعوتك للشَّهادة، ولكن دعوتك لتقع عليَّ، أو تشرب من هذه الخمرة كأساً، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذا الخمر كأساً، فسقته كأساً، فقال: زيدوني، فلم يَرِمْ حتَّى وقع عليها، وقتل الغلام ! فاجتنبوا الخمر، فإنَّها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ويوشك أن يخرج أحدُهما من صاحبه[1]!

8 – مِنْ خطب عثمان في المجتمع وَمِنْ حِكَمِهِ:

أ – خطبة في الاستعداد ليوم المعاد:

يقول الحسن البصريُّ – رحمه الله –: خطب عثمان بن عفَّان، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيها الناس ! اتَّقوا الله، فإنَّ تقوى الله غُنم، وإنَّ أكيس النَّاس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر، وليخش عبدٌ أن يحشره الله أعمى، وقد كان بصيراً، وقد يكفي الحكيم جوامعُ الكلام، والأصمُّ ينادَى من مكانٍ بعيدٍ، واعلموا: أنَّ من كان الله معه لم يخف شيئاً، ومن كان الله عليه؛ فمن يرجو بعده[2] ؟ !

(1) سنن النَّسائي ، كتاب الأشربة ، موسوعة فقه عثمان ، ص(52) .
(2) صحيح التَّوثيق في سيرة وحياة ذي النُّورين ، ص(107) .

وعن عثمان رضـــي الله عنه: أنَّ رســـول الله(ﷺ) قال: إنَّ الجمَّاء لتُقصُّ من القرناء يوم القيامة[1].

ب – التَّذكير بمكارم الأخلاق:

قال عثمان رضـــي الله عنه: إنَّا والله صـــحبنا رســـول الله(ﷺ) في السَّـــفر، والحضـــر، فكان يعود مرضـــانا، ويشـــيّع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواســـينا بالقليل، والكثير، وإنَّ ناساً يعلمونني به، عسى ألا يكون أحدُهم راه قطُّ[2] .

ج – من حكمه الّتي سارت بين النَّاس:

- قال رضي الله عنه: لو طهرت قلوبنا، ماشبعتم من كلام ربِّكم[3] .
- وقال رضي الله عنه: ماأسرَّ أحدٌ سريرةً إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه، وفلتات لسانه[4] .
- إنَّ الله ليزعُ بالسُّلطان ما لا يزع بالقران[5] .
- وكان رضـــي الله عنه لا يقيم للدُّنيا وزناً، فقال فيها: (هَمُّ الدُّنيا ظلمةٌ في القلب، وَهَمُّ الاخرة نورٌ في القلب)[6] .
- ومن حكمه البالغة: يكفيك من الحاسد أنَّه يغتمُّ وقت سرورك[7].
- وقال رضـــي الله عنه في أيام الفتنة: أســـتغفر الله إن كنت ظلمتُ، وقد

---

[1] الموسوعة الحديثية في مسند أحمد ، رقم (520) .
[2] صحيح التَّوثيق في سيرة وحياة ذي النُّورين ، ص(107) .
[3] جامع العلوم والحكم ، ص(363) .
[4] فرائد الكلام للخلفاء الكرام ، ص(269) .
[5] الكامل في اللُّغة والأدب (157/1) .
[6] الاستعداد ليوم المعاد ، ص(9) .
[7] مجمع الأمثال ، للميداني (453/2) .

عفوتُ إن كنت ظُلِمتُ[1] .

- ومن حكمه، ومواعظه رضـــي الله عنه: إنَّ لكلِّ شـــيء افةً، ولكلِّ نعمةٍ عاهةً، وإنَّ افة هذا الدِّين، وعاهة هذه النِّعمة عيَّابون صغَّانون، يُرُونكم ما تحبُّون، ويُسِرُّون ما تكرهون، طَغَامٌ مثل النَّعام[2].
- ولما قدم عبد الله بن الزُّبير بفتح إفريقية، أمره عثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه فقام خطيباً، فلمَّا فرغ من كلامه، قال عثمان: انكحوا النِّســـاء على ابائهنَّ، وإخوتهنَّ، فإنِّي لم أرَ في ولد أبي بكر الصِّدِّيق أشبه به من هذا[3]، وعبد الله بن الزُّبير أمه أسماء بنت أبي بكر، ويريد أنَّ ابن الزبير كان شبيهاً بجدِّه في الشَّجاعة، والإقدام، والفصاحة[4] .
- وقال رضي الله عنه: ما من عاملٍ يعمل عملاً إلا كساه الله رداء عمله[5].
- وقال رضي الله عنه: إنَّ المؤمن في خمسة أنواع من الخوف: أحدها من قبل الله تعالى أن يأخذ منه الإيمان، والثَّاني من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضـح به يوم القيامة، والثَّالث من قبل الشَّـيطان أن يبطل عمله، والرَّابع من قبل ملك الموت أن يأخذه في غفلةٍ بغتةً، والخامس من قبل الدُّنيا أن يغترَّ بها، وتُشغله عن الاخرة[6].
- وقال رضـي الله عنه: وجدت حلاوة العبادة في أربعة أشـياء: أوَّلها في أداء

---

[1] تاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص(171) .
[2] مجمع الأمثال ، للميداني (453/20) .
[3] البيان والتبيين (95/2) .
[4] فرائد الكلام ، ص(271) .
[5] الزُّهد ، للإمام أحمد ، ص(185) .
[6] فرائد الكلام للخلفاء الكرام ، ص(278) .

فرائض الله، والثَّاني في اجتناب محارم الله، والثَّالث في الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله، والرَّابع في النَّهي عن المنكر اتِّقاء غضب الله[1].

9 – عثمان رضي الله عنه والشِّعر والشُّعراء:

لم تذكر لنا المصادر والمراجع سوى النَّزر القليل عن علاقة عثمان رضي الله عنه مع الشِّعر، والشُّعراء، مع أنَّ فترة خلافته كانت طويلة نسبياً، ومن هذا القليل تبيَّن لنا أنَّه كان ملتزماً المنهج العامَّ للعقيدة الإسلاميَّة الَّتي وضَّح معالمها الرَّسول(ﷺ) والَّتي سلك طريقها سلفه أبو بكر الصِّدِّيق، وعمر بن الخطَّاب رضي الله عنهما، ولا شكَّ: أنَّ لكلٍّ منهم شخصيته الأدبيَّة المميَّزة، فقد اشتهر أبو بكر بمعرفة الأنساب، وبعلمه الوافر، وحسن مجالسته، وبروايته للشِّعر، واشتهر عمر بالحثِّ على تعلُّم الشِّعر، وأنَّه لم تكن تعرض له قضيَّةٌ إلا تمثَّل ببيت شعرٍ، أضف إلى ذلك: أنَّه كان شاعراً، أمَّا عثمان بن عفَّان – رضوان الله عليه – فلم يؤثر عنه ذلك الانغماس الكبير في الشِّعر، أو تلك العلاقة الحميمة مع الشُّعراء، وإذا كنَّا نعرف: أنَّ الشعراء كانوا يتهافتون على أبواب الأمراء طمعاً برضاهم، وبأعطيتهم، فإننا نرى: أنَّ الشعراء أيَّام عثمان، يتركون الحواضر، ودار الخلافة ويؤثرون العودة إلى البادية[2]، وقد ذكرت كتب الأدب، والتَّاريخ بعض الأبيات نسبتها إلى عثمان، أو كان يتمثَّل بها، ومن هذه الأبيات ما يروى أنَّه قال:

وَاعْلَمْ بأنَّ الله لَيْسَ كَصُنْعِهِ ... صُنْعٌ وَلا يَخْفى عَلَيهِ مُلْحِدُ

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(278) .
[2] أدب صدر الإسلام ، واضح الصَّمد ، ص(99) .

وكان كثيراً ما ينشد أبياتاً قالها، ويطيل ذكرها، لا تعرف لغيره:

تَفْنَى اللَّذَائِذُ مِمَّنْ نَالَ صَـــفْوَتَهَا   مِنَ الحَرَامِ وَيبْقَى الإِثْمُ وَالْعـار

يَلْقَى عَوَاقِبَ سُـــوْءٍ مِنْ مَغَبَّتِهَا   لا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا نَارُ[1]

قال يوم دخل عليه الثَّائرون في بيته ليقتلوه:

أَرَى الْمَوتَ لاَ يُبْقِي عَزِيْزاً وَلَمْ يَدَع   لِعَـاد مَلاَذاً فِي البِلاَدِ وَمَرْتَعـا[2]

وقال لما حوصر في داره:

يُبَيَّتُ أَهْلُ الحِصْنِ وَالحِصْنُ مُغْلَقٌ   وَيأْتِي الجِبَـالَ الْمَوْتُ شِمْرَاخَـها العُلاَ[3]

ويروى له أيضاً:

غِنَى النَّفْسِ يُغْنِي النَّفْسَ حَتَّى يَكُفَّها   وإِنْ عَضَّـهَا حَتَّى يَضُـرَّ بِهَا الْفَقْرُ

وَمَا عُسْـــرَةٌ فَاصْـــبِرْ لَهَا إِنْ لَقِيْتَ   بِكَـائِنَـةٍ إِلا سَـــيَتْبَعُهَا يُسْـــر

ونلاحظ في البيت الأخير، أنَّه يتضمَّن معنىً قرانيّاً: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *﴾

[الشرح: 6] وهذا ليس غريباً على الخليفة المسلم، الّذي نشأ، وترعرع في أحضان محمَّد(ﷺ) فهو يعاقب على شـــعر الهجاء الّذي يتعارض، وأحكام الشـــريعة الإسـلاميَّة، ويثني على الشِّعر الحسـن، ويحبُّ الاستماع إليه، وكلُّ ذلك ضمن المفاهيم الإسلاميَّة[4].

---

[1] شعراء الخلفاء ، نبال تيسير الخمَّاش ، ص(27) .
[2] البداية والنهاية (192/7) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] أدب صدر الإسلام ، واضح الصَّمد ، ص(102) .

وإذا كان الخليفة الرَّاشــد الثَّالث لم يهتمَّ بالشِّـعر، ولم يقرِّب إليه الشُّـعراء، فإنَّ مقتله من قبل الغوغاء فتح الباب على مصـراعيه لازدهار الشِّـعر السِّـياسـيِّ الّذي أصبح الأداة الصَّـحافيَّة الفاعلة في العصـور الإسـلاميَّة المتلاحقة، فعند مقتله بكاه كثيرٌ من شعراء الصَّحابة[1] وسيأتي بيان ذلك بإذن الله .

* * *

[1] الأدب الإسلاميُّ ، د . نايف معروف ، ص(190) .

المبحث الثَّالث : أهمُّ صفاته

إنَّ شخصيَّة ذي النُّورين تعتبر شخصيَّة قياديَّةً، وقد اتَّصف رضي الله عنه بصفات القائد الرَّبَّاني، ونجملها في أمورٍ، ونركِّز على بعضها بالتفصيل، فمن أهم هذه الصِّفات: إيمانه العظيم بالله واليوم الاخر، والعلم الشَّرعيُّ، والثِّقةُ بالله، والقدوة، والصِّدق، والكفاءة، والشَّجاعة، والمروءة، والزُّهد، وحب التَّضحية، والتَّواضع، وقبول النَّصيحة، والحلم، والصَّبر، وعلو الهمَّة، والحزم، والإرادة القويَّة، والعدل، والقدرة على حلِّ المشكلات، والقدرة على التَّعليم، وإعداد القادة، وغير ذلك من الصِّفات، وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربَّانيَّة استطاع أن يحافظ على الدَّولة، ويقمع الثَّورات الّتي حدثت في الأراضي المفتوحة، وينتقل بفضل الله، وتوفيقه بالأمَّة نحو أهدافها المرسومة بخطواتٍ ثابتةٍ، ومن أهمِّ تلك الصِّفات الّتي نحاول تسليط الأضواء عليها في هذا المبحث هي:

أولاً: العلم، والقدرة على التَّوجيه، والتعليم:

يعتبر عثمان رضي الله عنه من كبار علماء الصَّحابة في القران الكريم، والسُّنَّة النَّبويَّة، وسيأتي الحديث عن اجتهاداته الفقهيَّة في المجال القضائيِّ، والماليِّ، والجهاديِّ بإذن الله تعالى، وكان رضي الله عنه حريصاً على اتِّباع هدي النَّبيِّ(ﷺ) وأبي بكرٍ، وعمر رضي الله عنهما، فعن عروة بن الزُّبير: أنَّ عبيد الله بن عديِّ بن الخيار أخبره: أنَّ المسور بن مخرمة، وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا له: ما يمنعك أن تكلِّم خالك، يكلِّم أمير المؤمنين عثمان في الوليد بن عقبة، وقد

أكثر النَّاس فيما فعل ؟ قال: عُبَيد الله: فاعترضت لأمير المؤمنين عثمان حين خرج إلى الصَّلاة، فقلت له: إنَّ لي إليك حاجةً، هي نصيحةٌ . قال: قال: يا أيُّها المرء! إِنِّي أعوذ بالله منك ! قال: فانصرفت، فلمَّا قضيت الصَّلاة جلست إلى المسور، وابن عبد يغوث، فحدَّثتهما بالّذي قلت لأمير المؤمنين، وقال لي، فقالا: قد قضَيت الّذي عليك، فبينما أنا جالس معهما جاءني رسول أمير المؤمنين عثمان، فقالا لي: قد ابتلاك الله، فانطلقت حتَّى دخلت على عثمان، فقال: ما نصيحتك الّتي ذكرت لي انفاً ؟ قال: فتشـــهَّدت، ثم قلت له: إنَّ الله – عزَّ وجلَّ – بعث محمَّداً بالحقِّ، وأنزل عليه الكتاب، فكنت ممَّن استجاب لله، ولرسوله(ﷺ)، ورأيت هديه، وقد أكثر النَّاسُ في شـــأن الوليد، فحقٌّ عليك أن تقيم عليه الحدَّ، قال: فقال لي: ابن أختي! أدركتَ رسول الله(ﷺ) ؟ قال: فقلت: لا، ولكن خَلصَ إليَّ من علمه واليقين ما يَخلُص إلى العذراء في سِتْرها . قال: فتشهَّد، ثمَّ قال: أمَّا بعد: فإنَّ الله بعث محمَّداً بالحقِّ، فكنتُ ممَّن اســـتجاب لله، ولرســـوله، وامن بما بُعث محمَّد(ﷺ) ثمَّ هاجرت الهجرتين، كما قلت، ونلت صهر رسول الله(ﷺ) وبايعتُ رسول الله(ﷺ) فوالله ما عصيتُه، ولا غششته، حتَّى توفاه الله ! ثمَّ استُخلف بعده أبو بكرٍ، فبايعناه، فوالله ما عصيتُه، ولاغششته ؛ حتَّى توفَّاه الله ! ثمَّ استُخلف عمر، فوالله ما عصيته، ولا غششته ؛ حتى توفاه الله ! ثم استخلفني الله؛ أفليس لي عليكم مثل الّذي كان لهم عليَّ ؟ قال: فقلت: بلى ! قال: فما هذه الأحاديث الّتي تبلغني عنكم ؟ فأمَّا ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه إن شاء الله بالحقِّ، قال: فجلد الوليد أربعين سوطاً، وأمر عليّاً بجلده، فكان هو يجلده[1] .

---

[1] فضائل الصَّحابة (597/1) ، رقم (791) إسناده صحيح .

لقد لازم ذو النُّورين النَّبيّ(ﷺ) فاستفاد من علمه، وهديه ممَّا جعله من كبار علماء الصَّحابة رضي الله عنهم جميعاً، وكان رضي الله عنه قادراً على توجيه رعيَّته توجيهاً مفيداً، وتعليمهم واجباتهم، ونقل ارائه النَّابعة من علمه، وخبرته، وتجاربه، وممارسته إليهم ؛ حتَّى يرتقوا في مجال الدَّعوة، والتَّربية، والتَّعليم، والجهاد، والاستعداد للقاء الله – عزَّ وجلَّ –، ومن توجيهات عثمان رضي الله عنه ما تضمَّنته خطبة خلافته الّتي قال فيها بعد أن حمد الله، وأثنى عليه، وصلَّى على النَّبيّ(ﷺ): إنَّكم في دار قلعةٍ، وفي بقيَّة أعمارٍ، فبادروا اجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أُتيتم، صُبِّحتم أو مُسِّيتم، ألا وإنَّ الدُّنيا طويت على الغرور، فلا تغرَّنكم الحياة الدُّنيا، ولا يغرَّنكم بالله الغرور، واعتبروا بمن مضى ثمَّ جدُّوا، ولاتغفلوا، أين أبناء الدُّنيا، وإخوانها الّذين أثاروها، وعمروها، ومُتِّعوا بها طويلاً، ألم تلفظهم ؟ ! ارموا الدُّنيا بالّذي هو خير[1]، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً*﴾ **[الكهف: 45 - 46]** .

ولقد كان المعنى الّذي يدور حوله توجيه الخليفة الثَّالث رضي الله عنه في هذه الخطبة هو الحضُّ على الإقبال على الله، والزُّهد في الدُّنيا، وهذا هو المناسب لخطبته في ذلك الوقت الّذي ألقى فيه الإسلام بجرانه في أقطار المعمورة، وفُتحت البلدان، وأقبلت الدُّنيا بنعيمها، وبدأ النَّاس في التنافس فيها، وبخاصةٍ غير

(1) البداية والنهاية (153/7) .

أصحاب رسول الله(ﷺ)، فكان المقال مناسباً للمقام[1] .

وقد روى عثمان رضـــي الله عنه أحاديث عن رســـول الله، انتفعت بها الأمَّة، فهذا أبو عبد الرحمن السُّـلميّ يحدِّثنا عن حديثٍ سمعه من عثمان، فعمل به، فعن ســـعد ابن عبيدة عن أبي عبد الرَّحمن السُّـــلميُّ عن عثمان رضـــي الله عنه عن النَّبيّ(ﷺ) قال: « خيركم من تعلَّم القران، وعلَّمه »[2]. قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتَّى كان الحجَّاج، قال: وذاك الّذي أقعدني مقعدي هذا، وفي روايةٍ عن شعبة، قال أبو عبد الرحمن: فذاك الّذي أقعدني مقعدي هذا، وكان يعلِّم القران[3]، وكان عثمان رضي الله عنه يروي أحاديث رسول الله للمسلمين كلٌّ في محلِّه ومناسبته، ومن هذه الأحاديث:

1- أهمِّيَّة الوضوء:

توضـــأ عثمان على البلاط، ثمَّ قال: لأحدِّثنَّكم حديثاً سمعته من رســـول الله(ﷺ)، لولا ايةٌ في كتاب الله؛ ماحدَّثتكموه، سمعت رســـول الله(ﷺ) يقول: «من توضـأ، فأحســن الوُضــوء، ثمَّ دخل، فصـلَّى؛ غفر له ما بينه وبينَ الصَّـلاة الأخرى؛ حتَّى يصلِّيها»[4].

2- اتباعه لرسول الله(ﷺ) في الوضوء:

عن حمران بن أبان عن عثمان بن عفَّان: أنَّه دعا بماءٍ، فتوضَّـأ، ومضـــمض،

---

[1] الكفاءة الإدارية في السِّياسة الشَّرعية ، للقادري ، ص(93) .
[2] البخاريُّ ، رقم (5028) .
[3] الخلافة الرَّاشدة ، د . يحيى اليحيى ، ص(420 ، 421) .
[4] الموسوعة الحديثيَّة ، مسند أحمد ، رقم (400) إسناده صحيحٌ .

واستنشق، ثمَّ غسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه، وظهر قدميه، ثمَّ ضحك، فقال لأصحابه: ألا تسألوني عمَّا أضحكني ؟ فقالوا: ممَّ ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال: رأيت رسول الله(ﷺ) دعا بماء قريباً من هذه البقعة، فتوضَّأ كما توضَّأت، ثم ضحك، فقال: « ألا تسألوني ما أضحكني ؟ » فقالوا: ما أضحكك يا رسول الله ؟ فقال: « إنَّ العبد إذا دعا بوضوءٍ، فغسل وجهه؛ حطَّ الله عنه كلَّ خطيئةٍ أصابها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه ؛ كان كذلك، وإن مسح برأسه ؛ كان كذلك، وإن طهَّر قدميه ؛ كان كذلك »[1] .

3- كفارات الوضوء:

عن عثمان قال: قال رسول الله(ﷺ): « من أتمَّ الوضوء كما أمره الله عزَّ وجلَّ، فالصَّلوات المكتوبات كفاراتٌ لما بينهنَّ »[2].

4- الوضوء وصلاة ركعتين ومغفرة الذنوب:

دعا عثمان بماءٍ وهو على المقاعد، فسكب على يمينه، فغسلها، ثمَّ أدخل يمينه في الإناء، فغسل كفَّيه ثلاثاً، ثمَّ غسل وجهه ثلاث مرارٍ، ثمَّ مسح برأسه، ثمَّ غسل رجليه إلى الكعبين ثلاث مرارٍ، ثمَّ قال: سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: « من توضَّأ نحو وضوئي هذا، ثمَّ صلَّى ركعتين، لا يحدِّثُ نفسه فيهما ؛ غفر الله له ما تقدم من ذنبه »[3].

[1] الموسوعة الحديثية ، مسند أحمد ، رقم (415) صحيحٌ لغيره .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، رقم (406) إسناده صحيحٌ .
[3] المصدر السَّابق نفسه ، رقم (418) إسناده صحيحٌ .

5- كلمة الإخلاص، وكلمة التَّقوى:

قال عثمان رضـي الله عنه: سمعت رسـول الله(ﷺ) يقول: « إنِّي لأعلم كلمةً لا يقولها عبدٌ حقّاً من قلبه إلا حُرِّم على النَّار » . فقال له عمر بن الخطَّاب: أنا أحـدِّثـك مـا هي ؟ هي كلمـة الإخلاص، الّتي ألزمهـا الله - تبـارك وتعـالى - محمَّداً(ﷺ)، وأصحابه، وهي كلمة التَّقوى ؛ الّتي ألاص[1]عليها نبيُّ الله(ﷺ) عمَّه أبا طالبٍ عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله[2] .

6- العلم بالله يدخل العبد الجنَّة:

عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه عن النَّبيّ(ﷺ) قال: من مات ؛ وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنَّة[3] .

7- الحسنات، والباقيات:

عن الحارث مولى عثمان، قال: جلس عثمان يوماً، وجلسـنا معه، فجاءه المؤذِّن، فدعا بماءٍ في إناءٍ، أظنُّه سـيكون فيه مُدٌّ، فتوضَّـأ، ثمَّ قال: رأيت رسـول الله(ﷺ) يتوضَّأ وضوئي هذا، ثمَّ قال: « ومن توضأ وضوئي هذا، ثمَّ قام فصلَّى صـلاة الظُّهر ؛ غفر له ما كان بينها وبين الصُّبح، ثمَّ صـلى العصـر ؛ غُفِر له ما بينها وبين صلاة الظُّهر، ثمَّ صَلى المغرب ؛ غُفر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثمَّ

---

(1) ألاصَ: أداره عليها ، وراوده فيها .
(2) مسند أحمد ، رقم (447) إسناده قويٌّ .
(3) مسند أحمد ، رقم (464) إسناده صحيحٌ .

صلى العشاء ؛ غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب ؛ ثمَّ لعلَّه أن يبيت يتمرَّغ ليلته، ثمَّ إن قام، فتوضأ، وصلَّى الصُّبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهنَّ الحسنات يُذهبن السيِّئات ». قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هنَّ: (لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول، ولا قوَّة إلا بالله)[1] .

8 – خطورة الكذب على رسول الله(ﷺ):

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله(ﷺ): « من تعمَّد عليَّ كذباً ؛ فليتبوأ بيتاً في النَّار »[2] .

هذه بعض الأحاديث الّتي رواها عثمان عن رسول الله(ﷺ)، وتدلُّ على علم عثمان وحرصه على الاستزادة من الهدي النَّبويِّ، وفقه الشَّريعة الغرَّاء .

ثانياً: الحلم:

إنَّ الحلم ركنٌ من أركان الحكمة، وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدَّة مواضع من القران الكريم، كقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ *﴾ **[آل عمران: 155] .** وقد بلغ رضي الله عنه في حلمه، وعفوه الغاية المثاليَّة، وكان الخليفة الرَّاشد عثمان بن عفَّان شديد الاقتداء في أقواله، وأفعاله، وأحواله برسول الله(ﷺ)، وكانت له مواقف كثيرةٌ، تدلُّ على حلمه، وضبطه

(1) المصدر السَّابق نفسه ، رقم (513) إسناده حسنٌ .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، رقم (507) إسناده صحيحٌ .

لنفسه، ومن أوضح المواقف الّتي تدلُّ على حلمه قصَّته في حصار الثائرين عليه، حيث أمر مَنْ عنده مِنَ المهاجرين، والأنصار أن ينصرفوا إلى منازلهم، ويَدَعُوه، وكانوا قادرين على منعه، وكان حلمه مبنيّاً على شوقه إلى لقاء ربِّه، وإرادته حقن دماء المسلمين، ولو بقتله[1].

ثالثاً: السَّماحة:

عن عطاء بن فرُّوخ مولى القرشيّين: أنَّ عثمان رضي الله عنه اشترى من رجلٍ أرضاً، فأبطأ عليه، فلقيه فقال: ما منعك من قبض مالك ؟ قال: إنَّك غبنتني، فما ألقى من النَّاس أحداً إلا وهو يلومني، فقال: أو ذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك، ومالك، ثمَّ قال: قال رسول الله(ﷺ): « أدخل الله الجنَّة رجلاً كان سهلاً مشترياً، وبائعاً، وقاضياً، ومقتضياً »[2] . فهذا مثلٌ رفيعٌ في السَّماحة في البيع والشِّراء، وهو يدلُّ على ما جبل عليه عثمان رضي الله عنه من الكرم، وعدم التعلُّق بالدُّنيا، فهو يستعبد الدُّنيا لخدمة مكارم الأخلاق؛ الّتي من أهمها: الإيثار، ولا تستعبده الدنيا، فتجعل منه أنانيّاً يؤثر مصالحه الخاصَّة ؛ وإن أضرَّ بالنَّاس[3] .

رابعاً: اللين:

امتنَّ الله تعالى على رسوله(ﷺ) بأن رزقه صفة اللِّين رحمةً منه به، وبعباده،

---

[1] الكفاءة الإدارية ، ص(65) .
[2] مسند أحمد ، رقم (410) حسنٌ لغيره .
[3] التَّاريخ الإسلامي (17 ، 126/18) .

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159] .

أفادت الاية الكريمة: أنَّ صفة اللِّين رحمةٌ من الله يرزقها من شاء من عباده، وأنّ الرَّسول(ﷺ) قد رُزق هذه الصِّفة رحمةً من الله به، وبعباده الّذين بعثه إليهم، ويفهم من الاية: أنَّ المتَّصف باللّين يحبُّه الناس، ويلتفُّون حوله، ويقبلون منه ما يأمرهم به، أو ينهاهم عنه[1]، فاللِّين من الصِّفات الطَّيبة الّتي اتَّصف بها عثمان، رضي الله عنه، فكان رضي الله عنه ليّناً على رعيته، عطوفاً على أمَّته، يخاف أن يصاب أحدٌ دون علمه، فلا يتمكن من تلبية حاجته، وكان يتتبَّع أخبار النَّاس، فينصر الضَّعيف، ويأخذ الحقَّ من القويِّ رضي الله عنه .

خامساً: العفو:

عن عمران بن عبد الله بن طلحة: أنَّ عثمان بن عفَّان رضي الله عنه خرج لصلاة الغداة، فدخل من الباب الّذي كان يدخل منه، فزحمه الباب، فقال: انظروا، فنظروا، فإذا رجلٌ معه خنجرٌ، أو سيفٌ، فقال له عثمان رضي الله عنه: ما هذا؟ قال: أردت أن أقتلك. قال: سبحان الله! ويحك عَلاَمَ تقتلني ؟ ! قال: ظلمني عاملك باليمن، قال: أفلا رفعت ظلامتك إليَّ، فإن لم أنصفك - أو أعديك - على عاملي ؛ أردتَ ذلك منِّي ؟ فقال لمن حوله: ما تقولون ؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين ! عدوٌّ أمكنك الله منه . فقال: عبدٌ همَّ بذنبٍ، فكفَّه الله عنِّي، ائتني بمن يكفل بك، لا تدخل المدينة ما وليتُ أمر المسلمين، فأتاه برجلٍ من

(1) الكفاءة الإداريَّة ، ص(69) .

قومه، فكفل به، فخلّى عنه[1] .

فهذا تسامحٌ كبيرٌ من أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، حيث عفا عمَّن أراد قتله، والعفو عند المقدرة صـــفةٌ من صـــفات الكمال في الرِّجال، وهو دليلٌ على التجرُّد من حظِّ النَّفس، وتقلُّص الأنانية، وضـــعف الارتباط بالدُّنيا، وقوّة الارتباط بالاخرة، وهذا الخلق إضـــافةً إلى أنَّه عملٌ صـــالحٌ يرفع من درجات صاحبه في الاخرة ؛ فإنَّه سياسةٌ حكيمةٌ في الدُّنيا ؛ إذ إنَّ هذا الرَّجل ؛ الّذي أراد الاعتداء لو أنَّه قتل، أو عوقب عقوبةً بليغةً لربَّما أحدث فتنةً بإيغار صـــدور أفراد قبيلته، واستعدادهم للانتقام إذا سنحت لهم الفرصة، لكنَّ العفو عنه يجعل أفراد قبيلته، وأبناء بلده يعذلونه، ويعنِّفونه على ما حاول الإقدام عليه، وبذلك تنطفأى الفتنة قبل تصاعدها، ويكسب صاحب العفو قلوب النَّاس، وولاءهم[2].

سادساً: التَّواضع:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُـــونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا*﴾ **[الفرقان: 63]** .

جعل المولى – عزَّ وجلَّ – صفة التَّواضع أوَّل صفات عباده المؤمنين، ولقد كان الخليفة الرَّاشـد عثمان متَّصـفاً بهذه الصِّـفة، وكانت هذه الصِّـفة تنبع من إخلاصـــه لله ســـبحانه وتعالى، فعن عبد الله الرُّوميّ، قال: كان عثمان بن عفَّان يأخذ وضوءه لنفسه إذا قام من اللَّيل، فقيل له: لو أمرت الخادم ؛ كفاك ! قال:

---

[1] التَّاريخ الإسلامي (17 ، 22/18) نقلاً عن تاريخ المدينة المنورة ، ص (1027 ، 1028) .
[2] التَّاريخ الإسلامي (17 ، 22/18) .

لا، اللَّيل لهم يستريحون فيه[1] . فهذا مثلٌ من اتِّصاف أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالرَّحمة، فهو مع كبر سنه وعلوِّ منزلته الاجتماعيَّة يخدم نفسه في اللَّيل، ولا يوقظ الخدم، وإنَّ وجود الخدم من تسخير الله تعالى للمخدومين، وإنَّ ممَّا ينبغي للمسلم الَّذي سخَّر الله تعالى له من يخدمه أن يتذكَّر: أنَّ الخادم إنسانٌ مثله، له طاقةٌ محدودةٌ في العمل، وله مشاعر، وأحاسيس، فينبغي له أن يراعي مشاعره، وأن ييسر له الرَّاحة كاملةً في النَّوم، وأن لا يشقَّ عليه بعملٍ[2]، وكان رضي الله عنه من تواضعه واحترامه لعمِّ النَّبيِّ(ﷺ) إذا مرَّ به وهو راكبٌ ؛ نزل حتَّى يزول العبَّاس احتراماً، وتقديراً له[3].

سابعاً: الحياء، والعفَّة:

الحياء من أشهر أخلاق عثمان رضي الله عنه، وما أحلاها تلك الصِّفة النَّبيلة الَّتي زيَّنه الله بها، فكانت فيه منبع الخير، والبركة، ومصدر العطف، والرَّحمة، فقد كان رضي الله عنه من أشدِّ الناس حياءً[4]، فقد ذكر الحسن البصريُّ – رحمه الله – عثمان بن عفَّان يوماً، وشدَّة حيائه، فقال: إنَّه ليكون في البيت، والباب عليه مغلقٌ، فما يضع عنه ثوبه ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يُقيم صلبه[5]، ومن حيائه رضي الله عنه: ما روته بُنانة، وهي جاريةٌ لامرأته، تقول: كان عثمان إذا اغتسل جئته بثيابه، فيقول لي: لا تنظري إليَّ، فإنَّه لا يحلُّ لك[6] . وقد وردت

[1] فضائل الصحابة ، رقم (742) إسناده صحيحٌ ،وهو روايةٌ أخرى .
[2] التَّاريخ الإسلامي (17 ، 62/18) .
[3] التبيين في أنساب القرشيّين ، ص(153) .
[4] عثمان بن عفّان رضي الله عنه ، لصادق عرجون ، ص(48 ، 49) .
[5] صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النُّورين ، ص (43) .
[6] طبقات ابن سعد (59/3) خبرٌ لا بأس به .

الأحاديث النَّبويَّة الّتي تحدثت عن حيائه، وقد ذكرتها في موضعها، وأمَّا عن عفَّته، وبعده عن مساوأى الأخلاق ؛ فحدِّث في ذلك بما شئت، ولا حرج، فإنَّه رضي الله عنه لم يعرف طريق الفحشاء في الجاهليَّة، ولا في الإسلام، يقول عثمان رضي الله عنه: ما تغنَّيت، ولا تمنَّيت[1]، ولا مسستُ ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله(ﷺ)، ولا شربت خمراً في جاهليةٍ، ولا في الإسلام، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام[2]

ثامناً: كرمه:

كان عثمان رضي الله عنه من أكرم الأمَّة، وأسخاها، وله في ذلك مواقف، وماثر لا تزال غرَّةً في جبين التَّاريخ الإسلاميّ، فقد مرَّ معنا ما قام به في غزوة تبوك، وشراؤه لبئر رومة، وتصدُّقه به على المسلمين، وتوسيعه للمسجد النَّبوي في عهد النَّبيّ(ﷺ)، وتصدُّقه بالقافلة المحمَّلة بالخيرات في عصر الصِّدِّيق رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يعتق كلَّ جمعة رقبةً في سبيل الله منذ أسلم، فجميع ما أعتقه ألفان، وأربعمئة رقبةٍ تقريباً[3]، وقد رُوي: أنَّه كان له على طلحة ابن عبيد الله – وكان من أجود النَّاس – خمسون ألفاً، فقال له طلحة يوماً: قد تهيَّأ مالك، فاقبضه، فقال له عثمان: هو لك معونةٌ على مروءتك[4].

لقد كان سخاء عثمان وجوده صفةً أصيلةً في شخصيَّته الفذَّة، رضي الله

---

[1] تغنَّيت: من الغناء . تمنَّيت: من التَّمني ، والكذب ، واختلاق الباطل .
[2] صحيح التوثيق ، ص(44) .
[3] الصواعق المحرقة ، لابن حجر الهيثمي (327/1) .
[4] البداية والنهاية (227/7) .

عنه، فقد وظَّف أمواله في خدمة دين الله، فلم يبخل في تأسيس الدَّولة الإسلاميَّة، والجهاد في سبيل الله تعالى، وخدمة المجتمع ابتغاء رضوان الله تعالى .

تاسعاً: شجاعته:

يعدُّ عثمان رضي الله عنه من الشُّجعان، والدَّليل على ذلك:

1- خروجه للجهاد في سبيل الله، وحضوره المشاهد كلَّها مع رسول الله(ﷺ)، وإذا اتُّهم بتخلُّفه في بدرٍ؛ فقد سبق أن قلنا: إنَّ ذلك كان بأمرٍ من رسول الله(ﷺ)، ثمَّ عدَّه رسول الله(ﷺ) من الّذين شهدوها، وأعطاه سهمه منها، ونال أجره - إن شاء الله - وليس بعد كلام رسول الله كلامٌ.

2- سفارةُ رسول الله(ﷺ) إلى قريشٍ في الحديبية:

امتثل عثمان رضي الله عنه - كما مرَّ معنا - طلب الرَّسول(ﷺ)، وذهب إلى قريش، وهو يعرف ما أقدم عليه، غير أنَّ رجولته، وبطولته قد أبتا عليه إلا الامتثال، والطَّاعة .

إنَّ مَنْ يقبل السَّفارة في مثل تلك الظُّروف لَشجاعٌ عظيمٌ، وبطلٌ من الأبطال النَّوادر، صحيحٌ: أنَّها أمرٌ من رسول الله(ﷺ)، ولكنَّها في الوقت نفسه شجاعةٌ، لا يمكن أن يقبل بها جبانٌ، بل رجلٌ عاديٌّ[1].

---

[1] الأمين ذو النُّورين ، ص(194 ، 195 ، 196).

3- الفداء بالنَّفس:

عندما حوصــر رضــي الله عنه في داره ؛ طلب منه المارقون التَّنازل عن الخلافة لا خيارَ غيره، أو القتل، أو عزل ولاته، وتســليم بعضــهم، فأصــرَّ على موقفه، مضحِّياً بنفسه من أن تصبح الخلافة بيد ثلَّةٍ تُزيح مَنْ ترغب، وتُعيِّن من تحبُّ، أو تنزع الخلافة من صاحبها الّذي اختارته الأمَّة، ويصبح ذلك قاعدةً[1]، فأصرَّ على موقفه، وهو يرى الموت في ســيوف المحاصــرين، وإنَّ الّذي يقف هذا الموقف لَهُوَ الشُّـجاع، وإنَّه لصـاحب حقٍّ، ولن يقف هذا الموقف رجلٌ جبانٌ، أو محبٌّ للدُّنيا أبداً، فالحياة عند هؤلاء الجبناء أفضـل من المكانة، ومن الدُّنيا كلِّها[2]، ولكنَّ هذا الإصرار العجيب، والعزيمة النَّافذة، والشَّجاعة الفائقة من عثمان رضي الله عنه ثمرة إيمانٍ قويٍّ بالله - عزَّ وجلَّ - واليومِ الاخر وقر في قلبه، وجعله يســـتهين بكلِّ شيءٍ في هذه الحياة حتَّى بالحياة نفسها[3] .

4- المال:

إنَّ الجهاد بالنَّفس اقترن مع الجهاد بالمال، وربما قُدِّم عليه ؛ قال تعالى: ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ فَضَّـلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِـهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا *﴾ **[النساء: 95].**

وهناك اياتٌ كثيرةٌ تقرن المال بالنَّفس، وإنَّ الّذي ينفق المال في ســـبيل الله

(1) الأمين ذو النُّورين ص(197) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .
(3) جولة تاريخيَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(304) .

بسـخاءٍ إنَّما هو مجاهدٌ وشـجاعٌ، وقد أنفق عثمان رضـي الله عنه الكثير حتَّى قال رسول الله(ﷺ): « ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم » مرَّتين[1].

لقد كان عثمان رضـي الله عنه شـجاعاً، لا يهاب الموت، جريئاً يواجه الباطل في تحدٍّ سافرٍ، حليماً لا يُجَهِّله حمقُ الحمقى[2] .

عاشراً: الحزم:

إنَّ صفة الحزم في شخصيَّة ذي النُّورين أصيلةٌ، ونجد الصِّدِّيق رضي الله عنه عندما عرض عليه الإسلام قال له: ويحك يا عثمان ! ! إنَّك رجلٌ حازمٌ، ما يخفى عليك الحقُّ من الباطل، ما هذه الأوثان الَّتي يعبدها قومنا[3]؟ !.

وفي سنة 26 هـــ زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسَّعه، وابتاع من قومٍ وأبى اخرون، فهدم عليهم، ووضـــع الأثمان في بيت المال، فصـــيَّحوا بعثمان، فأمر بهم بالحبس، وقال: أتدرون ما جرَّأكم عليَّ ؟ ما جرأكم عليَّ إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر، فلم تصيِّحوا به، ثمَّ كلَّمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد، فأخرجوا[4].

ومن المواقف الَّتي تدلُّ على حزمه ؛ حمايته لنظام الخلافة من الضَّـــياع، فلم يجب الخارجين إلى خلع نفســه من الخلافة، فكان بذلك يمثِّل الثَّبات، واســتمرار النِّظام، لأنَّه لو أجاب الخارجين إلى خلع نفسه ؛ لأصبح منصب الإمامة العظمى

[1] سنن التِّرمذيِّ رقم (3785) .
[2] جولة تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(304).

[3] عثمان بن عفان رضي الله عنه ، لصادق عرجون ، ص(47) .
[4] تاريخ الطَّبري (250/5) .

ألعوبةً في أيدي المفتونين السَّاعين في الأرض بالفساد، ولسادت الفوضى، واختلَّ نظام البلاد، ولكان ذلك تسليطاً للرُّعاع، والغوغاء على الولاة والحكَّام، لقد كانت نظرة عثمان رضي الله عنه بعيدة الغور، فلو أجابهم إلى ما يريدون لسنَّ بذلك سنَّةً، وهي كلَّما كره قومٌ أميرهم ؛ خلعوه، ولألقى بأس الأمَّة بينها، وشغلها بنفسها عن أعدائها وذلك أقرب لضعفها، وانهيارها، على أنَّه لم يجد سوى نفسه يفدي بها الأمَّة، ويحفظ كيانها، وبنيانها من التصدُّع، ويدعم بهذا الفداء نظامها الاجتماعيَّ، ويحمي سلطانها ؛ الّذي تُساس به من أن تمتدَّ إليه يد العبث، والفوضى .

وممَّا لا شكَّ فيه: أنَّ هذا الصُّنع من عثمان كان أعظم ؛ وأقوى ما يستطيع أن يفعله رجلٌ ألقت إليه الأمَّة مقاليدها ؛ إذ لجأ إلى أهون الشَّرَّين، وأخف الضَّررين ؛ ليدعم بهذا الفداء نظام الخلافة، وسلطانها[1]، وسيأتي بيان ذلك في محلِّه بإذن الله.

الحادية عشرة: الصبر:

اتَّصف عثمان رضي الله عنه بصفة الصَّبر - ومن المواقف الدَّالة على هذه الصِّفة ثباته في الفتنة ؛ إذ كان موقفه إزاء تلك الأحداث الّتي ألمت به، وبالمسلمين المثل الأعلى لما يمكن أن يقدِّمه الفرد من تضحية، وفداءٍ في سبيل حفظ كيان الجماعة، وصون كرامة الأمَّة، وحقن دماء المسلمين، فقد كان بإمكانه أن يقي نفسه، ويخلِّصها، لو أنَّه أراد نفسه، ولم يرد حياة الأمَّة، ولو كان ذاتيّاً، ولم يكن

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة من الفتنة (474/1).

من أهل الإيثار ؛ لدفع بمن هَبَّ للذَّود عنه من الصَّــــحابة، وأبناء المهاجرين، والأنصـــــار إلى نحور الخارجين المنحرفين عن طاعته، ولكنَّه أراد جمع شمل الأمَّة، ففداها بنفسـه صـابراً محتسـباً، وقد أعلن عثمان رضـي الله عنه أنَّه سـيواجه الفتنة العارمة بالصَّـبر الجميل[1]، ممتثلاً قوله سـبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَــوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْــبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ *﴾ **[آل عمران: 173]** .

إنَّ عثمان رضــي الله عنه كان قويَّ الإيمان بالله، كبير النَّفس، نقَّاذ البصــيرة، نبيل الصَّــبر، حيث فدى الأمَّة بنفســه، فكان ذلك من أعظم فضــائله عند المسلمين[2].

قال ابن تيميَّة – رحمه الله –: ومن المعلوم بالتواتر: أنَّ عثمان كان من أكفِّ النَّاس عن الدِّماء، وأصبر النَّاس على مَنْ نال مِنْ عرضه، وعلى مَنْ سعى في دمه، فحاصروه، وسعوا في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون ينصرونه، ويشــيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر النَّاس بالكفِّ عن القتال، ويأمر مَنْ يطيعه ألا يقاتلهم .. وقيل له: تذهب إلى مكَّة ؟ فقال: لا أكون من ألحد في الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشَّــام ؟ فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتلهم، فقال: لا أكون أوَّل من خلف محمداً في أمَّته بالسَّــيف، فكان صــبر عثمان حتَّى قُتل من أعظم فضائله عند المسلمين[3].

---

(1) سير الشُّهداء ، للسَّحيباني ، ص(57 ، 58).
(2) تحقيق مواقف الصَّحابة من الفتنة (472/1).
(3) منهاج السُّنَّة (202/3-203).

الثَّانية عشرة: العدل:

واتَّصف عثمان رضي الله عنه بصفة العدل، فعن عبد الله بن عديٍّ بن الخيار: أنه دخل على عثمان رضي الله عنه وهو محصور، فقال له: إنَّك إمام العامَّة، وقد نزل بك ما ترى، وهو ذا يصلِّي بنا إمام فتنةٍ – عبد الرَّحمن بن عُدَيْس البلوي – وأنا أخرج من الصَّلاة معه. فقال له عثمان: إنَّ الصلاة أحسن ما يعمل النَّاس، فإذا أحسن النَّاس ؛ فأحسن معهم، وإذا أساؤوا ؛ فاجتنب إساءتهم[1]، وروى ابن شبَّة بإسناده؛ قال: دخل عثمان بن عفَّان على غلامٍ له يعلف ناقةً؛ فرأى في علفها ما كره، فأخذ بأذن الغلام فعركها، ثمَّ ندم؛ فقال لغلامه: اقتصَّ، فأبى الغلام، فلم يدعه؛ حتَّى أخذ بأذنه، فجعل يعركها، فقال له عثمان: شدَّ حتَّى ظنَّ: أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، ثمَّ قال عثمان رضي الله عنه: واهاً لقصاصٍ قبل قصاص الاخرة[2].

الثالثة عشرة: عبادته:

كان عثمان رضي الله عنه من المجتهدين في العبادة، وقد روي من غير وجهٍ: أنَّه صلَّى بالقران العظيم في ركعةٍ واحدةٍ عند الحجر الأسود، أيَّام الحج، وقد كان هذا من دأبه[3]، ولهذا روينا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾

[1] البخاريُّ ، رقم (695).
[2] أخبار المدينة (236/3).
[3] الطبقات الكبرى (76/3) . وتاريخ الإسلام في عهد الخلفاء ،الذَّهبي ، ص(476).

[الزمر:9] قال: هو عثمان بن عفَّان[1]. وقال ابن عباس رضـــي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْـــتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِـــرَاطٍ مُسْـــتَقِيمٍ *﴾ [النَّحل: 76] قال: هو عثمان[2] وكان رضـــي الله عنه يفتتح القران ليلة الجمعة، ويختمه ليلة الخميس[3]، وكان رضـــي الله عنه يصـــوم الدَّهر ويقوم اللَّيل إلا هجعةً من أوَّله[4] .

الرَّابعة عشرة: خوفه من الله، وبكاؤه، ومحاسبته لنفسه:

فقد جاء في إحدى خطبه: أيُّها الناس ! اتَّقوا الله، فإنَّ تقوى الله غنمٌ، وإنَّ أكيس الناس من دان نفســـه، وعمل لما بعد الموت، واكتســـب من نور الله نوراً لقبره، وليخش أن يحشـــره الله أعمى، وقد كان بصـــيراً[5] . وقد روي عنه قوله: لو أنِّي بين الجنَّة والنَّار، لا أدري إلى أيَّتها يؤمر بي ؛ لتمنَّيت أن أصـــير رماداً قبل أن أعلم إلى أيَّتهما أصـير . وكانت روحه ترتجف، وعبراتُه تفيض عندما يذكر الاخرة، وعندما يتخيَّل نفسه وقد انشقَّ قبره، ونسل من جدثه إلى العرض، والحساب[6]، فعن هانِي مولى عثمان، قال: كان عثمان إذا وقف على قبرٍ ؛ بكى ؛ حتَّى تبتلَّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنَّة، والنَّار، وتبكي من هذا ؟ قال: إن رســـول الله(ﷺ) قال: « إنَّ القبر أوَّل منازل الاخرة، فإن نجا منه فما بعده أيســـر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشدُّ منه ». قال: وقال رسول الله(ﷺ): « والله ما رأيت منظراً إلا

---

[1] تفسير ابن كثير (47/4).
[2] المصدر السَّابق نفسه (579/2).
[3] علوُّ الهمَّة (93/3).
[4] صفة الصَّفوة (302/1).
[5] صحيح التوثيق ، ص(107).
[6] نظام الحكم في عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ص(205).

والقبر أفظع منه » قال: وكان النَّبيُّ(ﷺ) إذا فرغ من دفن الميت ؛ وقف عليه ؛ ثمَّ قال: « استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت، فإنه الان يُسأل »[1]، وهذا من فقه القدوم على الله الّذي اســتوعبه عثمان رضــي الله عنه، وعاش به في حياته، وما أحوجنا إلى هذا الفقه العظيم الّذي به تحيا النُّفوس، وتتفجَّر الطَّاقات .

الخامسة عشرة: زهده:

اشــتهر أمير المؤمنين عثمان رضــي الله عنه بأنَّه من أهل الغنى، والثروة، ولكن مع هذه الشُّـــهرة ؛ فإنَّه قد رويت عنه أخبارٌ تدلُّ على أنَّه كان من الزَّاهدين في الدُّنيا، فعن حميد بن نعيم:

أنَّ عمر، وعثمان رضــي الله عنهما دُعيا إلى طعامٍ، فلمَّا خرجا ؛ قال عثمان لعمر: قد شهدنا طعاماً لوددنا أنَّا لم نشهده، قال: لمَ ؟ قال: إنِّي أخاف أن يكون صنع مباهاةً[2] .

فهذا فقهٌ من عثمان رضي الله عنه بمجالات السَّخاء الإسلاميِّ، فالسَّخاء في الإســـلام لا يكون بالتَّفاخر بالكرم، والتَّباهي بنوع الطَّعام، أو كثرته، وإنَّما يكون ببذل المال من غير إسرافٍ، ولا خيلاء مع شكر المنعم - جلَّ وعلا - والتَّواضع للنَّاس، وهذه النَّظرة من عثمان تعتبر من التَّزهيد بالجاه الدُّنيويِّ، وهذا يدلُّ على

(1) فضائل الصَّحابة ، رقم (773) إسناده حسنٌ .
(2) الزُّهد للإمام أحمد ، ص(126).

أنَّه كان من الزَّاهدين في ذلك[1].

ومن زهد عثمان رضـي الله عنه وتواضـعه: ما أخرجه الإمام أحمد من حديث ميمون بن مهران، قـال: أخبرني الهمـدانيُّ: أنَّـه رأى عثمـان بن عفَّـان على بغلـةٍ وخلفه غلامه نائلٌ ؛ وهو خليفة[2].

وكذلك ما أخرجه من حديث الهمدانيِّ، قال: رأيت عثمان نائماً في المسـجد في ملحفةٍ ليس حوله أحدٌ؛ وهو أمير المؤمنين[3]، كما أخرج من حديث شـرحبيل ابن مسـلمٍ: أنَّ عثمان بن عفَّان رضـي الله عنه كان يطعم النَّاس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته، فيأكل الخلَّ، والزَّيت[4].

فهذه أمثلةٌ جليلةٌ من زهد أمير المؤمنين عثمان، رضـي الله عنه، وحينما يكون الزَّاهد متوسـطاً في المعيشـة، فإنَّ زهده لا يلفت النَّظر كثيراً، ولا يثير العجب، ولكن حينما يكون غنيّاً ؛ فإنَّ زهده يكون مدهشـاً للمتأمِّلين، وعبرةً للمعتبرين، ذلك لأنَّ كثرة المال تغري بالانصـراف نحو الملذَّات، والتوسُّـع في النَّفقات، فلا بدَّ ليكون الغني زاهداً من اسـتيعابه لفقه القدوم على الله ؛ حتَّى يكون مهيمناً على نفسـه، مذكِّراً لقلبه، فتكبر الاخرة في عينه، وتصـغر الدُّنيا في نفسـه، وهكذا كان عثمان رضي الله عنه الَّذي كان من أعظم الأثرياء في الإسلام، قد غلبت قوَّة إيمانه شـهوتَه، وهواه، فكان من أعظم الزَّاهدين، وضـرب من نفسـه مثلاً لجميع الأغنياء

---

[1] التَّاريخ الإسلامي (17 ، 48/18).
[2] الزّهد ، ص(127).
[3] المصدر السَّابق نفسه.
[4] المصدر السَّابق نفسه ، ص(129).

بإمكان الجمع بين الغنى والزُّهد في الدُّنيا[1] .

السَّادسة عشرة: الشُّكر:

كان عثمان رضي الله عنه كثير الشُّكر لله تعالى باللِّسان، والجنان، والأركان؛ دُعي ذات يوم إلى قوم على ريبةٍ، فانطلق ليأخذهم، فتفرَّقوا قبل أن يبلغهم، فأعتق رقبةً ؛ شكراً لله ألا يكون جرى على يديه خزي مسلمٍ[2].

السَّابعة عشرة: تفقُّد أحوال النَّاس:

كان رضي الله عنه ودوداً رؤوفاً يسأل عن أحوال المسلمين، ويتعرَّف مشكلاتهم، ويطمئنُّ على غائبهم، ويواسي قادمهم، ويسأل عن مرضاهم، فقد روى الإمام أحمد عن موسى بن طلحة، قال: رأيت عثمان بن عفَّان وهو على المنبر، وهو يستخبر النَّاس، يسألهم عن أخبارهم، وأسعارهم[3].

وروى ابن سعدٍ في الطَّبقات عنه أيضاً قال: رأيت عثمان بن عفَّان يخرج يوم الجمعة عليه ثوبان أصفران، فيجلس على المنبر، فيؤذِّن المؤذِّن، وهو يتحدَّث يسأل النَّاس عن أسفارهم، وعن قادمهم، وعن مرضاهم[4]، وكان رضي الله عنه يهتم بشؤون الرَّعيَّة، ويصل ذوي الحاجة، ويفرض العطاء للمواليد من بيت المال[5]، فقد رُوي عن عروة بن الزُّبير، قال: أدركت زمن عثمان، وما من نفسٍ

[1] التاريخ الإسلامي (17 ، 49/18).
[2] علو الهمَّة (481/5).
[3] فضائل الصَّحابة ، رقم (812) إسناده صحيحٌ .
[4] الطَّبقات (59/3).
[5] تحقيق مواقف الصحابة (396/1).

مسلمةٍ إلا ولها في مال الله حقٌّ – يعني: بيت المال –[1].

الثامنة عشرة: تحديد الاختصاصات:

المراد بتحديد الاختصاص: تقسيم وظائف العمل على العاملين، بحيث يكون كلُّ موظَّفٍ عالماً بالعمل الّذي كُلِّفه؛ ليقوم به دون تقصـــيرٍ فيه، ولا يتجاوزه إلى عملٍ اخر مســـندٍ إلى ســـواه، وتقســـيم الوظائف ســـنَّةٌ كونيَّةٌ ربَّانيَّةٌ، عمل بها الرَّسول(ﷺ)، والخلفاء الرَّاشدون من بعده، ففي عهد عثمان رضي الله عنه وُزِّعت الوظائف، والأعمال على المسلمين كلٌّ في ميدانه، كما سيأتي بيانه بإذن الله، ففي مؤسَّسة القضاة، والمال، والجيش، وولاية الأمصار ظهرت الصِّفة القيادية في تحديد الاختصاصات عند الخليفة الرَّاشد عثمان رضي الله عنه. فقد تمَّ تقسيم الأعمال، وحُدِّدت قواعد بين العاملين، كانت من أهمِّ عوامل النَّجاح في دولة الخلفاء الرَّاشدين، وبذلك تعامل الخليفة الرَّاشد عثمان مع السُّنَّتين الكونيَّة، والشَّرعيَّة في تحديد الاختصاصات[2].

التاسعة عشرة: الاستفادة من أهل الكفاءات:

إنَّ الإشـــادة بالأكفاء، وإرشـــاد الأمَّة إلى احترامهم، وتكريمهم، ووضـــعهم في مواضعهم، وعدم هضمهم حقوقهم، والاستفادة من طاقاتهم، واختصاصاتهم ؛ إنَّ ذلك ممَّا جعل أهل القرون المفضَّـــلة من ســـلف هذه الأمَّة ينالون العزَّ، والمجد،

[1] المصنَّف في الحديث لابن أبي شيبة (1023/3).
[2] الكفاءة الإداريَّة ، ص(117) .

والتَّمكين في هذه المعمورة وقد ظهرت هذه الصِّفة في شخصيَّة عثمان رضي الله عنه عندما استفاد من كفاءات زيد بن ثابت واللَّجنة الّتي عُيِّنت معه في جمع القران على حرفٍ واحدٍ .

هذه بعض الصِّفات الّتي لاحظتها في شخصية عثمان رضي الله عنه، وهي محلُّ قدوةٍ، وأسوةٍ لقادة المسلمين، وعوامِّهم لمن يريد أن يتَّبع هدي النَّبيّ(ﷺ) والخلفاء الرَّاشدين في هذه الحياة .

إنَّ معرفة صفات الخلفاء الرَّاشدين، ومحاولة الاقتداء بهم خطوةٌ صحيحةٌ لمعرفة صفات القادة الرَّبَّانيِّين، الّذين يستطيعون أن يقودوا الأمَّة نحو أهدافها المرسومة بخطواتٍ ثابتةٍ، فمن أسباب التَّمكين لهذا الدِّين العمل على إيجاد قادةٍ ربَّانيِّين، جرى الإيمان في قلوبهم، وعروقهم، وانعكست ثماره على جوارحهم، وتفجَّرت صفات التَّقوى في أعمالهم، وسكناتهم، وأحوالهم، فالقيادة الرَّبَّانيَّة الحكيمة هي الّتي تسعى لتحكيم شرع الله، وتفجير طاقات الأمَّة وتوجيهها وهي الّتي تحتضن الإسلام، وتنهجه قلباً وقالباً، جوهراً ومنظراً، وعقيدةً وشريعةً، وديناً ودولةً، وهي الّتي تصبح، وتمسي، وهمُّها عقيدتُها وأمَّتها، وهي الّتي تسعى بكلِّ ما تملك لحلِّ المشاكل الّتي تواجهها، وتعمل بكلِّ جهدٍ، وإخلاصٍ للقضاء على عوائق التَّمكين الدَّاخلية، والخارجيَّة .

* * *

الفصل الثَّالث : المؤسسة المالية والقضائية في عهد عثمان رضي الله عنه

المبحث الأول : المؤسَّسة الماليَّة

لما تولَّى عثمان رضي الله عنه الخلافة لم يغيِّر من سياسة عمر الماليَّة، وإن كان قد سمح للمسلمين باقتناء الثَّروات، وتشييد القصور، وامتلاك المساحات الشَّاسعة من الأراضي، فقد زالت عن المسلمين شدَّة عمر، والّتي كانت ترهبهم، وتخيفهم، والّتي كانت تحول دون الكثير ممَّا يشتهون، وكان عهده عهد رخاءٍ على المسلمين[1] .

أولاً: السِّياسة الماليَّة الّتي أعلنها عثمان عندما تولَّى الحكم:

وجَّه عثمان رضي الله عنه كتاباً إلى الولاة، وكتاباً اخر إلى عمَّال الخراج، وأذاع كتاباً على العامَّة، وقد ذكرت نصوصها عند حديثي عن منهجه في الحكم، وفي ضوء تلك النُّصوص تكون عناصر السِّياسة الماليَّة العامَّة الّتي أعلنها ثالث الخلفاء الرَّاشدين قد قامت على الأسس العامة التالية:

- تطبيق سياسةٍ ماليَّةٍ عامَّةٍ إسلاميَّةٍ .
- عدم إخلال الجباية بالرِّعاية .
- أخذ ما على المسلمين بالحقِّ لبيت مال المسلمين .

(1) مبادىء الاقتصاد الإسلامي ، لسعاد إبراهيم صالح ، ص(217) .

- إعطاء المسلمين ما لهم من بيت مال المسلمين .
- أخذ ما على أهل الذِّمَّة لبيت مال المسلمين بالحقِ، وإعطاؤهم ما لهم، وعدم ظلمهم .
- تخلُّق عمَّال الخراج بالأمانة والوفاء .
- تفادي أية انحرافات ماليَّة يسفر عنها تكامل النِّعم لدى العامَّة[1] .

ونفصل فيما يلي هذه الأسس:

1- نيَّة عثمان بن عفَّان تطبيق سياسةٍ ماليَّةٍ عامَّةٍ:

ممَّا لا شكَّ فيه: أنَّ الخليفة الثَّالث عثمان بن عفَّان عزم على تطبيق سياسةٍ ماليَّةٍ عامَّةٍ إسلاميَّةٍ، فقد بويع رضي الله عنه على أساس تطبيق حكم الله، وسُنَّة رسوله، وسياسة الخليفتين قبله، وقد طبَّق أبو بكرٍ رضي الله عنه ما نزل به القران، وما سنَّهُ رسول الله(ﷺ) فيما يتعلَّق بالسِّياسة الماليَّة، وغيرها من الأحكام، وقام عمر بتطوير المؤسَّسة الماليَّة، ونظَّم قواعدها، وأرسى مبادئها، وزاد مواردها، ورشَّد إنفاقها، ونهج عثمان طريقهم، واجتهد في بعض الأمور القابلة للاجتهاد، فنفَّذ حكم الله في الأرض في قضايا الأموال، وغيرها، فأشرف على دفع الزَّكاة لبيت المال، وتوزيعها على مستحقِّيها، وأهل الكتاب في دفعهم الجزية لبيت مال الدَّولة الإسلاميَّة يدخلون في ذمَّتها، تحميهم وتوفِّر لهم الأمان، وتضفي عليهم سائر خدماتها العامَّة، والمجاهدون يغنمون الأموال ويرسلون خُمسها لبيت مال المسلمين،

---

[1] السِّياسة الماليَّة لعثمان رضي الله عنه ، قطب إبراهيم ، ص(61) .

ويقوم بيت المال بتوزيعها على اليتامى، والمساكين، وأبناء السبيل، وغيرها من وجوه الإنفاق طبقاً لقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ **[الأنفال: 41]**، وغير ذلك من مصادر الدَّولة المعروفة .

وقد تميَّزت الماليَّة العامَّة في عهد ذي النُّورين، والخلفاء الرَّاشدين بأنَّها مرتبطةٌ بالإسلام، وتطبيق تعاليمه، وتحمي إيراداته، ويساند الإنفاق العام فيها على نشر راية الإسلام، وخير المسلمين . وهي مرشدةٌ للإنفاق ؛ لأنَّ تعاليم الإسلام تمنع الإسراف، وتحاربه، والله لا يحبُّ المسرفين، وتمنع السُّفهاء من التحكُّم في الأموال. وهي ماليَّةٌ عامَّةٌ خيِّرةٌ ؛ لأنَّ بعض مواردها العامَّة توجَّه للبنية الضَّعيفة من الرَّعية، وهي نقيَّةٌ من الدَّنس، ولا تتضمَّن مواردُها كسباً من حرامٍ ؛ لأنَّ الله لا يبارك الكسب الحرام .

2- عدم إخلال الجباية بالرِّعاية:

ينبِّه عثمان بن عفَّان رضي الله عنه في كتابه للولاة: أنَّ جباية أموال بيت المال كادت تطغى على الواجب الأوَّل للولاة، وهو رعاية الرَّعية، وذلك: أنَّ الجباية أحد واجبات الرَّعيَّة المكلَّف بها رئيس الدَّولة الإسلاميَّة فلا يصحُّ أن تطغى على سائر الواجبات[1]، وقد استنبط الفقهاء من الهدي النَّبويِّ، والعهد الرَّاشديِّ تكاليف الرِّعاية ؛ أي: واجبات الخليفة لتحقيق رعاية الأمَّة كما يلي:

---

[1] السِّياسة الماليَّة لعثمان رضي الله عنه ، ص(62) .

قال الماورديُّ: والّذي يلزمه من الأمور العامَّة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدِّين على أصوله المستقرَّة وما أجمع عليه سلف الأمَّة .

والثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشـاجرين، وقطع الخصـام بين المتنازعين ؛ حتَّى تعمَّ النَّصفة، فلا يتعدَّى ظالمٌ، ولا يضعف مظلوم .

والثالث: حماية البيضـــة، والذَّبُّ عن الحريم ؛ ليتصـــرَّف النَّاس في المعاش، وينتشروا في الأسفار امنين من تغرير بنفسٍ، أو حالٍ .

والرَّابع: إقامة الحدود ؛ لتصـــان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتُحفظ حقوق عباده عن إتلافٍ، واستهلاك .

والخامس: تحصـين الثُّغور بالعدَّة المانعة، والقوَّة الدَّافعة، حتَّى لا تظفر الأعداء بغرَّةٍ ينتهكون فيها محرَّماً، أو يسفكون فيها لمسلمٍ، أو معاهد دماً .

والسَّـادس: جهاد من عاند الإسـلام بعد الدَّعوة إليه، حتَّى يسـلم، أو يدخل الذِّمَّة؛ ليقام بحقِّ الله تعالى في إظهاره (الإسلام) على الدِّين كلِّه .

والسَّـابع: جباية الفيء، والصَّـدقات على ما أوجبه نصّـاً، واجتهاداً مِنْ غير خوفٍ، ولا عسف .

والثَّامن:تقدير العطايا وما يسـتحقُّ من بيت المال من غير سـرفٍ ولا تقتيرٍ، ودفعه في وقتٍ لا تقديم فيه، ولا تأخير .

والتاسـع: استكفاء الأمناء، وتقليد النُّصحاء فيما يفوِّض إليهم من الأعمال،

ويكله إليهم من الأموال، لتكون الأعمال بالكفاءة مضـــبوطةً، والأموال بالأمناء محفوظةً .

والعاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور، وتصفُّح الأحوال، لينهض بسياسة الأمَّة وحراسة الملَّة، ولا يعوِّل على التفويض تشاغلاً بلذَّةٍ، أو عبادةٍ[1] .

وبإيجاز فإنَّ واجبات الخليفة تتفرَّع عن شَـــرْطَيْ عقد البيعة، وهما: حراســـة الدِّين، وسياسة الدُّنيا[2]؛ اللَّذين هما مهمَّة الرَّسول(ﷺ) ؛ الّذي هو خليفته، وإن كان الماورديُّ، والفرَّاء المتعاصـــران قد تطابقت تحديداتهما لواجبات الإمام، فإنَّما ذلك اجتهادٌ منهما حسب حاجة الأمَّة في عصرهما، ولا ينبغي أن تقتصر حقوق الأمَّة على ما عدَّده عالمٌ من علمائها، أو أكثر مهما بلغ من فضـلٍ، وسـعة علمٍ، ومهما كانت نظرته للموضـوع شـاملةً ؛ هذا إن كان العالم معاصـراً، فكيف إن كانت اراؤه، واجتهاده قد سـبقنا بقرونٍ[3]، ولذا فينبغي أن تحدَّد واجبات الإمام بناءً على الشَّـرطين العامَّين لصـحَّة عقده، وهما: حراسـة الدِّين، وسـياسـة الدنيا، وينبغي أن تقوم لجانٌ من علماء الأمَّة بتحديد ذلك لأهل زمانهم[4].

هذه بعض تكاليف الرِّعاية، كما أوردها الفقهاء، وهي قابلةٌ للتَّطوير بما يلائم تطوُّر الأزمان، والعصـور، وبحيث لا يخالف التَّطوير نصّـاً من نصـوص القران، أو حكماً من أحكام الدِّين[5].

---

(1) الأحكام السُّلطانية ، والولايات الدِّينية ، ص(16 ، 17) .
(2) مقدِّمة ابن خلدون ، ص(191) .
(3) الخلافة بين التَّنظير والتطبيق ، محمد المرداوي ، ص(66) .
(4) المصدر السَّابق نفسه ، ص(67) .
(5) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص(63) .

3- أخذ ما على المسلمين بالحقِّ لبيت مال المسلمين:

عمَّال الخراج نوابٌ عن الدَّولة في استئداء حقوق بيت المال، فإذا أخذوا ما على المسلمين بالحقِّ أدوا واجبهم المنوط بهم، وإذا غالوا في جباية حقوق بيت المال، ظلموا المموِّلين، وألحقوا بهم الضَّرر وحمَّلوهم فوق ما يطيقون، والرَّسول(ﷺ) يحذِّر من المغالاة في استئداء حقوق بيت المال، فقد نهى عن جباية كرائم الأموال في الزَّكاة، وأمر بالتَّخفيف في استئداء زكاة الثَّمر[1] .

4- إعطاء المسلمين ما لهم من بيت المال بالحقِّ:

عطاء بيت المال للمسلمين إمَّا أن يكون مباشراً كصرف الزَّكاة للمستحقِّين لها، وما يقضي به نظام الأعطيات من توزيع فائض الأموال على المسلمين، أو يكون العطاء العامُّ غير مباشرٍ يتمثَّل في الخدمات العامَّة الّتي تؤدِّيها الدَّولة للرَّعية، وهذه ينفق عليها من بيت مال المسلمين، وفي كلا العطاءين ينبغي أن يتَّسِم العطاء بالحقِّ، فلا يجوز في العطاء المباشر أن تُخالف الأسس التي تحدَّدت لوضعه محاباةً لبعض الأفراد، أو حرماناً أو نقصاناً للبعض الاخر دون مبرِّرٍ، ولا يجوز أن يتأخَّر العطاء عن موعده بسبب تعقّد الإجراءات، أو كثرة الحجب التي تحجبُ أرباب الظُّلامات عن الوصول لمن بيدهم أمر العطاء ؛ لبحث ظلامتهم من تأخير العطاء، أو قلَّته، أو عدم وصوله إليهم، ولا يجوز في الخدمات العامة التي تؤديها الدَّولة للشَّعب أن تكون المنفعة لفردٍ معيَّنٍ، بل يجب أن يعود نفعها على الأمَّة جمعاء[2] .

---

[1] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (64) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(66) .

5- عدم ظلم أهل الذِّمَّة وأخذ ما عليهم لبيت المال بالحقِّ، وإعطاؤهم حقوقهم بالحقّ كذلك:

لا يجوز ظلم أهل الكتاب عند أخذ الجزية منهم ؛ لأنَّ أهل الكتاب من الذمّيّين الّذين يقيمون في الدَّولة الإســـلاميَّة، وهم في ذمَّتها، ورعايتها ما داموا يؤدُّون الجزية، وقد أوصى به رسول الله(ﷺ)، فقد ولَّى عبد الله بن أرقم على جزية أهل الذِّمَّة، فلمَّا ولَّى من عنده، ناداه، فقال: « ألا من ظلم معاهداً، أو كلَّفه فوق طاقته، أو انتقصــه، أو أخذ منه شــيئاً بغير طيب نفســه، فأنا حجيجه يوم القيامة »[1]. واســتناداً لذلك ؛ فقد أوصــى بهم عمر بن الخطاب رضــي الله عنه حين موته: أوصــي الخليفة من بعدي بأهل الذِّمَّة خيراً، أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مَنْ وراءهم وألا يكلَّفوا فوق طاقتهم[2].

فإذا اذى عمَّال الجزيةِ الذِّمِّيّين، أو كلفوهم فوق طاقتهم، أو عذَّبوهم، أو أخذوا الجزية من الشَّيخ الكبير الّذي لا شيء له، ولا يستطيع العمل، أو أخذوها من الذِّمِّي الّذي أسلم ؛ كان هذا لوناً من ألوان الظُّلم الّذي نبَّه الخليفة الثَّالث في كتابه عمَّال الخراج بعدم ارتكابه مستنداً في ذلك لتعاليم الرَّسول(ﷺ)[3].

هذا وعلاوةً على الجزية يؤدِّي أهل الذِّمَّة الّذين يزرعون أرض الخراج - وهي الّتي الت للدَّولة الإسلاميَّة كغنيمةٍ نتيجة للفتح الإسلامي - ما يستحقُّ عليه من خراج لبيت مال المســـلمين، ويجب أن يراعي عمَّال الخراج الحقَّ في تحديد قيمته

(1) المنتخب من السُّنَّة ، ص(261) .
(2) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص(67) .
(3) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (67) .

المستحقَّة على الأراضي الّتي يزرعها أهل الذمَّة، وذلك بمراعاة العوامل الّتي تحكم تحديده ؛ لأنَّ إغفالها كلِّها، أو بعضها يوقع الظُّلم بأهل الذِّمَّة، الّذين يزرعونها، وهذه العوامل أربع:

- ما يختصُّ بالأرض من جودةٍ، يزكو بها زرعها، أو رداءةٍ يقلُّ بها ريعها .
- ما يختصُّ بالزَّرع من اختلاف أنواعه من الحبوب، والثِّمار، فمنها ما يكثر ثمنه، ومنها ما يقلُّ ثمنه، فيكون الخراج بحسبه .
- ما يختصُّ بالسَّقي، والشُّرب ؛ لأنَّ ما التزم المؤونة في سقيه النَّواضح، والدّوالي لا يحتمل من الخراج ما يحتمله سقي السُّيوح، والأمطار .
- ألا يستقضي في وضع الخراج غاية ما تحمله ليجعل فيها لأرباب الأرض بقيَّة يجبرون بها في النَّوائب، والجوائح[1] .
- هذا، وإذا كانت الدَّولة الإسلاميَّة، قد أبرمت عهداً، أو عقدت صلحاً مع أهل الكتاب، فواجب الدَّولة الإسلاميَّة، وعمَّال خراجها أن يلتزموا بما ورد بها من شروطٍ، ومنها الشُّروط الّتي تحدّد قيمة ما يدفعونه من جزيةٍ، أو خراجٍ، لأنَّ المسلمين إذا أبرموا عقداً، أو عهدوا عهداً، التزموا بالوفاء بالعقود، والعهود[2].

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) المصدر السَّابق نفسه .

6- عدم ظلم اليتيم:

لليتيم حقٌّ في المال العامّ بنصــوص القران الكريم، فهو من المســتحقّين لأموال الزَّكاة إن كان فقيراً، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّــدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَــاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *﴾ **[التوبة: 60]** .

ولليتيم نصــيبٌ في خمس الغنائم تطبيقاً لقوله جلَّ وعلا: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ **[الأنفال: 41]** .

ولليتيم نصــيبٌ في عطاء بيت المال، فقد كان يفرض للأطفال عموماً، ومنهم يتامى الأطفال، وإذا كان اليتيم غنيّاً، فيؤدّي الزَّكاة المفروضــــة على أمواله إذا توفرت، وواجب المصَــــدِّق أن يأخذ الزَّكاة بالحقِّ، والعدل ؛ حتَّى لا يذهب ظلمه بمال اليتيم، أو جزءٍ منه بغير وجه حقٍّ[1].

7- تخلق عمَّال الخراج بالأمانة والوفاء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيــرًا *﴾ **[النساء: 58]** .

[1] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (68) .

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ *﴾ [المؤمنون: 8] .

طالب الخليفة الرَّاشد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه عمَّال الخراج أن يتحلَّوا بالأمانة، وهي صفةٌ لازمةٌ لجميع من يشتغلون بالأموال العامَّة، وإذا لم تتوفَّر فيهم هذه الصِّفة ؛ جاروا على حقوق بيت المال، وجاروا على المموِّلين، وانتكست العلاقة بين بيت المال والمموّلين .

والقران الكريم والأحاديث النَّبوية الشَّريفة تنبّه، وتحضُّ على التزام الأمانة ؛ وطالب الخليفة عثمان كذلك عمال الخراج بأن يتحلَّوا بالوفاء، وقد ورد الوفاء مطلقاً في كتاب الخليفة، فيشمل: الوفاء لبيت المال بمراعاة أخذ حقوقه كاملةً من الرَّعيَّة، والوفاء للمموِّلين بعدم ظلمهم بالمغالاة في تحديد الفرائض الماليَّة المطلوبة منهم، والوفاء لأهل الذِّمَّة بالرِّفق، وحسن المعاملة، وتطبيق ما تضمَّنته شروط الصُّلح معهم من جزيةٍ، وخراجٍ دون زيادةٍ[1].

8 – أثر تكامل النِّعم على مسار الأمَّة:

لم يرد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه أن يترك العامَّة دون تبصيرهم، فحذَّرهم من أن تجذبهم الدُّنيا إلى ملاذِّها، ومتاعها، وخشي: أنَّ أمر الأمة صائر إلى الابتداع بعد أن توفرت لهم ثلاثٌ، وهي: تكامل النِّعم، وبلوغ أولاد السَّبايا، وقراءة الأعاجم[2]، فعثمان رضي الله عنه أدرك أنَّ تكامل النِّعم لدى البعض سيميل بأولي النِّعم عن المسار السَّليم ؛ لأنَّ تكامل النِّعمة بزيادة الأموال لدى أفراد الرَّعيَّة

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(69) .
[2] تاريخ الطبري (245/5) .

قد يفسدهم بسبب ما ينفقونه على التَّرف، والفساد[1]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا *﴾ **[الإسراء: 16]** .

9- المقارنة بين السِّياسة العمريَّة والعثمانيَّة:

هذه السِّياسة الماليَّة الَّتي أعلنها ذو النُّورين تكاد تتَّفق مع السِّياسة العامَّة الماليَّة الَّتي نفَّذها الفاروق حين وَلِّي أمر المسلمين، فقد أعلن، ونفَّذ: أنَّ المال العامَّ لا يصلحه إلا خلالٌ ثلاث: أن يؤخذ بالحقِّ، ويعطى في الحقِّ، ويمنع في الباطل[2] فالسِّياسة العمريَّة، والعثمانيَّة في المال تنبعان من مشكاةٍ واحدةٍ، وهي مشكاة الإسلام، ومبادئه، وأصوله، وقواعده[3] .

ثانياً: توجيهاتٌ عثمانيَّة توضِّح للنَّاس قواعد زكاتهم:

قال عثمان رضي الله عنه: هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دينٌ فليؤدِّه حتَّى تخرجوا زكاة أموالكم، ومن لم تكن عنده لم تطلب منه ؛ حتَّى يأتي بها تطوُّعاً، ومن أُخذ منه حتَّى يأتي هذا الشَّهر من قابل . قال إبراهبم بن سعد: أراه يعني: شهر رمضان[4]، وقال أبو عبيد: وقد جاءنا في بعض الأثر: أن هذا الشَّهر الَّذي أراده عثمان هو المحرَّم[5] . وبهذا القول أكَّد عثمان رضي الله عنه المبادأى التَّالية:

(1) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (70) .
(2) السِّياسة الماليَّة لعمر بن الخطَّاب ، قطب إبراهيم محمد ، ص(23) وما بعدها .
(3) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (76) .
(4) الأموال ، لأبي عبيد ، ص(534) .
(5) المصدر السَّابق نفسه ، ص(535) .

أ – مبدأ سنوية الزَّكاة ؛ إذ يشترط لأداء الزَّكاة ما عدا زكاة الزُّروع حولان الحول، ويظهر ذلك من قول عثمان: أنَّ من أخذ منه لا يؤدِّي زكاةً من أمواله حتَّى يأتي نفس الشَّهر في السَّنة التَّالية فلا تتكرَّر عليه الزَّكاة في عامٍ واحدٍ .

ب – إذا أخذنا بقول أبي عبيد: أنَّ الشَّهر الّذي قصده عثمان بن عفَّان هو شهر المحرَّم، فكأنَّه أراد أن تكون السَّنة الماليَّة الإسلاميَّة مطابقةً للسَّنة الهجريَّة، فعلى المسلمين بعد مرور سنةٍ هجريَّةٍ كاملةٍ على ما لديهم من أموالٍ أن يسدِّدوا ما عليها من زكاةٍ في أوَّل السَّنة الهجريَّة التَّالية وهو شهر المحرَّم ؛ إذا توفرت شروطها .

ج– ويدعو عثمان بن عفَّان رضي الله عنه النَّاس إلى حساب وعاء الزَّكاة، فيطلب منهم أداء ما عليهم من ديون حتَّى تؤخذ الزَّكاة على الباقي[1]، ولعلَّ عثمان أراد أن يستحثَّ الناس على أداء ما عليهم من ديونٍ وفاءً منهم للدَّائنين، وتسهيلاً لحساب المال الخاضع للزَّكاة، وحتَّى يقطع بجدِّية الدَّين، وعدم تطرق الصُّوريَّة إليه[2] .

د – يقول عثمان رضي الله عنه: ومن لم تكن عنده لم تُطلب منه حتَّى يأتي بها تطوُّعاً . وبذلك يفتح عثمان بن عفَّان الدَّعوة إلى التَّطوُّع، فقد يرى بعض المسلمين: أنَّه لا يستحقُّ عليهم زكاةٌ ومع ذلك يرون التَّطوُّع بأداء صدقاتٍ من أموالهم، يؤدُّونها لبيت المال، فيقبلها منهم، ويضمُّها إلى موارد الزَّكاة، وتصرف

---

(1) السّياسة الماليَّة لعثمان رضي الله عنه ، ص (76) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .

الدَّولة منها على نفس مصارف الزَّكاة[1] .

وقد يكون قول عثمان رضـي الله عنه: ومن أخذنا منه لم نأخذ منه حتَّى يأتينا بها تطوُّعاً: أنَّه يقصد أن لا يجبي بيت المال صدقة الذَّهب، والفضَّة إلا إذا أتى بها صـاحبها لبيت المال، وأمَّا الصَّـدقة الّتي يكره النَّاس عليها ويجاهدون على منعها ؛ فهي صـدقة الماشـية، والحرث، والنَّخل، وبذلك يكون عثمان قد ترك لأصـحاب الأموال أداء الزَّكاة على ما يعرف بالأموال الباطنة، وهي أموال الذَّهب، والفضَّـة، والتجارة، ولا يقبلها منهم إلا إذا أتى بها صـــاحبها تطوُّعاً[2]، يقول في ذلك أبو عبيد: ألا ترى أنَّ رسـول الله(ﷺ) قد كان يبعث مصـدِّقيه إلى الماشـية، فيأخذونها من أربابها بالكره منهم والرِّضـــا، وكذلك كانت الأئمَّة بعده، وعلى منع صـــدقة الماشية قاتلهم أبو بكر، ولم يأت عن النَّبيّ(ﷺ) ولا عن أحدٍ بعده: أنَّهماستكرهوا النَّاس على صـــدقات الصَّـامت، إلا أن يأتوا بها غير مكرهين، وإنَّما هي أماناتُهم، يؤدُّونها، فعليهم فيها أداء العين، والدَّين ؛ لأنَّها ملك أيمانهم، وهم مؤتمنون عليها؛ وأمَّا الماشـــية فإنَّها حكمٌ يحكم بها عليهم، وإنَّما تقع الأحكام فيما بين النَّاس على الأموال الظَّاهرة وهي فيما بينهم وبين الله على الظَّاهرة، والباطنة جميعاً[3].

1- رأيه في زكاة دين الدَّائن:

عن السَّائب بن يزيد: أنَّ عثمان كان يقول: إنَّ الصدقة تجب في الدَّين الّذي لو شـئت تقاضـيته من صـاحبه، والّذي هو مليءٌ تدعه حياءً، أو مصـانعةً، ففيه

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(77) .
[2] الأموال ، لأبي عبيد ، ص(537) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .

الصَّدقة[1].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: زكِّه – يعني الدَّين – إذا كان عند الملأ[2] .

فمن هذين القولين لعثمان بن عفَّان يبيّن: أنَّ الصَّـــدقة واجبةٌ على الدَّين للدَّائن على المدين المليء، ويســـتطيع أن يحصِّـــل من المدين على دينه، ولكن يستحي أن يذكِّر المدين به، أو أنَّ الدَّائن يدع دينه للمدين مصانعةً له، والمصانعة تعني: سكوت الدَّائن عن المطالبة بدينه نظير منفعةٍ يحصل عليها من المدين[3] .

2- اقتراضه من مصرف الزَّكاة، وإنفاقه للمصالح العامَّة:

أخذ عثمان رضـــي الله عنه من أموال الزَّكاة، فأنفق منها في الحرب، وفي غير الحرب على المرافق العامَّة، فأنفق على الجهاد على أن يردَّ ذلك إذا اتَّســـع المال لردِّه، ومن حقِّ الإمام أن يقترض من مصــرفٍ لمصــرفٍ، لا يخالف بذلك الدِّين، ولا يغيِّر ســـنةً موروثة ما دام مصـــمِّماً على أن يردَّ على أموال الصَّـــدقة ما أخذ منها[4]، وتذهب بعض الاراء إلى أن أحد مصـارف الزَّكاة وهو مصـرفٌ في سـبيل الله يعطى للغازي في ســبيل الله من أموال الزَّكاة ؛ لأنَّ انقطاعه للجهاد أقعده عن العمل، والكســب، وليس هذا من باب التَّشـجيع على البطالة، فهذا الصِّـنف قد اثر مصـلحة الإسـلام على مصـلحة نفسـه، وترك العمل لشـخصـه، يعمل في مجالٍ أرحب، وأوسـع وهو العمل لإعلاء كلمة الله ونشــر دينه في المعمورة، ويرى بعض

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] المنتخب من السُّنَّة (301/6) .
[3] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (79) .
[4] المصدر السَّابق نفسه ، ص (80) .

العلماء جواز صرف الزَّكاة في المنافع العامَّة، وما تقتضيه حاجات الأمَّة[1].

3- الإنفاق من الزَّكاة على الطَّعام للفقراء، وأبناء السَّبيل:

سنَّ عثمان رضي الله عنه سنَّةً جديدةً، فكان يضع الطَّعام في المسجد في رمضان، وقال: للمتعبِّد الّذي يتخلَّف في المسجد، وابن السَّبيل، والمعترين[2]. والخليفة عثمان رضي الله عنه بذلك يكرِّم المسلمين من بيت المال، وفي ذلك اقتداءٌ بالرَّسول(ﷺ) الّذي كان أجود النَّاس، وأجود ما يكون في رمضان، وهذه السُّنَّة الّتي استنَّها عثمان ترغِّب المسلمين في الاعتكاف في المساجد، ما دام أكلهم معدّاً، وفي ذلك تشجيعٌ على إحياء سنَّة الرَّسول الكريم(ﷺ) في الاعتكاف[3].

4- إنشاء منازل للضِّيافة من أموال الزَّكاة:

بلغ عثمان: أنَّ أبا سمال الأسديَّ ومعه نفرٌ من أهل الكوفة ينادي منادٍ لهم إذا قدم الميَّار[4]: أنَّ من كان من القبائل ليس لقومهم بالكوفة منزلٌ، فمنزله على أبي سمال، فاتَّخذ عثمان بعض الدُّور كمنازل للضِّيافة، ينزل بها الغرباء ممَّن ليس لهم منزل، ومن هذه الدُّور منزل عبد الله بن مسعود في هذيل، وكان الأضياف ينزلون داره في هذيل إذا ضاق عليهم ما حول المسجد[5] .

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص (81) .
(2) تاريخ الطبري (245/5) . والمعتر: الفقير ، المعترض للمعروف بدون سؤال .
(3) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (82 ، 83) .
(4) الميار: جمع مائر ، وهو جالب الميرة ، والميرة: الطَّعام .
(5) تاريخ الطبري (273/5) .

5- العطاء من بيت المال لكلِّ مملوكٍ:

ممَّا زاد عثمان رضـــي الله عنه على يده أن ردَّ على كلِّ مملوكٍ بالكوفة من فضـــول الأموال ثلاثةً من كلِّ شـــهرٍ يتَّســـعون بها من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم[1]، والغالب على أنَّ مصــــدر هذه الأموال الّتي وزَّعها عثمان على كلِّ مملوكٍ هو أموال الزَّكاة، باعتبار: أنَّ لهم فيها نصيباً ؛ لأنهم أحد الثَّمانية مصارف؛ الّتي حدَّدتها اية الزكاة وهي مصرف

ثالثاً: خمس الغنائم:

بدأ الجهاد في عهد الرَّســول(ﷺ) واســتمرَّ في عهد أبي بكرٍ، وعمر، وكذلك في عهد الخليفة عثمان بن عفَّان، وكانت نتيجة ذلك انتشــار الإســلام، واتِّســاع رقعة الدَّولة الإســــلاميَّة، وكانت فتوحات عهد عثمان كبيرةً، حقَّقت غنائم كثيرةً إلى بيت المال منها الخمس، كما أنَّه ال إلى بيت المال جزيةُ مَنْ اثر البقاء على دينه من أهل الكتاب ولم يحارب، فهناك ارتباطٌ إذاً بين بيت المال، والفتوحات الإســلاميَّة، فقد قام بيت المال في عهد عثمان بتمويل هذه الفتوحات ســواءٌ بما كان يدفعه للجنود من مرتَّباتٍ، أو لشــراء الأســـلحة، والعتاد بجانب التَّطوُّع بالأموال، والأنفس، وإذا تحقَّق النَّصــر ؛ فرضــت الجزية على من لم يسـلم من أهل الكتاب، والخراج على الأرض الّتي أخذت عنوةً، وإذا أســلم أهل البلاد، ســدَّدوا الزَّكاة ؛ إذا بلغت أموالهم نصــاباً، وتوفرت شــروطها باعتبارها من أركان الإســلام، ولا يكمل إسـلام المسـلم إلا بأدائها، وهذه كلُّها تساهم في زيادة الإيرادات العامَّة

---

[1] المصدر السَّابق نفسه (275/5) .

للدَّولة الإسلاميَّة، وأحلَّ الله للمسلمين غنائم الحرب، ويوزِّع أربعة أخماسها بين الفاتحين، والخمس الباقي يؤول لبيت مال المسلمين[1] .

وفيما يلي بعض المسائل الّتي أسفر عنها تطبيق السِّياسة العامَّة في عهد عثمان ابن عفَّان بشأن خمس غنائم الفتوحات:

1- لم يسهم للصَّبي من الغنائم في عهد عثمان بن عفَّان:

عن تميم بن المهريِّ، قال: شهدت فتح الإسكندرية في المرَّة الثَّانية، فلم يسهم لي حتَّى كاد أن يقع بين قومي وبين قريش منازعةٌ . فقال بعض القوم: أرسلوا إلى بصرة الغفاريِّ، وعقبة بن عامر الجهنيِّ، فإنَّهما من أصحاب رسول الله(ﷺ)، فاسألوهما عن هذا، فأرسلوا إليهما، فسألوهما، فقالا: انظروا فإن كان أنبت[2]، فأسهموا له، فنظر إليَّ بعض القوم، فوجدوني قد أنبتُّ، فأسهموا لي[3].

ومعنى ذلك أنَّه لا يسهم للصَّبيِّ، ولا للمرأة، إنَّما يرضخ لهم ؛ أي: يعطون شيئاً قليلاً لمساعدتهم في غزوات المسلمين، وهذا ما كان يطبَّق في عهد رسول الله(ﷺ)[4].

2- السَّلَب للقاتل في عهد عثمان كما كان في عهد رسول الله(ﷺ):

السَّلَب: هو ما كان على القتيل في الحرب، وما كان من سلاحٍ، وما كان تحته من فرسٍ، وقد قضى رسول الله(ﷺ) بالسَّلَب للقاتل، فعن أبي قتادة: أنَّ

---

[1] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (84) .
[2] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (86 ، 87) .
[3] أنبت: أي نبات شعر العانة .
[4] فتوح مصر ، وأخبارها ، ص(121) .

رسـول الله(ﷺ) قال يوم حنين: « من قتل قتيلاً له بيّنةٌ فله سَلَبُه »[1] ومفاد هذا الحديث: أنَّه لا يســـتحقُّ للقاتل في السَّـــلب إلا بعد أن يقيم البيِّنة على أنَّه هو الّذي قتله، حتَّى إذا تنازع اثنان، كلٌّ منهما يدَّعي: أنه قتله، فالســـلب لمن يقيم البيّنة منهما[2] .

وقد حدث بعد انتقاض الإســكندرية، وجاءت الرُّوم وعليهم منويل الخصــيُّ، وأرســوا بالإســكندرية، وتركهم عمرو حتَّى يســيروا إليه، فيصــيبون مَنْ مرُّوا به في البلاد، فيخزي الله بعضهم ببعض، فخرجوا من الإسكندرية، ومعهم مَنْ نقض من أهل القرى، فجعلوا ينزلون القرية، فيشــربون خمورهم، ويأكلون أطعمتها، وينتهبون ما مرُّوا به، فلم يعرض عمرو حتَّى بلغوا نقيوس، فلقوهم في البرِّ، والبحر، فحاربوا بالنَّشــاب ثمَّ خرجوا من البحر، فاجتمعوا هم والّذين في البرِّ، واســتمرُّوا في حرب النَّشــاب، وبرز بطْريق ممَّن جاء من أرض الروم على فرسٍ له عليه ســلاحٌ مذهَّب فدعـا إلى البراز، فبرز لـه رجلٌ من زبيد، يقـال لـه: (حومـل) يكنى أبا مـذجح، فـاقتتلا طويلاً برمحين يتطـاردان، ثمَّ ألقى البطريق الرُّمح وأخـذ السَّـــيف وألقى (حومل) رمحه، وأخذ بسـيفه، وجعل عمرو يصـيح: أبا مذجح ! فيجيبه: لبيك ! والنَّاس على شـــاطأى النِّيل في البرِّ على تعبئتهم، وصـــفوفهم، فتجاولا ســـاعةً بالسَّـــيفين، ثم حمل عليه البطريق فاحتمله، ثم أخذ (حومل) خنجراً كان في منطقته أو في ذراعه فضـــرب به نحر عدوِّه، فأوتر قوَّته، فأثبته، ووقع عليه فأخذ ســلبه، ثمَّ مات (حومل) بعد ذلك بأيَّام – رحمة الله عليه – ثمَّ شــدَّ المســلمون

---

[1] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (93) .
[2] البخاريُّ ، كتاب المغازي ، رقم (4322) .

حتَّى ألحقوهم بالإسكندرية، ففتح الله عليهم، وقُتل منويل الخصيُّ[1] .

3- قيمة الغنائم ونصيب بيت المال في أحد فتوحات عثمان:

من حديث عبد الملك بن مسلمة عن غيره، قال: غزونا مع عبد الله بن سعد إفريقية، فقســـم بيننا الغنائم بعد إخراج الخمس، فبلغ ســـهم الفارس ثلاثة الاف دينار: للفرس ألفا دينار، ولفارســه ألف دينار، وللرَّاجل ألف دينار، فقسـم لرجل من الجيش توفي بذات الحمام، فدفع لأهله بعد موته ألف دينار[2] .

ومن حديث لعثمان بن صــالح، وغيره، قال: فكان جيش عبد الله بن ســعد ذلك عشــرين ألفاً . ومن المعروف: أنَّ يؤول الخمس لبيت المال اســتناداً إلى قول الله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَــيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَــهُ وَلِلرَّسُــولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَـــاكِينِ وَابْنِ السَّــبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *﴾ **[الأنفال: 41]** .

وقد رُفع نصيب الرَّسول(ﷺ) وذي القربى في عهد أبي بكر رضي الله عنه بعد وفاة الرَّسول(ﷺ) ووجِّه إلى السِّلاح، والكُراع، وسايره عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه من بعده في التَّطبيق، وكذا عثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه، والأربعة أخماس الباقية من الغنائم توزَّع على الفاتحين بنســـبة (3) للفارس وفرســـه، و(1) للرَّاجل، فمن الحديثين السَّابقين يمكن حساب قيمة الخمس الّذي ال لبيت المال،

---

(1) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (93) .
(2) فتوح مصر وأخبارها ، ص(119 ، 120) .

وكذلك قيمة الغنائم كلِّها، فبافتراض: أنَّ الفوارس عشر الجيش الَّذي بلغ عشرين ألفاً، وأنَّ الباقين من الرَّاجلين يكون الحساب كالاتي:

2000 فارس × 3000 دينار = 0000006 دينار

18000 رجل × 1000 دينار = 00000018 دينار .

مجموع ما خصَّ المحاربين = 24 مليون دينار، وهو ما يمثِّل أربعة أخماس قيمة الغنائم، ويكون نصيب بيت المال خمس الغنائم أي = 6 مليون دينار، ويكون مجموع ما غنمه المسلمون = 30 مليون دينار[1] .

4- الإنفاق العام من خمس الغنائم:

ينفق خمس الغنائم طبقاً لنصِّ الاية للرَّسول(ﷺ) ولذي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السَّبيل بحقِّ الخمس لكلٍّ منهم، وأنَّه بعد موت الرَّسول(ﷺ) ال نصيبه، ونصيب ذي القربى إلى بيت المال ؛ لينفق منها على الكُراع، والسِّلاح، وقد استنفد الخليفة الرَّاشد عثمان رضي الله عنه نصيب رسول الله(ﷺ) وذي القربى ؛ الَّذي ال إلى بيت المال على الإنفاق على الكُراع، والسِّلاح لكثرة الفتوحات الَّتي تمَّت في عهده وما استلزمته من أسلحةٍ، وخيول[2].

5- نجاح السِّياسة الماليَّة في تمويل فتوحات الإسلام في عهد عثمان:

من ضمن التَّحدِّيات الَّتي واجهها عثمان رضي الله عنه انتكاس بعض البلاد

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(125) .
[2] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (95) .

المفتوحة، واستطاع عثمان رضي الله عنه إجبار البلاد الّتي نقضت العهد على الالتزام بعهودهم مع الدَّولة الإسلاميَّة، والانصياع لحكمها، وفي ضوء ما تمَّ من فتوحاتٍ جديدةٍ، فإنَّه يمكن القول: إنَّ تنفيذ السِّياسة الماليَّة فيما يتعلَّق بهذه الفتوح قد أسفر عن قيام الماليَّة العامَّة في عهد عثمان بن عفَّان بالمطلوب منها، سواءٌ من ناحية تمويلها لهذه الفتوح، أو بما حقَّقته الانتصارات من غنائم كثيرةٍ حصل بيت المال على نصيبه منها، أو من موارد أخرى، وهي زكاة من أسلم من أهل الأمصار، وجزية من أبى الإسلام من أهل الكتاب، وخراج أراضيهم[1].

رابعاً: الإيرادات العامَّة من الجزية في عهد عثمان رضي الله عنه:

1- استقرار المسائل الفنِّيَّة للجزية في عهد عثمان رضي الله عنه:

استقرَّت أحكام الجزية، وقواعدها، ونظام تطبيقها، وتحصيلها في عهد عمر بن الخطَّاب، ولذلك كان دور بيت المال في عهد عثمان أن يتلقَّى ما يتمُّ تحصيله من جزيةٍ بعد الاتِّفاق على قيمتها، وأن تقرَّ الدَّولة ما تمَّ عقده من صلح في عهودٍ سابقةٍ، أو إقرار صلحٍ جديدٍ، وأن تتكفَّل الدولة لمن أدَّوا الجزية بالحقوق الّتي تترتَّب على هذا الأداء[2] .

2- نماذج ممَّا ال لبيت المال من إيرادات الجزية:

أ - غزا الوليد بن عقبة في إمارته على الكوفة في عهد عثمان أذربيجان،

---

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص(97) .

(2) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (99) .

وصـــالح أهلها على ثمانمئة ألف درهم حبســـوها عند وفاة عمر، فوطئهم بالجيش، وانقادوا له، وقبض منهم المال[1] .

ب – لما وجَّه عثمان عبد الله بن سعد إلى إفريقية ؛ كان الّذي صالحهم عليه بطريق إفريقية جرجير ألفي ألف دينار وخمسمئة ألف دينار، وعشرين ألف دينار، وكان الّذي صـــالحهم عليه عبد الله ثلاثمئة قنطار ذهبٍ (ولعلَّ ذلك يعادل المبلغ الأول)[2] .

ج – صلح قبرص وقع على جزية سبعة الاف دينارٍ يؤدُّونها إلى المسلمين[3].

د – صـــالح ســـعيد بن صـــالح أهل جرجان، وكانوا يجبون أحياناً مئة ألفٍ، ويقولون هذا صلحنا، وأحياناً مئتي ألفٍ، وأحياناً ثلاثمئة ألفٍ[4] .

هـ– غلب عبد الله بن عامر على نيسـابور، وخرج إلى سـرخس، فأرسـل إليه أهل مرو يطلبون الصُّلح، فبعث إليهم ابن حاتم الباهليَّ، فصـالح مرزبان مرو على ألفي ألفٍ، وقال اخر: صالحهم على ستّين ألف درهم[5] .

و – سار الأحنف بن قيس إلى بلخ، فحاصرهم، فصالحه أهلها على أربعمئة ألفٍ، فرضي منهم بذلك، واستعمل ابن عمِّه، وهو أسيد بن المتشـمِّس ؛ ليأخذ منهم ما صالحوه عليه[6] .

---

[1] المصدر السابق نفسه ، ص (103) .
[2] تاريخ الطبري (246/5) .
[3] المصدر السَّابق نفسه (255/5) .
[4] المصدر السَّابق نفسه (261/5) .
[5] المصدر السَّابق نفسه (261/5) .
[6] المصدر السَّابق نفسه (318/5) .

3- عثمان بن عفَّان ينفِّذ كتاب الرَّسول(ﷺ) لأهل نجران:

كان النَّبيّ(ﷺ) قد أقرَّ أهل نجران على شروطٍ اشترطها عليهم، واشترطوها هم، وكتب لهم بذلك كتاباً، يوضِّح هذه الشُّروط، ومنها دفعهم الجزية، ومقدارها، ثمَّ جاؤوا بعد الرَّسول(ﷺ) فكتب لهم أبو بكر رضي الله عنه كتاباً بهذه الشُّروط، ثمَّ جاؤوا من بعد أن استُخلف عمر رضي الله عنه إليه، وكان عمر قد أجلاهم عن نجران اليمن، وأسكنهم بنجران العراق ؛ لأنَّه خافهم على المسلمين، وكتب لهم كتاباً[1] .

فلمَّا قُبض عمر رضي الله عنه واستخلف عثمان بن عفَّان رضي الله عنه أتوه إلى المدينة، فكتب لهم إلى الوليد بن عقبة وهو عامله الكتاب التَّالي: (بسم الله الرَّحمن الرحيم . من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى الوليد بن عقبة، سلام الله عليك، فإنِّي أحمد الله الّذي لا إله إلا هو، أمَّا بعد ؛ فإنَّ الأسقف، والعاقب، وسراة أهل نجران الّذين بالعراق، أتوني، فشكوا إليَّ، وأروني شرط عمر لهم، وقد علمت ما أصابهم من المسلمين، وإنّي قد خفَّفت عنهم ثلاثين حلَّةً من جزيتهم، وتركتها لوجه الله تعالى جلَّ ثناؤه، وإنِّي وفَّيت لهم بكلِّ أرضهم الّتي تصدَّق عليهم عمر عقبى مكان أرضهم باليمن، فاستوصِ بهم خيراً . فإنَّهم أقوام لهم ذمَّةٌ، وكانت بيني وبينهم معرفةٌ، وانظر صحيفةً كان عمر كتبها له، فأوفهم ما فيها، وإذا قرأت صحيفتهم ؛ فارددها عليهم والسَّلام)[2] . وكان ذلك في النِّصف من شعبان سنة سبعٍ وعشرين[3] .

---

(1) المصدر السَّابق نفسه (307/5) .
(2) الخراج ، لأبي يوسف ، ص(74) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .

ومِمَّا سبق يتَّضح:

أ – أنَّ عثمان رضـي الله عنه أوفى بعهد الرَّسـول(ﷺ) وعهد صـاحبيه رضـي الله عنهما من بعده وأنَّ ذلك ينبع من مبدأ عامٍّ في الإسـلام، وهو أنَّ من عقد عقداً، أو عهد عهداً، أو وعد وعداً ؛ أوفى به .

ب – خفف عثمان عنهم الجزية، ووفَّى لهم بكلِّ أرضـهم، وطلب من عامله الوليد بن عقبة أن يوفِّي لهم بما ورد في كتاب عمر رضي الله عنه وأن يستوصي بهم خيراً؛ لأنَّهم أقوامٌ لهم ذمَّةٌ[1].

4- أهل الكتاب في ذمَّة المسلمين ما داموا يؤدُّون الجزية:

بعد انتصـار عمرو بن العاص في الإسـكندرية، وكان قد جمع من القرى أثناء الحرب ما أصـاب أهل القرى، فجاءه أهل تلك القرى مِمَّن لم يكن نقض، فقالوا: قد كنَّا على صلحنا، وقد مرَّ علينا هؤلاء اللُّصوص (أي: الرُّوم) وأخذوا متاعنا، ودوابَّنا، وهو قائم بين يديك، فردَّ عليهم عمرو ما كان لهم من متاع عرفوه، وأقاموا عليه البيِّنة . وقال بعضـهم لعمرو: ما حلَّ لك ما صـنعت بنا، كان لنا أن تقاتل عنَّا لأنَّا في ذمَّتك ؛ ولم ننقض فأمَّا من نقض، فأبعده الله[2] ! فانظر كيف كان نظام الجزية يرتِّب حقوقاً تمسَّـكوا بها، وهي حمايتهم نظير ما يدفعون، بالرَّغم من أنَّهم لا يشـتركون في الدِّفاع عن البلاد مع المسـلمين، وإنَّما يدفعونها نظير حقوقٍ يحصـلون عليها من الدَّولة الإسـلاميَّة، ومن هذه الحقوق حقُّ الحماية، وحقُّ

---

(1) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (105) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، ص (105) .

الرِّعاية، وقد أقرَّهم عمرو بن العاص على هذه الحقوق، وردَّ إليهم أموالهم[1] .

5- مشاركة أهل الذِّمَّة في الأعباء العامَّة في عهد عثمان:

وممَّا يذكر بشأن فتح الإسكندريَّة الثَّاني في خلافة عثمان بن عفَّان ممَّا يتَّصل بالجزية: أنَّ صاحب إخنا، وكان اسمه (طلما) قدم على عمرو بن العاص، فقال: أخبرنا ما على أحدنا من الجزية، فيصـبر لها ؟ فقال عمرو، وهو يشـير إلى ركن كنيسـةٍ: إنَّما أنتم خزانةٌ لنا إنْ كثر علينا، كثَّرنا عليكم، وإن خُفِّف عنَّا خففنا عنكم، فغضب صاحب إخنا، فخرج إلى الرُّوم، فقدم بهم، فهزمهم الله وأسر، فأتي به إلى عمرو، فقال له النَّاس: اقتله . فقال: لا ! وقيل: إنَّ عمراً لما أتي به سـوَّره، وتوَّجه، وكسـاه برنس أرجوان، وقال له: ائتنا بمثل هؤلاء . فرضـي بأداء الجزية. فقيل لطلما: لو أتيت ملك الرُّوم . فقال: لو أتيته لقتلني، وقال: قتلت أصحابي[2].

وعندما نحلِّل قول عمرو بن العاص: إنَّما أنتم خزانةٌ لنا، إن كثر علينا ؛ كثَّرنا عليكم، وإن خُفِّف عنَّا، خفَّفنا عنكم، نستنتج بعض المبادأى للسِّياسة الماليَّة في عهد عثمان بالنِّسبة لغير المسلمين، منها:

أ - أهل الذمَّة يسـاهمون في بيت مال المسـلمين بما يؤدُّونه من جزية، فهم خزانة لبيت المال، يحصل منها بيت المال على نصيبه في أموالهم على هيئة جزيةٍ.

ب - أنَّ هذا النَّصيب في أموال أهل الذِّمَّة يتحدَّد في ظلِّ الأعباء الملقاة على

---

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص (106) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، ص (106) .

الدَّولة، فإن كبر هذا العبء ؛ ارتفعت قيمة الجزية، وإن خفَّ هذا العبء، خفَّت قيمة الجزية .

ج - هذا التحوُّل في قيمة الجزية ارتفاعاً، وانخفاضاً مع أعباء الحكم ينبثق من مبدأ المشاركة الماليَّة من مواطني الدَّولة في الأعباء، بحيث يساهم كلٌّ على قدر طاقته وبما يحقِّق العدالة في توزيع الأعباء، وفي ظلِّ الوصايا الّتي أوصى بها الرَّسول الكريم(ﷺ) بحسن معاملة أهل الذِّمَّة عامَّة[1] .

خامساً: الإيرادات العامَّة من الخراج والعشور في عهد عثمان:

1- الخراج:

امتدَّت فتوحات الإسلام في عهد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، ونتج عن هذه الفتوحات أن دخلت الأرض الزِّراعيَّة للبلاد المفتوحة في حوزة الدَّولة الإسلاميَّة، وكان عمر رضي الله عنه قد اعتبرها فيئاً للمسلمين، وأبقى عليها أهلها من أهل الكتاب الّذين اثروا الإبقاء على دينهم، يزرعونها، ويؤدُّون عنها خراج الأرض لبيت مال المسلمين، وقد ساهم خراج هذه الأراضي في زيادة إيرادات بيت المال في عهد عثمان رضي الله عنه بسبب امتداد الفتوحات الإسلاميَّة في عصره[2].

---

(1) فتوح مصر وأخبارها ، ص (102) .
(2) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (107) .

2- عشور التِّجارة:

استقر نظام العشور في عهد الفاروق على الأسس والقواعد الّتي وضعها عمر، رضي الله عنه، وفي عهد عثمان بن عفَّان يبدو بصفةٍ عامَّةٍ: أن إيرادات بيت المال زادت من عشور التِّجارة ؛ ونتيجة لزيادة رقعة الدَّولة الإسلاميَّة بسبب الفتوحات الّتي تمَّت في عهده، ونتيجةً لزيادة الثَّروات لدى البعض، ممَّا زاد القوَّة الشِّرائيَّة بصفةٍ عامَّةٍ خصوصاً في السَّنوات الأولى في عهد عثمان بن عفَّان ؛ الّتي اتَّسمت بالاستقرار، وزيادة القوَّة الشِّرائية تزيد الطَّلب على السِّلع، وزيادة الطَّلب على السِّلع تدعو إلى تنشيط استيرادها، وخضوعها لعشور التِّجارة متى توفَّرت شروط الإخضاع، ومن العوامل الّتي أدَّت إلى زيادة حصيلة عشور التِّجارة في عهد عثمان ابن عفَّان ارتفاع الأسعار، وارتفاع أسعار السِّلع يؤدِّي بالتالي إلى زيادة حصيلة عشور التِّجارة منها ؛ لأنَّها ضريبةٌ قيميَّةٌ، تؤخذ بنسبةٍ معيَّنة على قيمة السِّلعة، وليست نوعيَّةً تؤخذ من نوع السِّلعة[1] .

سادساً: سياسة عثمان بن عفَّان في إقطاع الأرض:

مضى أبو بكرٍ رضي الله عنه في تطبيق السِّياسة النَّبويَّة في إقطاع الأراضي للنَّاس طلباً لاستصلاحها، فقد أقطع الزُّبير بن العوَّام أرضاً مواتاً ما بين الجرف، وقناة[2]، وأقطع مُجَّاعة بن مرارة الحنفيَّ الخضرمة (قرية كانت باليمامة)[3]، وأرادا إقطاع الزِّبرقان بن بدر، ثمَّ عدل عن ذلك لاعتراض عمر رضي الله عنه، كما أراد

(1) المصدر السابق نفسه ص (113) .
(2) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (123) .
(3) الطَّبقات الكبرى ، لابن سعد (104/3) .

إقطاع عيينة بن حصـن الفزاري، والأقرع بن حابس التَّميمي أرضـاً سـبخةً (ليس فيها كلأ، ولا منفعةٌ) أراد استصلاحها، ثمَّ عدل عن ذلك أخذاً برأي عمر رضي الله عنه في عدم الحاجة لتأليفهما على الإسـلام: (إن رسـول الله(ﷺ) كان يتألَّفكُما، والإسلام يومئذ ذليلٌ، وإنَّ الله – عزَّ وجلَّ – قد أعزَّ الإسلام، فاذهبا، فاجهدا جهدكما، ومن الواضـح: أنَّ اعتراض عمر ليس على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأراضي، بل على أشخاصٍ بعينهم، لا يرى تأليفهم على الإسلام، وقد توسَّع عمر رضي الله عنه في إقطاع الأرض لغرض استصلاحها جرياً على السِّياسة النَّبوية فقد أعلن: (يا أيُّها الناس ! من أحيا أرضاً مضى أبو بكرٍ رضي الله عنه في تطبيق السِّياسة النَّبويَّة في إقطاع الأراضي للنَّاس طلباً لاستصلاحها، فقد أقطع الزُّبير بن العوَّام أرضـاً مواتاً ما بين الجرف، وقناة[1]، وأقطع مُجَّاعة بن مرارة الحنفيَّ الخضـرمة (قرية كانت باليمامة)[2]، وأرادا إقطاع الزِّبرقان بن بدر، ثمَّ عدل عن ذلك لاعتراض عمر رضـي الله عنه، كما أراد إقطاع عيينة بن حصـن الفزاري، والأقرع بن حابس التَّميمي أرضـاً سـبخةً (ليس فيها كلأ، ولا منفعةٌ) أراد اسـتصـلاحها، ثمَّ عدل عن ذلك أخذاً برأي عمر رضـي الله عنه في عدم الحاجة لتأليفهما على الإسـلام: (إن رسـول الله(ﷺ) كان يتألَّفكُما، والإسـلام يومئذ ذليلٌ، وإنَّ الله – عزَّ وجلَّ – قد أعزَّ الإسـلام، فاذهبا، فاجهدا جهدكما، ومن الواضح: أنَّ اعتراض عمر ليس على مبدأ الإقطاع لاستصلاح الأراضي، بل على أشـخاصٍ بعينهم، لا يرى تأليفهم على الإسـلام، وقد توسَّع عمر رضـي الله عنه في إقطاع الأرض لغرض استصـلاحها جرياً على السِّياسـة النَّبوية فقد أعلن:

---

(1) عصر الخلافة الرَّاشدة ، للعمري ، ص(220) .
(2) الطَّبقات الكبرى ، لابن سعد (104/3) .

(يا أيُّها الناس ! من أحيا أرضاً ميتاً فهي له)[1] . وهناك اثارٌ ضعيفةٌ تؤكِّد انتزاع عمر رضي الله عنه ملكية الأرض المقطعة إذا لم يتمَّ استصلاحها[2]، وتحدِّد روايةٌ ضعيفةٌ لذلك ثلاث سنوات من تاريخ الإقطاع، وقد ثبت إقطاع عمر رضي الله عنه لخوات بن جبير أرضاً مواتاً، وللزُّبير بن العوَّام أرض العقيق جميعها، ولعليِّ بن أبي طالبٍ أرض ينبع، فتدفَّق فيها الماء الغزير، فأوقفها عليٌّ رضي الله عنه صدقةً على الفقراء[3]، ولما تولَّى عثمان رضي الله عنه الخلافة ؛ توسَّع في الإقطاع، وخاصَّةً في المناطق المفتوحة، حيث ترك عددٌ من الملاك أراضيهم فارِّين، فصارت صوافي تقوم الدَّولة باستثمارها، فأقطع عثمان رضي الله عنه منها خوفاً من بوارها[4]، ولكن الإمام أحمد يرى: أنَّه أقطع من السَّواد أيضاً، وممَّا لا شكَّ فيه: أنَّ الصَّوافي قد يقع كثيرٌ منها في أرض السَّواد . وعلى أيَّة حال فإنَّ الإقطاع من الصَّوافي رفع غلَّتها من تسعة الاف درهم (9000 درهم) سنويّاً في خلافة عمر رضي الله عنه إلى خمسين مليون درهم (00000050 درهم) في خلافة عثمان رضي الله عنه، ممَّا يدلُّ على نجاح سياسته في إدارة الصَّوافي .

وتذكر المصادر قائمةً بأسماء الّذين أقطعهم عثمان، رضي الله عنه، ومعظمهم ليسوا من قريشٍ، ومعظم الرِّوايات في إقطاع عثمان رضي الله عنه ضعيفةٌ، وهي بالجملة تثبت توسُّعه في الإقطاع، ومن المفيد ذكر أسماء المقطَعين، وهم:

- عبد الله بن مسعود الهذليُّ (أرض بين نهري بيل وبين السَّواد) .

---

(1) عصر الخلافة الرَّاشدة ، للعمري ، ص(220) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، ص (221) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .
(4) عصر الخلافة الرَّاشدة ، للعمري ، ص(222) .

- عمَّار بن ياسر العنسيُّ (أستينيا) .
- خبَّاب بن الأرت التَّميميُّ (صعنبى – قرية بالسَّواد) .
- عديُّ بن حاتم الطَّائيُّ (الرَّوحاء – قريةٌ من قرى بغداد على نهر عبس)
- سعدُ بن أبي وقاص الزُّهريُّ القرشيُّ (قرية هرمز ببرِّ فارس) .
- الزُّبير بن العوَّام .
- أسامة بن زيد الكلبي .
- سعيد بن زيد العدويُّ القرشيُّ .
- جرير بن عبد الله البجليُّ (أرض على شاطأى الفرات) .
- ابن هبَّار .
- طلحة بن عبيد الله التَّميمي القرشيُّ (النشاستبح) ضيعة بالكوفة .
- وائل بن حجر الحضرميُّ (أرض توالي قرية زرارة بالكوفة) .
- خالد بن عرفطة القضاعيُّ (أرض عند حمَّام أعين بالكوفة) .
- الأشعث بن قيس الكنديُّ (طيزناباذ – موضع بين الكوفة والقادسيَّة) .
- أبو مربد الحنفيُّ (أرض بالأهواز على نهر تيري) .
- نافع بن الحارث بن كلدة الثَّقفي (قطيعة بشطِّ عثمان بالبصرة) .
- أبو موسى الأشعريُّ (قطيعة بحمَّام عمرة) .
- عثمان بن أبي العاص الثَّقفيُّ (شط عثمان بالبصرة) .

ويبدو أنَّ جلاء أهل هذه الأراضي عنها صيَّرها مواتاً، وأقطعها عثمان رضي الله عنه لإحيائها، ويبدو أنَّ معاوية بن أبي سفيان أقطع قطائع في سواحل الشَّام،

لتعميرها، وإعدادها لمواجهة هجمات الرُّوم، وكذلك أقطع قطائع بأنطاكية بأمر عثمان، وأخرى بقاليقلا[1]، وأمَّا إقطاعه فدك لمروان بن الحكم فلم يعرف من طريقٍ صحيحةٍ، وقيل: إنَّ الّذي أقطع فدك لمروان هو معاوية بن أبي سفيان[2].

إن سياسة عثمان في إقطاع الأراضي ساهم في زيادة موارد بيت مال المسلمين بما يؤدِّيه الجميع من زكاةٍ على أموالهم إذا توافرت شـــروطها، وقد نجح مشـــروع عثمان في إقطاع الأرض ؛ بدليل زيادة إيراد الدَّولة من أملاكها الخاصَّـة في العراق إذْ بلغت خمســين ألف ألف درهمٍ بعد أن كانت 000900 درهمٍ في عهد الفاروق[3].

سابعاً: سياسة عثمان في حمى الأرض:

وهي أراضٍ خصِّصت لرعي الإبل، والخيل الّتي تملكها الدَّولة، وقد استمرَّت حماية وادي النَّقيع في خلافة أبي بكرٍ، وعمر رضـــي الله عنهما حيث كان النَّبيّ(ﷺ) قد حماه للخيل[4]، وطوله ثمانون كيلو متراً، ويبدأ جنوب المدينة بــ40 كيلو متراً[5]، وقد كثرت المناطق المحميَّة في خلافة عمر رضـــي الله عنه لكثرة ما تملكه الدَّولة من الإبل، والخيل المعدَّة للجهاد، ومن ذلك حمى الرَّبذة لنعَم الزَّكاة، وعيَّن عليه مولاه هنيَّ، وأوصاه بالسَّماح لأصحاب الإبل القليلة بالرَّعي فيه دون الأغنياء، وحمى أرضـاً في ديار بني ثعلبة رغم احتجاجهم على ذلك، فقد أجابهم:

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص (223) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص (224) .
[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص (225) .
[4] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (118) .
[5] صحيح سنن أبي داود للألباني (595/2) .

البلادُ بلاد الله تحمى لنَعَم مال الله[1].

ونهج عثمان نهج من سبقه في الحمى بسبب اتِّساع الدَّولة، وازدياد الفتوحات في عهده، وقد اقتصر في الحمى على صدقات المسلمين لحمايتها، وعلى هذا فإنَّ عثمان رضي الله عنه زاد في الحمى لما زادت الرَّعيَّة، وإذا جاز أصله للحاجة إليه؛ جازت الزِّيادة لزيادة الحاجة[2].

ولما كان أبو بكر وعمر قد حميا دون أن ينكر عليهم أحدٌ ذلك، فإنَّ عثمان وسَّع الحمى لكثرة إبل الصَّدقة، وماشيتها، وكثرة الخصومات بين رعاة ماشية الصَّدقة، فلا اعتراض على فعله[3]، بل ما فعله أبو بكر، وعمر، وعثمان في الحمى قد اشتُهر بين الصَّحابة، فلم ينكر عليهم منكرٌ، ويعتبر ذلك إجماعاً[4]، وقد حكى الإجماع ابن قدامة[5].

ثامناً: أنواع النفقات العامَّة في عهد عثمان:

1- نفقات الخليفة:

كان عثمان رضي الله عنه لا يأخذ من بيت مال المسلمين شيئاً، فقد كان أكثر قريش مالاً وأجدَّهم في التِّجارة، فكان ينفق على أهله، وَمَنْ حوله من ماله الخاصِّ.

(1) عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص(225 ، 226) .
(2) الطَّبقات (3/326) والأثر صحيحٌ .
(3) نظام الخلافة في الفكر الإسلاميِّ ، د . مصطفى حلمي ، ص(78) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .
(5) نظام الأراضي في صدر الدَّولة الإسلاميَّة ، ص(169) .

2- صرف مرتبات الولاة من بيت المال:

في عهد عثمان رضـي الله عنه كانت الدَّولة الإسـلاميَّة مقسَّـمةً إلى ولايات، وكان على كلِّ ولاية والٍ يعيِّنه الخليفة، يأخذ مرتَّبه من بيت المال، ويدير شـؤون الولاية طبقاً لأحكام الشَّـريعة الإسـلاميَّة، وإذا لم يعيِّن الخليفة ممثِّلاً له على بيت مال الولاية، فإنَّه يدخل في اختصـاص الوالي الإشـراف على جباية موارد الولاية، وهي: الجزية، والخراج، وعشـور التِّجارة، ينفق منها على شـؤون الولاية، والفائض يرسـله إلى بيت مال المسـلمين في المدينة، أمَّا الزَّكاة الَّتي تحصـل من أغنياء الولاية، فكانت تصرف على فقرائهم[1] .

3- الإنفاق من بيت المال على مرتبات الجند:

كان بيت المال يدفع مرتبات للجند علاوة على ما يحصلون عليه من نصيب في الغنائم، وكان جند كل ولاية يحصلون على مرتباتهم من بيت مال الولاية، فمثلاً بالنسبة لجند مصر كتب عثمان بن عفَّان إلى عبد الله بن سعد والي مصر الكتاب التالي لصـرف مرتبات الجند المرابطين في الإسـكندرية: قد علمت كيف كان هم أمير المؤمنين بالإسـكندرية وقد نقضـت الروم مرتين، فألزم الإسـكندرية رابطتها ثم أجر عليهم أرزاقهم وأعقب بينهم في كل ستة أشهر[2] .

4- الإنفاق العام على الحجِّ من بيت المال:

كان الإنفاق العامُّ على الحجِّ في عهد عثمان رضـي الله عنه من بيت المال،

(1) المغني (581/5) .
(2) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (130) .

وكانت كسوة الكعبة من القباطيِّ وهي ثيابٌ من كتَّان من نسيج مصر[1] .

5- تمويل إعادة بناء المسجد النَّبويِّ من بيت المال:

كلَّم النَّاسُ عثمان بن عفَّان أوَّل ما تولى الخلافة أن يزيد في مسجد الرَّسول(ﷺ)؛ إذْ كان يضيق بالنَّاس في صلاة الجمعة بسبب امتداد الفتح، وزيادة سكَّان المدينة زيادةً عظيمة، فاستشار عثمان أهل الرَّأي، فأجمعوا على هدم المسجد، وبنائه، وتوسيعه، فصلَّى عثمان الظُّهر بالنَّاس، ثمَّ صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيُّها النَّاس ! إنِّي قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله(ﷺ)، وأزيد فيه، وأشهد أنِّي سمعت رسول الله يقول: « من بنى مسجداً، بنى الله له بيتاً في الجنَّة»[2] وكان لي فيه سلفٌ، وإمامٌ سبقني، وتقدَّمني عمر بن الخطَّاب، كان قد زاد فيه، وبناه، وقد شاورت أهل الرَّأي من أصحاب رسول الله، فأجمعوا على هدمه، وبنائه، وتوسيعه، فحسن النَّاس يومئذٍ ذلك، ودعوا له، فأصبح، فدعا العمَّال، وباشر ذلك بنفسه[3] .

6- تمويل توسعة المسجد الحرام من بيت المال:

كانت الكعبة أيَّام الرَّسول(ﷺ) قائمة، وليس حولها إلا فناء ضيِّقٌ يصلِّي النَّاس فيه، وظلَّ كذلك في خلافة أبي بكرٍ، وفي عهد عمر وسَّع المسجد، فاشترى دوراً حول الكعبة، وهدمها، وأدخلها في بيت الله الحرام، وأحاطها بجدارٍ قصيرٍ، وأدخل إنارة المسجد ليلاً، وذلك لأنَّ المسجد كان قد ضاق بالحجَّاج الّذين يأتون

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص (140) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص (140 ، 141) .
[3] المسند رقم (434) إسناده صحيحٌ .

لأداء فريضـــة الحجِّ بعد أن امتدَّت فتوحات الإســـلام، ودخل النَّاس في دين الله أفواجاً، فلمَّا ضـاق المســجد ثانيةً في عهد عثمان ؛ احتذى بمثل عمر، وأضـاف إلى الكعبة دوراً اشـتراها، وأحاطها بجدارٍ قصـيرٍ لا يرتفع إلى قامة الرَّجل كما فعل عمر من قبل[1] .

كما كان الولاة يبنون المســـاجد في ولايتهم، وينفقون عليها من بيت مال الولاية، كما حدث عند بناء مسجد الرَّحمة بالإسكندرية، ومسجد في إصطخر في فتوحات المشرق[2] .

7 – الإنفاق على إنشاء أوَّل أسطولٍ بحريٍّ:

سـاهم بيت مال المسـلمين في إنشـاء أوَّل أسـطول بحريٍّ في الإسـلام في عهد عثمان، وسـيأتي دور هذا الأسـطول في الفتوحات الإسـلاميَّة بإذن الله تعالى عند حديثنا عن الفتوحات[3] .

8 – الإنفاق على تحويل السَّاحل من الشُّعيبة إلى جدَّة:

في سـنة سـتٍّ وعشـرين هجريَّةٍ كلَّم أهل مكَّة عثمان رضـي الله عنه أن يحوِّل السَّاحل من الشُّعيبة، وهي ساحل مكَّة قديماً في الجاهليَّة، إلى ساحلها اليوم وهي جدَّة لقربها من مكَّة، فخرج عثمان إلى جدَّة، ورأى موضـــعها، وأمر بتحويل السَّـــاحل إليها، ودخل البحر، واغتســـل فيه، وقال: إنَّه مباركٌ، وقال لمن معه:

---

[1] البداية والنهاية (60/7) . وتاريخ الطبري (267/5) .
[2] تاريخ الطبري (250/5) . وذو النُّورين ، محمَّد رضا ، ص(25) .
[3] السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (147 ، 148) .

ادخلوا البحر للاغتســـال، ولا يدخل أحد إلا بمئزرٍ، ثمَّ خرج من جدَّة من طريق عسفان إلى المدينة، وترك النَّاس ساحل الشُّعيبة في ذلك الزَّمان، واستمرَّت جدة بندراً إلى الان لمكَّة المشرَّفة[1] .

9- تمويل حفر الابار من بيت مال المسلمين:

ومن الأعمال الّتي موَّلها بيت مال المسلمين في عهد عثمان حفر بئرٍ للشُّـرب بالمدينة، وتسمى بئر أريس، وهي على ميلين من المدينة وكان ذلك في سنة ثلاثين هجريّة، وحدث أن قعد عثمان على رأس البئر، وكان بأصـــبعه خاتم رســـول الله فانســلَّ الخاتم من أصـبعه، فوقع في البئر، فطلبوه في البئر، ونزحوا ما فيها من الماء فلم يقدروا عليه، فجعل فيه مالاً عظيماً لمن جاء به، واغتمَّ لذلك غمّاً شـــديداً، فلمَّا يئس من العثور على الخاتم صنع خاتماً اخر مثله من فضَّةٍ على مثاله، وشبهه ونقش عليه (محمَّد رسول الله) فجعله في أصبعه حتَّى قتل، فلمَّا قتل ذهب الخاتم من يده، فلم يُدْرَ من أخذه[2] .

10 – الإنفاق على المؤذِّنين من بيت المال:

كان عثمان رضـــي الله عنه أوَّل من رزق المؤذنين من بيت المال، قال الإمام الشَّـافعيُّ: (قد أرزق المؤذِّنين إمام هدى عثمان بن عفَّان)[3]، وقد جعل عثمان رضي الله عنه على الأذان جعالةً، ولا يستأجر استئجاراً[4] .

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص (148) .
[2] ذو النُّورين عثمان بن عفّان ، محمَّد رضا ، ص (26) .
[3] البداية والنهاية (161/7) . وتاريخ الطبري (284/5) .
[4] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(14) .

11- تمويل أهداف الإسلام العليا:

يتَّضح من دراسة النَّفقات العامَّة السَّابقة من بيت المال: أنَّها ساهمت في تمويل الأهداف العليا للدَّولة الإســـلاميَّة، فضـــلاً عن الإنفاق العامِّ على إدارة الدَّولة، ومصالح الرَّعية، ثمَّ الإنفاق على نشر الإسلام كي تكون كلمة الله هي العليا . وتمَّ تمويل إنشاء أوَّل أسطولٍ بحريٍّ للدولة الإسلاميَّة، كما تمَّ تعمير بيوت الله بالإنفاق على إقامة المساجد، وتجديدها، ورزق المؤذِّنين، والولاة، والقضاة، والجند، وعمَّال الدَّولة، كما تمَّ الصَّـــرف على رحلات الحجّ إلى بيت الله الحرام، وكســـوة الكعبة، وهي قبلة الإسلام والمسلمين، كما أنَّ بيت مال المسلمين قدَّم أمواله لحفر الابار ؛ ليشرب منها الغادي، والرَّائح من مواطني الدَّولة الإسلاميَّة .

ومن مصـادر الدَّولة كالزَّكاة، وخمس الغنائم، تمَّ تمويل شـرائح المجتمع الضَّـعيفة في الدَّولة الإسـلاميَّة، وهم الفقراء، والمسـاكين، واليتامى، ومسـاندة الغرباء، وأبناء السَّبيل، وفكِّ الرِّقاب[1].

تاسعاً: استمرار نظام الأعطيات في عهد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه:

اسـتمرَّ نظام الأعطيات في عهد عثمان رضـي الله عنه كما كان في عهد عمر بن الخطَّاب رضـي الله عنه، فقد اعتمد السَّـابقة في الدِّين أسـاسـاً للعطاء، وكتب بذلك لواليه على الكوفة بقوله: أمَّا بعد: ففضِّـل أهل السَّـابقة، والقدمة ممَّن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بســـببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .

الحقِّ، وتركوا القيام به، وقام به هؤلاء، واحفظ لكلٍّ منزلته، وأعطهم جميعاً بقسطهم من الحقِّ، فإنَّ المعرفة بالنَّاس بها يصاب العدل[1] .

وحين اتَّسعت الفتوحات الإسلاميَّة في عهده، كثرت موارد الدَّولة الماليَّة ممَّا أدى بالخليفة عثمان رضي الله عنه أن يتَّخذ له الخزائن[2]، فانعكس ذلك بدوره على العطاء، فزاد في أرزاق الجند بمقدار مئة درهم لكلٍّ منهم، فهو أوَّل خليفة زاد النَّاس في العطاء، واستنَّ به الخلفاء من بعده في الزِّيادة[3] .

قال الحسن: وشهدت منادي عثمان ينادي: يا أيُّها الناس ! اغدوا على كسوتكم، فيأخذون الحلل، واغدوا على السَّمن والعسل، قال الحسن: أرزاقٌ دارَّةٌ، وخيرٌ كثيرٌ، وذاتُ بينٍ حسنة، ما على الأرض مؤمنٌ يخاف مؤمناً إلا يودُّه، وينصره، و يألفه[4].

واهتمَّ الخليفة عثمان بأمر الثغور والمرابطة فيها فكان يأمر قادته بإجراء الأرزاق، والعطاء، ومضاعفته للجند المرابطين[5].

عاشراً: تدفُّق الأموال على الحياة الاجتماعيَّة، والاقتصادية:

في عهد عثمان كثر الخراج، وأتاه المال من كلِّ وجه، فاتَّخذ له الخزائن، وأثَّر ذلك بدوره في الأثر الاقتصاديِّ، والاجتماعيِّ، فعن أبي إسحاق، أنَّ جدَّه مرَّ

---

(1) السِّياسة الماليَّة لعثمان بن عفان رضي الله عنه ، ص (150) .

(2) تاريخ الطبري (280/5) .

(3) الإدارة العسكرية في الدَّولة الإسلاميَّة (36/2 - 68) . والنُّجوم الزَّاهرة (87/1) .

(4) تاريخ الطبري (245/5) .

(5) مجمع الزَّوائد (93/9 ، 94) . وفصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(52) .

على عثمان، فقال له: كم معك من عيالك يا شيخ ؟ ! قال: معي كذا، قال: قد فرضنا لك في خمس عشرة – يعني: ألفاً وخمسمئةٍ – وفرضنا لعيالك مئة، مئة[1]، وعن محمَّد بن هلال المديني، قال: حدَّثني أبي عن جدَّتي: أنها كانت تدخل على عثمان، فافتقدها يوماً، فقال لأهله: ما لي لا أرى فلانة ؟ فقالت امرأته: يا أمير المؤمنين ! ولدت اللَّيلة غلاماً، فقالت: فأرسل إليَّ بخمسين درهماً، وشقيقة سنبلانيَّة، ثمَّ قال: هذا عطاء ابنك، وهذه كسوته، فإذا مرَّت به سنةٌ، رفعناه إلى مئة[2]، كما وسَّع رضي الله عنه على عيال أهل العوالي بالمدينة المنوَّرة في القوت، والكسوة[3]، وحين قام القائد قطن بن عمرو الهلالي بإعطاء الجيش الّذي برفقته وعدده أربعة الاف جندي أربعة الاف درهم كتشجيع لهم، استكثر ذلك والي البصرة عبد الله بن عامر، وكتب بالخبر إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه فأجازها، وقال: ما كان معونةً في سبيل الله، فجائز. فصارت الجائزة اسماً للعطيَّة[4] .

وقام عثمان بتوريث عطاء الجنديِّ الإسلاميِّ لورثته من بناته، وزوجاته، فقد قال الزُّبير بن العوَّام للخليفة عثمان بعدما مات عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أعطني عطاء عبد الله، فعيال عبد الله أحقُّ به من بيت المال، فأعطاه خمسة عشر ألفاً[5].

هذا ونشطت الحركة الزِّراعيَّة، والصِّناعيَّة، والتِّجاريَّة في عهد الخليفة الرَّاشد

(1) فتوح مصر ، ص(192) . وفتوح البلدان للبلاذري (152/1 ، 157) .
(2) الإدارة العسكرية (768/2) .
(3) المصدر السَّابق نفسه (769/2) .
(4) الطَّبقات (298/3) .
(5) الأوائل ، للعسكري (26/2 ، 27) .

عثمان بن عفَّان، وبسـبب ما منَّ الله به على المسـلمين من فتوحٍ ؛ أصـبح أهل المدينة خاصَّـةً، والمسـلمون عامَّةً في نعمةٍ، ويسـارٍ، وكان يقترن بهذا الثَّراء ضـروبٌ واســعةٌ من الحضــارة لم تعرفها الجزيرة العربيَّة قبل الفتوحات الكبيرة، لقد اطَّلع المسلمون على ما عند الأمم الأجنبيَّة، واقتبسوا منهم، وبدأ هذا الاقتباس يتَّسع في خلافة عثمان، فبنى بعض الصَّـحابة الدُّور، والمنازل الكبيرة، وسـاهم الأجانب الّذين سُبُوا في الفتوح في تطوير الحياة الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة[1] .

الحادية عشرة: عثمان، وأقاربه، والعطاء من بيت المال:

اتُّهم عثمان رضـي الله عنه من قبل الغوغاء، والخوارج بإسـرافه في بيت المال، وإعطائه أكثره لأقاربه، وقد سـاند هذا الاتِّهام حملةٌ دعائيَّةٌ باطلةٌ قادها أعداء الإسلام ضدَّه، وتسرَّبت في كتب التَّاريخ، وتعامل معها بعض المفكِّرين، والمؤرِّخين على كونها حقائق، وهي باطلةٌ، لم تثبت ؛ لأنَّها مختلقةٌ، والّذي ثبت من إعطائه أقاربه أمورٌ تعدُّ من مناقبه، لا من المثالب فيه:

1- إنَّ عثمان رضي الله عنه كان ذا ثروةٍ عظيمةٍ، وكان وصولاً للرَّحم[2]يصلهم بصـلاتٍ وفيرةٍ، فنقم عليه أولئك الأشـرار، وقالوا بأنَّه إنَّما كان يصـلهم من بيت المال، وعثمان قد أجاب عن موقفه هذا بقوله: وقالوا: إنِّي أحبُّ أهل بيتي، وأعطيهم . . فأمَّا حبِّي لهم ؛ فإنَّه لم يمل معهم إلى جورٍ، بل أحمل الحقوق عليهم... وأمَّا إعطاؤهم؛ فإنِّي إنَّما أعطيهم من مالي، ولا أستحلُّ أموال المسلمين

---

[1] الإدارة العسكريَّة (770/2) .
[2] الحضارة العربيَّة الإسلاميَّة ، د . وضاح الصَّمد ، ص(114) .

لنفســي، ولا لأحدٍ من النَّاس، وقد كنت أعطي العطيَّة الكبيرة الرَّعية من صــلب مالي أزمان رسول الله(ﷺ)، وأبي بكرٍ، وعمر، وأنا يومئذٍ شحيحٌ حريصٌ، أفحين أتيت على أســـنان أهل بيتي[1]، وفني عمري، وودَّعت الّذي لي في أهلي ؛ قال الملحدون ما قالوا ؟ ![2].

وكان عثمان قد قســـم ماله، وأرضـــه في بني أميَّة، وجعل ولده كبعض مَنْ يعطي، فبدأ ببني أبي العاص، فأعطى ال الحكم رجالهم عشــرة الاف، فأخذوا مئة ألف، وأعطى بني عثمان مثل ذلك، وقســـم في بني العاص، وفي بني العيص، وفي بني حرب[3]، فهذه النُّصوص، وغيرها ممَّا اشتُهر عنه، وما صحَّ من الأحاديث في فضائله الجمَّة تدلُّ على أنَّ كلَّ ما قيل فيه من إسرافه في بيت المال، وإنفاق أكثره على نفسه، وأقاربه، وقصوره حكاياتٌ بدون زمامٍ، ولا خطامٍ . ومع براءة عثمان ممَّا نُســـب إليه، إلا أنَّ بعض العلماء ذهبوا إلى أنَّ ســـهم ذوي القربى هو لقرابة الإمام[4].

قال تقيُّ الدِّين ابن تيميَّة: إنَّ ســـهم ذوي القربى ذهب بعض الفقهاء إلى أنَّه لقرابة الإمام، كما قال الحســـن، وأبو ثور، وأنَّ النَّبيّ(ﷺ) كان يعطي أقاربه بحكم الولاية، فذوي القربى في حياة النَّبيّ(ﷺ) ذوي قرباه، وبعد موته هم ذوي قربى مَنْ يتولى الأمر بعده، وذلك لأنَّ نصر وليِّ الأمر، والذَّبَّ عنه متعيِّن، وأقاربه ينصرونه، ويذبُّون عنه ما لا يفعله غيرهم، وقال: وبالجملة ؛ فعامَّة مَنْ تولَّى الأمر بعد عمر

---

(1) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(82) .
(2) جاوزت أعمارهم .
(3) تاريخ الطبري (356/5) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .

كان يخصُّ بعض أقاربه إمَّا بالولاية، أو بمالٍ[1] .

وقال: إنَّ ما فعله عثمان في المال له ثلاثة ماخذ: أحدها: أنَّه عاملٌ عليه، والعامل يستحقُّ مع الغنى، والثَّاني: أنَّ ذوي القربى هم ذوو قربى الإمام، والثَّالث: أنَّ قرابة عثمان كانوا قبيلة كبيرةً كثيرةً ليسوا مثل قبيلة أبي بكرٍ، وعمر، فكان يحتاج إلى إعطائهم، وولايتهم أكثر من حاجة أبي بكرٍ، وعمر إلى تولية أقاربهما، وإعطائهم ... وهذا ممَّا نقل عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه الاحتجاج به[2].

2- جاء في تاريخ الطَّبري: أنَّ عثمان لما أمر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالزَّحف من مصر على تونس لفتحها ؛ قال له: إن فتح الله عليك بإفريقية ؛ فلك ممَّا أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً، فخرج بجيشه حتَّى قطعوا أرض مصر، وأوغلوا في أرض إفريقية، وفتحوها، وسهلها، وجبالها، وقسَّم عبد الله على الجند ما أفاء الله عليهم، وأخذ خمس الخمس، وبعث بأربعة أخماسه إلى عثمان مع ابن وثيمة النَّضري، فشكا وفدٌ ممَّن كان معه إلى عثمان ما أخذه عبد الله، فقال لهم عثمان: إنَّما أمرت له بذلك، فإن سخطتم ؛ فهو ردٌّ . قالوا: إنَّا نسخطه . فأمر عثمان عبد الله أن يردَّه، فردَّه[3] . وقد ثبت في السُّنَّة تنفيل أهل الغناء، والبأس في الجهاد[4].

3- وكان قد بقي من الأخماس والحيوان - في فتح إفريقية - ما يشقُّ حمله إلى المدينة، فاشتراه مروان بمئة ألف درهمٍ، ونقد أكثرها، وبقيت منه بقيَّة، وسبق

---

[1] فصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(83) .
[2] منهاج السُّنَّة (187/3 ، 188) .
[3] منهاج السُّنَّة (237/3) . والدَّولة الأمويَّة ، لحمدي شاهين ، ص(163) .
[4] تاريخ الطبري (253/5) .

إلى عثمان مبشِّـــراً بالفتح، وكانت قلوب المســـلمين في غاية القلق خائفةً من أن يصـيب المسـلمين نكبةٌ من أمر إفريقية، فوهب له عثمان ما بقي جزاء بشـارته، وللإمام أن يعطي البشـير ما يراه لائقاً بتعبه، وخطر بشـارته، هذا هو الثَّابت في عطيَّة عثمان لمروان، وما ذكروه من إعطائه خمس إفريقية، فكذبٌ[1]، لقد كان عثمان رضي الله عنه شديد الحبِّ لأقاربه، ولكن ذلك لم يمل به إلى غشيان محرَّم، أو إساءة السِّيرة، والسِّياسة في أمور المال، أو غيرها، وإنَّما دُسَّت في كتب التاريخ أكاذيبُ باطلةٌ، كان خلفها الدِّعاية السَّبئيَّة والشِّيعيَّة الإماميَّة الظَّالمة ضدَّ عثمان، رضي الله عنه .

إنَّ سيرة عثمان رضي الله عنه في أقاربه تمثِّل جانباً من جوانب الإسلام الكريمة الرَّحيمة ؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ *﴾ [الشورى: 23]، وقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا *﴾ [الإسراء: 26] .

كما أنَّها تمثِّل جانباً عمليّاً من سـيرة المصـطفى(ﷺ) فقد رأى من رسـول الله(ﷺ) وعلم من حاله ما لم ير، أو يعلم غيره من منتقديه، وعقل من الفقه ما لم يعقله مثله من جمهرة النَّاس، وكان ممَّا رأى شدَّة حبِّ رسول الله(ﷺ) لأقاربه وبرِّه بهم، وإحسانه إليهم، وقد أعطى عمَّه العبَّاس ما لم يعط أحداً عندما ورد عليه مال البحرين[2]، وولَّى عليّاً، وهو ابن عمِّه، وصهره، ولعثمان، وسائر المؤمنين في رسول

---

[1] فصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(84) .
[2] المصدر السابق نفسه .

الله(ﷺ) أعظم القدوة[1] .

يقول ابن كثير – رحمه الله –: وقد كان عثمان رضي الله عنه كريم الأخلاق ذا حياءٍ كثيرٍ، وكرمٍ غزير، يؤثر أهله، وأقاربه في الله، تأليفاً لقلوبهم من متاع الدُّنيا الفاني لعلَّه يرغِّبهم في إيثار ما يبقى على ما يفنى، كما كان النَّبيّ(ﷺ) يعطي أقواماً، ويدع اخرين إلى ما جُعل في قلوبهم من الهدى، والإيمان، وقد تعنَّت عليه بسـبب هذه الخصـلة أقوامٌ كما تعنَّت بعض الخوارج على رسـول الله(ﷺ) في الإيثار[2]، فعن جابر بن عبد الله رضـي الله عنهما قال: بينما رسـول الله(ﷺ) يقسم غنيمة بالجعرانة[3]؛ إذ قال له رجلٌ: اعدل . قال: « شقيت إن لم أعدل»[4]

ويحتجُّ عثمان رضي الله عنه لبرِّهِ أهل بيته، وقرابته مخاطباً مجلس الشُّورى بقوله: أنا أخبركم عنِّي وعمَّا ولِّيت، إنَّ صـاحبيَّ اللَّذين كانا قبلي ظلما أنفسـهما، ومن كان منهما سبيل احتساباً، وإنَّ رسول الله(ﷺ) كان يعطي قرابته، وأنا في رهط أهل عيلةٍ وقلَّة معاشٍ، فبسطت يدي في شيءٍ من ذلك لما أقوم به فيه، فإن رأيتم ذلك خطأً، فردُّوه[5] .

وقد ردَّ ابن تيميَّة – رحمه الله – على من اتَّهم عثمان بتفضـيله أهله بالأموال الكثيرة من بيت المال، فقال: وكان يؤثر أهله بالأموال الكثيرة من بيت المال حتَّى إنَّه دفع إلى أربعة نفر من قريش زوَّجهم بناته أربعمئة ألف دينار، ودفع إلى مروان

(1) البخاريُّ ، كتاب الجزية .
(2) البداية والنهاية (201/7) .
(3) المصدر السابق نفسه .
(4) ماءٌ بين الطَّائف ومكَّة . وهي إلى مكَّة أقرب .
(5) الطَّبقات الكبرى (190/3) .

ألف ألف دينار – مليون دينار – فالجواب يقال: أين النَّقل الثابت بهذا ؟

نعم كان يعطي أقاربه، ويعطي غير أقاربه أيضـــاً، وكان يحســـن إلى جميع المســـلمين، وأمَّا هذا القدر الكثير فيحتاج إلى نقلٍ ثابتٍ، ثمَّ يقال ثانياً: هذا من الكذب البيِّن، فإنَّه لا عثمان، ولا غيره من الخلفاء الرَّاشـــدين أعطوا أحداً ما يقارب هذا المبلغ[1] .

---

[1] منهاج السُّنَّة (190/3) .

المبحث الثَّاني : المؤسَّسة القضائيَّة وبعض الاجتهادات الفقهيَّة

يعتبر عهد ذي النُّورين امتداداً للعهد الرَّاشـدي الَّذي تتجلَّى أهميَّته بصـلته بالعهد النَّبويِّ، وقربه منه، فكان العهد الرَّاشـديُّ عامَّةً، والجانب القضـائيُّ فيه خاصَّة امتداداً للقضاء في العهد النَّبويِّ، مع المحافظة الكاملة، والتَّامة على جميع ما ثبت في العهد النَّبويِّ، وتطبيقه بحذافيره، وتنفيذه بنصِّه ومعناه، وتظهر أهمِّيَّة العهد الرَّاشديِّ في القضاء بأمرين أساسيين:

- المحافظة على نصـوص العهد النَّبويِّ في القضـاء، والتَّقيد بما جاء فيه، والسَّير في ركابه، والاستمرار في الالتزام به .
- وضـع التنظيمات القضـائيَّة الجديدة لترسـيخ دعائم الدَّولة الإسـلاميَّة الواسعة، ومواجهة المستجدَّات المتنوِّعة[1] .

استطاع الفاروق بتوفيق الله، ثمَّ عبقريته الفذَّة أن يطوِّر مؤسَّسة القضاء للدَّولة الإسلاميَّة، وأصبحت لها قواعد، ونظم، استفاد منها الخليفة الرَّاشد عثمان رضي الله عنه في تعيين القضـاة، وأرزاقهم، واختصـاصـهم القضـائيِّ، ومعرفة صـفات القاضـي، وما يجب عليه، ومصـادر الأحكام القضـائيَّة، والأدلَّة الَّتي يعتمد عليها القضـاة، كما أنَّه أصبحت هناك سـوابق قضـائيَّة من الصِّـدِّيق، والفاروق اسـتفاد منها القضاة في عهد عثمان رضي الله عنه .

عندما تولَّى عثمان رضـي الله عنه الخلافة كان على قضـاء المدينة يومئذٍ: عليُّ

[1] تاريخ القضاء في الإسلام ، للزُّحيلي ، ص(83 ، 84) .

ابن أبي طالبٍ، وزيد بن ثابتٍ، والسَّائب بن يزيد، رضي الله عنهم . ويذكر بعض الباحثين: أنَّ عثمان لم يترك لأحدٍ من هؤلاء القضاة الاستقلال بالفصل في قضيَّةٍ من القضـــايا، كما كان الحال في عهد عمر، رضـــي الله عنه، بل كان ينظر في الخصـومات بنفسـه، ويستشـير هؤلاء، وغيرهم من الصَّـحابة فيما يحكم به، فإن وافق رأيهم رأيه ؛ أمضـاه، وإن لم يوافق رأيهم رأيه ؛ نظر في الأمر بعد ذلك، وهذا يعني: أن عثمان رضـــي الله عنه قد أعفى القضـــاة الثلاثة في المدينة من ولاية القضاء، وأبقاهم مستشارين له في كلِّ شجارٍ يرفع إليه مع استشارة اخرين . ويرى بعضـهم: أنَّه لم يثبت نصٌّ صـريحٌ يفيد الإعفاء، وغاية ما ورد في ذلك يدلُّ على أنَّ عثمان رضـي الله عنه قد أقرَّ قضـاة عمر بالمدينة، ولكنَّه تحمَّل عنهم النظر في كثير من القضـــايا الكبيرة مع اســتشـــارتهم فيها . ومنشـــأ هذا الخلاف تعارض الرِّوايات الواردة في ذلك:

- روى البيهقيُّ في ســـننه، ووكيعٌ في أخبار القضـــاة – واللفظ له – عن عبد الرَّحمن بن ســـعيدٍ، قال: أخبرني جدِّي، قال: رأيت عثمان بن عفَّان في المســجد إذا جاءه الخصــمان ؛ قال لهذا: اذهب فادع عليّاً، وللاخر: اذهــب فــادع طلحــة بن عبيــد الله، والزُّبير، وعبــد الرَّحمن، فجاؤوا، فجلســوا، فقال لهما: تكلَّما، ثمَّ يقبل عليهم، فيقول: أشــيروا عليَّ، فإن قالوا ما يوافق رأيه ؛ أمضــــاه عليهما، وإلا نظر، فيقومون مسلِّمين، ولا يعلم: أنَّ عثمان بن عفَّان استعمل قاضـياً بالمدينة، إلى أن قتل، رضي الله عنه .

❖ جاء في تاريخ الطَّبري عند الحديث على أعمال عثمان: وكان على قضاء عثمان يومئذٍ زيد بن ثابت، وهذا يشعر بأنَّ عثمان أبقى زيداً على ولاية القضاء، ويستلزم الإذن له بالفصل في الخصومات. وما دام الجمع بين النَّصين ممكناً؛ فإنَّ الأخذ به أولى من الأخذ بأحد النَّصَّين في غير المرجَّح، ويجمع بين النَّصين بأنَّ عثمان أبقى قضاة المدينة للفصل في بعض الخصومات، ولكن بعضها الاخر من معضلات القضايا جعله خاصّاً به، مع استشارة أصحابه فيها، ومنهم قضاته[1].

وكان عثمان رضي الله عنه يعيِّن القضاة على الأقاليم حيناً، مثل تعيينه كعب بن سور على قضاء البصرة، ويترك القضاء للوالي حيناً اخر مثل طلبه من واليه على البصرة أن يقوم بالقضاء بين النَّاس إضافةً إلى عمل الولاية، وذلك بعد عزل كعب ابن سور، وكذلك كان يعلى بن أميَّة والياً وقاضياً على صنعاء[2]، ويلاحظ: أنَّ بعض الولاة كانوا يختارون قضاة بلدانهم بأنفسهم، ويكونون مسؤولين أمامهم، ممَّا يشير إلى ازدياد نفوذ الولاة في خلافته من القضاة[3].

والمأثور عن عثمان كتبه ورسائله إلى أمراء الأمصار، وإلى أمراء الأجناد بالثُّغور، وإلى عامَّة المسلمين، وهذا يدعو إلى غلبة الظَّنِّ بأنَّه جعل القضاء من اختصاص الولاة، يتولونه بأنفسهم، أو يعيِّنون له من يستطيع القيام به[4]، ففي الوقت الّذي نجد فيه مراسلاتٍ كثيرةً بين عمر وقضاة الأمصار، نجد ندرةً في

---

(1) النظم الإسلاميَّة (378/1) وقائع ندوة أبو ظبي (1405) هـ .
(2) عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص(143) .
(3) النُّظم الإسلاميَّة (378/1) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .

المراسلات في عهد عثمان بينه وبين أولئك القضاة[1] .

ابن عمر يعتذر عن القضاء:

قال عثمان لابن عمر: اقضِ بين النَّاس . فقال: لا أقضــي بين اثنين، ولا أؤُمُّ رجلين، أما سمعت النَّبيّ(ﷺ) يقول: « من عاذ بالله، فقد عاذ بمعاذ ؟ » قال عثمان: بلى ! قال: فإنِّي أعوذ بالله أن تســـتعملني ! فأعفاه، وقال: لا تُخبر بهذا أحداً[2].

دار القضاء:

تذكر بعض كتب التاريخ: أنَّ من ماثر ذي النُّورين اتِّخاذه داراً للقضــــاء، كما يظهر ذلك من روايةٍ رواها ابن عساكر عن أبي صالح مولى العبَّاس، قال: أرسلني العبَّاس إلى عثمان أدعوه، فأتيته في دار القضاء ... إلى اخر الحديث، فإذا صحَّ ؛ فيكون عثمان هو أوَّل من اتَّخذ في الإسلام داراً للقضـاء، وقد كان الخليفتان قبله يجلسان للقضاء في المسجد، كما هو مشهور[3] .

أشهر القضاة في خلافة عثمان:

1 - زيد بن ثابت (المدينة) .

2 - أبو الدَّرداء (دمشق) .

---

(1) الولاية على البلدان (92/2) .
(2) مسند الإمام أحمد ، رقم (475) حسن لغيره .
(3) أشهر مشاهير الإسلام (740/4) .

3 – كعب بن سور (البصرة) .

4 – أبو موسى الأشعريُّ (البصرة بالإضافة إلى ولايته) .

5 – شريح (الكوفة) .

6 – يعلى بن أميَّة (اليمن) .

7 – ثمامة (صنعاء) .

8 – عثمان بن قيس بن أبي العاص (مصر)[1] .

هذا وقد ترك الخليفة الرَّاشد أحكاماً فقهيَّةً في مجال القصاص، والجنايات، والحدود، والتَّعزير، والعبادات، والمعاملات كان لها الأثر الواضح في المدارس الفقهيَّة الإسلاميَّة، وهذه بعض الأحكام الّتي أصدرها عثمان، أو أفتى بها:

أولاً: فيما يتعلَّق بالقصاص، والحدود، والتَّعزير:

1– أوَّل قضيةٍ واجهت عثمان رضي الله عنه قضية قتلٍ:

أوَّل قضيَّةٍ حكم فيها عثمان رضي الله عنه قضية عبيد الله بن عمر، وذلك أنَّه غدا على ابنة أبي لؤلؤة قاتلِ عمر، فقتلها، وضرب رجلاً نصرانيّاً يقال له: جفينة بالسَّيف، فقتله، وضرب الهرمزان الّذي كان صاحب تستر، فقتله، وكان قد قيل: إنَّهما مالأا أبا لؤلؤة على قتل عمر، فالله أعلم[2]، وكان عمر قد أمر بسجنه

(1) عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص(159 ، 160) .
(2) البداية والنهاية (154/7) .

ليحكم فيه الخليفة من بعده، فلمَّا وِلِّي عثمان، وجلس للناس كان أوَّل ما تحوكم إليه في شـــأن عبيد الله، فقال عليٌّ: ما من العدل تركه، وأمر بقتله، وقال بعض المهاجرين: أيقتل أبوه بالأمس، ويقتل هو اليوم ؟ ! فقال عمرو بن العاص: يا أمير المؤمنين ! قد برَّأك الله من ذلك، قضـــيةٌ لم تكن في أيَّامك، فدعها عنك ! فودى[1]عثمان رضـــي الله عنه أولئك القتلى من ماله ؛ لأنَّ أمرهم إليه ؛ إذ لا وارث لهم إلا بيت المال، والإمام يرى الأصلح في ذلك، وخلَّى سبيل عبيد الله[2] . وقد جاءت روايةٌ في الطَّبريِّ تفيد بأنَّ القماذبان بن الهرمزان قد عفا عن عبيد الله، فعن أبي منصـــورٍ، قال: سمعت القماذبان يحدِّث عن قتل أبيه، قال: كانت العجم بالمدينة يستروح بعضها إلى بعضٍ، فمرَّ فيروز بأبي، ومعه خنجر له رأسان، فتناوله منه، وقال: ما تصنع بهذا في هذه البلاد ؟ فقال: انس به، فراه رجلٌ، فلمَّا أصيب عمر، قال: رأيت هذا مع الهرمزان، دفعه إلى فيروز، فأقبل عبيد الله، فقتله، فلمَّا وِلِّي عثمان دعاني، فأمكنني منه، ثمَّ قال: يا بني ! هذا قاتل أبيك، وأنت أولى به منَّا، فاذهب، فاقتله، فخرجت به، وما في الأرض أحدٌ إلا معي، إلا أنهم يطلبون إليَّ فيه . فقلت لهم: ألي قتلُه ؟ قالوا: نعم ! وســـبُّوا عبيد الله. فقلت: أفلكم أن تمنعوه ؟ قالوا: لا ! وســـبُّوه . فتركته لله، ولهم . فاحتملوني، فوالله ما بلغت المنزل إلا على رؤوس الرِّجال، وأكفِّهم[3].

ولا يوجد تعارض بين هذه الرِّواية والرِّواية الأخرى الّتي تذكر: أنَّ الخليفة عثمان عفا عن عبيد الله بن عمر وتحمَّل هو الدِّية الشَّـــرعيَّة لورثة الهرمزان ؛ لأنَّه

[1] ودى: دفع دية القتلى .
[2] البداية والنهاية (154/7) .
[3] تاريخ الطبري (243/5) إسناده لا يصحُّ .

يوجد في فهم جميع الصَّـــحابة حقٌّ لابن الهرمزان في القصـــاص، وقد اســـتجاب لرجائهم له في العفو على النَّحو السَّـــالف ذكره، كما أنَّ عفو الخليفة يرجع إلى ســـلطة التَّحقيق في الجريمة، والحكم فيها هو للخليفة، وليس لابن المقتول، فيكون عبيد الله قد اعتدى على حقِّ الخليفة، ومن ثمَّ فرواية العفو منه تنصـرف إلى العفو بسبب هذا الحقّ، وهذه المخالفة من عبيد الله، حيث أضاع على الدَّولة أمراً مهمّاً هو معرفة الخلايا الّتي تتَّصل بالجريمة من الجناة، والأشخاص، والجهات الّتي كانت خلف هذه المؤامرة، كما ينصـــرف العفو من الخليفة إلى مَنْ ليس لهم وليٌّ، وهم جفينة، وابنة المجوســيِّ القاتل، ولا يوجد خلاف في الرِّوايات، والمصـــادر التَّاريخيَّة على أنَّ الخنجر الّذي قتل به عمر ابن الخطَّاب كان بيد الهرمزان، وجفينة قبل الحادث، وقد شـــاهد ذلك اثنان من الصَّـحابة وهما عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن أبي بكر، ورواية عبد الرَّحمن بن أبي بكر تفيد: أنَّ القاتل أبا لؤلؤة كان مع هذين الشَّـــريكين يتناجون ثلاثتهم، فلمَّا باغتهم ؛ ســـقط الخنجر من بينهم، وبعد قتل عمر وجدوا: أنَّه نفس الخنجر الّذي وصـــفه الشَّـــاهدان[1]، وبالتَّالي فالهرمزان، وجفينة يســـتحقان القتل، أمَّا ابنة أبي لؤلؤة الّذي قتل نفســـه ؛ ليخفي المشتركين معه، فهذه قتلت خطأً، ولا يقتل فيها أحدٌ، وقد رأى عبيد الله: أنَّها من المشاركين في القتل حيث كانت تخفي السِّلاح لأبيها[2] .

2- قتل اللُّصوص:

إنَّ شباباً من شباب أهل الكوفة – في ولاية الوليد بن عقبة – نقبوا على ابن

---

(1) المصدر السابق.
(2) الطَّبقات الكبرى (3/350-355) .

الحَيْسُمان الخزاعيّ، وكاثروه، فنذر بهم، فخرج عليهم بالسَّيف، فلمَّا رأى كثرتهم ؛ استصرخ، قالوا له: اسكت ! فإنَّما هي ضربةٌ حتَّى نريحك من روعة هذه اللَّيلة – وأبو شُريح الخزاعي مشرفٌ عليهم – فصاح بهم، وضربوه، فقتلوه، وأحاط النَّاس بهم فأخذوهم، وفيهم زهير بن جُندب الأزديُّ، ومورّع بن أبي مورّع الأسديُّ، وشُبيل بن أبي الأزديُّ في عدَّةٍ، فشهد عليهم أبو شريح، وابنه: أنَّهم دخلوا عليه، فمنع بعضهم بعضاً من النَّاس، فقتله بعضهم، فكتب فيهم إلى عثمان، فكتب إليه في قتلهم، فقتلهم على باب القصر في الرَّحبَة . وقال في ذلك عمر بن عاصم التَّميمي:

لاَ تَأْكُلُوا أَبَداً جِيْرَانَكُمْ سَرَفاً ... أَهْلَ الزَّعَارَةِ فِي مُلْكِ ابْنِ عفَّانِ

وقال أيضاً:

إنَّ ابن عفَّانَ الّذي جَرَّبْتُمُ ... فَطَمَ اللُّصُوصَ بِمُحْكَمِ الفُرْقَانِ

مَازَالَ يَعْمَلُ بِالْكِتَابِ مُهَيْمِنا ... فِي كُلِّ عُنْقٍ مِنْهُمُ وَبَنَانِ[1]

3– رجل قتل تاجراً لماله:

كان ذلك في خلافة عثمان، وكانت العقوبة: القتل قصاصاً[2].

4– عقوبة السَّاحر:

حدث في عهد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه أنَّ جاريةً لحفصة سحرتها،

---

[1] الخلافة والخلفاء الرَّاشدون ، ص(218 ، 219) .
[2] تاريخ الطبري (272/5) .

فاعترفت الجارية بذلك، فأمرت حفصة بها عبد الرَّحمن بن زيدٍ فقتلها، فأنكر ذلك عليها عثمان، فقال ابن عمر: ما تنكر على أمِّ المؤمنين من امرأة سحرتها، واعترفت؟ فسكت عثمان، وعثمان لم ينكر على حفصة القتل، ولكنَّه أنكر عليها الافتئات على حقِّ الإمام في إقامة الحدود، فإنَّ أمر الحدود إلى الإمام، وهذا ما يدلُّ عليه قول ابن عمر: ما تنكر على أمِّ المؤمنين من امرأة سحرتها، واعترفت ؟ يعني: أن القضاء فيها واضحٌ، وأنَّ استحقاقها القتل لا تدفعه شبهةٌ[1] .

5- جناية الأعمى:

الأعمى قائده كالالة، يتحرَّك بأمره، وهو مع مُجالسه غفلٌ، يتحرَّك وهو قد يتردَّى في حركته، أو يتضرَّر، فلا يتوقع: أنَّه يتحاشى إضرار غيره بحركته، وهو لا يراه، ولذلك فإنَّه إذا ما جنى على قائده، أو مَنْ جالسه دُون قصدٍ، فجنايته هدرٌ، قال عثمان بن عفَّان: أيُّما رجلٍ جالس أعمى، فأصابه الأعمى بشيءٍ ؛ فهو هدرٌ[2] .

6- جناية المقتتلين على بعضهما:

قد يقع شجار بين الأشخاص، فيجني كلُّ واحدٍ من المتشاجرين على صاحبه، فإن حصل شيءٌ من هذا ؛ فالواجب القصاص ؛ لأنَّ هذه الجناية جناية عمدٍ ؛ إذ الظَّاهر: أن كلَّ واحدٍ منهما حريصٌ على أن ينال من صاحبه . قال عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: إذا اقتتل المقتتلان، فما كان بينهما من جراحٍ،

---

[1] عصر الخلافة الرَّاشدة ، ص(153) .
[2] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(169 ، 170) .

فهو قصاصٌ[1].

7- الجناية على الحيوان:

إذا وقعت الجناية على الحيوان ؛ فالواجب بها الضَّمان بالقيمة، فعن عقبة بن عامرٍ، قال: قتل رجلٌ في خلافة عثمان بن عفَّان كلباً لصيدٍ لا يعرف مثله في الكلاب، فقوِّم بثمانمئة درهم، فألزمه عثمان تلك القيمة، وأغرم رجلاً ثمن كلبٍ قتله عشرين بعيراً[2].

8 - الجناية على الصَّائل:

إذا صال شخصٌ على مال شخصٍ اخر، أو على نفسه، أو على عرضه، فقتله المصول عليه أثناء اعتدائه، فدمه هدرٌ، فقد روى ابن حزم في المحلَّى: أنَّ رجلاً رأى مع امرأته رجلاً، فقتله، فارتفعوا إلى عثمان، فأبطل دمه[3].

9 - استتابة المرتدِّ وحدُّه:

لا يقام الحدُّ على المرتدِّ حتى يستتاب ثلاثاً، فإن أصرَّ على ردَّته ؛ قُتِل، وحدث أنْ أخذ عبد الله بن مسعودٍ بالكوفة رجالاً ارتدُّوا عن الإسلام، وأخذوا يُنعِشون حديث مسيلمة الكذَّاب، فكتب فيهم إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان، فكتب عثمان إليه: أن اعرض عليهم دين الحقِّ، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمَّداً رسول الله، فمن قبلها وبرأى من مسيلمة ؛ فلا تقتله، ومن لزم دين

---

(1) المصدر السَّابق نفسه، ص(99) .
(2) موسوعة فقه عثمان بن عفَّان، ص (100) .
(3) موسوعة فقه عثمان بن عفَّان، ص (102) .

مسيلمة، فاقتله، فقبله رجالٌ منهم، فتركوا، ولزم دين مسيلمة رجالٌ، فقتلوا[1] .

10- إنِّي قتلتُ، فهل لي من توبةٍ ؟:

قال رجل لعثمان: يا أمير المؤمنين ! إنِّي قتلت، فهل لي من توبةٍ ؟ فقرأ عليه عثمان من أوّل ســـورة غافر: ﴿حم *تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ *غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ * التَّوْبِ شَـــدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِـــيرُ *﴾ **[غافر: 1 -3]**، ثمَّ قال له: اعمل، ولا تيأس[2] . والجدير بالذِّكر، أنَّ التَّوبة من الاثام إذا ارتكبت في حقِّ العباد لا بدَّ فيها من أداء الحقوق لأصحابها، أو تنازلهم عنها[3].

11- حد الخمر:

المعروف: أنَّ رسـول الله(ﷺ) قد عاقب الحرَّ إذا شـرب الخمر بأربعين جلدةً، ضربه القوم بالنِّعال، وأطراف الثِّياب امتهاناً له، وكذلك أبو بكر، وكذلك عمر في أوَّل خلافته، ثمَّ لم يلبث أن زاد العقوبة بمشـورةٍ من الصَّـحابة إلى ثمانين جلدةً، لما رأى النَّاس يتحاقرون هذه العقوبة، ولا يرتدعون بها، أمَّا عثمان بن عفَّان فقد ثبت عنه: أنَّه جلد الحرَّ أربعين جلدةً، وثبت عنه: أنَّه جلده ثمانين جلدةً، ولم يكن ذلك منه عن تشهٍّ، أو هوى، ولكنَّه فرَّق بين الشَّاربين، فلم يعاقب من كان شـــربه زَلَّةً منه عقوبة مَنْ أدمن شـــربها، فجعل عقوبة من كان شـــربه لها أوَّل مرَّةٍ، وكانت منه زَلَّةً أربعين جلدةً، وجعل عقوبة من اعتاد شـــربها، ومن أدمن عليها

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص (103) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص (150) .
[3] سنن البيهقي (17/8) .

ثمانين جلدةً، وكأنَّه كان يجعل الأربعين الأولى حدّاً، والأربعين الثَّانية تعزيراً[1] .

12- إقامة الحد على أخيه من أمِّه: الوليد بن عقبة:

عن حصين بن المنذر، قال: شهدت عثمان بن عفَّان، وأتى بالوليد، فشهد عليه رجلان، أحدهما حمران: أنه شرب الخمر، وشهد اخر أنَّه راه يتقيَّأ، فقال عثمان: إنَّه لم يتقيأ حتَّى شربها، فقال: يا عليُّ ! قُمْ فاجلده، فقال عليٌّ: قم يا حسن ! فاجلده، فقال الحسن: ولِّ حارَّها من تولَّى قارَّها[2]، فكأنَّه وجد عليه، فقال: يا عبد الله بن جعفر ! قم فاجلده، فجلده، وعليٌّ يعدُّ، حتَّى بلغ أربعين، قال: أمسك، ثمَّ قال: جلد النَّبيّ(ﷺ) أربعين، وأبو بكرٍ أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌّ سنَّةٌ، وهذا أحبُّ إليَّ[3] . ويؤخذ من هذا الحديث بأنَّ سلف عثمان رضي الله عنه نفذوا هذا الحدَّ، وبأنَّ للمنفِّذ أو المأمور أن ينيب عنه غيره، ويؤخذ منه – أيضاً – قوَّة عثمان في الحقِّ، وأنَّه لا تأخذه في الله لومة لائم، فالوليد بن عقبة ابن أبي معيط أخوه لأمِّه[4]، وتنفيذ الأحكام الشَّرعية هو أحبُّ أعمال الشُّرْطة[5] .

13- سرقة الغلام:

لا يقام حد السَّرقة إلا إذا كان السَّارق بالغاً، عاقلاً، مختاراً، عالماً بالتَّحريم، وقد أُتِيَ لعثمان بغلامٍ سرق، فقال: انظروا إلى مؤتزره، فنظروا، فلم يجدوه أنبت، فلم يقطعه[6] .

---

[1] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص (93) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .
[3] أي: ولِّ شدَّتها ، وأوساخها من تولَّى هنيئها ، ولذَّاتها .
[4] شرح النَّوويِّ على صحيح مسلم ، كتاب الحدود (216/11) .
[5] ولاية الشّرطة في الإسلام ، د . نمر الحميداني ، ص (105) .
[6] المصدر السَّابق نفسه ، ص (104) .

14- الحبس تعزيراً:

استعار ضابي بن الحارث البرجمي في زمان الوليد بن عقبة من قومٍ منالأنصار كلباً يدعى قَرْحان، يصيد الظِّباء، فحبسه عنهم، فنافره الأنصاريُّون، واستغاثوا عليه بقومه، فكاثروه، فانتزعوه منه، وردُّوه على الأنصار، فهاجمهم، وقال في ذلك:

تَجَشَّم دُونِي وَفْدُ قرحان خطَّةً ... تَضِلُّ لَهَا الوَجْنَاءُ وَهيَ حَسِيْر

فَبَاتُوا شِبَاعاً نَاعِمِيْنَ كَأَنَّ ... حَبَاهُمْ بِبَيْتِ المِرْزُبانِ أَمِيْرُ

فَكَلْ بُكُمْ لا تَتْرُكُوا فَهُوَ أُمُّكُمْ ... فَإِنَّ عُقُوقَ الأمَّهَاتِ كَبِيْرُ

فاستَعدوا عليه عثمان، فأرسل إليه، فعزَّره، وحبسه كما كان يصنع بالمسلمين، فاستثقل ذلك، فما زال في الحبس حتَّى مات فيه[1] .

15 – حدُّ القذف بالتَّعريض:

كان عثمان رضي الله عنه يقيم حدَّ القذف بالتَّعريض به، فقد قال رجلٌ لاخر: « يا بن شامَّة الوَذْر » – يعرض له بزنى أمِّه – فاستعدى عليه عثمان بن عفَّان، فقال الرَّجل: إنَّما عنيت كذا، وكذا، فأمر به عثمان فجلد الحدَّ – أي: حدَّ القذف – ولم يلتفت إلى تفسير مراده ممَّا قال[2].

16 – عقوبة الزِّنى:

إذا ثبت الزِّنى على رجلٍ، أو امرأةٍ، وكان حرّاً محصناً ؛ فإنَّه يعاقب بالرَّجم

---

[1] صحيح التَّوثيق ، ص (77) . وموسوعة فقه عثمان ، ص (171) .
[2] تاريخ الطبري (420/5) .

بالحجارة حتَّى الموت، وقد زنت امرأةٌ محصـــنةٌ في عهد عثمان بن عفَّان، فقضــى عثمان برجمها، ولم يحضر رجمها[1] .

17- التَّعزير بالنَّفي، والطَّرد:

بلغ عثمان: أنَّ ابن الحبكة النَّهديَّ يعالج نيرنجاً - قال محمَّد بن ســـلمة: إنَّما هو ينرنج، أخذٌ كالسِّحر وليس به - فأرسل إلى الوليد بن عقبة ليسأله عن ذلك، فإن أقرَّ به، فأوجِعْه، فدعا به، فسأله، فقال: إنَّما هو رفق، وأمر يعجب منه، فأمر به، فعزِّر، وأخبر النَّاس خبره، وقرأ عليهم كتاب عثمان: إنَّه قد جُدَّ بكم، فعليكم بالجدِّ، وإيَّاكم والهزَّال، فكان النَّاس عليه، وتعجَّبوا من وقوف عثمان على مثل خبره، فغضــب، فنفر في الَّذين نفروا، فضُـرب معهم، فكتب إلى عثمان فيه، فلمَّا سـيَّر إلى الشَّـام مَنْ سيَّر، سيَّر كعب بن ذي الحبكة، ومالك بن عبد الله - وكان دينه على دينه - إلى دُنباوَند، فقال في ذلك كعب بن ذي الحبكة للوليد:

لعَمْرِي لَئِنْ طَرَدْتَنِي مَـا إلى الَّتي	طَمِعْتَ بِهَا مِنْ سَـقْطَتِي لَسَبِيْلُ
رَجَوْتُ رُجُوْعِي يَا بنَ أَرْوَى وَرَجْعَتِي	إلَى الحَـقِّ دَهْـراً غَـالَ
ذِلِكَ غُوْلُوَإنَّ اغْتِرَابِي فِي البِلَادِ وَجَفْوَتِي	وَشَـتْمِي فِي ذَاتِ الإلـــه قَلِيْل
وَإِنَّ دُعـائـي كـلَّ يـومٍ ولـيـلـةٍ	عَلَيْـكَ بِـدُنْبَاوَنْـدِكُمْ لَطَوِيْـلُ[2]

---

[1] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص (247) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص (164) .

8- دفع النَّاس عن جنازة العبَّاس:

عن عبد الرَّحمن بن يزيد: أنَّه قال: لما أتي بجنازة العبَّاس بن عبد المطلب إلى موضع الجنائز تضايق النَّاس، فتقدَّموا به إلى البقيع، ولقد رأيتنا يوم صلَّينا عليه بالبقيع، وما رأيت مثل ذلك الخروج على أحدٍ من النَّاس قطُّ، وما يستطيع أحدٌ أن يدنو من سريره، وغلب عليه بنو هاشم، فلمَّا انتهوا إلى اللَّحد ؛ ازدحموا عليه، فأرى عثمان اعتزل، وبعث الشُّرْطَة يضربون النَّاس عن بني هاشم، حتَّى خلص بنو هاشم، فكانوا هم الّذين نزلوا في حفرته، ودلَّوه في اللَّحد[1]، وهذا يدلُّ على كثرة رجال الشُّرْطَة انذاك، ويعتبر عثمان رضي الله عنه لدى بعض المؤرِّخين[2]، أول من اتَّخذ صاحب شُرْطَةٍ من الخلفاء، وقد أسند هذه المهمَّة في المدينة إلى الصَّحابيِّ الجليل المهاجر بن قنفذ بن عمير القرشيِّ[3].

وهذا يدلُّ على عنايته بها، وأنَّ صيتها قد ذاع في عهده، وفي الكوفة كان عبد الرَّحمن الأسديُّ على شرطة سعيد بن العاص (واليها لعثمان)، كما كان نصير بن عبد الرَّحمن على شرطة معاوية بن أبي سفيان (والي عثمان على الشَّام)[4].

وفي الحقيقة لا يُعلم خليفةٌ في الإسلام بعد أبي بكرٍ، وعمر رضي الله عنهما يقيم الحدود على القريب، والبعيد، والشَّريف، والوضيع، والغنيّ، والفقير، ولا يبالي، ويعطي كلَّ ما يُطلب منه من إصلاحٍ، أو حقوقٍ كعثمان رضي الله عنه،

---

[1] تاريخ الطبري (419/5) .

[2] الطَّبقات (32/4) .

[3] تاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص(179) .

[4] ولاية الشُّرْطة في الإسلام ، ص(105) .

وكفاه فخراً أن ينتمي لحكم الخلافة الرَّاشدة[1] .

ثانياً: في العبادات والمعاملات:

1- إتمام عثمان الصَّلاة بمنى، وعرفات:

في حجِّ عام 29 هـ، صلَّى عثمان رضي الله عنه بالنَّاس بمنى أربعاً، فأتى اتٍ عبد الرَّحمن بن عوف، فقال: هل لك في أخيك: قد صلَّى بالناس أربعاً، فصلَّى عبد الرَّحمن بأصحابه ركعتين، ثمَّ خرج حتَّى دخل على عثمان، فقال له: ألم تصل في هذا المكان مع رسول الله(ﷺ) ركعتين ؟ قال: بلى ! قال: أفلم تصلِّ مع أبي بكر ركعتين ؟ قال: بلى ! قال: أفلم تصل مع عمر ركعتين ؟ قال: بلى ! قال: ألم تصل صدراً من خلافتك ركعتين ؟ قال: بلى ! قال: فاسمع منِّي يا أبا محمد[2]! إنِّي أُخبرت: أنَّ بعض من حجَّ من أهل اليمن، وجفاة النَّاس قد قالوا في عامنا الماضي: إنَّ الصَّلاة للمقيم ركعتان، هذا إمامكم عثمان يصلِّي ركعتين، وقد اتَّخذت بمكَّة أهلاً، فرأيت أن أصلِّي أربعاً لخوف ما أخاف على النَّاس، وأخرى قد اتَّخذت بها زوجةً، ولي بالطائف مالٌ، فربَّما اطلعته، فأقمت فيه بعد الصَّدَر، فقال عبد الرحمن بن عوف: ما من هذا شيءٌ لك فيه عذرٌ .

أمَّا قولك: اتَّخذت أهلاً، فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت، وتقدم بها إذا شئت، إنَّما تسكن بسكناك، وأمَّا قولك: ولي مالٌ بالطائف، فإن بينك وبين الطَّائف مسيرة ثلاث ليال، وأنت لست من أهل الطَّائف .

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(106) .
[2] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (409/1) .

وأمَّا قولك: يرجع من حجَّ من أهل اليمن، وغيرهم فيقولون: هذا إمامكم عثمان يصلِّي ركعتين وهو مقيمٌ، فقد كان رسول الله(ﷺ) ينزل عليه الوحي والنَّاس يومئذٍ الإسلام فيهم قليل، ثمَّ أبو بكر مثل ذلك، ثمَّ عمر، فضرب الإسلام بجرانه، فصلَّى لهم عمر حتَّى مات ركعتين . فقال عثمان: هذا رأيٌ رأيتُه .

فخرج عبد الرَّحمن، فلقي ابن مسعودٍ، فقال: أبا محمَّد، غيَّر ما يعلم ؟ قال: لا، قال: فما أصنع ؟ قال: اعمل أنت بما تعلم، فقال ابن مسعود: الخلاف شرٌّ، قد بلغني: أنَّه صلَّى أربعاً، فصلَّيت بأصحابي أربعاً، فقال عبد الرَّحمن بن عوفٍ، قد بلغني: أنَّه صلَّى أربعاً، فصلَّيت بأصحابي ركعتين، وأمَّا الان فسوف يكون الّذي تقول ؛ يعني: نصلِّي معه أربعاً[1].

إنَّ عثمان صنع ما صنع من إتمام الصَّلاة في منى، وعرفات، شفقةً على ضعفاء المسلمين أن يفتنوا في دينهم، فقد أبدى لفعله سبباً معقولاً حينما سأله عبد الرَّحمن ابن عوف – رضي الله عنه – عنه وعمَّا دعاه إليه، فلمَّا أطلعه عثمان رضي الله عنه على وجهة نظره، أخذ عبد الرحمن بقوله وأتمَّ الصَّلاة بأصحابه، وكذلك صنع عبد الله ابن مسعود، وغيره من جمهور الصَّحابة، فتابعوه، ولم يخالفوه؛ لأنَّه إمامٌ راشدٌ تجب متابعته فيما لم يخرج عن حدود الشَّريعة المطهَّرة، ولو كان فيما جاء به عثمان أدنى شبهةٍ لمخالفة نصٍّ شرعيٍّ ما أمكن مطلقاً جمهور الصَّحابة أن يتابعوه[2]، والّذي أبداه عثمان في تحاوره مع عبد الرَّحمن بن عوفٍ،واحتج به لرأيه معقول المعنى، ولو تأمَّل فيه نظَّار في أسرار الدِّين، وحكم

---

[1] أبو محمد: كنية عبد الرَّحمن بن عوفٍ ، ص(268) .
[2] تاريخ الطَّبري (268/5) .

الشـــريعة ؛ لرأى: أنَّ إتمام الصَّـــلاة الّذي انتهى إليه رأي عثمان أرجح حينئذٍ من قصرها، وقد حدث من الأمور ما لم يكن على عهد النَّبيّ(ﷺ)، وأبي بكر، وعمر، فخاف عثمان أن يفتن النَّاس في صلاتهم، ولا سيما جفاة الأعراب في مضاربهم، ومن بعدت بلادهم في أطراف الأرض، وقد لا يتَّصـــــل بهم من أهل العلم من يعلِّمهم، ويرشدهم، فأراد عثمان بما صنع حسم هذا الشرِّ المخوف على كثيرٍ من ضعفاء المسلمين .

وقد بالغ عثمان رضـي الله عنه في إبعاد الشُّـبهة عن نفسـه، فقال: إنَّه اتَّخذ بمكَّة أهلاً، وله بالطَّائف مالٌ ربما نظر إليه، وأقام فيه بعد انتهاء الموســـم، فيكون حينئذ مقيماً، ففرضـه الإتمام، وذلك منه رضـي الله عنه من دقيق النَّظر في الدِّين، وفهم أسراره، وحكمه[1] .

وقد رأى جماعةٌ من الصَّحابة إتمام الصَّلاة في السَّفر منهم: عائشة، وعثمان، وسلمان، وأربعة عشر من أصحاب رسول الله(ﷺ)[2]، فعثمان رضي الله عنه لم يوجب القصـــر في السَّـــفر، وإنَّما كان يتَّجه كما راه فقهاء المدينة، ومالكٌ، والشَّـافعيُّ، وغيرهما. ثمَّ إنها مسـألةٌ اجتهاديَّة، ولذلك اختلف فيها العلماء، فقوله فيها لا يوجب تكفيراً، ولا تفسـيقاً[3] . وأمَّا قول ابن مسـعود رضـي الله عنه: الخلاف شـرٌّ[4]، وفي روايةٍ: إنِّي أكره الخلاف[5]، ففيه ترشـيدٌ لنا، وتذكيرٌ على اسـتحباب الخروج من الخلاف في مسـائل الاجتهاد، ويحسـن بالمسـلم أن

[1] عثمان بن عفَّان ، لصادق عرجون ، ص(192) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، (194) .
[3] كتاب الإمامة والردُّ على الرَّافضة للأصبهاني ، ص(312) .
[4] الرّياض النَّضرة ، ص(566) .
[5] تاريخ الطَّبري (268/5) .

يســتحضــرها، ويحاول أن يقلِّل الخوض، والجدال في الفروع المختلف فيها[1]؛ إذ الظُّروف المحيطة بنا.. لا تســاعدنا على إضــاعة مزيدٍ من الوقت الثَّمين في الجدل والخلاف عمَّا يجب أن نفعله لمواجهة التَّحدِّيات الخطيرة[2]، كما أنَّ في فعل ابن مســعودٍ، وابن عوفٍ رضــي الله عنهما من الصَّــلاة خلف عثمان بياناً لحرص الصَّحابة على الاجتماع والوحدة، وهذا خُلُقٌ عظيمٌ من أخلاق جيل النَّصر .

2- زاد الأذان الثَّاني يوم الجمعة:

قال رسول الله(ﷺ): « عليكم بسنَّتي، وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين من بعدي»[3]، وهذه الزِّيادة من سنَّة الخلفاء الرَّاشدين، ولا شكَّ: أنَّ عثمان من الخلفاء الرَّاشدين ورأى مصلحة أن يزاد هذا الأذان ؛ لتنبيه النَّاس عن قرب وقت صلاة الجمعة بعد أن اتَّسعت رقعة المدينة، فاجتهد في هذا، ووافقه جميع الصَّحابة، واستمرَّ العمل به لم يخالفه أحدٌ حتَّى في زمن عليٍّ، وزمن معاوية، وزمني بني أميَّة وبني العباس إلى يومنا هذا، فهي سنَّةٌ بإجماع المسلمين[4] .

ثمَّ هو له أصــلٌ في الشَّــرع ؛ وهو الأذان الأوَّل في الفجر، فقاس عثمان هذا الأذان عليه[5] . لقد ســنَّ عثمان ذلك أخذاً من ســنَّة الرَّســول(ﷺ) وأذانه الَّذي شـرعه في الفجر قبل دخول الوقت لينبِّه النَّائم، ويسـتعدَّ اليقظان، ومريد الصِّيام، فهو مســتنٌّ بســنَّة الرَّســول(ﷺ) واخذٌ من طريقته، وقد اختلف أهل العلم: هل

[1] القواعد الفقهيَّة للنَّدوي ، ص(336) .
[2] فقه الأولويات ، لمحمد الوكيلي ، ص(169) .
[3] الفكر الإسلاميُّ بين المثاليَّة والتَّطبيق ، كامل الشَّريف ، ص(29) .
[4] سنن أبي داود ، كتاب السُّنة رقم (4607) . وسنن التِّرمذيِّ ، كتاب العلم ، رقم (2676) .
[5] حقبةٌ من التَّاريخ ، عثمان الخميس ، ص(88) .

أوقعه قبيل دخول الوقت كما هو الحال في الأذان الأوَّل من الفجر أم أوقعه في الوقت ؟ ويميل الحافظ إلى أنَّ وقوعه كان إعلاماً بالوقت، قال في فتح الباري: وتبيَّن: أنَّ عثمان أحدثه لإعلام النَّاس بدخول وقت الصَّــلاة قياســاً على بقيَّة الصَّلوات، فألحق الجمعة بها، وأبقى خصوصيَّتها بالأذان بين يدي الخطيب .

وفيه اســتنباط معنىً من الأصــل لا يبطله، وأمَّا ما أحدث النَّاس قبل وقت الجمعة من الدُّعاء إليها، والذِّكر والصَّــلاة على النَّبيّ(ﷺ) فهو في بعض البلاد دون بعضٍ، واتِّباع السَّلف الصَّالح أولى[1].

وأمَّا الّذين قالوا: إنَّه أحدث قبيل دخول الوقت، قالوا: لأنَّ الغرض منه الإعلام بالجمعة، والسَّــعي إليها على غرار الأذان الأوَّل في الفجر، فلو كان بعد دخول الوقت لما أدى المعنى المطلوب إلا بتأخير الجمعة بعض الشــيء، وهو خلاف السُّــنَّة . وبه يُســتغنى عمَّا أحدثه النَّاس في التَّذكير، والذِّكر، وغيرهما ممَّا أشار إليه الحافظ، ولم ينكره إلا بقوله: « واتباع السَّلف الصَّالح أولى »[2] .

3- اغتساله كلَّ يومٍ منذ أسلم:

كان عثمان بن عفَّان يغتســل كلَّ يوم منذ أســلم[3]، وقد صــلَّى ذات يوم الصُّبح بالنَّاس وهو جنبٌ دون أن يدري، فلمَّا أصبح رأى في ثوبه احتلاماً، فقال: كبِرْتُ والله ! إنِّي لأُراني أجنبُ، ولا أعلم، ثمَّ أعاد الصَّــلاة[4]، ولم يُعد مَنْصــلَّى

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص (89) .
[2] فتح الباري (345/4) .
[3] السُّنَّة والبدعة ، لعبد الله باعلوي الحضرمي ، ص(132 ، 133) .
[4] فضائل الصَّحابة ، رقم (756) إسناده حسنٌ .

خلفه[1] .

4- سجود التِّلاوة:

كان عثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه يرى: أنَّ ســـجود التِّلاوة يجب على المكلَّف التَّالي للقران، وعلى الجالس لســماع القران، أمَّا من سمعه من غير قصــدٍ، فليس عليه ســجود التِّلاوة، فقد مرَّ رضـــي الله عنه بقاصٍّ، فقرأ القاصُّ ســجدةً ليسـجد معه عثمان، فقال عثمان: إنَّما السُّـجود على من اسـتمع، ثمَّ مضـى، ولم يسـجد[2]، وقوله: على من اسـتمع ؛ يعني: على من قصـد السَّـماع، وقال رضـي الله عنه: إنَّما السَّـــجدة على مَنْ جلس لها[3]، وروي عن عثمان: أنَّ الحائض إذا استمعت السَّجدة تومأى بها إيماءً، ولا تتركها، ولا تسجد لها سجود الصَّلاة[4].

5- صلاة الجمعة في السَّواحل:

قال اللَّيث بن ســعد: كلُّ مدينةٍ، أو قريةٍ فيها جماعةٌ أمروا بالجمعة، فإنَّ أهل مصــر، وســواحلها كانوا يجمِّعون الجمعة على عهد عمر، وعثمان بأمرهما، وفيهما رجالٌ من الصَّحابة[5].

6- استراحة عثمان في الخطبة:

عن قتادة: أنَّ النَّبيّ(ﷺ) وأبا بكرٍ، وعمر، وعثمان كانوا يخطبون يوم الجمعة،

[1] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(190) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، (192) .
[3] الخلافة الرَّاشدة والدَّولة الأمويَّة ، د . يحيى اليحيى ، ص(444) .
[4] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(168) .
[5] المصدر السَّابق نفسه .

حتَّى شـــقَّ القيام على عثمان، فكان يخطب قائماً ثمَّ يجلس، فلمَّا كان معاوية خطب الأولى جالساً، والأخرى قائماً[1] .

7- جعل القنوت قبل الرَّكوع:

قال أنس: إنَّ أوَّل من جعل القنوت قبل الرَّكوع - أي: دائماً - عثمان ؛ لكي يدرك النَّاس الرَّكعة[2].

8 - أعلم النَّاس بأحكام الحجِّ:

يقول محمَّد بن سيرين: كانوا يرون: أنَّ أعلم النَّاس بالمناسك عثمان بن عفَّان، ثمَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما[3] .

9- النَّهي عن الإحرام قبل الميقات:

لما فتح عبد الله بن عامر خراسـان ؛ قال: إنَّ هذا نصـرٌ من الله لا بدَّ لي من أن أشـكره عليه، ولأجعلنَّ شـكري لله أن أخرج من موضـعي هذا - خراسـان - محرماً، فأحرم من نيسـابور، وخلَّف على خراسـان الأحنف بن قيس، فلمَّا قضـى عمرته ؛ أتى عثمان بن عفَّان، وذلك في السَّـــنة الَّتي قُتل فيها، فقال له عثمان: لقد غرَّرت بعمرتك حين أحرمت من نيسابور[4] .

---

(1) فتح الباري (441/2) .
(2) الخلافة الراشدة ، ليحيى اليحيى ، ص(444) .
(3) المصدر السَّابق نفسه ، وفتح الباري (569/2) .
(4) موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(112) .

10- سفر المعتدَّة للحجِّ، والعمرة:

المعروف: أنَّ المعتدَّة لا تبيت إلا في بيتها، ولا تســـافر إلا بعد انتهاء عدَّتها ؛ لأنَّ ســفرها يقتضــي مبيتها في غير بيتها، والحجُّ لا يخلو من ســفرٍ، ولذلك فإنَّ عثمان كان يرى: أنَّ المعتدة لا يلزمها الحجُّ ما دامت في العدَّة، وكان رضـــي الله عنه يُرجع المعتدَّة حاجَّةً، أو معتمرةً من الجحفة، وذي الحليفة[1].

11- النَّهي عن متعة الحجِّ:

نهى عثمان رضـــي الله عنه عن المتعة، أو الجمع بينهما ليعمل بالأفضـــل، لا ليُبطِلَ المتعة . ولا يخفى على عثمان ومن دونه: أنَّ من أراد الإحرام، فهو مخيَّر بين الإفراد، والقِران، والتَّمتُّع، ولكنَّه رضي الله عنه رأى الإفراد أفضل من الاثنين، فعن مروان بن الحكم، قال: شـهدت عثمان، وعليّاً رضـي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة، وأن يُجمع بينهما، فلمَّا رأى عليٌّ ذلك ؛ أهَلَّ بهما: لبيك بعمرةٍ، وحَجَّةٍ، وقال: ما كُنتُ لأدع ســـنَّة النَّبيّ(ﷺ) لقول أحدٍ[2] ؛ ولم ينكر عثمان على عليٍّ ذلك منه؛ لأنَّ عليّاً رضي الله عنه كان يخشى أن يحمل غيره النَّهي على الإبطال، والتَّحريم، وإنما قال: ما كنت لأدع سنَّة رسول الله(ﷺ) لقول أحدٍ ؛ ليظهر جواز ذلك، وأنَّها سنَّةٌ ماضيةٌ، وكلاهما مجتهدٌ مأجورٌ[3] .

---

[1] سنن البيهقي (31/5) . وموسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(17) .

[2] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(112) .

[3] البخاريُّ ، كتاب الحجِّ ، رقم (1563) .

وفي الحديث من الفوائد الظَّاهرة: مناظرة العلماء ولاة الأمر بقصـــد إشـــاعة العلم، ومناصحة المسلمين، وسعة صدر الولاة، لاجتهاد العلماء في المسائل الّتي يتّسع معها الاجتهاد، وأنَّ المجتهد لا يجبر مجتهداً اخر باتِّباعه لسكوت عثمان عن عليٍّ، وفيه: أنَّ العلم يسبق القول، والعمل[1] .

12- أكل لحم الصَّيد:

لا يجوز للمحرم أن يأكل من الصَّيد الّذي صاده هو، أو صاده له غيره من الحلال[2]، فعن عبد الرحمن بن حاطب: أنَّه اعتمر مع عثمان بن عفَّان في ركبٍ، فلمَّا كان بالرَّوحاء ؛ قدم لهم لحم طير - يعاقيب - فقال عثمان: كلوا، وكره أن يأكل منه، فقال عمرو بن العاص: أنأكل ممَّا لســـت منه اكلاً ؟ ! قال عثمان: لســـت في ذلك مثلكم، إنَّما صيدت لي، وأميتت باسمي، أو قال: من أجلي[3] . وقد تكرَّر ذلك من عثمان مرَّة أخرى، كما روى عبد الله بن عامر بن ربيعة، قال: رأيت عثمان بن عفَّان بالعرج، وهو محرمٌ في يومٍ صـــائفٍ قد غطَّى وجهه بقطيفة أرجوانٍ، ثم أُتِيَ بلحم صيدٍ، فقال لأصحابه: كلوا، فقالوا: ألا تأكل أنت ؟ قال: إنِّي لست كهيئتكم ؛ إنَّما صيد من أجلي[4] .

13- كراهية الجمع بين القرابة في الزَّواج:

أخرج الخلال من طريق إســـحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن أبي

---

[1] شهيد الدَّار عثمان بن عفَّان ، ص(86) .
[2] المصدر السابق نفسه .
[3] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(20) .
[4] المصدر السَّابق نفسه .

بكرٍ، وعمر، وعثمان: أنَّهم كانوا يكرهون الجمع بين القرابة مخافة الضَّغائن[1] .

14- في الرَّضاعة:

روى عبد الرزاق عن ابن جريجٍ عن ابن شـــهابٍ، قال: فرَّق عثمان بين ناس تناكحوا بقول امرأة سوداءِ أرضعتهم[2] .

15- في الخُلع:

عن الرُّبَيّع بنت معوِّذ، قالت: كان بيني وبين ابن عمِّي كلامٌ، وكان زوجها، قالت: فقلت له: لك كل شيءٍ وفارقني . قال: قد فعلت . فأخذ والله كلَّ شيءٍ حتَّى فراشـي، فجئت عثمان وهو محصـورٌ، فقال: الشَّـرط أملك، خذ كلَّ شـيءٍ حتى عقاص رأســـها[3]، وفي روايةٍ: اختلعت من زوجي بما دون عقاص رأســـي، فأجاز ذلك عثمان[4] .

16- يجب الإحداد على المعتدَّة لوفاة زوجها:

ومن الإحداد ترك الزِّينة، وترك المبيت في غير البيت الّذي توفي فيه زوجها إلا لضرورةٍ، ويجوز لها أن تخرج نهاراً لقضاء حاجتها، ولكنَّها لا تبيت في المساء إلا في بيتها[5]، فعن فُريعة بنت مالك بن سنان أخت أبي سعيدٍ الخدري أنَّها جاءت إلى رســـول الله(ﷺ)، فأخبرته: أنَّ زوجها خرج في طلب أعبُدٍ له، فقتلوه بطرف

---

[1] سنن البيهقي (191/5) . وموسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(20) .
[2] الخلافة الراشدة ، د . يحيى اليحيى ، ص(449) .
[3] الفتح (18/5) .
[4] الطَّبقات (448/8) .
[5] الخلافة الرَّاشدة ، د . يحيى اليحيى ، ص(449) .

القُدوم، فســألت رســول الله(ﷺ) أن أرجع إلى أهلي، فإنَّ زوجي لم يتركني في مســكنٍ يملكه، ولا نفقةٍ، قالت: فقال رســول الله(ﷺ): « نعم ! » قالت: فانصرفت، حتى إذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله، أو أمر بي، فنوديتُ، فقال: « كيف قلت » ؟ فرددت عليه القصَّــة الّتي ذكرت له من شــأن زوجي، فقال: امكثي في بيتك حتَّى يبلغ الكتابُ أجله، قالت: فاعتددت فيه أربعة أشــهر، وعشراً، قالت: فلمَّا كان عثمان بن عفَّان أرسل إليَّ، فسألني عن ذلك ؟ فأخبرته، فاتَّبعه، وقضى به[1]، ولذلك كان عثمان يتشدَّد في أمر مبيت المرأة المعتدَّة خارج بيتها، فقد حدث: أنَّ امرأةً توفي عنها زوجها زارت أهلها في عدَّتها، فضــربها الطَّلق، فأتوا عثمان، فسألوه، فقال: احملوها إلى بيتها، وهي تطلق[2] .

17- لا تنكحها إلا نكاح رغبةٍ:

جاء رجلٌ إلى عثمان في خلافته وقد ركب، فسأله، فقال: إنَّ لي إليك حاجةً يا أمير المؤمنين ! فقال له عثمان: إنِّي الان مستعجلٌ، فإن أردت أن تركب خلفي حتَّى تقضــي حاجتك، فركب خلفه، فقال: إنَّ لي جاراً طلَّق امرأته في غضــبه، ولقي شدَّةً، فأردت أن أحتسب بنفسي، ومالي، فأتزوجها ثمَّ أبتني بها، ثمَّ أطلِّقها، فترجع إلى زوجها الأوَّل، فقال له عثمان: لا تنكحها إلا نكاح رغبةٍ[3].

18- طلاق السَّكران:

كان عثمان بن عفَّان رضــي الله عنه يرى: أنَّ كلَّ ما يتكلم به السَّــكران فهو

---

[1] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(244) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، (224) ، والموطَّأ (591/2) .
[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص(225) .

هدرٌ، فلا تصحُّ عقوده، ولا فسوخه، ولا إقراره، ولا يقع طلاقه ؛ لأنَّه لا يعي ما يقول، ولا يريد ما يقول، ولا إلزام لغير إرادة[1]، قال عثمان رضي الله عنه: ليس لسكران، ولا مجنونٍ طلاقٌ[2] .

19- هبة الوالد لولده:

إذا نحل الأب ولده نحلةً ؛ كان عليه أن يُشهد على هذه الهبة، فإذا أشهد عليها ؛ اعتبر هذا الإشهاد قبضاً لها، وصحَّ أن تبقى بعد ذلك في يد الأب، فقد ورد عن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قوله: من نحل ولداً له صغيراً لم يبلغ أن يجوز نحلةً، فأعلن ذلك، وأشهد عليه ؛ فهي جائزةٌ وإن وليَّها أبوه[3] . وأمَّا إذا لم يشهد، ولم يسلِّمها للولد؛ فهي هبة غير لازمةٍ، قال عثمان رضي الله عنه: ما بال أقوام يعطي أحدهم ولده العطيَّة، فإن مات ولده، قال: مالي، وفي يدي، وإن مات هو قال: وهبته، لا يثبت من الهبة إلا ما حازه الولد من مال أبيه[4] .

20- الحجر على السَّفيه:

كان عثمان بن عفَّان رضي الله عنه يرى الحجر على السَّفيه، فقد حدث أن اشترى عبدُ الله بن جعفر أرضاً بمبلغ ستِّين ألف دينارٍ، فبلغ ذلك عليَّ بن أبي طالبٍ، فقرَّر عليٌّ: أنَّ الأرض لا تساوي هذا المبلغ من المال، وأنَّ عبد الله بن جعفر قد غُبن فيها غبناً فاحشاً، بل إنَّه قد تصرَّف تصرُّفاً أخرق، وأعرب: أنَّه

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(81) .

[2] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(53) . والفتاوى (72/14) .

[3] الفتاوى (61/33) . وموسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(53) .

[4] سنن البيهقيِّ (170/6) . وموسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(288) .

ســــيتوجه نحو أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان ليطلب منه الحجر على عبد الله بن جعفر لسفهه، وإساءته التَّصرُّف في ماله، فأسرع عبد الله بن جعفر إلى الزُّبير – وكان تاجراً حاذقاً – وقال له: إنِّي ابتعت بيعاً بكذا، وكذا، وإنَّ عليّاً يريد أن يأتي عثمان، فيسأله أن يحجر عليَّ، فقال له الزبير: فأنا شريكُك في البيع، وأتى عليٌّ عثمان بن عفَّان، فقال له: إنَّ ابن أخي اشترى سبخةً بستين ألفاً ما يسرُّني: أنَّها لي بنعليَّ، فاحجر عليه! وقال الزُّبير لعثمان: أنا شريكه في هذا البيع، فقال عثمان ابن عفَّان لعليِّ بن أبي طالب: كيف أحجر على رجلٍ في بيعٍ شريكه فيه الزُّبير[1]؟ يعني: أننا لا نستطيع أن نحكم على جعفر بالسَّفه لتصرفٍ تصرَّفه شريكه فيه الزُّبير ؛ لأنَّ الزُّبير لا يمكن أن يشارك في تصرُّفٍ تجاريٍّ أخرق لحذقه بالتِّجارة[2].

21- الحجر على المفلس:

كان عثمان بن عفَّان رضي الله عنه يرى الحجر على المفلس، وإذا حُجر على مفلس اقتسم الدَّائنون ماله بنسبة ديونهم، لكن إن وجد بعض دائنيه سلعته الّتي باعه إيَّاها بعينها عنده؛ جاز له أن يفسخ البيع، ويأخذ سلعته[3]، فهو أحقُّ بها من غيره[4].

22- تحريم الاحتكار:

كان عثمان بن عفَّان رضي الله عنه يمنع الاحتكار، وينهى عنه[5]، ويظهر:

---

[1] الفتاوى (154/31) .
[2] سنن البيهقيِّ (661/6) . وموسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(119) .
[3] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(119) .
[4] سنن البيهقيِّ (46/6) .
[5] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(119) .

أنَّ عثمان بن عفَّان كان كسَلفهِ عمر بن الخطَّاب لا يفرِّق في تحريم الاحتكار بين الطَّعام، وغيره، لأنَّ نهيه عن الاحتكار كان عامّاً، خاصّـةً: أنَّ ما ورد عن رسـول الله في تحريم الاحتكار منه ما هو مطلقٌ في كلِّ شـــيءٍ، ومنه ما هو مقيَّدٌ – عند الجمهور – لعدم التَّعارض بينهما ؛ بل يبقى المطلق على إطلاقه[1].

23– ضوالُّ الإبل:

روى مالك: أنَّه سمع ابن شـهابٍ يقول: كانت ضـوالُّ الإبل في زمن عمر بن الخطَّاب إبلاً مرسلةً تناتج لا يمسُّها أحدٌ، حتَّى إذا كان زمان عثمان بن عفَّان أمر بتعريفها، ثمَّ تباع، فإذا جاء صـــاحبها أعطي ثمنها[2]، وقد كان فعل عمر تبعاً لحديث الصَّـحيحين عن زيد بن خالد الجهنيّ رضـي الله عنه قال: جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيّ(ﷺ)، فسـأله عمَّا يلتقطه، فقال: « اعرف عفاصـها، ووكاءها[3]، ثمَّ عرِّفها سنةً، فإن جاء صاحبها، وإلا ؛ فشأنك بها » قال: فضالَّة الغنم يا رسول الله ؟ ! قال: « هي لك، أو لأخيك، أو للذئب » قال: فضـالَّة الإبل ؟ قال: « مالك ولها، معها سقاؤها، وحذاؤها ترد الماء، وتأكل الشَّجر حتَّى يلقاها ربها »[4] .

وقد رأى الأسـتاذ الحجوي: أنَّ هذا الاجتهاد من عثمان بن عفَّان رضـي الله عنه مبنيٌّ على المصـلحة المرسـلة ؛ لأنَّه رأى النَّاس مدُّوا أيديهم إلى ضـوالِّ الإبل، فجعل راعياً يجمعها، ثمَّ تباع قياماً بالمصـــلحة العامَّة[5] . غير أنَّ الأســـتاذ عبد

---

[1] موطأ مالك (651/2) .
[2] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(15) .
[3] موطَّأ مالك ، ص(648 - 649) طبعة دار الافاق الجديدة .
[4] العفاص: الوعاء الذي تحفظ فيه النَّفقة . والوكاء: الخيط الذي يربط به .
[5] البخاريُّ ، كتاب اللقطة رقم (2427 ، 2428 ، 2429) .

السَّلام السُّليماني ردَّ على هذا القول بقوله: غير أنَّه من الصَّعب التسليم بمقالة الأستاذ الحجوي على إطلاقها ؛ لأنَّ المصلحة المرسلة هي الّتي لم ينصَّ الشَّارع لا على اعتبارها، ولا على إلغائها، في حين: أنَّ النَّبيّ(ﷺ) قد نصَّ على حكم ضوالِّ الإبل في الحديث المذكور أعلاه، فهي إذاً مصلحةٌ معتبرةٌ نصَّ عليها النَّبيُّ بنفسه، فلا يصحُّ أن يقال: إنَّ ما فعله عثمان من بيع ضوالِّ الإبل يعدُّ مصلحةً مرسلةً، فالمصلحة المرسلة لا تكون في مقابلة النَّص .

والّذي يظهر لنا: أنَّ اجتهاد عثمان في هذه القضيَّة بُني على المصلحة العامَّة، فعلاً، لكنَّها ليست مصلحةً مرسلةً، وأنَّ هذه القضيَّة من القضايا القابلة للاجتهاد، والّتي يمكن أن يتغيَّر حكمها بتغيُّر الأزمنة، والأحوال، وبالنَّظر إلى ما يحقِّق مصلحة أصحاب ضوالِّ الإبل ؛ لأنَّ علَّة الحكم فيها – على ما يظهر – هي المحافظة على هذه الإبل إمَّا بأعيانها، أو في شكل ثمنها، وكلا الأمرين مصلحةٌ، ولا شكَّ: أنَّ سيدنا عثمان بصنيعه هذا كان هدفه تحقيق المصلحة العامَّة ؛ لأنَّه رأى: أنَّ ترك الإبل على حالها، كما كان الأمر في عهد النَّبيّ(ﷺ) وإلى زمن عمر، يعرِّضها للضَّياع بعد أن تغيَّرت أخلاق الناس، وأصبحوا يمدُّون أيديهم لضوالِّ الإبل، فرأى أن يقطع الطَّريق عليهم بما فعل، وهو اجتهادٌ سليمٌ، وحكمٌ (سديدٌ) بلا ريب[1].

24- توريث المرأة المطلقة في مرض الموت:

طلَّق عبد الرحمن بن عوف زوجته وهو مريضٌ، فورَّثها عثمان منه بعد انقضاء

---

[1] الفكر السَّامي (245/1) .

مدَّة عدَّتها، وقد روي: أنَّ شـــريحاً كتب إلى عمر بن الخطَّاب في رجلٍ طلَّق امرأته ثلاثاً، وهو مريضٌ، فأجاب عمر: أنْ ورِّثها ما دامت في عدَّتها، فإن انقضـــت عدَّتها فلا ميراث لها، فبعد أن اتَّفقا على أنَّ طلاق المريض مرض الموت لا يزيل الزَّوجية كسـببٍ موجب للإرث، جعل عمر حدّاً لذلك وهو العدَّة، بينما لم يجعل عثمان حدّاً لذلك، وقال: ترث مطلّقها سـواءٌ مات في العدَّة أو بعدها، وليس في المسألة نصٌّ يرجع إليه، والباعث على الحكم هو معاملة الزَّوج بنقيض قصده؛ لأنَّ الزوج بطلاقه في مرض الموت يعتبر فارّاً من توريث زوجته[1] .

25- توريث المطلَّقة ما لم تنقضِ عدَّتها:

قال عثمان بن عفَّان: إذا مات أحد الزَّوجين قبل الحيضـــة الثَّالثة للمطلَّقة ؛ ورث الحيُّ منهمـا الميـت[2]، ولا يمنع التَّوارث بينهمـا طول فترة العـدَّة كمـا إذا حاضــت المعتدة حيضــةً، أو حيضــتين ثمَّ ارتفعت حيضــتها، فقد طلَّق حبَّان بن منقذ امرأته وهو صـحيحٌ، وهي ترضع ابنته، فمكثت سبعة عشر شـهراً لا تحيض، يمنعها الرَّضـاع أن تحيض، ثمَّ مرض حبَّان بعد أن طلقها سـبعة أشـهر، أو ثمانية، فقيل له: إن امرأتك ترث، فقال: احملوني إلى عثمان، فحملوه إليه، فذكر له شـأن امرأته، وعنده عليُّ بن أبي طالبٍ، وزيد بن ثابت، فقال لهما عثمان: ما تريان ؟ فقـالا: نرى أنَّها ترثه إن مات، ويرثها إن ماتت، فإنَّها ليســـت من القواعد من النِّســاء اللائي يئسـن من المحيض، وليسـت من الأبكار اللاتي لم يحضـن، ثمَّ هي

---

[1] الاجتهاد في الفقه الإسلامي ، ص(143 ، 144) .

[2] تاريخ التَّشريع الإسلامي ، للخضري ، ص(118) . ونشأة الفقه الاجتهادي ، محمَّد السَّايس ، ص(27) . والاجتهاد في الفقه الإسلامي ، ص(142) .

على عدَّة حيضـــــها ما كان من قليل أو كثيرٍ، فرجع حبَّان إلى أهله، فأخذ ابنته، فلمَّا فقدت الرَّضـاع حاضـت حيضـةً، ثمَّ حاضـت أخرى، ثمَّ توفي حبَّان قبل أن تحيض الثَّالثة، فاعتدَّت عدَّة الوفاة، وورثت زوجها حبَّان بن منقذ[1] .

26- توريث الحميل:

إذا ســـــبيت امرأةٌ من الكفَّار ومعها طفلٌ تحمله مدَّعيةً: أنَّه ولدها - وهو ما يسمَّى بـــ(الحميل) - فإنَّا لا تصدَّق بدعواها، ولا يجري التَّوارث بينها وبينه إلا إذا أقامت البيِّنة على أنَّه ابنها، وقد اســتشــار عثمان في ذلك أصــحاب رســول الله(ﷺ)، فأبدى كلٌّ منهم رأيه، وقال عثمان انئذٍ: ما نرى أن نورِّث مال الله إلا بالبيِّنات . وقال: لا يُورَّث الحَميل إلا ببينةٍ[2] .

هذه بعض اجتهادات ذي النُّورين أَثْرَت في المؤسَّـــســـة القضـــائيَّة في مجال القصـاص والحدود، والجنايات، والتَّعزير، كما أنَّه سـاهم في تطوير المدارس الفقهيَّة الإســـلاميَّة باجتهاداته الدَّالة على ســـعة اطِّلاعه، وغزارة علمه، وعمق فهمه، واستيعابه لمقاصد الشَّريعة الغرَّاء، فهو خليفةٌ راشدٌ، أعماله تسترشد بها الأمَّة في مسيرتها الطَّويلة لنصرة دين الله تعالى، وإعزازه .

* * *

---

[1] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(28) .
[2] سنن البيهقي (419/7) . وموسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(29) .

الفصل الرَّابع: الفتوحات في عهد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه

تمهيد:

شجَّع خبر مقتل عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه أعداء الإسلام، وخصوصاً في بلاد الفرس، والرُّوم على الطَّمع في استرداد ملكهم، فبدأ يزدجرد ملك الفرس يخطِّط في العاصمة الّتي يقيم فيها وهي مدينة (فرغنة) عاصمة سمرقند، وأمَّا زعماء الرُّوم؛ فقد تركوا بلاد الشام وانتقلوا إلى القسطنطينية العاصمة البيزنطيَّة، وبدؤوا في عهد عثمان في البحث عن الوسائل الّتي تمكِّنهم من استرداد ملكهم، وكانت بقايا جيوش الرُّوم في مصر قد تحصَّنوا بالإسكندرية في عهد عمر بن الخطَّاب، فطلب عمرو بن العاص منه أن يأذن بفتحها، وكانت معزَّزة بتحصيناتٍ كثيرةٍ، وكانت المجانيق فوق أسوارها، وكان هرقل قد عزم أن يباشر القتال بنفسه ولا يتخلَّف أحدٌ من الرُّوم ؛ لأن الإسكندرية هي معقلهم الأخير[1].

وفي عصر عثمان تجمَّع الرُّوم في الإسكندرية وبدؤوا يبحثون عن وسيلةٍ لاسترداد ملكهم فيها، حتَّى وصل بهم الأمر إلى نقض الصُّلح، واستعانوا بقوَّة الرُّوم البحريَّة[2]، فأمدُّوهم بثلاثمئة سفينةٍ بحريَّةٍ تحمل الرِّجال، والسِّلاح، ولقد واجه عثمان ذلك كلَّه بسياسة تتَّسم بالحسم، والعزم، وتمثَّلت في الخطَّة الاتية:

1- إخضاع المتمرِّدين من الفرس، والرُّوم، وإعادة سلطان الإسلام إلى هذه البلاد .

---

[1] موسوعة فقه عثمان بن عفَّان ، ص(28) .
[2] الخلافة والخلفاء الرَّاشدون ، ص(221) .

2- استمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم .

3- إقامة قواعد ثابتةٍ يرابط فيها المسلمون لحماية البلاد الإسلاميَّة .

4- إنشاء قوَّةٍ بحريَّةٍ عسكريَّةٍ لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك[1] .

كانت معسكرات الإسلام ومسالحه في عهد عثمان هي عواصم أقطاره الكبرى ؛ فمعسكر العراق: الكوفة، والبصرة، ومعسكر الشَّام في دمشق بعد أن خلص الشَّام كلُّه لمعاوية بن أبي سفيان، ومعسكر مصر كان مركزه الفسطاط، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام، ومواصلة الفتوحات، ونشر الإسلام[2].

* * *

[1] جولةٌ تاريخيَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(324) .
[2] الخلافة والخلفاء الرَّاشدون ، ص(222) .

المبحث الأوَّل: فتوحات عثمان في المشرق

أولاً: فتوحات أهل الكوفة: أذربيجان 24 هـ:

كانت مغازي أهل الكوفة الرَّيَّ، وأذربيجان، وكان يرابط بهما عشـــرة الاف مقاتل: ســـتة الاف بأذربيجان، وأربعة الاف بالرَّيِّ، وكان جيش الكوفة العامل أربعين ألف مقاتل، يغزو كلَّ عام منهم عشـــرة الاف، فيصـــيب الرَّجل غزوةً كلَّ أربعة أعوام، ولما أخلص عثمان رضـــي الله عنه الكوفة للوليد بن عقبة انتفض أهل أذربيجان، فمنعوا ما كانوا قد صـــالحوا عليه حذيفة بن اليمان أيَّام عمر، وثاروا على واليهم عقبة بن فرقد، فأمر عثمان الوليد أن يغزوهم، فجهَّز لهم قائده سلمان بن ربيعة الباهليَّ، وبعثه مقدِّمةً أمامه في طائفة من الجند، ثمَّ ســار الوليد بعده في جماعةٍ من النَّاس، فأسرع إليه أهل أذربيجان طالبين الصُّلح على ما كانوا صالحوا عليه حذيفة، فأجابهم الوليد، وأخذ طاعتهم، وبثَّ فيمن حولهم السَّـــرايا وشـــنَّ عليهم الغارات، فبعث عبد الله بن شُبيل الأحمسيَّ في أربعة الافٍ إلى أهل موقان، والببر، والطيلسان، فأصاب من أموالهم، وغنم، وسبى، ولكنَّهم تحرَّروا منه، فلم يفلَّ حدُّهم، ثمَّ جهز سـلمان الباهليَّ في اثني عشـر ألفاً إلى أرمينية، فأخضـعها، وعاد منها مليء اليدين بالغنائم، وانصرف الوليد بعد ذلك عائداً إلى الكوفة[1].

ولكنَّ أهل أذربيجان تمرَّدوا أكثر من مرَّةٍ، فكتب الأشـــعث بن قيس والي أذربيجان إلى الوليد بن عقبة، فأمدَّه بجيشٍ من أهل الكوفة وتتبَّع الأشـــعث

---

[1] عثمان بن عفَّان ، لصادق عرجون ، ص(199 ، 200) .

الثَّائرين، وهزمهم هزيمةً منكرةً، فطلبوا الصُّلح فصالحهم على صلحهم الأوَّل، وخاف الأشعث أن يعيدوا الكرَّة، فوضع حامية من العرب، وجعل لهم عطايا وسجَّلهم في الدِّيوان، وأمرهم بدعوة النَّاس إلى الإسلام، ولما تولَّى أمرها سعيد بن العاص عاد أهل أذربيجان وتمرَّدوا على الوالي الجديد، فبعث إليهم جرير ابن عبد الله البجليَّ، فهزمهم، وقتل رئيسهم، ثمَّ استقرَّت الأمور بعد أن أسلم أكثر شعبها، وتعلَّموا القران الكريم، وأمَّا الرَّيُّ، فقد صدر أمر الخليفة عثمان إلى أبي موسى الأشعريِّ في وقت ولايته على الكوفة، وأمره بتوجيه جيشٍ إليها لتمرُّدها، فأرسل إليها قريظة بن كعب الأنصاريَّ، فأعاد فتحها[1].

ثانياً: مشاركة أهل الكوفة في إحباط تحرُّكات الرُّوم:

عندما انتهى الوليد بن عقبة من مهمَّته في أذربيجان وعاد إلى الموصل، جاءه أمر من الخليفة عثمان نصُّه: « أمَّا بعد: فإنَّ معاوية بن أبي سفيان كتب إليَّ يخبرني: أنَّ الروم قد أجلبت[2] على المسلمين بجموعٍ عظيمةٍ، وقد رأيت أن يمدَّهم إخوانهم من أهل الكوفة، فإذا أتاك كتابي هذا، فابعث رجلاً ممَّن ترضى نجدته، وبأسه، وشجاعته، وإسلامه في ثمانية الاف، أو تسعة الافٍ، أو عشرة الاف إليهم من المكان الّذي يأتيك فيه رسولي[3]، والسَّلام » فقام الوليد في النَّاس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعد أيُّها الناس، فإن الله قد أبلى المسلمين في هذا الوجه بلاءً حسناً، وردَّ عليهم بلادهم الّتي كفرت، وفتح بلاداً لم تكن

---

[1] تاريخ الطَّبري (246/5) .
[2] الخلافة والخلفاء الرَّاشدون ، ص(224) .
[3] أجلبت: تجمَّعت للحرب .

افتتحت، وردَّهم سـالمين غانمين مأجورين، فالحمد لله ربِّ العالمين ! وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين يأمرني أن أندب منكم ما بين العشرة الاف إلى الثمانية الاف، تمدُّون إخوانكم من أهل الشَّـام، فإنَّهم قد جاشت عليهم الرُّوم، وفي ذلك الأجر العظيم، والفضل المبين، فانتدبوا – رحمكم الله– مع سلمان بن ربيعة الباهليِّ !

فانتدب النَّاس، فلم يمض ثالثةٌ حتَّى خرج ثمانية الاف رجلٍ من أهل الكوفة، فمضوا ؛ حتى دخلوا أهل الشَّام إلى أرض الروم، وعلى جند أهل الشام حبيب بن مسلمة بن خالد الفهريُّ، وعلى جند أهل الكوفة سلمان بن ربيعة الباهليُّ، فشنُّوا الغارات على أرض الرُّوم، فأصـاب الناس ما شـاؤوا من سـبي، وملؤوا أيديهم من المغنم، وافتتحوا بها حصوناً كثيرةً[1] .

وفي جهاد الوليد، وغزوه يقول بعض الرُّواة: رأيت الشَّعبيَّ جلس إلى محمَّد ابن عمرو بن الوليد بن عقبة، فذكر محمَّد غزوة مسـلمة بن عبد الملك، فقال الشَّـعبي: كيف لو أدركتم الوليد، وغزوه، وإمارته، إن كان ليغزو، فينتهي إلى كذا، وكذا، ما قصَّر ولا انتقض عليه أحدٌ حتَّى عُزِل من عمله[2] .

ثالثاً: غزو سعيد بن العاص طبرستان: 30 هـ:

غزا سـعيد بن العاص من الكوفة سـنة ثلاثين يريد خراسـان، ومعه حذيفة بن اليمان، وناسٌ من أصـحاب رسـول الله(ﷺ)، ومعه الحسـن، والحسـين، وعبد الله ابن عبَّاس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزُّبير،

---

[1] تاريخ الطَّبري (247/5) .
[2] المصدر السابق نفسه .

وخرج عبد الله بن عامر من البصرة يريد خراسان، فسبق سعيداً، ونزل أبرشهر، وبلغ نزوله أبرشهر سعيداً، فنزل سعيد قوميس، وهي صلحٌ، صالحهم حذيفة بعد نهاوند، فأتى جرجان، فصالحوه على مئتي ألفٍ ؛ ثمَّ أتى طَمِيسة، وهي كلُّها من طبرستان جرجان، وهي مدينةٌ على ساحل البحر، وهي في تخوم جرجان، فقاتله أهلها حتَّى صلَّى صلاة الخوف، فقال لحذيفة: كيف صلَّى رسول الله(ﷺ) ؟ فأخبره، فصلَّى بها سعيد صلاة الخوف، وهم يقتتلون، وضرب يومئذٍ سعيدٌ رجلاً من المشركين على حبل عاتقه، فخرج السَّيف من تحت مرفقه، وحاصرهم، فسألوا الأمان، فأعطاهم على ألا يقتل منهم رجلاً واحداً، ففتحوا الحصن، فقتلهم جميعاً إلا رجلاً واحداً، وحوى ما كان في الحصن، فأصاب رجلٌ من بني نهد سفطاً عليه قفلٌ، فظنَّ فيه جواهر، وبلغ سعيداً، فبعث إلى النَّهديِّ، فأتاه بالسَّفط، فكسروا قفله، فوجدوا فيه سفطاً، ففتحوه، فإذا فيه خرقةٌ صفراء، وفيها أيران: كُميتٌ، وورْدٌ[1]، وعندما قفل سعيد إلى الكوفة، مدحه كعب بن جُعيلٍ، فقال:

فَنِعْمَ الْفَتَى إِذْ جَالَ جيلان دُوْنَهُ ... وَإِذَ هَبَطُوا مِنْ دَسْتَبَى ثُمَّ أَبْهَرَ

تَعَلَّمْ سَعِيدَ الخَيْرِ أنَّ مَطِيَّتي ... إِذَا هَبَطَتْ أَشْفَقْتُ مِنْ أَنْ تُعَقَّرا

كَأَنَّكَ يَوْمَ الشِّعْبِ لَيْثُ خفيَّة ... تَحَرَّدَ مِنْ لَيْثِ العَرِيْنِ وَأَصْحَرَ

اتَسُوْسُ الّذي مَا سَاسَ قَبْلَكَ واحِدٌ ... ثَمَانِيْنَ أَلْفاً دَارِعِيْنَ وَحُسَّرا[2]

---

[1] عثمان بن عفَّان ، لصادق عرجون ، ص(201) .
[2] تاريخ الطَّبري (270/5) .

رابعاً: هروب ملك الفرس (يزدجرد) إلى خراسان:

قدم ابن عامر البصرة، ثمَّ خرج إلى فارس، فافتتحها، وهرب يزدجرد من وجُوز – وهي أردشير خُرَّة – في سنة ثلاثين، فوجَّه ابن عامر في أثره مجاشع بن مسعود السُّلميَّ، فاتبعه إلى كِرْمان، فنزل مجاشعٌ السَّيرجان بالعسكر، وهرب يزدجرد إلى خراسان[1] .

خامساً: مقتل (يزدجرد) ملك الفرس 31 هـ:

اختلف في سبب ذكر قتله كيف كان، قال ابن إسحاق: هرب يزدجرد من كِرمان في جماعةٍ يسيرةٍ إلى مرو، فسأل من بعض أهلها مالاً، فمنعوه، وخافوه على أنفسهم، فبعثوا إلى التُّرك يستفزُّوهم عليه، فأتوه فقتلوا أصحابه، وهرب هو حتَّى أتى منزل رجلٍ ينقِّر الأرحاء[2]، على شطِّ المرْغاب[3]، فأوى إليه ليلاً، فلمَّا نام قتله[4]، وجاء في روايةٍ عند الطَّبريِّ:... بل سار يزدجرد من كِرْمان قبل ورود العرب إيَّاها، فأخذ على طريق الطَّبسَين وقُهِستان، حتَّى شارف مرو في زهاء أربعة الاف رجلٍ، ليجمع من أهل خراسان جموعاً، ويكرَّ إلى العرب، ويقاتلهم، فتلقَّاه قائدان متباغضان متحاسدان كانا بمروٍ، يقال لأحدهما: براز، والاخر: سنجان، ومنحاه الطَّاعة، وأقام بمروٍ، وخصَّ براز، فحسده على ذلك سنجان، وجعل براز يبغي سنجان الغوائل، ويوغل صدر يزدجرد عليه، وسعى سنجان حتَّى

(1) تاريخ الطَّبري (271/5) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، (288/5) .
(3) الأرحاء: جمع رحا ، وهي الطَّاحون .
(4) المرغاب: نهرٌ بمروٍ .

عزم على قتله، وأفشى ما كان عزم عليه من ذلك إلى امرأةٍ من نسائه كان براز واطأها، فأرسلت إلى براز بنسوةٍ زعمت بإجماع يزدجرد على قتل سنجان، وفشا ما كان عزم عليه يزدجرد من ذلك، فنذِر[1] سنجان، وأخذ حِذْرَه، وجمع جمعاً كنحو أصحاب براز، ومن كان مع يزدجرد من الجند، وتوجَّه نحو القصر الّذي كان يزدجرد نازله، وبلغ ذلك براز، فنكص عن سنجان لكثرة جموعه ورعَّب جمع سنجان يزدجرد، وأخافه، فخرج من قصره متنكراً، ومضى على وجهه راجلاً لينجو بنفسه، فمشى نحواً من فرسخين حتَّى وقع إلى رحاً، فدخل بيت الرَّحا، فجلس فيه كالاًّ[2] لَغِباً[3]، فراه صاحب الرَّحا ذا هيئة، وطرَّة وبزَّةٍ كريمةٍ، ففرش له، فجلس، وأتاه بطعامٍ، فطعم، ومكث عنده يوماً وليلةً، فسأله صاحب الرَّحا أن يأمر له بشيءٍ، فبذل له منطقةً مكلَّلةً بجوهر كانت عليه، فأبى صاحب الرَّحا أن يقبلها، وقال: إنَّما كان يرضيني من هذه المنطقة أربعة دراهم كنت أطعم بها، وأشرب، فأخبره أنَّه لا ورق معه، فتملَّقه صاحب الرَّحا، حتى إذا غفا قام إليه بفأسٍ له، فضرب بها هامته، فقتله، واحتزَّ رأسه، وأخذ ما كان عليه من ثيابٍ، ومنطقةٍ، وألقى جيفته في النَّهر الّذي كان تدور بمائه رحاه، وبقر بطنه، وأدخل فيه أصولاً من أصول طرفاء[4]، كانت نابتة في ذلك النَّهر لتجسَّ جثته في الموضع الّذي ألقاه فيه، فلا يسفل، فيعرف، ويطلب قاتله، وما أخذ من سلبه، وهرب على وجهه[5]، وجاء في رواية:... وجاءت التُّرك في طلبه فوجدوه قد قتله، وأخذ

---

[1] تاريخ الطَّبري (295/5) .
[2] نذر: علم .
[3] كالاً: متعباً .
[4] لَغِباً: متعباً أشدَّ التعب .

[5] طرفاء: شجر .

حاصله، فقتلوا ذلك الرَّجل وأهل بيته، وأخذوا ما كان مع كسرى، ووضعوا كسرى في تابوتٍ، وحملوه إلى إصطخر[1] .

وقد ذكر الطَّبريُّ حديثين مطوَّلين، وأحدهما أطول من الاخر يتضمَّن ضروباً من الاضطرابات تقلَّب فيها، وأنواعاً من الدَّوائر دارت عليه حتَّى كانت منيته اخرها[2]، وقد قال يزدجرد لمن أراد قتله في بعض الرِّوايات: ألا يقتلوه، وقال لهم: ويحكم ! إنَّا نجد في كتبنا: أنَّ من اجترأ على قتل الملوك عاقبه الله بالحريق في الدُّنيا، مع ما هو قادم عليه، فلا تقتلوني وائتوا بي إلى الدِّهقان، أو سرِّحوني إلى العرب، فإنَّهم يستحيون مثلي من الملوك[3].

وكان مُلْك يزدجرد عشرين سنة، منها أربع سنين في دَعَة، وباقي ذلك هارباً من بلدٍ إلى اخر، خوفاً من الإسلام، وأهله، وهو اخر ملوك الفرس في الدُّنيا على الإطلاق[4]، فسبحان ذي العظمة والملكوت، الملك الحقُّ الحيُّ الدَّائم الّذي لا يموت، لا إله إلا هو، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون[5].

وقد قال رسول الله(ﷺ) في ملوك الفرس، والرُّوم: « إذا هلك قَيصر ؛ فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى ؛ فلا كسرى بعده، والّذي نفسي بيده لتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله »[6] .

---

[1] خلافة عثمان ، للسَّلمي ، ص(57) .
[2] تاريخ الطَّبري (297/5) .
[3] الاكتفاء ، للكلاعي (417/4) .
[4] المصدر السَّابق نفسه ، (418/4) . وتاريخ الطَّبري (302/5) .
[5] خلافة عثمان ، د . محمَّد السَّلمي ، ص(57) .
[6] الاكتفاء للكلاعي (419/4) .

سادساً: تعاطف النَّصارى مع (يزدجرد) بعد مقتله:

بلغ قتل يزدجرد رجلاً من أهل الأهواز كان مُطراناً على مرو، يقال له: إيلياء، فجمع مَنْ كان قبله من النَّصـــارى، وقال لهم: إنَّ ملك الفرس قد قُتل، وهو ابن شهريار بن كسرى، وإنَّما شهريار ولد شيرين المؤمنة الّتي قد عرفتم حقَّها، وإحسانها إلى أهل ملَّتها من غير وجهٍ، ولهذا الملك عنصرٌ في النَّصرانية مع ما نال النَّصارى في ملك جدّهِ كسرى من الشَّرف، وقبل ذلك في مملكة ملوكٍ من أسلافه من الخير، حتَّى بنى لهم بعض البِيَع، وسدَّد لهم بعض ملَّتهم، فينبغي لنا أن نحزن لقتل هذا الملك من كرامته بقدر إحسان أسلافه، وجدَّته شيرين إلى النَّصارى، وقد رأيت أن أبني له ناووساً[1]، وأحمل جثَّته في كرامةٍ ؛ حتَّى أواريها فيه . فقال النَّصارى: أمرنا لأمرك أيُّها المطران تبعٌ، ونحن لك على رأيك هذا مواطئون . فأمر المطران فبنى في جوف بستان المطارنة بمرو ناووساً، ومضى بنفسه ومعه نصارى مرو حتَّى استخرج جثة يزدجرد من النَّهر، وكفَّنها، وجعلها في تابوتٍ، وحمله من كان معه من النَّصارى على عواتقهم حتَّى أتوا به النَّاووس الّذي أمر ببنائه له، وواروه فيه، وردموا بابه[2].

سابعاً: فتوحات عبد الله بن عامر 31 هـ:

في هذه السَّنة 31 هـ شخص عبد الله بن عامر إلى خراسان، ففتح أبرشهر، وطوس، وبيورد، ونسا ؛ حتَّى بلغ سَرخَس، وصالح فيها أهل مرو، وقد جاء في

---

(1) مسلم في الفتن ، رقم (2918-2919) .
(2) النَّاووس: حجرٌ منقورٌ تجعل فيه جثَّة الميت .

روايةٍ عن السَّكن بن قتادة العُرَيْنِيِّ قال: فتح ابن عامر فارس، ورجع إلى البصرة، واستعمل على إصطخر شريك بن الأعور الحارثيَّ، فبنى شريكٌ مسجد إصطخر، فدخل على ابن عامر رجلٌ من بني تميم كنا نقول: إنَّه الأحنف - ويقال: أوس بن جابر الجُشَمَيُّ جُشَم تميم - فقال له: إنَّ عدوك منك هاربٌ، وهو لك هائبٌ، والبلاد واسعةٌ، فسر ؛ فإنَّ الله ناصرك، ومعزٌّ دينه، فتجهَّز ابن عامر، وأمر النَّاس بالجهاز للمسير، واستخلف على البصرة زياداً، وسار إلى كرمان، ثمَّ أخذ إلى خراسان، فقومٌ يقولون: أخذ طريق أصبهان، ثمَّ سار إلى خراسان، واستعمل على كرمان مجاشعَ بن مسعودٍ السُّلميَّ، وأخذ ابن عامر على مفازة وابَر، وهي ثمانون فرسخاً، ثمَّ سار إلى الطَّبَسَين يريد أبْرَشهر، وهي مدينة نيسابور، وعلى مقدِّمته الأحنف بن قيس، فأخذ إلى قُهِستان، وخرج إلى أبرشهر، فلقيه الهباطلة، وهم أهل هَراة، فقاتلهم الأحنف، فهزمهم، ثمَّ أتى ابن عامر نيسابور[1].

وجاء في روايةٍ: نزل ابن عامر على أبرشهر، فغلب على نصفها عَنْوَةً، وكان النِّصف الاخر في يد كنارَى، ونصف نسا، وطوس، فلم يقدر ابن عامر أن يجوز إلى مرو، فصالح كنارَى، فأعطاه ابنه أبا الصَّلت بن كنارى، وابن أخيه سليماً رهناً، ووجَّه عبد الله بن خازم إلى هراة، وحاتم بن النُّعمان إلى مرو، وأخذ ابن عامر ابني كنارى، فصارا إلى النَّعمان بن الأفقم النصري، فأعتقهما[2]، وفتح ابن عامر ما حول مدينة أبرشهر، كطوس، وبيوَرْد، ونَسا، وحُمران، حتَّى انتهى إلى سَرخَس، وسرَّح ابن عامر الأسود بن كلثوم العدويَّ - عديَّ الرَّباب - إلى بَيْهق،

---

[1] تاريخ الطَّبري (304/5) .
[2] المصدر السَّابق نفسه (305/5) .

وهو من أبرشهر، بينهما وبين أبرشهر ستة عشر فرسخاً، ففتحها وقُتل الأسود بن كلثوم ؛ وكان فاضلاً في دينه، وكان من أصحاب عبد الله بن عامر العنبريّ، وكان ابن عامر يقول بعدما أخرج من البصرة: ما اسى من العراق على شيءٍ إلا على ظمأ الهواجر، وتجاوب المؤذّنين، وإخوان مثل الأسود بن كلثوم[1].

واستطاع ابن عامر أن يتغلّب على نيسابور، وخرج إلى سرخس، فأرسل إليه أهل مرو يطلبون الصُّلح، فبعث إليهم ابن عامر حاتم بن النُّعمان الباهليَّ، فصالح براز مرزبان مرو على ألفي ألفٍ ومئتي ألفٍ[2] .

ثامناً: غزو الباب وبَلَنْجَر سنة اثنتين وثلاثين:

كتب عثمان بن عفَّان رضي الله عنه إلى سعيد بن العاص: أن أغزِ سلمان الباب، وكتب إلى عبد الرحمن بن ربيعة وهو على الباب: إنَّ الرَّعية قد أبطر كثيراً منهم البطنةُ، فقصِّر، ولاتقتحم بالمسلمين، فإنِّي خاشٍ أن يُبتلوا، فلم يزجر ذلك عبد الرَّحمن عن غايته، وكان لا يقصِّر عن بلنجر، فغزا سنة تسع من إمارة عثمان حتَّى إذا بلغ بلنجر، حصروها، ونصبوا عليها المجانيق، والعرَّادات[3]، فجعل لا يدنو منه أحد إلا أعنتوه، أو قتلوه، فأسرعوا في النَّاس[4].

ثمَّ إنَّ التُّرك اتَّعدوا يوماً، فخرج أهل بلنجر، وتوافت إليهم التُّرك، فاقتتلوا، فأصيب عبد الرَّحمن بن ربيعة - وكان يقال له: ذو النُّور - وانهزم المسلمون،

---

(1) تاريخ الطَّبري (306/5) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، (307/5) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .
(4) العرَّادة: الة حربيَّة كالمنجنيق ترمي بالحجارة المرمى البعيد لدكِّ الحصون .

فتفرَّقوا، فأما من أخذ طريق سـلمان بن ربيعة، فحماه حتَّى خرج من الباب، وأمَّا من أخذ طريق الخزر، وبلادها، فإنَّه خرج على جيلان، وجُرجان، وفيهم سـلمان الفارسـيُّ، وأبو هريرة، وأخذ القوم جسـد عبد الرَّحمن فجعلوه في سَـفَط، فبقي في أيديهم، فهم يستسقون به إلى اليوم، ويستنصرون به[1] .

1- مقتل يزيد بن معاوية:

غزا أهل الكوفة بلنجر سـنين من إمارة عثمان لم تئِم[2] فيهنَّ امرأةٌ، ولم ييتم فيهنَّ صـبيٌّ من قتلٍ، حتَّى كان سـنة تسـع - من خلافة عثمان - قبل المزاحفة بيومين رأى يزيد بن معاوية: أنَّ غزالاً جيء به إلى خبائه، لم ير غزالاً أحسـن منه، حتَّى لُفَّ في ملحفته، ثمَّ أتي به قبرٌ عليه أربعة نفرٍ، لم ير قبراً أشـدَّ استواءً منه، ولا أحسـن منه حتَّى دُفن فيه، فلمَّا تفادى النَّاس على الترك، رمي يزيد بحجرٍ، فهشـم رأسـه، فكأنما زيِّن ثوبه بالدِّماء زينةً، وليس بتلطُّخٍ، فكان ذلك الغزال الّذي رأى[3]، وكان يزيد رقيقاً جميلاً - رحمه الله - ، وبلغ ذلك عثمان، فقال: إنَّا لله وإنا إليه راجعون ! انتكث أهل الكوفة، اللّهمَّ تب عليهم، وأقْبل بهم[4] !

2. ما أحسن حمرة الدِّماء في بياضك !

كان عمرو بن عتبة يقول لقباءٍ عليه أبيضَ: ما أحسـن حمرة الدِّماء في بياضـك! فأصـيب عند الالتحام مع العدوِّ بجراحةٍ، فرأى قباءه كما اشـتهى،

---

[1] تاريخ الطَّبري (308/5) .
[2] تاريخ الطَّبري (309/5) .
[3] لم تئم امرأةٌ: لم تفقد زوجها .
[4] تاريخ الطَّبري (310/5) أي: في نومه .

وقتل[1] .

3. ما أحسن لمع الدِّماء على الثياب !

كان القرَّشَع يقول: ما أحسن لمع الدِّماء على الثياب ! فلمَّا كان يوم المزاحفة ؛ قاتل القرَّشَع حتَّى خُرِّق بالحراب، فكأنَّما كان قباؤه ثوباً أرضه بيضاء، ووشيه أحمر، وما زال النَّاس ثبوتاً حتَّى أصيب، وكانت هزيمة النَّاس مع مقتله[2] .

4. إنَّ هؤلاء يموتون كما تموتون:

كان التُّرك - في تلك المعركة - قد اختفوا في الغياض[3]، وكانوا قد خافوا المسلمين، واعتقدوا أنَّ السلاح لا يعمل فيهم ! واتَّفق: أنَّ تركيّاً اختفى في غيضةٍ، ورشق مسلماً بسهم فقتله، فنادى في قومه: إنَّ هؤلاء يموتون كما تموتون، فلِمَ تخافوهم ؟ فاجترأ التُّرك على المسلمين، وخرجوا عليهم من مكامنهم، وأوقعوا بهم، واشتدَّ القتال، فثبت عبد الرحمن حتَّى استشهد[4] .

5. صبراً ال سلمان !

جاء في روايةٍ أخرى: حين استشهد عبد الرَّحمن؛ أخذ الرَّاية أخوه سلمان بن ربيعة الباهليُّ، وقتل بها، ونادى منادٍ: (صبراً ال سلمان !) فقال سلمان: أو ترى جَزَعاً ! ! وخرج سلمان، ومعه أبو هريرة الدَّوسيُّ على جيْلان[5]، فقطعوها

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، (311/5) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، (310/5) .
[3] تاريخ الطَّبري (310/5) .
[4] الغياض: جمع غيضة ، وهي المواضع الَّتي يكثر فيها الشَّجر ، ويلتفُّ .
[5] قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ، محمود شيت خطَّاب ، ص(151) .

إلى جُرجان[1]منسحباً من معركة خاسرة[2]، بعد أن دفن أخاه عبد الرَّحمن بنواحي بلنجر[3]، وبهذا الانسحاب أنقذ سلمان بقيَّةً باقيةً من جيش أخيه[4] .

وقد رجَّح هذه الرِّواية محمود شيت خطَّاب، وقال: إنَّ الانسحاب أشبه بقتال المســـلمين يومئذٍ، وذلك في حالة اشــتداد الضَّــغط عليهم من العدوِّ، وتكبُّدهم خسائر فادحةً بالأرواح، والانسحاب هو من أجل الانحياز إلى فئةٍ من المسلمين، ليعيدوا الكرَّة ثانيةً، على عدوِّهم، وقد جاء ســــلمان بن ربيعة مدداً لعبد الرَّحمن بأمر عثمان بن عفَّان، فليس من المعقول أن يبقى ومدده في (الباب)، وليس من المعقول أن يتركه أخوه عبد الرَّحمن هناك، وهو يخوض معركةً قاسية شرسةً، يكون فيها القائد بأمسِّ الحاجة إلى الجنديِّ الواحد، فكيف يترك عبد الرَّحمن جيشـــاً كاملاً على رأسه أخوه دون أن يستفيد منه في المعركة ؟

إنَّ المؤرِّخين القُدامى كانوا يســتعملون تعبير: (الهزيمة) وهم يريدون بها تعبير الانسحاب ؛ ذلك لأنَّ أكثرهم مدنيُّون لا يفرِّقون بين هذين التَّعبيرين: (الهزيمة) ترك ساحة القتال بدون نظامٍ، ولا قيادةٍ، فهي كارثةٌ، و(الانسحاب) ترك ساحة القتال وفق خُطةٍ مرسومةٍ بقيادةٍ واحدةٍ، فهو – أي: الانسحاب – صفحةٌ من صفحات القتال، الهدف منه إعادة الكرَّة على العدوِّ بعد إكمال متطلبات المعركة عدداً، وعُدداً، وعسى ألا يقع المؤرخون المحدثون في مثل هذا الخطأ في التَّعبير، فلا يفرِّقون بين (الهزيمة) و(الانسحاب) ؛ لأنَّ الفرق بين التَّعبيرين شاسعٌ بعيد[5] .

---

[1] جيلان: اسم لبلادٍ كثيرةٍ من وراء بلاد طبرستان .
[2] جرجان: مدينةٌ مشهورةٌ عظيمةٌ بين طبرستان ، وخراسان .
[3] تاريخ الطَّبري (309/5) . وقادة الفتح الإسلامي في أرمينية ، ص(151) .
[4] معجم البلدان (278/2) .
[5] قادة الفتح الإسلاميِّ في أرمينية ، ص(151) .

تاسعاً: أوَّل اختلاف وقع بين أهل الكوفة، وأهل الشام 32 هـ:

لما قتل عبد الرَّحمن بن ربيعة، استعمل سعيدُ بن العاص على ذلك الفرع سلمان بن ربيعة، وأمدَّهم عثمان بأهل الشَّام: عليهم حبيب بن مسلمة، فتنازع حبيب وسلمان على الإمرة، وقال أهل الشَّام: لقد هممنا بضرب سلمان، فقال في ذلك النَّاس: إذاً والله نضرب حبيباً، ونحبسه، وإن أبيتم ؛ كثرت القتلى فيكم، وفينا، حتَّى قال في ذلك رجلٌ من أهل الكوفة، وهو أوس بن مغراء:

إِنْ تَضْرِبُوا سَلْمَانَ نَضْرِبْ حَبِيْبَكُمْ ... وَإِنْ تَرْحَلُوا نَحْوَ ابْنِ عفَّانَ نَرْحَلُ

إِنْ تُقْسِطُوا فَالثَّغْرُ ثَغْرُ أَمِيْرِنَا ... وَهذَا أَمِيْرٌ فِي الكَتَائِبِ مُقْبِلُ

وَنَحْنُ وُلاَةُ الثَّغْرِ كُنَّا حُمَاتَهُ ... لَيَالِيَ نَرْمِي كُلَّ ثَغْرٍ ونُنْكِلُ[1]

وتغلَّب المسلمون على الفتنة بتوفيق الله، ثمَّ بوجود أمثال حذيفة بن اليمان ؛ الّذي كان على الغزو بأهل الكوفة، فقد غزا ذلك الثَّغر ثلاث غزواتٍ، فقُتل عثمان رضي الله عنه في الثَّالثة[2] .

عاشراً: فتوحات ابن عامرٍ سنة اثنتين وثلاثين:

وفيها فتح ابن عامر مرو الرُّوذ، والطَّالقان، والفارياب، والجُوزجان، وطُخارستان، فقد بعث ابن عامرٍ الأحنف بن قيس إلى مرو روذ، فحصر أهلها،

---

[1] قادة الفتح الإسلاميِّ في أرمينية ، ص(152 ، 153) .
[2] تاريخ الطَّبري (311/5) . والبداية والنِّهاية (166/7) .

فخرجوا إليهم، فقاتلوهم، فهزمهم المسلمون حتَّى اضطروهم إلى حصنهم، فأشرفوا عليه، وقالوا: يا معشر العرب ! ما كنتم عندنا كما نرى، ولو علمنا أنَّكم كما نرى لكانت لنا، ولكم حالٌ غير هذه، فأمهلونا ننظر يومنا، وارجعوا إلى عسكركم، فرجع الأحنف، فلمَّا أصبح غاداهم، وقد أعدُّوا له الحرب، فخرج رجلٌ من العجم معه كتاب من المدينة، فقال: إنِّي رسول فأمِّنوني ! فأمَّنوه، فإذا رسول من مرزبان مرو ابن أخيه، وترجمانه، وإذا كتاب المرزبان إلى الأحنف، فقرأ الكتاب، قال: فإذا هو إلى أمير الجيش، إنَّا نحمد الله الّذي بيده الدُّول، يغيِّر ما شاء من الملك، ويرفع من شاء بعد الذِّلَّة، ويضع من شاء بعد الرِّفعة: إنَّه دعاني إلى مصالحتك، وموادعتك ما كان من إسلام جدِّي، وما كان رأى من صاحبكم من الكرامة، والمنزلة، فمرحباً بكم، وأبشروا، وأنا أدعوكم إلى الصُّلح فيما بينكم، وبيننا، على أن أؤدِّي إليكم خراجاً ستين ألف درهم، وأن تُقِرُّوا بيدي ما كان ملك الملوك كسرى أقطع جدَّ أبي حيث قتل الحية التي أكلت النَّاس، وقطعت السَّبيل من الأرضين والقرى بما فيها من الرِّجال، ولا تأخذوا من أحدٍ من أهل بيتي شيئاً من الخراج، ولا تخرج المرزبة[1] من أهل بيتي إلى غيركم، فإن جعلتَ ذلك لي ؛ خرجتُ إليك، وقد بعثت إليك ابن أخي ماهَك ؛ ليستوثق منك . فكتب إليه الأحنف:

بسم الله الرحمن الرَّحيم، من صخر بن قيس أمير الجيش إلى باذان مرزبان مرو روذ ومن معه من الأساورة، والأعاجم . سلامٌ على من اتَّبع الهدى، وامن، واتَّقى. أما بعد: فإنَّ ابن أخيك ماهك قدم عليَّ، فنصح لك جهده، وأبلغ عنك، وقد عرضت ذلك على من معي من المسلمين، وأنا وهم فيما عليك سواءٌ، وقد

[1] تاريخ الطَّبري (311/5) .

أجبناك إلى ما سألت، وعرضت على أن تؤدِّي عن أكرتك[1]، وفلاحيك، والأرضين الّتي ذكرت: أن كسرى الظالم لنفسه أقطع جدَّ أبيك لما كان من قتله الحيَّة ؛ الّتي أفسدت الأرض، وقطعت السبيل، والأرض لله ولرسوله يورثها من يشاء من عباده، وإنَّ عليك نصرة المسلمين، وقتال عدوِّهم بمن معك من الأساورة، إن أحبَّ المسلمون ذلك، وأرادوه، وإنَّ لك على ذلك نصرة المسلمين على من يقاتل مَنْ وراءك من أهل ملَّتك، جارٍ لك بذلك منِّي كتابٌ يكون لك بعدي، ولا خراج عليك، ولا على أحد من أهل بيتك من ذوي الأرحام، وإن أنت أسلمت، واتَّبعت الرَّسول ؛ كان لك من المسلمين العطاء، والمنزلة، والرِّزق، وأنت أخوهم، ولك بذلك ذمَّتي، وذمَّة أبي، وذمم المسلمين وذمم ابائهم .

شهد على ما في هذا الكتاب جَزْءُ بن معاوية - أو معاوية بن جَزْءٍ السَّعديُّ- وحمزة بن الهرماس، وحُميد بن الخيار المازنيَّان، وعياض بن ورقاء الأسيديُّ . وكتبه كيسان مولى بني ثعلبة يوم الأحد من شهر المحرّم، وختم أمير الجيش الأحنف بن قيس، ونقش خاتم الأحنف: نعبد الله[2] .

الحادية عشرة: القتال بين جيش الأحنف وأهل طخارستان والجوزجان، والطَّالقان، والفاريان:

صالح ابن عامر أهل مرو، وبعث الأحنف في أربعة الاف إلى طخارستان، فأقبل ؛ حتَّى نزل موضع قصر الأحنف من مرو روذ، وجمع له أهل طُخارستان،

---

(1) المرزبة: الرِّئاسة عند العجم . والمرزبان: الرَّئيس المقدَّم فيهم .
(2) الأكرة: جمع أكَّار: الحرَّاث .

وأهل الجوزجان، والطالقان، والفاريان، فكانوا ثلاثة زحوفٍ ثلاثين ألفاً، وأتى الأحنف خبرهم، وما جمعوا له، فاستشار النَّاس، فاختلفوا، فبين قائلٍ: نرجع إلى مرو، وقائل: نرجع إلى أبْرشهر، وقائل: نقيم نستمدُّ، وقائل: نلقاهم فنناجزهم ؛ فلمَّا أمسى الأحنف ؛ خرج يمشي في العسكر، ويستمع حديث النَّاس، فمرَّ بأهل خباءٍ، ورجلٍ يوقد تحت خزيرةٍ[1]، أو يعجن، وهم يتحدَّثون، ويذكرون العدوَّ، فقال بعضهم: الرأي للأمير أن يسير إذا أصبح، حتَّى يلقى القوم حيث لقيهم – فإنَّه أرعب لهم – فيناجزهم . فقال صاحب الخزيرة، أو العجين: إن فعل ذلك ؛ فقد أخطأ، وأخطأتم ؛ أتأمرونه أن يلقي حدَّ العدو مصحِّراً في بلادهم، فيلقى جمعاً كثيراً بعددٍ قليل، فإن جالوا جولةً اصطلمونا[2] ؛ ولكنَّ الرأي له أن ينزل بين المرغاب، والجبل، فيجعل المرغاب عن يمينه، والجبل عن يساره، فلا يلقاه من عدوِّه وإن كثروا إلا عدد أصحابه .

فرجع الأحنف وقد اعتقد ما قال، فضرب عسكره، وأقام فأرسل إليه أهل مرو يعرضون عليه أن يقاتلوا معه، فقال: إني أكره أن أستنصر بالمشركين، فأقيموا على ما أعطيناكم، وجعلنا بيننا، وبينكم، فإن ظفرنا ؛ فنحن على ما جعلنا لكم، وإن ظفروا بنا، وقاتلوكم، فقاتلوا عن أنفسكم ؛ فوافق المسلمين صلاة العصر، فعاجلهم المشركون فناهضوهم، فقاتلوهم وصبر الفريقان حتَّى أمسوا، والأحنف يتمثَّل بشعر ابن جُؤيَّة الأعرجي:

---

(1) تاريخ الطَّبري (316/5) .

(2) الخزيرة: الحساء من الدَّسم ، والدَّقيق .

أَحَـقُّ مَـنْ لَمْ يَـكْـرَهِ المـنِـيَّـة حَـزَوَّرٌ[1] لَـيْـسَ لَـهُ ذُرِّيَّـة[2]

وجاء في رواية:... فقاتلهم حتَّى ذهب عامَّة اللَّيل، ثمَّ هزمهم الله، فقتلهم المسلمون حتَّى انتهوا إلى رَسْكن – وهي على اثني عشر فرسخاً من قصر الأحنف – وكان مرزبان مرو روذ قد تربَّص بحمل ما كانوا صالحوه عليه، لينظر ما يكون من أمرهم، فلمَّا ظفِر الأحنف ؛ سرَّح رجلين إلى المرزبان، وأمرهما ألا يكلماه حتَّى يقبضاه، ففعلا ؛ فعلم أنَّهم لم يصنعوا ذاك به إلا وقد ظفروا، فحمل ما كان عليه[3]، وبعث الأحنف الأقرع بن حابس في جريدة خيلٍ[4]، إلى الجوزجان حيث بقيَّةٌ كانت بقيت من الزُّحوف الّذين هزمهم الأحنف، فقاتلهم، فجال المسلمون جولةً، فقُتل فرسان من فرسانهم، ثمَّ أظفر الله المسلمين بهم، فهزموهم، وقتلوهم، فقال كُثيِّر النَّهشليُّ:[5]

سَقَى مُزْنُ السَّحَاب إذَا استَهلَّت[6] مَصَارِعَ فِتْيَـةٍ بِالجُوزَجَانِ

إلى القَصْـرَيْنِ مِنْ رُسْتَاقِ خُوْطٍ أَقَادَهُمُ هُنَاكَ الأَقْرَعَانِ[7]

الثانية عشرة: صلح الأحنف مع أهل بلخ 32 هـ:

سار الأحنف من مرو الرُّوذ إلى بلخ، فحاصرهم، فصالحه أهلها على أربعمئة ألفٍ، فرضي منهم بذلك، واستعمل ابن عمِّه، وهو أسيد بن المتشمِّس ؛ ليأخذ

---

[1] اصطلم: اقتلعه من أصله .
[2] الحزوَّر: الغلام القوي .
[3] تاريخ الطَّبري (317/5) .
[4] المصدر السَّابق نفسه .
[5] جريدة الخيل: كتيبة الخيل ؛ الَّتي لا رجَّالة فيها .
[6] استهلت السَّحابة: أمطرت ، واشتدَّ مطرها .
[7] تاريخ الطَّبري (318/5) .

منهم ما صـالحوه عليه، ومضـى إلى خوارِزْم، فأقام حتَّى هجم عليه الشِّتاء، فقال لأصحابه: ما تشاؤون ؟ فقالوا: قد قال عمرو بن معد يكرب:

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ أَمْراً فَدَعْهُوَجَاوِزْهُ إلى مَاْ تَسْتَطِيْعُ فأمر الأحنف بالرَّحيل، ثمَّ انصـرف إلى بلخ، وقد قبض ابن عمِّه ما صـالحهم عليه، وكان وافق وهو يجبيهم المهرجان، فأهدوا إليه هدايا من انية الذَّهب، والفضَّـة، ودنانير، ودراهم، ومتاع، وثياب، فقال ابن عمِّ الأحنف: هذا ما صـالحناكم عليه ؟ قالوا: لا، ولكن هذا شـيءٌ نصـنعه في هذا اليوم بمن وَلِينا، نسـتعطفه به، قال: وما هذا اليوم ؟ قالوا: المهرجان، قال: ما أدري ما هذا ؟ وإنِّي لأكره أن أردَّه، ولعلَّه من حقِّي، ولكن أقبضه، وأعزله حتَّى أنظر فيه، فقبضه، وقدم الأحنف، فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا له مثل ما قالوا لابن عمِّه، فقال: اتي به الأمير، فحمله إلى ابن عامر، فأخبره عنه، فقال: اقبضه يا أبا بحر ! فهو لك . قال: لا حاجة لي فيه، فقال ابن عامر: ضمَّه إليك يا مسمار ! فضمَّه القرشيُّ، وكان مضمّاً[1] .

الثالثة عشرة: لأجعلنَّ شكري لله على ذلك أن أخرج مُحْرِماً معتمراً من موقفي هذا:

لَّما رجع الأحنف إلى ابن عامرٍ ؛ قال النَّاس لابن عامر: ما فُتح على أحدٍ ما قد فُتح عليك: فارس، وكرمان، وسـجستان، وعامة خراسـان ! قال: لا جرم، لأجعلنَّ شـكري لله على ذلك أن أخرج مُحرماً معتمراً من موقفي هذا ! فأحرم

[1] تاريخ الطَّبري (318/5) .

بعمرةٍ من نيسـابور، فلمّا قدم على عثمان لامه على إحرامه من خراسـان، وقال: ليتك تضبط ذلك من الوقت الّذي يحرم منه النّاس[1] !

الرَّابعة عشرة: هزيمة (قارِنْ) في خراسان:

لما رجع ابن عامر من الغزو ؛ استخلف قيس بن الهيثم على خراسـان، فأقبل قارن في جمع من التُّرك أربعين ألفاً، فالتقاه عبد الله بن خازم السُّـلمي في أربعة الاف، وجعل له مقدِّمةً سـتَّمئة رجلٍ، وأمر كُلاًّ منهم أن يجعل رأس رُمحه ناراً، وأقبلوا إليهم في وسط اللَّيل فبيَّتوهم، فثاروا إليهم، فناوشتهم المقدِّمة، فاشتغلوا بهم، وأقبل عبد الله بن خازم بمن معه من المسـلمين، فأحاطوا بهم، فولَّى المشـركون مدبرين، واتَّبعهم المسـلمون يقتلون من شـاؤوا، وقُتلَ قارن فيمن قُتل، وغنموا سـبياً كثيراً، وأموالاً جزيلةً، ثمَّ بعث عبد الله بن خازم بالفتح إلى ابن عامر، فرضي عنه، وأقرَّه على خراسـان، وذلك: أنَّه كان قد احتال على الوالي السَّـابق قيس بن الهيثم السُّلميّ حتَّى أخرجه من خراسان، ثمَّ تولَّى حرب قارن، فلمَّا هزمه، وغنم عسكره؛ رضي عليه ابن عامر، وأقرَّه على ولاية خراسان[2].

وهكذا تصـدَّى الخليفة الرَّاشـد عثمان لحركات التمرُّد في المشـرق وواصـل فتوحاته، ولم تفتَّ تلك الثَّورات في عضـد المسلمين، ولم تنل من عزم الخليفة الّذي كان كفؤاً لها، حيث واجهها بالعزم، والرَّأي، والسُّرعة في تصريف الأمور، وتسيير النَّجدات، وإسـناد كلِّ عملٍ إلى من يحسـنه، كما يظهر من تتبُّع الأحداث في

---

(1) المصدر السَّابق نفسه (319/5) .
(2) البداية والنِّهاية (167/7) . وتاريخ الطَّبري (319/5) .

تاريخ الطَّبري، وابن كثير، والكلاعي، بما لا يدع شكّاً في أنَّ اختيار عثمان للقادة الّذين قاموا بهذه الانتصـارات، وتطويق هذه القلاقل كان اختياراً موفَّقاً، مع العلم بأن أعباء الجهاد كانت أشـقَّ، وأكبر، وأحوج إلى التَّوجيه النَّاجز، لامتداد خطوط القتال، وتعدُّد الفتن، وتباعد المسـافات بين البلدان، إنَّ علاج تلك المعضـلات الّتي فاجأت عثمان رضـي الله عنه بعد ولايته، وتصـدَّى لها بالعزم، والسَّـداد، والسُّرعة، والحيطة، والأناة لَدليلٌ على قوَّة شخصيته، ونفاذ بصيرته، وكان له بعد ذلك أكبر الفضـل – بعد الله – في تثبيت مهابة الدَّولة بعدما أصـابها من الوهن، والتَّخلخل عند مقتل عمر رضي الله عنه، وكانت ثمرات تلك الوقفات الرَّائعة:

أ – إخضاع المتمرِّدين، وإعادة سلطة المسلمين عليهم .

ب – ازدياد الفتوحات الإسـلاميَّة إلى ما وراء البلاد المتمرِّدة ؛ منعاً لارتداد الهاربين إليها، وانبعاث الفتن، والدَّسائس من قِبَلها .

ج – اتِّخاذ المسـلمين قواعد ثابتةً يرابط بها المسـلمون لحماية البلاد ؛ الّتي خضعت للمسلمين .

فهل كانت تلك الفتوحات العظيمة، والسِّياسـة الحكيمة، والضَّـبط للأقاليم يمكن أن تتحقَّق لو كان عثمان رضـي الله عنه ضـعيفاً، غير قادر على اتِّخاذ القرار؟![1] كما يزعم مَنْ وقع، وتورَّط في روايات الإمامية، والتَّشيُّع، والاستشراق، ومن سار على نهجهم السَّقيم .

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، (167/7) .

الخامسة عشرة: من قادة فتح بلاد المشرق في عهد عثمان: الأحنف بن قيس:

كانت الفتوحات في عهد عثمان رضي الله عنه عظيمة، فرأيت من المناسب أن نسلط الأضواء على بعض قادة الفتوح في عهد عثمان، وبما أنني تحدثت عن فتوح المشرق، فلا بد إذن من إعطاء صورة مشرقة عن أحد قادة تلك الفتوح، فاخترت:

الأحنف بن قيس:

1- نسبه وأهله: هو أبو بحر الأحنف بن قيس بن معاوية بن حُصَين بن حَفص بن عبادة التَّميمي[1]، واسمه:

الضَّحاك. وقيل: صخر[2]، وأمُّه: حبَّة بنت عمرو بن قُرْط الباهليَّة[3]، كان أخوها الأخطل بن قُرط من الشُّجعان، وقد قال الأحنف مفاخراً بخاله هذا: وَمَنْ له خالٌ مثل خالي ؟ ![4] .

2- حياته: إن من سادات التَّابعين، وأكابرهم، وسيِّداً مطاعاً في قومه[5]، وسيِّد أهل البصرة[6]، وكان موضع ثقة النَّاس جميعاً بمختلف طبقاتهم، وأهوائهم،

---

(1) تحقيق مواقف الصَّحابة (408/1 ، 409) .
(2) جمهرة أنساب العرب ، ص(217) . وطبقات ابن سعد (95/7) .
(3) قادة فتح السند ، وأفغانستان ، محمود خطَّاب ، ص(285) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .
(5) جمهرة أنساب العرب ، ص(212) .
(6) قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(304) .

وميولهم، وكان أحد الحكماء الدُّهاة العقلاء[1]، ذا دينٍ، وذكاءٍ، وفصـــاحةٍ[2]، وكان سـيِّد قومه موصـوفاً بالعقل، والدَّهاء، والعلم، والحلم، يضـرب بحلمه المثل، وقد قال فيه الشَّاعر:

إِذَا الأَبْصَــارُ أَبْصَـرَتِ ابْنَ قَيْسٍ ظَلَلْنَ مَهَـابَةً مِنْـهُ خُشُـــوعـا[3]

وقال عنه خالد بن صـــفوان: كان الأحنف يفرُّ من الشَّـــرف، والشَّـــرف يتبعه[4]، وإليك بعض صفاته الّتي أثرت فيمن حوله:

أ – حلمه:

كان الأحنف حليماً، يضـرب بحلمه المثل، سـئل عن الحلم: ما هو ؟ فقال: الذُّلُّ مع الصَّـــبر . وكان يقول إذا عجب النَّاس من حلمه: إنِّي لأجد ما تجدون، ولكنِّي صــبورٌ، ما تعلَّمت الحلم إلا من قيس بن عاصــم المِنقَريِّ[5]؛ لأنَّه قتل ابن أخٍ له بعضَ بنيه، فأتى القاتل مكتوفاً يُقاد إليه، فقال: ذعرتم الفتى ! ثمَّ أقبل على الفتى، فقال: بئس ما فعلت ! نقصـت عددك، وأوهنت عضـدك، وأشمتَّ عدوَّك، وأسأت لقومك . خلُّوا سبيله، واحملوا إلى أمِّ المقتول ديته، فإنَّها غريبةٌ ! ثمَّ انصرف القـاتل ومـا حـلَّ قيسٌ حبوتـه، ولا تغيَّر وجهـه[6] . وقـال رجلٌ للأحنف: علِّمني الحلم يا أبا بحر ! فقال: هو الذُّلُّ يا بن أخي ! أفتصـــبر عليه ؟ ! وقال: لســت

---

[1] الإصابة (103/1) . وأسد الغابة (55/1) .
[2] قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(304) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] المصدر السَّابق نفسه .
[5] تهذيب ابن عساكر (13/7) .
[6] الاستيعاب (1294/3) .

حليماً، ولكنَّني أتحالم[1].

ومن أخبار حلمه: أنَّ رجلاً شتمه، فسكت عنه، وأعاد الرَّجل، فسكت عنه، وأعاد، فســـكت عنه، فقال الرَّجل: والهفاه ! ما يمنعه من أن يردَّ عليَّ إلا هوني عنده[2].

وكان يقول: من لم يصــبر على كلمة سمع كلماتٍ، وربَّ غيظٍ قد تجرَّعتُه مخافة ما هو أشدُّ منه[3] .

ولكن حلمه كان حلم القويِّ القدير، لا حلم العاجز الضَّـعيف، فقد قاتل في بعض المواطن قتالاً شـــديداً، فقال له رجل: يا أبا بحر ! أين الحلم ؟ فقال: عند الحيّ[4].

ب – عقله:

كان الأحنف عاقلاً راجح العقل، قال مرَّةً: من كان فيه أربع خصـــال ســـاد قومه غير مدافعٍ: من كان له دينٌ يحجزه، وحسـبٌ يصـونه، وعقلٌ يرشـده، وحياءٌ يمنعه[5].

وقال: العقل خير قرين، والأدب خير ميراثٍ، والتَّوفيق خير رفيقٍ[6] .

وقال: ما ذكرت أحداً بســـوءٍ بعد أن يقوم من عندي، وكان يقول إذا ذكر

---

[1] وفيات الأعيان (188/2) .
[2] قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(306) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(306) يعني بها: تركته في الدَّار .
[5] المصدر السَّابق نفسه .
[6] المصدر السَّابق نفسه .

عنده رجلٌ: دعوه يأكل رزقه، ويأتي عليه أجله[1] .

وشكا ابن أخيه وجع الضِّرس، فقال: ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة ما ذكرتها لأحد[2] .

وقال: ما نازعني أحدٌ فوقي إلا عرفت له قدره، ولا كان دوني إلا رفعت قدري عنه، ولا كان مثلي إلا تفضَّلت عليه[3].

ج – علمه:

كان عالماً ثقةً مأموناً قليل الحديث، وقد روى عن عمر بن الخطَّاب، وعثمان ابن عفَّان، وعليّ بن أبي طالب، وأبي ذرٍّ الغفاري[4]، وروى عنه الحسن البصريُّ، وعُروة بن الزُّبير، وغيرهما[5]، وقد كان من الفقهاء البارزين أيَّام معاوية.

د – حكمته:

كان حكيماً ينطق بالحكمة، والموعظة الحسنة، سئل عن المروءة، فقال: التُّقى، والاحتمال، ثمَّ أطرق ساعةً، وقال:

وَإِذَا جَمِيْلُ الْوَجْهِ لَمْ ... يَأْتِ الجَمِيْلَ فَمَا جَمَالُه ؟ !

مَا خَيْرُ أَخْلاَقِ الْفَتَى ... إلا تُقَاهُ وَاحْتِمَالُه

[1] تهذيب ابن عساكر (19/7) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، (21/7) .
[3] المصدر السَّابق نفسه ، (16/7) .
[4] قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(307) .
[5] طبقات ابن سعد (93/7) .

وسئل عن المروءة، فقال: العفَّة في الدِّين، والصَّبر على النَّوائب، وبرُّ الوالدين، والحلم عند الغضب، والعفو عند المقدرة[1].

وقال: رأس الأدب الة المنطق، ولا خير في قولٍ إلا بفعلٍ، ولا منظر إلا بمَخبر، ولا في مالٍ إلا بجودٍ، ولا في صـديق إلا بوفاء، ولا في فقه إلا بورعٍ، ولا في صـدقةٍ إلا بنيَّة[2].

وقال: أَحْيِ المعروف بإماتة ذكره[3]، وقال: كثرة الضَّحك تذهب الهيبة، وكثرة المزاح تذهب المروءة، ومن لزم شـــيئاً عُرف به[4]، وقال: جنِّبوا مجلســـنا الطَّعام، والنِّســـاء، فإنِّي لأبغض الرَّجل يكون وصـــافاً لفرجه، وبطنه، وإنَّ المروءة أن يترك الرَّجل الطَّعام وهو يشتهيه[5] .

وقال: السُّــؤدد مع السَّــواد . يريد: مَنْ لم يَطِرْ له اســمٌ على ألســنة العامَّة بالسُّؤدد ؛ لم ينفعه ما طار له في الخاصَّة[6].

هـ بلاغته:

كان فصـــيحاً مفوَّهاً[7] . خطب مرَّةً، فقال: بعد حمد الله والثناء عليه: يا معشــر الأزد، وربيعة ! أنتم إخواننا في الدِّين، وشــركاؤنا في الصِّــهر، وأشــقَّاؤنا في النَّسب، وجيراننا في الدَّار، ويدنا على العدوِّ، والله لأزد البصرة أحبُّ إلينا من تميم

---

(1) قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(308) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .
(3) تهذيب ابن عساكر (7/19-20) .
(4) البداية والنِّهاية (7/331) .
(5) وفيات الأعيان (2/187) .
(6) المصدر السَّابق نفسه ، (2/188) .
(7) قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(309) .

الكوفة، ولأزد الكوفة أحبُّ إلينا من تميم الشَّـام، فإن اسـتشـرف شـنان حسـد صدوركم؛ ففي أحلامنا، وأموالنا سَعَةٌ لنا ولكم[1].

لقد كان حاضـــر البديهة، قويَّ الحجَّة، منطقيّاً . جاء الأحنف إلى قومٍ يتكلَّمون في دمٍ، فقال: احكموا ! فقالوا: نحكم بديتين ! فقال: ذلك لكم . فلمَّا سكتوا ؛ قال: أنا أعطيكم ما سألتم، غير أنِّي قائلٌ لكم شيئاً: إن الله – عزَّ وجلَّ – قضـــى بديةٍ واحدةٍ، وإن النَّبيّ(ﷺ) قضـــى بديةٍ واحدةٍ، وأنتم اليوم طالبون، وأخشـــى أن تكونوا غداً مطلوبين، فلا يرضـــى النَّاس منكم إلا بمثل ما ســـننتم لأنفسكم !، فقالوا: نردُّها ديةً واحدةً[2] .

وسمع الأحنف رجلاً يقول: مـا أبالي: أمـدحـتُ، أم ذُممـت، فقـال لـه: لقـد استرحت من حيث تعب الكرام[3].

و – إيثاره:

كان الأحنف يحبُّ لغيره ما يحبُّه لنفسه، بل كان يؤثر غيره على نفسه بالخير، والمعروف، ويرضـــي نفســه الرَّضـيَّة المطمئنة إلى ما أصــاب غيره بجهده من خيرٍ، فعندما جاء الأحنف إلى عمر في المدينة، عرض أمير المؤمنين عليه جائزةً، فقال: يا أمير المؤمنين ! والله ما قطعنا الفلوات، ودأبنا الرَّوحات، والعشـــيَّات للجوائز، وما حاجتي إلا حاجة من خلفي، فزاده ذلك عند عمر خيراً[4].

---

[1] المصدر السَّابق نفسه

[2] المصدر السَّابق نفسه .

[3] وفيات الأعيان (188/2) .

[4] المصدر السَّابق نفسه .

ز – أمانته:

كان الأحنف أميناً غاية الأمانة، وقد مرَّ بنا عندما اســـتعمل ابن عمِّه على أهل بلخ، وقد قبض ابن عمِّه ما صالحوه عليه من انية الذَّهب، والفضَّة، ودنانير، ودراهم، ومتاعٍ، وثيابٍ، فقال ابن عمِّه لهم: هذا ما صالحناكم عليه ؟ فقالوا: لا ! ولكن هذا شيءٌ نضعه في هذا اليوم بمن ولينا نستعطف به، قال: وما هذا اليوم؟ فقالوا: المهرجان[1]، فقال: ما أدري ما هذا ! وإنِّي لأكره أن أردَّه، ولعلَّه من حقِّي، ولكن أقبضه، وأعزله حتَّى أنظر، فقبضه، وقدم الأحنف، فأخبره، فسألهم عنه، فقالوا مثل ما قالوا لابن عمِّه، فقال: اتي به الأمير، فحمله إلى عبد الله بن عامر، فأخبره عنه، فقال: اقبضــه يا أبا بحر ! فهو لك، فقال الأحنف: لا حاجة لي فيه[2]. لقد كان يتحرَّج من الهدايا، وكان يكتفي بسهمه من الغنائم[3] .

ح – أناته:

كان الأحنف شــديد الأناة، لا يقدم على عملٍ إلا بعد أن يحســب له ألف حساب . قيل له: يا أبا بحر ! إنَّ فيك أناة شديدة ! فقال: قد عرفت من نفسي عجلةً في أمورٍ ثلاثة: في صلاتي إذا حضرت حتَّى أصلِّيها، وجنازتي إذا حضرت حتَّى أغيِّبها في حفرتها، وابنتي إذا خطبها كفيئها حتَّى أزوِّجه[4] .

---

[1] تهذيب ابن عساكر (12/7) .
[2] المهرجان: أحد أعياد الفرس .
[3] تاريخ الطَّبري (319/5) .
[4] قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(313) .

ط – ورعه:

كان الأحنف مؤمناً ورعاً قويَّ الإيمان، فقد سارع إلى اعتناق الإسلام أوَّل ما بلغته الدَّعوة الإسلاميَّة، وأسلم قومه بإشارته[1]، وبسط حمايته القويَّة الأمينة على الدُّعاة الأوَّلين[2]، وثبت على عقيدته عندما ارتدَّ أكثر قومه، وأكثر العرب بعد وفاة النَّبيّ(ﷺ)، وجاهد للدِّفاع عنها، ونشــرها حقَّ الجهاد، وأبلى في ذلك أعظم البلاء . قال الحسن البصريُّ عنه: ما رأيت شريف قوم أفضل منه[3] .

قال الأحنف: حبســني عمر بن الخطَّاب عنده بالمدينة ســنةً، يأتيني كلَّ يومٍ وليلةٍ، فلا يأتيه عنِّي إلا ما يحبُّ[4]، فكتب عمر بعد نجاح الأحنف في الاختبار العمريِّ – وما أصــعبه، وأدقَّه من اختبار ! – معه كتباً إلى الأمير على البصــرة يقول: الأحنف سيِّد أهل البصرة .

وكتب إلى أبي موسى الأشعريِّ أن يشاور الأحنف، ويسمع منه[5] .

وقال له عمر بعد أن حبســه حولاً عنده: يا أحنف ! قد بلوتك، وخبرتك، فلم أرَ إلا خيراً، ورأيت علانيتك حســنةً، وأنا أرجو أن تكون ســريرتك مثل علانيتك[6].

لقد كان الأحنف رجلاً صــالحاً كثير الصَّــلاة باللَّيل، وكان يســرج المصــباح،

---

[1] طبقات ابن سعد (96/7) .
[2] شذرات الذَّهب (78/1) .
[3] قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(314) .
[4] البداية والنِّهاية (331/7) .
[5] قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(314) .
[6] المصدر السَّابق نفسه .

ويصلِّي، ويبكي حتَّى الصَّباح، وكان يضع أصبعه في المصباح ويقول لنفسه: إذا لم تصــبر على المصــباح، فكيف تصــبر على النَّار الكبرى[1]. وقيل له: إنَّك تكثر الصَّوم، وإنَّ ذلك يرقُّ المعدة . فقال: إنِّي أعدُّه لسفرٍ طويل[2]. واستُعمل الأحنف على (خراســان)، فلمَّا أتى فارس ؛ أصــابته جنابةٌ في ليلة باردةٍ، فلم يوقظ أحداً من غلمانه، ولا جنده، وانطلق يطلب الماء، فأتى على شوكٍ، وشجرٍ حتَّى سالت قدماه دماً، فوجد الثَّلج، فكســـره، واغتســـل[3]، وكان قلَّ ما خلا إلا دعا بالمصحف، وكان النَّظر في المصاحف خُلُقاً في الأوَّلين[4] .

وكان من دعائه: الَّلهُمَّ إن تغفر لي ؛ فأنت أهل ذاك ! وإن تعذِّبني ؛ فأنا أهل ذاك[5].

ومن دعائه: اللَهُمَّ هبْ لي يقيناً تهوِّن به عليَّ مصــيبات الدُّنيا[6] ! ومرَّت به جنازة، فقال: رحم الله من أجهد نفسه لمثل هذا اليوم[7] .

وكان يقول: عجبت لمن يجري في مجرى البول مرَّتين كيف يتكبر[8] ؟ !

هذه بعض صــفات شــخصــيَّة الأحنف، اســتحوذ بها على ثقة النَّاس به، وحبِّهم، وتقديرهم له، وهذه الصِّفات تجعل من يتحلَّى بها شخصيَّةً قويَّةً، نافذةً، يندر وجودها بين النَّاس في كلِّ زمانٍ، ومكانٍ، وقلَّما يجود بها الدَّهر إلا نادراً[9] .

---

[1] تهذيب ابن عساكر (12/7) .
[2] طبقات ابن سعد (94/7) .
[3] البداية والنِّهاية (331/7) .
[4] طبقات ابن سعد (94/7) . وقادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(315) .
[5] المصدر السَّابق نفسه ، (94/7) .
[6] طبقات ابن سعد (95/7) .
[7] *قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(315) ترجمة الأحنف لخَّصتها من هذا الكتاب القيِّم مع الرُّجوع لبعض المصادر*
[8] تهذيب ابن عساكر (16/7) .
[9] المصدر السَّابق نفسه .

لقد كان الأحنف من قادة الفتوحات في عهد عثمان رضـــي الله عنه وقد تميَّز في قيادته لجيوش الفتح لبلاد المشرق بقدرته على إعداد الخطط الصَّحيحة النَّاجحة، وإعطاء القرارات السَّريعة الصَّائبة، كما كان لشجاعته الشَّخصية، وإقدامه أثرٌ كبيرٌ في وضـع تلك الخطط، والقرارات في حيِّز التَّنفيذ، لقد كان يبذل قصـارى جهده في إعداد خططه العســكريَّة، وإعطاء ذوي الرَّأي، بل يتجوَّل ســرّاً في اللَّيل بين عامَّة رجاله يتسمَّع أحاديثهم، فإذا وجد رأياً سديداً يبدونه فيما بينهم ؛ سارع إلى العمل به، لا يهمُّه أن يأخذ الحكمة من أيِّ وعاءٍ .

وقد كان هذا القائد الميدانيُّ في عهد عثمان يقاتل عدوَّه بســيفه، وعقله معاً، فقد كان على جانبٍ عظيمٍ من الشَّجاعة، والإقدام، حتَّى إنَّه كان يستأثر بالخطر دون رجاله، ويؤثرهم بالرَّاحة، والأمن ؛ كما كان على جانبٍ عظيمٍ من الدَّهاء، فيوفِّر بدهائه على قواته كثيراً من الجهود والمشقَّات[1].

لقد كان الأحنف رجلاً في أمَّةٍ، وأمَّةً في رجلٍ... إنَّه سيِّد أهل المشرق المسمَّى بغير اسمه، كما كان يقول عنه عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه[2] .

* * *

(1) قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(316) .
(2) قادة فتح السِّند ، وأفغانستان ، ص(320) .

المبحث الثَّاني : الفتوحات في الشَّام

أولاً: فتوحات حبيب بن مسلمة الفهري:

مرَّ بنا: أنَّ الرُّوم أجلبت على المسلمين بالشَّام بجموع عظيمةٍ أوَّل خلافة عثمان، فكتب عثمان إلى الوليد بن عقبة بالكوفة أن يمدَّ إخوانه بالشَّام، فأمدَّهم بثمانية الاف، عليهم سلمان بن ربيعة الباهليُّ، فظفر المسلمون بعدوِّهم بعد أن غزوهم في أرض الرُّوم، فأسروا منهم، وغنموا، وكان تحالف الرُّوم والتُّرك قد تجمَّع لملاقاة المسلمين الّذين غزوا أرمينية من الشَّام، وكان على المسلمين حبيب ابن مسلمة، وكان صاحب كيدٍ لعدوه، فأجمع أن يُبيِّت قائدهم الموريان – أي: يباغته ليلاً – فسمعته امرأته أمُّ عبد الله بنت يزيد الكلبيَّة يذكر ذلك، فقالت: فأين موعدك ؟ قال: سرادق الموريان أو الجنَّة ... ثمَّ بيَّتهم، فغلبهم، وأتى سرادق الموريان، فوجد امرأته قد سبقته إليه[1]، وواصل حبيب جهاده، وانتصاراته المتوالية في أراضي أرمينية، وأذربيجان، ففتحها إمَّا صلحاً، أو عَنْوَةً[2] .

لقد كان حبيب بن مسلمة الفهري من أبرز القادة الّذين حاربوا في أرمينية البيزنطيَّة، فقد أباد جيوشاً بأكملها للعدوِّ، وفتح حصوناً، ومدناً كثيرةً[3]، كما غزا ما يلي ثغور الجزيرة العراقيَّة من أرض الرُّوم فافتتح عدَّة حصونٍ هناك، مثل شمشاط، وملطية، وغيرها، وفي سنة 25 هـ غزا معاوية الرُّوم فبلغ عمُّورية، فوجد الحصون الّتي بين أنطاكية، وطرسوس خاليةً فجعل عندها جماعةً كثيرةً من أهل

---

(1) المصدر السَّابق نفسه (322) .
(2) تاريخ الطَّبري (248/5) .
(3) الدَّولة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، لحمدي شاهين ، ص(252) .

الشَّام، والجزيرة، وواصل قائده قيس بن الحرِّ العبسيُّ الغزو في الصَّيف التَّالي، ولما فرغ هدم بعض الحصون القريبة من أنطاكية كي لا يفيد منها الرُّوم[1].

ثانياً: أوَّل من أجاز الغزو البحريَّ: عثمان بن عفَّان:

كان معاوية بن أبي سفيان – وهو أمير الشَّام – يلحُّ على عمر بن الخطَّاب في غزو البحر، ويصف له قرب الرُّوم من حمص، ويقول: إن قريةً من قرى حمص يسمع أهلها نباح كلابهم، وصياح دجاجهم، حتَّى كان ذلك يأخذ بقلب عمر، فكتب عمر إلى عمرو بن العاص: صف لي البحر، وراكبه، فإنَّ نفسي تنازعني إليه، فكتب إليه عمرو: إنِّي رأيت خلقاً كبيراً يركبه خلقٌ صغير، إنَّ ركن خرَّق القلب، وإن تحرَّك أزاغ العقول، يزداد فيه اليقين قلَّةً، والشَّكُّ كثرةً، هم كدود على عودٍ ؛ إن مال ؛ غرق، وإن نجا ؛ برق . فلمَّا قرأ عمر بن الخطَّاب كتاب عمرو بن العاص كتب إلى معاوية: أنْ لا، والذي بعث محمَّداً بالحق لا أحمل فيه مسلماً أبداً، وتالله لمسلمٌ أحبُّ إليَّ ممَّا حوت الرُّوم، فإيَّاك أن تعرض لي، وقد تقدَّمت إليك، وقد علمت ما لقي العلاء منِّي، ولم أتقدَّم إليه في ذلك[2]، ولكن الفكرة لم تبرح نفس معاوية، وقد رأى في الرُّوم ما رأى، فطمع في بلادهم، وفي فتحها، فلمَّا تولَّى الخلافة عثمان عاود معاوية الحديث، وألحَّ به على عثمان، فردَّ عليه عثمان رضي الله عنه قائلاً: (أن قد شهدت ما ردَّ عليك عمر – رحمه الله – حين استأذنته في غزو البحر) ثمَّ كتب إليه معاوية مرَّةً أخرى يهوِّن عليه ركوب البحر

(1) حروب الإسلام في الشَّام في عهود الخلفاء الرَّاشدين ، ص(577) .
(2) الدَّولة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(253) .

إلى قبرص، فكتب إليه: (فإن ركبت معك امرأتك فاركبه مأذوناً، وإلا، فلا)[1].

كما اشـــترط عليه الخليفة عثمان رضـــي الله عنه أيضـــاً بقوله: (لا تنتخب النَّاس، ولا تقرع بينهم، خيِّرهم، فمن اختار الغزو طائعاً ؛ فاحمله، وأعنه)[2]، فلمَّا قرأ معاوية كتاب عثمان نشـــط لركوب البحر إلى قبرص، فكتب لأهل الســـواحل يأمرهم بإصلاح المراكب، وتقريبها إلى ساحل حصن عكَّا، فقد رمَّه ليكون ركوب المسلمين منه إلى قبرص[3] .

ثالثاً: غزوة قبرص:

أعدَّ معاوية المراكب اللازمة لحمل الجيش الغازي، واتَّخذ ميناء عكَّا مكاناً للإقلاع، وكانت المراكب كثيرةً، وحمل معه زوجه فاختة بنت قرظة، كذلك حمل عبادة بن الصَّامت امرأته أمَّ حرام بنت ملحان معه في تلك الغزوة[4] .

وأمُّ حرام هذه هي صاحبة القصَّة المشهورة: عن أنسٍ بن مالكٍ رضي الله عنه: أنَّ رســـول الله(ﷺ) كان يدخل على أمِّ حرام بنت ملحان، فتطعمه، وكانت أمُّ حرام تحت عبادة بن الصَّـامت، فدخل عليها رسـول الله(ﷺ) يوماً، فأطعمته، ثمَّ جلست تفلي من رأسه، فنام رسول الله(ﷺ)، ثمَّ استيقظ وهو يضحك . فقالت: فقلت: ما يضحككَ يا رسول الله ؟ !

قال: « ناسٌ من أمتي عُرضـوا عليَّ غزاةً في سـبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر

[1] تاريخ الطَّبري (258/5) .
[2] الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (538/2) .
[3] تاريخ الطَّبري (260/5) .
[4] الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (538/2) .

ملوكاً على الأسـرَّة، أو مثل الملوك على الأسـرَّة » قالت: فقلت: يا رسـول الله ! ادع الله أن يجعلني منهم ! فدعا لها، ثمَّ وضـــع رأســـه فنام، ثمَّ اســـتيقظ ؛ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله ؟ !

قال: « ناس من أمَّتي عُرضـوا عليَّ في سـبيل الله ... » -كما قال في الرواية الأولى - . قال: أنت من الأوَّلين . فركبت أمُّ حرام بنت ملحان البحر في زمن معاوية، فصرعت عن دابَّتها حين خرجت من البحر، فهلكت[1].

ورغم أنَّ معاوية رضي الله عنه لم يجبر النَّاس على الخروج، فقد خرج معه جيشٌ عظيمٌ من المسـلمين[2]، ممَّا يدلُّ على أنَّ المسـلمين قد هانت في أعينهم الدُّنيا بما فيها، فأصـــبحوا لا يعبؤون بها بالرَّغم من أنَّها قد فتحت عليهم أبوابها، فصـــاروا يرفلون في نعيمها .

إنَّ المســـلمين قد تربَّوا على أنَّ ما عند الله خيرٌ، وأبقى، وأنَّ الله اصـــطفاهم لنصـرة دينه، وإقامة العدل، ونشـر الفضـيلة، والعمل على إظهار دين الله على كلِّ ما عداه، وهم يعتقدون: أنَّ هذه المهمَّة هي رســـالتهم الحقيقية، وأنَّ الجهاد في سبيل الله هو سبيل الحصول على مرضاة الله، فإن هم قصَّروا في مهمَّتهم، وقعدوا عن أداء واجبهم ؛ فســيمســك الله عنهم نصــره في الدُّنيا، ويحرمهم مرضــاته في الاخرة، وذلك هو الخسـران المبين، من أجل هذا هُرعوا مع معاوية، وتسـابقوا إلى السُّـفن يركبونها، ولعلَّ حديث أمِّ حرامٍ قد ألمَّ بخواطرهم، فدفعهم إلى الخروج للغزو في سبيل الله تصديقاً لحديث رسول الله(ﷺ)، وكان ذلك بعد انتهاء فصل الشِّتاء

---

[1] البداية والنِّهاية (159/7) .
[2] البخاريُّ ، رقم (2877) .

في سنة ثمانٍ وعشرين من الهجرة (649م)[1] .

وسار المسلمون من الشَّام وركبوا من ميناء عكَّا متوجِّهين إلى قبرص، ونزل المسلمون إلى السَّاحل، وتقدَّمت أمُّ حرام لتركب دابَّتها، فنفرت الدَّابة، وألقت أمَّ حرام على الأرض، فاندقت عنقها، فماتت[2]، وترك المسلمون أمَّ حرام بعد دفنها في أرض الجزيرة عنواناً على مدى التَّضحيات الَّتي قدَّمها المسلمون في سبيل نشر دينهم، وعرف قبرها هناك بقبر المرأة الصَّالحة[3] .

واجتمع معاوية بأصحابه، وكان فيهم: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاريُّ، وأبو الدَّرداء، وأبو ذرٍّ الغفاريُّ، وعبادة بن الصَّامت، وواثلة بن الأسقع، وعبد الله بن بشر المازنيُّ، وشدَّاد بن أوس بن ثابتٍ، والمقداد بن الأسود، وكعب الحبر بن ماتعٍ، وجبير بن نفير الحضرميُّ[4].

وتشاوروا فيما بينهم، وأرسلوا إلى أهل قبرص يخبرونهم: أنَّهم لم يغزوهم للاستيلاء على جزيرتهم[5]، ولكن أرادوا دعوتهم لدين الله، ثمَّ تأمين حدود الدَّولة الإسلاميَّة بالشَّام، وذلك لأنَّ البيزنطيِّين كانوا يتَّخذون من قبرص محطَّةً يستريحون فيها ؛ إذا غزوا، ويتموَّنون منها، إذا قلَّ زادهم، وهي بهذه المثابة تهدِّد بلاد الشَّام الواقعة تحت رحمتها، فإذا لم يطمئنَّ المسلمون على مسالمة هذه الجزيرة لهم، وخضوعها لإرادتهم، فإنَّ وجودها كذلك سيظلُّ شوكةً في ظهورهم، وسهماً مسدَّداً

---

[1] جولةٌ تاريخيَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(356) .
[2] جولةٌ تاريخيَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(356) .
[3] البداية والنِّهاية (159/7) .
[4] جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(357) .
[5] المصدر السَّابق نفسه .

في صدورهم، ولكنَّ سكَّان الجزيرة لم يستسلموا للغزاة، ولم يفتحوا لهم بلادهم، بل تحصَّنوا في العاصمة، ولم يخرجوا لمواجهة المسلمين، وكان أهل الجزيرة ينتظرون تقدُّم الروم للدِّفاع عنهم، وصدِّ هجوم المسلمين عليها[1] .

رابعاً: الاستسلام، وطلب الصُّلح:

تقدَّم المسلمون إلى عاصمة قبرص (قسطنطينا) وحاصروها وما هي إلا ساعات حتَّى طلب النَّاس الصُّلح، وأجابهم المسلمون إلى الصُّلح، وقدَّموا للمسلمين شروطاً، واشترط عليهم المسلمون شروطاً، وأمَّا شرط أهل قبرص ؛ فكان في طلبهم ألا يشترط عليهم المسلمون شروطاً تورِّطهم مع الرُّوم ؛ لأنَّهم لا قبل لهم بهم، ولا قدرة لهم على قتالهم، وأمَّا شروط المسلمين ؛ فهي:

1. ألا يدافع المسلمون عن الجزيرة ؛ إذا هاجم سكانها محاربون .
2. أن يدلَّ سكان الجزيرة المسلمين على تحرُّكات عدوِّهم من الرُّوم .
3. أن يدفع سكان الجزيرة للمسلمين سبعة الاف ومئتي دينارٍ في كلِّ عامٍ .
4. أن يكون طريق المسلمين إلى عدوِّهم عليهم .
5. ألا يساعدوا الرُّوم إذا حاولوا غزو بلاد المسلمين، ولا يُطلعوهم على أسرارهم[2].

وعاد المسلمون إلى بلاد الشَّام، وأثبتت هذه الحملة قدرة المسلمين على

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(357) .

خوض غمار المعارك البحريَّة بجدارةٍ، وأعطت المسـلمين فرصـة المران على الدُّخول في معارك من هذا النَّوع مع العدوِّ المتربِّص بهم سواءً بالهجوم على بلاد الشَّـام، أو على الإسكندرية[1].

خامساً: عبد الله بن قيس قائد الأسطول الإسلامي في الشَّام:

استـعمل معاوية بن أبي سـفيان على البحر عبد الله بن قيس الجاسـيَّ حليف بني فزارة، فغزا خمسـين غزاةً ما بين شـاتيةٍ، وصـائفةٍ في البحر، ولم يغرق فيه أحدٌ، ولم ينكب، وكان يدعو الله أن يرزقه العافية في جنده، وألا يبتليه بمصـــاب أحدٍ منهم، ففعل، حتَّى إذا أراد أن يصـــيبه وحده، خرج في قاربه طليعةً، فانتهى إلى المرفأ من أرض الرُّوم، وعليه سُــؤَّال يعترُّون[2]بذلك المكان، فتصـــدق عليهم، فرجعت امرأة من السُّـــؤَّال إلى قريتها، فقالت للرِّجال: هل لكم في عبد الله بن قيس؟ قالوا: وأين هو ؟ قالت: في المرفأ، قالوا: أي عدوَّة الله، ومن أين تعرفين عبد الله بن قيس ؟ فوبَّختهم، وقـالـت: أنتم أعجز من أن يخفى عبـد الله على أحـدٍ ! فسـاروا إليه، فهجموا عليه، فقاتلوه، وقاتلهم، فأصـيب وحده، وأفلت الملاح حتَّى أتى أصـحابه، فجاؤوا حتَّى أرقوا، والخليفة منهم سـفيان بن عوف الأزديُّ، فخرج فقاتلهم، فضجر وجعل يعبث بأصحابه، ويشتمهم، فقالت جارية عبد الله: واعبد الله ! ما هكذا كان يقول حين يقاتل! فقال ســـفيان: وكيف كان يقول ؟ قالت: الغمرات ثمَّ ينجلينا، فترك ما كان يقول، ولزم: الغمرات ثمَّ ينجلينا .

---

[1] تاريخ الطَّبري (261/5) .
[2] جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(358 ، 359) .

وأصيب في المسلمين يومئذٍ، وذلك اخر زمان عبد الله بن قيس الجاسيّ[1].

وقيل لتلك المرأة الّتي استثارت الرُّوم على عبد الله بن قيس: كيف عرفته ؟ قالت: كان كالتَّاجر، فلمَّا سألته ؛ أعطاني كالملك، فعرفت أنَّه عبد الله بن قيس[2] .

وهكذا حينما أراد الله تعالى أن يمنَّ بالشَّهادة على هذا القائد العظيم أتيحت له وهو في وضع لا يضرُّ بسمعة المسلمين البحريَّة، حيث كان وحده يتطلَّع، ويراقب الأعداء، فكانت تلك الكائنة الغريبة الّتي أبصرت غورها تلك المرأة الذَّكيَّة من نساء تلك البلاد، حيث رأت ذلك الرَّجل يظهر في مظاهره الخارجيَّة بمظهر التُّجار العاديين، ولكنَّه يعطي عطاء الملوك، فلقد رأت فيه أمارات السِّيادة مع بساطة مظهره، فعرفت: أنَّه قائد المسلمين، الّذي دوَّخ المحاربين في تلك البلاد، وهكذا كانت سماحة ذلك القائد وسخاؤه البارز حتَّى مع غير المسلمين سبباً في كشف أمره، ومعرفة مركزه، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً، فيتمَّ بذلك الهجوم عليه، وظفره بالشَّهادة، وهكذا يضرب قادة المسلمين المثُل العليا بأنفسهم، لتتمَّ الإنجازات الكبرى على أيديهم، وليكونوا قدوةً صالحة لمن يخلفهم، فقد قام هذا القائد الملهم بمهمَّة الاستطلاع بنفسه، ولم يكل الأمر إلى جنوده، وفي انفراده بهذه المهمَّة مظنَّةٌ للتورُّط مع الأعداء، والهلاك على أيديهم، ولكنَّه مع ذلك يغامر بنفسه، فيتولَّى هذه المهمَّة، ثمَّ نجده يتخلَّق بأخلاق الإسلام العليا حتَّى مع نساء الأعداء، وضَعَفَتهم فيمدُّ إليهم يد الحنان، والعطف، ويسخُو لهم بالمال الّذي هو من أعزِّ ما يملك النَّاس، ونجده قبل ذلك مع جنده رفيقاً صبوراً، لا معنِّفاً، ولا

---

(1) يعترُّون: يتعرضون للنَّاس دون أن يسألوهم .
(2) تاريخ الطَّبري (260/5) .

مســـتكبراً، وإذا ادلهمَّت الخطوب، تفاءل بانكشـــاف الغمَّة، ولم يلجأ إلى لوم أصـحابه، وتعنيفهم، ولم يهيمن عليه الارتباك الّذي يفسـد العمل، ويعجِّل بالخلل، والفوضـــى، وأمَّا خليفته ســـفيان الأزديُّ، فلعلَّه وقع فيما وقع فيه من الارتباك، والاشـتغال بطرح اللائمة على جنده لكونه حديث العهد بأمور القيادة، ولكن ممَّا يُحفظ له: أنَّه لما نبَّهته جارية عبد الله بن قيس إلى ذلك الأســـلوب الحكيم الّذي كان أميره ينتهجه في القيادة ســارع في التأسِّـي به في ذلك، ولم يحمله التكبُّر على عدم سماع كلمة الحقِّ، وإن صدرت من جارية مغمورة .

وهـذا مثـلٌ من أمثلة التَّجرُّد من هوى النَّفس، هـذا الخلق العظيم الّـذي كـان غالباً في الجيل الأوَّل، وبه تمَّ إنجاز الفتوحات العظيمة، ونجاح الولاة، والقادة في إدارة أمور الأمَّة، فَلّلهِ درُّ أبناء ذلك الجيل: ما أبلغ ذكرهم ! وما أبعد غورهم ! وما أعظم وطأتهم في الأرض على الجبارين ! وما أعذب لمســـاتهم في الأرض على المستضعفين، والمساكين[1]!

سادساً: القبارصة ينقضون الصلح:

في ســنة اثنتين وثلاثين هجريَّة، وقع ســكان قبرص تحت ضـغطٍ روميٍّ عنيفٍ أجبرهم على إمداد جيش الرُّوم بالسُّـفن، ليغزوا بها بلاد المسـلمين، وبذلك يكون القبرصـيون قد أخلُّوا بشـروط الصُّـلح، وعلم معاوية بخيانة أهل قبرص، فعزم على الاسـتيلاء على الجزيرة، ووضـعها تحت سـلطان المسـلمين، فقد هاجم المسـلمون الجزيرة هجوماً عنيفاً، فقتلوا، وأسروا، وسلبوا، هجم عليها جيش معاوية من جهةٍ،

(1) المصدر السَّابق نفسه .

وعبد الله بن سعد من الجانب الاخر، فقتلوا خلقاً كثيراً، وسبوا سبياً كثيراً، وغنموا مالاً جزيلاً[1]، وتحت ضغط القوَّات الإسلاميَّة اضطر حاكم قبرص أن يستسلم للفاتحين ويلتمس منهم الصُّلح، فأقرَّهم معاوية على صلحهم الأوَّل[2]، وخشي معاوية أن يتركهم هذه المرَّة بغير جيشٍ يرابط في الجزيرة، فيحميها من غارات الأعداء، ويضبط الأمن فيها حتَّى لا تتمرَّد على المسلمين ؛ فبعث إليهم اثني عشر ألفاً من الجنود، ونقل إليهم جماعةً من بعلبك، وبنى هناك مدينة، وأقام فيها مسجداً، وأجرى معاوية على الجنود أرزاقهم، وظلَّ الحال على ذلك، الجزيرة هادئةٌ، والمسلمون امنون من هجمات الرُّوم المفاجئة، ولاحظ المسلمون: أنَّ أهل قبرص ليس فيهم قدراتٌ عسكريَّة، وهم مستضعفون أمام من يغزوهم، وأحسَّ المسلمون: أنَّ الرُّوم يغلبونهم على أمرهم، ويسخِّرونهم لمصالحهم فرأوا أنَّ من حقِّهم عليهم أن يحموهم من ظلم الرُّوم، وأن يمنعوهم من تسلُّط البيزنطيِّين.

وقال إسماعيل بن عيَّاش: أهل قبرص أذلاء مقهورون يغلبهم الرُّوم على أنفسهم، ونسائهم، فقد يحقُّ علينا أن نمنعهم، ونحميهم[3] .

سابعاً: ما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه:

وقد جاء في سياق هذه الغزوة المذكورة خبر أبي الدَّرداء رضي الله عنه حينما نظر إلى سبي الأعداء، فبكى، ثمَّ قال: ما أهون الخلق على الله إذا هم عصوه، فانظر إلى هؤلاء القوم بينما هم ظاهرون قاهرون لمن ناوأهم، فلمَّا تركوا أمر الله –

---

[1] التَّاريخ الإسلاميُّ (402/12) .
[2] جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(359 ، 360) .
[3] البلاذري ، ص(158) .

عزَّ وجلَّ – وعصوه؛ صاروا إلى ما ترى[1].

وجاء في روايةٍ: فقال له جبير بن نفير: أتبكي وهذا يومٌ أعزَّ الله فيه الإسـلام، وأهله ؟ فقال: ويحك ! إنَّ هذه كانت أمَّةً قاهرةً لهم مُلْكٌ، فلمَّا ضـيَّعوا أمر الله، صيَّرهم إلى ما ترى، سلَّط الله عليهم السَّبي، وإذا سلط على قوم السَّبي، فليس لله فيهم حاجةٌ، وقال: ما أهون العباد على الله تعالى ؛ إذا تركوا أمره[2] .

إنَّ ما تفوَّه به أبو الدَّرداء، يعتبر مثلاً للبصيرة النافذة، والفقه في أمر الله تعالى، فهذا الصَّحابيُّ الجليل يبكي حسـرةً على هؤلاء الّذين أعمى الله بصـائرهم، فلم ينقادوا لدعوة الحقِّ، فباؤوا بهذا المصـير المؤلم، حيث تحوَّلوا من الملك، والعزَّة إلى الاستسـلام والذلَّة ؛ لإصـرارهم على لزوم الباطل، والتكبُّر على الخضـوع لدعوة الحقِّ، ولو أنَّهم عقلوا، وتدبَّروا لكان في دخولهم في الإسـلام بقاء ملكهم، وعمران ديارهم، والظَّفر بحماية دولة الإسـلام، وإنَّ هذا التَّفكير العميق من أبي الدَّرداء مظهرٌ من مظاهر الرَّحمة، والعطف، تفتَّحت عنه نفسـه الزَّكيَّة، فتشـكَّل ذلك في الظَّاهر على هيئة دموع تتحدَّر من عيني هذا الرَّجل العظيم، ليعبِّر عمَّا يجول في نفسـه من نظرات الحنان، والرَّحمة، والأسـى على مصـير تلك الأمَّة الّتي اجتمع لها البقاء على الضَّـلال، والمال السَّـيأى بزوال الملك، والوقوع في الذلِّ والهوان، وإنَّه بقدر ما يفرح المسلم بدخول النَّاس في الإسـلام، فإنَّه يحزن من رؤية الكافرين وهم يعيشـون في ضـلالٍ مع إدراكه ما ينتظرهم من العذاب الأليم المؤبَّد في الاخرة، فكيف إذا أضيف إلى ذلك وقوعهم في الأسر، والتشرُّد، وتعرضهم للقتل في الحياة

---

(1) جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(361) .
(2) التَّاريخ الإسلاميُّ (396/12) .

الدُّنيا[1]؟ !

ثامناً: عبادة بن الصَّامت يقسِّم غنائم قبرص:

قال عبادة بن الصَّامت لمعاوية رضي الله عنهما: شهدت رسول الله(ﷺ) في غزوة حنين والنَّاس يكلِّمونه في الغنائم، فأخذ وبرةً من بعيرٍ، وقال: « ما لي ممَّا أفاء الله عليكم من هذه الغنائم إلا الخمس، والخمس مردودٌ عليكم » . فاتَّق الله يا معاوية ! واقسم الغنائم على وجهها، ولا تعط منها أحداً أكثر من حقِّه ! فقال له معاوية: قد ولَّيتك قسمة الغنائم، ليس أحدٌ بالشَّام أفضل منك، ولا أعلم، فاقسمها بين أهلها، واتَّق الله فيها ! فقسمها عبادة بين أهلها، وأعانه أبو الدَّرداء، وأبو أمامة[2] .

* * *

---

[1] البداية والنِّهاية (159/7) .
[2] التَّاريخ الإسلاميُّ (397/12) .

المبحث الثَّالث : فتوحات الجبهة المصريَّة

أولاً: ردع المتمرِّدين في الإسكندريَّة:

كبُر على الرُّوم خروج الإسكندريَّة من أيديهم، وظلُّوا يتحيَّنون الفرص لإعادتها إلى حوزتهم، فراحوا يحرِّضون مَنْ بالإسكندريَّة من الرُّوم على التمرُّد، والخروج على سلطان المسلمين، ذلك لأنَّ الرُّوم كانوا يعتقدون: أنَّهم لا يستطيعون الاستقرار في بلادهم بعد خروج الإسكندرية من ملكهم[1]، وصادف تحريض الرُّوم لأهل الإسكندرية هوىً في نفوس سكَّانها، فاستجابوا للدَّعوة، وكتبوا إلى قسطنطين بن هرقل يخبرونه بقلَّة عدد المسلمين، ويصفون له ما يعيش فيه الرُّوم بالإسكندريَّة من الذُّلِّ والهوان[2]، وكان عثمان رضي الله عنه قد عزل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن مصر، وولَّى مكانه عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح، وفي أثناء ذلك وصل منويل الخصيُّ قائد قوات الرُّوم إلى الإسكندرية لإعادتها، وتخليصها من يد المسلمين، ومعه قوَّاتٌ هائلةٌ يحملهم في ثلاثمئة مركبٍ مشحونةٍ بكلِّ ما يلزم هذه القوَّات من السِّلاح، والعتاد[3] .

علم أهل مصر بأنَّ قوات الرُّوم قد وصلت إلى الإسكندريَّة، فكتبوا إلى عثمان يلتمسون إعادة عمرو بن العاص ليواجه القوَّات الغازية، فإنه أعرف بحربهم، وله هيبةٌ في نفوسهم، فاستجاب الخليفة لطلب المصريِّين، وأبقى ابن العاص أميراً على

---

(1) الرِّياض النَّضرة ، ص(561) .
(2) الكامل لابن الأثير .
(3) جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(335) .

مصر[1]، ونهب منويل وجيشه الإسكندرية، وغادروها بعد أن تركوها قاعاً صفصفاً ليعيثوا فيما حولها من القرى ظلماً وفســـاداً، وأمهلهم عمرو بن العاص ليمعنوا في الإفسـاد، وليشـعر المصـريُّون بالفرق الهائل بين حكَّامهم من المسـلمين، وحكَّامهم من الرُّوم، ولتمتلأى قلوب المصـريّين على الرُّوم حقداً، وغضـباً، فلا يكون لهم من حبِّهم والعطف عليهم أدنى حظٍّ، وخرج منويل بجيشــه من الإســكندريَّة، يقصــد مصر السُّفلى دون أن يخرج إليهم عمرو أو يقاومهم أحدٌ، وتخوَّف بعض أصحابه، وعمرو كان له رأيٌ اخر، فقد كان يرى أن يتركهم يقصـــدونه، ولا شـــكَّ أنَّهم سينهبون أموال المصريين، وسيرتكبون من الحماقات في حقِّهم ما يملأ قلوبهم حقداً عليهم، وغضـــباً منهم، فإذا نهض المســـلمون لمواجهتهم عاونهم المصـــريُّون على التخلُّص منهم، وحدَّد عمرو سياسته هذه بقوله: دعهم يسيروا إليَّ، فإنَّهم يصيبون مَنْ مرُّوا به، فيُخزي بعضهم ببعضٍ[2] .

وقد صـدق حدس عمرو، وأمعن الرُّوم في إفسـادهم، ونهبهم وسـلبهم، وضـجَّ المصـــريُّون من فعلهم،وأخذوا يتطلَّعون إلى مَنْ يخلِّصـــهم من شـــرِّ هؤلاء الغزاة المفسدين[3].

وصـــل منويل إلى نقيوس، واســتعدَّ عمرو للقائه، وعبَّأ جنده، وســار بهم نحو عدوِّه الشَّــرس، وتقابل الجيشـــان عند حصـــن نقيوس على شـــاطأى نهر النِّيل، واستبسل الفريقان أيَّما استبسالٍ، وصبر كلُّ فريق صبراً أمام خصمه ممَّا زاد الحرب ضراوةً، واشتعالاً، ودفع بالقائد عمرو إلى أن يمعن في صفوف العدوِّ، ويقدِّم فرسه

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .

[2] المصدر السَّابق نفسه .

[3] جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين، ص(336). وعثمان بن عفَّان، هيكل، ص(67).

بين فرسانهم، ويشهر سيفه بين سيوفهم، ويقطع به هامات الرِّجال، وأعناق الأبطال، وأصاب فرسه سهمٌ فقتله، فترجَّل عمرو، وانضم إلى صفوف المشاة، وراه المسلمون فأقبلوا على الحرب بقلوبٍ كقلوب الأسود، لا يهابون، ولا يخافون قعقعة السُّيوف[1]، وأمام ضربات المسلمين وهنت عزائم الرُّوم وخارت قواهم، فانهزموا أمام الأبطال الّذين يريدون إحدى الحسنيين، وقصد الرُّوم في فرارهم الإسكندريَّة لعلَّهم يجدون في حصونها المنيعة وأسوارها الشَّاهقة ما يواري عنهم شبح الموت الّذي يلاحقهم[2].

وخرج المصريُّون بعد أن رأوا هزيمة الرُّوم يصلحون للمسلمين ما أفسده العدو الهارب من الطُّرق، ويقيمون لهم ما دمَّره من الجسور، وأظهر المصريُّون فرحتهم بانتصار المسلمين على العدوِّ الّذي انتهك حرماتهم، واعتدى على أموالهم، وممتلكاتهم، وقدَّموا للمسلمين ما ينقصهم من السِّلاح والمؤونة[3].

ولما وصل عمرو إلى الإسكندريَّة ضرب عليها الحصار، ونصب عليها المجانيق وظلَّ يضرب أسوار الإسكندريَّة حتى أوهنها، وألحَّ عليها بالضَّرب، حتى ضعف أهلها، وتصدَّعت أسوارها، وفتحت المدينة الحصينة أبوابها، ودخل المسلمون الإسكندريَّة، وأعملوا سيوفهم في الرُّوم يقتلون المقاتلين، ويأسرون النِّساء والذُّرِّية، وهرب من نجا من الموت لاجئين إلى السُّفن ليفرُّوا بها عائدين من حيث أتوا، وكان منويل في عداد القتلى، ولم يكفَّ المسلمون عن القتل، والسَّبي حتَّى أمر عمرو بذلك لما توسَّط المسلمون المدينة، ولما لم يكن هناك من يقاوم أو يتصدَّى

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(336) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(338) .
[3] البلاذري ، ص(69) .

لهم[1]، ولما فرغ المســــلمون أمر عمرو ببناء مســــجدٍ في المكان الّذي أوقف فيه القتال، وسمَّاه مسـجد الرَّحمة[2]، وعادت إلى العاصـمة العتيدة طمأنينتها، وعادت السَّــكينة إلى قلوب المصــريّين فيها، فرجع إليها من كان قد فرَّ منها أمام الزَّحف الرُّوميِّ الرَّهيب، وعاد بنيامين بطريق القبط إلى الإسكندريَّة بعد أن فرَّ مع الفارّين، وأخذ يرجو عمراً ألا يســيء معاملة القبط ؛ لأنَّهم لم ينقضــوا عهدهم، ولم يتخلَّوا عن واجبهم، ورجاه كذلك ألا يعقد صــــلحاً مع الرُّوم، وأن يدفنه إذا مات في كنيسة يحنس[3] .

وجاء المصـريُّون من كلِّ حدبٍ وَصَـوْبٍ، إلى عمرو يشـكرونه على تخليصـهم من ظلم الرُّوم، ويطلبون منه إعـادة مـا نهبوا من أموالهم، ودوابِّهم معلنين ولاءهم، وطاعتهم، فقالوا: إنَّ الروم قد أخذوا دوابَّنا، وأموالنا، ولم نخالف نحن عليكم، وكنَّا على الطَّاعة، فطلب منهم عمرو أن يقيموا البيِّنة على ما ادَّعوا، وَمَنْ أقام بيِّنة، وعرف ماله بعينه ؛ ردَّه[4]عليه، وهدم عمرو سـور الإسـكندرية وكان ذلك سـنة 25 هــ، وأصبحت الإسكندرية امنةً من جهاتها كلِّها رغم هدم سورها، فقد كان شرقيُّها في قبضة المسلمين، وكذلك جنوبها، وأما غربيها فقد أمَّنه عمرو بن العاص بفتح برقة، وزويلة، وطرابلس الغرب وصـــالح أهل هذه البلاد على الجزية، فكانوا يدفعونها طائعين، وأمَّا شمالها فكان في قبضــة الرُّوم، وقد تلقَّنوا درســاً على يد المسلمين لم يترك لهم فرصةً للتَّفكير في العودة، وحتَّى لو فكَّروا في العودة، فهيهات

---

(1) جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(338) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .
(3) المصدر السَّابق نفسه .
(4) المصدر السَّابق نفسه ، ص(340) .

أن يدخلوها وليس لهم فيها نصيرٌ، ولا معينٌ ! وقوَّات المسلمين تراقب البحر بكلِّ يقظةٍ، واهتمامٍ[1].

ثانياً: فتح بلاد النُّوبة:

كان عمرو بن العاص قد شـــرع في فتح بلاد النُّوبة بإذنٍ من الخليفة عمر، فوجد حرباً لم يتدرَّب عليها المســلمون، وهي الرَّمي بالنِّبال في أعين المحاربين، حتَّى فقدوا مئةً وخمسين عيناً في أوَّل معركةٍ، ولهذا قبل الجيش الصُّلح، ولكن عمرو ابن العاص رفض ذلك للوصــول إلى شــروطٍ أفضــل[2]، وعندما تولَّى ابن ســعد ولاية مصر غزا النُّوبة في عام إحدى وثلاثين هجريَّة، فقاتله الأساود من أهل النُّوبة قتالاً شديداً، فأصيبت يومئذٍ عيونٌ كثيرةٌ من المسلمين، فقال شاعرهم:

لَمْ تَرَ عَيْنٌ مِثْلَ يَوْمِ دُمْقُلَة وَالْخَيْلُ تَعْدُو بالدُّرُوعِ مُثْقَلة[3] فســـأل أهل النُّوبة عبد الله بن ســـعدٍ المهادنة، فهادنهم الهدنة، وبقيت إلى ســـتة قرونٍ[4]، وعقد لهم عقداً يضـــمن لهم اســـتقلال بلادهم ويحقِّق للمســـلمين الاطمئنان إلى حدودهم الجنوبيَّة، ويفتح النُّوبة للتِّجارة والحصـــول على عدد من الرَّقيق في خدمة الدَّولة الإسلاميَّة، وقد اختلط المسلمون بالنُّوبة، والبجَّة، واعتنق كثيرٌ منهم الإسلام[5] .

---

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص(340) .
(2) جولةٌ تاريخيَّةٌ في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(341) .
(3) الخلافة والخلفاء الرَّاشدون ، ص(229) .
(4) قادة الفتح لبلاد المغرب (61/1 ، 62 ، 63) .
(5) الخلافة والخلفاء الراشدون ، ص(229) .

ثالثاً: فتح إفريقية:

كان من مقاصـــــد عمرو بن العاص رضـــي الله عنه لبرقة، وطرابلس، وبقيَّة مناطق ليبيا، فتح البلاد، وإزالة الطَّاغوت الرُّوماني عن قلوب العباد، حتَّى تتَّضـــح لهم السُّـبل، وتفترق لهم الطُّرق، وتصـبح حرية الاختيار في متناول تلك الشُّـعوب، وبعد تلك الحملة المباركة الّتي كانت ســـبباً في دخول ذلك النُّور إلى تلك المناطق المظلمة بعبادة الأصـــنام، والتقرُّب إليها بالقرابين، واتِّخاذ الأنداد، والأرباب من البشـر من دونه سبحانه وتعالى، وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد. وعن حملة عبد الله بن سعد على إفريقية[1]، يقول الدَّكتور صـالح مصـطفى: «وفي سـنة 26هـــــ/ 646م عُزل عمرو بن العاص رضـي الله عنه عن ولاية مصـر، واسـتعمل عليها عبد الله ابن سـعدٍ رضـي الله عنه وكان عبد الله بن سـعدٍ يبعث جرائد الخيل كما كانوا يفعلون أيَّام عمرو بن العاص، فيصيبون من أطراف إفريقية، ويغنمون »[2]، وكانت جرائد الخيل تقصـــد إفريقية – تونس – تمهيداً لفتحها، ومعرفة وضـعها، فكان حال هذه الجرائد أشـبه ما يكون بكتائب الاسـتطلاع الّتي تعتبر مقدِّمة الجيش، وعيونه.

فلمَّا اجتمعت عند عبد الله بن ســـعدٍ معلوماتٌ كافيةٌ عن إفريقية من ناحية مداخلها، ومخارجها، وقوَّتها، وعتادها، وموقعها الجغرافيِّ الاســـتراتيجيِّ ؛ كتب حينئذ إلى الخليفة الرَّاشـد عثمان بن عفَّان يخبره بهذه المعلومات المهمَّة عن إفريقية،

---

[1] قادة الفتح لبلاد المغرب (61/1 ، 62 ، 63) .
[2] الشَّرف والتَّسامي بحركة الفتح الإسلامي ، للصَّلابي ، ص(189) .

يستأذن بناء على تلك المعلومات بفتحها، فكان له ما طلب .

يقول الدُّكتور صالح مصطفى: « ولما استأذن عبد الله بن سعدٍ الخليفة عثمان ابن عفَّان في غزو إفريقية ؛ جمع الصَّحابة، واستشارهم في ذلك، فأشاروا عليه بفتحها ؛ إلا أبا الأعور سعيد بن زيدٍ، الّذي خالفه متمسِّكاً برأي عمر بن الخطَّاب في ألا يغزو إفريقية أحدٌ من المسلمين، ولما أجمع الصَّحابة على ذلك ؛ دعا عثمان للجهاد، واستعدَّت المدينة عاصمة الخلافة الإسلاميَّة لجمع المتطوِّعين، وتجهيزهم، وترحيلهم إلى مصر، لغزو إفريقية تحت قيادة عبد الله بن سعدٍ، وقد ظهر الاهتمام بأمر تلك الغزوة جليّاً، فهذا يتَّضح من الّذين خرجوا إليها من كبار الصَّحابة، ومن خيار شباب ال البيت، وأبناء المهاجرين الأوائل، وكذلك الأنصار، فقد خرج في تلك الغزوة: الحسن، والحسين، وابن عباسٍ، وابن جعفرٍ، وغيرهم.

هذا وقد خرج من قبيلة مهرة وحدها في غزوة عبد الله بن سعدٍ ستُّمئة رجلٍ، وَمِنْ غنث سبعمئة رجلٍ، ومن ميدعان سبعمئة رجل، وعندما بات الاستعداد تامّاً؛ خطب عثمان فيهم، ورغَّبهم في الجهاد، وقال لهم: لقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم إلى أن تقدموا على عبد الله بن سعدٍ، فيكون الأمر إليه، وأستودعكم الله .

ويقال: إن عثمان رضي الله عنه قد أعان في هذه الغزوة بألف بعيرٍ يحمل عليها ضعفاء النَّاس، وعندما وصل هذا الجيش إلى مصر، انضمَّ إلى جيش عبد الله بن سعدٍ، وتقدَّم من الفسطاط تحت قيادة عبد الله ذلك الجيش الّذي يقدَّر بعشرين ألفاً، يخترق الحدود المصريَّة اللِّيبية، وعندما وصلوا إلى برقة، انضمَّ إليهم

عقبة ابن نافع الفهريُّ، ومن معه من المسـلمين، ولم يواجه الجيش الإسـلاميُّ أيَّة صعوبةٍ أثناء سيرهم في برقة، وذلك لأنَّها ظلَّت وفيَّةً لما عاهدت المسلمين عليه من الشُّـروط زمن عمرو بن العاص، حتَّى إنَّه لم يكن يدخلها جابي الخراج، وإنَّما كانت تبعث بخراجها إلى مصـر في الوقت المناسـب، وممَّا يؤكد بقاء برقة على عهدها لعمرو بن العاص ما ذكر: أنَّه سُمِعَ يقول: قعدت مقعدي هذا، وما لأحدٍ من قبط مصـر عليَّ عهدٌ إلا أهل أنطابلس[1]، فإنَّ لهم عهداً يوفَّى لهم به، كما أنَّ عبد الله بن عمرو بن العاص كان يقول: ولولا ما لي بالحجاز ؛ لنزلت برقة، فما أعلم منزلاً أسلم، ولا أعزل منها[2].

وهكذا انطلقت هذه الحملة المباركة نحو إفريقية، وكان ذلك بعد انضـمام قوَّات عقبة بن نافع إليها، إلا أنَّ عبد الله بن سـعدٍ قائد الحملة ما فتأى يرسـل الطَّلائع، والعيون في جميع الاتجاهات لاسـتكشـاف الطُّرق، وتأمينها، ورصـد تحرُّكات العدوِّ وضبطها، تحسباً لأيِّ كمينٍ، أو مباغتةٍ تطرأ على حين غفلةٍ، فكان من نتائج تلك الطَّلائع الاسـتطلاعية أن تمَّ رصـد مجموعات من السُّـفن الحربيَّة تابعة للإمبراطورية الرُّومانية، حيث كانت هذه السُّفن الحربيَّة قد رست في ساحل ليبيا البحري بالقرب من مدينة طرابلس، فما هي إلا برهةٌ من الزَّمن حتى كان ما تحمله هذه السُّفن غنيمةً للمسلمين، وقد أسروا أكثر من مئة من أصحابها، وتعتبر هذه أوَّل غنيمةٍ ذات قيمةٍ أصابها المسـلمون في طريقهم لفتح إفريقية[3] . وواصـل عبد الله ابن سـعدٍ السَّـير إلى إفريقية، وبثَّ طلائعه، وعيونه في كلِّ ناحيةٍ، حتَّى

---

[1] ليبيا من الفتح العربي حتَّى انتقال الخلافة الفاطميَّة ، ص(49) .
[2] أنطابلس: برقة .
[3] ليبيا من الفتح العربيِّ حتَّى انتقال الخلافة الفاطميَّة ، ص(39) .

وصـل جيشـه إلى مدينة سـبيطلة بأمانٍ، وهناك التقى الجمعان، جيش المسـلمين بقيادة عبد الله بن سـعدٍ، وجيش جرجير حاكم إفريقية، وكان تعداد جيشـه يبلغ حوالي مئة وعشرين ألفاً .

وكان بين القائدَين اتِّصالاتٌ مستمرةٌ، ورسائل متبادلةٌ، فحواها عرض الدَّعوة الإسلامية على جرجير، ودعوته للدُّخول في الإسلام، ويستسلم لأمر الله سبحانه، أو أن يدفع الجزية، ويبقى على دينه خاضـعاً لسـيادة الإسـلام، ولكنَّ كلَّ تلك العروض رفضـها، وأصرَّ، واستكبر هو وجنوده؛ وضـاق الأمر بالمسلمين فنشبت المعركة بين الجمعين، وحمي الوطيس بينهما لعدَّة أيَّامٍ، حتَّى وصـل مددٌ بقيادة عبد الله بن الزُّبير، وكانت نهاية هذا المستكبر الطَّاغي جرجير على يديه[1].

ولما رأى الرُّوم الّذين بالسَّـاحل ما حل بجرجير، وأهل سـبيطلة ؛ غارت أنفسـهم، وتجمَّعوا، وكاتب بعضـهم بعضـاً في حرب عبد الله بن سـعدٍ إيَّاهم، فخافوه، وراسـلوه، وجعلوا له جعلاً على أن يرتحل بجيشـه، وألا يعترضـوه بشـيءٍ، ووجَّهوا إليه ثلاثمئة قنطارٍ من الذَّهب في بعض الرِّوايات، وفي البعض الاخر مئة قنطارٍ، جزيةً في كلِّ سـنةٍ على أن يكفَّ عنهم، ويخرج من بلادهم، فقبل ذلك منهم، وقبض المال، وكان في شرط صلحهم أنَّ ما أصـاب المسلمون قبل الصُّلح فهو لهم، وما أصـابوه بعد الصُّلح ردَّه عليهم، وانصـرف راجعاً إلى مصـر بعد أن أقام بإفريقية سنةً وثلاثة أشهر، أو سنةً وشهراً في روايةٍ أخرى[2] .

وعندما وصـل عبد الله بن سـعدٍ إلى طرابلس ؛ وافته المراكب، فحمل فيها

---

[1] الشَّرف والتَّسامي بحركة الفتح الإسلامي ، ص(191) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(193) ، البداية والنِّهاية (158/7) .

أثقال جيشه، وقصد هو وأصحابه مصر سالمين، ووجَّه إلى عثمان بن عفَّان رضي الله عنه الأموال الّتي معه من الخمس وغيره، ومن المرجَّح أن تكون السُّفن الّتي وافته في طرابلس من السُّفن الّتي غنمها المسلمون في سورية، والإسكندريَّة، إذ يذكر إرشيبالد: أنَّه قد سهَّل على العرب بفضل استيلائهم على دور الصِّناعة البيزنطية في الإسكندرية وسورية سليمةً أن تكون لديهم سفنٌ حربيَّةٌ، إما حاضرةٌ، وإمَّا سهلة الإنشاء[1]، بيد أنَّ هناك رواياتٍ تنصُّ على عودة عبد الله بن سعدٍ لإفريقية بعد وصوله إلى مصر، وذلك حين نقض أهلها العهد، وكان ذلك في سنة ثلاثٍ وثلاثين، فانتصر عليهم وقام بتثبيت دعائم النِّظام الإسلاميِّ هناك، وأقرَّ أهلها على الإسلام، أو الجزية[2].

رابعاً: بطولة عبد الله بن الزُّبير في فتح إفريقية:

انقطع خبر المسلمين في إفريقية عن عثمان رضي الله عنه فسيَّر إليهم عبد الله بن الزُّبير في جماعةٍ ليأتيه بأخبارهم، فسار مُجِدّاً، ووصل إليهم، وأقام معهم، ولما وصل ؛ كثُر الصِّياح، والتَّكبير في المسلمين، فسأل جرجير عن الخبر، فقيل: قد أتاهم عسكرٌ، ففتَّ ذلك في عضده، ورأى عبد الله بن الزُّبير قتال المسلمين كلَّ يوم من بكرةٍ إلى الظُّهر فإذا أُذِّن بالظُّهر عاد كلُّ فريق إلى خيامه، وشهد القتال من الغد فلم يَرَ ابن سعد معهم، فسأل عنه فقيل: إنَّه سمع منادي جرجير يقول: من قتل عبد الله بن سعدٍ، فله مئة ألف دينار، وأزوِّجه ابنتي ! وهو يخاف، فحضر عنده، وقال له: تأمر منادياً ينادي: من أتاني برأس جرجير؛ نفَّلته مئة ألفٍ،

(1) الشَّرف والتَّسامي بحركة الفتح الإسلامي ، ص(194) .
(2) ليبيا من الفتح العربيِّ حتَّى انتقال الخلافة الفاطميَّة ، ص(46) .

وزوَّجته ابنته، واستعملته على بلاده! ففعل ذلك، فصار جرجير يخاف أشدَّ من عبد الله[1] .

ثمَّ إن عبد الله بن الزُّبير قال لعبد الله بن سعدٍ: إنَّ أمرنا يطول مع هؤلاء وهم في أمداد متَّصلةٍ، وبلادٍ هي لهم ونحن منقطعون عن المسلمين، وبلادهم، وقد رأيت أن نترك غداً جماعةً صالحةً من أبطال المسلمين في خيامهم متأهِّبين، ونقاتل نحن الرُّوم في باطن العسكر إلى أن يضجروا ويملُّوا، فإذا رجعوا إلى خيامهم ورجع المسلمون ؛ ركب من كان في الخيام من المسلمين، ولم يشهدوا القتال، وهم مستريحون، ونقصدهم على غرَّةٍ فلعلَّ الله ينصرنا عليهم ! فأحضر جماعةً من أعيان الصَّحابة، واستشارهم، فوافقوه على ذلك، فلمَّا كان الغد ؛ فعل عبد الله ما اتَّفقوا عليه، وأقام جميع شُجعان المسلمين في خيامهم، وخيولهم عندهم مُسَرَّجةٌ، مضى الباقون، فقاتلوا الرُّوم إلى الظُّهر قتالاً شديداً، فلمَّا أذَّن بالظُّهر همَّ الرُّوم بالانصراف على العادة، فلم يمكِّنهم ابن الزُّبير، وألح عليهم بالقتال، حتَّى أتعبهم، ثمَّ عاد عنهم، والمسلمون، فكلُّ الطائفتين ألقى سلاحه، ووقع تعباً، فعند ذلك أخذ عبد الله بن الزُّبير من كان مستريحاً من شجعان المسلمين وقصد الرُّوم فلم يشعروا بهم حتَّى خالطهم، وحملوا حملة رجلٍ واحدٍ، وكبَّروا، فلم يتمكَّن الرُّوم من لبس سلاحهم حتَّى غشيهم المسلمون، وقُتل جرجير قتله ابن الزُّبير، وانهزم الرُّوم، وقُتل منهم مقتلةٌ عظيمةٌ، وأُخذت ابنة الملك جرجير سبيةً، ونزل عبد الله بن سعدٍ المدينة، وحاصرها حتَّى فتحها، ورأى فيها من الأموال ما لم يكن في غيرها، فكان سهم الفارس ثلاثة الاف دينارٍ، وسهم الرَّاجل ألف دينارٍ.

---

[1] الشَّرف والتَّسامي بحركة الفتح الإسلامي ، ص(194) .

ولما فتح عبد الله مدينة سبيطلة، بثَّ جيوشه في البلاد، فبلغت قفصة، فسبوا، وغنموا وسيَّر عسكراً إلى حصن الأجم، وقد احتمى به أهل تلك البلاد، فحصره، وفتحه بالأمان، فصالحه أهل إفريقية -كما مرَّ معنا - ونفَّل عبد الله بن الزُّبير ابنة الملك، وأرسله ابن سعدٍ إلى عثمان بالبشارة بفتح إفريقية[1].

هذا ولقد كان لعبد الله بن الزُّبير رضـــي الله عنهما موقفٌ عظيم في البطولة، والشَّــجاعة، وقد ذكره الحافظ ابن كثير، حيث قال: لما قصــد المســلمون وهم عشـرون ألفاً إفريقية، وعليهم عبد الله بن سـعدٍ بن أبي سـرح، وفي جيشـه عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزُّبير؛ صـــمد إليهم ملك البربر جرجير في عشـــرين ومئة ألفٍ، وقيل: في مئتي ألفٍ، فلمَّا تراءى الجمعان، أمر جيشـه، فأحاطوا بالمسـلمين هالة، فوقف المسلمون في موقفٍ لم يُرَ أشنع منه، ولا أخوف عليهم منه .

قال عبد الله بن الزُّبير: نظرت إلى الملك جرجير من وراء الصُّفوف وهو راكبٌ على برذون، وجاريتان تظلانه بريش الطَّواويس، فذهبت إلى عبد الله بن سـعد بن أبي سـرحٍ، فسـألته أن يبعث معي من يحمي ظهري، وأقصـد الملك، فجهَّز معي جماعةً من الشجعان، فأمر بهم فَحَموا ظهري، وذهبت حتَّى خرقت الصُّفوف إليه، وهم يظنُّون أنِّي في رسـالة إلى الملك، فلمَّا اقتربت منه أحسَّ منِّي الشَّـرَّ، ففرَّ على برذونه فلحقته، فصـــفعته برمحي، وذففت - يعني: أجهزت - عليه بســـيفي، وأخذت رأسه فنصبته على رأس الرُّمح، وكبَّرت، فلمَّا رأى ذلك البربر، فَرِقُوا، وفرُّوا كَفِرار القطا، واتَّبعهم المســـلمون يقتلون، ويأســـرون، فغنموا غنائم جمَّةً، وأموالاً

[1] التَّاريخ الإسلاميُ (388/12) .

عظيمةً، وسبياً عظيماً، وذلك ببلد يقال له: (سبيطلة) على يومين من القيروان.

قال ابن كثير: فكان هذا أوَّل موقف اشتهر فيه أمرُ عبد الله بن الزُّبير، رضي الله عنه وعن أبيه، وأصحابهما أجمعين[1].

إنَّ ما قام به ابن الزُّبير نوعٌ من الطُّموح نحو المعالي المحفوفة بالأهوال، بدون تدرُّج سابق، لقد كان عمره انذاك سبعاً وعشرين سنةً، ولم يُذكر له قبل ذلك مواقف بطوليَّة من نوع المغامرات، فكيف أقدم على هذه المغامرة الهائلة الّتي يغلب على الظَّنِّ، أو يكاد يقرب من اليقين في عرف النَّاس العاديين أنَّ فيها الهلاك؟ !

إنَّ الاحتمالات الّتي يمكن أن ترد في مثل هذه المغامرة أن يدور في خَلَد المغامر أمران:

1ـــ أن ينجح في هجومه فيقضي على ملك البربر، ويتفرَّق جنده، كما هي عادة الكفار، وفي ذلك نصـرٌ مؤزَّر للمسلمين، وكفايةٌ لهم عن خوض معركةٍ شرسةٍ، قد تخوف منها المسلمون .

2ـ أن يتقبَّله الله شهيداً، وفي ذلك الوصول إلى أسمى الأماني، وأبلغ الدَّرجات الّتي يطمح إليها الصَّالحون ويتنافسون على بلوغها، كما أنَّ في ذلك من إرهاب الكفَّار، وإثارة الرُّعب فيهم الشَّيءَ الكثير، حيث سيتوقَّع الكفار: أنَّ المسلمين الّذين سيقاتلونهم كلُّهم من هذا النَّوع الجريء الفتَّاك ؛ إذ إنَّه يكفي المغامر شجاعةً أن يقذف بنفسه في أتون المعركة الملتهب، إنَّه لا يُقدم على هذه الوثبة

---

[1] الكامل لابن الأثير (45/3 - 46) .

العالية إلا العظماء الّذين يتصـــوَّرون الجنَّة من وراء تلك الوثبة ويشـــتاقون للعيش فيهـا، ولقـد كـان ابن الزُّبير عنـدمـا وثـب تلـك الوثبـة متجرِّداً من علائق الـدُّنيـا، وأثقالها المثبِّطة، طامحاً إلى ما أعدَّه الله تعالى للمجاهدين في ســـبيله على قدر طاقتهم سواءٌ انتصروا على أعدائهم، أو نالوا الشهادة[1].

وقد جاء في هذا الخبر: أنَّ البربر بعدما قُتل ملكهم فرُّوا من جيش المســـلمين كفرار القطا، وأنَّ المســلمين تبعوهم يقتلون، ويأسـرون منهم من غير مقاومةٍ، وإنَّ هذا الخبر دليلٌ على أنَّ الله تعالى مع أوليائه المؤمنين، وأنَّه يقيِّض لهم إذا صدقوا ما يخلِّصــهم من الشَّــدائد، وينقذهم من المازق، فإنَّ المســلمين قد وقعوا في معضــلةٍ كبرى، حيث أحاط بهم أعداؤهم الّذين يفوقونهم ســتَّ مرات في العدد، أو أكثر، وكان على المســـلمين أن يقاتلوهم من كل جانبٍ، وهو أمر عســـيرٌ على جيش صغيرٍ بالنِّسبة لكثرة عدوِّه، كما جاء في قول الرَّاوي: فوقف المسلمون في موقفٍ لم يُر أشـنع منه، ولا أخوف عليهم منه، فقيَّض الله لهم هذا البطل المغوار الّذي أقدم على مغامرةٍ نادرة المثال، فأنقذ الله به ذلك الجيش الإسلاميَّ من عسرةٍ كان يعاني منها[2].

ولا ننســـى موقف الأبطال الّذين كانوا مع عبد الله بن الزُّبير يحمون ظهره، فإنَّهم قد شـــاركوه في تلك المخاطرة، ولئن لم يَذكر التَّاريخ أسماءهم، فإنَّ عملهم الفدائيَّ قد بقي مخلَّداً في الدُّنيا برفع ذكر هذه الأمَّة حينما تفاخر بأبطالها، وفي الاخرة بما ينتظرون من وعد الله للمجاهدين الصَّادقين[3].

---

[1] البداية والنِّهاية (158/7) .

[2] التَّاريخ الإسلاميُّ (390/12) .

[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص(390/12) .

هذا وقد قدَّم المسلمون الغالي، والرَّخيص في فتوحات إفريقية، واستشهد منهم الكثير، وممَّن توفي منهم غازياً بإفريقية في خلافة عثمان أبو ذُؤَيبٍ الهُذَليُّ، وكان شاعراً مشهوراً، وهو الّذي قال:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا	أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيْمَةٍ لا تَنْفَعُوَ
تَجَلُّدي لِلشَّامِتيْنَ أُرِيْهُمُ	أنِّي لِرَيْبِ الدَّهر لا أَتَضَعْضَعُ[1]

خامساً: معركة ذات الصَّواري:

أصيب الرُّوم بضربةٍ حاسمةٍ في إفريقية، وتعرَّضت سواحلهم للخطر بعد سيطرة الأسطول الإسلاميّ على سواحل المتوسط من رودس حتَّى برقة، فجمع قسطنطين بن هرقل أسطولاً بناه الرُّوم من قبل، فخرج بألف سفينةٍ، لضرب المسلمين ضربةً يثأر بها لخسارته المتوالية في البرِّ، فأذن عثمان رضي الله عنه لصدِّ العدوان، فأرسل معاوية مراكب الشَّام بقيادة بُسْر بن أرطاة، واجتمع مع عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح في مراكب مصر، وكانت كلُّها تحت إمرته، ومجموعها مئتا سفينةٍ فقط، وسار هذا الجيش الإسلاميُّ، وفيه أشجع المجاهدين المسلمين ممَّن أبلوا في المعارك السَّابقة، فقد انتصر هؤلاء على الرُّوم من قبل في معارك عديدةٍ، فشوكة عدوِّهم في أنفسهم محطَّمةٌ، لا يخشونه، ولا يهابونه، على الرَّغم من قلَّة عدد سفنهم إذا قيست بعدد سفن عدوِّهم، خرج المسلمون إلى البحر، وفي أذهانهم وقلوبهم إعزاز دين الله، وكسر شوكة الرُّوم،

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .

ولقد كان لهذه المعركة التَّاريخية أسبابٌ، منها:

1. الضَّربات القويَّة الّتي وجَّهها المسلمون إلى الرُّوم في إفريقية .

2ـــ إصابة الرُّوم في سواحلهم الشَّرقيَّة، والجنوبيَّة بعد أن سيطر المسلمون بأسطولهم عليها .

3. خشية الرُّوم أن يقوى أسطول المسلمين، فيفكروا في غزو القسطنطينية .

4ـ أراد قسطنطين بن هرقل استرداد هيبة ملكه بعد الخسائر المتتالية برّاً، وعلى شواطئه في بلاد الشَّام، ومصر، وساحل برقة .

5ـــ كما أراد الرُّوم خوض معركةٍ ظنُّوا: أنَّها مضمونة النَّتائج، كي تبقى لهم السَّيطرة في

المتوسِّط، فيحافظوا على جزره، فينطلقوا منها للإغارة على شواطأى بلاد العرب.

6ـــ محاولة استرجاع الإسكندريَّة بسبب مكانتها عند الرُّوم، وقد ثبت تاريخيّاً مكاتبة سكانها لقسطنطين بن هرقل ملك الرُّوم .

هذه بعض أسباب معركة ذات الصَّواري[1].

أين وقعت هذه المعركة ؟

وهذا السُّؤال لم يجد المؤرِّخون جواباً موحَّداً، فالمراجع العربيَّة لم تحدِّد مكانها،

---

[1] تاريخ الإسلام للذَّهبيِّ ، عهد الخلفاء الرَّاشدين ، ص(359) .

باستثناء مرجعٍ واحدٍ – على ما نعلم – صرَّح بالمكان بدقَّةٍ، واخر قال: اتَّجه الروم إليه.

- في (فتح مصــر وأخبارها)[1]، ذكر الكتاب خطبة عبد الله بن سـعد بن أبي سرحٍ، وقال: قد بلغني: أنَّ هرقل قد أقبل إليكم في ألف مركبٍ ... ولم يحدِّد مكان المعركة.
- (الطَّبري)[2]، في أخبار سنة 31 هـ، ربط حدوث ذات الصَّواري بما أصـاب المسلمون من الرُّوم في إفريقية، وقال: فخرجوا في جمعٍ لم يجتمع للرُّوم مثله قطُّ .
- ولم يذكر (الكامل في التاريخ)[3]، مكان الموقعة أيضـــاً، ولكنَّه ربط سبب وقوعها بما أحرزه المسلمون من نصرٍ في إفريقية بالذَّات .
- وفي (البداية والنِّهاية)[4] ؛ فلمَّا أصاب عبد الله بن سعد بن أبي سرح مَنْ أصـــاب من الفرنج، والبربر ببلاد إفريقية، حميت الرُّوم، واجتمعت على قسطنطين ابن هرقل، وسـاروا إلى المسلمين في جمع لهم لم يُرَ مثلهُ منذ كان الإسلام، خرجوا في خمسمئة مركبٍ وقصدوا عبد الله بن سعد بن أبي سرحٍ في أصحابه من المسلمين ببلاد المغرب .
- (تاريخ الأمم الإســلاميَّة)[5]، لم يذكر مكان الموقعة أيضــاً[6]، ورجَّح

---

(1) ذات الصَّواري ، شوقي أبو خليل ، ص(60 ، 61) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، ص(61) .
(3) تاريخ الطَّبري (290/5) .
(4) الكامل في التاريخ (58/3) طبعة البابي الحلبي القاهرة) .
(5) البداية والنِّهاية (163/7) .
(6) تاريخ الأمم الإسلاميَّة (29/2) ، للشَّيخ الخضري .

الدكتور شوقي أبو خليل: أنَّ المعركة كانت على شواطأى الإسكندرية، وذلك للأسباب التالية:

ــ كتاب (النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة) يذكر صراحةً: غزوة ذات الصَّواري في البحر من ناحية الإسكندريَّة[1] .

ـــ تاريخ ابن خلدون يذكر[2]: ثمَّ بعث – ابن أبي سرح – السَّرايا، ودوَّخ البلاد، فأطاعوا، وعاد إلى مصر، ولما أصاب ابن أبي السَّرح من إفريقية ما أصاب، ورجع إلى مصر خرج قسطنطين بن هرقل غازياً إلى الإسكندرية في ستِّمئة مركبٍ.

ــ ربطت المراجع العربيَّة الّتي لم تحدِّد موقع المعركة بين حدوث المعركة، وبين ما خسره الرُّوم في شمال إفريقية بالذَّات .

ـــ الأسطول الرُّومي صاحب ماضٍ عريقٍ، فهو سيِّد المتوسط قبل ذات الصَّواري، فهو أجرأ على مهاجمة السَّواحل الإسلاميَّة، ولذلك رجح الدُّكتور شوقي أبو خليل مجيء الأسطول الرُّومي إلى شواطأى الإسكندريَّة ؛ لاستعادتها بسبب مكانتها عند الرُّوم ومكاتبة أهلها لملكهم السَّابق، وهو بذلك يقضي أيضاً على الأسطول الفتي في مهده، الّذي شرع العرب في بنائه بمصر، فتبقى للرُّوم السَّيطرة والسَّطوة في مياه المتوسط، وجزره .

ــ المراجع الأجنبيَّة تعرِّف ذات الصَّواري بموقعة (فونيكة)، وفونيكة: هو ثغرٌ يقع غرب مدينة الإسكندرية، بالقرب من مدينة مرسى مطروح، فهي تحدِّد الموقع

---

[1] ذات الصَّواري ، ص(62) .
[2] النُّجوم الزَّاهرة (80/1) .

تماماً[1] .

أحداث المعركة:

قال مالك بن أوس بن الحدثان: كنت معهم – في ذات الصَّــواري – فالتقينا في البحر، فنظرنا إلى مراكب ما رأينا مثلها قطُّ، وكانت الرِّيح علينا – أي: لصالح مراكب الروم – فأرسينا ساعةً، وأرسوا قريباً منَّا، وسكتت الرِّيح عنا، قلنا للرُّوم: الأمن بيننا وبينكم . قالوا: ذلك لكم، ولنا منكم[2]، كما طلب المســـلمون من الرُّوم: إن أحببتم ننزل إلى السَّاحل فنقتتل، حتى يُكتب لأحدنا النَّصر، وإن شئتم فالبحر . قال مالك بن أوس: فنخروا نخرةً واحدةً، وقالوا: بل الماء، الماء، الماء ! وهذا يظهر لنا ثقة الرُّوم بخبرتهم البحريَّة، وأملهم في النَّصـــر لممارســـتهم أحواله، وفنونه، وقد مرنوا عليه، فأحكموا الدِّراية بثقافته، وأنوائه، فطمعوا بالنَّصـــر فيه، خصوصاً وأنَّهم يعلمون حداثة عهد المسلمين به[3] .

بات الفريقان تلك اللَّيلة في عرض البحر، وموقف المســـلمين حَرِجٌ، فقال القائد المسلم لصحبه: أشيروا عليَّ ؟ فقالوا: انتظر اللَّيلة بنا لنرتِّب أمرنا، ونختبر عدوَّنا، فبات المســـلمون يصـــلُّون، ويدعون الله – عزَّ وجلَّ – ويذكرونه، ويتهجَّدون، فكان لهم دويٌّ كدويِّ النَّحل، على نغمات تلاطم الأمواج بالمراكب، أمَّا الرُّوم ؛ فباتوا يضربون النَّواقيس في سفنهم، وأصبح القوم، وأراد قسطنطين أن يسرع في القتال، ولكنَّ عبد الله بن سعد بن أبي سرح لما فرغ من صلاته إماماً

---

[1] تاريخ ابن خلدون (468/2) .
[2] ذات الصَّواري ، ص(64) .
[3] تاريخ الطَّبري (292/5) .

بالمسلمين للصُّبح، استشـار رجال الرأي، والمشـورة عنده، فاتفق معهم على خطَّةٍ رائعة: فقد اتفقوا على أن يجعلوا المعركة برِّيَّة على الرَّغم من أنَّهم في عرض البحر، فكيف تمَّ للمســـلمين ذلك ؟ أمر عبد الله جنده أن يقتربوا من ســـفن أعدائهم فاقتربوا حتى لامست سفنهم سفن العدوِّ، فنزل الفدائيون، أو – رجال الضَّفادع البشريَّة في عرفنا الحالي – إلى الماء، وربطوا السُّفن الإسلاميَّة بسفن الرُّوم، ربطوها بحبالٍ متينةٍ، فصار (1200) سفينة في عرض البحر، كلُّ عشرةٍ أو عشرين منها متَّصلةٌ مع بعضـها، فكأنَّها قطعةُ أرض ستجري عليها المعركة، وصَفَّ عبد الله بن سعدٍ المسلمين على نواحي السُّفن يعظهم، ويأمرهم بتلاوة القران الكريم، خصوصاً سورة الأنفال، لما فيها من معاني الوحدة، والثَّبات، والصَّبر[1].

وبدأ الرُّوم القتال، فهم في رأيهم قد ضمنوا النَّصر عندما قالوا: بل الماء، الماء، الماء ! وانقضُّوا على سفن المسلمين بدافع الأمل بالنَّصر، مستهدفين توجيه ضربةٍ أولى حاسمةٍ يحطِّمون بها شوكة الأسطول الإسلاميِّ، فنقض الرُّوم صفوف المسلمين المحاذية لسـفنهم، وصـار القتال كيفما اتَّفق وكان قاسـياً على الطَّرفين، وسـالت الدِّماء غزيرة، فاصـطبغت بها صـفحة الماء، فصـار أحمر . وترامت الجثث في الماء وتسـاقطت فيه، وضـربت الأمواج السُّـفن حتَّى ألجأتها إلى السَّـاحل، وقتل من المســلمين الكثير، وقتل من الرُّوم ما لا يحصـى، حتَّى وصـف المؤرخ البيزنطيُّ (ثيوفانس) هذه المعركة بأنَّها كانت يرموكاً ثانيةً على الرُّوم[2]، ووصـفها الطَّبريُّ بقوله: إنَّ الدَّم كان غالباً على الماء في هذه المعركة[3] . حاول الرُّوم أن يغرقوا

---

(1) ذات الصَّواري ، ص(66) .
(2) ذات الصَّواري ، ص(67) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .

سفينة القائد المسلم عبد الله بن أبي سرح ؛ كي يبقى جند المسلمين دون قائد، فتقدَّمت من سفينته سفينةٌ روميَّة، ألقت إلى سفينة عبد الله السَّلاسل لتسحبها، وتنفرد بها، ولكنَّ علقمة بن يزيد الغطيفي أنقذ السَّفينة، والقائد، بأن ألقى بنفسه على السَّلاسل وقطعها بسيفه[1] .

وصمد المسلمون رغم كلِّ شيءٍ، وصبروا كعادتهم في معاركهم، فكتب الله – عزَّ وجلَّ – لهم النَّصر بما صبروا، واندحر ما تبقى من الأسطول الرُّومي، وكاد الأمير قسطنطين أن يقع أسيراً في أيدي المسلمين، كما ذكر ابن عبد الحكم، لكنَّه تمكَّن من الفرار لما رأى قوته تنهار، وجثث جنده على سطح الماء تلقي بها الأمواج إلى السَّاحل، لقد رأى أسطوله – الَّذي تأمَّل فيه خيراً، ونصراً، وإعادة كرامة – يغرق قطعةً بعد قطعةٍ، ففرَّ مدبراً، والجراحات في جسمه، والحسرة تأكل فؤاده، يجرُّ خيبةً، وفشلاً، فوصل جزيرة صقلية[2] ... وألقت الرِّيح هناك، فسأله أهلها عن أمره، فأخبرهم، فقالوا: شمت النَّصرانيَّة، وأفنيت رجالها، لو دخل المسلمون لم نجد من يردُّهم[3] فقتلوه، وخلَّوا من كان معه في المراكب[4] .

نتائج ذات الصواري:

1ـ كانت ذات الصَّواري أوَّل معركةٍ حاسمةٍ في البحر خاضها المسلمون، أظهر فيها الأسطول الفتيُّ الصَّبر، والإيمان، والجلد، والفكر السَّليم، بما تفتَّق عنه الذِّهن الإسلاميُّ من خطَّةٍ جعلت المعركة صعبةً على أعدائهم، فاستحال عليهم اختراق

---

(1) تاريخ الطَّبري (293/5) .
(2) ذات الصَّواري ، ص(68) .
(3) تاريخ ابن خلدون (468/2) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .

صـفوف المسـلمين بسـهولةٍ، كما اسـتخدم المسـلمون خطاطيف طويلة يجرُّون بها صواريَ، وشُرُعَ الأعداء، الأمر الّذي انتهى بكارثةٍ بالنِّسبة للرُّوم .

2ـــ كانت ذات الصَّواري حدّاً فاصلاً في سياسة الرُّوم إزاء المسلمين، فأدركوا فشل خططهم في استرداد هيبتهم، أو استرجاع مصر، أو الشَّام، وانطلق المسلمون في عرض هذا البحر، الّذي كان بحيرة روميَّة، وانتهى اسم (بحر الرُّوم) إلى الأبد، واستطاع المسـلمون فتح قبرص، وكريت، وكورسـيكا، وسـردينيا، وصـقلّية، وجزر البليار، ووصلوا إلى جنوة، ومرسيليا .

3ـــ قُتِلَ قسطنطين، فتولَّى ابن قسطنطين الرَّابع من بعده، وكان حدثاً صغير السِّنِّ، ممَّا جعل الظُّروف مواتيةً لقيام حملةٍ بحريَّةٍ، وبرِّيَّةٍ إسلاميَّةٍ تستهدف روما (القسطنطينية) فيما بعد .

4ـــ الإعداد الرُّوحي قبل المعركة، أو مايسمَّى بالتَّوجيه المعنويِّ في أيَّامنا هذه، له قيمته في تحقيق النَّصر، حيث تتَّجه القلوب إلى الله بصـدقٍ، فهذا المؤمن الّذي بات ليله في تهجُّدٍ، وذكرٍ، يستمدُّ العون من الله، من عظمته، وعزَّته، بعد أن هيَّأ الأسـباب، يلقى الأعداء بروحٍ عاليةٍ لا يهاب الموت، فالله أكبر من كلِّ شـيءٍ، وهذه المعارك الّتي نَصِـفُ أحداثها التَّاريخيَّة، هي وصـفةٌ طبيَّةٌ نعرضـها للتَّطبيق، والنَّهج، لنسـتفيد منها في حياتنا، فحياة الصَّـحابة ما هي إلا للقدوة، وسـيرةٌ للاتِّباع[1].

---

[1] ذات الصَّواري ، ص(68) .

5ـ أصبح البحر المتوسط بحيرةً إسلاميَّة، وصار الأسطول الإسلاميُّ سيِّد مياه البحر المتوسـط، وهذا الأسـطول ليس للتسـلُّط، والقرصـنة، بل للدَّعوة إلى الله، وكسر شوكة المشركين، ونشر الحضارة المنبثقة عن كتاب الله، وسنَّة رسوله(ﷺ) .

6ــــ عكف المسـلمون على دراسـة علوم البحريَّة، وصـناعة السُّـفن، وكيفيَّة تسـليحها، وأسـلوب القتال من فوقها، وعلوم الفلك المتَّصـلة بتسـييرها في البحار ومعرفة مواقعهم على المصوَّرات البحريَّة المختلفة – فيما بعد – فعرفوا الأسْطُرْلاب (البوصـــلة الفلكية) وطوَّروها إلى المدى الّذي اســتفاد منه بعد ذلك البحَّارة الغربيُّون أمثال: كرستوف كولومبس، وأمريكو فيسبوشي في اكتشافاتهم[1] .

7ـ لقد كانت هذه المعركة مظهراً من مظاهر تفوُّق العقيدة الصَّحيحة الصُّلبة على الخبرة العســكريَّة، والتفوُّق في العَدد، والعُدد، فلقد كان الرُّوم هم أهل البحر منذ القدم، وقد مرُّوا بتجارب طويلةٍ في الحروب البحريَّة، بينما كان المســـلمون حديثي عهدٍ بركوب البحر، والقتال البحريِّ، ولكن الله – تعالى – أعلى المسلمين عليهم برغم التفوُّق المذكور ؛ لأنَّه سـبحانه قد سـخَّر أولئك المؤمنين لنشـر دينه، وإعلاء كلمته في الأرض، وإنَّ ممَّا يُشـاد به في هذه المعركة قوة قائدها عبد الله بن سـعد بن أبي سرحٍ، ورباطة جأشـه، ومقدرته الجيِّدة على إدارة الحروب، وهي بعد ذلك لونٌ من ألوان بسالة المسلمين، واستقتالهم في الحروب في سبيل إعزاز دينهم، ورفع شأن دولتهم[2].

---

(1) ذات الصَّواري ، ص(71 ، 72) .

(2) المصدر السابق نفسه ، ص(76) .

سادساً: أهمُّ الدُّروس، والعبر، والفوائد في فتوحات عثمان رضي الله عنه:

1. تحقيق وعد الله للمؤمنين:

قال ابن كثير في حديثه عن عثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه: ... ففتح الله على يديه كثيراً من الأقاليم، والأمصــار، وتوسَّـعت المملكة الإسـلاميَّة، وامتدت الدَّولة المحمديَّة، وبلغت الرِّســالة المصــطفويَّة في مشــارق الأرض ومغاربها، وظهر للنَّاس مصـــــداق قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـــالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ*﴾ [النور: 55]. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَـلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ *﴾ [التوبة: 33] وقوله(ﷺ): « إذا هلك قيصـر فلا قيصـر بعده، وإذا هلك كسـرى فلا كسـرى بعده، والّذي نفسي بيده ! لَتُنْفَقَنَّ كنوزُهما في سبيل الله »[1] .

وهذا كلُّه تحقَّق وقوعه، وتأكَّد وتوطَّد في زمان عثمان رضي الله عنه[2].

2. التَّطور في فنون الحرب والسِّياسة:

كانت الحروب تنشـأ بين الشُّـعوب من أجل قطعةٍ من الأرض، يراد تملُّكها، أو بسـبب اعتداءٍ يقع على بلدٍ، أو قبيلة، ولكنَّها في عهد النُّبوة والعهد الرَّاشـديّ

---

[1] التَّاريخ الإسلاميُّ (407/12) .

[2] مسلم ، كتاب الفتن ، رقم (2918 - 2919) .

أصبحت بسبب المبادأى، فالمسلمون يريدون أن تكون عقيدتهم هي السَّائدة والمهيمنة في الأرض، فاصطدمت بعقائد فاسدةٍ، ومنحرفةٍ، كعقائد المشركين، والمجوس، على أنَّ هذا لم يكن كلُّ شيء في التطوُّر الحربيّ، بل نجد لوناً جديداً اخر، وهو ما كان يعرضه المجاهدون المسلمون على أعدائهم من: الإسلام، أو الجزية، أو المناجزة، ونتج عن تلك الفتوح سياسةٌ فذةٌ أرضت جميع الشُّعوب، إلا من كان في قلبه حقدٌ على العدل، والمساواة ممَّن كانت تحدِّثهم نفوسهم بالفتن، والعصيان، وهؤلاء اضطرُّوا المسلمين أحياناً إلى الشِّدَّة معهم، والتَّنكيل بهم[1].

3ـ بدء التَّجنيد الإلزامي في عهد عمر رضي الله عنه، واستمراره في عهد عثمان رضي الله عنه:

كانت معركة القادسيَّة من أسباب اتِّخاذ الفاروق لقرار التَّجنيد الإلزاميِّ، فقد أمر عمَّاله على الأقاليم بإحضار كلِّ فارسٍ ذي نجدةٍ، أو رأيٍ، أو فرسٍ، أو سلاحٍ، فإن جاء طائعاً، وإلا حشروه حشراً، وقادوه مقاداً، واستعجلهم في ذلك بحزمه المشهور قائلاً: لا تدعوا أحداً إلا وجهتموه إليَّ، والعَجَل، العَجَل[2]! وكان عمر يفكِّر في التَّجنيد الإلزاميِّ الموقوف للجهاد، فلمَّا دوَّن الدِّيوان، ورتَّب للمسلمين أرزاقهم السَّنويَّة ؛ خرجت فكرته إلى حيِّز الوجود، واقترنت نشأة الدِّيوان بنشأة التَّجنيد النظاميِّ الرَّسميِّ، وحُدِّدت للجنود النِّظاميين عطاياهم، ورواتبهم من بيت مال المسلمين، وعندما أذن عثمان لمعاوية بالغزو بحراً ؛ أمره أن يخيِّر النَّاس، ولا يكرههم، حتَّى لا يذهب أحد إلى هذا الضَّرب من الغزو إلا طائعاً

---

(1) البداية والنِّهاية (216/7) .
(2) عصر الخلفاء الرَّاشدين ، د . عبد الحميد بخيت ، ص(216) .

مختاراً، أمَّا التَّجنيد برّاً لإتمام حركة الفتوح فقد ظلَّ في عهده إلزاميّاً على أصـحاب الرَّواتب، والأرزاق من الجنود النِّظاميين[1] .

4. اهتمام عثمان بحدود الدَّولة الإسلاميَّة:

ترتَّب على توسُّع الدَّولة الإسلاميَّة في عهد عثمان رضي الله عنه الاستمرار في سياسة تحصين الثُّغور للحفاظ على حدود الدَّولة الإسلاميَّة من مهاجمة الأعداء سواءٌ كان ذلك بشحنها بالجند المرابطين، أو بناء الحاميات الدِّفاعية المختلفة بها، فكان أوَّل كتابٍ كتبه عثمان بن عفَّان رضي الله عنه في خلافته لأمراء الأجناد في الثُّغور لحماية حدود الدَّولة الإسلاميَّة قوله: أمَّا بعد: فإنَّكم حماة المسلمين، وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنَّا، بل كان على ملأ منَّا، ولا يبلغني عن أحدٍ منكم تغييرٌ، ولا تبديلٌ فيغيِّر الله ما بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإنِّي أنظر فيما أكرمني الله النَّظر فيه، والقيام عليه[2] .

وتسهيلاً، وتيسيراً للعمليَّة الإداريَّة جمع الخليفة عثمان رضي الله عنه لمعاوية ابن أبي سفيان الشَّام، والجزيرة، وولاية ثغورهما في إدارة موحَّدةٍ، وكلَّفه بغزو ثغر شمشاط بنفسه، أو أن يولِّي ذلك من يرتضيه من كبار قواده من أصحاب الخبرة، والشَّجاعة الرَّاغبين في الجهاد، والحرب مع الرُّوم[3]، كما كتب أيضاً لمعاوية بن أبي سفيان أن يُلزم ثغر أنطاكية قوماً، وأن يقطعهم القطائع به، ففعل ذلك[4].

---

[1] إتمام الوفاء ، ص(70) .
[2] النُّظم الإسلاميَّة ، لصبحي الصالح ، ص(489) .
[3] تاريخ الطَّبري (244/5) .
[4] الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (466/2) .

وكان رضي الله عنه يهتمُّ بأمر الثُّغور، ويبعث مَنْ يستعلم له عن بعضها[1]، وعندما غزا معاوية بن أبي سفيان عمُّورية، وجد الحصون الّتي فيها بين ثغر أنطاكية، وثغر طرسوس خاليةً من مقاتلة الرُّوم، فجعل بها جماعةً من جند الشَّام، والجزيرة، وقنَّسرين، وأمرهم بالوقوف عندها لتحمي ظهره أثناء انسحابه وانصرافه من غزواته، ثمَّ أغزى بعد ذلك بسنةٍ، أو سنتين يزيد بن الحرِّ العبسيَّ[2] الصَّائفة، وأمره بفعل الشيء نفسه، وكانت ولاة الصَّوائف، والشَّواتي إذا دخلوا بلاد الرُّوم، فعلوا ذلك حيث يخلِّفون بها جنداً كثيفاً إلى خروجهم من أرض العدوِّ[3]، وقد أبلى معاوية بن أبي سفيان في أثناء إدارته للسَّواحل الشَّامية، وفي تحصينها بلاءً حسناً[4].

وكتب عثمان رضي الله عنه لعبد الله بن سعد بن أبي السَّرح يأمره بالحفاظ على ثغر الإسكندرية بإلزام الجند المرابطة به، وأن يجري عليهم أرزاقهم، وأن يعقِّب بين المرابطين من أجل: أنَّه لا يضرُّ بهم التَّجمير، فقال له: قد علمت كيف كان همُّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب بالإسكندرية، وقد نقضت الرُّوم مرَّتين، فألْزم الإسكندرية مرابطيها، ثمَّ أجر عليهم أرزاقهم، وأعقب بينهم في كلِّ ستَّة أشهر[5] وكان من عادة قادة الخليفة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه إذا تقدَّموا في الفتوح، واستولوا على حصون العدوِّ ؛ قاموا بترميمها كمن سبقهم من القادة، ثمَّ إسكانها جند المسلمين من المرابطين بالإضافة إلى استحداثهم لتحصيناتٍ دفاعيَّةٍ جديدةٍ،

---

(1) فتوح البلدان (175/1) .
(2) الخراج لابن قدامة ، ص(413) .
(3) الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (467/2) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .
(5) المصدر السَّابق نفسه .

فمن تلك الحصون الّتي قام بترميمها معاوية بن أبي سفيان حصون الفرات، وهي: سميساط[1]، وملطية[2]، وشمشاط، وكمخ[3]، وقاليقلا[4]، وهي حصونٌ استولى عليها المسلمون عند فتحهم لأرمينية في عهد عثمان رضي الله عنه وقاموا بترميمها، وإسكانها الجند[5] .

ففي قاليقلا قام القائد حبيب بن مسلمة الفهريُّ بإسكان ألفي رجلٍ، وأقطعهم بها القطائع، وجعلهم مرابطين بها[6]، وقد كلَّف الخليفة عثمان رضي الله عنه القائد حبيب بن مسلمة بأن يقيم بثغور الشَّام، والجزيرة لإدارتها، وحمايتها[7]، وعندما فتح البراء بن عازبٍ رضي الله عنه ثغر قزوين ؛ رتَّب فيهم خمسمئة رجلٍ من جند المسلمين، وعيَّن عليهم قائداً، وأقطعهم أرضاً، وضياعاً لاحقَّ فيها لأحد، فعمَّروا، وأجروا أنهارها، وحفروا ابارها[8]، وحين فتح سعيد بن العاص طميسة[9] ؛ جعل بها مرابطةً من ألفي رجلٍ، وعيَّن عليهم قائداً[10]، إلى غير ذلك من التَّحصينات الّتي أنشئت بالثُّغور في إدارة الخليفة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه والّتي كانت تشحن بالجند لحماية حدود الدَّولة الإسلامية[11].

وعُني الخليفة عثمان رضي الله عنه في إدارته بأمر الصَّوائف، والشَّواتي، حيث عمل على تسييرها، وتسهيل أمرها في كلِّ عامٍ، وكان يتولاها كبار قادته، وولاته،

[1] فتوح مصر ، ص(192) .
[2] سميساط: مدينة على شاطأى الفرات في طرف بلاد الرُّوم على غربي الفرات .
[3] ملطية: من بلاد الرُّوم مشهورةٌ مذكورةٌ تتاخم الشَّام ، وهي للمسلمين .
[4] كمخ: مدينة بالرُّوم بينها وبين أرزنجان يومٌ واحد . معجم البلدان (479/4) .
[5] قاليقلا: بأرمينية العظمى من نواحي خلاط ، ثمَّ من نواحي مازجرد .
[6] من تاريخ التحصينات ، لمحمد عبد الهادي ، ص(434) .
[7] فتوح البلدان (234/1) .
[8] المصدر السَّابق نفسه ، ص(241/1) .
[9] الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (469/2) .
[10] طميسة: بلدة من سهول طبرستان .
[11] الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (469/2) .

أمثال معاوية بن أبي ســـفيان رضـــي الله عنه الّذي بنى جســـراً بمنبج[1]، لمرور الصَّوائف عليه، فلم يكن قبل إذ . وقد فوَّض عثمان رضي الله عنه واليه معاوية في غزو الرُّوم، وتولِّي قيادة الصَّـائفة من يختاره، فولَّى معاوية سـفيان بن عوف الّذي لم يزل على الصَّوائف في عهد عثمان رضي الله عنه . ولم تقتصر حملات الصَّوائف، والشَّـــواتي على الحدود البريَّة، بل شملت كذلك البحر في عهد عثمان رضـــي الله عنه[2] .

5. قسمة الغنائم بين أهل الشَّام والعراق:

استطاع حبيب بن مسلمة أن يهزم الرُّوم في أرمينية قبل وصول مدد الوليد بن عقبة من الكوفة، وغنم أهل الشَّـــام غنائم كثيرةً، وبعد وصـــول مدد أهل الكوفة اختلفوا في أمر الغنائم ممَّا جعل حبيباً يكتب بذلك إلى معاوية، فكتب معاوية إلى الخليفة عثمان رضـــي الله عنه يخبره بذلك، فحكم عثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه على أهل الشَّـام أن يقاسموا أهل العراق ما غنموا من تلك الغنائم، فلمَّا ورد كتاب الخليفة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه على حبيب بن مسلمة قرأه على جند أهل الشَّـــام، فقالوا: السَّـــمع، والطَّاعة لأمير المؤمنين، ثمَّ إنَّهم قاسموا أهل العراق، وغنموا[3].

6. الحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدو:

في عهد عثمان رضي الله عنه استخلف عبد الله بن عامر على خراسان قيس

---

(1) المصدر السَّابق نفسه (470/2) .
(2) منبج: بلدٌ قديم .
(3) الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (470/2) .

بن الهيثم السُّــــلميَّ، حيث خرج منها فجمع (قارن) جمعاً كثيراً من ناحية الطبسين، وأهل بادغيس، وهراة، وقهستان، فأقبل في أربعين ألفاً، فاستشار قيس بن الهيثم عبد الله بن خازم قائلاً له: ما ترى ؟ قال: أرى أن تخلي البلاد، فإنِّي أميرها، ومعي عهد من ابن عامر: إذا كانت حرب بخراسان ؛ فأنا أميرها – وأخرج كتاباً قد افتعله عمداً – فكره قيس مشــــاغبته، وخلاه والبلاد[1]. أحبَّ قيس بن الهيثم بفعله هذا أن يجمع الكلمة بدلاً من تفريقها حتَّى لا يحدث الفشـل، والوهن للجنود، فتكون الهزيمة، وقد تمَّ النَّصر للمسلمين على الأعداء بحمد الله[2] .

7. شرط ما يحتاج إليه الجنود في بنود الصُّلح:

في عهد عثمان رضــي الله عنه زادت الفتوحات الإســلاميَّة اتســاعاً ممَّا جعل قادته يشــــترطون في بعض عهودهم للصُّـــلح بأن تكون من المواشــــي، والطَّعام، والشَّــراب لإعداد ما يحتاج إليه الجيش من زادٍ، وتموينٍ، وميرةٍ حتَّى تســاعدهم في فتوحاتهم، فلا يتكلَّفون عناء حمل الميرة من القيادة المركزيَّة، ويستغنون عن طلبها ؛ ليكونوا على الحرب أوفر، وعلى منازلة العدوِّ أقدر[3].

8 – جمع المعلومات عن الأعداء:

اســتمرَّت الفتوحات الإســلاميَّة في عهد الخليفة عثمان بن عفَّان رضــي الله عنه، وكان رضــي الله عنه يهتمُّ بالأخبار، ويتقصَّـاها بنفســه[4]، وسـار قادته على

---

[1] الفتوح ، ابن أعثم (341/1 ، 342) .
[2] الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (189/1) نقلاً عن تاريخ الطَّبري .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] تاريخ اليعقوبي (166/2 ، 167) .

منوال من سبقهم من القادة بالاعتناء بأمر العيون، وتقصِّي أخبار العدوِّ[1]، كما أنَّهم جعلوها شرطاً من شروط المعاهدات بينهم وبين المعاهدين، حيث طلبوا منهم بأن ينصحوا، وينذروا المسلمين بسير عدوِّهم إليهم، ومعاونتهم بأن يكونوا عليهم جواسيس، وإبلاغ المسلمين بتحرُّكاتهم.

9. عبد الرَّحمن بن ربيعة الباهليُّ من قادة الفتوح في عهد عثمان:

كان عبد الرحمن قائداً عَقَديّاً من الطِّراز الرَّفيع، وكان لتمسُّكه الشَّديد بعقيدته موضع ثقة رؤسائه ومرؤوسيه على حدٍّ سوء، بالإضافة إلى شجاعته، وإقدامه، وعلمه بأمور الدِّين ؛ لذلك بقي قائداً لمنطقة (باب الأبواب) ووالياً عليها منذ وفاة سُراقة بن عمرو حتَّى استُشهد، ولم يعزل من منصبه على الرَّغم من تبدُّل الخلفاء، وتغيُّر الولاة، والقادة في الكوفة مرجع عبد الرَّحمن المباشر، وكان عبد الرَّحمن يؤمن بوسائل حرب الفروسيَّة الشَّريفة، فلا يخون، ولا يغدر، ولا يضرب من الخلف[2]، وكان لسيرته الحسنة في منطقة (باب الأبواب) وجنوب بحر الخزر، وغربه أثرٌ أيُّ أثرٍ في استقرار الأمور، واستتباب الأمن، والنِّظام في تلك الرُّبوع، فأصبحت تلك المناطق قاعدةً أماميَّةً لنشر الإسلام، والفتح شمالاً، فثبت الإسلام في تلك الأصقاع النائية في وجه مختلف المحن، والتيَّارات منذ أربعة عشر قرناً حتَّى اليوم[3] .

ومن مواقفه الخالدة الَّتي سطَّرها على صفحات التَّاريخ، عندما خرج بالنَّاس

---

(1) الطَّبقات (59/3) .
(2) الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة (403/1) .
(3) المصدر السابق نفسه .

حتَّى قطع (الباب) فقال له الملك شـهريار: ماذا تريد أن تصـنع ؟ قال: أريد (بَلَنْجَر) والتُّرك . قال: إنَّا لنرضـى منهم أن يدعونا من دون (الباب)، قال عبد الرَّحمن: لكنَّا لا نرضـى منهم ذلك حتَّى نأتيهم في ديارهم . وتالله إنَّ معنا لأقواماً لو يأذن أميرنا في الإمعان ؛ لبلغت فيهم (الرَّدْم)[1]، قال الملك: وما هو ؟ فأجابه عبد الرَّحمن: أقوامٌ صـحبوا رسـول الله(ﷺ)، ودخلوا في هذا الأمر بنيَّةٍ، كانوا أصحاب حياءٍ، وتكرُّمٍ في الجاهليَّة، فازداد حياؤهم، وتكرُّمهم، فلا يزال هذا الأمر دائماً لهم، ولا يزال النَّصـر معهم حتَّى يغيِّرهم مَنْ يغلبهم، وحتَّى يلفتوا عن حالهم[2]، وقد غزا عبد الرَّحمن (بلنجر) غزاةً في زمن عمر بن الخطَّاب، فقال التُّرك: ما اجترأ علينا إلا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت، فهرب منه التُّرك، وتحصَّـنوا، فرجع بالغنيمة، والظَّفر، بعد أن بلغ بخيله (البيضـاء) على رأس مئتي فرسخٍ من (بلنجر)، وعادوا ولم يقتل منهم أحد[3].

ومن الواضـح: أنَّ معنويات المسـلمين كانت عاليةً جداً، لتتابع انتصـاراتهم، ولتمسُّـكهم بدينهم، كما أنَّ معنويات الأمم الّتي حاربوها كانت منهارةً ؛ لأنَّ المسلمين غلبوا الأمم الّتي قاتلوها، لذلك هرب الأتراك من المسلمين، وتحصَّنوا، فلم يحدث قتالٌ فعليٌّ في هذه الغزوة، فلم يسـقط من المسـلمين شـهيدٌ[4]، لقد كان عبد الرَّحمن بن ربيعة الباهليُّ على جانبٍ عظيمٍ من التَّقوى، والخُلق الكريم، وكان تصرُّفه مع المغلوبين له الأثر في استتباب الأمن، واستقرار النِّظام، وانتشار الإسلام، فقد كان وفيّاً غاية الوفاء، أميناً غاية الأمانة، فقد أرسـل ملك (الباب) رسـولاً

---

[1] قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ، ص(155) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(156) .
[3] الرّدم: قيل: سد الصِّين .
[4] الكامل لابن الأثير (29/3-30) . وتاريخ الطَّبري (146/5) .

إلى ملك (الصِّــين) مع هدايا – وذلك قبل أن يفتح المســلمون بلاده – فعاد رســوله من رحلته بعد فتح المســلمين لتلك البلاد، وكان مع الرَّســول العائد هدايا من ملك الصِّين، بينها ياقوتةٌ حمراء ثمينةٌ، وكان ملك (الباب) حين عودة رسوله في مجلس عبد الرَّحمن، فتناول الملك من رســوله تلك الياقوتة ثمَّ ناولها عبد الرَّحمن، ولكن عبد الرَّحمن ردَّها فوراً إلى الملك بعد أن نظر إليها، فهتف الملك متأثراً، وقال: « لهذه – يعني الياقوتة – خيرٌ من هذا البلد – أي باب الأبواب – وايم الله ! لأنتم أحبُّ إليَّ حكَّاماً من ال كسرى، فلو كنتُ في سلطانهم، ثمَّ بلغهم خبرها، لانتزعوها منِّي ! وايم الله ! لا يقوم لكم شيء ما وفيتم، وَوَفى ملككم الأكبر »[1].

كان من حق ملك مدينة (الباب) وما حولها أن يعجب أشــدَّ العجب، ويدهش أشدَّ الدهشة بأمانة القائد المسلم، ووفائه، فقد عاش هذا الملك عمره كلَّه في دوَّامة عنيفةٍ من الخيانة، وفي جوٍّ مشــحونٍ بالغدر، فلمَّا رأى أمانة المســلمين المثاليَّة، ووفاءهم المطلق، لم يتمالك نفسه أن نسي ملكه المضاع، وملوكه الغابرين، فعبَّر عن شــعوره بكلماتٍ خارجة من أعماق قلبه إعجاباً بما يرى، ويســمع من أمانةٍ، ووفاء[2].

كان عبد الرَّحمن يعلم: أنَّ الاستيلاء على الياقوتة الَّتي لا تقدَّر بثمنٍ ليس من حقِّه شخصيّاً ولا من حقِّ بيت مال المسلمين، فكانت تلك الياقوتة والتُّراب عنده سيَّان ؛ فقد كان عبد الرَّحمن كريماً، مضيافاً، شهماً، غيوراً، ورعاً، تقيّاً، متفقِّهاً في الدِّين ؛ لا يملك شيئاً من حطام الدُّنيا على الرَّغم من أنَّه قضى أكثر عمره غازياً،

---

[1] تاريخ الطَّبري (146/5) .
[2] قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ، ص(150) .

ووالياً، وقد استشهد في عام اثنتين وثلاثين للهجرة في منطقة (بلنجر)[1]، ويعتبر عبد الرَّحمن بن ربيعة الباهليُّ من قادة الفتح في عهد عثمان رضـــي الله عنه وقد كانت له صحبةٌ وقد أسلم متأخِّراً .

10. سلمان بن ربيعة الباهليُّ من قادة الفتوح في عهد عثمان:

كان هذا الصَّحابي الجليل أوَّل من قضى بالكوفة، فقد بعثه عمر بن الخطَّاب رضـي الله عنه قاضـياً بالكوفة قبل شُـرَيح، فلمَّا وِلِّي سـعد بن أبي وقاص الكوفة الولاية الثانية في أيَّام عثمان بن عفَّان ؛ اسـتقضـى سـلمان أيضـاً، وقد شـهد القادسيَّة، فقضى بها، ثم قضى بـــ(المدائن)، وليس كلُّ إنسان يصلح للقضاء خاصَّـة أيَّام عمر بن الخطَّاب رضـي الله عنه، أو يصـلح لأهل الكوفة الّتي كانت حينذاك تعجُّ برجالات العرب، وكبار الصَّحابة من جهةٍ، وبأخلاطٍ شتَّى من أممٍ، وأقوامٍ، وقبائل مختلفةٍ من جهةٍ أخرى، وهذا دليلٌ على غزارة علم سـلمان بالدِّين الحنيف، واسـتقامته، وعدله، وتديُّنه، وتمتُّعه بعقليَّةٍ راجحةٍ متّزنةٍ، وشـخصـيَّةٍ قويَّةٍ نافذةٍ، ممَّا جعله موضـع ثقة الناس جميعاً، كما أنَّهُ تولَّى المقاسـم في فتح (المدائن) وفي غزوة (الباب) أيضـاً، ممَّا يدلُّ على تمتُّعه بالنَّزاهة المطلقة، كان رجلاً صـالحاً، يحجُّ كل سنةٍ، روى عنه بعض كبار التَّابعين، وكان مثالاً نادراً للخُلق القويم: كريماً، مضـيافاً، شـهماً، غيوراً، وفيّاً صـادقاً، محبّاً للخير، يحبُّ للناس ما يحبُّه لنفسـه، ولم يترك حين اسـتشـهاده ديناراً، ولا داراً، بعد أن عاش كلَّ حياته مجاهداً، وقاضـياً، وأميراً . وكان متفوّقاً على زملائه في الصِّـــفات القياديَّة، فعندما بعث عثمان بن

---

[1] تاريخ الطَّبري (148/5) .

عفَّان رضي الله عنه كتاباً إلى الوليد بن عقبة عامله على الكوفة، يأمره به أن يرسل نجدةً من أهل الكوفة إلى أهل الشَّام بقيادة رجلٍ ممَّن ترضى نجدته، وبأسه، وشجاعته، وإسلامه، لم يتردَّد الوليد لحظةً في اختيار سلمان لهذا الواجب البالغ الخطورة، فاختاره من بين عددٍ كبيرٍ من القادة أصحاب الفتوح، والأيَّام الّذين كانوا معه، أو كانوا في الكوفة، ذلك لأنَّ سلمان كان حقّاً مثالاً رائعاً من أمثلة النَّجدة، والبأس، والشَّجاعة بالإضافة إلى ورعه وتقواه، لقد كان شجاعاً مقداماً سريعاً إلى النَّجدة، خبيراً بفنون الحرب ؛ لممارسته الطَّويلة لها، وله تجارب طويلةٌ في قيادة الرِّجال، وكان أبصر بالمضارب من الجازر بمفاصل الجزور[1]، ممَّا يدلُّ على أنَّه كان من الرُّماة الماهرين، وكان ماهراً في الفروسيَّة، خبيراً بالخيل، وكان يلي الخيل لعمر ابن الخطَّاب رضي الله عنه، وكان عمر قد أعدَّ في كلِّ مصرٍ من أمصار المسلمين خيلاً كثيرةً معدَّةً للجهاد، وكان في الكوفة أربعة الاف فرس، فإذا داهم العدو الثُّغور الإسلاميَّة ؛ ركبها المسلمون المجاهدون، وساروا مجدِّين لقتاله[2]، وكان سلمان يتولَّى الخيل بالكوفة[3] .

وكان شجاعاً في فروسيَّةٍ، قال سلمان: « قتلت بسيفي هذا مئة مستلئمٍ[4]، كلُّهم يعبد غير الله، ما قتلت رجلاً منهم صبراً » .

إنَّه لا يقتل حتَّى عدوَّه الكافر بالله – الّذي يعبد غير الله – لا يقتله في ساحة القتال صبراً، بل يُنذره، ثمَّ يصاوله مصاولة الأنداد، ويقتله عندما يجد فرصة لقتله،

---

(1) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ، ص(154) .
(2) المصدر السابق نفسه .
(3) تهذيب ابن عساكر (210/6) . وتاريخ الطَّبري (309/5) .
(4) قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ، ص(169) .

فلا يكون هذا القتل غدراً، ولا يكون صبراً[1]، لقد كان مثالاً للمجاهد الصَّادق، المحتسب ؛ الّذي يجاهد لتكون كلمة الله هي العليا، لا يبالي على أيّ جنب كان في الله مصرعه، وأخيراً سقط مضرجاً بدمائه ولم يسقط السَّيف من يده، إنَّه قدوةٌ حسنةٌ لكلِّ جنديٍّ، ولكلِّ قائدٍ في ماضيه المشرِّف المجيد، وفي أعماله الفذَّة الخالدة[2]. هذا ؛ وقد استشهد سنة اثنتين وثلاثين هجريَّة، أو سنة ثلاثٍ وثلاثين هجريَّة[3]، « الفقيه المحدِّث، القاضي العادل، الأمين النزيه، الإداريُّ الحازم، الفارس المغوار، البطل الشَّهيد، القائد الفاتح سلمان بن ربيعة الباهليُّ »[4].

11. حبيب بن مَسلمة الفهريُّ من قادة الفتوح في عهد عثمان:

كان حبيب على صغر سنِّه يتنقل من ساحة عملياتٍ إلى ساحة عملياتٍ أخرى، فاتحاً مرَّةً، ومدداً مرَّةً أخرى، وكان النَّصر حليفه في كلِّ معركة خاضها، قدم على النَّبيّ(ﷺ) وهو بالمدينة غازياً، وكان يومئذ صغيراً، وشهد غزوة تبوك تحت لواء الرَّسول – عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام – وبهذه الغزوة بدأ جهاده، وهو يناهز العشرين من عمره القصير[5]، وحين راه عمر بن الخطَّاب صلب العود، وقويَّ البدن، جرَّبه تجربةً عمليَّةً ليرى أيَّ نوعٍ من الرجال هو، فعرض عليه خزائن المال، وخزائن السِّلاح، فاختار السِّلاح، وعفَّ عن المال، وتفضيل السِّلاح على المال من مزايا القائد الّذي يتغلغل حبُّ الجنديَّة في أعماق نفسه، وقد تولَّى قيادة كردوس في معركة (اليرموك) الحاسمة وهو ابن أربع وعشرين سنةً، ممَّا يدلُّ على

[1] أسد الغابة (327/2) .
[2] المستلئم: الجندي الَّذي لبس عدَّته وأصبح جاهزاً للقتال .
[3] الاستيعاب (633/2) .
[4] قادة الفتح الإسلامي في أرمينية ، ص(170) .
[5] المصدر السَّابق نفسه ، ص(171).

ظهور سماته القيادية مبكِّراً، وهو في ريعان الشَّباب، وولاه عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه عجم (الجزيرة) إداريّاً، وقائداً، وليس من السَّهل أن يوِلِّي عمر كلَّ إنسان مثل هذا المنصـب الرَّفيع ؛ لأنَّ عمر كان يلتزم بصـفاتٍ معيَّنةٍ في القائد قلَّ أن تتوفَّر في الرِّجـال، وأخيراً ولاه عمر بن الخطَّـاب رضـي الله عنـه (أرمينيـة) و(أذربيجان)، وهي مناطق شـاسـعةٌ، وقيادة مهمَّةٌ للغاية ؛ نظراً لشـدَّة شـكيمة أهلها، ولبعدها عن قواعد المسلمين الرَّئيسية، والمتقدِّمة[1]، ومارس القيادة والإدارة في عهد عثمان رضـي الله عنه، ولقد كان شـجاعاً غاية الشَّـجاعة، مقداماً غاية الإقدام: لما توجه لقتال (الموريان) كان في سـتَّة الافٍ، وكان (الموريان) في سبعين ألفاً، فقال حبيب لمن معه: إن يصبروا، وتصبروا فأنتم أولى بالله منهم، وإن يصـبروا وتجزعوا فإنَّ الله مع الصَّـابرين، ولقيهم ليلاً، فقال: الّلهمَّ جَلِّ لنا قمرها، واحبس عنَّا مطرها، واحقن دماء أصحابي، واكتبهم شهداء ! ففتح الله له[2].

فكان من أسباب انتصـاره على عدوِّه بالإضـافة إلى عامل الإيمان هو الهجوم اللَّيلي؛ الّذي باغت به العدوَّ، وجعل معنوياته تنهـار، ثمَّ يوِلِّي الأدبار[3]، وكـان مثالاً شخصيّاً حيّاً لرجاله من الشَّجاعة، والإقدام، فقد كان يقود رجاله من الأمام . يقول لهم: اتَّبعوني، ولا يبقى في الخطوط الخلفيَّة مؤثراً السَّـلامة، والعافية، وحين عزم أن يُبيِّت (الموريان) سمعته امرأته يذكر ذلك، فقالت له: وأين الموعد ؟ فقال: سـرادق موريان، أو الجنَّة . وَبيَّت حبيب عدوَّه، وقتل من صـادفه في طريقه؛ فلمَّا أتى السُّرادق ؛ وجد امرأته قد سبقته إليها[4]، فلم يكن وحده بطلاً يضرب لرجاله

---

[1] كان عمره يوم تولَّى منصب قيادة منطقة الجزيرة وإدارتها (28) سنة .
[2] تولى (أرمينية) و(أذربيجان) وعمره ثلاثٌ وثلاثون سنة .
[3] تهذيب ابن عساكر (37/4) .
[4] قادة الفتح الإسلاميّ في أرمينية ، ص(189) .

بأعماله البطوليَّة أروع الأمثال، بل كانت امرأته بطلةً يقتفي الأبطال اثارها في التَّضحية، والفداء[1].

وكان يستشير رجاله، ويتقبَّل مشورتهم، وكان لا يستأثر بالرَّأي دونهم، بل كان يتنصَّت، ليتلقَّف اراء رجاله، ويطبِّق ما راه حسناً، وينفِّذ ما يجده صواباً، بالإضافة إلى عقد مؤتمرات الشُّــــورى قبل المعارك، وفي أثنائها، وبعدها، فقد سمع يوماً أحد رجاله يقول: لو كنت ممَّن يسمع حبيبٌ مشورته ؛ لأشرت عليه بأمرٍ يجعل الله فيه لنا، وله نصــراً، وفرجاً إن شــاء الله، واســتمع حبيب لقوله، فقال أصــحابه: وما مشـورتك؟ فقال: أشـير عليه أن ينادي بالخيول، فيقدِّمها، ثمَّ يرتحل بعسكره فيتبع خيله، وتوافيه الخيل في جوف الليل وينشب القتال، ويأتيهم حبيب بسواد عسكره مع الفجر، فيظنُّون أنَّ المدد قد جاءهم، فيرعبهم الله، فيهزمهم بالرُّعب[2]، ونادى حبيب بالخيول، فوجَّهها بليلة مقمرةٍ مطيرةٍ، ثمَّ ارتحل وراء خيوله، ولكنَّه عاد إلى عدوِّه في السَّحر، فحمل، وحمل أصحابه، فانهزم العدوُّ، وأصابوا غنائم كثيرةً[3].

كان حبيب صاحب كيد، يفكِّر، ويُقدِّر، ثمَّ يستشير رجاله، ويستطلع ساحة القتال، ويحصــل على المعلومات المســتفيضــة عن العدوِّ، ثمَّ يبني بعد ذلك خطَّته العسكريَّة على هدىً وبصيرةٍ .

إنَّ أعمال حبيب الجهادية خططٌ مدبَّرةٌ، ولم تكن خططاً ارتجاليَّة، لذلك رافق النَّصـرُ أعلامَه في أخطر سـاحات القتال في الفتح، وبالإضـافة إلى تلك المزايا، أو

---

[1] المصدر السابق نفسه .
[2] المصدر السابق نفسه .
[3] تهذيب ابن عساكر (37/4) .

قبلها كان حبيب مؤمناً حقّاً صادق الإيمان، وكان إذا لقي عدوّاً، أو ناهض حصناً يحبُّ أن يقول: لا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم[1].

لقد كان حبيب قائداً فذّاً، جمع مزايا القائد الفذِّ: الطَّبع الموهب، والعلم المكتسب، والتَّجربة العمليَّة[2]، والثِّقة بالله القويِّ العزيز .

إنَّ حبيب بن مسلمة أسدى للفتح الإسلاميِّ خدماتٍ لا تُنسى، فهو بدون شكٍّ من ألمع قادة الفتوح في عهد عثمان رضي الله عنه وقد توفِّي هذا القائد الفذُّ سنة اثنتين وأربعين هجريَّة، فكان عمره يوم توفي أربعاً وخمسين سنة قمريَّةً، وكانت حياته قليلة في تعداد السَّنوات، كثيرةً في تعداد جلائل الأعمال، قصيرةً في عمر الزَّمن، باقيةً اثارها على مرِّ الدُّهور وتوالي السِّنين والقرون، رضي الله عن الصَّحابيِّ الجليل، الإداريِّ الحازم، السِّياسيِّ، المحنَّك القائد الفاتح حبيب بن مسلمة الفِهريّ[3]

* * *

(1) قادة الفتح الإسلاميِّ في أرمينية ، ص(190) .
(2) تهذيب ابن عساكر (37/4) .
(3) قادة الفتح الإسلاميِّ في أرمينية ، ص(192) .

المبحث الرَّابع : أعظم مفاخر عثمان جمعُ الأمَّة على مصحفٍ واحدٍ

أولاً: المراحل الّتي مرَّت بها كتابة القران الكريم:

1. المرحلة الأولى: في العهد النَّبويّ:

ثبت بالدَّليل القاطع: أنَّ رسول الله(ﷺ) كان يأمر بكتابة القران ؛ الّذي ينزل عليه، وثبت: أنَّه كان له كاتبٌ، أو كُتَّاب يكتبون الوحي، حتَّى شُـــهر زيد بن ثابتٍ بلقب (كاتب النَّبيّ(ﷺ) لاختصاصه بكتابة الوحي) . وبوَّب البخاريُّ في كتاب (فضائل القران) (باب كتَّاب النَّبيّ(ﷺ)) وذكر فيه حديثين:

الأوَّل: أنَّ أبا بكرٍ رضـي الله عنه قال لزيد: إنَّك كنت تكتب الوحي لرسـول الله(ﷺ)[1] .

والثاني: عن البراء، قال: لما نزلت ﴿لاَ يَسْـــتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ **[النساء: 95]** قال النَّبيّ(ﷺ): « ادعُ لي زيداً، وليجأى باللَّوح، والدَّواة، والكتف، أو الكتف، والدَّواة »[2]وكان النَّبيّ(ﷺ) يكتب القران في مكَّة أيضـاً قبل الهجرة، وممَّن كتب له عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح، ثمَّ ارتدَّ، ثمَّ أسلم عام الفتح، وله في ذلك قصَّـة مشـهورةٌ - قد ذكرتها - والمعروف أنَّ الخلفاء الرَّاشـدين الأربعة كانوا كتبةً، فلعلَّهم كانوا يكتبون القران في مكَّة، وممَّا يدلُّ على أنَّ القران كان مكتوباً في مكَّة قصَّة إسلام عمر بن الخطَّاب، ودخوله على أخته، وبيدها صحيفةٌ فيها

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(187) .
[2] البخاريُّ ، كتاب فضائل القران ، رقم (4986) .

ســـورة طه، وقد أعلم الله تعالى في القران الكريم بأنَّه – أي: القران – مجموعٌ في الصُّحف في قوله تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً *﴾ **[البينة: 2] .**

وقد توفِّي رسـول الله(ﷺ)، والقران كلُّه مكتوبٌ، لكنَّه غير مجموعٍ في موضـعٍ واحدٍ . وكان مكتوباً على العُسُـب، واللِّخاف، ومحفوظاً في صـدور الرِّجال، ومع حفظه في الصُّـحف، وفي الصُّـدور كان جبريل يعرض القران على النَّبيِّ(ﷺ) كلَّ عامٍ مرَّةً، فعرض عليه مرَّتين في العام الّذي قُبض فيه[1] . ويحتمل: أنَّ النَّبيِّ(ﷺ) لم يجمع القران في مصـحفٍ ؛ لما كان يترقَّبه من ورود ناسـخٍ لبعض أحكامه، أو تلاوته، فلمَّا انقضـى نزوله بوفاته(ﷺ) ؛ ألهم الله الخلفاء الراشـدين ذلك، وفاءً لوعده الصَّادق بضمان حفظه على هذه الأمَّة المحمَّدية[2] .

2. المرحلة الثَّانية: في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

كان من ضـمن شـهداء المسـلمين في حرب اليمامة كثيرٌ من حفظة القران، وقد نتج عن ذلك أن قام أبو بكر رضـي الله عنه بمشـورة عمر بن الخطَّاب رضـي الله عنه بجمع القران ؛ حيث جُمع من الرِّقاع، والعظام، والسَّـعف، ومن صـدور الرِّجال[3]، وأسـند الصِّـدِّيق هذا العمل العظيم إلى الصَّـحابيِّ الجليل زيد بن ثابت الأنصـاريِّ رضـي الله عنه، يروي زيدُ بن ثابتٍ رضـي الله عنه فيقول: بعث إليَّ أبو بكرٍ رضـي الله عنه لمقتل أهل اليمامة[4]، فإذا عمر بن الخطَّاب عنده، قال أبو

---

[1] المصدر السابق نفسه ، كتاب تفسير القران ، رقم (4593) .
[2] المصدر السابق نفسه ، كتاب فضائل القران ، رقم (4998) .
[3] المدينة النبويَّة فجر الإسلام ، والعصر الرَّاشدي ، ص(240) نقلاً عن فتح الباري (12/9) .
[4] حروب الردَّة وبناء الدَّولة الإسلاميَّة ، لأحمد سعيد ، ص(145) .

بكر رضي الله عنه: إنَّ عمر أتاني، فقال: إنَّ القتل قد استحرّ[1] يوم اليمامة بقرَّاء القران، وإنِّي أخشى أن يستحرَّ القتل بالقرَّاء في المواطن[2] كلِّها، فيذهب كثيرٌ من القران، وإنِّي أرى أن تأمر بجمع القران . قلت لعمر: كيف أفعل شـــيئاً لم يفعله رســول الله(ﷺ)[3] ؟ ! ! فقال عمر: هذا واللهخير ! فلم يزل عمر يراجعني حتَّى شرح الله صدري لِلَّذي شرح له صدر عمر، ورأيت في ذلك الّذي رأى عمر . قال زيد: قال أبو بكر: وإنَّك رجلٌ شـــابٌّ عاقلٌ، ولا نتَّهمك[4]، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله(ﷺ)، فتتبَّع القران، فاجمعه[5] .

قال زيد: فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليَّ ممَّا كلَّفني به من جمع القران! فتتبَّعت القران من العُسُبِ[6]، واللِّخاف[7]، وصدور الرِّجال، والرِّقاع، والأكتاف[8]. قال: حتَّى وجدت اخر ســـورة التَّوبة مع أبي خزيمة الأنصاريِّ، لم أجدها مع أحدٍ غيره . ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ **[التوبة: 128]** حتَّى خاتمة براءة، وكانت الصُّـــحف عند أبي بكر في حياته حتَّى توفَّاه الله، ثمَّ عمر في حياته حتَّى توفَّاه الله، ثمَّ عند حفصة بنت عمر، رضي الله عنهم[9] .

---

(1) يعني: وقعة يوم اليمامة ضد مسيلمة الكذَّاب ، وأعوانه .
(2) استحرَّ: كثر واشتدَّ .
(3) أي: في الأماكن الَّتي يقع فيها القتال مع الكفَّار .
(4) يحتمل أن يكون إنَّما لم يجمع القران في المصحف .
(5) هذه الصِّفات الَّتي جعلت زيداً يتقدَّم على غيره في هذا العمل .
(6) أي: من الأشياء الَّتي عندك ، وعند غيرك .
(7) العُسُب: هو جريد النَّخيل .
(8) اللِّخاف: جمع لخفة ، وهي صفائح الحجارة .
(9) الرِّقاع: جمع رقعة ، وهي قطع الجلود ، الأكتاف: جمع كتف ، وهو العظم الذي للبعير ، أو الشَّاة .

ونستخلص من المرحلة الثانية في جمع القران بعض النتائج:

أنَّ جمع القران الكريم جاء نتيجة الخوف على ضياعه ؛ نظراً لموت العديد من القرَّاء في حروب الردَّة، وهذا يدلُّ على أنَّ القرَّاء، والعلماء كانوا وقتئذٍ أسرع النَّاس إلى العمل، والجهاد لرفع شأن الإسلام، والمسلمين بأفكارهم، وسلوكهم، وسيوفهم، فكانوا خير أمَّةٍ أخرجت للنَّاس ينبغي الاقتداء بهم لكلِّ مَنْ جاء بعدهم .

ـــ أنَّ جمع القران تمَّ بناءً على المصلحة المرسلة، ولا أدلَّ على ذلك من قول عمر لأبي بكر حين سأله: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله(ﷺ) ؟: إنَّه خير، وفي بعض الرِّوايات: أنه قال له: إنَّه والله خيرٌ، ومصلحةٌ للمسلمين، وهو نفس ما أجاب به أبو بكرٍ زيدَ بن ثابتٍ حين سأل نفس السُّؤال . وسواءٌ صحَّت الرِّواية الّتي جاء فيها لفظ المصلحة، أو لم تصحَّ ؛ فإنَّ التَّعبير بكلمة « خير » يفيد نفس المعنى، وهو مصلحة المسلمين في جمع القران، مبنيّاً على المصلحة المرسلة أوَّل الأمر، ثمَّ انعقد الإجماع على ذلك بعد أن وافق الجميع بالإقرار الصَّريح، أو الضمنيِّ، وهذا يدلُّ على أنَّ المصلحة المرسلة يصحُّ أن تكون سنداً للإجماع بالنِّسبة إلى مَنْ يقول بحجِّيتها كما هو مقرَّرٌ في كتب أصول الفقه .

ـ وقد اتَّضح لنا من هذه الواقعة كذلك كيف كان الصَّحابة يجتهدون في جوٍّ من الهدوء يسوده الودُّ، والاحترام، هدفهم الوصول إلى ما يحقِّق الصَّالح العامّ لجماعة المسلمين، وأنَّهم كانوا ينقادون إلى الرَّأي الصَّحيح، وتنشرح قلوبهم له بعد الإقناع، والاقتناع، فإذا اقتنعوا بالرَّأي دافعوا عنه كما لو كان رأيهم منذ البداية،

وبهذه الرُّوح أمكن انعقاد إجماعهم حول العديد من الأحكام الاجتهاديَّة[1] .

ما المقوِّمات الأساسيَّة لزيد بن ثابتٍ للقيام بهذه المهمَّة ؟

اختار أبو بكر رضـــي الله عنه زيد بن ثابتٍ لهذه المهمَّة العظيمة، وذلك لأنَّه رأى فيه المقوِّمات الأساسيَّة للقيام بها، وهي:

أ – كونه شابّاً، حيث كان عمره 21 سنةً، فيكون أنشط، لما يُطلب منه .

ب – كونه أكثر تأهيلاً، فيكون أوعى له؛ إذ مَنْ وهبه الله عقلاً راجحاً، فقد يسَّر له سبيل الخير.

ج – كونه ثقةً، فليس هو موضـــعاً للتُّهمة، فيكون عمله مقبولاً، وتركن إليه النَّفس، ويطمئن إليه القلب .

د – كونه كاتباً للوحي، فهو بذلك ذو خبرةٍ ســـابقةٍ في هذا الأمر، وممارســـةٍ عمليَّةٍ له، فليس غريباً عن هذا العمل، ولا دخيلاً عليه[2] .

هـ ويضاف لذلك أنَّه أحد الأربعة الّذين جمعوا القران على عهد النَّبيّ(ﷺ)، فعن قتادة، قال: سـألت أنس بن مالك رضـي الله عنه: مَنْ جمع القران على عهد النَّبيّ(ﷺ) ؟ قال: أربعةٌ كلُّهم من الأنصـــار: أبيُّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيدُ بن ثابتٍ، وأبو زيد[3]، وأمَّا الطَّريقة الّتي اتَّبعها زيدٌ في جمع القران، فكان لا يُثْبِتُ شـيئاً من القران إلا إذا كان مكتوباً بين يدي النَّبيّ(ﷺ)، ومحفوظاً من الصَّـحابة،

---

[1] البخاريُّ ، رقم (4986) .
[2] الاجتهاد في الفقه الإسلاميّ ، عبد السَّلام السُّليمانيُّ ، ص(127) .
[3] التفوُّق والنَّجابة على نهج الصَّحابة ، حمد العجمي ، ص(73) .

فكان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة، خشـية أن يكون في الحفظ خطأٌ، أو وهمٌ، وأيضاً لم يقبل من أحدٍ شيئاً جاء به إلا إذا أتى معه شاهدان يشهدان: أنَّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رســول الله(ﷺ)، وأنَّه من الوجوه الَّتي نزل بها القران[1]، وعلى هذا المنهج استمرَّ زيدٌ رضـي الله عنه في جمع القران حَذِراً، متثبِّتاً، مبالغاً في الدِّقَّة والتَّحرِّي[2].

الفرق بين المكتوب في العهد النبوي، وعهد الصدِّيق:

الفرق بين المكتوب في العهد النَّبويِّ، وما كتب في عهد أبي بكرٍ: أنَّ القران كان مكتوباً في العهد النَّبويِّ، مفرَّقاً في الصُّحف، والألواح، والعُسُب، والكرانيف، والقصب، وأدواتٍ أخرى، ولم تكن مجموعةُ سوره في خيطٍ واحدٍ .. وأمَّا الَّذي تمَّ في أيام أبي بكرٍ، فهو كتابة القران في صـحفٍ، كلُّ سـورةٍ، أو سـورٍ في صـحيفةٍ مرتَّبةٍ اياتُه على ما حفظوه عن رسـول الله(ﷺ)، فكانت مهمَّة زيد بن ثابت، أن يكتب ما كان مكتوباً في العهد النَّبويِّ في صـحفٍ، كلُّ سـورةٍ في صـحيفةٍ مرتَّبةٌ فيها الايات ترتيباً توقيفيّاً[3].

3ـ المرحلة الثَّالثة في جمع القران: في عهد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه:

الباعث على جمع القران في عهد عثمان:

عن أنس بن مالك رضــــي الله عنه: أنَّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان

---

(1) سير أعلام النُّبلاء (431/2) .
(2) التفوُّق والنَّجابة على نهج الصَّحابة ، حمد العجمي ، ص(74) .
(3) الانشراح ورفع الضِّيق بسيرة أبي بكرٍ الصِّدِّيق ، ص(306) .

رضـي الله عنه وكان يُغازي أهل الشَّـام في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الأمَّة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنَّصـارى ! فأرسـل عثمان إلى حفصـة أن أرسـلي إلينا بالصُّـحف ننسـخُها في المصـاحف ثمَّ نردُّها إليك، فأرسـلت بها حفصـة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزُّبير، وسـعيد بن العاص، وعبد الرَّحمن بن الحارث بن هشـام رضـي الله عنهم فنسـخوها في المصاحف .

وقال عثمان للرَّهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القران ؛ فاكتبوه بلسـان قريش، فإنَّما نزل بلسـانهم، ففعلوا، حتَّى إذا نسـخوا الصُّحف في المصاحف ؛ ردَّ عثمان رضي الله عنه الصُّحف إلى حفصة، فأرسل إلى كُلِّ أفقٍ بمصـحفٍ ممَّا نسـخوا، وأمر بما سـواه من القران في كلِّ صـحيفةٍ، أو مصحف أن يُحرق[1].

ويؤخذ من هذا الحديث الصَّحيح أمورٌ منها:

أ - أنَّ السَّـبب الحامل لعثمان رضـي الله عنه على جمع القران مع أنَّه كان مجموعاً، مرتَّباً في صـحف أبي بكر الصِّـدِّيق، إنَّما هو اختلاف قرَّاء المسـلمين في القراءة اختلافاً أوشك أن يؤدِّي بهم إلى أخطر فتنةٍ في كتاب الله تعالى، وهو أصل الشَّريعة، ودعامة الدِّين، وأساس بناء الأمَّة الاجتماعيّ، والسِّياسيّ، والخُلُقيّ، حتَّى إنَّ بعضـهم كان يقول لبعضٍ: إن قراءتي خيرٌ من قراءتك، فأفزع ذلك حذيفةَ،

[1] المدينة فجر الإسلام والعصر الرَّاشدي (241/2) .

ففزع فيه إلى خليفة المسـلمين، وإمامهم، وطلب إليه أن يدرك الأمَّة قبل أن تختلف، فيستشري بينهم الاختلاف، ويتفاقم أمره، ويعظم خطبه، فيُمَسَّ نصُّ القران، وتُحرَّف عن مواضعها كلماتُه، واياتُه، كالّذي وقع بين اليهود، والنَّصارى من اختلاف كلِّ أمةٍ على نفسها في كتابها .

ب – أنَّ هذا الحديث الصَّحيح قاطعٌ بأنَّ القران الكريم كان مجموعاً في صحفٍ ومضموماً في خيط، وقد اتَّفقت كلمة الأمَّة اتِّفاقاً تامّاً على أنَّ ما في تلك الصُّحف هو القران كما تلقَّته عن النَّبيّ(ﷺ) في اخر عرضةٍ على أمين الوحي جبريل عليه السَّلام؛ وأنَّ تلك الصُّحف ظلَّت في رعاية الخليفة الأوَّل أبي بكرٍ الصدِّيق، ثمَّ انتقلت بعده إلى رعاية الخليفة الثَّاني عمر بن الخطَّاب، ثمَّ لما عرف عمر حضور أجله ولم يولِّ عهده أحداً معيناً في خلافة المسلمين، وإنَّما جعل الأمر شورى في الرَّهط المصطفين بالرِّضا من رسول الله(ﷺ) ؛ أوصى بحفظ الصُّحف عند ابنته حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها، وأنَّ عثمان اعتمد في جمعه على تلك الصُّحف، وعنها نقل مصحفه (الرَّسمي) وأنَّه أمر أربعةً من أشهر قرَّاء الصَّحابة إتقاناً لحفظ القران، ووعياً لحروفه، وأداءً لقراءاته، وفهماً لإعرابه ولغته: ثلاثة قرشيين، وواحداً أنصارياً، وهو زيد بن ثابت صاحب الجمع الأوَّل في عهد الصِّدِّيق بإشارة الفاروق .

وفي بعض الرِّوايات: أنَّ الّذين أمرهم عثمان أن يكتبوا من الصُّحف اثنا عشر رجلاً، فيهم أبيُّ بن كعب، واخرون من قريشٍ، والأنصار[1] .

---

[1] البخاريُّ ، كتاب فضائل القران ، رقم (4987) .

ج – ونأخذ من هذا: أنَّ الفتوحات في عهد عثمان كانت بإذنٍ، وأمر من الخليفة، وأنَّ القرار العسكريَّ يصدر من المدينة، وأنَّ الولايات الإسلاميَّة كلَّها كانت خاضعةً لأمر الخليفة عثمان في عهده، بل يدلُّ على أنَّ هناك إجماعاً من الصَّحابة، والتَّابعين في جميع الأقاليم على خلافة عثمان، وقدوم حذيفة بن اليمان إلى المدينة، لرفع اختلاف الناس في قراءة القران، يدلُّ على: أنَّ القضايا الشَّرعيَّة الكبرى كان يُستشار فيها الخليفة في المدينة، وأنَّ المدينة ما زالت دار السُّنَّة، ومجمع فقهاء الصَّحابة[1] .

ثانياً: استشارة جمهور الصَّحابة في جمع عثمان:

جمع عثمان رضي الله عنه المهاجرين، والأنصار، وشاورهم في الأمر، وفيهم أعيان الأمَّة، وأعلام الأئمَّة، وعلماء الصَّحابة، وفي طليعتهم عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وعرض عثمان رضي الله عنه هذه المعضلة على صفوة الأمَّة، وقادتها الهادين المهديِّين، ودارسهم أمرها، ودارسوه، وناقشهم فيها، وناقشوه، حتَّى عرف رأيهم، وعرفوا رأيه ؛ فأجابوه إلى رأيه في صراحةٍ لا تجعل للرَّيب إلى قلوب المؤمنين سبيلاً، وظهر للنَّاس في أرجاء الأرض ما انعقد عليه إجماعهم، فلم يُعرف قطُّ يومئذٍ لهم مخالفٌ، ولا عرف عند أحدٍ نكيرٌ، وليس شأن القران الّذي يخفى على احاد الأمَّة فضلاً عن علمائها، وأئمَّتها البارزين[2].

إنَّ عثمان رضي الله عنه لم يبتدع في جمعه المصحف، بل سبقه إلى ذلك أبو

[1] عثمان بن عفَّان لصادق عرجون ، ص(171) .
[2] المدينة النَّبويَّة فجر الإسلام والعصر الرَّاشدي (244/2) .

بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، كما أنَّه لم يصنع ذلك من قبل نفسه، إنَّما فعله عن مشورةٍ للصَّحابة رضي الله عنهم، وأعجبهم هذا الفعل، وقالوا: نِعمَ ما رأيت ! وقالوا: أيضاً: قد أحسن – أي: في فعله في المصاحف[1] .

وقد أدرك مصعب بن سعدٍ صحابة النَّبيّ(ﷺ) حين مشق[2] عثمان رضي الله عنه المصاحف، فراهم قد أعجبوا بهذا الفعل منه[3]، وكان عليٌّ رضي الله عنه ينهى من يعيب على عثمان رضي الله عنه بذلك، ويقول: يا أيُّها الناس ! لا تغلوا في عثمان، ولا تقولوا له إلا خيراً – أو قولوا خيراً – فوالله ما فعل الّذي فعل – أي في المصاحف – إلا عن ملأ منَّا جميعاً ؛ أي: الصَّحابة ... والله لو وليِّت ؛ لفعلت مثل الّذي فعل[4].

وبعد اتِّفاق هذا الجمع الفاضل من خيرة الخلق على هذا الأمر المبارك ؛ يتبيَّن لكلِّ متجرِّدٍ عن الهوى: أنَّ الواجب على المسلم الرِّضا بهذا الصَّنيع الّذي صنعه عثمان رضي الله عنه وحفظ به القران الكريم[5].

قال القرطبيُّ في التَّفسير: وكان هذا من عثمان رضي الله عنه بعد أن جمع المهاجرين والأنصار، وجلَّة أهل الإسلام، وشاورهم في ذلك، فاتَّفقوا على جمعه بما صحَّ، وثبت من القراءة المشهورة عن النَّبيّ(ﷺ)، واطِّراح ما سواها، واستصوبوا رأيه، وكان رأياً سديداً موفَّقاً[6].

---

[1] عثمان بن عفَّان ، لصادق عرجون ، ص(175) .
[2] فتنة مقتل عثمان بن عفَّان (78/1) .
[3] مشق: يقال: مَشَقَ في الكتابة ؛ أي: مدَّ حروفها ، وجوَّدها ، فالخطُّ مَشْقٌ ، ومَمْشوقٌ .
[4] التَّاريخ الصغير للبخاريّ (94/1) إسناده حسنٌ لغيره .
[5] فتح الباري (18/9) إسناده صحيحٌ .
[6] فتنة مقتل عثمان بن عفان (78/1) .

ثالثاً: الفرق بين جمع الصِّديق، وجمع عثمان رضي الله عنهما:

قال ابن التِّين: الفرق بين جمع أبي بكر، وجمع عثمان: أنَّ جمع أبي بكر كان لخشيته أن يذهب شيءٌ من القران بذهاب حملته ؛ لأنَّه لم يكن مجموعاً في موضعٍ واحدٍ، فجمعه في صحائف مرتّباً لايات سوره على ما وقفهم عليه النَّبيُّ(ﷺ)، وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة، حتَّى قرؤوه بلغاتهم على اتِّساع اللُّغات، فأدَّى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعضٍ، فخشي من تفاقم الأمر في ذلك، فنسخ تلك الصُّحف في مصحفٍ واحدٍ مرتِّباً لسوره، واقتصر من سائر اللُّغات على لغة قريش محتجّاً بأنَّه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسَّع في قراءته بلغة غيرهم دفعاً للحرج والمشقَّة في ابتداء الأمر، فرأى: أنَّ الحاجة قد انتهت، فاقتصر على لغةٍ واحدةٍ .

وقال القاضي أبو بكر الباقلانيُّ: لم يقصد أبو بكر في جمع نفس القران بين لوحين، إنَّما قصد جمعهم على القراءات الثَّابتة المعروفة عن النَّبيّ(ﷺ)، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخْذِهم بمصحفٍ لا تقديم فيه، ولا تأخير، ولا تأويلَ أُثْبِتَ مع تنزيلٍ، ولا منسوخ تلاوته كُتِب مع مُثْبَتٍ رَسْمُه ومفروضٍ قراءته، وحفظه ؛ خشية دخول الفساد والشُّبهة على مَنْ يأتي بَعْدُ .

وقال الحارث المحاسبيُّ: المشهور عند النَّاس: أن جامع القران عثمان، وليس كذلك إنَّما حمل عثمان النَّاس على القراءة بوجهٍ واحدٍ على اختيارٍ وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين، والأنصار ؛ لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق، والشَّام في حروف القراءات، فأمَّا قبل ذلك، فقد كانت المصاحف بوجوه القراءات

المطلقات على الحروف السَّبعة الّتي أنزل بها القران، فأمَّا السَّابق إلى جمع الجملة، فهو الصِّدِّيق، وقد قال عليٌّ رضي الله عنه: لو ولِّيت ؛ لعملت بالمصاحف الّتي عمل بها عثمان[1] .

وقال القرطبيُّ: فإن قيل: فما وجه جمع عثمان النَّاس على مصحفه، وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك، وفرغ منه ؟ قيل له: إنَّ عثمان رضي الله عنه لم يقصد بما صنع جمع النَّاس على تأليف المصحف، ألا ترى كيف أرسل إلى حفصة: أن أرسلي إلينا بالصُّحف ننسخها في المصاحف ثم نردُّها إليك ؟ وإنَّما فعل ذلك عثمان، لأنَّ الناس اختلفوا في القراءة، لتفرُّق الصَّحابة في البلدان، واشتدَّ الأمر في ذلك، وعظم اختلافهم، وتشبُّثهم، ووقع بين أهل الشَّام، والعراق ما ذكره حذيفة رضي الله عنه[2] .

رابعاً: هل المصاحف العثمانية مشتملةٌ على جميع الأحرف السَّبعة ؟

ذهب الشَّيخ المحقِّق صادق عرجون – رحمه الله – إلى أنَّ: صحف الصِّدِّيق الّتي كانت أصلاً للمصحف الإمام بإجماع المسلمين لم تكن جامعةً للأحرف السَّبعة؛ الّتي وردت صحاح الأحاديث بإنزال القران عليها، بل كانت على حرفٍ منها؛ هو الّذي وقعت به العرضة الأخيرة، واستقرَّ عليها الأمر في اخر حياة رسول الله(ﷺ)، وإنَّما كانت الأحرف السَّبعة أوَّلاً من باب التَّيسير على الأمَّة، ثمَّ ارتفع حكمها لما استفاض القران، وتمازج النَّاس، وتوحَّدت لغاتهم، قال الإمام

---

(1) الجامع لأحكام القران (88/1) .
(2) عثمان بن عفَّان لصادق عرجون ، ص(178) .

الطَّحاويُّ: إنَّما كانت السَّعة للنَّاس في الحروف؛ لعجزهم عن أخذ القران على غير لغاتهم؛ لأنَّهم كانوا أمِّيين، لا يكتب إلا القليل منهم، فلمَّا كان يشقُّ على كل ذي لغةٍ أن يتحوَّل إلى غيرها من اللُّغات، ولو رام ذلك لم يتهيَّأ له إلا بمشقَّةٍ عظيمةٍ – وُسِّــع لهم في اختلاف الألفاظ ؛ إذا كان المعنى متَّفقاً، فكانوا كذلك حتَّى كثر منهم مَنْ يكتب، وعادت لغاتهم إلى لسـان رسـول الله(ﷺ)، فقدروا بذلك على تحفُّظ ألفاظه، فلم يسعهم حينئذٍ أن يقرؤوا بخلافها . قال ابن عبد البرِّ: فبان بهذا: أن تلك السَّـبعة الأحرف إنَّما كانت في وقتٍ خاصٍّ لضـرورةٍ دعت إلى ذلك، ثمَّ ارتفعت تلك الضَّرورة، فارتفع حكم هذه السَّبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القران على حرفٍ واحد[1].

وقال الطَّبريُّ: إنَّ القراءة على الأحرف السَّبعة لم تكن واجبةً على الأمَّة، وإنَّما كان جائزاً لهم، ومرخَّصــاً لهم فيه، فلمَّا رأى الصَّــحابة: أنَّ الأمَّة تفترق، وتختلف إذا لم يجتمعوا على حرفٍ واحدٍ – أجمعوا على ذلك إجماعاً شائعاً، وهم معصومون من الضَّلالة[2] .

وهذا الحرف الّذي كتبت به صـحف الإجماع القاطع، ونقل عنها المصــحف الإمام – جامعٌ لقراءات القرَّاء السَّبعة، وغيرها، ممَّا يقرأ به النَّاس، ونُقل متواتراً عن رسول الله(ﷺ) ؛ لأنَّ الأحرف الواردة في الحديث غير هذه القراءات[3] .

قال القرطبيُّ: قال كثير من علمائنا كالدَّاووديِّ، وابن أبي صفرة، وغيرهما: هذه

---

[1] الجامع لأحكام القران (87/1) .
[2] عثمان بن عفَّان لصادق عرجون ، ص(180) .
[3] عثمان بن عفَّان لصادق عرجون ، ص(180) .

القراءات السَّبع الّتي تنسب لهؤلاء القرّاء السَّبعة ليست هي الأحرف السَّبعة الّتي اتَّسعت الصحابة في القراءة بها، وإنَّما هي راجعةٌ إلى حرفٍ واحد من تلك السَّبعة، وهو الّذي جمع عليه المصـــحف، وأقرب الاراء إلى الفهم – عند ظنّنا – في معنى الأحرف إنَّما هو الرَّأي القائل بأنَّها هي أفصح لغات العرب، وأشهرها، وهي مبثوثةٌ في القران كلِّه، وإليه ذهب القاسـم بن سـلام، وابن عطيَّة في جماعةٍ من الأجلاء، وإليه يرجع نحو سبعة أقوال ممَّا ذكره السُّيوطيُّ في الإتقان في معنى الأحرف[1].

خامساً: عدد المصاحف الّتي أرسلها عثمان رضي الله عنه إلى الأمصار:

لما فرغ عثمان رضي الله عنه من جمع المصاحف، أرسل إلى كلِّ أفقٍ بمصحفٍ، وأمرهم أن يحرقوا كلَّ مصـحف يخالف المصـحف الّذي أرسـله إلى الافاق، وقد اختلفوا في عدد المصــاحف الّتي فرَّقها في الأمصــار، فقيل: إنَّها أربعة؛ وهو الّذي اتَّفق عليه أكثر العلماء، وقيل: إنَّها خمســة، وقيل: إنَّها ســتَّةٌ، وقيل: إنَّها ســبعةٌ، وقيل: ثمانية، أما كونها أربعةً ؛ فقيل: إنَّه أبقى مصـحفاً بالمدينة، وأرسـل مصـحفاً إلى الشَّام، ومصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة، وأمَّا كونها خمسةً؛ فالأربعة المتقدِّم ذكرها ومصـحفاً لأهل مكة، وأما كونها ستة فالخمسة المتقدمة، والسَّـادس اختلف فيه، فقيل: جعله خاصّاً لنفسه، وقيل: أرسله إلى البحرين.

وأمَّا كونها سبعة ؛ فالستَّة المتقدِّم ذكرها، والسَّابع أرسله إلى اليمن، وأمَّا كونها ثمانيةً ؛ فالسَّبعة المتقدِّم ذكرها، والثَّامن كان لعثمان يقرأ فيه، وهو الّذي قتل، وهو

---

(1) الجامع لأحكام القران (79/1) .

بين يديه[1]، وبعث رضي الله عنه مع كلِّ مصحفٍ من يرشد النَّاس إلى قراءته بما يحتمله رسمه من القراءات ممَّا صــح، وتواتر، فكان عبد الله بن السَّــائب مع المصــحف المكِّيّ، والمغيرة بن شــهاب مع المصــحف الشَّــامي، وأبو عبد الرحمن السُّلمي مع المصحف الكوفيّ، وعامر بن قيس مع المصحف البصريّ، وأمر زيد بن ثابت أن يقرأى الناس بالمدنيّ[2].

سادساً: موقف عبد الله بن مسعود من مصحف عثمان:

لم يثبت أنَّ ابن مســعود رضــي الله عنه خالف عثمان في ذلك، وكلُّ ما روي في ذلك ضعيف الإسناد، كما أنَّ هذه الروايات الضَّعيفة الّتي تتضمَّن ذلك تثبت: أنَّ ابن مسعود رضي الله عنه رجع إلى ما اتَّفق عليه الصَّحابة في جمع القران، وأنَّه قام في النَّاس، وأعلن ذلك، وأمرهم بالرُّجوع إلى جماعة المســـلمين في ذلك[3] . وقال: إنَّ الله لا ينتزع العلم انتزاعاً، ولكن ينتزعه بذهاب العلماء، وإنَّ الله لا يجمع أمَّة محمَّدٍ(ﷺ) على ضــــلالة، فجامعوهم على ما اجتمعوا عليه، فإنَّ الحقَّ فيما اجتمعوا عليه .. وكتب بذلك إلى عثمان[4]، وقد ورد عن ابن كثير رجوع ابن مسعود إلى الوفاق[5]، وأكَّد الذَّهبيُّ ذلك، فقال: وقد ورد أنَّ ابن مسعود رضي وتابع عثمان، ولله الحمد[6].

ولا يلتفت إلى ما كتبه طه حسين في قضيَّة المصحف، وعلاقة عثمان مع ابن

[1] الإتقان للسُّيوطي (144/1 إلى 148) .
[2] أضواء البيان في تاريخ القران ، ص(77) .
[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص(78) .
[4] فتنة مقتل عثمان بن عفَّان (78/1) .
[5] المصدر السابق نفسه (79/1) .
[6] البداية والنِّهاية (228/7) .

مســـعود، وما ســـاقه بأســـلوبٍ مســـمومٍ، فيه أفكارٌ أخذها من أســـاتذته المســـتشـــرقين[1]والّذين اعتمدوا على رواياتٍ ضـــعيفةٍ، وإماميَّة في تشـــويه علاقة الصَّحابة ببعضهم، رضي الله عنهم جميعاً .

إنَّ ابن مســعود رضــي الله عنه الّذي ترك صــلاة القصــر في منى خشــيةً من الخلاف، والفتنة، ومتابعةً للخليفة، هل يتوقَّع منه أن يصــعد المنبر، ويحرِّض الناس على الخلاف، وهو القائل: إنَّ الخلاف شرٌّ[2] .

إنَّ مؤرِّخي إمامية زوَّروا روايات، ونســبوها لابن مســعودٍ، وموقفه من عثمان، رضـــي الله عنهم، وأظهروا – في تلك الأكاذيب – الصَّـــحابة قوماً متنازعين، متباغضــين، متعنِّتين، متفاحشــين في القول، وهي رواياتٌ ســاقطةٌ لا تثبت أمام النَّقد الهادأى الموضـــوعيّ، ويرفضـــها الذَّوق المؤمن، والعقل الفطن[3]، وقد زعم بعضهُم كذباً، وزوراً ؛ بأنَّ ابن مسعودٍ كان يطعن على عثمان، ويكفِّره، ولما حكم عثمان، ضـــربه حتَّى مات، وهذا كذب بيِّنٌ على ابن مســـعودٍ، فإنَّ علماء النقل يعلمون أنَّ ابن مســـعود ما كان يكفِّر عثمانَ، بل لما بويع عثمان بالخلافة ســـار عبد الله بن مسـعود من المدينة إلى الكوفة، ولما وصـل إليها ؛ حمد الله، وأثنى عليه ثمَّ قال: أمَّا بعد فإنَّ أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب مات – فلم نرَ يوماً أكثر نشـيجاً من يومئذٍ – وإنَّا اجتمعنا أصـحاب محمد، فلم نألُ عن خيرنا ذي فُوقٍ، فبايعنا أمير المؤمنين عثمان، فبايعوه[4].

---

(1) سير أعلام النُّبلاء (349/1) .
(2) الفتنة الكبرى (159/1) .
(3) فتنة مقتل عثمان بن عفَّان (80/1) .
(4) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عبد السَّتار الشيخ ، ص(335) .

وهذه الكلمات الواضـــحات أكبر دليل على تلك المكانة الرَّفيعة لعثمان بن عفَّان في قلب ابن مسعودٍ، وعند جميع الصَّحابة، أولئك الّذين مدحهم الله تعالى، ورضي عنهم، وهم خَيْرُ مَنْ فَقِه قوله سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا*﴾ **[الأحزاب: 70] .**

فقول عبد الله بن مســعود صــدقٌ لا يعدو الحقيقة، كما أنَّه نابع عن قناعته، وصــادرٌ عن محض إرادته، ما قاله خوفاً، ولا خشـيةً، ولم يقذف به هكذا رخيصـاً للاســتهلاك، والتغرير، أو ليحوز مكانةً، ومنصــباً من الخلافة الجديدة، وإذاً فمن بدهيَّات الأمور، وأوَّليَّاتها أن ليس ثمَّة حقدٌ، أو بغضــاء في قلب أحدهما على الاخر، وإذا حدث شـيءٌ فإنَّما هو من أجل الحقِّ، وصـالح المسـلمين[1]، ويندرج تحت فقه النَّصـــيحة، وادابها وتأديب الخليفة لرعيَّته، وأمَّا ما زعم الإماميَّة، ومن سار على نهجهم من أنَّ عثمان ضرب ابن مسعود حتَّى مات، فهذا كذبٌ باتِّفاق أهل العلم، قال أبو بكر بن العربيِّ: وأمَّا ضـــربه لابن مســـعود، ومنعه عطاءه ؛ فزورٌ[2].

فلا وجهة للرَّافضة بالطَّعن على عثمان بقصَّة ابن مسعودٍ هذه، فإنه لم يضربه عثمان، ولم يمنعه عطاءه، وإنَّما كان يعرف له قدره، ومكانته، كما كان ابن مسعود شــديد الالتزام بطاعة إمامه ؛ الّذي بايع له، وهو يعتقد: أنَّه خير المسـلمين وقت البيعة[3].

---

[1] طبقات ابن سعد (63/3) .
[2] عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عبد الستَّار الشَّيخ ، ص(324) .
[3] العواصم من القواصم ، ص(63) .

سابعاً: فَهْمُ الصحابة لايات النَّهي عن الاختلاف:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ *﴾ [الأنعام: 153] فالصِّراط المستقيم هو: القران، والإسلام، والفطرة الّتي فطر الله النّاس عليها، والسُّبل هي: الأهواء، والفرق، والبدع، والمحدثات، قال مجاهد: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾، يعني: البدع، والشُّبهات، والضلالات[1] .

ونهى الله – سبحانه وتعالى – هذه الأمَّة عمَّا وقعت فيه الأمم السَّابقة من الاختلاف، والتَّفرُّق من بعد ما جاءتهم البيّنات، وأنزل الله إليهم الكتب، فقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *﴾ [آل عمران: 105] .

ونهى الأمَّة أن تكون من المشركين، الّذين فرّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، فقال عزَّ من قائل: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ *مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ *مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ*﴾ [الروم: 30-32].

وأخبر سبحانه وتعالى: أنَّ الرَّسول(ﷺ) بريءٌ من الّذين يفرّقون دينهم، ويكونون شيعاً، وأحزاباً[2]، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ

(1) عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة الكرام (1066/3) .
(2) تفسير مجاهد ، ص(227) .

مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ *﴾ **[الأنعام: 159] .**

ويظهر من قصَّة جمع القران في عهد عثمان رضي الله عنه مدى فهم الصَّحابة رضـــي الله عنهم لايات النَّهي عن الاختلاف، حيث إنَّ الله نهى عن الاختلاف وحذَّر منه، فلعمق فهمهم لهذه الايات ارتعد حذيفة رضـــي الله عنه عندما سمع بوادر الاختلاف في قراءة القران، فرحل فوراً إلى المدينة النَّبويَّة، وأخبر عثمان رضي الله عنه بما رأى، وبما سمع، فسرعان ما قام عثمان يخطب النَّاس ؛ يحذِّرهم من مغبَّة هذا الخلاف، ويشـــاور الصَّـــحابة رضـــي الله عنهم في الحلِّ لهذه المحنة الّتي بدأت بالظُّهور، وفي مدَّةٍ قصـــيرةٍ يحســـم الأمر، ويغلق باب الخلاف الّذي كاد أن ينفتح بجمع الصُّحف، ونسخها في مصحفٍ واحدٍ من المصادر الموثوقة جدّاً، وبإغلاق باب الفتنة هذا فرح المســـلمون، بينما اغتاظ المنافقون الّذين كانوا قد اســـتبشـــروا ببوادر الخلاف الّتي كانوا ينتظرونها بفارغ الصَّبر، ويسعون إلى تحقيقها، ولما حسم الخلاف، ولم يجد أولئك طريقاً إلى استنهاضه، ازداد حقدهم على عثمان رضي الله عنه، وسعوا في التَّشنيع عليه وتصوير حسنته هذه سيئةً، وتلمَّسوا في سبيل إثبات ذلك خيوط العنكبوت الواهية؛ ليطعنوا فيه ويســـوِّغوا خروجهم عليه بها، مظهرين للنَّاس: أنَّ هذه الحسنة سيئةٌ، تستوجب الخروج عليه[1].

إن الصَّـــحابة رضـــي الله عنهم لم يتركوا كل قارأى على قراءته الصـــحيحة، بل جمعوهم على قراءة واحـدة، فـاجتمع شملهم وتوحـد صـــــفهم، وهـذا درس عظيم نســـتلهمه من دراســـتنا لتاريخ عهد الخلفاء الراشـــدين، الحافل بالعبر والدروس

---

(1) دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ناصر العقل ، ص(49) .

ومواطن القدوة[1] .

قال رسـول الله(ﷺ): « إنَّ الله يرضـى لكم ثلاثاً: أن تعبدوه، ولا تشـركوا به شـــيئاً، وأن تعتصـــموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا، وأن تناصـــحوا من ولاه الله أمركم»[2].

إنَّ طريق الاعتصـام بحبل الله أن نلتزم بكتاب الله وسـنَّة رسـوله(ﷺ)، وهذا الأصـل من اكد الأصـول في هذا الدِّين العظيم، يقول ابن تيميَّة – رحمه الله –: وهذا الأصـل العظيم: وهو الإسـلام ممَّا عظمت وصـيَّة الله تعالى به في كتابه، وممَّا عظم ذمُّه لمن تركه من أهل الكتاب، وغيرهم، وممَّا عظمت به وصيَّة النَّبيّ(ﷺ) في مواطن عامَّةٍ، وخاصَّةٍ[3] .

ولذلك أمر الله تعالى ورسـوله(ﷺ) بكلِّ ما يحفظ على المسـلمين جماعتهم، وألفتهم، ونهيا عن كلِّ ما يعكِّر صفو هذا الأمر العظيم .

إنَّ ما حصـل من فرقة بين المسـلمين، وتدابرٍ، وتقاطع، وتناحرٍ، بسـبب عدم مراعاة هذا الأصـل وضـوابطه، ممَّا ترتب عليه تفرُّقٌ في الصُّـفوف، وضـعفٌ في الاتحاد، وأصبحوا شيعاً، وأحزاباً، كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون[4] .

إنَّ وحدة المسـلمين، واجتماعهم مطلبٌ شـرعيٌّ، ومقصـدٌ عظيمٌ من مقاصـد الشَّـريعة ؛ بل من أهم أسـباب التَّمكين لدين الله تعالى، ونحن مأمورون بالتَّواصـي

---

[1] فتنة مقتل عثمان بن عفَّان (82/1) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(83/1) .
[3] مسند أحمد (2/1 ، 26) .
[4] مجموع الفتاوى (359/22) .

بالحقِّ، والتَّواصــي بالصَّــبر، فلابدَّ من تضــافر الجهود بين الدُّعاة، وقادة الحركات الإســلاميَّة، وبين علماء المســلمين، وطلبة العلم لإصــلاح ذات البين إصــلاحاً حقيقيّاً لا تلفيقيّاً، لأنَّ أنصاف الحلول تفسد أكثر ممَّا تصلح . قال الشَّيخ عبد الرَّحمن السَّعديُّ – رحمه الله –: الجهاد نوعان: جهاد يقصد به صلاح المسلمين، وإصــلاحهم في عقائدهم، وأخلاقهم، واداهم، وجميع شــؤونهم الدِّينيَّة، والدُّنيويَّة، وفي تربيتهم العلميَّة، وهذا النَّوع هو الجهاد، وقوامه، وعليه يتأسَّــس النَّوع الثَّاني، وهو جهاد يقصــد به دفع المعتدين على الإســلام والمســلمين: من الكفَّار، والمنافقين، والملحدين، وجميع أعداء الدِّين، ومقاومتهم . وهذا نوعان: جهاد بالحجَّة، والبرهان، واللِّسان، وجهادٌ بالسِّلاح المناسب في كلِّ وقتٍ، وزمانٍ[1] .

ثمَّ أفرد فصلاً بعنوان: الجهاد المتعلِّق بالمسلمين بقيام الألفة، واتِّفاق الكلمة[2]. وبعد أن ذكر الايات، والأحاديث الدَّالَّة على وجوب تعاون المســلمين، ووحدتهم قال: فإنَّ من أعظم الجهاد السَّــعي في تحقيق هذا الأصــل في تأليف قلوب المسلمين، واجتماعهم على دينهم، ومصالحهم الدِّينيَّة، والدُّنيويَّة[3] .

ولذلك نرى: أنَّ الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين، وتوحيد صفِّهم من أعظم الجهاد ؛ لأنَّ هذه الخطوة مهمةٌ جدّاً في إعزاز المسلمين، وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربِّهم، وهذا من فقه الخلفاء الرَّاشدين، ويتجلَّى في أبهى صورة في جمع عثمان رضي الله عنه للأمَّة على مصحفٍ واحدٍ .

---

[1] تبصير المؤمنين بفقه النَّصر والتَّمكين ، للصَّلابي ، ص(307) .
[2] وجوب التعاون بين المسلمين ، ص(5).
[3] المصدر السابق نفسه .

الفصل الخامس : مؤسَّسة الولاة في عهد عثمان رضي الله عنه

المبحث الأوَّل : أقاليم الدَّولة في عهد عثمان وسياسته مع الولاة

أولاً: مكَّة المكرَّمة:

توفي عمر بن الخطَّاب رضـــي الله عنه وواليه على مكَّة خالد بن العاص بن هشـــام ابن المغيرة المخزوميُّ[1]، وقد أبقاه عثمان رضـــي الله عنه فترةً من الوقت يصـعب تحديدها، ثمَّ قام بعزله، ولم ترد أخبار عن سبب ذلك إضـافةً إلى صـعوبة تحديد أهمِّ أعماله، وقد قام عثمان رضـــي الله عنه بعد عزله بتولية عليِّ بن ربيعة بن عبد العزَّى، ثمَّ قام عثمان رضـــي الله عنه بعد ذلك بتولية مجموعةٍ من الأمراء على مكَّة يصعب تحديد فترات ولايتهم، منهم عبد الله بن عمرو الحضرميُّ، الّذي كان أحد عمَّال عثمان على مكَّة، كما أنَّ النُّصـوص تثبت: أنَّ عثمان رضـي الله عنه قد أعـاد خـالد بن العاص بن هشـــام على مكَّة مرَّة أخرى، وتؤكِّـد بعض المصـادر: أنَّ عثمان توفي وخالدٌ على مكة، فقام عليٌّ رضـي الله عنه بعزله، وتولية غيره[2] .

وهـذه الرِّواية على مـايبـدو أثبـت من الرِّوايات الّتي تـذكر: أنَّ عبـد الله بن الحضرميِّ هو الوالي على مكَّة حين قتل عثمان[3] .

---

[1] المصدر السابق نفسه .
[2] تجريد أسماء الصَّحابة ، ص(151) .
[3] الولاية على البلدان (166/1) .

وقد تميَّزت مكَّة في عهد عثمان بالهدوء المستمرِّ رغم ما وقع في بعض الأمصار من فتنةٍ في أواخر عهد عثمان[1] .

ثانياً: المدينة النَّبويَّة:

تعدُّ المدينة المنوَّرة من أهمِّ المدن الإسلاميَّة في عهد عثمان، وبها مركز الخلافة، وإليها تفد الوفود من مختلف الأمصـــار، والأجناد الإســـلاميَّة، ويقيم بها كثيرٌ من شيوخ الصَّحابة من المهاجرين، والأنصار، وبذلك تكتسب أهميَّة خاصَّةً، وقد كان عثمان بحكم خلافته مقيماً بها، ويتفقَّد أحوالها حتَّى إنَّه كان يســـأل عن أســـعار المواد الغذائيَّة، وعن أخبار النَّاس[2]، وكان عثمان رضي الله عنه إذا سافر إلى الحجِّ يستخلف أحد الصَّحابة على المدينة حتَّى يرجع، وكثيراً ما كان يستخلف زيد بن ثابت رضي الله عنه[3] .

وكان في المدينة بيت مالٍ، وديوانٌ للأعطيات كغيرها من الأمصـــــار، وتعتبر المدينة من أكثر الأمصار الإسلاميَّة هدوءاً خلال عصر عثمان سوى ما حدث في أيَّامه الأخيرة من اضـــطراب الأحوال فيها بعد وصـــول جيوش الفتنة، وحصـــار عثمان، وخروج بعض كبار الصَّحابة منها[4] .

---

(1) نهاية الأرب للنُّويري (27/2) .
(2) الولاية على البلدان (167/1) .
(3) تاريخ المدينة (961/3 ، 962) .
(4) الولاية على البلدان (168/1 ، 169) .

ثالثاً: البحرين، واليمامة[1]:

توفي عمر بن الخطَّاب رضـــي الله عنه وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص الثَّقفيُّ، فأقرَّه عثمان عليها فترةً من الوقت، وتدلُّ الرِّوايات على أَنَّ عثمان بن أبي العاص كان على ولاية البحرين بعد مبايعة عثمان بثلاث سـنين ؛ أي: سـنة 27 هـ بدليل مشاركته بجيشه مع جيش البصرة في بعض الفتوح[2]، ويبدو: أنَّ التعاون الّذي بدأ بين ولاية البحرين وولاية البصــرة في عهد عمر أخذ يشــتدُّ، ويقوى في عهد عثمان، خصـوصـاً بعد تولية (عبد الله بن عامر بن كريز)[3] على البصـرة، حيث أصــبح عامل البحرين أحد القواد التَّابعين لعبد الله بن عامر والي البصــرة، كما أنَّ النُّصـــوص التَّاريخيَّة تفيد تبعية ولاية البحرين للبصـــرة – إلى حدٍّ ما – واندماجها معها بحيث أصبح ابن عامر يعيِّن العمَّال عليها من قبله[4] .

ويؤكِّد أحد الباحثين هذا التَّعاون في قوله: وفي زمن الخليفة عثمان بن عفَّان ألحقت البحرين بالبصـــرة عندما أصـــبحت الأخيرة قاعدةً لفتوح فارس، وجنوب إيران، فصــار ولاتها تابعين لأمير البصـرة، وقد عزَّز هذا صـلة البصـرة بالبحرين، ووثَّقها[5]، وقد ذُكر من ولاة عثمان على البحرين: مروان بن الحكم، وعبد الله بن ســـوار العبديُّ، وقد توفِّي عثمان وعبد الله على البحرين[6]، وقد كان للبحرين في أيام عثمان دورٌ كبيرٌ في بعث الأجناد لفتوح شـرق فارس، كما كان لواليها عثمان

---

(1) المصدر السابق نفسه .

(2) البحرين: كانت تطلق على المناطق الَّتي تشمل إمارات الخليج العربي ، والجزء الشَّرقي من المملكة العربية السُّعودية عدا الكويت . أمَّا اليمامة ، فكانت في بلاد نجد .

(3) تاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص(159) . والولاية على البلدان (169/1) .

(4) الطَّبقات لابن سعد (44/5) .

(5) الولاية على البلدان (169/1) .

(6) البحرين في صدر الإسلام ، عبد الرحمن بن النَّجم ، ص(141) .

بن أبي العاص دورٌ كبيرٌ في تلك الفتوح[1] .

وقد كانت الأوضـــاع داخل البحرين مســـتقرةً حتَّى وفاة عثمان، وأمَّا اليمامة فقد كانت في عهد عمر رضي الله عنه تابعةً لولاية البحرين، وعمان إلى حدٍّ كبير، بل إنَّ والي البحرين هو الّذي كان يبعث عليها الأمراء أحياناً، أمَّا في عهد عثمان رضي الله عنه فالّذي يبدو أنَّ اليمامة كان عليها والٍ من قبل عثمان مباشرةً، وقد ورد ذكره في أحداث الفتنة بعد مقتل عثمان مباشرة ؛ إذ وصلته بعض الكتب في تلك الفترة ممَّن غضبوا لمقتل عثمان[2] .

رابعاً: اليمن، وحضرموت:

توفي عمر رضـــي الله عنه وعامله على اليمن (يعلى بن مُنْيَة) وكان في طريقه إلى المدينة بناءً على طلب عمر ؛ إذ جاءه كتاب من عثمان يخبره بوفاة عمر، وبيعة النَّاس لعثمان، واستعماله من قِبَل عثمان على صنعاء، فاستمرَّ على صنعاء إلى وفاة عثمان، رضـــي الله عنه[3]، وكان على مدينة الجند عبد الله بن ربيعة الّذي استمرَّ والياً عليها طيلة عهد عثمان رضي الله عنه[4] .

ويبدو: أنَّ هناك ولاةً اخرين كانوا على بقيَّة مدن اليمن، ولكنَّ المصـــــادر الرَّئيسية ركزت على هذين الواليين في الغالب، كما أنَّ المصادر لم تفصِّل القول في أحداث اليمن خلال عصـــــر عثمان، كما يقلُّ إيرادها للمراســـلات بين عثمان

---

(1) الولاية على البلدان (170/1) .
(2) المصدر السابق نفسه .
(3) المصدر السابق نفسه .
(4) تاريخ الطَّبري (442/5) .

وولاته في اليمن سوى ما ذكره من أوامر عامَّة مرسلةٍ لكافة الولاة[1]، وقد اشتهر عن أهل اليمن خلال عصر عثمان طاعتهم، وانقيادهم لولاتهم ؛ يدلُّ على ذلك ما روي من أنَّ عثمان رضي الله عنه بعث رجلاً ثقفيّاً إلى اليمن، فلمَّا عاد سأله عثمان عن أهلها، فقال: رأيت قوماً ما سئلوا أعطوا حقّاً كان، أو باطلاً[2]، ومن المعروف: أنَّ العديد من القبائل اليمنيَّة هاجرت خلال الفتوح في أيَّام عمر بن الخطاب إلى الأمصار الإسلاميَّة الجديدة سواءٌ في العراق، أو مصر، أو الشام، وبالتَّالي فإنَّ صلات اليمن، وأهلها بهذه الأمصار كانت مستمرة، كما أنَّ الهجرات – ولو بشكل فرديٍّ من اليمن إلى بقيَّة الأمصار – لم تتوقَّف طيلة عهد عثمان، حيث نجد لأناسٍ من يهود اليمن دوراً خطيراً في أحداث الفتنة الّتي قامت أواخر عهد عثمان، واستشهد فيها عثمان رضي الله عنه، وعلى رأس هؤلاء الوالغين في الفتنة (عبد الله بن سبأ)، وبعد مقتل عثمان رضي الله عنه ترك اليمن عددٌ من ولاتها، وقدموا إلى الحجاز للمشاركة فيما يجري من أحداث، ومنهم يعلى بن مُنْيَة، وعبد الله بن ربيعة[3].

خامساً: ولاية الشَّام:

حينما جاء عثمان إلى الخلافة كان معاوية رضي الله عنه والياً على معظم الشَّام، فأقرَّه عثمان عليها[4]، كما أقرَّ بعض الولاة الاخرين على ولاياتهم، كاليمن، والبحرين، ومصر، وغيرها من الولايات، وقد تطوَّرت الأحداث، وضُمَّت

---

(1) تاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص(179) .
(2) الولاية على البلدان (171/1) .
(3) تاريخ اليمن السِّياسي في العصر الإسلاميّ ، لحسن سليمان ، ص(79) .
(4) تاريخ الطَّبري (442/5) .

إلى معاوية بعض المناطق الأخرى حتَّى أصبح معاوية هو الوالي المطلق لبلاد الشَّام، بل أصبح أقوى ولاة عثمان، وأشدَّهم نفوذاً، وقد كان في بداية خلافة عثمان ولاةٌ اخرون؛ منهم: عمير بن سـعدٍ الأنصـاريُّ، وكان على حمص، وينافس معاوية بن أبي سـفيان في المكانة لدى عثمان رضـي الله عنه إلا أن عميراً مرض مرضـاً أعياه عن القيام بأعباء الولاية، فطلب من الخليفة عثمان أن يعفيه، فأعفاه، وضم ولايته إلى معاوية بن أبي ســـفيان، وبذلك زاد نفوذ معاوية، فامتدَّ إلى حمص الّتي ولي عليها من قبله عبد الرحمن بن خالد بن الوليد[1]، كما توفي علقمة بن محرز، وكان على فلسطين، فضمَّ عثمان ولايته إلى ولاية معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، فاجتمعت الشَّـام لمعاوية بعد سـنتين من خلافة عثمان رضـي الله عنه، وأصـبح الوالي المطلق فيها طيلة السَّـــنوات الباقية من خلافة عثمان حتَّى توفي عثمان وهو عليها كما هو معروفٌ[2] .

وقد كانت فترة ولاية معاوية على الشَّـام مليئةً بالأحداث، كانت الشَّـام من أهم مناطق الجهاد، ومع أنَّ الشَّـام في داخلها قد اسـتقرَّت أوضـاعها، وسـادها الإســلام، وقلَّت محاولات الرُّوم إثارة القلاقل فيها، إلا أنَّ الشـــام كانت متاخمةً لأرض الرُّوم، وبالتَّالي كان المجال مفتوحاً أمام معاوية للجهاد في تلك النَّواحي، وقد تحدَّثنا عنها فيما مضى .

وقد كان لمعاوية ثقله السِّـياسـيُّ في الدَّولة الإسـلاميَّة أواخر خلافة عثمان، رضي الله عنه ؛ إذ كان ضمن الولاة الّذين جمعهم عثمان ليستشيرهم، حين بدأت

[1] تاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص(155) .
[2] تاريخ الطَّبري (442/5) .

ملامح الفتنة تلوح في الأفق، كما ظهرت له اراءٌ خاصَّةٌ في هذا الاجتماع، وجَّهها إلى عثمان[1]، وسيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى .

سادساً: أرمينية:

بدأت الجيوش الإسلاميَّة بالتوجُّه إلى أرمينية لأوَّل مرَّة في عهد عثمان، رضي الله عنه، حيث توجَّه أوَّل جيش إسلاميٍّ إلى تلك المنطقة من بلاد الشَّام – وهي من أقرب الولايات إليها – يقوده حبيب بن مسلمة الفهريُّ، وقوامه حوالي ثمانية الاف مقاتل، واستطاع هذا الجيش أن يفتح العديد من المواقع في أرمينية، إلا أنَّه أحسَّ بالخطر نتيجة تجمُّع حشود من الرُّوم لمساعدة الأرمن في حروبهم ضدَّ المسلمين، فطلب المساعدة من الخليفة الّذي أمر بتسيير جيشٍ من الكوفة قوامه ستة الاف رجلٍ تقريباً، ويقوده سلمان بن ربيعة الباهليُّ[2]، وقد حدث نزاعٌ بعد ذلك بين حبيب بن مسلمة، وسلمان بن ربيعة، وقف الخليفة عثمان عليه، فقام بالكتابة إلى القوم، وحلَّ المشكلة الّتي بينهما[3]، ويبدو: أنَّ سلمان بن ربيعة تولَّى قيادة الجيوش الإسلاميَّة حيث كتب إليه عثمان بإمرته على أرمينية[4]، ثمَّ توغَّل سلمان بن ربيعة في أرمينية ثمَّ بلاد (الخزر)[5] فاتحاً، ومنتصراً، حتَّى وقعت معركةٌ حاميةٌ بين جيشه، وقوامه عشرة الاف رجلٍ، وجيش ملك الخزر، وقوامه ثلاثمئة ألف رجلٍ – كما تقول الرِّوايات – فقتل سلمان، وجميع جنوده .

[1] المصدر السابق نفسه (443/5) .
[2] الولاية على البلدان (176/1) .
[3] الطَّبقات (131/6) .
[4] الخراج وصناعة الكتابة ، قدامة بن جعفر ، ص(326) .
[5] الفتوح ، ابن أعثم (112/2) .

وقد كتب عثمان رضي الله عنه إلى حبيب بن مسلمة أن يسير مرَّة أخرى إلى بلاد أرمينية فاتَّجه بجيشه، وقام بفتح المواقع مرَّة بعد أخرى، وثبَّت أقدام المسلمين فيها، وعقد بعض المعاهدات مع أهل البلاد[1]، ثمَّ رأى عثمان رضي الله عنه أن يوجِّهه إلى ثغور الجزيرة ؛ لخبرته بها، وقدرته عليها، وعيَّن مكانه على أرمينية حذيفة بن اليمان بالإضافة لولايته على أذربيجان، حيث قام بعدَّة غزوات نحو بلاد الخزر من أرمينية[2]، وبعدما يقرب من سنة عزله عثمان، وولَّى على أرمينية المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، حتَّى توفي عثمان وهو عليها، وعلى أذربيجان في الوقت نفسه[3]، وتعدُّ هذه الولاية إضافةً جديدةً أضافها عثمان إلى الدَّولة الإسلاميَّة، ولم تكن فتحت قبله، وقد لقي المسلمون عناءً شديداً في فتحها، وتنظيمها، وضبط أمورها[4].

سابعاً: ولاية مصر:

كان والي مصر في خلافة عمر بن الخطَّاب هو عمرو بن العاص الّذي حكمها ما يقرب من أربع سنوات[5]، وتوفي عمر وهو والٍ عليها، وقد أقرَّه عثمان بن عفَّان في بداية خلافته لفترة من الوقت، وكان يساعده في عمله في بعض نواحي مصر عبد الله بن أبي السَّرح[6]، الّذي كان مصاحباً لعمرو بن العاص منذ أيام فتوحه في فلسطين حيث كان من ضمن قوَّاده، واشترك معه في فتوح مصر[7]،

(1) الخزر: بلاد التُّرك في اسيا الوسطى ، وهي الان في جنوب روسية .
(2) الولاية على البلدان (177/1) .
(3) المصدر السابق نفسه .
(4) تاريخ اليعقوبي (168/2) . والولاية على البلدان (177/1) .
(5) الولاية على البلدان (177/1) .
(6) النُّجوم الزَّاهرة (77/1) .
(7) سير أعلام النبلاء (33/1) .

وقد عيَّنه عمر على بعض صعيد مصر بعد فتحها[1]، ويبدو: أنَّ عمرو بن العاص وعبد الله بن سـعد بن أبي السَّـرح حدث بينهما خلافٌ في وجهات النَّظر، فوفد عمرو بن العاص على عثمان بعد مبايعته بالخلافة، وطلب منه عزل عبد الله بن سعد عن ولاية الصَّعيد، فرفض عثمان ذلك، وذكر له: أنَّ عمر هو الّذي ولَّى ابن أبي السَّـرح، وأنه لم يأت بما يوجب العزل، فأصـرَّ عمرٌو على عزله، وأصـرَّ عثمان على عدم موافقته، ونتيجة لإصرار كلٍّ من الطَّرفين على رأيه – رأى عثمان أنَّ من الأصلح عزل عمرو عن مصر وتولية عبد الله بن أبي السَّرح مكانه، وهذا ما حدث بالفعل[2]، وفي هذه الظُّروف قام الرُّوم بالإغارة على الإسـكندرية، والاسـتيلاء عليها، وقتلوا جميع من فيها من المسـلمين، فرأى أمير المؤمنين تعيين عمرو على جيوش مصـر لفتح الإسـكندرية من جديدٍ، والقضـاء على جيش الرُّوم، وتمَّ ذلك فعلاً[3] وقد فصَّلت أحداثه في حديثي عن الفتوحات.

ثمَّ إن عثمان أراد أن يعيد عمراً على ولاية أجناد مصـر، وحربها، وأن يجعل عبد الله بن سـعد على الخراج، إلا أنَّ عمراً رفض ذلك، وتكاد الأخبار تندر عن ولاية عمرو في مصـر خلال عهد عثمان رضـي الله عنه سـوى ما ورد من دوره في الجهاد، سواءٌ في ردِّ الرُّوم، وطردهم عن الإسكندريَّة وتثبيت الأمن في أنحاء مصر، أو في قضـايا الخراج الّتي دارت فيها بين عثمان وبين عَمْرٍو خلافاتٌ في الرَّأي[4]، وبعد عزل عمرو بن العاص عن مصـر مرَّةً أخرى، أو عن ولاية الإسـكندريَّة على أرجح الاراء، وبعد رفضـه ما اقترحه عثمان رضـي الله عنه من ولايته على الأجناد

(1) المصدر السابق نفسه .
(2) ولاة مصر للكندي ، ص(33) . وفتوح مصر وأخبارها ، ص(173) .
(3) الولاية على البلدان (178/1) .
(4) المصدر السَّابق نفسه ، ص(178/1 ، 179) .

وولاية ابن أبي السَّـــرح على الخراج، أقرَّ عثمان عبد الله بن أبي السَّـــرح مرَّة أخرى على مصر، وأصبح هو الوالي الرَّسمي لمصر، والمدير الفعلي لولاية مصر بأجنادها، وخراجها، ومختلف شؤونها[1] .

وقد كانت ولاية مصر في أول أمرها هادئةً مستقرَّةً، إلى أن تمكَّن مثيرو الفتنة من أمثال عبد الله بن ســـبأ من الوصـــول إليها، وإثارة النَّاس فيها، فكان لهم وللمتأثِّرين بهم دورٌ كبيرٌ في مقتل عثمان رضـي الله عنه[2]، وسيأتي بإذن الله تعالى تفصيل ذلك .

ثامناً: ولاية البصرة:

استشـهد عمر بن الخطَّاب رضـي الله عنه وواليه على البصـرة أبو موسـى الأشعريُّ، وكان المجتمع البصري في تلك الفترة قد بدأ يشـهد تغيرات أساسية في بنيته السُّـكَّانيَّة والاجتماعيَّة، حيث أصـبحت البصـرة من أكبر المعسـكرات الإسـلاميَّة، إذ هاجر إليها العديد من القبائل، وقام جندها بفتح الكثير من المواقع، وبالتَّالي اكتسبت أهمِّيَّةً خاصَّةً في بداية عهد عثمان[3]، وقد انشغل النَّاس بأمورهم الخاصَّـة إضـافةً إلى الأمور العامَّة من جهادٍ، وغيره، وبالتَّالي فإنَّ الولاية على مثل هذه المنطقة، وكذلك ما يتَّبعها من أقاليم أخرى تعتبر مهمَّة ليسـت باليسيرة، وتتطلَّب درايةً خاصَّةً بإدارة أحوال تلك الولاية، ولعلَّ عمر بن الخطَّاب

---

[1] الولاية على البلدان (179/1) . وفتوح البلدان ، ص(217) .
[2] الولاية على البلدان (179/1) .

[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص(186/1) .

رضي الله عنه كان يحسُّ بمقدرة أبي موسى الخاصَّة على إدارة تلك الولاية، حيث أوصى الخليفة بعده أن يترك أبا موسى في الولاية من بعده أربع سنوات بعد وفاته[1].

وقد كانت فترة ولاية أبي موسى للبصرة فترة جهادٍ، وكفاح برز فيها دور أهل البصرة، كما برز فيها أبو موسى رضي الله عنه بفتح العديد من المواقع في بلاد فارس، إضافة إلى تثبيته لأقدام المسلمين في المواقع المفتوحة سابقاً، والّتي حاول أهلها الانتقاض بعد وفاة عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه، فقام أبو موسى بغزوهم، وتثبيت الإسلام في تلك الرُّبوع[2]، وبالإضافة إلى دور أبي موسى في الفتوح فإنَّه قام بدورٍ مهمٍ في تنظيم الرَّيِّ، وحفر القنوات، والأنهار في البصرة أثناء ولايته زمن الخليفة عثمان، وقد قام بحفر قناةٍ لجلب مياه الشرب إلى البصرة اعتمد عليها النَّاس بعد ذلك في شربهم، كما بدأ في مشاريع لحفر قنواتٍ أخرى، إلا أنَّ عزله عن الولاية حال دون إتمامها[3]، فقام خليفته عبد الله بن عامر بإتمامها[4]، ولم تستمرَّ ولاية أبي موسى على البصرة طويلاً، إذ قام عثمان بعزله سنة 29هـ كما ترجِّح معظم الرِّوايات – وعيَّن مكانه عبد الله بن عامر بن كريز[5] .

ويورد المؤرِّخون عدَّة رواياتٍ حول عزل أبي موسى، نستخلص منها: أنَّ هناك مشكلةً قامت بين أبي موسى وبين جند البصرة، اختُلف في سببها، وقد قدِمت مجموعةٌ من أهل البصرة إلى عثمان تحرِّضه على عزل أبي موسى قائلين له: ما كل

---

(1) التَّنظيمات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في البصرة ، صالح العلي ، ص(141) .
(2) سير أعلام النُّبلاء (391/2) . والولاية على البلدان (186) .
(3) الولاية على البلدان (187/1) .
(4) المصدر السابق نفسه .
(5) المصدر السابق نفسه .

ما نعلم نحبُّ أن تسـألنا عنه فأبدلنا سـواه، قال عثمان: من تحبُّون ؟ فقالوا في كلِّ أحد عوضٌ عنه، وطلب قومٌ من عثمان أن يولِّي عليهم قرشـيّاً[1]، فعزل عثمان أبا موسـى، وولَّى مكانه عبد الله بن عامر، وهنا تتجلَّى لنا حكمة أبي موسـى، وسـعة صـــدره، وطاعته لأمر الخليفة، وأنَّه لم يكن يحرص على الولاية كما يظنُّ البعض، فحينما بلغه عزله، وتولية عبد الله بن عامر مكانه، صعد المنبر، وأثنى على عبد الله بن عامر – وكان شـاباً صـغيراً عمره 25 سـنة – وكان ممَّا مدحه به أبو موسـى قوله: قد جاءكم غلامٌ كريمُ العمَّات، والخالات، والجدَّات في قريشٍ، يفيض عليكم المال فيضاً[2] .

لقد استطاع عثمان رضـي الله عنه في تلك الظُّروف الصَّعبة الّتي تمرُّ بها ولاية البصرة أن يعيِّن قائداً جديداً يستجيب له الأجناد، وبالتَّالي توحَّدت صفوفهم أمام الأعداء، فضـلاً عن أنَّ هذا العزل تكريمٌ لأبي موسـى من أن يهان من قبل بعض العوامِّ ممَّن تأثَّروا بالغوغاء، وأفكار المتمرِّدين المنحرفة ممَّن حملوا في نفوسهم كراهيته، والتَّشـهير به، والتقُّوا عليه[3]، وقد كانت ولاية البصـرة تمرُّ بظروفٍ صـعبةٍ حينما تولَّى ابن عامر، ممَّا دفع عثمان رضـي الله عنه إلى إجراء تغيير أسـاسـيٍّ في إدارة الولاية ؛ إذ إنَّه ضـمَّ أجناد البحرين وعمان إلى ابن عامر في البصـرة حتَّى يعطيه سلطةً أقوى للوقوف أمام التَّحدِّيات الّتي تواجهه في تلك الفترة.

وقد كان لهذا الدَّمج أثره الكبير على قوَّة ابن عامرٍ، ونفوذه، كما أنَّه أثَّر من ناحيةٍ أخرى على البصـرة نفسـها، حيث أصـبحت إحدى العواصـم الإسـلاميَّة

---

[1] تاريخ الطَّبري (264/5) .

[2] المصدر السابق نفسه .

[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص(266/5) . وسير أعلام النُّبلاء (19/3) .

المســـتقرَّة، وزادت هجرة القبائل إليها أكثر من ذي قبل[1]، وبالتَّالي زادت أعباء الولاية ســـواءٌ في الدِّيوان، أو في تنظيم مختلف شـــؤون الولاية: الإداريَّة، والماليَّة، والأمنيَّة، وغيرها.

وقد كانت لولاية البصـرة، وأجنادها، ولابن عامرٍ نفســه فتوحٌ عظيمةٌ بدأت بعد ولايته مباشـرةً، وانتهت قبيل مقتل أمير المؤمنين عثمان رضـي الله عنه[2]. وقد تمَّ بيانها عند حديثنا عن فتوحات عثمان رضي الله عنه، وقد اكتسبت البصرة أيَّام ابن عامر مكانةً خاصـةً بين الولايات الإسـلاميَّة لفتت نظر الخليفة عثمان رضـي الله عنه نتيجة فتوحها، وتوســـعها في مختلف المجالات، فأصـــبحت مركزاً إدارياً مرموقاً[3]، وتدار منها العديد من المناطق الإسـلاميَّة، وكان ابن عامر مسـؤولاً عن توزيع الأمراء في مختلف المناطق التَّابعة لولايته باتِّفاقٍ مســـبقٍ مع الخليفة عثمان، رضـي الله عنه، وبالتَّالي كانت مسـؤوليَّاته عظيمةً، وقد قام ابن عامر بتوزيع الأمراء على المناطق التَّابعة له بمجرَّد أن تولَّى الإمارة حيث اختار بعض القوَّاد، والأمراء، وعيَّنهم على تلك المناطق، ومن أهمِّها: عُمان، والبحرين، وسـجستان، وخراسـان، وفارس، والأهواز، بما في هذه المناطق من مدنٍ مختلفةً، ومناطق شـاسـعةٍ[4]، وكان يُجري تنقُّلاتٍ بين هؤلاء الأمراء، والعمَّال من وقتٍ لاخر تبعاً للمصلحة في ذلك، كما اشـــتهرت البصـــرة في أيَّامه ببيت مالها ؛ الَّذي زاد دخله في أيَّامه، وكثرت مصـروفاته، وكان المسـؤول عن بيت المال في أيَّام عمر زياد بن أبي سـفيان، وقد

(1) الولاية على البلدان (189/1) .
(2) التنظيمات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة في البصرة ، ص(141) .
(3) الولاية على البلدان (189/1) .
(4) المصدر السَّابق نفسه ، ص(193/1) .

كان يلي بعض المشـــاريع من حفرٍ للأنهار، وغيرها نيابةً عن ابن عامر[1]، وفي ولاية ابن عامر ضـربت الدَّراهم في أنحاء فارس التَّابعة لولايته، وعليها ألفاظ عربيَّةٌ في الفترة من سنة 30 هـ حتى 35 هـ[2] .

وقد كان ابن عامر محبوباً لأهل البصـرة عموماً منذ قدومه إليها، ورغم ما أثير حوله من أنَّ عثمان ولاه، لأنَّه قريبٌ له، إلا أنَّ أهل البصرة تمسَّكوا به[3].

ومن خلال هذا العرض تبيَّن: أن ولاية البصـرة في عهد عثمان انحصـرت بين رجلين هما أبو موسى الأشعريُّ، وعبد الله بن عامر، ولقد كان لكلا الواليين دوره الرَّئيسيُّ في ضبط أمور البصرة، وما يتبعها[4].

تاسعاً: ولاية الكوفة:

كان على ولاية الكوفة حين بويع عثمان بالخلافة المغيرة بن شـعبة رضـي الله عنه، وكان قد تولَّى في أواخر عهد عمر رضـي الله عنه[5]، وقد قام عثمان رضـي الله عنه بعزل المغيرة عن الكوفة وتعيين سـعد بن أبي وقَّاص رضـي الله عنه مكانه، وقد ذكر في سـبب العزل: أنَّه كان بوصـية من عمر رضـي الله عنه، حيث أوصـى الخليفة من بعده أن يسـتعمل سـعداً ؛ نظراً لأنَّ عمر عزله عن الكوفة في أواخر خلافته، وقال: إنِّي لم أعزله عن سـوءٍ، ولا خيانةٍ، وأوصـي الخليفة بعدي أن

---

(1) نهاية الأرب (433/19) .
(2) الولاية على البلدان (194/1) .
(3) الدَّراهم الإسلامية ، وداد علي القزاز ، ص(14) .
(4) الولاية على البلدان (194/1) .
(5) المصدر السَّابق نفسه (195/1) .

يستعمله[1]، تولَّى سعد بن أبي وقاص على الكوفة، وكان قرار التَّعيين مشتركاً بين سعد بن أبي وقَّاص، وعبد الله بن مسعود، سعدٌ على الصَّلاة والجند، وابن مسعود على بيت المال[2]، وقد كان سعد بن أبي وقَّاص صاحب خبرةٍ في ولاية الكوفة، وله معرفةٌ تامَّةٌ بأمورها وسكَّانها، وثغورها، وأجنادها ؛ نظراً لأنَّه كان مؤسِّسها في عهد عمر، كما أنَّه وليها عدَّة سنوات، فكان أخبر النَّاس بها، وأعلمهم بأحوالها[3].

ومن الأعمال الّتي قام بها سعدٌ أثناء ولايته في عهد عثمان على الكوفة قيامه بزيارة بعض الثُّغور التَّابعة للكوفة، ومنها (الرَّيُّ) وترتيب أمورها، وضبطها سنة 25هـ[4]، وكذلك قيامه بتعيين بعض الأمراء، والعمَّال الجدد في (همذان) وما حولها، ولم تطل فترة ولاية سعد بن أبي وقَّاص على الكوفة ؛ إذ حدث بينه وبين عبد الله بن مسعود خلافٌ، وكان ابن مسعود على بيت المال، فاقترض منه سعد شيئاً من الأموال إلى أجلٍ، فجاء الأجل، ولم يكن عند سعدٍ ما يسدُّ به ذلك القرض، فجاءه ابن مسعود يطالبه بتسديد ذلك القرض، فاشتدَّا في الكلام، واجتمع حولهما الناس، فقرَّر عثمان عزل سعد، وإبقاء ابن مسعودٍ، فكانت عقوبة سعد العزل، وعقوبة ابن مسعود الإقرار في العمل كما يقولالطَّبري[5].

وهذه القصَّة تدلُّنا على تورُّع كلا الصَّحابيين، وتدلُّ على حاجة سعدٍ إلى المال، وعدم وجود ما يكفيه، وأنَّه – لذلك – اضطر إلى الاقتراض من بيت المال،

[1] تاريخ الطَّبري (239/5) .
[2] المصدر السابق نفسه .
[3] تاريخ الطَّبري (250/5) . والولاية على البلدان (196/1) .
[4] عثمان بن عفَّان لصادق عرجون ، ص(105) . والولاية على البلدان (196/1) .
[5] الولاية على البلدان (197/1) .

كما تدلُّ على اجتهاد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في حفظ أموال المسلمين، وإصراره على استرداد القرض من سعدٍ والي الكوفة، وحاكمها، وكانت ولاية سعدٍ على الكوفة سنةً، وشهراً[1]، وبعد عزل سعد ولَّى عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة بن أبي معيط الّذي كان قبل تعيينه على الكوفة قد عمل قائداً لجيش من جيوش أبي بكر في الأردن، ثمَّ عمل لعمر على عرب الجزيرة[2].

وفي أواخر خلافة عمر، وأوائل خلافة عثمان كان الوليد أحد قوَّاد أجناد الكوفة، وقام بالجهاد في العديد من المواقع قائداً لتلك الأجناد[3]، فكان قبل تعيينه على ولاية الكوفة صاحب خبرةٍ بالكوفة، وأجنادها، وثغورها ومختلف شؤونها، وكعادة الخلفاء الراشدين في تفضيل أصحاب الخبرة في المنطقة على غيرهم عند الحاجة إلى تعيين ولاةٍ جدد، فقد وقع اختيار عثمان رضي الله عنه على الوليد بن عقبة لولاية الكوفة، وكثيرٌ ممَّن كتبوا عن تعيين عثمان رضي الله عنه للوليد سواءٌ من المتقدِّمين، أو من المتأخِّرين حاولوا اتِّهام عثمان في هذا التعيين، فهم يقولون: إنَّ عثمان استعمل على الكوفة أخاه لأمِّه الوليد بن عقبة[4]، وهذا فيه غمزٌ مباشرٌ لعثمان رضي الله عنه[5]، وفي بداية ولاية الوليد كان يشترك معه عبد الله ابن مسعودٍ، حيث كان والياً على بيت المال؛ إلا أنَّ خلافاً حدث بين الوليد، وعبد الله بن مسعودٍ، على أمرٍ يتعلَّق بأموال الدَّولة، ورفع النِّزاع إلى عثمان ليفصل فيما يراهُ، فرأى عثمان رضي الله عنه أنَّ من المصلحة توحيد الولاية، وبيت

---

(1) تاريخ الطَّبري (251/5) .
(2) المصدر السابق نفسه (250/5) .
(3) المصدر السَّابق نفسه ، ص(251/5) .
(4) الولاية على البلدان (198/1) .
(5) المصدر السابق نفسه .

المال في يد الوليد، وعزل عبد الله بن مســـعودٍ، وقد اعتقد: أنَّ المصـــلحة العامَّة تقتضي ذلك الضَّمَّ[1] .

وقد بقي الوليد بن عقبة في الكوفة محبوباً من أهلها، ليس على داره بابٌ[2]، يســتقبل الناس في مختلف الأوقات ؛ ليحلَّ مشــكلاتهم، ويقوم بالواجبات الملقاة عليه، إلى أن وقعت بعض الحوادث في الكوفة أوجدت بعض الحاقدين عليه بسـبب موقفه الحازم في قضـيَّة ابن الحيســمان الخزاعيِّ ؛ الّذي قتله مجموعةٌ من شباب الكوفة، فأقام الوليد بن عقبة بأمرٍ من عثمان رضي الله عنه حدَّ القصاص على هؤلاء الشـــباب المعتدين، ومنذ تلك الحادثة: أخذ أولياء هؤلاء المجرمين، وأقاربهم يروِّجون الشَّـائعات على الوليد بن عقبة، ويحاولون جاهدين أن يتصـيَّدوا أخطاء الوليد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، واستطاع أولئك الموتورون تلفيق قضيَّةٍ ضدَّ الوليد، وهي دعوى شربه الخمر، الّتي سبَّبت إقامة الحد عليه، وعزله عن ولاية الكوفة، وهذا ما أراده المتامرون[3]، وسـيأتي تفصـيل قضـيَّة شـرب الوليد بن عقبة للخمر عند حديثنا عن ولاة عثمان رضي الله عنه بإذن الله تعالى .

وبعد عزل الوليد أرســـل عثمان إلى أهل الكوفة كتاباً جاء فيه: من عبد الله عثمان أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة، ســـلامٌ، أمَّا بعد: فإنِّي اســـتعملت عليكم الوليد بن عقبة حتَّى تولت منعته، واســـتقامت طريقته، وكان من صـــالحي أهله، وأوصــيته بكم، ولم أوصــكم به، فلمَّا بدا لكم خيرهُ، وكف عنكم شــرَّه، وغلبتكم علانيته؛ طعنتم به في ســريرته، والله أعلم بكم، وبه، وقد بعثت عليكم ســعيد بن

[1] انظر الاتهامات الَّتي ألقاها طه حسين في كتابه الفتنة الكبرى (94/1) .
[2] عثمان بن عفَّان ، لصادق عرجون ، ص(108) .
[3] تاريخ الطَّبري (251/5) .

العاص أميراً[1] .

وكانت شـــكاية أهل الكوفة للوليد وعزله حلقةً في ســـلســـلةٍ طويلة من الشكايات، والعزل من قِبَلِ بعض أهل الكوفة لأمرائهم[2]، وقد غضب الكثير من أهل الكوفة لعزل الوليد، وبعد عزل عثمان رضـــي الله عنه للوليد عن ولاية الكوفة عيَّن بعده سعيد بن العاص سنة 30 هـــ الّذي كان مقيماً في المدينة، فاتَّجه إلى الكوفة، ورافقه وفدٌ من أهل الكوفة الّذين قدموا على عثمان في شـــكاية الوليد، وكان فيهم الأشــتر النَّخعيُّ، وغيره[3]، فلمَّا وصــل ســعيد الكوفة، صــعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: والله لقد بعثت إليكم، وإِنّي لكارهٌ ! ولكنِّي لم أجد بُدّاً ؛ إذ أمرت أن أأتمر، ألا إنَّ الفتنة قد أطلعت خطمها، وعينيها، والله لأضـربنَّ وجهها حتَّى أقمعها، أو تعييني، وإِنّي الرَّائد نفسي اليوم . ثمَّ نزل عن المنبر[4].

ومن خلال هذه الخطبة يتبيَّن لنا معرفة سعيد ببدايات الفتنة، وإرهاصاتها الّتي بدأت تظهر في الكوفة قبل ولايته، وتهديده لأصحاب الفتنة، وعزمه على القضاء على الفتنة الّتي استشعر بدايتها في الكوفة[5]، واستطاع سعيد بن العاص أن ينظِّم أمور ولايتـه، ويعيِّن الأمراء، والولاة في مختلف الثُّغور التَّـابعـة للكوفـة ويضـــبط أمورهـا[6]، وقـام بغزوات نـاجحـةٍ تمَّ ذكرهـا عنـد حديثنـا عن الفتوحـات في عهـد عثمان، ثمَّ بدأت الفتنة تطلُّ برأسها في الكوفة سنة 33 هـ، وسيأتي الحديث عنها

---

(1) الولاية على البلدان (201/1) .
(2) تاريخ الطَّبري (280/5) .
(3) الولاية على البلدان (206/1) .
(4) تاريخ الطَّبري (280/5) .
(5) المصدر السَّابق نفسه ، ص(280/5) .
(6) الولاية على البلدان (207/1) .

– بإذن الله تعالى – بالتفصيل، ودبَّر الأشتر النَّخعيُّ مؤامرةً ضدَّ سعيد بن العاص، وانخدع بها بعض عوامِّ الكوفة، فقاموا مع الأشــتر في رفض ولاية ســعيدٍ، والطَّلب من عثمان إبداله بغيرِه، ولم يكن ســعيد ســوى والٍ من الولاة الّذين ســبق لأهل الكوفة أن اعترضــوا عليهم، وطلبوا عزلهم قبل ذلك كسـعد بن أبي وقاص، والوليد بن عقبة، وغيرهم، وكان طلب خلعه مقروناً بثورةٍ حمل الغوغاء فيها السِّلاح، وهي سـابقةٌ خطيرةٌ في تاريخ الكوفة، بل وفي تاريخ الدَّولة الإسـلاميَّة كلِّها، وليس فيها سـببٌ حقيقي، وإنَّما السَّـبب الحقيقيُّ هو تطور الأوضـاع، والتَّغيُّر الّذي طرأ على نفوس الناس بتأثير دعاة الفتنة، والخروج على عثمان، وقد أصـــدر الخليفة عثمان رضي الله عنه أمراً بتولية أبي موسى الأشعريِّ على الكوفة، وعزل سعيد بن العاص بناءً على طلب بعض أهل الكوفة، وقد استهلَّ أبو موسى ولايته بخطبةٍ أمام أهل الكوفة، قال فيها: أيُّها النَّاس ! لا تنفروا في مثل هذا، ولا تعودوا لمثله، الزموا جماعتكم، والطَّاعة، وإيَّاكم والعجلة ! اصبروا، فكأنَّكم[1] بأميرٍ . قالوا: فَصَلِّ بنا. قال: لا إلا على السَّـمع والطَّاعة لعثمان بن عفَّان، قالوا: على السَّـمع، والطَّاعة لعثمان[2].

وقد كتب عثمان إلى أهل الكوفة: بسم الله الرحمن الرَّحيم: أما بعد فقد أمَّرت عليكم من اخترتم، وأعفيتكم من سـعيدٍ، ووالله لأفرشـنَّكم عرضـي، ولأبذلن لكم صبري، ولأستصلحنكم بجهدي ! فلا تدعوا شيئاً أحببتموه، لا يُعصى الله فيه إلا سـألتموه، ولا شيئاً كرهتموه، لا يعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عندما

---

[1] المصدر السابق نفسه (208/1) .
[2] المراد: اصبروا فإنَّ معكم أميراً الان إن سمعتم ، وأطعتم .

أحببتم ؛ حتَّى لا يكون لكم عليَّ حجَّةٌ[1] .

وقد استمرَّ أبو موسى رضي الله عنه والياً على الكوفة حتَّى قتل عثمان رضي الله عنه[2]، وهكذا نجد أنَّ ولاية الكوفة في خلافة عثمان رضـــي الله عنه قد تولَّى عليها خمســةُ ولاةٍ ابتداءً بالمغيرة بن شـعبة، وانتهاءً بأبي موســى الأشـعريِّ، وقد حفلت فترة الولاية لكلٍّ من هؤلاء الخمســـة بالعديد من الحوادث الَّتي برزت على سـاحة الأحداث، وكان لها تأثيرٌ مباشـرٌ على مسـيرة الدَّولة الإسـلاميَّة، وقد نمت الفتنة في الكوفة، واشتهر عن أهلها تسلُّطهم على ولاتهم، ورفضهم لهم في كثير من الأحيان مهما اسـترضـوهم، فقد شـكوا سـعد بن أبي وقَّاص، وشـكوا الوليد بن عقبة، وطردوا ســـعيد بن العاص، ولعلَّنا نتذكَّر هنا: أنَّهم أتعبوا عمر قبل عثمان ؛ حتَّى قال فيهم: من عذيري من أهل الكوفة ؟!

وقد كان لبعض أهل الكوفة دورٌ مباشـــرٌ، ورئيســـيٌّ في مقتل الخليفة عثمان رضـي الله عنه . وجديرٌ بالذِّكر: أنَّه كانت هناك بعض الولايات المتفرِّعة من ولاية الكوفة كطبرســـتان، وأذربيجان، وبعض المناطق الأخرى شمالي بلادفارس[3]، وممَّا يؤيِّد ارتباطها بالكوفة: أنَّ ولاة الكوفة، ومنهم ســـعيد بن العاص هم الَّذين كانوا يتولَّون الفتوح في نواحيها، كما كانوا يؤدِّبون أهلها في حال عصـيانهم، وقد لعبت هذه الولايات الفرعيَّة دوراً مرتبطاً بدور الكوفة أيضاً إلى حدٍّ كبير[4] .

ومن خلال العرض السَّـابق للولايات الإسـلاميَّة في عهد عثمان يتبيَّن لنا أنَّ

---

[1] تاريخ الطَّبري (339/5) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(343/5) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] الولاية على البلدان (213/1) .

هناك ولاياتٍ تمتَّعت بالاستقرار طيلة عهد عثمان رضي الله عنه، ومنها الولايات الواقعة في بلاد العرب، كالبحرين، واليمن، ومكَّة، والطَّائف، وغيرها، كما تمتَّعت الشَّام بالاستقرار أيضاً طيلة خلافة عثمان رضي الله عنه، وأمَّا البصرة فقد شغل أهلها بالفتوح مع واليهم عبد الله بن عامرٍ، وأمَّا مصر، والكوفة فقد حدث فيهما الاضطراب في أواخر خلافة عثمان وبالتَّالي ولدت فيهما الفتنة، وأقدم أناسٌ من أهلها على غزو المدينة، وعلى قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه بدلاً من غزو أعداء الإسلام[1] .

* * *

[1] المصدر السَّابق نفسه .

المبحث الثَّاني : سياسة عثمان مع الولاة وحقوقهم وواجباتهم

أوَّلاً: سياسة عثمان مع الولاة:

تولَّى عثمان رضي الله عنه الخلافة في بداية سنة 24هـ، وكان ولاة عمر رضي الله عنه، ينتشـــرون في الأمصـــار الإســـلامية، وقد أقَرَّهم عثمان في ولاياتهم عاماً كاملاً، ثمَّ باشــر بعد ذلك العزل، والتَّعيين في هذه الأمصـــار بمقتضـــى ســلطته، وحسـب ما يراه في مصـلحة المسـلمين، ولعلَّ عثمان في ذلك قد اتَّبع وصـيَّة عمر رضـي الله عنه الّتي أوصـى فيها: ألا يُقَرَّ لي عاملٌ أكثر من سـنةٍ، وأقرُّوا الأشـعريَّ أربع سنين[1].

وكان عثمان رضي الله عنه في سياسته مع الولاة يعتمد على مشورة الصَّحابة في كثير من تصــرُّفاته، كما أنَّه قام بضــمِّ بعض الولايات إلى بعضــها ؛ لما يراه في مصلحة المسلمين، ولذلك قد حدَّد الولاة إلى حدٍّ ما في بعض المناطق، فقد ضمَّ البحرين إلى البصـرة، كما ضـمَّ بعض ولايات الشَّـام إلى بعضـها الاخر نتيجةً لوفاة بعض الولاة، أو طلبهم الإعفاء من العمل، وقد كان عثمان رضـــي الله عنه دائم النُّصــــح لولاته بالعدل، والرَّحمة بين النَّاس، فكان أوَّل كتبه إلى ولاته بعد مبايعته خليفة للمسلمين: أمَّا بعد: فإنَّ الله أمر الأئمَّة أن يكونوا رعاةً، ولم يتقدَّم إليهم أن يكونوا جباةً، وإنَّ صدر هذه الأمَّة خُلقوا رعاةً، ولم يُخلقوا جباةً، وليوشكنَّ أئمتكم أن يصـــيروا جباةً، ولا يكونوا رعاةً، فإذا عادوا كذلك ؛ انقطع الحياء، والأمانة،

---

[1] المصدر السَّابق نفسه (214/1) .

والوفاء، ألا وإنَّ أعدل السِّيرة أن تنظروا في أمور المسلمين، وفيما عليهم، فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثمَّ تثنُّوا بالذِّمَّة فتعطوهم الّذي لهم، وتأخذوا بالّذي عليهم، ثمَّ العدو الّذي تنتابون، فاستفتحوا بالوفاء[1].

ونحن نرى من هذا: أنَّ عثمان حدَّد لولاته معالم السِّــياســة، الّتي يجب أن يســيروا عليها، من إعطاء الحقوق للمســلمين، ومطالبتهم بما عليهم من واجباتٍ، وإعطاء أهل الذِّمَّة حقوقهم، ومطالبتهم بما عليهم من واجباتٍ، وبالوفاء حتَّى مع الأعداء، وبالعدل في ذلك كلِّه، وألا يكون همُّهم جباية المال[2]، كما كان عثمان رضــي الله عنه يكتب إلى عمَّاله ببعض التَّعليمات الخاصَّــة في الأمور المســتجدَّة ؛ الّتي تتعلَّق بإداراتهم للولايات، إضــــافةً إلى كتبه العامَّة والّتي كان يصــــدر فيها تعليماتٌ محدَّدةٌ يلتزم بها الجميع، ومن ذلك إلزامه النَّاس في الولايات بالمصــاحف الّتي كُتبت في المدينة على ملأ من الصَّــحابة، حيث أرســل مصــاحف إلى كلٍّ من الكوفة، والبصرة، ومكَّة، ومصر، والشَّام، والبحرين، واليمن، والجزيرة – بالإضافة– إلى مصــــحف المدينة[3]، وقد أمر عثمان بجمع المصــــاحف الأخرى، وإحراقها، وذلك بموافقة الصَّــحابة في المدينة، كما ورد ذلك عن عليٍّ رضــي الله عنه[4]، كما كان عثمان رضــي الله عنه حريصــاً على أن يتنافس الأمراء فيما بينهم في الجهاد، وفتح بلدانٍ جديدةٍ، فقد كتب إلى عبد الله بن عامر في البصــرة، وإلى ســعيد بن العاص في الكوفة يقول: أيُّكما ســبق إلى خراســان فهو أميرٌ عليها، ممَّا دفع ابن

---

[1] سير أعلام النبلاء (391/2) .
[2] تاريخ الطَّبري (244/5) .
[3] الولاية على البلدان (215/1) .
[4] تاريخ المدينة (997/3) .

عامر إلى فتح خراسان، وسعيد بن العاص إلى فتح طبرستان[1].

وقد كان عثمان يشترط بعض الشُّروط على الولاة أحياناً ليضمن أن يكون تصرُّفهم في صالح المسلمين، ومثال ذلك: أنَّ معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عثمان يهوِّن عليه ركوب البحر إلى قبرص، فكتب إليه عثمان: فإن ركبت البحر، ومعك امرأتك، فاركبه مأذوناً لك، وإلا ؛ فلا . فركب البحر، وحمل امرأته .

ثانياً: أساليب عثمان رضي الله عنه لمراقبة عمَّاله، والاطِّلاع على أخبارهم:

اتَّبع عثمان رضي الله عنه عدَّة أساليب لمراقبة عمَّاله، والاطلاع على أخبارهم؛ من ذلك:

1. حضوره لموسم الحجِّ:

كان عثمان يحرص على الحجِّ بنفسه، ويلتقي بالحجَّاج، ويسمع شكاياتهم، وتظلُّمهم من ولاتهم، كما أنَّه طلب من العمَّال أن يوافوه في كلِّ موسمٍ، وكتب إلى الأمصار أن يوافيه العمَّال في كلِّ موسمٍ ومن يشكوهم[2]، وكان ذلك استمراراً لما كان عليه الحال أيَّام عمر من لقاءٍ سنويٍّ بين الخليفة، والولاة، والرَّعية[3].

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(995/3 ، 996) .
[2] تاريخ اليعقوبيّ (166/2) .
[3] الولاية على البلدان (216/1) . والخراج وصناعة الكتابة ، ص(306) .

2. سؤال القادمين من الأمصار والولايات:

وتعتبر هذه الطَّريقة من أيســـر الطُّرق حيث إنَّها لا تكلِّف الخلفاء كثيراً، كما أنَّها تأتي في كثيرٍ من الأحيان دون ترتيبٍ مسبقٍ، وقد اشتهر عن الخلفاء الرَّاشدين الأربعة عملهم بهذه الطَّريقة، وكان وجود الخليفة في المدينة المنوَّرة خلال عصـــور الخلفاء الثَّلاثة الأُوَل ممَّا يســـاعد الخليفة نظراً لكثرة الوافدين إلى المدينة للزِّيارة، وخصوصاً أثناء موسم الحجِّ[1] .

3. وجود أناس من أهل البلاد يكتبون إلى الخليفة:

فقد اســـتقبل عثمان رضـــي الله عنه الكتب الَّتي أرســـلها بعض الرَّعية من الأمصــار إلى المدينة بما فيها من شــكاوى، فقد اســتقبل كتاباً أرســله أهل الكوفة إليه، وكذلك كتاباً أرسله أهل مصر إليه، كما استقبل كتباً أخرى أرسلها أناسٌ من الشَّام، وقد اطَّلع عثمان على ما في هذه الكتب، وعالج ما فيها[2] .

4. إرسال المفتِّشين إلى الولايات:

بعث عثمان رضـي الله عنه العديد من المفتِّشـين إلى بعض الولايات للاطِّلاع على أحوالها، ومعرفة ما يشاع عن ولاته من ظلمٍ للرَّعية، وقد جاء أولئك المفتِّشون بتقارير وافيةٍ عن أحوال أولئك الولاة[3]، فقد أرســل عمَّار بن ياســر إلى مصــر، ومحمَّد بن مسـلمة إلى الكوفة، وأسـامة بن زيد إلى البصـرة، وعبد الله بن عمر إلى

(1) الولاية على البلدان (216/1) نقلاً عن تاريخ الطَّبري .
(2) المصدر السابق نفسه .
(3) المصدر السَّابق نفسه (122/2) .

الشام، بالإضافة إلى إرساله رجالاً اخرين إلى أماكن أخرى[1].

5. السَّفر إلى الولايات والاطلاع على أحوالها مباشرةً:

كان عثمان رضـــي الله عنه يزور مكَّة في موســـم الحجِّ، ويطَّلع على أحوالها، ويقابل الولاة بها، وحجَّاج الأمصار، ويسأل عن أخبارهم، وأحوالهم .

6. طلب الموفدين من الولايات لسؤالهم عن أمرائهم، وولاتهم:

كان الخلفاء الرَّاشــدون في كثيرٍ من الأحيان يطلبون من الولاة أن يبعثوا إليهم بأناسٍ من أهل البلاد ؛ ليســـألوهم، وقد تكرَّر ذلك من عمر، وعثمان، وعليٍّ، رضـــي الله عنهم، أمَّا أبو بكرٍ فكان مشـــغولاً بأمورٍ جهاديةٍ منعته من ذلك، كما كان لقصر مدَّة خلافته دورٌ في قلَّة هذه الحوادث[2] .

7. استقدام الولاة وسؤالهم عن أحوال بلادهم:

وقد اشـتهرت هذه الطَّريقة خلال عصر الخلفاء الرَّاشـدين الأربعة، وقد كانت الاتِّصـالات المسـتمرة قائمة بين الخليفة عثمان، وبين ولاته لبحث مختلف شـؤون الدَّولة، ومن أهمِّ هذه الاتصـــالات الاجتماع الّذي عقده عثمان مع ولاته في المدينة، حيث دعا ولاة البصـرة، والكوفة، والشَّــام، ومصــر، وغيرهم، ودعا كبار الصَّـــحابة، وعقد معهم اجتماعاً بحث فيه بوادر الفتنة التي بدأت تظهر، وتعرَّف على اراء أولئك الولاة في الفتنة، وكيفية علاجها ؛ فقد أدلى كلُّ والٍ من هؤلاء

(1) المصدر السَّابق نفسه .

(2) المصدر السَّابق نفسه .

برأيه في علاج تلك الظَّاهرة[1].

8 – المراسلة مع الولاة:

وطلب التَّقارير منهم عن أحوال رعيَّتهم، وأحوال بلادهم، وقد اشـتهرت هذه الطَّريقة خلال عصور الخلفاء الرَّاشدين الأربعة، وكانت بالأحرى أهمَّ الطُّرق خلال عصر أبي بكرٍ الصِّدِّيق، وعليٍّ بن أبي طالب، رضي الله عنهما[2].

هذه أهمُّ الأســـاليب الّتي اتبعها عثمان في متابعة، ومراقبة ولاته، وقد كان رضي الله عنه حريصاً على قيام الولاة بواجباتهم، وفي حالة وقوع أيِّ مخالفةٍ منهم، فإنَّه يؤدِّبهم على ذلك الخطأ إذا وصل إلى علمه، وإذا ثبت عليه ارتكابه ؛ شرع في عقوبته دون النَّظر إلى حسن ظنِّه في العامل، ومن ذلك جلده للوليد بن عقبة حدَّ الخمر بعد اكتمال شـروطه، وبغضِّ النظر عن صـدق الشُّـهود من عدمه[3]، وقام بعد جلده بعزله عن ولاية الكوفة[4]، وقد درج عثمان رضي الله عنه أن يكتب إلى أهل الأمصار عن تعيين والٍ جديدٍ عليهم، ليوصيهم به، كما أوصاه بهم، وكذلك كان يكتب في كثيرٍ من الأحيان إلى العامَّة في الأمصـار ناصـحاً، حتَّى يسـاعدوا الولاة في تسيير أمور الرَّعية، ومن ذلك الكتاب الّذي أرسله عثمان إلى الأمصار، يقول فيه: أمَّا بعد: فإنِّي اخذ العمال بموافاتي في كلِّ موسـمٍ، وقد سـلَّطت الأمَّة منذ ولِّيت على الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، فلا يرفع عليَّ شيءٌ، ولا على أحدٍ من عمَّالي إلا أعطيته، وليس لي، ولا لعيالي حقٌّ قِبَلَ الرَّعية إلا متروكٌ لهم،

(1) المصدر السابق نفسه (122/2) .
(2) المصدر السَّابق نفسه (123/2) .
(3) المصدر السابق نفسه (122/2) .
(4) المصدر السابق نفسه (126/2) .

فيا من ضُربَ سرّاً، وشُتِم سرّاً ... من ادَّعى شيئاً من ذلك ؛ فليوافِ الموسم، فيأخذ بحقِّه حيث كان منّي، أو من عمَّالي ... أو تصدَّقوا فإنَّ الله يجزي المتصدِّقين . فلمَّا قرأى في الأمصار أبكى النَّاس، ودعوا لعثمان[1] .

ثالثاً: حقوق الولاة:

استقرَّ في عهد الخلفاء الرَّاشدين بأنَّ للولاة حقوقاً مختلفةً، يتَّصل بعضها بالرَّعية، وبعضها بالخليفة، بالإضافة إلى حقوقٍ أخرى متعلقةٍ ببيت المال، وكلُّ هذه الحقوق الأدبيَّة، أو المادِّيَّة تهدف بالدَّرجة الأولى إلى إعانة الولاة على القيام بواجباتهم، وخدمة المصلحة العامَّة، ومن أهمّ هذه الحقوق:

1. الطَّاعة في غير معصية الله:

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً *﴾ **[النساء: 59].**

قال القرطبيُّ: لما تقدَّم إلى الولاة في الاية المتقدِّمة، وبدأ بهم، فأمرهم بأداء الأمانات، وأن يحكموا بين النَّاس بالعدل، تقدَّم في هذه الاية، فأمر الرَّعية بطاعته جلَّ وعلا أوَّلاً وهي امتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ثمَّ بطاعة رسوله ثانياً فيما أمر به، ونهى عنه، ثمَّ بطاعة الأمراء ثالثاً على قول الجمهور، وأبي هريرة، وابن عباسٍ، وغيرهم[2]، وفي العهد الرَّاشديِّ خصوصاً، والمجتمع الإسلاميّ عموماً الشَّريعة فوق

---

[1] المصدر السابق نفسه (217/1) .
[2] تاريخ الطَّبري (349/5) .

الجميع، يخضـــع لها الحاكم، والمحكوم، ولهذا فإنَّ طاعة الحكام مقيَّدةٌ دائماً بطاعة الله، ورســوله، كما قال رســول الله(ﷺ): « لا طاعة في المعصــية، إنَّما الطَّاعة في المعروف »[1] .

2. بذل النَّصيحة للولاة:

من منطلق الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وهو الأسـاس الّذي تقرُّه الأمَّة بأكملها، والّذي وردت الأوامر به من خلال الايات القرانيَّة والأحـاديث النَّبويَّة الّتي تحدَّثت عن الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر على وجه العموم، ومنهـا مـا خصَّ الولاة به، حيث أمرت الأحاديث النَّبويَّة ببذل النَّصـــيحة لهم، وقد دأب الخلفاء الرَّاشـــدون الأربعة على الكتابة لولاتهم باســـتمرارٍ يبذلون لهم النَّصــيحة، والنُّصوص الواردة في هذه كثيرةٌ، يصعب حصرها[2] .

3. يجب على الرَّعية للوالي إيصال الأخبار الصَّحيحة إليه:

والصِّــدق في ذلك ســواءٌ ما يخصُّ أحوال العامَّة، أو ما يخصُّ أخبار الأعداء، أو مـا كـان متعلقاً بعمَّال الوالي، وموظفيه، والعجلة في ذلـك قـدر المســـتطاع خصـــوصـــاً ما كان متعلقاً بالأمور الحربيَّة، وأخبار الأعداء، وما يتعلَّق بخيانات العمَّال، وغير ذلك، من منطلق الاشتراك في المسؤوليَّة مع الوالي في مراعاة المصلحة العامَّة للأمَّة[3].

---

(1) تفسير القرطبيِّ (259/5) .
(2) البخاريُّ ، كتاب الأحكام رقم (7145) .
(3) الولاية على البلدان (56/2) .

4. مؤازرة الوالي في موقفه:

وعندما اندلعت الفتنة، وطالب أصحابها من عثمان عزل بعض ولاته ؛ رفض عثمان ذلك، وكان هذا التَّعضيد يخدم الهدف العامَّ للدَّولة الإسلاميَّة، ويمنع الاضطراب، ولا يعني ذلك عدم الالتفات إلى الشَّكاوى، ومؤازرة الولاة بدون تحقُّق، بل إنَّ هذا التَّعضيد من الخلفاء إنَّما يأتي بعد تحقُّق وتثبُّت من تلك الشِّكايات، وبعد محاسبةٍ دقيقةٍ قد تتطلَّب إرسال لجانٍ خاصَّةٍ من بعض الصَّحابة للتَّحقيق في تلك القضايا، وكما أنَّ المؤازرة للوالي واجبةٌ من قبل الخليفة، فهي كذلك واجبةٌ من قبل الرَّعية، وأنَّ على النَّاس احترامهم، وتقديرهم[1] . وإن كان عثمان رضي الله عنه قد عزل بعض الولاة، فذلك لما راه في مصلحة الرَّعية .

5. احترامهم بعد عزلهم:

ومن ذلك مافعله عثمان مع أبي موسى الأشعريِّ، وعمرو بن العاص رضي الله عنهما بل نلاحظ: أنَّ عثمان استشار عمرو بن العاص في مسائل الدَّولة الكبرى بعد عزله، وهذا احترامٌ فائقٌ من عثمان رضي الله عنه لمن عزلهم من الولاة.

6. مرتَّبات الولاة:

ومن حقوق الولاة مرتَّباتهم، الّتي يعيشون عليها، ومبدأ الأرزاق، والرَّواتب للعمَّال متَّفق عليه بين الخلفاء الرَّاشدين اقتداءً بما فعله الرَّسول(ﷺ)، ولئن كانت الرِّوايات قد اقتصرت على ذكر مرتَّبات بعض العمَّال فقط، فإنَّ المفهوم: أنَّ جميع

---

[1] المصدر السابق نفسه (57/2) .

العمال كانت لهم مرتَّباتٌ خلال عصور الرَّاشدين، ومعظم الرِّوايات الّتي وردت في هذا الموضوع كانت تركِّز بالدَّرجة الأولى على عصر عمر بن الخطَّاب، حيث ورد ذكر مقدار أرزاق بعض الولاة في عصره، وقد مضى عثمان وعليٌّ رضي الله عنهما على سيرة من سبقهما من الخلفاء في فرض الأرزاق للعمَّال، والولاة، إلا أن عصر عثمان رضـــي الله عنه كان على ما يبدو أكثر توســـعاً في بذل الأعطيات للنَّاس عموماً، ومن ضمنهم الولاة، نظراً لزيادة الدَّخل في بيت المال نتيجة الفتوح الواسعة الّتي قام بها ولاة عثمان في المشـــرق وفي أرمينية، وإفريقية، وغيرها، بل إنَّ عثمان رضـــي الله عنه كان يعطي مكافاتٍ مقطوعةً للعمَّال خاصَّـــةً، وبارزةً، فقد أعطى لعبد الله بن ســـعد بن أبي السَّـــرح خمس الخمس من الغنيمة جزاء فتوحه في شمال إفريقية، حيث قال له: إن فتح الله عليك غداً إفريقية ؛ فلك ما أفاء الله على المسلمين خمس الخمس من الغنيمة نفلاً[1] .

وعلى كلِّ حال فإنَّ إعطاء الأرزاق للعمَّال، وإغناءهم عن النَّاس كان مبدأً إسلاميّاً فرضه رسول الله(ﷺ)، وسار عليه الخلفاء الرَّاشدون من بعده، حتَّى أغنوا العمَّال عن أموال النَّاس، وفرَّغوهم للعمل، ولمصلحة الدَّولة[2] .

رابعاً: واجبات الولاة:

1. إقامة أمور الدِّين، ومن أبرز تلك الواجبات:

أ – نشر الدِّين الإسلاميِّ بين النَّاس:

---

[1] المصدر السابق نفسه (58/2) .
[2] تاريخ الطَّبري (252/5) .

حيث اختصَّ ذلك العصـر بفتوحاتٍ عظيمةٍ، اقتضـت من الولاة العمل على نشـر الدِّين في البلاد المفتوحة مستعينين بمن معهم من الصَّحابة، وقد كان الولاة يقومون بهذه المهمَّة مع وجود مَنْ يســـاعدهم في بداية الفتوح في عهد أبي بكر رضـي الله عنه، ثمَّ بدأت الأمصـار تعتمد على معلِّمين، وفقهاء قدموا لهذه المهمَّة بعد التوسُّــع، وبناء الأمصــار في عهد عمر، وقد تأكَّد وجود المعلِّمين بعد ذلك خلال الفترة الأخيرة من خلافة عمر، وخلال فترة خلافة عثمان، وعليٍّ، وذلك لكثرة السُّكان في الأمصار وكثرة طلاب العلم وانشغال الولاة بأمورٍ مختلفةٍ، وتوسُّع الولايات حيث كانت تتبع الولاية الواحدة العديد من الأمصــار التي كان النَّاس فيها بحاجةٍ إلى فقهاء، ومعلِّمين[1].

ب – إقامة الصَّلاة:

كان الخليفة نفسه طيلة عصر الخلفاء الرَّاشـدين الأربعة هو الّذي يقيم صلاة الجمعة، والجماعة، والأعياد في البلد الّذي يقيم فيه، ويخطب في النَّاس الجمعة، والأعياد، والمناســبات الأخرى، وكذلك نوَّابه يقومون بهذه المهمَّة في أمصــارهم، وطيلة عهد الخلفاء الرَّاشـدين كان الولاة يخطبون في النَّاس بأنفسـهم، ويؤمُّونهم في الصَّلاة[2].

ج – حفظ الدِّين وأصوله:

كان الخلفاء الرَّاشـدون بعد وفاة الرَّسـول(ﷺ) يشـعرون بعظم الواجب الملقى

---

[1] الولاية على البلدان (64/2) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(66/2) .

عليهم في حفظ الدِّين على أصـوله الصَّـحيحة الَّتي نزلت على رسـول الله(ﷺ)، وكانوا يعملون جاهدين في إحياء سنَّة الرَّسول، والقضاء على البدع، والعمل على احترام دين الله، واحترام رسوله(ﷺ)، وردّ كيد مَنْ يحاولون الدَّسَّ على هذا الدِّين، وقد عمل عثمان رضي الله عنه على كتابة المصحف الشَّريف وإرسال نسخ منه إلى الأمصـــار، وأمر ولاته بإحراق ما لدى النَّاس من مصـــاحف أخرى من قبيل المحافظة على أهمِّ أصـــول الدِّين، وهو القران الكريم[1]، وقد بذل ولاة عثمان جهوداً كبيرةً في محاربة السَّـبئيَّة ؛ الَّذين جاؤوا باراء غريبةٍ على الإسـلام، وضـيَّقوا عليهم، وطاردوهم[2] . وعلى العموم فإنَّ المحافظة على الدِّين، واحترامه كان من أهمِّ الواجبات الموكلة إلى الولاة[3] .

د – تخطيط وبناء المساجد:

حينما وصل الرَّسول(ﷺ) إلى قُباء ؛ قام ببناء أوَّل المساجد في الإسلام، وبعد وصـوله إلى المدينة بدأ الرَّسـول بناء مسـجده فيها، وحينما كان الرَّسـول يبعث بالولاة إلى البلدان كان هؤلاء الولاة يقومون ببناء المسـاجد فيها، واسـتمرَّ الخلفاء الرَّاشدون بعد ذلك في بناء المساجد في البلدان، والأمصار الَّتي فتحها المسلمون، وإن كان الولاة لم يقوموا بتأسـيس جميع هذه المسـاجد، فإنَّ لهم دوراً في إنشـاء المساجد الرَّئيسيَّة في معظم البلدان التَّابعة لولاياتهم، وخصوصاً الجوامع منها[4].

---

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص(67/2) .
(2) تاريخ المدينة (996/3 - 999) .
(3) عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة ، ص(214) .
(4) الولاية على البلدان (69/2) .

هـ تيسير أمور الحجِّ:

كان الولاة على البلدان في صدر الإسلام مسؤولين عن تيسير أمور الحجِّ في ولاياتهم، وتأمين سلامة الحجَّاج منها، فقد كان الولاة يعيِّنون الأمراء على قوافل الحجِّ، ويحدِّدون لهم أوقات السَّفر، حيث لا يغادر الحُجَّاج بلدانهم إلا بإذن الوالي، ولم يكتف بعض الأمراء بأمور التَّرتيب بل نجد منهم مَنْ عمل على تأمين المياه في الأماكن الّتي يسلكها الحجَّاج من ولايته، فهذا عبد الله بن عامر بن كريز أجرى المياه في طريق حجّاج البصرة حينما كان عاملاً عليها لعثمان بن عفَّان، حيث أوجد المياه في الطَّريق من البصرة إلى مكَّة[1]، وأكَّد الفقهاء بعد ذلك أن تسيير الحُجَّاج عملٌ من مهام الوالي من بلده . يقول الماورديُّ: أمَّا تسيير الحجيج ؛ فداخلةٌ في أحكام إمارته ؛ لأنَّه من جملة المعونات الّتي تنسب إليه[2] .

و – إقامة الحدود الشرعية:

إنَّ إقامة الحدود على المخالفين لأوامر الله، وسنَّة رسوله(ﷺ) واجبٌ دينيٌّ ملقى على الولاة، وهو من أهم الأمور الموكلة إليهم، سواءٌ منها الحدود المتعلِّقة بمن يتعرَّض لمنافع المسلمين العامَّة، أو من يتعرَّض بالضَّرر لأقوامٍ معيَّنين[3]، وقد قام عثمان وولاته بإقامة الحدود الشَّرعية في عهده، رضي الله عنه .

2 – تأمين النَّاس في بلادهم:

المحافظة على الأمن في الولاية من أعظم الأمور الموكلة إلى الوالي، وفي سبيل

---

(1) المصدر السابق نفسه .
(2) المصدر السابق نفسه (192/1) .
(3) الأحكام السلطانيَّة ، ص(33) .

تحقيق ذلك فإنَّه يقوم بالعديد من الأمور، أهمُّها: إقامة الحدود على العصـــاة، والفسَّـــاق[1]، ممَّا يحدُّ من الجرائم الّتي تهدِّد حياة النَّاس، وممتلكاتهم، وبالتَّالي تقل الحوادث الأمنيَّة من القتل، أو السَّـــرقة، أو قطع الطَّريق، وما إلى ذلك، بل الأمر أيضاً يشمل ما يلقيه النَّاس من أقوالٍ ضدَّ بعضهم البعض من قذفٍ، وغيره، فإنَّ إقامة الحدِّ فيها يمنع من الاعتداء الأدبيّ على النَّاس في أعراضـــهم، ومحارمهم، ولم يقتصر الأمر على تأمين النَّاس بعضهم من بعضٍ، بل إنَّ العمَّال وبأمرٍ من الخلفاء يعملون على تأمين رعاياهم من الحشـــرات، والهوامّ، كالعقارب، وغيرها، يقول البلاذريُّ: كتب عامل نصيبين إلى معاوية ؛ وهو عامل عثمان على الشَّام، والجزيرة يشكو إليه: أنَّ جماعةً من المسلمين ممَّن معه أصيبوا بالعقارب، فكتب إليه يأمره أن يوظِّف على أهل كلِّ حيِّزٍ من المدينة عدَّةً من العقارب مســـمَّاةً في كلِّ ليلةٍ، ففعل، وكانوا يأتونه بها، فيأمر بقتلها[2] .

3ـ الجهاد في سبيل الله:

إنَّ السِّـــمة العامَّة لعهد الخلفاء الرَّاشـــدين: أنَّ الولاة هم قادة الجهاد في تلك البلدان، كما أنَّ الولاة في عهد عثمان رضـي الله عنه كان لهم دورٌ كبيرٌ في الفتوح، ومنهم عبد الله بن عامر بن كريز، والمغيرة بن شعبة، وأبو موسى الأشعريُّ ؛ الّذين واصـلوا الفتوح في المشـرق، ومثل عبد الله بن سـعد بن أبي السَّـرح الّذي واصـل الفتوح في شمال إفريقية، ومعاوية بن أبي ســـفيان الّذي واصـــل الفتوح في نواحي أرمينية، وبلاد الرُّوم .

---

(1) السِّياسة الشَّرعية ، لابن تيمية ، ص(66) .
(2) الولاية على البلدان (71/2) .

وهكذا فإنّنا نرى: أنَّ الأمراء في عهد الخلفاء الرَّاشـــدين كانوا مع إدارتهم لبلادهم مجاهدين لنواحي العدوِّ، ولم يمنعهم ذلك من القيام بأعمالهم الموكلة إليهم، ولا شكَّ: أنَّ الجهاد كان مصحوباً بعمليَّات معيَّنةٍ، تخدم الشُّؤون العامَّة له، وقد تحدَّثت المصادر التَّاريخيَّة عن أهم هذه الأعمال الّتي جرت من قبل الأمراء، منها:

أ – إرسال المتطوعين إلى الجهاد:

فقد كان ولاة اليمن، والبحرين، ومكَّة، وعُمَان يبعثون بالمجاهدين خلال عهد أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم[1] .

ب – الدِّفاع عن الولاية ضدَّ الأعداء:

كان ولاة الشَّــام يدافعون الرُّوم طيلة عهد الخلفاء الرَّاشــدين، وكذلك الحال عند ولاة العراق ؛ الّذين دافعوا الفرس حتَّى تمكَّنوا من قتل اخر ملوكهم في عصــر الخليفة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه .

جـ تحصين البلاد:

كان عثمان رضي الله عنه يأمر بتحصين السَّواحل، وشحنها، وإقطاع القطائع لمن ينزلها من المسلمين للمساعدة في شحنها بالرِّجال[2] .

د – تتبع أخبار الأعداء:

فقد قام الولاة بتتبُّع أخبار الأعداء وتوجيه الضَّربات الموجعة إليهم، واستطاعوا

---

[1] فتوح البلدان ، ص(183) .
[2] الولاية على البلدان (72/2) .

أن يخترقوا صفوفهم، ويزرعوا عيوناً تابعةً لهم .

هـ إمداد الأمصار بالخيل:

كانت الخيل ذات أهمِّيةٍ خاصَّــةٍ في الجهاد، وقد اهتمَّ المســلمون بتربيتها منذ أيَّام الرسول(ﷺ) واعتنوا بها عنايةً خاصَّةً، وقد وضع عمر سياسةً عامَّة في الدَّولة لتوفير الخيل اللازمة للجهاد في الأمصــار الإســلاميَّة حســب حاجتها[1]، وســار عثمان رضــي الله عنه على نفس السِّياســة العمريَّة في اهتمامه بالخيل، فقد كانت هذه الخيول مجهَّزةً للدِّفاع الفوريّ عن الدَّولة الإسلاميَّة .

و – تعليم الغلمان، وإعدادهم للجهاد:

اهتمَّ الخلفاء الرَّاشــدون بتربية الأولاد، وتعليمهم ما يفيدهم في حياتهم الجهاديَّة مستقبلاً .

ز – متابعة دواوين الجند:

ســار عثمان رضــي الله عنه على نهج السِّــياســة العمريَّة في اهتمامه بدواوين الجند، وقد اهتمَّ رضــي الله عنه اهتماماً خاصّــاً بدواوين الأمصــار ؛ لاعتقاده بأنَّ أهل الأمصار أحوج النَّاس للضَّبط، خصوصاً القريبة من الأعداء، وهي الأمصار الّتي تحتاج إلى الجنود باستمرار، وقد كان الولاة على البلدان مسؤولين مباشرة عن دواوين الجند رغم وجود بعض الموظَّفين الاخرين ؛ الّذين يتولَّون مهمَّتها، ولكن باعتبار أنَّ هؤلاء الولاة هم أمراء الحرب ؛ فقد كانت مســؤوليَّتهم عن الدَّواوين في

(1) المصدر السابق نفسه .

بلدانهم كمسؤوليَّة الخليفة باعتبارهم نواباً[1].

ح – تنفيذ المعاهدات:

إنَّ الفتوح الإسـلاميَّة في عهد الخلفاء الرَّاشـدين صـاحبتها مراسـلاتٌ مع الأعداء، ومعاهداتٌ، ومصـالحاتٌ كثيرةٌ بين المسـلمين وأهل البلاد المفتوحة، وقد كان الأمراء على البلدان بصفتهم قادة الجند مسـؤولين مباشرةً عن عقد مثل هذه المصالحات، وعن تنفيذها[2] .

4. بذل الجهد في تأمين الأرزاق للنَّاس:

اتَّبع الخلفاء الرَّاشدون منذ عصر أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه طريقةً جديدةً لتوزيع الأعطيات على المسـلمين من موارد بيت المال المختلفة، وقد كانت في البداية غير محدودةٍ بأوقاتٍ معيَّنةٍ، ولكن في عهد عمر رضـي الله عنه تغيَّرت بعد وضـعه للدَّواوين في الأمصـار المختلفة، حيث بدأ توزيع الأعطيات يأخذ شـكلاً دوريّاً منتظماً، سار عليه عثمان رضي الله عنه، ولم يكتف الخلفاء وولاتهم في العهد الرَّاشـدي بتأمين الطَّعام، ومراقبة الأسـواق فقط، بل إنَّ السَّـكن، وتوزيعه كان من المهامِّ الموكلة لأمراء البلدان، كما كان الأمراء يشرفون على تقسيم البيوت في المدن المفتوحة[3] .

---

[1] المصدر السابق نفسه (74/2) .
[2] المصدر السَّابق نفسه (75/2) .
[3] المصدر السَّابق نفسه (77/2) .

5. تعيين العمال والموظَّفين:

كان تعيين العمال، والموظَّفين في الوظائف التَّابعة للولاية في كثير من الأحايين من مهامِّ الوالي؛ حيث إنَّ الولاية في الغالب تتكوَّن من بلد رئيسيٍّ إضافة إلى بلدان، وأقاليم أخرى تابعةٍ للولاية، وهي بحاجةٍ إلى تنظيم أمورها، فكان الولاة يعيِّنون من قبلهم عمالاً وموظَّفين في تلك المناطق، وفي عصر عثمان رضي الله عنه أصبح هؤلاء العمَّال التَّابعون للولاة يحكمون مناطق كبيرة، نظراً لتوسُّع الولايات نتيجة الفتوح، وانضمام أقاليم كبيرةٍ بأكملها إلى ولاياتٍ كانت محدَّدةً في السَّابق، كالبصرة، والكوفة، والشَّام، وغيرها، وبالتَّالي فإنَّ توزُّع العمَّال، وإداراتهم، وتنظيمهم كان مهمَّةً كبيرةً، من المهامِّ الّتي يقوم بها ولاة البلدان.

6. رعاية أهل الذِّمَّة:

كانت رعاية أهل الذِّمَّة، واحترام عهودهم، والقيام بحقوقهم الشَّرعيَّة، ومطالبتهم بما عليهم للمسلمين من واجباتٍ، وتتبُّع أحوالهم، وأخذ حقوقهم ممَّن يظلمهم انطلاقاً من الأوامر الشَّرعيَّة في هذا الجانب من واجبات الوالي[1] .

7. مشاورة أهل الرَّأي في ولايته:

سار الخلفاء على نهج الرَّسول(ﷺ) في مشاورة أهل الرَّأي من الصَّحابة ؛ حيث كانوا يعقدون مجالس لكبار الصَّحابة، يستشيرونهم في مختلف الأمور[2]،

---

(1) المصدر السَّابق نفسه (79/2) .
(2) المصدر السَّابق نفسه (80/2) .

كما كانوا يأمرون ولاتهم باســـتشـــارة أهل الرَّأي في بلادهم، وكان الولاة يطبِّقون ذلك ويعقدون مجالس للنَّاس لأخذ ارائهم[1].

8 – النظر في حاجة الولاية العمرانيَّة:

اشـــتهر عن الخلفاء الرَّاشـــدين وولاتهم عنايتهم بحاجة السُّـــكان في النَّواحي العمرانيَّة والزِّراعيَّة، وفي عهد عثمان رضـي الله عنه قام عبد الله بن عامر واليه على البصـرة بحفر الابار، والعيون ليس في ولاية البصـرة فحسـب، بل في أماكن أخرى عديدةٍ[2].

9 – مراعاة الأحوال الاجتماعيَّة لسكَّان الولاية:

كان الولاة من منطلق تعاليم الإسلام الشَّاملة يراعون هذا الجانب بكلِّ ما فيه من تعليمات، إلا أنَّ ولاة ذلك العصـــر، وبتوجيهٍ من الخلفاء الرَّاشـــدين، قاموا ببعض الأعمال الاجتماعيَّة الَّتي يصعب أن يقوم بها مَنْ هُمْ في مثل منصبهم، كما حرص الخلفاء على أن يُنزلوا النَّاس على منازلهم، وأن يحترم الولاة أهل الشَّـــرف، والسَّـابقة في الإسـلام، ومن ذلك، أنَّ عامل عثمان على الكوفة كتب إليه يشـكو من غلبة الأعراب، والرَّوادف على أهل الشَّرف، والبلاء، والسَّابقة في الإسلام[3]، فكتب إليه عثمان: أمَّا بعد: ففضِّل أهل السَّابقة، والقدمة ممَّن فتح الله عليه تلك البلاد، وليكن من نزلها بســـببهم تبعاً لهم، إلا أن يكونوا تثاقلوا عن الحقِّ، وتركوا القيام به، وقام به هؤلاء، واحفظ لكلٍّ منزلته، وأعطهم جميعاً بقســطهم من الحقِّ،

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) المصدر السَّابق نفسه .

(3) المصدر السَّابق نفسه .

فإنَّ المعرفة بالنَّاس بها يصاب العدل[1] .

10. أوقات عمل الوالي:

اشـــتُهر عن الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة: أنَّه لم يكن لداره بابٌ، وأنَّه كان يستقبل النَّاس في جميع الأوقات، وهذا يدلُّ على تمتُّع النَّاس بحرِّيَّة مراجعة الأمير من غير حرج متى ما أرادوا ذلك لحاجةٍ[2]، فقد كان للوالي قســمٌ تابعٌ لبيته مفتوحٌ للناس متى أرادوا المجيء إليه، مفصولٌ عن أهله، وأولاده.

---

[1] المصدر السَّابق نفسه (82/2) . وتاريخ الطَّبري (280/5) .
[2] الولاية على البلدان (82/2) .

المبحث الثَّالث : حقيقة ولاة عثمان رضي الله عنه

يكثر المؤرِّخون من الحديث عن محاباة عثمان أقاربه، وسـيطرتهم على أزمَّة الحكم في عهده، حتَّى أثاروا عليه نقمة كثيرٍ من النَّاس، فثاروا ناقمين عليه إطلاقه يد ذوي قرباه في شؤون الدَّولة[1]، وأقارب عثمان الّذين ولاهم رضي الله عنه أوَّلهم معاوية، والثَّاني عبد الله بن أبي السرح، والثَّالث الوليد بن عقبة، والرَّابع سعيد بن العاص، والخامس عبد الله بن عامر، هؤلاء خمسة ولاهم عثمان، وهم من أقاربه، وهذا في زعمهم مطعنٌ عليه، فلننظر أوَّلاً من هم ولاة عثمان رضي الله عنه، هم: أبو موسى الأشعريُّ، والقعقاع بن عمرو، وجابر المزنيُّ، وحبيب بن مسلمة، وعبد الرَّحمن بن خالد بن الوليد، وأبو الأعور السُّلميُّ، وحكيم بن سلامة، والأشعث بن قيس، وجرير بن عبد الله البجلي، وعيينة بن النَّهاس، ومالك بن حبيب، والنُّسير العجلي، والسَّائب بن الأقرع، وسعيد بن قيس، وسلمان بن ربيعة، وخنيس بن حبيش، والأحنف بن قيس، وعبد الرَّحمن بن ربيعة، ويعلى بن مُنْيَة، وعبد الله بن عمرو الحضرمي، وعليُّ بن ربيعة بن عبد العزَّى، هؤلاء هم ولاة عثمان رضي الله عنه .

فلو أخذنا إحصائية لوجدنا: أنَّ عدد الولاة ستة وعشرون والياً، ألا يصح أن يكون خمسة من بني أميَّة يستحقُّون الولاية وبخاصَّةٍ إذا علمنا: أنَّ النَّبيّ(ﷺ) كان يولِّي بني أميَّة أكثر من غيرهم؟ ثمَّ يقال بعد ذلك: إنَّ هؤلاء الولاة لم يكونوا كلُّهم في وقتٍ واحدٍ، بل كان عثمان رضي الله عنه قد ولَّى الوليد بن عقبة، ثمَّ عزله،

[1] المصدر السابق نفسه .

فولَّى مكانه سعيد بن العاص، فلم يكونوا خمسةً في وقتٍ واحدٍ، وأيضاً لم يُتوفَّ عثمان إلا وقد عزل أيضاً سعيد بن العاص، فعندما تُوفي عثمان لم يكن من بني أميَّة من الولاة إلا ثلاثة وهم: معاوية، وعبد الله بن سعد بن أبي السَّرح، وعبد الله بن عامر بن كريز فقط، عزل عثمان الوليد بن عقبة، وسعيد بن العاص، ولكنَّه عزلهما من أين ؟ من الكوفة الّتي عزل منها عمر سعد بن أبي وقاص، الكوفة الّتي لم ترض بوالٍ أبداً، إذاً عَزْلُ عثمان رضي الله عنه لأولئك الولاة لا يعتبر مطعناً فيهم؛ بل مطعن في المدينة الّتي وُلُّوا عليها[1].

إنَّ بني أميَّة كان رسول الله(ﷺ) يستعملهم في حياته، واستعملهم بعده من لا يُتَّهم بقرابةٍ فيهم: أبو بكرٍ، وعمر، رضي الله عنهما، ولا نعرف قبيلةً من قبائل قريش فيها عمَّالٌ لرسول الله(ﷺ) أكثر من بني عبد شمس ؛ لأنَّهم كانوا كثيرين، وكان فيهم شرفٌ وسؤددٌ، فاستعمل النَّبيّ(ﷺ) عتَّاب بن أسيد بن أبي العاص على مكَّة، وأبا سفيان بن حرب على نجران، وخالد بن سعيد على صدقات بني مذجح، وأبان بن سعيد على بعض السَّرايا ثمَّ على البحرين، فعثمان رضي الله عنه لم يستعمل إلا من استعمله النَّبيّ(ﷺ)، ومن جنسهم، وقبيلتهم، وكذلك أبو بكر، وعمر بعده، فقد ولَّى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان في فتوح الشَّام، وأقرَّه عمر، ثمَّ ولَّى عمر بعده أخاه معاوية[2] .

وسُّؤال الّذي يطرح نفسه أأثبت هؤلاء كفاءتهم أم لا ؟ وستأتي شهادات أهل العلم في أولئك الولاة الّذين ولاهم عثمان رضي الله عنه بإذن الله تعالى . إنَّ

---

(1) الدَّولة الأمويَّة المُفترى عليها ، ص(159) .
(2) منهاج السُّنَّة (175/3 ، 176) .

عثمان خليفةٌ راشـدٌ، يُقتدى به، وأفعاله تشـكِّل سـوابق دسـتوريَّة في هذه الأمَّة فكما أنَّ عمر سـنَّ لمن بعده التحرُّج عن تقريب الأقربين، فإنَّ عثمان سـنَّ لمن بعده تقريب الأقربين إذا كانوا أهل كفاءةٍ، ومن تتبع سـيرة عثمان لا يشـكُّ في كفاءتهم الإداريَّة، وكلُّ ما أُنكر على عثمان لا يخرج عن دائرة المباح[1].

إنَّ الولاة الّذين ولاهم عثمان رضـي الله عنه من أقاربه قد أثبتوا الكفاءة والمقدرة في إدارة شؤون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرَّعيَّة سيرة العدل، والإحسان، ومنهم من تقلَّد مهامَّ الولاية قبل ذلك في عهد الصِّـدِّيق والفاروق رضـي الله عنهما[2]، ولننظر إلى أقوال أهل العلم في أولئك الولاة:

أولاً: معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأمويُّ:

ذكر المترجمون لهذا الصَّحابيِّ الكريم فضائل جمَّةً، وإليك شيئاً منها:

1. من القران الكريم:

اشترك معاوية رضي الله عنه في غزوة حنين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ *﴾ **[التوبة: 26]**.

ومعاوية رضـي الله عنه من الّذين شـهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الّذين

(1) الأساس في السُّنَّة (1675/4) .
(2) تحقيق مواقف الصَّحابة من الفتنة (417/1) .

أنزل الله سكينته عليهم مع النَّبيّ(ﷺ)[1] .

2. من السُّنَّة:

دعاء الرَّســـول(ﷺ) لمعاوية رضـــي الله عنه، ومن ذلك قوله(ﷺ): « اللَهمَّ اجعله هـادياً[2] مهـديّاً[3]، واهـد به »[4] . وقولـه(ﷺ): « اللَهمَّ علِّم معـاويـة الكتاب، والحسـاب، وقه العذاب »[5]. وقال رسـول الله(ﷺ): « أوَّل جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا »[6] . قالت أمَّ حرام: قلت: يا رسول الله ! أنا فيهم؟ قال: « أنت فيهم » . ثمَّ قال النَّبيّ(ﷺ): « أوَّل جيش من أمَّتي يغزون مدينة قيصر[7] مغفور لهم » . فقلت – أي أمُّ حرام –: أنا فيهم يا رسول الله ؟ قال: « لا »[8] . قال المهلب[9]: « في هذا الحديث منقبة لمعاوية ؛ لأنَّه أوَّل من غزا البحر »[10] .

3. ثناء أهل العلم على معاوية رضي الله عنه:

أ – ثناء عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما عليه:

قيل لابن عباس رضـــي الله عنهما: هل لك في أمير المؤمنين معاوية، فإنَّه ما

(1) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطَّبري ، خالد الغيث ، ص(23) .
(2) هادياً: للنَّاس ، أو دالاً على الخير .
(3) مهديّاً: أي مهتدياً في نفسه .
(4) صحيح سنن التِّرمذيِّ للألباني (236/3) .
(5) موارد الظمان (249/7) إسناده حسن .
(6) أوجبوا: أي: فعلوا فعلاً وجبت لهم به الجنَّة . فتح الباري (121/6) .
(7) مدينة قيصر: يعني القسطنطينية .
(8) مدينة قيصر: يعني القسطنطينية .
(9) البخاريُّ ، رقم (2924) .
(10) المهلب بن أحمد الأندلسي ، مصنِّف شرح صحيح البخاريُّ توفي 435هـ .

أوتر إلا بواحدةٍ، قال: إنَّه فقيه[1] . وممَّا يناسب المقام ذكر بعض المسائل الفقهيَّة الّتي أُثِرت عن معاوية رضي الله عنه، ومن تلك المسائل ما يلي:

- . أثر عنه رضي الله عنه أنه أوتر بركعةٍ .
- . أثر عنه رضي الله عنه الاستسقاء بمن ظهر صلاحه[2] .
- . أنَّه يجزأى إخراج نصف صاعٍ من البرّ في زكاة الفطر[3] .
- . استحباب تطييب البدن لمن أراد الإحرام[4] .
- . جواز بيع وشراء دور مكَّة[5].
- . التفريق بين الزَّوجين بسبب[6] العُنَّة[7] .
- . وقوع طلاق السَّكران .
- . عدم قتل المسلم بالكافر قصاصاً .
- . حبس القاتل حتَّى يبلغ ابن القتيل[8] .

ب – ثناء عبد الله بن المبارك على معاوية رضي الله عنه:

قال عبد الله بن المبارك: معاوية عندنا محنةٌ، فمن رأيناه ينظر إليه شـــزراً ؛ اتَّهمناه على القوم، يعني: الصَّحابة[9] .

---

(1) فتح الباري (120/6) .
(2) المصدر السابق نفسه (130/7) .
(3) المغني لابن قدامة (346/3) .
(4) زاد المعاد (19/2) .
(5) المغني (77/5) .
(6) المصدر السَّابق السابق (366/6) .
(7) العُنَّةُ: هي عجز الرَّجل عن إتيان زوجته ، القاموس المحيط (1570) .
(8) مرويات خلافة معاوية ، ص(28) .
(9) المصدر السَّابق نفسه ، ص(29) .

ج ثناء أحمد بن حنبل:

سـئل الإمام أحمد – رحمه الله –: ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول: إن معاوية كاتب الوحي، ولا أقول: إنَّه خال المؤمنين، فإنَّه أخذها بالسَّيف غصباً؟[1] قال أبو عبد الله: هذا قول سوءٍ رديءٍ، تجانبون هؤلاء القوم، ولا يجالسـون، ونبيِّن أمرهم للناسِّ[2].

د – ثناء القاضي ابن العربيِّ على معاوية رضي الله عنه:

تحدَّث ابن العربيِّ عن الخصـال الّتي اجتمعت في معاوية رضـي الله عنه، فذكر منها:...

قيامه بحماية البيضــة، وســدِّ الثُّغور، وإصــلاح الجند، والظُّهور على العدوِّ، وسياسة الخلق[3] . وقد علَّق محب الدِّين الخطيب على هذا النصِّ بقوله: وقد بلغ من همَّته – يعني: معاوية – وعظيم عنايته بذلك أن أرســل يهدِّد ملك الرُّوم وهو في معمعة القتال مع عليٍّ في صــفِّين، وقد بلغه: أنَّ ملك الرُّوم اقترب من الحدود في جنودٍ عظيمةٍ[4]، وفي ذلك يقول ابن كثير: وطمع في معاوية ملك الرُّوم بعد أن كان قد أخشـــاه، وأذله، وقهر جنده، ودحاهم، فلمَّا رأى ملك الروم اشـــتغال معاوية بحرب عليٍّ تداني إلى بعض البلاد في جنودٍ عظيمةٍ، وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته، وترجع إلى بلادك يا لعين ! لأصـــطلحنَّ أنا وابن

---

[1] المصدر السابق نفسه .
[2] مرويات خلافة معاوية ، ص(28) .
[3] السُّنَّة للخلاَّل ، تحقيق عطيَّة الزَّهراني (434/2) .
[4] العواصم من القواصم ، ص(210 ، 211) .

عمِّي عليك، ولأخرجنَّك من جميع بلادك، ولأضـيِّقنَّ عليك الأرض بما رحبت ! فعند ذلك خاف ملك الرُّوم، وبعث يطلب الهدنة[1].

هـ ثناء ابن تيميَّة على معاوية رضي الله عنه:

قال عنه ابن تيميَّة: ... فإنَّ معاوية ثبت عنه بالتَّواتر: أنَّه أمَّرَهُ النَّبيّ(ﷺ)، كما أمَّر غيرهُ، وجاهد معه، وكان أميناً يكتب له الوحي، وما اتَّهمه النَّبيّ(ﷺ) في كتابة الوحي، وولاه عمر بن الخطَّاب، الّذي كان من أخبر النَّاس بالرجال، وقد ضرب الله الحقَّ على لسانه، وقلبه، ولم يتَّهمه في ولايته[2] .

و – ثناء ابن كثير عليه:

قال عنه ابن كثير: وأجمعت الرَّعايا على بيعته في سنة إحدى وأربعين ... فلم يزل مستقلاًّ بالأمر في هذه المدَّة إلى هذه السَّنة الّتي كانت فيها وفاته، والجهاد في بلاد العدو قائمٌ، وكلمة الله عاليةٌ، والغنائم تَرِدُ إليه من أطراف الأرض، والمسلمون معه في راحةٍ، وعدل، وصفح، وعفوٍ، وقال أيضاً: كان حليماً[3]، وقوراً، رئيساً، سيِّداً في النَّاس، كريماً، عادلاً، شهماً[4]. وقال عنه أيضاً: كان جيِّد السِّيرة، حسن التَّجاوز، جميل العفو، كثير السِّتر، رحمه الله تعالى[5].

---

[1] مرويات خلافة معاوية ، ص(31) .
[2] البداية والنِّهاية (119/8) .
[3] الفتاوى (472/4). والبداية والنِّهاية (122/8) . وسير أعلام النُّبلاء (129/3) .
[4] أفرد ابن أبي الدُّنيا ، وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم معاوية .
[5] البداية والنِّهاية (118/8) .

4. روايته للحديث:

يعدُّ معاوية رضـي الله عنه من الّذين نالوا شـرف الرِّواية عن رسـول الله(ﷺ)، ومردُّ ذلك إلى ملازمته لرســـول الله(ﷺ) بعد فتح مكَّة، لكونه صـــهره، وكاتبه، رضـي الله عنه، هذا وقد روى معاوية رضـي الله عنه مئة وثلاثة وسـتين حديثاً عن رسـول الله(ﷺ)، اتَّفق له البخاريُّ، ومسـلمٌ على أربعة أحاديث، وانفرد البخاريُّ بأربعة، ومسـلمٌ بخمسةٍ[1]. وكانت سـيرة معاوية رضـي الله عنه مع الرَّعية في ولايته من خير سـير الولاة ممَّا جعل النَّاس يحبُّونه، وقد ثبت في الصَّـحيح عن النَّبيّ(ﷺ) قال: « خيار أئمتكم – حكامكم – الّذين تحبُّونهم، ويحبُّونكم، وتصلُّون عليهم – تدعون لهم – ويصـلُّون عليكم، وشـرار أئمَّتكم الّذين تبغضـونهم، ويبغضـونكم، وتلعنونهم، ويلعنونكم»[2]. وأختم حديثي عن معاوية رضـــي الله عنه بما قاله القاضــي أبو بكر ابن العربيّ: فعُمر ولاه، وجمع له الشَّــامات كلَّها، وأقرَّه عثمان، بل إنَّما ولاه أبو بكرٍ الصِّـدِّيق ؛ لأنَّه ولى أخاه يزيد، واسـتخلفه يزيد، فأقرَّه عمر، لتعلُّقه بولاية أبي بكرٍ لأجل اسـتخلاف واليه له، فتعلَّق عثمان بعمر وأقرَّه، فانظر إلى هذه السِّـلسـلة ما أوثق عُراها[3] ! وثبت: أنَّ رسـول الله(ﷺ) اسـتكتبه ... فيكون سـند ولايته الأعمال في الدَّولة الإســلاميَّة لم يكن لأحد قبله، ولم يكن لأحدٍ بعده، حيث اجتمع على توليته: رســول الله(ﷺ)، ومن بعده خلفاؤه الثَّلاثة، ثمَّ صالحه وأقرَّ له بالخلافة الحسن بن عليٍّ سبط رسول الله(ﷺ)[4] .

---

(1) المصدر السَّابق نفسه (126/8) .
(2) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطَّبري ، ص(33) .
(3) مسلم ، كتاب الإمارة ، رقم (65) .
(4) مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطَّبري ، ص(33) .

ثانياً: عبد الله بن عامر بن كريز:

هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيٍّ القرشيُّ العبشميُّ[1].

ولد في عهد رسول الله(ﷺ) وذلك في السَّنة الرَّابعة للهجرة[2]، وعندما اعتمر الرَّسول الكريم رضي الله عنه في السَّنة السَّابعة للهجرة عُمرة القضاء، ودخل مكة؛ حُمِلَ إليه عبد الله بن عامر، قال ابن حجر:... فتلمَّظ، وتثاءب، فتفل رسـول الله في فيه، وقال: « هذا ابن السُّـلميَّة ؟ »: قالوا: نعم، فقال: « هذا أشـبهنا »، وجعل يتفل في فيه، ويعوِّذه فجعل يبتلع ريق النَّبيّ(ﷺ)، فقال: « إنَّه لمسـقيٌّ »، فكان لا يعالج أرضاً إلا ظهر له الماء[3].

لم يتولَّ عبد الله بن عامر منصـباً إدارياً، أو عسـكرياً إلى أن أصـبح والياً على البصرة سنة 29 هـ/649م، وهو ابن خال الخليفة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه؛ لأنَّ أمَّ عثمان هي أروى بنت كريز بن ربيعة، وكانت أم عبد الله بن عامر من بني سُليم[4].

ولما عيِّن لولايـة البصرة ؛ كان عمره أربعاً، أو خمساً وعشرين[5]، وظلَّ والياً على البصـرة حتَّى مقتل الخليفة عثمان رضـي الله عنه عندما تجهَّز بجيش كبير، وحمل ما عنده من الأموال، فسـار إلى مكَّة حيث وافى الزُّبير، ورجع منها إلى

---

[1] العواصم من القواصم ، ص(82) .
[2] المدينة المنورة ، فجر الإسلام والعصر الرَّاشدي (216/2) .
[3] تهذيب التَّهذيب (272/5) .
[4] سير أعلام النبلاء (19/3)، تهذيب التهذيب (273/5)، وأسد الغابة (293/3) رقم (3031).
[5] الطَّبقات (31/5) . وتهذيب التَّهذيب (272/5) .

البصـــرة، فشـــهد موقعة الجمل، ولم يحضـــر موقعة صـــفِّين، على الرَّغم من أنَّ القلقشـندي ذكر: أنَّه كان في التَّحكيم مع معاوية بصـفِّين[1]، وفي خلافة معاوية تولَّى إمارة البصرة لمدَّة ثلاث سنوات، ثمَّ عزله عنها، فأقام بالمدينة، ومات بها سنة سـبع وخمسـين للهجرة[2]، وفي رواية ابن قتيبة: أنَّه توفى بمكَّة، ودفن بعرفات عام تسعٍ وخمسين[3] . وأشـاد ابن سعد به قائلاً: كان عبد الله شـريفاً، سـخيّاً، كريماً، كثير المـال، والولـد، محبّاً للعمران[4]، وقـال عنـه ابن حجر: كـان جواداً، كريمـاً، ميموناً ... جريئاً، شـجاعاً[5]، وكان يعتبر من أجود أهل البصـرة[6] . ومن أجود أهل الإسلام[7].

وكان لعبـــد الله بن عامرٍ أثرٌ حميدٌ في الفتوحات، فقد تمكَّن من القضاء على امال الفرس بشـكلٍ تامٍّ عندما قضـى على اخر رمقٍ من الأمل الفارسـيِّ القديم، وذلك بقضائه على اخر ملوكهم يزدجرد ابن شهريار بن كسرى، وخرزاد مهر أخي رستم اللَّذين تزعَّما المعارضة الفارسيَّة ضد المسلمين.

وإضافة إلى براعة عبد الله بن عامر في الشؤون الإداريَّة، والعسكريَّة، فإنَّه كان مهتمّاً بالمعارف الإســـلاميَّة، ويروى: أنَّه روى حديثاً عن النَّبيّ(ﷺ)، وقال ابن قتيبة: لم يرو عن رسول الله إلا حديثاً واحداً[8]، غير أنَّه لم يكن له روايةٌ في الكتب

[1] البداية والنِّهاية (91/8) .
[2] مجلة المؤرِّخ العربي ، رقم (21) ، ص(128) .
[3] سير أعلام النبلاء (21/3) .
[4] المعارف ، ص(321) .
[5] مجلَّة المؤرِّخ العربيِّ ، رقم (21) ، ص(129) .
[6] تهذيب التَّهذيب (272/5) .
[7] العقد الفريد (293/1 - 294) .
[8] المعارف ، ص(321) .

السِّتَّة[1]، أمَّا الحديث النَّبويّ، الَّذي رواه، فقد أورد ابن قانع، وابن منده عن طريق مصعب الزُّبيري: حدَّثني أبي عن جدِّي مصعب بن ثابت، عن حنظلة بن قيس، عن عبد الله بن الزُّبير، وعبد الله بن عامرٍ: أن رسول الله(ﷺ) قال: « من قُتل دون ماله فهو شهيدٌ »[2].

إصلاحاته الاقتصاديَّة في البصرة:

يقترن باسم عبد الله بن عامر عددٌ من الإصلاحات في البصرة، لا تقلُّ أهمِّيَّةً عن إنجازاته العسكريَّة الفذَّة المتمثِّلة في انتصاراته العديدة على المجوس، وتتبُّعه لفلولهم المنهزمة، وقضائه على امال يزدجرد، فقد كانت إصلاحاته الاقتصاديَّة ممثَّلةً في عنايته بسوق البصرة، فقد اشترى هذا السُّوق من ماله، ووهبه لأهلها[3]، وكان السُّوق يتوسَّط البصرة، بدليل ما ذكره خليفة بن خيَّاط من أنَّ السُّوق قائمٌ على ضفاف النَّهر الَّذي يتوسط البصرة، وهذا اختيارٌ جيِّدٌ؛ لأنَّه يجعل السُّوق مركزاً مهمّاً في وسط المدينة، ولعلَّ من أبرز أعماله الإصلاحيَّة في البصرة في ميدان الرَّي، وقد اهتمَّ ابن عامرٍ بهذه المسألة اهتماماً كبيراً، وذكر ابن قتيبة: أنَّ ابن عامرٍ احتفر بالبصرة نهرين أحدهما في الشَّرق، والاخر يعرف بأمِّ عبد الله، وهو منسوب إلى أمِّ عبد الله بن عامرٍ[4]، وأمر عبد الله بن عامرٍ زياد بن أبي سفيان بحفر الأبلَّة، وكان زياد والياً على الدِّيوان، وبيت المال من قِبَل عبد الله بن عامر، وكان

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .

(2) الحاكم في المستدرك (639/3) إسناده ضعيف وله ما يقوّيه في الباب .

(3) الطَّبقات الكبرى (73/5) . ومجلَّة المؤرّخ العربيّ هي العمدة في ترجمتي لعبد الله بن عامر ، حيث استفدت من الأستاذ محمد حمادي جزاه الله خيراً .

(4) مجلة المؤرّخ العربي رقم (21) ، محمَّد حمادي ، ص(134) .

يستخلفه في مكانه عند توجُّهه للفتوح[1]، وذكر خليفة بن خيَّاط: أنَّ زياداً احتفر نهر الأبلَّة حتَّى انتهى إلى موضع الجبل، والّذي تولَّى حفره لزياد عبد الرَّحمن بن أبي بكرة[2]، فلمَّا فتح عبد الرَّحمن الماء جعل يركض فرسه، والماء يكاد يسبقه[3] .

وحفر عبد الله بن عامر حوضاً نسب إلى أمِّه، وهو حوض أمّ عبد الله بن عامر بالبصرة منسوبٌ إليها[4]، وذكر البلاذريُّ: أنَّ عبد الله بن عامرٍ حفر نهراً، تولَّى أمر حفره له نافذ مولاه، فغلب عليه، فقيل نهر نافذ[5]، وهناك نهر مُرَّة لابن عامر تولَّى حفره له مرَّة مولى أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه، فغلب على ذكره[6]، وهناك نهر الأساورة الّذي حفره لهم عبد الله بن عامرٍ[7] .

ويذكر البلاذري قنطرة قرَّة بالبصرة، فيقول: قنطرة قرَّة نسبة إلى قرَّة بن حيان الباهليِّ، وكان عندها نهرٌ قديمٌ ثمَّ اشترته أمُّ عبد الله بن عامرٍ، فتصدَّقت به مغيثاً لأهل البصرة[8] .

ممَّا تقدَّم، يتبيَّن لنا: أن عبد الله بن عامرٍ كان مهتمّاً بحفر الأنهار من أجل ازدهار الزِّراعة ؛ الّتي هي عماد الحياة الاقتصاديَّة، إضافةً إلى موقع البصرة الاستراتيجي بالنِّسبة إلى طرق التِّجارة، وأهمِّيتها العسكرية كقاعدةٍ للفتوحات الإسلاميَّة في المشرق، ويمكن أن نلاحظ مدى رغبة عبد الله بن عمر في الإصلاح

---

[1] فتوح البلدان للبلاذري ، ص(351) .
[2] تاريخ خليفة بن خيَّاط (142/1) .
[3] فتوح البلدان ، ص(351) .
[4] مجلَّة المؤرِّخ العربيِّ رقم (21) ، عبد الله بن عامر ، ص(134) .
[5] المصدر السَّابق نفسه ، ص(135) . وفتوح البلدان ، ص(354) .
[6] المصدر السَّابق نفسه ، ص(136) . وفتوح البلدان ، ص(354) .
[7] المصدر السَّابق نفسه ، ص(136) .
[8] فتوح البلدان ، ص(353 - 354) .

من خلال قوله: لو تُركت ؛ لخرجت المرأة في حاجتها على دابَّتها، ترد كلَّ يوم على ماءٍ، وسوقٍ، حتَّى توافي مكَّة[1] .

وفي الحقيقة: أنَّ إصــلاحاته هذه لا تقلُّ أهمِّيَّة عن الفتوحات في المشــرق الّتي قام بها، فقد كانت البصـــرة هي القاعدة العســـكريَّة للخلافة في فتوحاتها ببلاد المشرق، وأشار الدكتور صالح العلي إلى: أنَّ الفتوح الواسعة أدَّت إلى ازدياد دخل البصرة وانتشار الرَّخاء الاقتصاديِّ فيها، ممَّا شجع التُّجار، ورجال الأعمال على التَّقاطر إليها، وبذلك بدأت الحياة المدنيَّة تنمو ســريعاً في البصــرة[2]، لقد كانت الحالة الماليَّة لإمارة البصرة جيدةً جدّاً، نتيجةً للفتوح الواسعة في المشرق، والنَّشاط الاقتصاديِّ التِّجاريِّ للبصرة، واستقرار الأمن فيها، وكان عبد الله بن عامرٍ رجلاً متواضـــعاً، فاتحاً بابه لجميع النَّاس حتَّى إنَّه عاقب الحاجب، وأمره ألا يغلق بابه ليلاً، ولا نهاراً[3]، وفي الحقيقة أصبح ابن عامر ذا شهرةٍ واسعةٍ بالبصرة، قال ابن ســـعد: كان النَّاس يقولون: قال ابن عامر، وفعل ابن عامر[4]، ونتيجة لأعماله الإصلاحيَّة، وسيرته الحميدة، فقد ازداد حب الأمَّة له[5] .

وظلَّ ابن عامرٍ عليها إلى أن قتل الخليفة عثمان رضي الله عنه[6] .

فهذا عبد الله بن عامرٍ أحد ولاة عثمان، فهو الّذي شـــقَّ نهر البصـــرة، وأوَّل من اتَّخذ الحياض بعرفات، وأجرى إليها العين[7]، وهو الرَّجل الّذي له من

---

(1) المعارف لابن قتيبة ، ص(321) .
(2) التَّنظيمات الاجتماعيَّة ، والاقتصاديَّة ، ص(30-31) .
(3) مجلة المؤرِّخ العربيِّ العدد (21) عبد الله بن عامر ، محمَّد حمادي ، ص(138) .
(4) الطَّبقات (33/5) .
(5) مجلة المؤرِّخ العربي ، عبد الله بن عامر ، العدد (21) ، محمد جاسم حمادي ، ص(138) .
(6) البداية والنِّهاية (91/8) .
(7) المصدر السَّابق نفسه .

الحســنات، والمحبَّة في قلوب النَّاس ما لا يُنكر، كما يقول ابن تيميَّة[1] . وقال فيه الذهبيُّ: وكان من كبار أمراء العرب، وشــجعانهم، وأجوادهم، وكان فيه رفقٌ، وحلمٌ[2].

ثالثاً: الوليد بن عقبة:

هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، الأمير أبو وهب الأمويُّ، له صحبةٌ قليلةٌ[3]، وهو أخو عثمان لأمِّه .

كان الوليد بن عقبة من رجال الدَّولة الإســلاميَّة على عهد أبي بكرٍ، وعمر اللَّذين كانا يتخيَّران للأعمال ذوي الكفاءة، والأمانة من الرِّجال، وكان ذلك من أعظم أسباب ذلك الانتشار السَّريع على أوسع نطاقٍ للإسلام على عهدهما ؛ وأنَّه كان محلَّ ثقة، واعتماد الخليفتين، وممَّن وسد إليه الأمور المهمَّة ؛ لما كانا يريان فيه من الكفاءة، وصــدق الإيمان[4]، وأوَّل عملٍ له في خلافة الصِّــدِّيق: أنَّه كان موضع السِّرِّ في الرَّسائل الحربيَّة الَّتي دارت بين الخليفة، وقائده خالد بن الوليد في وقعة المذار مع الفرس 12 هـــــ[5]، ثمَّ وجَّهه مدداً إلى قائده عياض بن غنم الفهري[6]، وفي سنة 13 هـ كان الوليد يلي لأبي بكرٍ صدقات قضاعة، ثمَّ لما عزم الصِّــدِّيق على فتح الشَّــام كان الوليد عنده بمنزلة عمرو بن العاص في الحرمة، والثِّقة، والكرامة، فكتب إلى عمرو بن العاص، وإلى الوليد بن عقبة يدعوهما لقيادة

---

(1) منهاج السُّنَّة (189/3 ، 190) .
(2) سير أعلام النبلاء (21/3) .
(3) المصدر السَّابق نفسه ، (412/3 ، 413) .
(4) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(78) .
(5) تاريخ الطَّبري (168/4) .
(6) المصدر السَّابق نفسه ، ص(194/4) .

فيالق الجهاد، فسار ابن العاص بلواء الإسلام نحو فلسطين، وسار الوليد بن عقبة قائداً إلى شرق الأردن[1]، ثمَّ رأينا الوليد في سنة 15 هـ على عهد عمر أميراً على بلاد بني تغلب، وعرب الجزيرة[2] .

وكان في ولايته هذه يحمي ظهور المجاهدين في بلاد الشَّـــام ؛ لئلا يؤتوا من خلفهم، وانتهز الوليد فرصـــة ولايته على هذه الجهة الّتي كانت لا تزال مليئةً بالنَّصـــارى، فكان من جهاده الحربيِّ، وعمله الإداريّ داعياً إلى الله، يســـتعمل أسـاليب الحكمة، والموعظة الحسـنة لحمل نصـارى إياد، وتغلب على الدُّخول في الإسلام[3].

وبهذا الماضـــي المجيد جاء الوليد في خلافة عثمان، فتولَّى الكوفة له، وكان من خير ولاتها عدلاً، ورفقاً، وإحسـاناً، وكانت جيوشـه مدَّة ولايته على الكوفة تسـير في افاق الشـــرق فاتحةً ظافرةً موفَّقةً، كما شـــهد له بذلك بظهر الغيب قاضٍ من أعظم قضاة الإسلام في التَّاريخ علماً، وفضلاً، وإنصافاً وهو التَّابعي الجليل الإمام الشَّـــعبيُّ[4]، فقد أثنى على غزوه وإمارته بقوله حين ذُكر له غزو مســـلمة بن عبد الملك: كيف لو أدركتم الوليد، وغزوه، وإمارته، إنَّه كان ليغزو، فينتهي إلى كذا، وكذا، ما نقض، ولا انتقض عليه أحدٌ حتَّى عُزل عن عمله .

وقد كان الوليد رضي الله عنه أحبَّ النَّاس إلى النَّاس وأرفقهم بهم، وقد أمضى

[1] فصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(78) .
[2] تاريخ الطَّبري (28/5 ، 29) .
[3] فصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(78) .
[4] مسلمة بن عبد الملك بن مروان أحد القادة الفاتحين توفي (120هـ) .

خمس ســـنين، وليس في داره باب[1]، وقد قال عثمان رضـــي الله عنه: ما وليت الوليد لأنَّه أخي، وإنَّما ولَّيته لأنَّه ابن أم حكيم البيضـــاء عمَّة رســـول الله(ﷺ)، وتوءمة أبيه. والولاية اجتهادٌ وقد عزل عمر ســـعد بن أبي وقَّاص وقدَّم أقلَّ منه درجةً[2] .

والمستعرض لسيرة هذا الصَّحابي الجليل، والبطل الإسلاميِّ العظيم ؛ الّذي كان محلَّ ثقة الخلفاء الرَّاشــدين الثَّلاثة لا يرتاب، فإنَّه أهلٌ للولاية، وإنَّما تســاوره الشُّكوك في ثبوت ما قيل فيه من نزول الاية فيه، وتسميته فاسقاً، وشربه للخمر، والأمر يحتاج إلى تحقيقٍ، وإليك بحث هذين الأمرين[3] .

هل ثبت بأن الوليد نزلت فيه الاية ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ **[الحجرات: 6]** ؟

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ *﴾ **[الحجرات: 6]** .

يتناقل الرُّواة في ذلك قصَّةً تقول: إنَّ رسول الله(ﷺ) بعث الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق مصدِّقاً، فأخبر عنهم أنَّهم ارتدُّوا، وأبوا في أداء الصَّدقة، وذلك أنَّهم خرجوا إليه، فهابهم، ولم يعرف ما عندهم، فانصـــرف عنهم، وأخبر بارتدادهم، فبعث إليهم رسول الله(ﷺ) خالد بن الوليد، وأمره أن يتثبَّت فيهم، فأخبروه: أنَّهم متمسِّكون بالإسلام، ونزلت الاية[4] . وقد جاءت رواياتٌ عديدةٌ، وليس للقصَّة

---

[1] التَّمهيد والبيان ، ص(40) .
[2] تاريخ الطَّبري (251/5) .
[3] العواصم من القواصم ، ص(86) .
[4] فصل الخطاب في مواقف الأصحاب . ص(79) .

سندٌ موصولٌ صحيحٌ[1]، وأقلُّ ما يوصف به سند القصَّة: أنَّه ضعيف، وإذا قبلوا الأسانيد الضَّعيفة في فضائل الأعمال الّتي لا تحلُّ حراماً، ولا تحرِّم حلالاً، فإنَّنا لا نقبل السَّند الضَّعيف في قصَّة الوليد ؛ لأنَّه يحلُّ حراماً، وهو وصف رجلٍ صحب الرَّسول(ﷺ) - ولو يوماً - بأنَّه فاسق .. وكيف نقبل السَّند الضَّعيف والاية نفسها تحث على التثبُّت في قول الأخبار، فهذه الاية وضعت أصل علم الرِّواية..[2] .

إنَّ قصَّة الوليد بن عقبة، فيما نسبوه إليه، لا تُقْبلُ فيها إلا الأخبار الصَّحيحة السَّند، والمتن ؛ لأنَّها تصفه بالفسق، وهذا مطعنٌ لا يتساهل في قبوله إذا وُصف به رجلٌ مِنْ عرض النَّاس في العصر الحديث بعد خمسة عشر قرناً من عصر الدَّعوة، فكيف نتساهل في نسبتها إلى رجلٍ عاش في العهد النَّبويِّ، وفي عهد الخلفاء الرَّاشدين، وأوكلوا إليه أعمالاً ذات خطر ؟ والقصَّة تمثل جزءاً من تاريخ صدر الإسلام، وتتَّصل أجزاء القصَّة، وحوادثها بالعقيدة الإسلاميَّة، وأخبار هذا الجانب من التَّاريخ الإسلاميِّ، لا يتساهل في قبولها، كما يُتساهل في قبول الأخبار الّتي تتَّصل بالعمران المدنيِّ، ثمَّ إن الوليد بن عقبة من مسلمة الفتح ... وكثيراً ما تُوجَّه المطاعن إلى إسلام هذه الفئة من النَّاس، ويزعم بعض المؤرِّخين: أنَّهم أسلموا مكرهين، ولم يدخل الإيمان إلى قلوبهم، وهو زعمٌ باطلٌ بلا ريب[3]، وأخبار الوليد بن عقبة، تزيد الرُّواة فيها، ولعبت بها الأهواء المذهبيَّة، والسياسيَّة، ودخلها الوضع، وكانت ميداناً لتسابق أهل القصَّة في اختبار القدرة على الوضع، وإثبات

---

[1] المدينة النَّبويَّة فجر الإسلام (176/2) .

[2] المصدر السَّابق نفسه .

[3] المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (173/2) .

عبقريَّتهم الأدبيَّة المجَنَّحة[1] .

وممَّا يعكِّر على رواية إرسـال الوليد بن عقبة لجمع صـدقات بني المصـطلق، ويعارضـها حديثٌ موصـولُ السَّـند إلى رجالٍ ثقاتٍ: أنَّ الوليد بن عقبة كان يوم الفتح صغيراً، ومن كان في سنِّه لا يرسله النَّبيّ(ﷺ) عاملاً، فعن فيَّاض بن محمَّد الرقِّي، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجَّاج الكلابيِّ، عن عبد الله الهمدانيِّ (أبي موسى) عن الوليد بن عقبة، قال: لما فتح رسول الله(ﷺ) مكَّة، جعل أهل مكَّة يأتونه بصـبيانهم، فيمسـح على رؤوسـهم، ويدعو لهم، فجيء بي إليه، وإنِّي مطيَّب بالخلوق، ولم يمسـح على رأسـي، ولم يمنعه من ذلك إلا أنَّ أمي خلقتني بالخلوق، فلم يمسَّني من أجل الخلوق[2] .

إن القصَّة لعبت بها الأهواء المذهبيَّة، فالوليد أمويٌّ عثمانيٌّ، والَّذي أقحم اسم الوليد في قصَّة سبب نزول الاية: شيعيٌّ رافضيٌّ (محمد بن السَّائب الكلبي) قال عنه ابن حجر: كان يُعَدُّ من شـيعة أهل الكوفة . وقال ابن حجر: كان بالكوفة كذَّابان، أحدهما: الكلبيُّ، والاخر: السُّدِّيُّ[3] . واختاره لهذه القصَّة ؛ لأنها تتَّصل بجمع الصَّـدقات، والوليد عمل على صـدقات قضـاعة في عهد أبي بكر، وعمل على صـدقات تغلب في الجزيرة في زمن عمر، وكُتب الشِّـيعة تعيب عثمان بن عفَّان بسبب قصَّة الوليد[4]، ونحن لا ننكر أن تكون الاية نزلت في سياق قصَّة بني المصطلق، ولكن الَّذي ننكره أن يكون الوليد هو الموصوف بالفاسق في الاية،

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] مسند أحمد (32/4) .
[3] المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (179/2) .
[4] المصدر السَّابق نفسه (180/2) .

ذلك أنَّ منطوق الاية: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ﴾ [الحجرات: 6] بصيغة التَّنكير، يدلُّ على الشُّمول، لأنَّ النَّكرة إذا وقعت في سياق الشَّرط، عمَّت، كما تعمُّ إذا وقعت في سياق النَّفي[1].

حدُّ الوليد بن عقبة في الخمر:

وأمَّا حد الوليد في الخمر، فقد ثبت في الصَّحيحين: أنَّ عثمان حدَّه بعدما شهدت عليه الشُّهود، فهو ليس مأخذاً على عثمان، بل كان من مناقب عثمان رضي الله عنه أن أقام عليه الحدَّ، وعزله عن الكوفة، حيث ذكر البخاريُّ هذه الحادثة في (باب مناقب عثمان)[2]، وكان عليٌّ رضي الله عنه يقول: إنَّكم وما تعيِّرون به عثمان كالطاعن نفسه ؛ ليقتل رِدَاءه[3]، ما ذنب عثمان في رجلٍ قد ضربه بفعله، وعزله عن عمله، وما ذنب عثمان فيما صنع عن أمرنا[4] . ثمَّ إنَّ تلك الحادثة لم تطرد في عهد عثمان فحسب، بل لها سابقة في عهد عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه حيث ذكر، أنَّ قدامة بن مظعون – له صحبةٌ – شرب الخمر، وهو أميرٌ على البحرين من قبل عمر فحدَّه، وعزله[5] .

وقد ذكر بعض المؤرِّخين: أنَّه لم يثبت على الوليد شربه للخمر، قال الحافظ في الإصابة: ويقال: إنَّ بعض أهل الكوفة تعصَّبوا عليه، فشهدوا عليه بغير الحقِّ[6]، وقد أشار إلى هذا ابن خلدون، فقال: وما زالت الشَّائعات – أي على عمَّال

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) البخاريُّ ، كتاب مناقب عثمان .
(3) الرِّداء: هو العون . تاريخ الطَّبري (278/5) .
(4) تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (421/1) .
(5) العواصم من القواصم ، ص(93) .
(6) الإصابة (638/3) .

عثمان من قبل المشاغبين – تنمو، ورمي الوليد بن عقبة وهو على الكوفة بشرب الخمر، وشهد عليه جماعةٌ منهم، وحدَّه عثمان، وعزله[1] .

وما حكاه الطَّبريُّ ببعض تفصيل: إنَّ أبناءً لأبي زينب، وأبي مورع، وجندب بن زهير نقبوا على ابن الحيسمان داره، وقتلوه، فشهد عليهم بذلك أبو شريح الخزاعيُّ الصَّحابيُّ، وابنه – وكان جاراً لابن الحيسمان – فاقتصَّ منهم الوليد، فأخذ الاباء على أنفسهم أن يكيدوا للوليد، وأخذوا يترقَّبون حركاته، فنزل به أبو زبيد الشَّاعر، وكان نصرانيّاً من أخواله بني تغلب، وأسلم على يد الوليد، وكان الضيف متَّهماً بشرب الخمر، فأخذ بعض السُّفهاء يتحدَّثون بذلك في الوليد لملازمته أبا زبيد، ووجد أبو زينب، وأبو مورّع خير فرصة يغتنمونها، فسافرا إلى المدينة، وتقدَّما إلى عثمان شاهدين على الوليد بشرب الخمر، وأنَّهما وجداه يقيء الخمر . فقال عثمان: ما يقيء الخمر إلا شاربها . فجيء بالوليد من الكوفة، فحلف لعثمان، وأخبره خبرهم، فقال عثمان: نقيم حدود الله، ويبوء شاهد الزُّور بالنَّار، فاصبر يا أخي[2]!

قال محبُّ الدِّين الخطيب: وأمَّا الزيادة الّتي وردت في رواية مسلم من: أنَّه أتى بالوليد وقد صلَّى الصبح ركعتين، ثمَّ قال: أزيدكم، وفي بعض طرق أحمد: أنَّه صلَّى أربعاً، فلم تثبت في شيءٍ من شهادة الشُّهود، فهي من كلام حضين الرَّاوي للقصَّة، ولم يكن حضين من الشُّهود، ولم يروِها عن شاهدٍ، ولا عن إنسانٍ معروف، ولا كان في الكوفة في وقت الحادث المزعوم، فلا اعتداد بهذا الجزء من

---

(1) تاريخ ابن خلدون (473/2) . وفصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(81) .
(2) تاريخ الطَّبري (277/5) .

كلامه[1] .

هذا هو والي عثمان على الكوفة الوليد بن عقبة، المجاهد الفاتح، العادل المظلوم الّذي كان منه لأمَّته كلُّ ما استطاعه من عملٍ طيّبٍ، ثمَّ رأى بعينه كيف يبغي المبطلون على الصَّالحين، وينفذ باطلهم فيهم، فاعتزل النَّاس بعد مقتل عثمان في ضيعةٍ له منقطعةٍ عن صخب المجتمع، وهي تبعد خمسة عشر ميلاً عن بلدة الرَّقَّة من أرض الجزيرة الّتي كان يجاهد فيها، ويدعو النَّاس للإسلام في خلافة عمر[2]، واعتزل جميع الحروب الّتي كانت أيَّام عليٍّ، ومعاوية رضي الله عنهما إلى أن توفي بضيعته، ودفن بها في عام 61 هـ، وقيل: إنَّه توفي في أيَّام معاوية[3] .

رابعاً: سعيد بن العاص:

هو سعيد بن العاص بن أميَّة بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشيُّ، الأمويُّ[4]. وقال أبو حاتم: له صحبةٌ . ولي الكوفة بعد الوليد بن عقبة، كان من فصحاء قريش ؛ ولهذا ندبه عثمان فيمن ندب لكتابة القران، فعن أنس بن مالك قال:... فأمر عثمان زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزُّبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرَّحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها (أي: الصحف) في المصاحف، وقال عثمان للرَّهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابتٍ في شيءٍ من القران، فاكتبوه بلسان قريش[5]، وقد أقيمت عربيَّة القران على لسان سعيد بن

[1] العواصم من القواصم ، ص(96 ، 97) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(94) .
[3] البداية والنِّهاية (216/8) .
[4] المصدر السَّابق نفسه (87/8) .
[5] البخاريُّ ، كتاب فضائل القران ، رقم (4987) .

العاص ؛ لأنَّه كان أشـبههم لهجة برسـول الله(ﷺ)، أدرك من الحياة النَّبويَّة تسـع سنين، وقتل أبوه يوم بدرٍ مشركاً، قتله عليُّ بن أبي طالب[1]، واقرأ معي هذا الخبر الّذي يدلُّ على قوَّة إيمانه: حيث روي أنَّ عمر بن الخطَّاب قال لسـعيد بن العاص: لم أقتل أباك، وإنما قتلتُ خالي العاص بن هشـام . فقال سـعيد: لو قتلته لكنت على الحقِّ، وكان على الباطل، فأعجب عمر بجوابه .

وفي أيَّام ولايته الكوفة غزا طبرستان، ففتحها، وغزا جرجان، وكان في عسكره حذيفة وغيره من الصَّحابة[2]، وكان مشهوراً بالكرم، والبرِّ، حتَّى إذا سأله السائل، وليس عنده ما يعطيه ؛ كتب له بما يريد أن يعطيه مسطوراً[3]، وكان رحمه الله يحبُّ جمع شمل المسـلمين، ويكره الفتنة، ويفرُّ منها، ولاه عثمان الكوفة بعد الوليد بن عقبة، ووفد إلى المدينة مرَّةً، وعندما عاد إلى الكوفة جنَّد أهل الشَّـغب جنودهم، ومنعوه من دخولها، فعاد، ولزم المدينة .. وهؤلاء الّذين منعوه من العودة إلى الإمارة كان منهم قتلة عثمان، ومع ذلك اعتزل الجمل، وصفِّين، وحثَّ أهل الجمل على القعود عن الخروج[4]، هذه هي سـيرته: كرمٌ، وشـجاعةٌ، وبرٌّ، وجهادٌ، وفصـاحةٌ أشـبه ما تكون بفصـاحة النَّبيِّ(ﷺ)، وكان قد أملى على زيد ابن ثابت هذا المصحف الّذي نقرؤه اليوم .

فتأمَّل هذه المناقب الثَّابتة له بالرِّواية الصَّـحيحة، وقارنها بما يذكرون من مثالبه الّتي لا سـند لها، وتأمَّل فيمن أشـاعها، فتظنُّ أنَّها ملفقةٌ ؛ لأنَّها تجمع في الرَّجل

---

[1] المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (211/2) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .
[3] الإصابة ، ترجمة رقم (3268) .
[4] الطَّبقات (34/5) .

النقيضـــين: الكرم والبخل، والبرَّ والتَّوحُّش، والفهم والجهل، والجهاد والنكوص، وهذا لا يعقلُ اجتماعه في رجلٍ سـويٍّ[1] . يزعم الرُّواة – بلا إسـنادٍ – أنَّه عندما ولي سعيد الكوفة بعد الوليد كان بعض الموالي يقول رجزاً:

يَا وَيْلَنَا قَدْ عُزِلَ الْوَلِيْدُ وَجَاءَنا مُجَوِّعَاً سَعِيْدُ يُنْقِصُ فِي الصَّـاعِ وَلا يَزِيْدُ[2] وهذا رجزٌ مصنوعٌ، وقصَّةٌ موضوعةٌ بلا شـكٍّ[3] ؛ لأنَّ الموالي في سنة 30 هـــ أي: العبيد، من أسـرى الحروب – لم يكونوا يحسـنون العربيَّة، بَلْه قول الشِّـعر، ولأنَّ سـعيد بن العاص المشـهور بالكرم، والبرِّ لا يمكن أن يوصـف بأنَّه (مجوِّع) وإذا مدح النَّاس، والشُّعراء الوليد لكرمه، فإنَّ سعيداً ضرب المثل بكرمه[4]، فكان يقال له: عُكَّةُ العسل، وقال فيه الفرزدق يذكر كرمه:

تَرَى الغُرَّ الجَحَـاجِحَ مِنْ قُرَيْشٍ   إِذَا مـا الأَمْرُ فِي الْحِـدثَانِ عَـالا

قِيَـامَـاً يَنْظُرُوْنَ إِلَى سَـــعِيْـدٍ   كَـأَنَّهُـمُ يَـرَوْنَ بِـهِ هِـلالا[5]

وإذا قـال الموالي هذا الرَّجز في أول مجيء ســعيدٍ إلى الكوفة، فكيف عرف الموالي سـياسـة سـعيد، وهل جاء مجوِّعاً، أم جاء مشـبعاً ؟ ! والغريب أنَّ الرُّواة يسـوقون هذا الخبر في سـياق ينقض بعضـه بعضـاً، حيث يقولون: فولَّى عثمان سـعيد ابن العاص الكوفة، فسـار فيهم سـيرةً عادلةً، فكان بعض الموالي، يقول الرَّجز[6]، فكيف تكون السِّـيرة عادلةً، ويوصـف بأنَّه جوَّع الموالي ؟ ! فقد كان

(1) المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (212/2) .
(2) تاريخ الطَّبري (279/5) .
(3) المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (212/2) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .
(5) البداية والنِّهاية (88/8) .
(6) تاريخ الطَّبري (279/5) .

الخير كثيراً يســـع الجميع، ويفيض، والسِّـــيرة العادلة تجعل الخير يعمُّ[1]، ورحم الله المؤرِّخين القدماء، فقد كانوا حســـني الظَّنِّ بالقرَّاء، فجمعوا في كتبهم الرِّوايات المتناقضة، وحسبوا: أنَّ القرَّاء في جميع العصور يستطيعون تمييز الغثِّ من السَّمين، وعذرُهم بأنَّهم كانوا يؤلِّفون لأهل عصرهم، وما عرفوا: أنَّ القرون التَّالية ستحل بمن يحتطب بليلٍ[2]، فقد روى ابن سعد في ترجمة سعيد – بلا إسنادٍ – يقول: قالوا: فلمَّا قدم سعيدٌ الكوفة – والياً – قدمها شابّاً، مُترفاً، ليست له سابقةٌ، فقال: لا أصعد المنبر حتَّى يطَّهَّر، فأُمر به فغسل .. وقال على المنبر: إنَّما هذا السَّواد بستانٌ لأُغَيْلمةٍ من قريش . شكوه إلى عثمان[3] ! وهذا كلامٌ لا يصحُّ ؛ لأنَّه غير مسندٍ، ولأنَّ سعيد بن العاص الّذي قاد جيوش الجهاد، وفتح الفتوح لا يكون كما وصف القائلون .

ثمَّ إنَّ ابن سعدٍ يروي قولة سعيد هذه على لسان الأشتر مالك بن الحارث عندما منع سعيد بن العاص من دخول الكوفة، بعد سنوات من ولايته حيث قال الأشتر: هذا سعيد بن العاص قد أتاكم يزعم: أنَّ هذا السواد بستانٌ لأغيلمة من قريش، والسَّواد مساقط رؤوسكم، ومراكز رماحكم، وفيئُكم وفيء ابائكم[4] .

ومالك بن الحارث الملقَّب بـ(الأشتر) صاحب فتنةٍ، كان من رؤساء الخوارج الّذين حاصـروا عثمان، وقتلوه، ولا يســتغرب من هؤلاء أن يختلقوا الأقوال لإثارة كره النَّاس ... وإذا كانت هذه الجملة قد قيلت ؛ فإنَّ الّذين قالوها هم الخارجون

---

(1) المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (213/2) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .
(3) المصدر السَّابق نفسه (213/2) . والطَّبقات (32/5) .
(4) المصدر السَّابق نفسه ، ص(214/2) .

على الخلافة ؛ لأنَّهم فهموا هذا الفهم السَّقيم بسبب تتابع الأمراء على العراق – وبخاصَّةٍ الكوفة – من قريش، ولأن العصبية القبلية واضحةٌ في هذه المقولة[1]، وقد قال الإمام الذَّهبيُّ فيه: وكان أميراً شريفاً، جواداً، ممدَّحاً، حليماً، وقوراً، ذا حزمٍ، وعقلٍ، يصلح للخلافة – الولاية –[2] .

وأمَّا قول المخالفين، والّذين طعنوا في عثمان رضي الله عنه بأنَّه استعمل سعيد ابن العاص على الكوفة، وظهر منه ما أدَّى إلى أن أخرجه أهل الكوفة[3]، فمجرَّد إخراج أهل الكوفة له لا يدلُّ على ذنبٍ يوجب ذلك، فمن عرف الكوفة، وسبر أحوالها، عرف كثرة تشكِّي أهلها من ولاتهم بلا مبررٍ شرعيٍّ، ولأتفه الأسباب، حتَّى قال فيهم عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: أعياني، وأعضل بي أهل الكوفة، ما يرضون أحداً، ولا يرضى بهم، ولا يصلحون، ولا يصلح عليهم[4] .

وفي رواية: أعياني أهل الكوفة، فإن استعملت عليهم ليِّناً ؛ استضعفوه، وإن استعملت عليهم شديداً ؛ شكوه[5]، بل إنَّه دعا عليهم، فقال: الّلهُمَّ إنَّهم قد لبَّسوا عليَّ، فلبِّس عليهم[6] .

وقد كان سعيد بن العاص رجلاً حكيماً، فقد قال: لجليسي عليَّ ثلاثٌ: إذا دنا ؛ رحَّبت به، وإذا جلس؛ أوسعت له، وإذا حدَّث ؛ أقبلت عليه . وقال لابنه: يا بنيَّ ! أجر لله المعروف إذا لم يكن ابتداءً من غير مسألةٍ، فأمَّا إذا أتاك الرَّجل

---

[1] المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (214/2) .
[2] سير أعلام النبلاء (447/3) .
[3] تاريخ الطَّبري (279/5) .
[4] المعرفة والتاريخ ، للفسوي (754/2) .
[5] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (423/1) .
[6] المنهاج ، لابن تيمية (188/3) .

تكاد ترى دمه في وجهه، أو جاءك مخاطراً لا يدري أتعطيه، أم تمنعه، فوالله لوخرجت له من جميع مالك ما كافأته ! وقال أيضاً: يا بنيَّ ! لا تمازح الشَّريف، فيحقد عليك، ولا الدَّنيء فتهون عليه . ودخلتْ عليه ذات يوم امرأةٌ من العابدات، وهو أمير الكوفة، فأكرمها، وأحسن إليها، فقالت: لا جعل الله لك إلى لئيم حاجةً ! ولا زالت المنَّة في أعناق الكرام، وإذا أزال عن كريم نعمة جعلك سبباً لردِّها عليه .

ولما حضرت سعيداً الوفاة جمع بنيه، وقال لهم: لا يفقدنَّ أصحابي غير وجهي، وصلوهم بما كنت أصلهم به، وأجْرُوا عليهم ما كنت أجري عليهم، واكفوهم مؤنة الطَّلب، فإنَّ الرَّجل إذا طلب الحاجة ؛ اضطربت أركانه، وارتعدت فرائصه مخافة أن يردَّ، فوالله لرجلٌ يتململ على فراشه يراكم موضعاً لحاجته أعظم منَّةً عليكم ممَّا تعطونه ! ثم أوصاهم بوصايا كثيرةٍ، وكانت وفاته 58 هـ، وقيل: 57 هـ، وقيل: 59 هـ[1] .

خامساً: عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح:

درج المؤرِّخون – في الغالب – إذا ذكروا اسم عبد الله بن أبي السَّرح، وتولية عثمان له على ولاية مصر على أن يقولوا: لقد ولَّى عثمان على مصر عبد الله بن أبي السَّرح أخاه من الرَّضاعة[2]، وإيراد عبارة (أخاه من الرَّضاعة) مقرونةً بالتَّولية تعتبر إيحاءً من بعض المؤرِّخين باتِّهام عثمان رضي الله عنه، وأنَّه لهذه الأخوَّة من

---

[1] البداية والنِّهاية (8/90) .
[2] انظر: الكامل ، لابن الأثير (3/88) .

الرَّضـاعة ولاه على مصـر . وهذا الّذي يراه المؤرِّخ غير صـحيحٍ، ولكي نردَّ على هؤلاء، وعلى ما يغمزون به أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان رضـي الله عنه نستعرض جهود فارس بني عامر بن لؤيٍّ[1] – عبد الله بن سـعدٍ – فقد كان على خبرةٍ، ودرايةٍ تامَّةٍ بأحوال مصـر، ونواحيها نتيجة اشـتراكه مع جيش عمرو في فتحها، ونتيجة ولايته على بعض النَّواحي أثناء خلافة عمر، فقد كان على صـعيد مصـر[2]، وكذلك أوَّل خلافة عثمان، ممَّا أهَّلَه لأن يصبح والياً عامّاً على مصر، فكان أقوى المرشَّـحين لتلك الولاية بعد عمرو بن العاص نتيجة لتلك الخبرات، ويبدو: أنَّ عبد الله بن سعدٍ تمكَّن من ضبط خراج مصر ؛ حتَّى زاد ما كان يجمعه من الخراج على ما كان يجمعه عمرو بن العاص قبله، ولعلَّ مردَّ ذلك إلى اتِّباع عبد الله بن سعدٍ لسياسةٍ جديدةٍ في المصروفات، اختلفت عن سياسة عمرو، وبالتَّالي زادت أموال الخراج المتوفِّرة في مصر[3] .

وقد قام عبد الله بن سعدٍ أثناء ولايته بالجهاد في عدَّة مواقع، فكانت له فتوحٌ مختلفةٌ لها شأنٌ عظيمٌ، فكان من غزواته غزو إفريقية سنة 27 هـ وفتوحه فيها، وقتله ملكها جرجير، وكان يصاحبه في تلك الغزوات مجموعةٌ من الصَّحابة، منهم عبد الله بن الزُّبير، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وغيرهم، وانتهت الغزوة بصلحٍ مع بطريق إفريقية على تأدية الجزية للمسلمين[4]، وقد عاد ابن أبي السَّرح إلى إفريقية مرَّةً أخرى، ووطَّد فيها الإسلام،

---

[1] فصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(77) .
[2] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ص(418) .
[3] الولاية على البلدان (180/1) .
[4] فتوح مصر وأخبارها ، ص(183) . والولاية على البلدان (180/1) .

وذلك في سنة 33 هـ[1]، كما كان من أهمّ أعمال عبد الله بن سعد بن أبي السَّرح غزوه لبلاد النُّوبة، وتسمى غزوة الأساودة، أو غزوة الحبشة عند بعض المؤرِّخين، وقد وقعت هذه الغزوة سنة إحدى وثلاثين للهجرة، وقد دار قتالٌ شديدٌ بين أجناد المسلمين وجنود النُّوبة، وأصيب مجموعةٌ من المسلمين نظراً لإجادة أهالي النُّوبة للرَّمي، وقد انتهت تلك الغزوة بصلح وقَّعه عبد الله بن سعدٍ مع أهالي النُّوبة بوضع جزية محدَّدة عليهم[2] .

ويعتبر عبد الله بن سعدٍ بحقٍّ أوَّل قائدٍ مسلمٍ تمكَّن من اقتحام النُّوبة، وقاتل أهلها، وفرض عليهم الجزية، واستقرَّت الحال على ذلك في أيَّامه بين أهل النُّوبة، والمسلمين، كذلك من أهمِّ أعمال عبد الله بن سعدٍ العسكريَّة غزوة ذات الصَّواري وقد انتصر فيها المسلمون على الرُّوم، وقد كانت ولاية عبد الله بن سعدٍ على مصر محمودةً على العموم لدى المصريين، ولم يروا منه ما يكرهون، يقول عنه المقريزي: ومكث أميراً مدَّة ولاية عثمان رضي الله عنه كلَّها محموداً في ولايته[3].

وقال فيه الذَّهبي: ولم يتعدَّ، ولا فعل ما ينقم عليه، وكان أحد عقلاء الرِّجال، وأجوادهم[4] .

وقد كانت ولاية مصر في أوَّل أمرها هادئةً مستقرَّةً إلى أن تمكَّن مثيرو الفتنة من أمثال عبد الله بن سبأ من الوصول إليها، وإثارة النَّاس فيها، فكان لهم وللمتأثِّرين بهم دورٌ كبير في مقتل عثمان رضي الله عنه . كما أنَّ الأحوال في مصر

---

[1] النُّجوم الزَّاهرة (80/1) .
[2] الولاية على البلدان (181/1) . وفتوح مصر وأخبارها ، ص(188) .
[3] الخطط (299/1) .
[4] سير أعلام النُّبلاء (34/3) .

نفسها اضطربت نتيجة طرد الوالي الشَّرعي لها، واستيلاء أقوامٍ اخرين على الأمور بطريقة غير شرعيَّة، وقد تمكَّنوا خلال تلك الفترة من بثّ الكراهيَّة في قلوب النَّاس لخليفتهم عثمان نتيجة مكايد قاموا بها، وأكاذيب لفَّقوها، ونشــروها[1]، ســيأتي الحديث عنها بإذن الله تعالى .

ولما وقعت الفتنة بمقتل عثمان رضـي الله عنه اعتزلها عبد الله بن سعدٍ وسكن عسقلان، أو الرَّملة في فلسطين . وروى البغويُّ بإسنادٍ صحيح، عن يزيد بن أبي حبيبٍ، قال: خرج ابن أبي السَّرح إلى الرَّملة – بفلسطين – فلمَّا كان عند الصُّبح قال: اللّهمَّ اجعل اخر عملي الصُّبح ! فتوضَّأ، ثمَّ صلَّى، فسلم عن يمينه، ثمَّ ذهب يسلم عن يساره، فقبض الله روحه[2] .

سادساً: مروان بن الحكم، ووالده:

كان مروان بن الحكم من أخصِّ أقرباء عثمان به، وأوثقهم صلةً بمركز الخلافة، وألصقهم بالأحداث الّتي عصفت بالوحدة الإسلاميَّة في عهد عثمان، رضي الله عنه، فكان منه بمنزلة كاتم ســـرِّ الدَّولة، أو حامل ختم الملك[3]، ولم يكن مروان بالتأكيد المستشار الأوحد للخليفة الّذي كان يستشير كبار الصَّحابة، وصغارهم، ولم يكن بمعزلٍ عن قادة الرَّأي في مجتمع الإســـلام، وكذلك لم يكن مروان الوزير الّذي تجمَّعت تحت يده ســـلطات الدَّولة، إنَّما كان كاتباً للخليفة، وهي وظيفةٌ تســـتمدُّ أهمِّيتها من قرب صـــاحبها من أذن الخليفة، وخاتمه، أمَّا ادِّعاء توريطه

---

[1] الولاية على البلدان (186/1) .
[2] الإصابة ، ترجمة (4711) . وسير أعلام النبلاء (35/3) .
[3] عثمان بن عفان ، لصادق عرجون ، ص(117) .

عثمان، وإثارة النَّاس عليه لتنقل الخلافة بعد ذلك إلى بني أميَّة، فافتراضٌ لا دليل عليه، ولم تنتقل الخلافة إلى بني أميَّة إلا بعد أهوالٍ جسام لم يكن لمروان فيها دورٌ خطيرٌ، ثمَّ إنَّ عثمان لم يكن ضعيف الشَّخصيَّة حتى يتمكَّن منه كاتبه إلى الحدِّ الّذي يتصوَّره الرُّواة[1]، ولا ذنب لمروان بن الحكم إن كان في حياة الرسول(ﷺ) لم يبلغ الحلم باتِّفاق أهل العلم، بل غايته أن يكون له عشر سنين، أو قريبٌ منها، وكان مسلماً، يقرأ القران ويتفقَّه في الدِّين، ولم يكن قبل الفتنة معروفاً بشيءٍ يعاب فيه، فلا ذنب لعثمان في استكتابه، وأمَّا الفتنة، فأصابت من هو أفضل من مروان[2]، بل إنَّ خبر طرد النَّبيّ(ﷺ) لأبيه ضعيفٌ سنداً ومتناً، وتعقَّبه شيخ الإسلام ابن تيميَّة، فأوضح تهافته، وضعفه[3]، وعرف عن مروان بن الحكم العلم، والفقه، والعدل، فقد كان سيِّداً من سادات شباب قريش لما علا نجمه أيَّام عثمان بن عفَّان، وقد شهد له الإمام مالك بالفقه، واحتجَّ بقضائه، وفتاواه في مواطن عديدةٍ من كتاب الموطَّأ، كما وردت في غيره من كتب السُّنَّة المتداولة في أيدي الأئمَّة المسلمين يعملون بها[4]، وكان الإمام أحمد يقول: يقال: كان عند مروان قضاء، وكان يتتبَّع قضايا عمر بن الخطَّاب[5]، وكان مروان من أقرأ النَّاس للقران، كما كان له روايةٌ للحديث الشَّريف، حيث روى عن بعض مشاهير الصَّحابة، وروى عنه بعضهم، كما روى عنه بعض التَّابعين[6]، وكان حريصاً على تحرِّي السُّنَّة، والعمل بها .

---

[1] الدَّولة الأموية المفترى عليها ، لحمدي شاهين ، ص(160) .
[2] منهاج السُّنَّة (197/3) .
[3] المصدر السَّابق نفسه (195/3 ، 196) .
[4] الدولة الأموية المفترى عليها ، ص(169) .
[5] البداية والنِّهاية (260/8) .
[6] المصدر السَّابق نفسه .

روى اللَّيث بن سعد – فقيه مصر – بسنده، قال: شهد مروان جنازةً، فلمَّا صلَّى عليها ؛ انصرف، فقال أبو هريرة رضي الله عنه: أصاب قيراطاً، وحُرِم قيراطاً (أي: الأجر، والثَّواب، كما ورد في حديثٍ شريفٍ)[1] فأخبر بذلك مروان، فأقبل يجري ؛ حتَّى بدت ركبتاه، فقعد حتَّى أُذن له[2] .

وجاء في مقدِّمة (فتح الباري): مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميَّة ابن عمِّ عثمان بن عفَّان، يقال: له رؤية – يعني رؤية الرَّسول(ﷺ) – فإن ثبتت، فلا يعرج على من تكلَّم فيه[3] .

وكان يقول ابن كثيرٍ: وهو صحابيٌّ عند طائفةٍ كثيرةٍ ؛ لأنَّه ولد في حياة النَّبيّ(ﷺ)[4]، وقد ولي مروان المدينة لمعاوية بن أبي سفيان، فكان شديداً على أهل الفسوق بها، حرباً على مظاهر التَّرف، والتَّخنُّث[5]، عادلاً مع رعيته، حذراً من مجاملة ذوي قرباه، أو من يحاول منهم استغلال نفوذه، فقد لطم أخوه عبد الرَّحمن بن الحكم مولىً لأهل المدينة يعمل حنّاطاً – أثناء فترة ولاية مروان على المدينة – فشكا الحنَّاط إلى مروان، فأتى بأخيه عبد الرَّحمن، وأجلسه بين يدي الحنَّاط، وقال له: الطمه، فقال الحناط: والله ما أردت هذا ! وإنَّما أردت أن أعلمه؛ أنَّ فوقه سلطاناً ينصرني عليه، وقد وهبتها لك . فقال: لست أقبلها منك، فخذ حقَّك، فقال: والله لا ألطمه، ولكن أهبها لك ! ولست والله لاطمه ! فقال مروان: لست والله قابلها ! فإن وهبتها ؛ فهبها لمن لطمك، أو لله عزَّ وعلا، قال:

---

[1] المصدر السَّابق نفسه (260/8) . والمسند ، رقم (4453 ، 4650) .
[2] الدَّولة الأموية المفترى عليها ، ص(200) ، والبداية والنِّهاية (260/8) .
[3] فتح الباري (164/2) . وأباطيل يجب أن تمحى من التَّاريخ ، ص(254) .
[4] البداية والنِّهاية (259/8) .
[5] الدَّولة الأمويَّة المفترى عليها ، ص(200) .

قد وهبتها لله تعالى . فقال عبد الرَّحمن شعراً يهجو أخاه مروان لذلك[1] .

إنَّ هذه الصُّورة المشرقة عن علم مروان، وعدله، وفقهه، وتديُّنه تكاد تختلف تماماً عن تلك الصُّورة الكريهة الّتي يقدِّمها عنه معظم المؤرِّخين والرُّواة، الّذين اجتهدوا لتشويه حياة الرَّجل، فلمَّا حانت وفاته، اجتهدوا أيضاً لتشويهها، فزعموا أنَّ امرأته – أمَّ خالد بن يزيد بن معاوية – خنقته بوسادتها، أو دسَّت له السمَّ، لما سبَّ ابنها – بزعمهم – أمامَ جماعةٍ من النَّاس، وهذه القصَّة مع ما تحتويه من عناصر متناقضةٍ تبدو لأوَّل وهلة وكأنَّها أسطورةٌ اخترعتها مخيّلات عجائز القوم، ثمَّ ردَّدتها الألسن، إمَّا حبّاً في الثَّرثرة، أو لتنال من سمعة هذه الأسرة الرَّفيعة المكانة؛ حسداً لما وصلت إليه من مجدٍ[2]، فهل كان موته طبيعيّاً، أم مات بإصابة الطَّاعون، أم خنقته زوجته ؟ إنَّ تناقض الرِّوايات دليلٌ على أنَّ الحقيقة غير معروفةٍ، والرِّوايات الّتي تزعم: أنَّ زوجته هي الّتي اغتالته مباشرةً، أو بالواسطة (عن طريق بعض جواريها) غير مقبولةٍ، أو معقولة، فهذه الزَّوجة سيّدةٌ شريفةٌ من بيت عبد شمس، وزوجها قريبها، وهو خليفةٌ، وهي كانت زوجة خليفةٍ، وأمُّ خليفةٍ (وهو معاوية بن يزيد بن معاوية) وهو عملٌ لا تُقْدِم النِّساء الشَّريفات عليه، ثمَّ إنَّنا لم نَرَ أيَّ أثرٍ لهذا الاغتيال، فلم يحدث في الأسرة أيُّ خلاف، ولا مطالبة بالثَّأر، وظلَّ خالدٌ على مكانته عند عبد الملك، كما أنَّ الدَّافع لا يكفي بحالٍ لارتكاب جريمة القتل[3]، وذكر عن بعض أهل العلم: أنَّه قال: كان اخر كلامٍ تكلَّم به مروان: وجبت الجنة لمن خاف النَّار، وكان نقش خاتمه: العزَّة لله، وقيل:

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .

(2) عبد الملك بن مروان ، د . الريس ، ص(112) .

(3) الدَّولة الأموية المفترى عليها ، ص(201) .

امنت بالعزيز الرَّحيم[1]، وقال ابن القيِّم: أحاديث ذمِّ الوليد، وذمِّ مروان بن الحكم كذبٌ[2] .

سابعاً: هل جامل عثمان أحداً من أقاربه على حساب المسلمين ؟

لو كان عثمان رضـــي الله عنه أراد أن يجامل أحداً من أقاربه على حســـاب المسـلمين، لكان ربيبه محمَّد بن أبي حذيفة أولى النَّاس بهذه المجاملة، ولكنَّ الخليفة أبى أن يولِّيه شـيئاً ليس كفؤاً له بقوله: يا بنيَّ ! لو كنت رضـاً ثمَّ سـألتني العمل؛ لاستعملتك، ولكن لست هناك[3] . ولم يكن ذلك كراهيةً له، ولا نفوراً منه، وإلا لما جهَّزه من عنده، وحمله، وأعطاه حين استأذن في الخروج إلى مصر[4] .

وأمَّا اسـتعمال الأحداث فكان لعثمان رضـي الله عنه في رسـول الله أسـوةٌ حسـنةٌ، فقد جهَّز جيشاً لغزو الرُّوم في اخر حياته واستعمل عليه أسامة بن زيد، رضي الله عنهما [5] .

وعندما توفِّي الرَّسـول(ﷺ) تمسَّـك الصِّـدِّيق رضـي الله عنه بإنفاذ هذا الجيش، لكنَّ بعض الصحابة رغبوا في تغيير أسامة بقائدٍ أحسن منه، فكلَّموا عمر في ذلك ليكلِّم أبا بكر، فغضـــب أبو بكر لما سمع هذه المقـالة، وقال لعمر: يا عمر ! اسـتعمله رسـول الله(ﷺ)، وتأمرني أن أعزله[6]. ويجيب عثمان بنفسـه على هذه

---

[1] البداية والنهاية (262/8) .
[2] المنار المنيف ، ص(117) . وفصل الخطاب في مواقف الأصحاب ، ص(77) .
[3] تحقيق مواقف الصَّحابَة في الفتنة (247/1) .
[4] المصدر السَّابق نفسه (247/1) . وتاريخ الطَّبري (416/5) .
[5] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (427/1) . وتاريخ الطَّبري (416/5) .
[6] تاريخ الطَّبري (416/5) .

الماخذ أمام الملأ من الصَّـــحابة بقوله: ولم أســـتعمل إلا مجتمعاً، محتلماً، مرضـــيّاً، وهؤلاء أهل عملهم، فسلوهم عنهم، وهؤلاء أهل بلدهم وقد ولَّى من قبلي أحدث منهم، وقيل لرسول الله(ﷺ) ممَّا قيل لي في استعماله لأسامة، أكذلك ؟ قالوا: نعم يعيبون للنَّاس ما لا يفســـرون[1] . ويقول عليٌّ رضـــي الله عنه: ولم يولِّ – أي: عثمان – إلا رجلاً ســوياً، عدلاً، وقد ولَّى رســول الله(ﷺ) عتَّاب بن أسـيد على مكَّة وهو ابن عشرين سنة[2] .

لم يكن ولاة الأمصار في عهد عثمان رضي الله عنه جاهلين بأمور الشَّرع، ولم يكونوا من المفرِّطين في الدِّين، وإذا كانت لهم ذنوبٌ، فلهم حســـناتٌ كثيرةٌ، ومع ذلك فإن سيئات وذنوب هؤلاء تعود عليهم، ولم يكن لها تأثيرٌ في المجتمع المسـلم، وقد تتبعنا اثار هؤلاء الولاة أيَّام ولايتهم، ووجدناها عظيمة الفائدة للإســـلام والمســـلمين، وقد اهتدى على يدي ولاة عثمان مئات الألوف إلى الإســـلام، وبسبب فتوحاتهم انضمَّ إلى ديار الإسلام أقاليمُ واسعةٌ، ولو لم يكن عند هؤلاء من الشَّـــجاعة، والدِّين ما يحثُّهم على الجهاد، ما قادوا الجيوش إلى الجهاد، وفيه مظنَّة الهلاك، وفيه ترك الرَّاحة، ومتاع الدُّنيا، وقد تتبَّعنا سـيرة هؤلاء الولاة، فوجدنا لكلِّ واحدٍ منهم فتحاً، أو فتوحاً في الجهات الَّتي تجاور ولايته، مع مناقب، وصـــفاتٍ حسنةٍ تؤهِّله للقيادة[3] .

إن الَّذي يرجع إلى الصَّحيح الممحَّص من وقائع التَّاريخ، ويتتبَّع سـيرة الرِّجال الَّذين اســـتعان بهم أمير المؤمنين ذو النُّورين – رضـــوان الله عليهم – وما كان

---

[1] المصدر السَّابق نفسه (355/5) .

[2] البداية والنهاية (178/7) .

[3] المدينة المنورة فجر الإسلام (211/2) .

لجهادهم من جميل الأثر في تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة، بل ما كان لحسن إدارتهم من عظيم النتائج في هناء الأمَّة، وسعادتها، فإنَّه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الجهر بالإعجاب، والفخر كلَّما أمعن في دراسة ذلك الدَّور من أدوار التَّاريخ الإسلاميِّ[1].

إنَّ عثمان وولاته انشغلوا بمدافعة الأعداء، وجهادهم، وردِّهم، ولم يمنعهم ذلك من توسيع رقعة الدَّولة الإسلاميَّة، ومدِّ نفوذها في مناطق جديدةٍ، وقد كان للولاة تأثيرٌ مباشرٌ في أحداث الفتنة حيث كانت التُّهمة موجَّهةً إليهم، وأنَّهم اعتدوا على النَّاس، ولكنَّنا لم نلمس حوادث معيَّنةً يتَّضح فيها هذا الاعتداء المزعوم، والمشاع، كما اتُّهم عثمان بتولية أقاربه، وقد دحضنا تلك الفرية، وهكذا نرى: أنَّ عثمان لم يألُ جهداً في نصح الأمَّة، وفي تولية من يراه أهلاً للولاية، ومع هذا فلم يسلم عثمان، وولاته من اتِّهامات وجِّهت إليهم من قبل أصحاب الفتنة في حينها .

كما أنَّ عثمان رضي الله عنه لم يسلم من كثيرٍ من الباحثين في كتاباتهم غير المنصفة، وغير المحقَّقة عن عهد عثمان وخصوصاً الباحثين المحدَثين الّذين يطلقون أحكاماً لا تعتمد على التَّحقيق، أو على وقائع محدَّدةٍ، يعتمدون فيها على مصادر موثوقةٍ، فقد تورَّط الكثير منهم في الرِّوايات الضَّعيفة، والإماميَّة، وبنوا أحكاماً باطلةً وجائرةً في حقِّ الخليفة الرَّاشد عثمان بن عفَّان، مثل طه حسين في كتابه: الفتنة الكبرى، وراضي عبد الرَّحيم في كتابه: النِّظام الإداريّ، والحربيّ، وصبحي الصَّالح في كتابه: النُّظم الإسلاميَّة، ومولوي حسين في كتابه: الإدارة

---

[1] حاشية المنتقى من منهاج الاعتدال ، ص(390) .

العربيَّة، وصبحي محمصاني في كتابه: تراث الخلفاء الرَّاشدين في الفقه، والقضاء، وتوفيق اليوزبكي في كتابه: دراسات في النُّظم العربيَّة والإسلاميَّة، ومحمد الملحم في كتابه: تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري، وبدوي عبد اللطيف في كتابه: الأحزاب السِّياسية في فجر الإسلام، وأنور الرِّفاعي في كتابه: النظم الإسلاميَّة، ومحمد الرَّيِّس في كتابه: النَّظريات السياسيَّة، وعلي حسني الخربوطلي في كتابه: الإسلام والخلافة، وأبي الأعلى المودودي في كتابه: الملك والخلافة، وسيد قطب في كتابه: العدالة الاجتماعية، وغيرهم .

لقد كان عثمان رضي الله عنه بحقٍّ الخليفة المظلوم الَّذي افترى عليه خصومه الأوَّلون، ولم ينصفه المتأخِّرون[1] .

* * *

[1] الولاية على البلدان (222/1 إلى 232) .

المبحث الرَّابع : حقيقة العلاقة بين أبي ذرٍّ الغفاري وعثمان بن عفَّان رضي الله عنهما

أولاً: مجمل القصَّة:

إن مبغضي عثمان بن عفَّان رضي الله عنه كانوا يشنِّعون عليه أنَّه نفى أبا ذرٍّ رضي الله عنه إلى الرَّبَذَة، وزعم بعض المؤرِّخين: أنَّ ابن السَّوداء (عبد الله بن سبأ) لقي أبا ذرّ في الشَّـــام، وأوحى إليه بمذهب القناعة، والزُّهد، ومواســـاة الفقراء، ووجوب إنفاق المال الزَّائد عن الحاجة، وجعله يعيب معاوية، فأخذه عبادة بن الصَّـامت إلى معاوية، وقال له: هذا والله الّذي بعث إليك أبا ذرٍّ. فأخرج معاوية أبا ذرٍّ من الشَّام[1]، وقد حاول أحمد أمين أن يوجد شبهاً بين رأي أبي ذرٍّ، ورأي مَزْدك الفارسيِّ، وقال بأنَّ وجه الشَّبه جاء من أن ابن سبأ كان في اليمن وطوَّف في العراق، وكان الفرس في اليمن، والعراق قبل الإســـلام، فمن المحتمل القريب أن يكون قد تلقَّى هذه الفكرة من مزدكيَّة العراق، واعتنقها أبو ذرٍّ حســـن النِّيَّة في اعتقادها[2] .

وكلَّ ما قيل في قصَّة أبي ذرٍّ، ممَّا يُشنَّع به على عثمان بن عفَّان باطلٌ لا يُبنى على روايةٍ صحيحةٍ، وكلُّ ما قيل حول اتِّصال أبي ذرٍّ رضي الله عنه بابن السَّوداء

---

(1) المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (216/2 ، 217) .

(2) فجر الإسلام ، ص(110) .

باطلٌ لا محالة[1] .

والصَّــحيح: أنَّ أبا ذرٍّ رضــي الله عنه نزل في الرَّبذة باختياره، وأنَّ ذلك كان بســبب اجتهاد أبي ذرٍّ في فهم ايةٍ خالف فيه الصَّــحابة، وأصــرَّ على رأيه، فلم يوافقه أحدٌ عليه، فطلب أن ينزل بالرَّبذَة[2] الّتي كان يغدو إليها زمن النَّبيّ(ﷺ)، ولم يكن نزوله بها نفياً قســريّاً، أو إقامةً جبريَّة، ولم يأمره الخليفة بالرُّجوع عن رأيه؛ لأن له وجهاً مقبولاً، لكنَّه لا يجب على المسلمين الأخذ به[3]، وأصحُّ ما روي في قصَّة أبي ذرٍّ رضي الله عنه ما رواه البخاريُّ في صحيحه عن زيد بن وهبٍ، قال: مررت بالرَّبذة، فإذا أنا بأبي ذرٍّ رضــــي الله عنه فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا ؟ قال: كنت بالشَّــــام، فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُــدُّونَ عَن سَــبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّــةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَــبِيلِ اللهِ فَبَشِّــرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ *﴾ **[التوبة: 34] .**

قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا، وفيهم، فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان يشــــكوني، فكتب إليَّ عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثر عليَّ النَّاس حتَّى كأنَّهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شــــئت فكنت قريباً . فذاك الذي أنزلني هذا المنزل، ولو أمَّروا عليَّ حبشيّاً ؛ لسمعت، وأطعت[4] . **وقد أشار هذا الأثر إلى أمورٍ مهمَّةٍ منها:**

---

[1] المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (217/2) .
[2] كانت منزلاً في الطَّريق بين العراق ومكَّة .
[3] المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (217/2) .
[4] البخاريُّ ، كتاب الزَّكاة ، باب ما أدِّي زكاته فليس بكنز ، رقم (1406) .

1ــ سأله زيد بن وهب، ليتحقَّق ممَّا أشاعه مُبْغِضُو عثمان: هل نفاه عثمان، أو اختار أبو ذرٍّ المكان ؟ فجاء ســياق الكلام: أنَّه خرج بعد أن كثر النَّاس عليه يسـألونه عن سـبب خروجه من الشَّـام، وليس في نصِّ الحديث: أنَّ عثمان أمره بالذَّهاب إلى الرَّبَذَة، بل اختارها بنفســه، ويؤيِّد هذا ما ذكره ابن حجر عن عبد الله ابن الصَّامت قال: دخلت مع أبي ذرٍّ على عثمان، فحسر رأسه، فقال: والله ما أنا منهم – يعني: الخوارج – فقال: إنَّما أرسلنا إليك لتجاورنا بالمدينة، فقال: لا حاجة لي في ذلك، ائذن لي بالرَّبَذَة . قال: نعم[1].

2ــ قوله: (كنت بالشَّام): بيَّن السَّبب في سكناه الشَّام ما أخرجه أبو يعلى عن طريق زيد بن وهب: حدَّثني أبو ذرٍّ، قال: قال لي رسول الله(ﷺ): « إذا بلغ البناء – أي: المدينة – سَلْعَاً، فارتحل إلى الشَّام » . فلمَّا بلغ البناء سلعاً ؛ قدمت الشَّـام، فسـكنت بها[2]، وفي روايةٍ: قالت أمُّ ذرٍّ: والله ما سـيَّر عثمان أبا ذرٍّ – تعني: إلى الرَّبذة – ولكن رسـول الله(ﷺ) قال: إذا بلغ البناء سـلعاً، فاخرج منها[3].

3ــ إنَّ قصَّة أبي ذرٍّ في المال جاء من اجتهاده في فهم الاية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ *﴾ **[التوبة: 34ـــ35] .**

---

[1] فتح الباري (274/3) .
[2] المدينة المنورة فجر الإسلام (219/2) .
[3] سير أعلام النبلاء (72/2) صحيح الإسناد .

وروى البخاريُّ عن أبي ذرٍّ ما يدلُّ على أنَّه فسَّـــر الوعيد ﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا﴾، وكان يخوِّف النَّاس به، فعن الأحنف بن قيس، قال: جلســـتُ إلى ملأٍ من قريش في مسـجد المدينة، فجاء رجلٌ خَشِـنُ الشَّـعر، والثِّياب، والهيئة، حتَّى قام عليهم، فسلَّم، ثمَّ قال: بشِّـر الكانزين برَضْـفٍ[1] يُحمى عليه في نار جهنَّم، ثمَّ يوضَعُ على حَلَمة ثَدْي أحدهم، حتَّى يخرج من نُغْضي[2] كتفه، ويوضع على نُغض كتفه حتَّى يخرج من حَلَمة ثديه، يتزلزل[3] . ثمَّ ولَّى فجلس إلى ساريةٍ، وتبعتُه، وجلست إليه، وأنا لا أدري من هو، فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الّذي قلت . قال: إنَّهم لا يعقلون شيئاً . واستدلَّ أبو ذرٍّ رضي الله عنه بقول رسول الله(ﷺ): « ما أحبُّ أنَّ لي مثل أحدٍ ذهباً، أنفقه كُلَّه، إلا ثلاثة دنانير »[4] .

4ـــــ وقد خالف جمهور الصَّـحابة أبا ذرٍّ، وحملوا الوعيد على مانعي الزَّكاة واستدلوا على ذلك بالحديث، الّذي رواه أبو سعيد الخدريُّ، قال: قال النَّبيّ(ﷺ): « ليس فيما دون خمس أواقٍ صـدقةٌ، وليس فيما دون خمس ذَوْدٍ صـدقةٌ، وليس فيما دون خمسـة أوسـقٍ صـدقةٌ »[5] . وقال الحافظ ابن حجر: ومفهوم الحديث: أنَّ ما زاد على الخمس ففيه صدقةٌ، ومقتضاه: أنَّ كلَّ مال أخرجت منه الصَّدقة، فلا وعيد على صاحبه، فلا يسمَّى ما يَفْضُل بعد إخراجه الصَّدقة كنزاً[6] . وقال ابن رشـد: فإنَّ ما دون الخمس لا تجب فيه الزَّكاة، وقد عفي عن الحقِّ فيه، فليس بكنز قطعاً، والله قد أثنى على فاعل الزَّكاة، ومن أثني عليه في واجب حقِّ المال لم

---

(1) الرَّضْفُ: الحجارة المحمَّاة ، واحدها: رضْفَةٌ .
(2) نغض: العظم الدَّقيق الَّذي على طرف الكتف أو على أعلى الكتف .
(3) يتزلزل: يضطرب ،ويتحرَّك .
(4) البخاري ، كتاب الزَّكاة ، رقم (1407) .
(5) المصدر السابق نفسه ، رقم (1405) .
(6) فتح الباري (272/3) .

يلحقه ذمٌّ من جهة ما أثني عليه فيه، وهو المال[1]، قال الحافظ: ويتلخَّص أن يقال: ما لم تجب فيه الصَّدقة لا يسمَّى كنزاً ؛ لأنَّه معفوٌ عنه، فليكن ما أخرجت منه الزَّكاة كذلك ؛ لأنَّه عفي عنه بإخراج ما وجب منه، فلا يسمَّى كنزاً[2] .

وقال ابن عبد البرِّ: والجمهور على أنَّ الكنز المذموم ما لم تؤدَّ زكاته، ويشهد له حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: « إذا أدَّيت زكاة مالك ؛ فقد قضيت ما عليك » . ولم يخالف في ذلك إلا طائفةٌ من أهل الزُّهد كأبي ذرٍّ[3] .

5 – ولعلَّ ممَّا يفسر مذهب أبي ذرٍّ في الإنفاق، ما رواه الإمام أحمد عن شدَّاد ابن أوسٍ، قال: كان أبو ذرٍّ يسمع الحديث من رسول الله(ﷺ) فيه الشِّدَّة، ثمَّ يخرج إلى قومه، يسلِّم لعلَّه يشدِّد عليهم، ثمَّ إنَّ رسول الله(ﷺ) يرخِّص فيه بعد، فلم يسمعه أبو ذرٍّ، فيتعلَّق أبو ذرٍّ بالأمر الشَّديد[4] .

6 – قوله: إن شئت ؛ تنحَّيت، فكنت قريباً ؛ يدلُّ على أنَّ عثمان طلب من أبي ذر أن يتنحَّى عن المدينة، برفقٍ، ولم يأمره، ولم يحدِّد له المكان الّذي يخرج إليه، ولو رفض أبو ذرٍّ الخروج ما أجبره عثمان على ذلك، ولكنَّ أبا ذر كان مطيعاً للخليفة؛ لأنَّه قال في نهاية الحديث: لو أمَّروا عليَّ حبشيّاً؛ لسمعت، وأطعت[5].

وممَّا يدلُّ على أنَّه يمقت الفتنة، والخروج على الإمام المبايع ما رواه ابن سعدٍ

---

[1] فتنة مقتل عثمان - رضي الله عنه - (107/1) .
[2] المصدر السابق نفسه .
[3] فتح الباري (273/3) .
[4] المسند (125/5) .
[5] البخاريُّ ، رقم (1406) .

في أنَّ ناســـاً من أهل الكوفة قالوا لأبي ذرٍّ وهو بالرَّبَذَة: إنَّ هذا الرَّجل فعل بك، وفعل، هل أنت ناصـــبٌ له رايةً – يعني: مقاتله – ؟ فقال: لا ! لو أنَّ عثمان سيَّرني من المشرق إلى المغرب ؛ لسمعت وأطعت[1] .

7 – والسَّـــبب في تنحِّي أبي ذرٍّ عن المدينة، أو طلب عثمان منه ذلك: أنَّ الفتنة بدأت تطلُّ برأسها في الأقاليم، وأشاع المبغضون الأقاويل الملفَّقة، وأرادوا أن يستفيدوا من إنكار أبي ذرٍّ متعلِّقاً برأيه، ومذهبه، ولا يريد أن يفارقه، فرأى عثمان رضـــي الله عنه تقديم دفع المفســـدة على جلب المصـــلحة ؛ لأنَّ في بقاء أبي ذرٍّ بالمدينة مصلحةً كبيرة من بثِّ علمه في طلاب العلم، ومع ذلك فرجح عند عثمان دفع ما يتوقَّع من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشَّديد في هذه المسألة .

8 – قال أبو بكر بن العربيِّ: كان أبو ذرٍّ زاهداً، ويرى النَّاس يتَّســـعون في المراكب، والملابس حين وجدوا، فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم ؛ وهو غير لازمٍ، فوقع بين أبي ذرٍّ ومعاوية كلامٌ بالشَّـــام، فخرج إلى المدينة، فاجتمع إليه النَّاس، فجعل يســـلك تلك الطُّرق، فقال له عثمان: لو اعتزلت. معناه: أنَّك على مذهبٍ لا يصلح لمخالطة النَّاس .

ومن كان على طريقة أبي ذرٍّ فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه، أو يخالط النَّاس، ويسلم لكلِّ أحدٍ حاله ممَّا ليس بحرامٍ في الشَّريعة، فخرج زاهداً فاضلاً، وترك جلَّةً فضــلاء، وكلٌّ على خيرٍ، وبركةٍ، وفضــلٍ، وحال أبي ذرٍّ أفضــل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها، لهلكوا ؛ فسبحان مرتِّب المنازل[2] !

---

[1] الطَّبقات (227/4) .
[2] العواصم من القواصم ، ص(77) .

وقال ابن العربيّ: ووقع بين أبي الدَّرداء ومعاوية كلامٌ، وكان أبو الدَّرداء زاهداً، فاضــلاً، قاضــياً لهم (في الشَّــام)، فلمَّا اشــتدَّ في الحقِّ، وأخرج طريقة عمر بن الخطَّاب في قومٍ لم يحتملوها ؛ عزلوه، فخرج إلى المدينة، وهذه كلُّها مصـــالح لا تقدح في الدِّين، ولا تؤثِّر في منزلة أحدٍ من المســلمين بحالٍ، وأبو الدَّرداء، وأبو ذرٍّ بريئان من كلِّ عيبٍ، وعثمان بريءٌ أعظم براءةٍ، وأكثر نزاهةٍ، فمن روى أنَّه نفى، وروى سبباً فهو كلُّه باطلٌ[1] .

9 – ولم يقل أحدٌ من الصَّـــحابة لأبي ذرٍّ: إنه أخطأ في رأيه ؛ لأنَّه مذهب محمودٌ لمن يقدر عليه، ولم يأمر عثمان أبا ذرٍّ بالرُّجوع عن مذهبه، وإنَّما طلب منه أن يكفَّ عن الإنكار على النَّاس ما هم فيه من المتاع الحلال ....، ومن روى: أنَّ عثمان نهى أبا ذرٍّ عن الفتيا مطلقاً، لم تصــل روايته إلى درجة الخبر الصَّــحيح[2]. والّذي صــحَّ عند البخاريِّ: أن أبا ذرٍّ قال: لو وضـعتم الصَّـمصـامة على هذه – وأشـــار إلى قفاه – ثم ظننت أنِّي أُنفذُ كلمةً سمعتها من النَّبيّ(ﷺ) قبل أن تجيزوا عليَّ؛ لأنفذتها[3].

وفي البخاريِّ: لم يرو: أنَّ عثمان نهى أبا ذرٍّ عن الفتيا ؛ لأنَّ نهي الصَّـــحابيِّ عن الفتيا دون تحديد الموضوع أمرٌ ليس بالهيِّن[4] .

10 – ولو كان عثمان نهاه عن الفتيا مطلقاً ؛ لاختار له مكاناً لا يرى فيه النَّاس أو حبســه في المدينة، أو منعه دخول المدينة، ولكن أذن له بالنُّزول في منزلٍ

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(79) .
[2] المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (223/2) .
[3] البخاريُّ ، كتاب العلم ، باب العلم قبل القول والعمل (29/1) .
[4] المدينة المنوَّرة فجر الإسلام (224/2) .

يكثر مرور النَّاس به ؛ لأنَّ الرَّبذة كانت منزلاً من منازل الحاجِّ العراقيِّ، وكان أبو ذرٍّ يتعاهد المدينة، يصـــلِّي في مســـجد رســـول الله(ﷺ) . وقال له عثمان: لو تنحَّيت فكنت قريباً.

والرَّبذة ليســـت بعيدةً عن المدينة، وكان يجاورها حِمَى الرَّبذة ؛ الّذي ترعى به إبل الصَّـــدقة، ولذلك يروى: أنَّ عثمان أقطعه صـــرمةً من إبل الصَّـــدقة، وأعطاه مملوكين، وأجرى عليه رزقاً . وكانت الرَّبذة أحسن المنازل في طريق مكَّة[1] .

وبعد أن ذكر الإمام الطَّبريُّ الأخبار الّتي تفيد اعتزال أبي ذرٍّ من تلقاء نفسه، قال: وأمَّا الاخرون ؛ فإنَّهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرةً، وأموراً شنيعةً، كرهت ذكرها[2] .

إنَّ الحقيقة التَّاريخية تقول: إنَّ عثمان رضـــي الله عنه لم ينف أبا ذرٍّ رضـــي الله عنه، إنَّما استأذنه، فأذن له، ولكنَّ أعداء عثمان رضي الله عنه كانوا يشيعون عليه بأنَّه نفاه، ولذلك لما سأل غالب القطَّان، الحسن البصريَّ: عثمان أخرج أبا ذرٍّ ؟ قال الحســـــن: لا، معاذ الله[3] ! وكلُّ ما روي في أنَّ عثمان نفاه إلى الرَّبذة فإنَّه ضـــعيفُ الإســـناد، لا يخلو من علَّةٍ قادحةٍ، مع ما في متنه من نكارةٍ لمخالفته للمرويَّات الصَّـحيحة، والحسـنة، الّتي تبيِّن أنَّ أبا ذرٍّ اسـتأذن للخروج إلى الرَّبَذَة، وأنَّ عثمان أذن له[4]، بل إنَّ عثمان أرسل يطلبه من الشَّام، ليجاوره بالمدينة، فقد

---

[1] تاريخ الطَّبري (286/5) .

[2] المصدر السَّابق نفسه (288/5) .

[3] تاريخ المدينة ،ابن شبَّة ، ص(1037) إسناده صحيحٌ .

[4] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (110/1) .

قال له عندما قدم من الشَّـام: إنا أرسلنا إليك لخيرٍ، لتجاورنا بالمدينة[1] . وقال له أيضاً: كن عندي، تغدو عليك، وتروح اللِّقاح[2]. أفمن يقول ذلك له ينفيه[3]؟!.

ولم تنصَّ على نفيه إلا روايةٌ رواها ابن سعد، وفيها بريدة بن سفيان الأسلميُّ، الّذي قال عنه الحافظ ابن حجر: ليس بالقويِّ، وفيه رفضٌ. فهل تقبل رواية رافضيٍّ تتعارض مع الرِّوايات الصَّحيحة، والحسنة ؟ ![4]، واستغلَّ الإماميَّة هذه الحادثة أبشع استغلالٍ، فأشاعوا: أنَّ عثمان رضي الله عنه نفى أبا ذرٍّ إلى الرَّبذة، وأنَّ ذلك ممَّا عيب عليه من قبل الخارجين عليه، أو أنَّهم سوَّغوا الخروج عليه[5]، وعاب عثمان رضي الله عنه بذلك ابن المطهِّر الحلِّي الإماميَّة المتوفى سنة 726 هـ، بل زاد: أنَّ عثمان رضي الله عنه ضرب أبا ذرٍّ ضرباً وجيعاً[6]، وردَّ عليه شيخ الإسلام ابن تيميَّة ردّاً جامعاً قويّاً[7]، وكان سلف هذه الأمَّة يعلمون هذه الحقيقة، فإنَّه لما قيل للحسن البصريِّ: عثمان أخرج أبا ذرٍّ ؟ قال: لا، معاذ الله[8]! وكان ابن سيرين إذا ذُكر له: أنَّ عثمان رضي الله عنه سيَّر أبا ذرٍّ ؛ أخذه أمرٌ عظيم، ويقول: هو خرج من نفسه، ولم يسيِّره عثمان[9]، وكما تقدَّم في الرِّواية الصَّحيحة الإسناد: أنَّ أبا ذرٍّ رضي الله عنه لما رأى كثرة النَّاس عليه خشي الفتنة، فذكر ذلك لعثمان كأنَّه يستأذنه في الخروج، فقال له عثمان رضي الله عنه: إن شئت ؛

---

(1) تاريخ المدينة ، ص(1036 - 1037) إسناده حسنٌ .
(2) الطَّبقات ، لابن سعد (226/4 - 227) .
(3) فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (111/1) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .
(5) فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (111/1) .
(6) منهاج السُّنَّة لابن تيميَّة (183/6) .
(7) المصدر السَّابق نفسه (271/6 ، 355) .
(8) تاريخ المدينة (1037) إسناده صحيحٌ .
(9) المصدر السَّابق نفسه .

تنحيت، فكنت قريباً[1] .

ثانياً: بطلان تأثير ابن سبأ على أبي ذرٍّ رضي الله عنه:

كتب سـعيد الأفغانيُّ في كتابه: عائشــة والسِّـياســة، فعظَّم دور ابن سـبأ في الفتنة، ونسب إليه كلَّ المؤامرات، والفتن والملاحم الواقعة بين الصَّحابة، ويرى: أنَّ هذه المؤامرة المحكمة سهر عليها أبالسة خبيرون، وسدَّدوا خطاها، وتعهَّدوها، حتَّى اتت ثمارها في جميع الأقطار، ولهذا كتب هذا العنوان (ابن ســـبأ البطل الخفيُّ المخيف)[2]، ويبدو التَّهويل من شــأن ابن سـبأ عند الأفغاني حينما يصـفه بأنَّه رجل على غايةٍ من الذَّكاء وصدق الفراسة، والنَّظر البعيد، والحيلة الواسعة، والنَّفاذ إلى نفســـية الجماهير[3]، ويقطع بأنَّه أحد أبطال جمعية تلموديَّة ســـرِّيَّة غايتها تقويض الدَّولة الإسـلاميَّة[4] . ويكاد يقرِّر بأنَّه يعمل لصـالح دولة الرُّوم الَّتي انتزع المسـلمون منها لفترةٍ قريبةٍ قطرين مهمَّين هما: مصـر، والشَّـام، عدا ما سـواهما من بلادٍ أخرى على البحر المتوسِّـط، ويسـتغرب نشـاط ابن سـبأ إلى شـتَّى المجالات الدِّينيَّة، والسياسيَّة، والحربيَّة[5].

وهو يرى: أنَّ ابن سبأ كان موفَّقاً كل التَّوفيق في لقائه مع أبي ذرٍّ، وفي تفصيل هذه المقالة الَّتي ركبها على مزاج أبي ذرٍّ، وأنَّ الَّذي سـاعده على ذلك فهمه الجيِّد لأمزجة النَّاس، واســتخباراته الصَّــادقة المنظَّمة[6]، وهذا الزَّعم – أي: في تأثير ابن

---

[1] البخاريُّ ، كتاب الزَّكاة ، رقم (1406) .
[2] عائشة والسِّياسة ، ص(60) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] المصدر السَّابق نفسه .
[5] المصدر السَّابق نفسه .
[6] المصدر السَّابق نفسه .

سبأ على أبي ذرٍّ رضي الله عنه لا أساس له من الصَّحة من عدَّة وجوهٍ:

أ – حينما أرسل معاوية إلى عثمان رضي الله عنه يشكو إليه أمر أبي ذرٍّ لم تكن منه إشارة إلى تأثير ابن سبأ عليه، واكتفى أن قال: إنَّ أبا ذرٍّ قد أعضل بي، وقد كان من أمره كيت، وكيت[1] .

ب – ذكر ابن كثير الخلاف الواقع بين أبي ذرٍّ ومعاوية بالشَّام في أكثر من موضعٍ في كتابه، ولم يرد ابن سبأ في واحدٍ منها[2] .

جـ وفي صحيح البخاريِّ ورد الحديث الّذي يشير إلى أصل الخلاف بين أبي ذرٍّ ومعاوية، وليس فيه الإشارة من قريب أو بعيدٍ إلى ابن سبأ[3] .

د – وفي أشهر الكتب الّتي ترجمت للصَّحابة ترد محاورة معاوية لأبي ذرٍّ، ثمَّ نزوله الرَّبذة، ولكن شيئاً من تأثير ابن سبأ على أبي ذرٍّ لا يذكر[4] .

هـ بل ورد الخبر في الطَّبريِّ هكذا: فأمَّا العاذرون معاوية في ذلك – يعني: إشخاص معاوية أبا ذرٍّ إلى المدينة – فذكروا في ذلك قصَّة ورود ابن السَّوداء الشَّام ولقياه أبا ذرٍّ ... إلخ[5] . وهذا الخبر الّذي أورده الطَّبريُّ، ساقطٌ، وكاذبٌ، تكذِّبه وقائع التَّاريخ الزمنيَّة، وإليك البيان:

- يذكرون أنَّ ابن سبأ أسلم في عهد عثمان، وكان يهوديّاً من اليمن،

---

[1] تاريخ الطَّبري (285/5) .
[2] البداية والنِّهاية (170/7 ، 180) .
[3] البخاري ، رقم (1406) .
[4] عبد الله بن سبأ ، وأثره في أحداث الفتنة ، ص(51) .
[5] تاريخ الطَّبري (285/5) .

وبدأ نشـاطه المخرِّب في الحجاز، ولكنَّهم لم يذكروا أنَّه التقى أحداً، أو التقاه أحدٌ في الحجاز .

- كـان أول ظهوره في البصـــرة، بعد أن تولَّى عبد الله بن عـامر عليهـا بثلاث سنوات، وعبد الله بن عامرٍ جاء بعد أبي موسى الأشعريِّ سنة 29 هـ وبهذا يكون ظهوره في البصرة 32 هـ، وقد طرده ابن عامر من البصرة يوم عرفة .
- قـالوا: إنَّه توجَّه إلى الكوفة، فباض، وفرَّخ، وحرَّض على معاوية، ولا بدَّ: أنَّه مكث زمناً في الشَّـــام ليتعرَّف على أحوال الرِّجال، ويضـــع خططه ليبث دعوته فيهم، ولنفترض جدلاً، أنَّه عرف أمره في الشَّام في أواخر سنة 33 هـــ، فماذا تقول أيُّها القارأى إذا عرفت أنَّ الرِّوايات الصَّحيحة تقول: إنَّ أبا ذرٍّ كانت مناظرته لمعاوية سنة 30 هـــ، وأنَّه رجع إلى المدينة، وتوفي بالرَّبذة سنة 31 هـــ، أو سنة 32 هـــ، ومعنى هذا أنَّ ابن سبأ ظهر في البصرة في وقتٍ كان فيه أبو ذرٍّ ميتاً، فكيف، وأين التقاه ؟[1] .

إنَّ أبا ذرٍّ رضـــي الله عنه لم يتأثَّر لا من قريبٍ، ولا من بعيدٍ باراء عبد الله بن سبأ اليهوديِّ، وقد أقام بالرَّبذة حتَّى توفِّي، ولم يحضر شيئاً ممَّا وقع في الفتن[2]، ثمَّ هو قد روى حديثاً من أحاديث النَّهي عن الدُّخول في الفتنة[3] .

---

(1) المدينة المنورة فجر الإسلام (225/2) .
(2) أحداث الفتنة الأولى بين الصَّحابة في ضوء قواعد الجرح والتعديل ، د . عبد العزيز دخان ، ص(174) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .

ثالثاً: وفاة أبي ذرٍّ رضي الله عنه وضمُّ عثمان عياله إلى عياله:

في غزوة تبوك قيل لرسول الله(ﷺ): قد تخلَّف أبو ذرٍّ، وأبطأ به بعيره . فقال: دعوه، فإن يك فيه خيرٌ فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك، فقد أراحكم الله منه، وتلوَّم[1] أبو ذرٍّ على بعيره، فلمَّا أبطأ عليه، أخذ متاعه، فحمله على ظهره، ثمَّ خرج يتَّبع أثر رسول الله(ﷺ) ماشياً، ونزل رسول الله(ﷺ) في بعض منازله، فنظر ناظرٌ من المسلمين، فقال رسول الله(ﷺ): كن أبا ذرٍّ[2] . فلمَّا تأمَّله القوم قالوا: يا رسول الله ! هو والله أبو ذرٍّ ! فقال رسول الله(ﷺ): « رحم الله أبا ذرٍّ، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده »[3] .

ومضى الزَّمان وجاء عهد عثمان، وأقام أبو ذرٍّ في الرَّبذة، فلمَّا حضرته الوفاة أوصى امرأته، وغلامه: إذا متُّ ؛ فاغسلاني وكفِّناني، ثمَّ احملاني فضعاني على قارعة الطَّريق، فأوَّل ركبٍ يمرُّون بكم، فقولوا: هذا أبو ذرٍّ . فلمَّا مات ؛ فعلوا به كذلك، فطلع ركبٌ فما علموا به حتَّى كادت ركائبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعودٍ في رهطٍ من أهل الكوفة، فقال: ما هذا ؟ فقيل: جنازة أبي ذرٍّ، فاستهلَّ ابن مسعود يبكي، فقال: صدق رسول الله(ﷺ): « يرحم الله أبا ذرٍّ ! يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده »[4] . فغسَّلوه وكفَّنوه وصلَّوا عليه، ودفنوه، فلمَّا أرادوا أن يرتحلوا قالت لهم ابنته: إنَّ أبا ذر يقرأ عليكم السَّلام، وأقسم ألا تركبوا

---

[1] تلوَّم على بعيره: تمهَّل .
[2] كن أبا ذر: لفظة لفظ الأمر ، ومعناه: الدُّعاء: أرجو الله أن تكون أبا ذرٍّ .
[3] السِّيرة النَّبويَّة ، لابن هشام (178/4) .
[4] المصدر السَّابق نفسه (478/4) .

حتى تأكلوا، ففعلوا، وحملوهم حتَّى أقدموهم إلى مكَّة، ونعوه إلى عثمان رضـي الله عنه، فضم ابنته إلى عياله[1] .

وجاء في روايةٍ ... فلمَّا دفنَّاه ؛ دعتنا إلى الطَّعام، وأردنا احتمالها، فقال ابن مسعود: أمير المؤمنين قريبٌ، نستأمره، فقدمنا مكَّة، فأخبرناه الخبر، فقال: يرحم الله أبا ذر ! ويغفر له نزوله الرَّبَذَة، ولما صـدر ؛ خرج، فأخذ طريق الرَّبَذة، فضـمَّ عياله إلى عياله، وتوجَّه نحو المدينة، وتوجَّهنا نحو العراق[2] .

* * *

[1] التمهيد والبيان في مقتل الشَّهيد عثمان ، ص(87 ، 88) .
[2] تاريخ الطَّبري (314/5) .

الفصل السَّادس : أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه

المبحث الأوَّل : أهميَّة دراسة وقائع فتنة مقتل عثمان وما ترتَّب عليها من أحداث، والحكمة من إخباره(ﷺ) بوقوعها

أولاً: أهمِيَّة دراسة وقائع فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وما ترتَّب عليها من أحداثٍ في الجمل، وصفِّين، وغيرهما:

ورد عن كثيرٍ من السَّلف والعلماء الأمر بالتوقُّف عن الخوض في تفاصيل ما وقع بين الصَّحابة، وإيكال أمرهم إلى الله الحكم العدل، مع الترضِّي عنهم، واعتقاد: أنَّهم مجتهدون، مأجورون إن شاء الله، والحذر من الطَّعن فيهم، والوقوع في أعراضهم، لما يجرُّ ذلك من الطَّعن في الشَّريعة ؛ إذ هم حملتها، وحاملوها إلينا، ومن ذلك ما روي عن عمر بن عبد العزيز: أنَّه سئل عن أهل صفِّين، فقال: تلك دماء طهَّر الله منها يدي، فلا أحبُّ أن أخضِّب لساني فيها[1]، وسئل أحدهم عن ذلك، فقال: متمثِّلاً قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: 134] .

وهذا النَّهي معلَّل، علَّته الخوف ممَّا ذكرناه من الطَّعن فيهم، والوقوع في أعراضهم، وما يستوجب ذلك من غضب الله، ومقته، فإذا انتفت هذه العلَّة، فالظَّاهر: أنَّه لا حرج من ذلك ؛ إذا كان الكلام والبحث في تفاصيل ما وقع

[1] حلية الأولياء (114/9) ، وعون المعبود (274/12) .

بينهم لا يؤدِّي إلى الطَّعن فيهم مطلقاً، فلا بأس من دراســـة ذلك، والتعمُّق في أسبابه، ودوافعه، وتفصيلاته الدَّقيقة، ونتائجه وتداعياته على مجتمع الصَّحابة، ثمَّ على مَنْ بعدهم، وقد كتب بعض العلماء عن الفتنة، أمثال ابن كثيرٍ، والطَّبريِّ، وغيرهم أحداث تلك الفترة الحرجة من تاريخ الإسلام، وفَصَّلوا، وفَصَلُوا في قضايا كثيرةٍ تتعلَّق بتلك الفتنة، ومنهم من ذهب إلى حدِّ تخطئة أحد الطَّرفين، أو كليهما، اعتماداً على رواياتٍ، ونصوص كثيرة اختلط فيها الصَّحيح بغيره[1].

وهناك أسبابٌ تدعو علماء أهل السُّنَّة وطلاب العلم منهم للغوص في أعماق فتنة الهرج الَّتي وقعت في صـــدر الإســـلام، والبحث عن تفاصـــيلها، **ومن هذه الأسباب**:

1 – أنَّ المؤلفات المعاصرة الَّتي تناولت أحداث الفتنة بين الصَّحابة، والتَّابعين انقسمت إلى ثلاثة أنواعٍ:

أ – مصـــنفاتٌ تربَّى أصـــحابها على موائد الفكر الغربيِّ، الحاقد على التَّاريخ الإسلاميِّ، أو الجاهل بالتَّاريخ الإسلاميِّ، فلم يروا فيه شيئاً جميلاً، فراحوا يطعنون في الصَّــحابة والتَّابعين بطريقةٍ تخدم أهداف أعداء الإســلام، وخصــومه ؛ الَّذين قاموا لدراسة أحداث تلك الفتنة وتفاصيلها، وإعطائها تفسيراتٍ تطعن في جموع الصَّحابة، وتضرب الإسلام في أصوله، وتجعل من هذه الأحداث صراعاً سياسيّاً، على مناصب وكراس، تخلَّى فيه الصَّحابة عن إيمانهم، وتقواهم، وصدقهم مع الله، وانقلبوا إلى طلاب دنيا، وعشَّـــاق زعامةٍ، لا يهمُّهم أن تراق الدِّماء، وتُزهق

[1] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، د . عبد العزيز دخان ، ص(79) .

الأرواح، وتسلب الأموال، وتستباح الحرمات إذا كان في ذلك ما يحقِّق لهم ما يريدون من الرِّياسة والزَّعامة .

وممَّن تولَّى كبر هذه الفرية، طه حسين في (الفتنة الكبرى)[1] الّذي هو بحقٍّ فتنةٌ كبرى على عقول النَّاشئة من أبناء المسلمين، فقد راح طه حسين يشنِّع على الصَّحابة، ويشكِّك في نيَّاتهم، ويتَّهمهم باتهاماتٍ مغرضة خدمة لأهداف أعداء الإسلام، والمسلمين[2]، وقد تأثَّر الكثير بمنهجه، ويبدو أنَّ أمثال هؤلاء اعتمدوا على الرِّوايات التَّاريخيَّة ؛ الّتي أوردها المؤرِّخون كالطَّبري، وابن عساكر، وغيرهما، والّتي اختلط فيها الغثُّ بالسَّمين، والكذب بالصِّدق، وأخذوها دون مراعاةٍ لمنهج هؤلاء في مصنَّفاتهم، وهذا خطأٌ كبيرٌ[3]، وقد تأثَّرت هذه الكتابات بالفكر المنحرف، والكتابات غير الصحيحة للتَّاريخ الإسلاميِّ[4]، فقد تعمَّد الأعداءُ الإساءة في كتاباتهم للتَّاريخ الإسلاميِّ، كما في روايات، وأخبار الكلبيِّ[5]، وأبي مخنف[6]، ونصر بن مزاحم المنقريِّ[7]، والّتي توجد حتَّى عند الطبريِّ في تاريخه، لكنَّ الطَّبريَّ يذكرها مسندةً لهؤلاء، فيعرف أهل العلم حالها[8]، وكما في كتابات المسعوديِّ في مروج الذَّهب، واليعقوبيِّ في تاريخه .

وقد أشار الأستاذ محبُّ الدِّين الخطيب في حاشية (العواصم) إلى أنَّ التَّدوين

---

(1) انظر: الفتنة الكبرى (عثمان) ، عليٌّ وبنوه .

(2) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(80) .

(3) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(81) .

(4) المصدر السَّابق نفسه .

(5) محمَّد بن السَّائب الكلبي ، قال ابن حبَّان: كان سبئيّاً من أولئك الَّذين يقولون: إنَّ عليّاً لم يمت ، وإنه راجعٌ إلى الدُّنيا . توفي سنة 146هـ . ميزان الاعتدال (558/3) . وابن أبي حاتم ، الجرح والتَّعديل (270/7 - 271) .

(6) لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف الأزدي من أهل الكوفة ، قال ابن عديٍّ: شيعيٌّ محترقٌ صاحب أخبارهم ، توفي سنة 157هـ له تصانيف كثيرةٌ منها الردَّة ،الجمل ، صفِّين ، وغيرها.

(7) نصر بن مزاحم بن سيَّار المنقريُّ الكوفيُّ ، قال الذهبي: رافضيٌّ ، جلد ، وتركوه ، توفي سنة 212هـ ، ومن كتبه: وقعة صفِّين ، وهو مطبوعٌ ، والجمل ، ومقتل الحسين . ميزان الاعتدال (253/4) .

(8) أصول مذهب الشِّيعة الإماميَّة ، لناصر القفاري (1457/3) .

التَّاريخيَّ إنَّما بدأ بعد الدَّولة الأمويَّة، وكان للأصـــابع المعوجَّة، والشُّـــعوبيَّة المتلفِّعة برداء الضلال دورٌ في طمس معالم الخير فيه، وتسويد صفحاته النَّاصعة[1] .

ويظهر هذا الكيد لمن تدبَّر كتاب العواصـــم من القواصـــم لابن العربيّ مع الحاشية الممتازة الَّتي وضعها العلامة محبُّ الدِّين الخطيب، لقد سوَّد بعضُ الكُتَّاب الاف الصَّـفحات بسـبِّ أفضـل قرنٍ عرفته البشـريَّة، وصـرفوا أوقاتهم، وجهودهم لتشـــويه تاريخ المســـلمين[2]، وكانت هذه المادَّة التاريخيَّة الكبيرة، والَّتي تجدها في كتب التَّاريخ، الَّتي وضـعها أولئك، أو شـاركوا في بعض أخبارها، وتراها في كتب الحديث عندهم وهي كثيرة واسعة، وفي ما كتبه شيوخهم في القديم من ضـلالات، وفي الحديث من تقوُّل ؛ هذه المادَّة السـوداء المظلمة الكريهة الشَّـائهة هي المرجع لما كتبه أعداء المسلمين من المستشرقين، وغيرهم، وجاء ذلك الجيل المهزوم روحيّاً، والَّذي يرى في الغرب قدوته، وأمثولته من المســـتغربين فتلقَّف ما كتبته الأقلام الاسـتشـراقيَّة، وجعلها مصـدره، ومنهله، وتبنَّى أفكارهم، ونشـر شـبهاتهم في ديار المسلمين، وكان لذلك أثره الخطير في أفكار المسلمين وثقافتهم، وكان العدول عن الحق هو الأصل في هذا الشَّرِّ كلِّه، وإنَّ دراسة اراء المستشرقين، وصلتها بالانحراف لهي موضوعٌ مهمٌّ يستحقُّ الدِّراسة، والتتبُّع . لقد بدأت استفادة العدوِّ الكافر من شبهات الأعداء، وأكاذيبهم، ومفترياتهم على الإسلام والمسلمين منذ عهد الإمام ابن حزم (ت 456 هـ)[3].

ب – مصـنَّفات لبعض علماء هذه الأمَّة من المعاصـرين، وهي مفيدة إجمالاً،

---

[1] المصدر السَّابق نفسه (1458/3) .
[2] المصدر السَّابق نفسه (1459/3) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .

ولكن طريقة عرضهم للأحداث، وتفسيرهم لمواقف بعض الصَّحابة، والتَّابعين فيها كثيرٌ من عدم الإنصـــاف، مثل ما كتبه أبو الأعلى المودودي – رحمه الله – في كتابه: (الخلافة والملك)، وما دوَّنه الشَّـــيخ محمد أبو زهرة – رحمه الله – في كتابيه: (تاريخ الأمم الإسـلاميَّة) و(الإمام زيد بن عليّ) فالكتابان مشـحونان بكثيرٍ من التَّحامل على مقام بعض الصَّـــحابة، والطَّعن على خلفاء بني أميَّة، وتنقُّصـهم، وتجريدهم من أيَّة خصـلةٍ حميدةٍ، أو عملٍ صـالحٍ[1]، ويبدو: أنَّ أمثال هؤلاء العلماء لم يحقِّقوا في الرِّوايات التَّاريخيَّة، فتورَّطوا في الرِّوايات الإماميَّة الشِّيعيَّة وبنوا عليها تحليلاتهم، واستنتاجاتهم، غفر الله لنا، ولهم .

ج – مصنَّفاتٌ حاول أصحابها أن يسلكوا فيها منهج علماء الجرح والتَّعديل في نقد الرِّوايات التاريخيَّة، وعرضـها على أصـول منهج المحدِّثين من حيث السَّـند، والمتن، من أجل تمييز صحيحها من سقيمها، وسليمها من عليلها .

وفي هذه المؤلفات محاولةٌ جيِّدةٌ، وجهدٌ مشـكورٌ للوقوف في وجه هذا الزَّيف، وتفســير الأحداث التَّفســير الصَّـحيح الّذي لا يتعارض مع فضــل الصَّــحابة، وإيمانهم، وجهادهم[2]، ومن هذه المؤلَّفات الجيِّدة، ما كتبه الدُّكتور يوسـف العش، في تاريخ الـدَّولـة الأمويَّـة، ومـا كتبـه محبُّ الـدِّين الخطيـب، تعليقـاً على كتـاب: العواصــم من القواصــم لأبي بكر بن العربي، وما كتبه صـــادق عرجون في كتابه: عثمان بن عفَّان، وما سطَّره الدُّكتور سليمان بن حمد العودة في كتابه: عبد الله بن سـبأ، وأثره في أحداث الفتنة في صـدر الإسـلام، وما كتبه محمد أمحزون في كتابه:

---

[1] أحداث وأحاديث فتنة المهرج ، ص(81) .
[2] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(81) .

تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة، وما كتبه الدكتور أكرم العمري في كتابه: الخلافة الرَّاشدة[1]، وما كتبه عثمان الخميس في كتابه: حقبةٌ من التَّاريخ، وما كتبه الدُّكتور محمد حسن شرَّاب في كتابه: المدينة النَّبويَّة فجر الإسلام، والعصر الرَّاشدي، وما قام به محبُّ الدين من تحقيقات نافعةٍ، وتعليقاتٍ صائبةٍ على كتاب العواصم من القواصم، والمنتقى، وغيرها من الكتب والبحوث والرَّسائل ؛ الَّتي سارت على نفس المنهج، فقد ظهر من هذا البيان شدَّة الحاجة إلى وجود مؤلَّفات، ومصنَّفات تردُّ على هذه المزاعم، والأخطاء .

ولا يتمُّ الردُّ على هؤلاء المزيِّفين للتَّاريخ الإسلاميّ، ومقام الصَّحابة إلا بمحاولة دراسة تفاصيل تلك الأحداث، وغربلة الأخبار والرِّوايات الواردة بميزان الجرح، والتَّعديل، والتَّصحيح، والتَّضعيف[2]، وقد جاء عن ابن تيميَّة قوله: لكن إذا ظهر مبتدعٌ، يقدح فيهم بالباطل، فلا بدَّ من الذَّبِّ عنهم، وذكر ما يُبطِل حجَّته بعلمٍ، وعدلٍ[3]. وقد ذهب الإمام الذَّهبي – رحمه الله – في هذا مذهباً اخر، فهو يدعو إلى إحراق هذه الكتب الَّتي فيها هذا الكذب، والتَّشويه لمقام الصَّحابة، قال رحمه الله: كما تقرَّر الكفُّ عن كثيرٍ ممَّا وقع بين الصَّحابة، وقتالهم – رضي الله عنهم أجمعين – وما زال يمرُّ بنا ذلك في الدَّواوين، والكتب، والأجزاء، ولكنَّ أكثر ذلك منقطعٌ، وضعيفٌ، وبعضه كذبٌ،وهذا فيما بأيدينا، وبين علمائنا، فينبغي طيُّه، وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب، وتتوفَّر على حبِّ الصَّحابة، والترضِّي

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(82) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(83) .
[3] منهاج السُّنَّة (192/3) .

عنهم[1] .

وقد أفادنا الذَّهبيُّ في كلامه فائدةً كبيرةً، وهو تصريحه بكون أكثر ما يُنقل من ذلك في الكتب والدَّواوين كذباً، وزوراً، وافتراءً على مقام الصَّحابة رضي الله عنهم إلا أن اقتراح الذَّهبيِّ بحرق تلك المؤلَّفات لم يعد ممكناً، فقد انتشرت هذه الكتب، وتولَّت طباعتها كثيرٌ من دور النَّشــر، وكثيرٌ من ذوي النِّيَّات السَّــيِّئة، فلم يبقَ إلا وضــعها موضــع الدِّراســة وبيان ما فيها من عوارٍ، وخطأًا، وكذبٍ حفظاً لأجيال المسلمين من انحراف السُّلوك، والعقيدة[2] .

2 – تظهر أهمِّيَّــة دراسة فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه، وما ترتَّب عليها من أحداثٍ لمعرفة أســباب الفتنة الحقيقيَّة، ســواءٌ كانت هذه الأســباب داخليةً، أو خارجيَّةً، ومعرفة نصــيب كلِّ ســببٍ من هذه الأســباب فيما حدث، وهل هناك أســــبابٌ يمكن إدراجها في هذا السَّــــبيل ؟ إنَّ الّذي يقرأ طرفاً ممَّا كتب عن هذه الفتنة يحسُّ: أنَّ مؤامرةً كبرى، جرى التَّخطيط لها، وتعاون ذوو الفكر المنحرف، والمنافقون على تنفيذها، فقضية تامر الأعداء ترافق الأمَّة الإسلاميَّة في كلِّ مراحل تاريخها الطَّويل[3].

إلا أنَّ هذه المؤامرة ما كانت لتنجح لولا وجود عوامل ضعفٍ داخليَّةٍ ساهمت في التَّمكين لنجاح هذه المؤامرة، ألا تضحي دراسة عهد الصَّحابة – والحالة هذه – واجباً من الواجبات في سبيل معرفة أسباب ضعف الأمَّة الإسلاميَّة، وتحديد

---

[1] سير أعلام النُّبلاء ، (92/10) .
[2] أحداث ، وأحاديث فتنة الهرج ، ص(84) .
[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص(83) .

مكامن الدَّاء الّتي أوتيت منها، والاســـتفادة من ذلك في إصـــلاح حاضـــر هذه الأمَّة، وتجنيبها هذه المزالق في مســتقبل حياتها ؟ أم كتب عليها أن تظلَّ ترزأ تحت ثقل أدوائها من الدَّاخل، وكيد أعدائها من الخارج[1] ؟ ! إنَّ ما وقع من أحداثٍ جســـامٍ في فتنة مقتل عثمان رضـــي الله عنه، وما ترتَّب عليها من أحداثٍ تحتاج لدراســـةٍ عميقةٍ، ومتأنيَّةٍ، لكي نســـتخرج من تلك الحقبة التاريخيَّة دروســـاً وعبراً نستضيء بها في حاضرنا ولكي نسترشد بها في سعينا الجَّادِّ لإعادة الخلافة الرَّاشدة على منهاج النُّبوَّة حتَّى تســعد البشــرية بدين الله، وشــرعه، وتخرج من شــقاوتها، وتعاستها، وضنكها بسبب بعدها عن شرع الله تعالى.

ثانياً: الحكمة من إخباره(ﷺ) بوقوعها:

لقد أخبر النَّبيّ(ﷺ) في كثيرٍ من أحاديثه بأنَّ هذه الأمَّة ستختلف، وستتقاتل، وتعدَّدت الأحاديث الّتي تشـير إلى ذلك بإجمالٍ، أو بتفصـيلٍ، وتنوَّعت أسـاليب الإخبار عن ذلك من ذكرٍ لأســـباب الفتن، أو لنتائجها، أو لبعض أحداثها، ووقـائعهـا، أو لمن يثيرونهـا، وغير ذلـك، وكـان كثيرٌ من هـذا البيـان والتَّوضـــيح منه(ﷺ) جواباً لأســـئلة الصَّـــحابة الكرام ؛ الّذين كانوا يطرحونها عليه، وهم يشـــاهدون ويتذوَّقون النِّعمة العظيمة الّتي أفاءها الله عليهم، وهي نعمة الأخوَّة ووحدة الصـــفِّ واجتماع الكلمة، فراحوا يســـألون فيما إذا كانت هذه النِّعمة ستدوم، أم تزول، ولما كان رسول الله(ﷺ) يعلم بالوحي: أنَّها لن تدوم كما هي ؛ أحبَّ أن يربِّيهم على الاســتعداد لهذه المحن، والفتن ؛ حتَّى يحســنوا التصــرُّف يوم

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(85) .

يقدِّر الله لهذه الفتنة أن تقع، فيســعوا إلى علاجها في وقتها، ومن خلال النَّظر في جملة الأحاديث الواردة في ذكر الفتن نلمح الحكم التَّالية[1]:

1 – أنَّ النَّبيّ(ﷺ) وهو يذكر هذه الفتن، والوقائع يريد أن يربِّي الأمَّة على الاستعداد لها، حتَّى تحسن التَّصرف يوم تقع هذه الفتن، فتَسْعَى إلى علاجها في وقتها.

2 – أنَّ في هذه الأحاديث إشــاراتٍ إلى من يثيرونها، وأنَّها أحياناً تكون من قومٍ ظاهري الإيمان، والتَّشدُّد، ولكن عقولهم منحرفةٌ، وقلوبهم ملتويةٌ، وهم في جملة حالهم غير مدركين، ولا فاقهين[2] .

3 – أنَّ هذه الفتنة تكشــف المنافقين، وتصــقل قلوب المؤمنين، فيزدادون إيمــاناً، ويتحفَّزون للأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وهو نوعٌ من الابتلاء، تُصــقل به النُّفوس، وتتعود المجاهدة، وتتعرَّف الخير، فتأمر به، والشَّــرَّ، فتنهى عنه[3].

4 – أنَّ الإخبار عن هذه الفتن يحمل في مضـمونه تحذيراً شـديداً من الوقوع فيها، أو ملابسـة شـيءٍ منها، ذلك: أنَّ المؤمنين من هذه الأمَّة – من الصَّـحابة وغيرهم – حين يســمعون خبر النَّبيّ(ﷺ) بأنَّ منهم من ســيحدث منه القتل، ومنهم من سيتعلَّق بالدُّنيا، ومنهم من سيترك الجهاد، ومنهم، ومنهم . . . تتحرَّك في نفوســهم مشــاعر المواجهة لهذه الفتن، ويقول كلٌّ واحدٍ منهم: لعلِّي أنجو !

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(68) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(136 - 137) .
[3] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(69) .

ويصـــبح الموقف منها الخوف على الدَّوام أن يقع في تلك المهالك على غفلةٍ، والخوف – في هذا الباب – من أعظم سبل النَّجاة[1] .

قال ابن تيميَّة – رحمه الله – بعد أن أورد عدَّة أحاديث مرفوعةٍ في وقوع هذا الخلاف، والاختلاف في هذه الأمَّة: وهذا المعنى محفوظٌ عن النَّبيّ(ﷺ)، من غير وجهٍ، يشـــير إلى أنَّ التَّفرقة، والاختلاف لا بدَّ من وقوعها في الأمَّة، وكان يحذِّر أمَّته، لينجو من شاء الله له السَّلامة[2] .

5 – أنَّ الإخبار عن هذه الفتن أدقُّ في تحديد ســبل النَّجاة منها، فإنَّ الإنســان مهما بالغْتَ في تحذيره من خطرٍ يهدِّده – دون أن تحدِّدَ له هذا الخطر، أوتبيِّن له كيفيَّة الوقوع فيه – قد لا يتصوَّر الطَّريقة الَّتي سيحدث بها، ولا يستبين طبيعة المشـكلة الَّتي سـيواجهها، وقد يقع في المحذور دون أن يعرف أنَّه المقصـود بالتَّحذير[3] .

6 – أنَّ الإخبار عن تلك الفتن اقترن في بعض الأحاديث بذكر أســبابها، أو بيان نتائجها، أو موقف المسلم منها، وهذا ينفع المسلم – أو الأمَّة كلَّها – في نبذ أســباب الفتن، أو الحكم على وقائع معينةٍ من خلال النَّظرِ في نتائجها، أو اتِّخاذ الموقف السَّليم منها ابتداءً .

7 – ثمَّ إنَّ فيها دليلاً واضحاً على صدق رسالة محمَّد(ﷺ)، ونبوَّته، يزداد به إيمان الصَّحابة الَّذين سمعوا الحديث، ثمَّ رأوا تأويله في مواقفهم بعد مدَّةٍ، ويزداد به

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص(70) . واقتضاء الصِّراط (127/1) .
(2) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(70) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .

إيمان المؤمن – كلُّ مؤمنٍ – في كلِّ عصـــرٍ، ومصـــرٍ، وهو يعيش وقائع الفتن، والاختلافات الّتي أخبر النَّبيّ(ﷺ) بوقوعها[1] .

وقد جمع الدَّكتور عبد العزيز صـــغير دخان أحاديث الفتنة، وقام بدراســـتها، وبيان صحيحها من ضعيفها في كتابه: أحداث، وأحاديث فتنة الهرج، ثمَّ استخرج من الأحاديث الصَّحيحة معاني دلَّت عليها تلك الأحاديث، **منها**:

1 – أنَّ الفتنة ســـنَّة الله – عزَّ وجلَّ – في الأمم، وفي هذه الأمَّة إلى قيام السَّـاعة، وهي فتنٌ كقطع اللَّيل المظلم، عمياء، صـمَّاء، بكماء، من سـعى فيها ؛ هلك في الدُّنيا، والاخرة، ومن كفَّ يده ؛ أفلح، لا يكاد يبصـــر فيها أحدٌ موقفه إلا من أحيـاه الله بالعلم ؛ وزوَّده بالتَّقوى، وهـداه إلى مـا اختُلف فيـه من الحقِّ بإذنه[2] .

2 – وفي هذه الأحاديث: أنَّ فتنة القتال بين المسلمين أمرٌ واقعٌ لا محالة، ولا سـبيل لإنكاره واسـتغرابه بدءاً بما وقع بين الصَّـحابة، والتَّابعين، ومروراً بالعصـور الإســـلاميَّة إلى اليوم، ولكنَّ الواجب هو معرفة أســـباب هذا القتال لتلافيها، أو السَّـعي في إطفاء نار الفتنة حينما تشـبُّ في ديار المسـلمين، وألا ينبغي أن يقف المسلم منها موقف المتفرّج .

3 – ومن رحمة الله بهذه الأمَّة أن يكفِّر عنها ذنوبها في الدُّنيا، وليس القتل، والفتن الّتي تنزل ساحتها، والزّلازل الّتي تصيبها إلا كفارةً لهذه الذُّنوب .

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(345) .

[2] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(346 ، 347 ، 348) .

4 – وفي بعض هذه الأحاديث إشـارةٌ واضـحةٌ، وصـريحةٌ إلى أنَّ منبت معظم هذه الفتن من قبل المشــرق، وكذلك كان الواقع، فإنَّ الفتنة الأولى بدأ تحريكها في الكوفة، والبصرة، وفتنة الجمل كانت هناك .

5 – وفي الفتنـة يبيع قومٌ دينهم بعرضٍ من الـدُّنيـا يســـير، وتتحكَّم فيهم الشَّــهوات، والشُّــبهات، ويصــير أهل الإســلام الصَّــحيح غرباء في ســلوكهم، وتصـرُّفاتهم، ويصبح المتمسِّـك بدينه أشبه ما يكون بالّذي يقبض على الجمر، أو على الشَّوك، صابراً محتسباً ما يصيبه من الألم، والأذى في سبيل دينه، وما يعتقد: أنَّه حقٌّ .

6 – وفي الفتنة، يحفظ الله طائفـةً من النَّاس، فلا تلتبس بالفتنة، ولا تتلطَّخ أيديهم من دماء المسـلمين، يسـعون في إصـلاح ذات البين، والدَّعوة إلى مبادىء الإسـلام الصَّـحيحة من رحمةٍ، وأخوَّةٍ، وسـيكون موقفهم غريباً بدون شـكٍّ وسـط الجموع الهائجة، والأهواء المستحكمة[1] .

7ــــ وفي الفتنة يلعب اللِّسـان دوراً أخطر من السَّيف، بل إنَّ اللِّسـان يكون غالباً منشـأ الفتن والبلايا، فربَّ كلمة شـرٍّ مسـمومةٍ انطلقت، فأشـعلت النَّار في القلوب .

8ــــ وفي الفتنة ينقص العلم، إمَّا بموت العلماء، أو بسكوتهم، واعتزالهم إيثاراً للسَّلامة، أو لانصراف النَّاس عنهم لسببٍ من الأسباب، ويسود عندها الجهل، ويتَّخذ النَّاس رؤسـاء جهَّالاً، فيفتوا بغير علمٍ، فيُضِـلُّوا ويَضِـلُّوا، ويسـود الرُّويبضـة،

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(348) .

وهو التافه من النَّاس، ويستعلي السُّفهاء منهم[1] .

9 – وفي هذه الأحاديث: أنَّ الله – عزَّ وجلَّ – ضـــمن لرســـوله(ﷺ) ألا يهلك هذه الأمَّة بالسِّـــنين، والمجاعات، وألا يســـلِّط عليها عدوّاً، فيتمكَّن منها دائماً، مهما كانت قوَّة هذا العدو، وإمكانيَّاته، وجبروته، ولكن الأمر الّذي لم يضمنه الله لرسوله(ﷺ) هو ألا تختلف هذه الأمَّة، وسيكون هذا هو الباب الّذي يدخل منه العدوُّ الخارجيُّ ؛ إذ إنَّ الأمَّة إذا اختلفت فيما بينها، وقتل بعضـــها بعضاً ؛ ضعفت عوامل القوَّة فيها، وتمكَّن منها عدوُّها، فعبث بخيراتها، ومقدَّراتها، ولن يرفع عنها حتَّى تعود إلى تحقيق القوَّة في نفســـها بالوحدة، وجمع الكلمة، والاحتكام إلى شرع الله[2].

10 – وفي الأحاديث: أنَّ وقوع الفتنة، واستمرارها مظنَّةُ ظهور فرق المنحرفين عن هدي الإسلام، وتمكُّن أهل الباطل، وظهورهم .

11 – وفي الفتنة تتغيَّر أخلاق النَّاس، وتتبدَّل، ويزهد النَّاس في العمل الصَّـالح، ومشـاريع الخير، ويُلقى بين النَّاس العداوة، والبغضـاء، والحقد، ويختلط الأمر على النَّاس .

12 – وفي الأحاديث: أنَّ هذه الفتن يسبقها أمنٌ، واستقرارٌ، وصلاح أحوال النَّاس المادِّيَّة، والأمنيَّة، حتَّى يسير الرَّاكب بين العراق، ومكَّة لا يخاف إلا ضلال الطَّريق، ويظهر هذا في عهد عثمان رضي الله عنه، فقد كان عهد أمنٍ واستقرارٍ،

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) المصدر السَّابق نفسه .

وتدفُّق الأموال، والخيرات، ثمَّ حدثت فتنة الهرج، فَقُوِّض ذلك كلُّه، حتَّى تبدَّل الحال من الأمن إلى الخوف .

13 – وفي الفتنة يقتل خيار النَّاس وذوو العقول، والرَّأي فيهم، ويبقى رجرجةٌ من النَّاس لا تعرف معروفاً، ولا تنكر منكراً[1] . هذه بعض المعاني من أحاديث الفتن .

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(349 ، 450) .

المبحث الثَّاني : أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه

قال الإمام الزُّهريُّ: ولي عثمان اثنتي عشــرة ســنة أميراً للمؤمنين، أوَّل ســتِّ سنين منها لم ينقم النَّاس عليه شيئاً، وإنَّه لأحبُّ إلى قريش من عمر بن الخطَّاب ؛ لأنَّ عمر كان شـــديداً عليهم، أمَّا عثمان ؛ فقد لانَ لهم، وَوَصَـــلَهم، ثمَّ حدثت الفتنة بعد ذلك، وقد سمَّى المؤرِّخون المســـلمون الأحداث في النِّصـــف الثاني من ولاية عثمان 35.30 هـ (الفتنة) الّتي أدَّت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه[1] . كان المســلمون في خلافة أبي بكرٍ، وعمر، وصــدراً من خلافة عثمان، متَّفقين، لا تنازع بينهم، ثمَّ حدثت في أواخر خلافة عثمان أمورٌ، أوجبت نوعاً من التَّفرُّق، وقـام قومٌ من أهـل الفتنـة، والظُّلم، فقتلوا عثمـان، فتفرَّق المســـلمون بعـد مقتل عثمان[2] .

وقد كان المجتمع الإسلامي في خلافة الصِّدِّيق، والفاروق، والنِّصف الأوَّل من خلافة عثمان يتَّصف بالسِّمات الاتية:

1 – أنَّه – في عمومه – مجتمعٌ مسـلمٌ بكامل معنى الإســلام، عميق الإيمان بالله، واليوم الاخر، مطبِّقٌ لتعاليم الإســـلام بجدِّيةٍ واضـــحةٍ، والتزامٍ ظاهر، وبأقلَّ قدرٍ من المعاصـــي وقع في أيِّ مجتمعٍ في التَّاريخ، فالدِّين بالنِّســـبة إليه هو الحياة، وليس شـــيئاً هامشـــيّاً يفيء النَّاس إليه بين الحين، والحين، إنَّما هو حياة النَّاس، وروحهم، ليس فقط فيما يؤدُّونه من شـــعائر تعبُّديَّةٍ، يحرصـــون على أدائها على

---

[1] طبقات ابن سعد (39/1 - 47) . والبداية والنِّهاية (144/7 - 149) . والخلفاء الرَّاشدون للخالدي ، ص(112) .
[2] مجموع الفتاوى (20/13) .

وجهها الصَّـــحيح، وإنَّما من أخلاقياتهم، وتصـــوُّراتهم، واهتماماتهم، وقيمهم، وروابطهم الاجتماعيَّة، وعلاقات الأســـرة، وعلاقات الجوار، والبيع، والشِّـــراء، والضَّرب في مناكب الأرض، والسَّعي وراء الأرزاق، وأمانة التَّعامل، وكفالة القادرين لغير القادرين، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والرَّقابة على أعمال الحكام والولاة، ولا يعني هذا بطبيعة الحال: أنَّ كلَّ أفراد المجتمع هم على هذا الوصـــف، فهذا لا يتحقَّق في الحياة الدُّنيا، ولا في أيِّ مجتمعٍ من البشـــر، وقد كان في مجتمع الرَّســـول(ﷺ) -كما ورد في كتاب الله - منافقون يتظاهرون بالإســـلام، وهم في دخيلة أنفســـهم من الأعداء، وكان فيه ضـــعاف الإيمان، والمعوِّقون، والمتثاقلون، والمبطِّئون، والخائنون، ولكن هؤلاء جميعاً لم يكن لهم وزنٌ في ذلك المجتمع، ولا قدرةٌ على تحويل مجراه ؛ لأنَّ التَّيَّار الدَّافق هو تيَّار أولئك المؤمنين الصَّـــادقي الإيمان المجاهدين في سبيل الله بأموالهم، وأنفسهم، الملتزمين بتعاليم هذا الدِّين[1].

2 - أنَّه المجتمع الَّذي تحقَّق فيه أعلى مســـتوى للمعنى الحقيقيِّ (للأمَّة) ؛ فليست الأمَّة مجرد مجموعة من البشر جمعتهم وحدة اللُّغة، ووحدة الأرض، ووحدة المصـــالح، فتلك هي الرَّوابط الَّتي تربط البشـــر في الجاهليَّة، فإن تكوَّنت منهم أمَّةٌ، فهي أمَّةٌ جاهليَّة، أمَّا الأمَّة بمعناها الرَّبانيِّ ؛ فهي الأمَّة الَّتي تربط بينها رابطة العقيدة، بصرف النَّظر عن اللُّغة، والجنس، واللَّون، ومصالح الأرض القريبة، وهذه لم تتحقَّق في التَّاريخ كما تحقَّقت في الأمَّة الإسلاميَّة، فالأمَّة الإسلاميَّة هي أمَّةٌ لا تقوم على عصـــبية الأرض، ولا الجنس، ولا اللَّون، ولا المصـــالح الأرضـــيَّة، إنَّما هو رباط العقيدة، يربط بين العربيِّ، والحبشـــيِّ، والرُّوميِّ، والفارســـيِّ، يربط بين أهل

---

[1] كيف نكتب التَّاريخ الإسلامي ، ص(100) .

البلاد المفتوحة والأمَّة الفاتحة على أساس الأخوَّة الكاملة في الدِّين .

ولئن كان معنى الأمَّة قد حقَّقته هذه الأمَّة أطول فترةٍ عرفتها الأرض، فقد كانت فترة صدر الإسلام أزهى فترةٍ تحقَّقت فيها معاني الإسلام كلُّها، بما فيها معنى الأمَّة، على نحوٍ غير مسبوقٍ[1].

3 - أنَّه مجتمعٌ أخلاقيٌّ، يقوم على قاعدة أخلاقيَّةٍ واضحةٍ مستمدَّةٍ من أوامر الدِّين، وتوجيهاته، وهي قاعدةٌ لا تشمل علاقات الجنسين وحدها، وإن كانت هذه من أبرز سمات هذا المجتمع، فهو خالٍ من التَّبرُّج، ومن فوضى الاختلاط، وخالٍ من كلِّ ما يخدش الحياء من فعلٍ، أو قولٍ، أو إشارةٍ، وخالٍ من الفاحشة إلا القليل الَّذي لا يخلو منه مجتمعٌ على الإطلاق، ولكن القاعدة الأخلاقيَّة أوسع بكثيرٍ من علاقات الجنسين، فهي تشمل السِّياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والفكر، والتَّعبير، فالحكم قائم على أخلاقيَّات الإسلام، وعلاقات النَّاس في المجتمع قائمةٌ على الصِّدق، والأمانة، والإخلاص، والتَّعاون، والحبِّ، لا غمز ولا لمز، ولا نميمة، ولا قذف للأعراض[2].

4ـ أنَّه مجتمعٌ جادٌّ، مشغولٌ بمعالي الأمور لا بسفسافها، وليس الجدُّ بالضَّرورة عبوساً، وصرامةً، ولكنَّه روحٌ تبعث الهمَّة في النَّاس، وتحثُّ على النَّشاط، والعمل، والحركة، كما أنَّ اهتماماته أعلى، وأبعد من واقع الحسِّ القريب، وليست فيه سمات المجتمع الفارغة المترهِّلة، الَّتي تتسكَّع في البيوت، وفي الطُّرقات، تبحث عن

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص(101) .
(2) كيف نكتب التَّاريخ الإسلامي ، ص(102) .

وسيلةٍ لقتل الوقت من شدَّة الفراغ[1] .

5 – أنَّه مجتمعٌ مجنَّدٌ للعمل، في كلِّ اتِّجاهٍ تلمس فيه روح الجنديَّة واضـــحةً لا في القتال في سبيل الله، فحسب، وإذا كان القتال في سبيل الله قد شغل حيِّزاً كبيراً من حياة هـذا المجتمع، ولكن في جميع الاتِّجاهـات، فـالكـلُّ متـأهِّـبٌ للعمـل في اللَّحظة الّتي يطلب منه فيها العمل، ومن ثمَّ لم يكن في حاجةٍ إلى تعبئةٍ عسـكريَّةٍ، ولا مدنيَّةٍ، فهو معبَّأ من تلقاء نفسـه بدافع العقيدة، وبتأثير شـحنتها الدَّافعة لبذل النَّشاط في كلِّ اتجاه[2].

6 – أنَّه مجتمعٌ متعبِّدٌ، تلمس فيه روح العبادة واضـحةً في تصـرُّفاته ليس فقط في أداء الفرائض، والتطوُّع بالنَّوافل ابتغاء مرضـــاة الله، ولكن في أداء الأعمـال جميعاً، فالعمل في حسِّـــه عبادةٌ، يؤدِّيه بروح العبادة، الحاكم يســوس رعيَّته بروح العبـادة، والمعلِّم الّـذي يعلِّم القران، ويفقـه النَّـاس في الـدِّين يعلِّم بروح العبـادة، والتَّاجر الّذي يراعي الله في بيعه، وشـــرائه يفعل ذلك بروح العبادة، والزَّوج يرعى بيته بروح العبادة والزَّوجة ترعى بيتها بروح العبادة، تحقيقاً لتوجيه رسـول الله(ﷺ): « كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته »[3] .

هذه من أهم سمات عصر الصِّدِّيق، وعهد الخلفاء الرَّاشدين – بصفةٍ عامَّةٍ – إلا أنَّ تلك السِّـــمات كانت أقوى كلَّما اقتربنا من عهد النُّبوَّة، وتضـــعف كلَّما ابتعدنا عن عصر النُّبوَّة، وهذه السِّمات جعلته مجتمعاً مسلماً في أعلى افاقه، وهي

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) المصدر السَّابق نفسه .
(3) كيف نكتب التَّاريخ الإسلامي ، ص(102) .

الّتي جعلت هذه الفترة المثاليَّة في تاريخ الإســلام، كما أنَّها هي الّتي ســاعدت في نشــر هذا الدِّين بالسُّــرعة العجيبة الّتي انتشــر بها، فحركة الفتح ذاتها من أســرع حركات الفتح في التَّاريخ كلِّه، بحيث شملت في أقل من خمسين عاماً أرضاً تمتدُّ من المحيط غرباً إلى الهند شــرقاً، وهي ظاهرةٌ في ذاتها تســتحقُّ التَّســجيل، والإبراز، وكذلك دخول النَّاس في الإســـلام في البلاد المفتوحة بلا قهرٍ، ولا ضـــغطٍ، وقد كانت تلك السِّمات الّتي اشتمل عليها المجتمع المسلم هي الرَّصيد الحقيقيُّ لهذه الظَّاهرة، فقد أحبَّ النَّاس الإســـلام لَمَّا رأوه مطبَّقاً على هذه الصُّـــورة العجيبة الوضَّاءة، فأحبُّوا أن يكونوا من بين معتنقيه[1] .

إن دراســـة هذه الفترة من التَّاريخ ينبغي أن تترك انطباعاً لا يمحى في نفس الدَّارس، انطباعاً بأنَّ الإســـلام دينٌ واقعيٌّ قابلٌ للتَّطبيق في عالم الواقع بكلِّ مثاليَّاته، فهي ليســت مثاليَّات معلَّقةٌ في الفضــاء لمجرد التَّأمُّل، أو التَّمنِّي، ولكنَّها مثاليَّاتٌ واقعيَّةٌ، في متناول التَّطبيق إذا حاولها النَّاس بالجدِّيَّة الواجبة، وأعطوها حقَّها من الجهد، ثمَّ انطباعاً بأنَّ ما حدث مرَّةً يمكن أن يحدث مرَّةً أخرى ؛ لأنَّ البشــر هم البشــر، وقد اســتطاع البشــر دائماً أن يحاولوا الصُّــعود مرَّةً أخرى ؛ وسيصعدون حين يعزمون، وسينالون على ذلك النَّصر، والتَّمكين[2] .

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ لَيَسْـتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْـــتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَـــى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْـرِكُونَ بِي شَـيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ

(1) المصدر السَّابق نفسه ، ص(103) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، ص(103 ، 304) .

فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *﴾ [النور: 55] .

ومن الأمور الّتي تساعد المسلمين على العودة إلى الخلافة الرَّاشدة: معرفة العوامل، والأسباب الّتي أدت إلى زوالها ؛ لكي نعمل على اجتنابها، والأخذ بالأسباب الّتي جعلها الله سبباً في إكرام الأمَّة بها، ولذلك نريد أن نفصِّل في أسباب فتنة مقتل عثمان ؛ لأهمِّيتها، وإليك أهمَّ هذه الأسباب:

أولاً: الرَّخاء وأثره في المجتمع:

كان رسول الله(ﷺ) يرى ما يعانيه أصحابه من شظف العيش، وفقر الحال، فكان يصبِّرهم، ثمَّ يخبرهم: أنَّ هذا الحال الّذي هم عليه لن يدوم طويلاً، حتَّى تفتح عليهم خزائن الدُّنيا، وخيراتها، وحذَّرهم من الاشتغال بذلك عن العمل الصَّالح، والجهاد في سبيل الله، وما يمكن أن يجرَّه ذلك عليهم من التقاتل على الدُّنيا ومتاعها الزَّائل[1]، وقد فقه عمر بن الخطَّاب هذا التَّحذير فكان من سياسته حماية المسلمين من غوائل فتنة المال، وزخارف الدُّنيا، فاجتهد في منع المسلمين من التوسُّع في بلاد العجم، ولولا ظهور مصلحةٍ أخرى راجحةٍ في توسُّعهم ؛ لبقي المنع قائماً، إلا أنَّ هذا التَّراجع من عمر لم يشمل كبار الصَّحابة، والمهاجرين، والأنصار الّذين كانوا بالمدينة ؛ إذ بقي المنع في حقِّهم[2] .

ولا شكَّ: أنَّ الّذي فعله عمر كان يدلُّ على إحساسه، وخوفه من انتشار المسلمين في أرضٍ تزخر بألوان الخيرات والأرزاق ؛ فتستولي الدُّنيا على قلوبهم،

---

(1) أحداث ، وأحاديث فتنة الهرج ، ص(559) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، ص(565) .

وتفســد عليهم اخرتهم[1]، فلمَّا جاء عهد عثمان، وتوسَّــعت الفتوحات شــرقاً، وغرباً، وبدأت الأموال تتقاطر على بيت المال من الغنائم، والأســلاب، وامتلأت أيدي النَّاس بالخيرات، والأرزاق[2]، وغنيٌّ عن الإشـارة: أنَّ النِّعم، والخيرات، وتلك الواردات من الفتوح ســيكون لها أثرها على المجتمع ؛ إذ تجلب الرَّخاء وما يترتَّب عليه من انشـغال النَّاس بالدُّنيا، والافتتان بها، كما أنَّها مادةٌ للتَّنافس، والبغضـاء، خاصَّـةً بين أولئك الّذين لم يصـقل الإيمان نفوسـهم، ولم تهذِّبهم التَّقوى من أعراب البادية، وجفاتها، ومن مسـلمة الفتوحات، وأبناء الأمم المترفة الدُّخلاء في الإسـلام الّذين جروا شــوطاً بعيداً في زخارف الدُّنيا، وبهجتها، واتَّخذوها غايةً يتنافســون فيها، وقد أدرك عثمان هذه الظَّاهرة، وأنذر بما ســيؤول إليه أمر الأمَّة من التَّبدُّل والتَّغيُّر في كتابه الموجه إلى الرَّعية: فإنَّ أمر هذه الأمَّة صــائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاثةٍ فيكم: تكامل النِّعم، وبلوغ أولادكم من السَّــبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم للقران[3] .

أمَّا تكامل النِّعم فيتحدَّث الحســن البصـريُّ – وهو شـاهد عيانٍ – عن حالة المجتمع، ووفور الخيرات، وإدرار الأموال، ومـا ال إليـه أمر النَّـاس من البطر وعـدم الشُّــكر، فيقول: أدركت عثمان على ما نقموا عليه، قلَّما يأتي على النَّاس يومٌ إلا وهم يقتســمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معشـر المسـلمين ! اغدوا على أعطياتكم، فيأخذونها وافرةً، ثمَّ يقال لهم: اغدوا على السَّــمن، والعســل، فالأعطيات جاريةٌ، والأرزاق دارَّةٌ، والعدوُّ مُتَّقى، وذات البين حســنٌ، والخير كثيرٌ ... والأخرى كان

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] المصدر السَّابق نفسه .
[3] تاريخ الطَّبري (245/5) .

السَّيف مغمداً على أهل الإسلام، فسلُّوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلولاً إلى يوم النَّاس هذا ! وايم الله إِنِّي لأراه سيفاً مسلولاً إلى يوم القيامة[1] .

وأمَّا بلوغ أولاد المسلمين من السَّبايا ؛ فيتمثَّل فيما ال إليه أمر هؤلاء من الدَّعة، والتَّرف، وكان أوَّلُ مُنْكَرٍ ظهر بالمدينة حين فاضت الدُّنيا، وانتهى وسع النَّاس طيرانَ الحمام والرَّمي على الجلاهقات[2] فاستعمل عليها عثمان رجلاً من بني ليث سنة ثمانٍ[3]، فقصَّها، وكسر الجلاهقات[4]، وحدث بين النَّاس النَّشو بتناولهم النَّبيذ، فأرسل عثمان رضي الله عنه رجلاً يطوف عليهم بالعصا ؛ ليمنعهم من ذلك، وعندما اشتدَّ ذلك، شكاهم عثمان رضي الله عنه إلى النَّاس، فأجمعوا على أن يجلدوا في النَّبيذ، فأُخذ نفرٌ منهم، فجُلدوا، ثمَّ جعل عثمان لا يأخذ أحداً على شرٍّ، أو شهر سلاحاً إلا نفاه من المدينة، فضجَّ اباؤهم من ذلك[5] .

وقام عثمان في المدينة، فقال: إنَّ النَّاس تبلغني عنهم هناتٌ، وهناتٌ، وإِنِّي لا أكون أوَّل من فتح بابها، ولا أدار راحتها (أي: الفتنة)، ألا وإِنِّي زامٌّ نفسي بزمام، وملجمها بلجامٍ، فأقودها بزمامها، وأكبعها[6] بلجامها، ومنَّا ولكم طرف الحبل، فمن اتَّبعني، حملته على الأمر الّذي يعرف، ومن لم يتَّبعني ؛ فمن خلفٍ منه، وعزاءٍ منه، ألا وإنَّ لكلِّ نفسٍ يوم القيامة سائقاً، وشهيداً، سائقٌ يسوقها على أمر الله، وشاهدٌ يشهد عليها بعملها، فمن كان يريد الله بشيءٍ ؛ فليبشر،

---

[1] البداية والنِّهاية (224/7) .
[2] قوس البندق الَّذي يرمى به .
[3] أي: في السَّنة الثَّامنة من خلافته .
[4] تاريخ الطَّبري (415/5) .
[5] المصدر السَّابق نفسه (416/5) .
[6] أي: من الكبع ، وهو المنع .

ومن كان يريد الدُّنيا ؛ فقد خسر[1] .

وهكذا لما قام عثمان الرَّجل التَّقيُّ، والخليفة الرَّاشـــد بواجبه، وكانت إجراءاته تعزيريَّةً تجاه أبناء الأغنياء الّذين بدؤوا نوعاً من حياة التَّرف، وفســـاد الأخلاق ؛ انضمَّ أولئك المنحرفون إلى صفِّ النَّاقمين من الرُّعاع .

وبالنسبة لقراءة الأعراب، والأعاجم القران، فيظهر في شكلٍ واضحٍ في تكوين طبقةٍ في المجتمع المســـلم تتعلَّم القران لا رغبةً في الثَّواب، وإنَّما رغبة في الجُعْل الّذي جعله الخليفة تشـــجيعاً، وتأليفاً[2]، ويجب أن نلاحظ: أنَّ هذا التغيير بدأ أثره يظهر أولاً على أطراف الدَّولة الإسلاميَّة، ثمَّ أخذ يزحف إلى عاصمة الخلافة، ممَّا دفع عثمان رضي الله عنه إلى تذكير المسلمين في خُطَبِه بضرورة الحذر من التَّهالك على الدُّنيا، وحطامها، فكان ممَّا قاله في إحدى خطبه:

إنَّ الله إنَّما أعطاكم الدُّنيا ؛ لتطلبوا بها الاخرة، ولم يعطكموها ؛ لتركنوا إليها، إنَّ الـدُّنيـا تفنى، وإنَّ الاخرة تبقى، ولا تبطرنَّكم الفـانيـة، ولا تشـــغلنَّكم عن الباقية،... واحذروا من الله الغير، والزموا جماعتكم، لا تصـــيروا أحزاباً[3]، ثمَّ قرأ: ﴿وَاعْتَصِـــمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *﴾

(1) تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (361/1) .
(2) الوثائق السِّياسية في العهد النَّبويِّ والخلافة الرَّاشدة ، ص(392) .
-(3) أحداث ، وأحاديث فتنة الهرج ، ص(567) .

[آل عمران: 103 - 104].

وفي مثل هذه الظُّروف، والخيرات وافرةٌ، فاضـت الدُّنيا على المسـلمين، وتفرَّغ النَّاس بعد أن فتحوا الأقاليم، واطمأنُّوا، فأخذوا ينقمون على خليفتهم[1] .

ومن هنا يُعلم أثر الرَّخاء في تحريك الفتنة، ومن هنا أيضـاً يمكن فهم مقالة عثمان رضي الله عنه لعبد الرَّحمن بن ربيعة - له صحبةٌ - وهو على الباب[2]: إن الرَّعية قد أبطر كثيراً منهم البطنة، فقصِّر بهم، ولا تقتحم بالمسلمين، فإنِّي خاشٍ أن يبتلوا[3]. وفي اخر خطبةٍ لعثمان رضي الله عنه وهو يعظ المسلمين بعد أن فتحت الدُّنيا عليهم، قال: ألا لا تبطرنَّكم الفانية، ولا تشـغلنَّكم عن الباقية ... واحذروا أحداث الدَّهر المغير، والزموا جماعتكم، ولا تتفرَّقوا شيعاً، وأحزاباً[4] .

ثانياً: طبيعة التَّحوُّل الاجتماعيِّ في عهد عثمان رضي الله عنه:

حدثت تغيُّراتٌ اجتماعيَّة عميقةٌ، ظلَّت تعمل في صـمتٍ، وقوَّةٍ لا يلحظها كثيرٌ من النَّاس، حتَّى ظهرت على ذلك الشَّكل العنيف المتفجِّر بدءاً من النِّصف الثاني من خلافة عثمان، وبلغت قمَّة فورانها في التمرُّد الَّذي أدَّى إلى اسـتشـهاد عثمان رضي الله عنه[5] .

لما توسَّعت الدَّولة الإسلاميَّة عبر حركة الفتوح، حصل تغيُّر في تركيبة المجتمع، والاختلالات في نسيجه ؛ لأنَّ هذه الدَّولة بتوسُّعها المكانيِّ، والبشريِّ، ورثت ما

---

(1) تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (362/1) .
(2) المقصود بالباب: منطقة في جهات أذربيجان تسمى الدر البند. معجم البلدان (303/1).
(3) تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (362/1) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .
(5) الدَّولة الأمويَّة المفترى عليها ، ص(166) .

على هذه الرُّقعة الواسـعة من أجناسٍ، وألوانٍ، ولغاتٍ، وثقافاتٍ، وعاداتٍ، ونظمٍ، وأفكارٍ، ومعتقداتٍ، وفنونٍ أدبيَّةٍ، وعمرانيَّةٍ، ومظاهر، وظهرت على ســـطح هذا النَّسـيج ألوانٌ مضـطربةٌ، وخروقاتٌ غير منتظمةٍ، ورقعٌ غير منسـجمةٍ ممَّا صـيَّرت المجتمع غير متجانسٍ في نسـيجه التَّركيبيّ، وبالذَّات في الأمصـار الكبرى المؤثِّرة: البصرة، والكوفة، والشَّام، ومصر، والمدينة، ومكَّة، فقد كانت الأمصار الكبيرة – بمواقعها وأهمِّيَّتها – تدفع بجيوش الفتوح، وتســـتقبلها وهي عـائدةٌ، وقد نقص عددها بالموت والقتل، وتســـتقبل بدلاً عنهم أو أكثر منهم أعداداً وفيرةً من أبناء المناطق المفتوحة، فرسٌ، وتركٌ، ورومٌ، وقبطٌ، وكردٌ، وبربرٌ، وكان أكثرهم من الفرس، أو من النَّصارى العرب، أو غيرهم، أو من اليهود[1]، وأكثر سكان هذه الأمصار الكبيرة هم ممَّن شـاركوا في حركة الفتح الإسـلاميّ، ثمَّ اسـتقرُّوا في هذه الأمصـار، وكان أغلب هؤلاء من القبائل العربيَّة من جنوبها، وشمالها، وشـــرقها، والّذين لم يكونوا – عادةً – من الصَّـحابة، وبمعنىً أدقّ: ليسـوا ممَّن تلقّوا التَّربية الكافية على يد رســـول الله(ﷺ) أو على أيدي الجيل الأوَّل من الصَّـــحابة، إمَّا لانشـــغالهم بالفتوح، أو لقلَّة الصَّحابة، وقد حصلت تغيُّراتٌ في نسيج المجتمع البشريّ المكوَّن من جيل السَّـــابقين، وســـكَّان البلاد المفتوحة، والأعراب، ومن ســبقت لهم ردَّةٌ، واليهود، والنَّصـارى، وفي تكوين نسـيج المجتمع الثَّقافيّ، وفي بسـطة عيش المجتمع، وفي ظهور لونٍ جديدٍ من الانحرافات، وفي قبول الشَّائعات[2] .

1. المتغيِّرات في نسيج المجتمع البشريّ:

(1) دراساتٌ في عهد النُّبوَّة ، والخلافة الرَّاشدة ، ص(379) .
(2) المصدر السابق نفسه ، ص(380) .

أ – لقد تكوَّن هذا النَّسيج من قطاعاتٍ عدَّةٍ، قطاع الأسبقين ممَّن بقي من الصَّحابة، ومن الَّذين نالوا قسطاً وفيراً من رعاية الصَّحابة، ولكنَّ هذا القطاع وذاك ظلَّ يتناقص إمَّا عن طريق الموت والقتل في ميادين الفتوح، وإمَّا عن طريق تفرُّقهم في الأمصار، ممَّا جعلهم أقلَّ القطاعات حضوراً، وكانوا موزَّعين في البلدان المفتوحة والأمصار الكبيرة المستحدثة كالبصرة، والكوفة، والشَّام، ومصر، وبعضهم في الجزيرة العربيَّة يخرجون منها، ثمَّ يعودون إليها مرَّة أخرى[1] .

ب – سكان المناطق المفتوحة، وكانوا يشكلون الأكثريَّة بالنسبة للقادمين إليهم مع حركة الفتوح، فقد ظلَّ القادمون قلَّةً، وإن كان لهم حضور فعليٌّ في إدارة البلد أو التأثير السُّلوكيِّ، والأخلاقيِّ، والفكريِّ، واللُّغويِّ، إلا أنَّهم رغم ذلك يُعتبرون قلَّةً وظلَّ هذا القطاع – قطاع سكَّان المناطق المفتوحة – مقتصراً في استقراره – غالباً – على مناطقهم، ومع هذا فقد تنقَّل بعضهم في المناطق الأخرى من بلدان الدَّولة الإسلاميَّة، بل استقرَّ بعضهم في الأمصار الكبيرة، وفي عاصمة الدَّولة أيضاً، إما على شكل ما عرف بالسَّبي، أي: يستقرُّون تابعين لمواليهم، وإمَّا على شكل تنقُّلٍ تجاريٍّ، ومعرفيٍّ وإداريٍّ، حيث لا يوجد قانون يمنعهم من ذلك، إن لم يكونوا يلقون التَّشجيع، والدَّعم[2]، وقد كان الأعاجم الَّذين جاؤوا من البلاد المفتوحة من أسرع النَّاس إلى الفتنة ؛ ذلكم لأنَّ أغلب الأعاجم من الأمم الموتورة، والشُّعوب المقهورة، **فتكثر مسارعتهم للفتن لأسبابٍ كثيرةٍ، منها:**

- جهلهم، وحداثة عهد أكثرهم بالكفر، والملك، والعزِّ الَّذي كانوا عليه،

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] المصدر السَّابق نفسه .

ثمَّ سُلبوه .

- ❖ قلَّة فقههم في الدِّين، بسبب العجمة، وغيرها .
- ❖ العصبية، وكراهية العرب .
- ❖ أنَّ طوائف منهم دخلت الإسلام ظاهراً، وخوفاً من السَّيف، أو الجزية، وأضمروا للإسلام والمسلمين الشَّرَّ، والكيد، فيسارعون إلى كلِّ فتنة .
- ❖ طمع أهل الأهواء فيهم للأسباب المذكورة، وتحريضهم لهم[1] .

ج – أولئك الأعراب عرفوا بأنَّهم من سكان البادية، وهم مثل بقيَّة النَّاس منهم المسلم التَّقيُّ، ومنهم الكافر، والمنافق ؛ إلا أنَّهم كما قال الله عنهم: ﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *﴾ [التوبة: 97] . وذلك لأنَّهم أقسى قلوباً، وأغلظ طبعاً، وأجفى قولاً، ولصفاتهم هذه فهم جديرون، وأخلق بهم ألا يعلموا حدود ما أنزل الله من الشَّرائع، والأحكام، والجهاد[2]، فهم من أسرع النَّاس في الفتن، **ولمسارعتهم فيها له أسبابٌ، منها:**

- ❖ قلَّة فقههم في الدِّين .
- ❖ سرعة اغترار الواحد منهم بما يتعلَّمه من القران، فيظنُّ: أنَّه صار عالماً بقليلٍ من العلم .
- ❖ جفاؤهم للعلماء، وترك التَّلقِّي عنهم، والاقتداء بهم .

[1] دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ناصر العقل ، ص(161) .
[2] دراساتٌ في عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة، ص(380). نقلاً عن الشَّوكاني فتح القدير (2/395-397).

❖ تمكُّن العصبية القبليَّة من نفوسهم .

❖ تغرير أهل المطامع بهم، واستغلال سذاجتهم، وجهلهم .

❖ حدَّة طباعهم، ونفورهم من المدنيَّة، والخلطة، وإســـاءة الظنِّ بالاخرين ممَّن لا يعرفونهم، وهذا من طباع الأعراب في كلِّ زمانٍ، ومكانٍ .

❖ تشـدُّدهم في الدِّين، وتنطُّعهم بلا علمٍ، لذلك صـار غالب الخوارج من هذا الصِّنف[1] .

وخرج من هؤلاء الأعراب رجالٌ عرفوا (بالقرَّاء) وقد اختلف مفهوم (القرَّاء) هذا عن منطوقه، فالمنطوق يقصــد به جماعةٌ ممَّن تخصَّـصـوا بقراءة القران، إلا أنَّ المفهوم ومن خلال الواقع أنتج دلالاتٍ أخرى، فمنهم من كـان – على طريقـة الخوارج – يفهمون القران بطريقتهم الخاصَّـة، ومنهم من كان زاهداً لا يفقه حقيقة ما يقرأ، ولم يستطع التأقلم مع واقع المجتمع[2]، وهؤلاء القرَّاء الجهلة يسارعون للفتن وذلك لأسبابٍ منها:

❖ الشِّـــدَّة في نزعة التَّديُّن عندهم مع قلَّة الفقه في الدِّين، مما يورث غيرةً على الدين بغير علمٍ، ولا بصـيرةٍ ؛ فتجرفهم الأهواء، والعواطف باسـم الغيرة على الدِّين، دون نظرٍ في العواقب، ولا فقهٍ لقواعد الشَّـرع، كدرء المفاسد، وجلب المصالح .

❖ الاغترار بما يحصله الواحد منهم من الايات، والأحاديث دون فقهٍ، ولا

---

[1] دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ص(161) .

[2] دراسات في عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة ، ص(381) .

بصـــيرةٍ، فيتوهَّم: أنَّه صـــار من أهل العلم، الّذين يحلُّون، ويعقدون في مصالح المسلمين .

- تعاليهم على العلماء والأئمَّة، وظنُّهم: أنَّهم وصـــلوا درجة الاســـتغناء عنهم، وعن فقههم وعلمهم، تحت شعارٍ: هم رجالٌ، ونحن رجالٌ .
- اتِّخاذهم رؤساء جُهَّالاً من بينهم دون العلماء والأئمَّة .
- ولأنَّ أهـل الأهواء، ورؤوس البـدع، والفتن – وغـالبهم من الـدُّهـاة – يفزعون إلى القرَّاء، فيغوونهم، ويســـتدرجونهم، ويســـتغلُّون نزعة التَّديُّن فيهم، ويستثيرون غيرتهم بلا بصيرةٍ .
- جهلهم بقواعد الاستدلال، وأحكام الفتن[1] .

د – وفصيلٌ، أو قطاعٌ اخر في نسيج المجتمع الإسلاميِّ، وهو ممَّن سبقت لهم ردَّةٌ، وكانت حياتهم في الإسـلام قصيرةً، وانتماؤهم إليه ضرورةً، ولا ننفي أنَّ منهم من زَكا، وصـلُح، وكان من الفضـلاء إلا أنَّ منهم من لم يتذوَّق حلاوة الإســلام، فظلَّ – رغم انتسابه للإسلام – يعيش بعقليَّته السَّابقة، ونفسيَّته الّتي عاشها قبل الإسلام الفعليَّة القبليَّة، تناوشه العصبيَّات، وكأنَّ الإسلام لم يدخل فيهم، أو أنَّهم ظنُّوا عدم التناقض بين ما يعرفونه من إسـلامٍ، وما يتعاملون به في الواقع من دوافع قبليَّةٍ[2].

لقد شكلت طوائف من المرتدِّين عنصراً ساهم في تهيئة أجواء الفتنة، والمرتدُّون كانوا على عهد أبي بكرٍ، وعمر، رضـــي الله عنهما، ولكنَّ الشَّـــأي الجديد هو

---

[1] دراسات في الأهواء والفرق والبدع ، ص(163) .
[2] دراساتٌ في عهد النُّبوَّة ، والخلافة الرَّاشدة ، ص(381) .

اختلاف سياسة عثمان رضي الله عنه عن الخليفتين قبله تجاههم، فأبو بكر رضي الله عنه يكتب إلى عمَّاله: ألا يســـتعينوا بمرتدٍّ في جهاد العدوِّ، ويؤكِّد على خالد بن الوليد، وعياض بن غنم ألا يغزو معهم أحدٌ قد ارتدَّ حتَّى يرى رأيه فيهم، فلم تشـهد أيَّامه[1] مرتدّاً، ويقول الشَّـعبيُّ: كان أبو بكر رضـي الله عنه لا يسـتعين في حروبه بأحدٍ من أهل الرِّدَّة ؛ حتَّى مات[2]، ولذلك كان بعض من ارتدَّ، وحســـن إسـلامهم بعد ذلك، يسـتحيون من مواجهة أبي بكرٍ رضـي الله عنه، فطليحة بن خويلد – مثلاً – يذهب إلى مكَّة معتمراً، وما اســـتطاع مقابلة أبي بكر حتَّى مات[3]، وفي خلافة عمر رضي الله عنه تخفُّ هذه السِّياسة، تجاه المرتدِّين، فيندب أهل الرِّدَّة ليرمي بهم الشَّام، والعراق[4] .

وقد كان في مسيرة جيش سعد بن أبي وقَّاص في القادسية قيس بن مكشوح المرادي، وعمرو بن معد يكرب، كان يحمِّس النَّاس، ويحرِّك مشـــاعرهم، وهذا كلُّه كان بعد أن أذن عمر لأهل الرِّدَّة في الغزو[5]، ولكنَّ هذا التَّجاوز عن سياسة أبي بكر عند عمر يصحبه نوعٌ من الحذر، والحيطة، ولا ينفكُّ عن الضَّوابط، والشُّروط المقيَّدة، فأهل الرِّدة لا يولَّون على مئةٍ، ولهذا اضـــطرَّ ســـعد أن يبعث قيس ابن المكشوح في سبعين رجلاً فقط، في أثر الأعاجم ثاروا بهم في ليلة الهرير[6] . ويأتي عثمان رضـــي الله عنه فيتجاوز ســـياســـة التقييد الَّتي فرضـــها الخليفتان قبله تجاه المرتدِّين، ويرتئي: أنَّ عامل الزَّمن – الَّذي مضـــى على عهد الرِّدَّة – كافٍ لأن

---

[1] عبد الله بن سبأ ، وأثره في أحداث الفتنة ، ص(155) .
[2] البداية والنِّهاية (347/6) .
[3] التَّاريخ الإسلاميُّ (59/9) .
[4] عبد الله بن سبأ ، وأثره في أحداث الفتنة ، ص(156) .
[5] المصدر السابق نفسه .
[6] تاريخ الطَّبري (382/4) .

يتخلَّص من كان قد ارتدَّ من رواسـبها، ويجتهد عثمان، فيسـتعمل أهل الرِّدَّة استصلاحاً لهم، فلم يصلحهم ذلك، بل زادهم فساداً، وجعل قائلهم يتمثَّل قول القائل:

وَكُنْتُ وَعَمْراً كَالمسَمِّنِ كَلْبَهُ فَتَخْدِشُهُ أَنْيَابُهُ وَأَظَافِرُهْ[1]

وكانت من نتائج اسـتعمال عثمان لأهل الرِّدَّة في الكوفة أن تبدَّل أهلها، وأصـيب قائدهم عبد الرَّحمن بن ربيعة في غزوة للتُّرك، وهو الّذي كان يقاتلهم في عهد عمر فيفرقون منه، ويقولون: ما اجترأ علينا هذا الرَّجل إلا ومعه ملائكةٌ تمنعه من الموت[2]، وتظهر الاثار بشـكلٍ واضـحٍ في الفتنة الّتي انتهت بقتل عثمان، وذلك حينما نجد في أسماء المتَّهمين في دم عثمان رجالاً ينتسـبون إلى قبائل كانت في عداد المرتدِّين أمثال: سـودان بن حمران السُّـكونيِّ، وقتيرة ابن فلان السُّـكونيِّ، وحكيم بن جبلة العبديِّ[3].

هـ ـ اليهود، والنَّصارى، وكان بعضهم ـ وهم كثيرٌ ـ قد خرج، أو أخرج من جزيرة العرب، فاستقرُّوا في الأمصار الكبيرة، ومنها: الكوفة، والبصرة، وكان اليهود خاصَّـةً ـ حسـب طبعهم ـ ظلُّوا في تلك الأمصـار المطلَّة على ميادين الفتوح يمارسون مهنتهم المشهورة المزدوجة، السَّيطرة الماليَّة بوسائلهم المختلفة، والتامر على قطع اليد الّتي تمدُّ لهم المساعدة[4] .

وسيأتي الحديث عن دور اليهود بإذن الله تعالى.

---

[1] عبد الله بن سبأ ، وأثره في أحداث الفتنة ، ص(157) .
[2] تاريخ الطَّبري (146/5) .
[3] عبد الله بن سبأ ، وأثره في أحداث الفتنة ، ص(157) .
[4] دراسات في عهد النُّبوة ، والخلافة الرَّاشدة ، ص(381) .

2. تكوينات نسيج المجتمع الثَّقافي:

فإلى جوار هذا الخليط البشــريّ كان هناك خليطٌ اخر لا يقلُّ خطره – إن لم يفق الخليط البشريُّ – ألا وهو الخليط الثَّقافيُّ، حيث تدفَّقت الثقافات، والأفكار، والنُّظم، والعقائد مع تلك الأعداد البشــريَّة الّتي انضــمَّت إلى محتويات المجتمع الإســلاميِّ، فصــارت تشــكِّل حملاً ضــخماً على عاتقه، وممَّا زاد الطِّين بلَّةً: أنَّه بالرَّغم من اندماج المسلمين في نسيج البلدان المفتوحة، حيث عاشوا في أوساطهم، وتزوَّجوا منهم، وتعلَّموا لغاتهم، ولبسوا ملابسهم، ومارسوا عاداتهم، إلا: أنَّه بالرَّغم من ذلك ؛ فقد كان تأثيرهم في أهل البلد المفتوح محدوداً في هذه الفترة المبكِّرة[1]، فلم ينل أهالي هذه البلاد المفتوحة حظاً وافراً من التَّربية، ولم تتشبَّع بروح الإسـلام كما هو حال الصَّــحابة من المهاجرين والأنصــار، وكذلك القبائل العربيَّة الّتي اختلطت بأهالي البلاد المفتوحة، وإذا كان الإسلام قد تمكَّن من صهر هذه القبائل المختلفة في بوتقةٍ لفترةٍ معيَّنةٍ، إلا أنَّه ممَّا يجب أن يوضــع في الحســبان: أنَّ عمليَّة التَّعليم، والتَّربية الّتي كانت تقودها القاعدة الصُّلبة من المهاجرين، والأنصار لم تكن قادرةً على اسـتيعاب هذه الأفواج الكبيرة، واحتوائها، فالموالي لم يتخلَّصـوا من كلِّ الأفكار، والعادات الّتي كانوا عليها في جاهليتهم، ويرجع ذلك إلى عدم التَّوازن بين حركة التوسُّـع الأفقي في فتح البلدان، وبين التوسُّـع الرَّأسـي في تعليم النَّاس، وتفقيههم من كتاب الله، وســنَّة رســوله(ﷺ)، على أنَّ حركة الجهاد لا بدَّ أن يصــحبها ويتبعها الدُّعاة، والمعلِّمون ليفقِّهوا النَّاس في دينهم، حتَّى لا يختلَّ ميزان التَّربية، وتحدث الخلخلة في الصــفِّ الإســلاميِّ، وتتوسَّــع الفجوة بين الفاتحين،

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .

وسكَّان الأراضي المفتوحة، ممَّا يتسبب في حدوث ظواهر سلبيَّةٍ تؤثِّر في تماسك الصَّف الإسلاميِّ، ووحدته السِّياسيَّة، والفكريَّة[1]، ولم يمكن تفادي هذا الجانب السَّلبيّ رغم وجود البذل، والحماس في ميدان التَّعليم، والتَّربية الإسلاميَّة، حيث كان التَّوسُّع في الأرض سريعاً، وواسعاً، فقد فتحت العراق وما وراءها، وبلاد الشَّام في سنواتٍ قليلةٍ معدودةٍ، فلم يكن في مقدرة الطَّاقة البشريَّة في ميدان التَّربية، والتَّعليم استيعاب الأعداد الهائلة من سكَّان تلك المناطق، وتعليمها[2] .

ومن أسباب ذلك: أنَّ الصَّحابة الّذين كان من المفروض أن يقوموا بهذه الأمانة قد قتل معظمهم في ميادين الجهاد، ولم يبقَ إلا أفرادٌ قليلون متفرِّقون تجمَّع حولهم المسلمون الّذين يحبُّون أن يتعلَّموا، فظهرت طبقة التَّابعين، ولأنَّ معظمهم مخلصون ؛ فقد كانوا في مقدِّمة ميادين الجهاد، فقتل أيضاً منهم مَنْ قتل[3]، كما لم يكن الزَّمن كافياً لترسيخ التَّعاليم الإسلاميَّة في نفوس كثيرٍ منهم، ممَّا ساعد، مع غيره من العوامل - على وجود خلخلةٍ فكريَّةٍ، وظواهر سلبيَّةٍ دخيلةٍ على النَّهج الإسلاميِّ، مما كان له الأثر في عدم استقرار الدَّولة، وظهر ذلك جلياً في السَّنوات الأخيرة من عهد عثمان رضي الله عنه[4] .

3. ظهور جيلٍ جديدٍ:

فقد حدث في المجتمع تغيُّر أكبر، ذلك: أنَّ جيلاً جديداً من النَّاس ظهر، وأخذ يحتلُّ مكانةً في المجتمع، وهو غير جيل الصَّحابة، جيلٌ يعيش في عصرٍ غير

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (358/1) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .
[3] اليمن في صدر الإسلام للشُّجاع ، ص(334) .
[4] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (359/1) .

العصر الّذي كانوا يعيشون فيه، ويتَّصف بما لا يتَّصفون به، فهو جيلٌ[1] يعتبر في مجموعه أقلَّ من الجيل الأوَّل الّذي حمل على كتفيه عبء بناء الدَّولة، وإقامتها، فقد تميَّز الجيل الأوَّل من المسـلمين بقوَّة الإيمان، والفهم السَّـليم لجوهر العقيدة الإسـلاميَّة، والاستعداد التَّامّ لإخضاع النَّفس لنظام الإسـلام المتمثِّل في القران، والسُّـنَّة، وكانت هذه الميِّزات أقلَّ ظهوراً في الجيل الجديد الّذي وُجد نتيجةً للفتوحات الواسعة، وظهرت فيه المطامع الفرديَّة، وبُعثت فيه العصـبيَّة للأجناس، والأقوام، وبعضهم يحملون رواسب كثيرةً من رواسب الجاهليَّة الّتي كانوا عليها. ولم ينالوا من التَّربية الإسـلاميَّة على العقيدة الصَّـحيحة السَّـليمة مثل ما نال الرَّعيل الأوَّل من الصَّـحابة رضـي الله عنهم على يد رسـول الله(ﷺ)، وذلك لكثرتهم، وانشغال الفاتحين بالحروب، والفتوحات الجديدة[2]، فالصَّحابة كانوا أقلَّ فتناً من سائر مَنْ بعدهم، فإنَّه كلَّما تأخَّر العصر عن النُّبوَّة كثر التَّفرُّق، والخلاف[3].

كان الجيل الجديد لا يرضى بالواقع الّذي كان يتَّسم به جيل الّذين سبقوه، فقد اعتاد على غير ما اعتادوا عليه، فتكوَّنت عقليَّةٌ جديدةٌ، ومفهومٌ جديدٌ للحياة، وهو مفهومٌ قد ابتعد عن العقليَّة الّتي كانت سائدةً في عصر الرَّاشدين الأوَّلين، فأصبح لا يفهم تلك العقليَّة، ولا يستطيع تشرُّبها، ولا يسعه أن يذعن لحكمها[4]، ولذلك انضمَّ المنحرفون من الجيل الجديد لدعاة الفتنة .

---

[1] الدَّولة الأمويَّة ، يوسف العش ، ص(132) .
[2] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (356/1) .
[3] ذو النُّورين عثمان بن عفَّان ، مال الله ، ص(99) .
[4] الدَّولة الأمويَّة ، يوسف العش ، ص(133) .

4. استعداد المجتمع لقبول الشَّائعات:

وهكذا ندرك من خلال هذا الخليط غير المتجانس في نسيج المجتمع: أنَّه صار مهيَّئاً للهزَّات، مستعدّاً للاضطراب، قابلاً لتلقِّي الإذاعات، والأقاويل والشَّائعات[1]، وهذا ما يعبِّر عنه بوضوح ابن تيميَّة قائلاً: ولهذا لما كان النَّاس في زمن أبي بكرٍ، وعمر - اللَّذين أُمر المسلمون بالاقتداء بهما، كما قال رسول الله(ﷺ): « اقتدوا باللَّذين من بعدي: أبي بكرٍ، وعمر » - أقرب عهداً بالرِّسالة، وأعظم إيماناً، وصلاحاً، وأئمَّتهم أقوم بالواجب، وأثبت في الطُّمأنينة لم تقع فتنةٌ، إذ كانوا في حكم القسط (أي: النُّفوس المطمئنَّة) .

ولما كان في اخر خلافة عثمان، وخلافة عليٍّ ؛ كثر القسم الثالث (أهل النَّفس اللَّوَّامة الّتي تخلط عملاً صالحاً، واخر سيئاً) فصار فيهم شهوةٌ، وشبهةٌ مع الإيمان، والدِّين، وصار ذلك في بعض الولاة، وبعض الرَّعايا، ثمَّ كثر هذا القسم؛ (الّذي خلط عملاً صالحاً، واخر سيئاً) بعد، فنشأت الفتنة الّتي سببها ما تقدَّم من عدم تمحيص التَّقوى، والطَّاعة في الطَّرفين، واختلاطهما بنوعٍ من الهوى، والمعصية في الطَّرفين، وكلٌّ منهم متأوِّلٌ، وأنَّه يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأنَّه مع الحقِّ، والعدل، ومع هذا التَّأويل نوعٌ من الهوى، ففيه نوعٌ من الظنِّ، وما تهوى الأنفس، وإن كانت إحدى الطَّائفتين أولى بالحقِّ من الأخرى[2]، ويوضِّح هذا الواقع بدقَّةٍ أكثر ذلك الحوار الّذي دار بين أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالب،

---

[1] دراسات في عهد النُّبوة ، والخلافة الرَّاشدة ، ص(382) .
[2] مجموع فتاوى ابن تيميَّة (148/28 ، 149) .

وأحد أتباعه، قال الرَّجل: ما بال المسـلمين اختلفوا عليك، ولم يختلفوا على أبي بكرٍ، وعمر ؟ قال عليٌّ: لأنَّ أبا بكرٍ، وعمر كانا واليين على مثلي، وأنا اليوم والٍ على مثلك[1] . وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان مدركاً لما يدور في وسـط المجتمع حيث قال في رسـالته إلى الأمراء: أمَّا بعد، فإنَّ الرَّعيَّة قد طعنت في الانتشـار، ونزعت إلى الشَّـره، وأَعْدَاها على ذلك ثلاث: دنيا مؤثرةٌ، وأهواءٌ مسرعةٌ، وضغائن محمولةٌ، يوشك أن تنفر، فَتُغيَّر[2].

ثالثاً: مجيء عثمان بعد عمر، رضي الله عنهما:

كان مجيء عثمان رضـي الله عنه مباشـرةً بعد عمر بن الخطَّاب رضـي الله عنه واختلاف الطَّبع بينهما مؤدِّياً إلى تغيُّر أسلوبهما في معاملة الرَّعية، فبينما كان عمر قوي الشَّـكيمة، شـديد المحاسـبة لنفسـه، ولمن تحت يديه، كان عثمان ألين طبعاً، وأرقَّ في المعاملة، ولم يكن يأخذ نفسـه، أو يأخذ النَّاس بما يأخذهم به عمر حتَّى يقول عثمان لنفسـه: يرحم الله عمر ! ومن يطيق ما كان عمر يطيق[3] ؟ ! لكن النَّاس، وإن رغبوا في الشَّوط الأوَّل من خلافته ؛ لأنَّه لان معهم، وكان عمر رضي الله عنه شديداً عليهم حتَّى أصبحت محبَّته مضرب المثل .

فقد أنكروا عليه بعد ذلك، ويرجع هذا إلى نشـأة عثمان في لطفه، ولين عريكته، ورقَّة طبعه، ودماثة خُلقه، ممَّا كان له بعض الأثر في مظاهر الفرق عند الأحداث بين عهده، وعهد سلفه عمر بن الخطَّاب، وقد أدرك عثمان ذلك حين

---

[1] مقدمة ابن خلدون ، ص(189) .
[2] التَّمهيد والبيان ، ص(64) .
[3] تاريخ الطَّبري (418/5) .

قال لأقوامٍ سجنهم: أتدرون ما جرَّأكم عليَّ ؟ ما جرَّأكم عليَّ إلا حلمي[1] .

وحين بدت نوايا الخارجين وقد ألزمهم عثمان الحجَّة في ردَّه على الماخذ الّتي أخذوها عليه أمام الملأ من الصَّحابة والنَّاس، أبى المسلمون إلا قتلهم، وأبى عثمان إلا تركهم ؛ لحلمه، ووداعته قائلاً: بل نعفو، ونقبل، ولنبصـــرهم بجهدها، ولا نحادِّ أحداً حتَّى يركب حدّاً، أو يبدي كفراً[2] .

رابعاً: خروج كبار الصَّحابة من المدينة:

كان عمر رضـي الله عنه قد حجر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج في البلدان إلا بإذنٍ، وأجلٍ، فشكوه، فبلغه، فقام، فقال: ألا إنِّي قد سننت الإسلام سَنَّ البعير، يبدأ فيكون جذعاً، ثم ثَنِيّاً، ثمَّ رباعيّاً، ثمَّ سدسيّاً، ثم بازلاً[3]. ألا فهل ينتظر بالبازل إلا النقصــان، ألا فإنَّ الإســلام قد بَزَل، ألا وإنَّ قريشــاً يريدون أن يتَّخذوا مـال الله معوناتٍ دون عباده، ألا فأمَّا وابن الخطاب حيٌّ فلا، إنِّي قـائمٌ دون شِعب الحرَّة، اخذ بحلاقيم[4] قريش، وَحُجَزِها أن يتهافتوا في النَّار[5].

لقد كان عمر يخاف على هؤلاء الصَّــحابة من انتشـــارهم في البلاد المفتوحة، وتوسُّعهم في القطاع والضِّياع، فكان يأتيه الرَّجل من المهاجرين، وهو ممَّن حبس في المدينة، فيســتأذنه في الخروج، فيجيبه عمر: لقد كان لك في غزوك مع رســول الله

---

(1) تاريخ الطَّبري (250/5) .
(2) تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (364/1) .
(3) البازل: الَّذي انشقَّ نابه بدخوله في التَّاسعة .
(4) الحلاقيم: جمع حلقوم .
(5) تاريخ الطَّبري (413/5) .

ما يبلغك، وخيرٌ لك من الغزو اليوم ألا ترى الدُّنيا، ولا تراك[1] .

وأمَّا عثمان فقد سمح لهم بالخروج، ولان معهم، يقول الشَّعبيُّ: فلمَّا ولي عثمان، خلَّى عنهم، فاضطربوا في البلاد، وانقطع إليهم النَّاس، فكان أحبَّ إليهم من عمر[2]، فكان من نتائج هذا التوسُّع أن اتَّخذ رجالٌ من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم النَّاس[3] .

وفي روايةٍ: فلمَّا ولي عثمان لم يأخذهم بالّذي كان يأخذهم عمر، فانساحوا في البلاد، فلمَّا رأوها، ورأوا الدُّنيا، وراهم النَّاس انقطع إليهم من لم يكن له طَوْلٌ، ولا مَزِيَّةٌ في الإسلام، فكان مغموماً (مغموراً) في النَّاس، وصاروا أوزاعاً إليهم، وأمَّلوهم،وتقدَّموا في ذلك، فقالوا: يملكون، فنكون قد عرفناهم، وتقدَّمنا في التَّقريب، والانقطاع إليهم، فكان ذلك أوَّل وهنٍ دخل في الإسلام، وأوَّل فتنة كانت في العامَّة ليس إلا ذلك[4] .

خامساً: العصبية الجاهليَّة:

يقول ابن خلدون: لما استكمل الفتح، واستكمل للملَّة الملك، ونزل العرب بالأمصار في حدود ما بينهم وبين الأمم من البصرة، والكوفة، والشَّام، ومصر، وكان المختصُّون بصحبة الرَّسول(ﷺ) والاقتداء بهديه، وادابه: المهاجرين، والأنصار، وقريش، وأهل الحجاز، ومن ظفر بمثل ذلك مِنْ غيرهم، وأمَّا سائر

---

[1] تاريخ الطَّبري (414/5) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] المصدر السَّابق نفسه .

العرب من بني بكر بن وائل، وعبد القيس، وسائر ربيعة، والأزد، وكندة، وتميم، وقضاعة، وغيرهم فلم يكونوا في تلك الصحبة بمكانٍ إلا قليل منهم . وكانت لهم في الفتوحات قدمٌ، فكانوا يرون ذلك لأنفسهم مع ما يدين به فضلاؤهم من تفضيل أهل السَّابقة، ومعرفة حقِّهم، وما كانوا فيه من الذُّهول، والدَّهش لأمر النُّبوَّة، وتردُّد الوحي، وتنزُّل الملائكة، فلمَّا انحصر ذلك العباب، وتنوسي الحال بعض الشَّيء، وذل العدوُّ، واستفحل الملك ؛ كانت عروق الجاهليَّة تنبض، ووجدوا الرِّياسة عليهم من المهاجرين، والأنصار، وقريش، وسواهم، فأنفت نفوسهم منه، ووافق ذلك أيَّام عثمان، فكانوا يُظهرون الطعن في ولاته بالأمصار، والمؤاخذة لهم باللَّحظات، والخطوات، والاستبطاء عليهم بالطَّاعات، والتَّجنِّي بسؤال الاستبداد منهم، والعزل، ويفيضون في النَّكير على عثمان، وفشت المقالة في ذلك في أتباعهم، وتناولوا بالظُّلم في جهاتهم، وانتهت الأخبار بذلك إلى الصَّحابة بالمدينة، فارتابوا، وأفاضوا في عزل عثمان، وحمله على عزل أمرائه، وبعث إلى الأمصار من يأتيه بالخبر ... فرجعوا إليه فقالوا: ما أنكرنا شيئاً، ولا أنكره أعيان المسلمين، ولا عوامُّهم[1].

سادساً: توقُّف الفتوحات:

حين توقَّفت الفتوح في أواخر عهد عثمان أمام حواجز طبيعيَّة، أو بشريَّة لم تتجاوزها، سواءٌ في جهات فارس، وشمالي بلاد الشَّام، أو في جهة إفريقية، توقفت الغنائم على أثرها، فتساءل الأعراب، أين ذهبت الغنائم القديمة ؟ أين ذهبت

[1] تاريخ ابن خلدون (477/2) .

الأراضـي المفتوحة الّتي يعدُّونها حقّاً من حقوقهم[1]، وانتشـرت الشّـائعات الباطلة الّتي اتهمت عثمان رضـي الله عنه بأنَّه تصرف في الأراضـي الموقوفة على المسـلمين وفق هواه، وأنه أقطع منها لمن شـــاء من النَّاس، وقد كان لها أثرٌ، ووقعٌ على الأعراب، خاصَّـــةً وأنَّ معظمهم بقي بدون عملٍ يقضـــون شـــطراً من وقتهم في الطَّعام، والنَّوم، والشَّطر الاخر بالخوض في سياسة الدَّولة، والحديث عن تصرُّفات عثمان الّتي كانت تهوِّلها السَّـــبئيَّة، وقد أدرك أحد عمَّال عثمان هذا الأمر، وهو عبد الله بن عامر، فأشـــار على الخليفة حيث طلب من عماله – وهم وزراؤه، ونصـــحاؤه – أن يجتهدوا في ارائهم، ويشـــيروا عليه، فأشـــار عليه أن يأمر النَّاس بالجهاد، ويجمهرهم في المغازي حتَّى لا يتعدَّى همُّ أحدهم قمل فروة رأســـه، ودبرة دابَّته[2] .

وفي ذلـك الجو من الحـديث، والفكر عنـد أفراد تعوَّدوا الغزو، ولم يفقهوا من الدِّين شـيئاً كثيراً يمكن أن يُتوقَّع كلُّ سـوءٍ، ويكفي أن يحرَّك هؤلاء الأعراب، وأن يُوجَّهوا توجيهاً، فإذا هم يثورون، ويحدثون القلاقل والفتن، وهذا ما حدث بالفعل، فإنَّ الأعراب – بسـبب توقُّف الفتوحات – سـاهموا في بوادر الفتنة الأولى، وكانوا سبباً من أسباب اندلاعها[3] .

سابعاً: المفهوم الخاطئ للورع:

الورع في الشَّـريعة طيِّبٌ ؛ وهو أن يُترك ما لا بأس به، مخافة ممَّا فيه بأس، وهو

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (344/1) .
[2] تاريخ الطَّبري (340/2) .
[3] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ص(353) .

في الأصل ترفُّع عن المباحات في الله، ولله، والورع شيءٌ شخصيٌّ يصحُّ للإنسان أن يطالب به نفســـه، ولكن لا يصـــحُّ أن يطالب به الاخرين، ومن أخطر أنواع الورع: الورع الجاهل الّذي يجعل المباح حراماً، أو مفروضـــاً، وهذا الّذي وقع فيه أصـــحاب الفتنة[1]، فقد اســـتغلّ أعداء الإســـلام يومها مشـــاعرهم هذه، ونفخوا فيها، فرأوا فيما فعله عثمان من المباحات، أو المصـــالح خروجاً على الإســـلام، وتغييراً لسنَّة من سبقه، وعظمت هذه المسائل في أعين الجهلة، فاستباحوا – أو أعانوا من اســـتباح – دم الخليفة الرَّاشـــد عثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه، وفتحوا على المسلمين باب الفتنة إلى اليوم، وهذا الورع الجاهل نلاحظه اليوم في تصرفات بعض المسلمين الّذين يصرُّون على تكييف أحكام الإسلام وفق ما يشتهون، أو يكرهون، أو وفق عاداتهم، وتقاليدهم[2].

ثامناً: طموح الطَّامحين:

وجد في الجيل الثاني من أبناء الصَّحابة رضي الله عنهم من يعتبر نفسه جديراً بالحكم، والإدارة، ووجد أمثال هؤلاء أنَّ الطريق أمامهم مغلقٌ، وفي العادة أنَّه متى وجد الطَّامحون الّذين لا يجدون لطموحهم متنفَّســـاً، فإنَّهم يدخلون في كلِّ عملية تغيير، ومعالجة أمر هؤلاء في غاية الأهميَّة[3] .

(1) الأساس في السُّنَّة (1676/4) .
(2) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(517) .
(3) الأساس في السُّنَّة (1676/4) .

تاسعاً: تامر الحاقدين:

لقد دخل في الإســــلام منافقون موتورون اجتمع لهم من الحقد، والذَّكاء، والدَّهاء، ما استطاعوا به أن يدركوا نقاط الضَّعف الّتي يستطيعون من خلالها أن يوجدوا الفتنة، ووجدوا من يســتمع إليهم باذانٍ صــاغيةٍ، فكان من اثار ذلك ما كان[1]، فقد عرفنا ســابقاً وجود يهود، ونصــارى، وفرس، وهؤلاء جميعاً معروفٌ باعث غيظهم، وحقدهم على الإسلام، والدَّولة الإسلاميَّة.

ولكنَّنا هنا نضيف من وقع عليه حدٌّ، أو تعزيرٌ لأمرٍ ارتكبه في وسط الدَّولة، وعاقبه الخليفة، أو ولاته في بعض الأمصــار وبالذَّات البصــرة، والكوفة، ومصــر، والمدينة، فاستغلَّ أولئك الحاقدون من يهود، ونصارى، وفرس، وأصحاب الجرائم مجموعاتٍ من النَّاس كان معظمهم من الأعراب، ممَّن لا يفقهون هذا الدِّين على حقيقته، فتكوَّنت لهؤلاء جميعاً طائفةٌ، وصفت من جميع من قابلهم بأنَّهم أصحاب شـرٍّ، فقد وُصِـفُوا: بالغوغاء من أهل الأمصـار، ونزَّاع القبائل، وأهل المياه، وعبيد المدينة[2]، وبأنهم ذؤبان العرب[3]، وأنَّهم حثالة النَّاس ومتَّفقون على الشَّــرِّ[4]، وســـفهاءٌ عديمو الفقه[5]، وأراذل من أوباش القبائل[6]، فهم أهل جفاءٍ، وهمجٍ، ورعاعٍ من غوغاء القبائل، وسفلة الأطراف الأراذل[7]، وأنَّهم الة الشَّيطان[8]، وقد

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] دراساتٌ في عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة ، ص(392) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] الطَّبقات (71/3) هذا وصف ابن سعد .
[5] دراساتٌ في عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة ، ص(392) .
[6] شذرات الذَّهب (40/1) هذا وصف ابن العماد .
[7] شرح صحيح مسلم (148/15 ، 149) .
[8] تاريخ الطَّبري (327/5) .

تردَّد في المصـادر اسـم عبد الله بن سـبأ الصَّنعاني اليهوديّ ضـمن هؤلاء الموتورين الحاقدين، وأنَّه كان من اليهود، ثمَّ أسـلم، ولم يُنقِّب أحدٌ عن نواياه، فتنقَّل بين البلدان الإسلاميَّة باعتباره أحد أفراد المسلمين[1]، وسيأتي الحديث عنه في مبحثٍ مستقلٍّ بإذن الله .

عاشراً: التَّدبير المحكم لإثارة الماخذ ضدَّ عثمان رضي الله عنه:

كان المجتمع مهيَّئاً لقبول الأقاويل، والشَّـائعات نتيجة عوامل وأسـبابٍ متداخلةٍ، وكانت الأرض مهيّأةً، ونسيج المجتمع قابلاً لتلقي الخروقات، وأصحاب الفتنة أجمعوا على الطَّعن في الأمراء بحجَّة الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، حتَّى استمالوا النَّاس إلى صفوفهم، ووصل الطَّعن إلى عثمان بن عفَّان رضـي الله عنه نفسـه باعتباره قائد الدَّولة، وإذا ما حصـرنا الدَّعاوى الّتي رُوِّجت ضـد الخليفة، وطعنوه بها، **فيمكننا تصنيفها إلى مجموعاتٍ خمس:**

1. مواقف شخصيَّة له قبل توليه الخلافة (تغيُّبه عن بعض الغزوات، والمواقع).

2. سياسته الماليَّة: الأعطيات، الحِمَى .

3. سياسته الإدارية النَّافذة: تولية أقربائه، طريقته في التَّولية .

4ـ اجتهادات خاصَّة به، أو بمصلحة الأمَّة (إتمام الصَّلاة بمنى، جمع القران، الزِّيادة في المسجد) .

[1] دراساتٌ في عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة ، ص(394) .

5. معاملته لبعض الصَّحابة: عمَّار، أبي ذرٍّ، ابن مسعودٍ[1] .

وقد بيَّنت موقف عثمان في كلٍّ ما وجه إليه في موضـــعه، ولم يبق إلا عمَّارٌ رضـي الله عنه وسـيأتي الحديث عنه بإذن الله . وقد حدث تزيُّد في إبراز المطاعن على عثمان رضي الله عنه سواءٌ في عهده، وما واجهوه بها، وردُّه عليها في حينه، أو ما تُقوِّل عليه فيما بعد عند الرُّواة، والكتَّاب، فإنَّها لم تصحَّ، ولم تصل إلى حدِّ أن تكون سبباً في قتله[2] .

إنَّ الماخذ السَّـــابقَ ذكرها والمدوَّنة في تاريخ الطَّبري، وغيره من كتب التَّاريخ والمرويَّة عن طريق المجاهيل، والإخباريِّين الضُّعفاء – خاصَّـةً الإماميَّة – كانت وما تزال بليَّةً عظمى على الحقائق في سِـــيَرَ الخلفاء والأئمَّة، خاصَّـــةً في مراحل الاضـطرابات والفتن، وقد كان مع الأسـف لسـيرة عثمان أمير المؤمنين رضـي الله عنه من ذلك الحظُّ الوافر، فرواية الحوادث، ووضـــع الأباطيل على النَّهج الملتوي بعض ما نال تلك السِّـــيرة النَّيِّرة من تحريف المنحرفين، وتشـــويه الغالين ؛ بغية التأليب عليه، أو التَّشـهير به وقد أدرك عثمان رضـي الله عنه بنفسـه ذلك عندما كتب إلى أمرائه: أمَّا بعد، فإنَّ الرَّعية طعنت في الانتشـــار، ونزعت إلى الشـــرِّ؛ أعداها على ذلك ثلاث: دنيا مؤثرةٌ، وأهواءٌ متسـرِّعةٌ، وضـغائن محمولةٌ[3]، وقال ابن العربيِّ عن تلك الماخذ جملةً: قالوا متعدِّين متعلِّقين برواية كذَّابين: جاء عثمان في ولايته بمظالم، ومناكير... هذا كلُّه باطلٌ سنداً، ومتناً[4].

---

[1] المصدر السابق نفسه .
[2] دراسات في عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة ، ص(400) .
[3] التمهيد والبيان ، ص(64) .
[4] العواصم من القواصم ، ص(61 - 63) .

وقد بيَّن ابن تيميَّة بأنَّ عثمان رضـي الله عنه ليس معصـوماً، فقال: والقاعدة الكلِّيَّة في هذا ألا نعتقد أنَّ أحداً معصـــومٌ بعد النَّبيّ(ﷺ)، بل الخلفاء، وغير الخلفاء يجوز عليهم الخطأ، والذُّنوب الّتي تقع منهم قد يتوبون منها، وقد تُكفَّر عنهم بحسناتهم الكثيرة، وقد يبتلون أيضاً بمصائب يُكَفِّر الله بها، وقد يُكَفَّر عنهم بغير ذلك، فكلُّ ما ينقل عن عثمان غايته أن يكون ذنباً، أو خطأً، وعثمان رضي الله عنه قد حصـلت له أسـباب المغفرة من وجوهٍ كثيرةٍ، منها سـابقته، وإيمانه، وجهاده، وغير ذلك من طاعته، وقد ثبت أنَّ النَّبيّ(ﷺ) شهد له، بل بشَّره بالجنَّة على بلوى تصـيبه[1]، ومنها: أنَّه تاب من عامَّة ما أنكروه عليه، وأنَّه ابتلي ببلاءٍ عظيم، فكفَّر الله به خطاياه، وصـبر حتى قتل شـهيداً مظلوماً، وهذا من أعظم ما يكفِّر الله به الخطايا[2] .

الحادي عشر: استخدام الأساليب والوسائل المهيِّجة للنَّاس:

وأهم هذه الأسـاليب: إشـاعة الأراجيف، حيث تردَّدت كلمة الإشـاعة، والإذاعة كثيراً، والتَّحريض، والمناظرة، والمجادلة للخليفة أمام النَّاس، والطَّعن على الولاة، واستخدام تزوير الكتب، واختلاقها على لسان الصَّحابة رضي الله عنهم عائشة، وعليٍّ، وطلحة، والزبير، والإشاعة بأنَّ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه الأحقُّ بالخلافة، وأنَّه الوصيُّ بعد رسول الله(ﷺ)، وتنظيم فرقٍ في كلٍّ من البصرة، والكوفة، ومصـر ؛ أربع فرق من كلٍّ مصـر ممَّا يدلُّ على التَّدبير المسـبق، وأوهموا أهل المدينة: أنَّهم ما جاؤوا إلا بدعوة الصَّحابة، وصعَّدوا الأحداث، حتَّى وصل

(1) مسلمٌ ، كتاب فضائل الصَّحابة (1867/4 - 1869) .
(2) ذو النُّورين عثمان بن عفَّان ، محمد مال الله ، ص(63) .

الأمر إلى القتل[1] .

وإلى جوار هذه الوسائل استخدموا مجموعة من الشِّعارات منها: التَّكبير، ومنها: أنَّ جهادهم هذا ضدَّ المظالم، ومنها: أنَّهم لا يقومون إلا بالأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، ومنها: المطالبة باستبدال الولاة، وعزلهم، ثمَّ تطورت المطالبة إلى خلع عثمان، إلى أن تمادوا في جرأتهم، وطالبوا، بل سارعوا إلى قتل الخليفة، وخاصَّةً حينما وصلهم الخبر بأنَّ أهل الأمصار قادمون لنصرة الخليفة، فزادهم حماسهم المحموم لتضييق الخناق على الخليفة، والتَّشوُّق إلى قتله بأيِّ وسيلةٍ[2].

الثاني عشر: أثر السَّبئية في أحداث الفتنة:

1. السَّبئيَّة حقيقةٌ، أم خيال ؟:

أجمع القدماء على وجوده بلا استثناء – عبد الله بن سبأ –، وخالف في ذلك قلَّةٌ من المعاصرين أكثرهم من الشِّيعة، وحجَّة من أنكره: أنَّه من إبداع مخيِّلة سيف بن عمر التَّميميِّ، وذلك لانتقاد بعض علماء الرِّجال له في مجال رواية الحديث إلا أنَّ العلماء يعدونه حجَّةً في الأخبار، علماً بأنَّه وردت رواياتٌ كثيرةٌ عند ابن عساكر تذكر عبد الله بن سبأ، وليس (سيف بن عمر) من الرُّواة، وقد حكم الشَّيخ الألباني على بعضها بأنَّها صحيحةٌ من حيث السَّند، هذا غير الرِّوايات الكثيرة عن ابن سبأ في كتب الشِّيعة سواءٌ في كتب الفرق، أو الرِّجال، أو الحديث

---

[1] دراسات في عهد النُّبوَّة والخلافة الرَّاشدة ، ص(401) . كتاب الإنقاذ من دعاوى الإنقاذ للتَّاريخ الإسلاميِّ ، رد على حسن بن فرحان المالكي ، للدُّكتور/سليمان بن حمد العودة ، وقد ذكر في ردِّه الطرق الَّتي عرضت على الألباني - رحمه الله - وحكم عليها.

[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(402) .

عندهم، وليس فيها عمر هذا لا من قريبٍ، ولا من بعيدٍ .

وقد شكَّك بعض الباحثين في عبد الله بن سبأ[1]، وقالوا بأنَّه شخصيَّةٌ وهميَّةٌ وأنكروا وجوده، بدون حجَّةٍ، أو برهان، وأضاف الّذين أنكروا شخصيَّة ابن سبأ، وهم طائفة من المستشرقين، وفئةٌ من الباحثين العرب، وغالبية الشِّيعة المعاصرين: أنَّه شخصيَّةٌ وهميَّةٌ لم يكن لها وجود، فأين بلغ هؤلاء من قلَّة الحياء، والجهل، وقد ملأت ترجمته كتب التَّاريخ، والفرق، وتناقلت أفعاله الرُّواة، وطبَّقت أخباره الافاق، لقد اتَّفق المؤرخون، والمحدِّثون، وأصحاب كتب الفرق، والملل والنِّحل، والطَّبقات، والأدب، والأنساب الّذين تعرَّضوا للسَّبئيَّة على وجود شخصيَّة عبد الله بن سبأ ؛ الّذي ظهر في كتب أهل السُّنَّة، كما ظهر في كتب الشِّيعة شخصيَّةً تاريخيَّةً حقيقيَّةً، ولهذا فإنَّ أخبار الفتنة، ودور ابن سبأ فيها لم تكن قصراً على تاريخ الإمام الطَّبريِّ، واستناداً إلى روايات سيف بن عمر التَّميمي فيه، وإنَّما هي أخبارٌ منتشرةٌ في روايات المتقدِّمين، وفي ثنايا الكتب الّتي رصدت أحداث التَّاريخ الإسلاميِّ، واراء الفرق، والنِّحل في تلك الفترة، إلا أنَّ ميزة تاريخ الإمام الطَّبريِّ على غيره: أنَّه أغزرها مادَّةً، وأكثرها تفصيلاً لا أكثر، ولهذا فإنَّ التَّشكيك في هذه الأحداث بلا سندٍ، وبلا دليلٍ إنَّما يعني الهدم لكلِّ تلك الأخبار، والتَّسفيه بأولئك المخبرين، والعلماء، وتزييف الحقائق التَّاريخية، فمتى كانت المنهجيَّة ضرباً من ضروب الاستنتاج العقليِّ المحض في مقابل النُّصوص، والرِّوايات المتضافرة ؟ ! وهل تكون المنهجيَّة في الضَّرب صفحاً والإعراض عن المصادر الكثيرة المتقدِّمة،

[1] عبد الله بن سبأ الملقب بابن السَّوداء ، يهوديٌّ من صنعاء ، أظهر إسلامه في زمن عثمان بن عفَّان ، ظهر له نشاط ملحوظٌ في الشَّام ، والعراق ، ومصر خاصَّةً ، يرسم خططاً ، ويدلي باراء هدَّامة ، ليلفت المسلمين عن دينهم ،وطاعة خليفتهم ، ويوقع بينهم الفرقة ، والخلاف . تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (284/1) .

والمتأخِّرة الَّتي أثبتت لابن سبأ شخصيَّةً واقعيَّةً ؟ ![1]، وقد جاء ذكر ابن سبأ في كتب أهل السُّنة كثيراً، منها:

ـ جاء ذكر السَّبئيَّة على لسان أعشى همدان[2]، المتوفَّى عام 83 هـ وقد هجا المختار بن أبي عبيد الثقفي وأنصــاره من أهل الكوفة بعدما فرَّ مع أشــراف قبائل الكوفة إلى البصرة بقوله:

شَهِدْتُ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ سَبَئِيَّةٌ وَأَنِّي بِكُمْ يَا شُرْطَةَ الْكُفْرِ عَارِفُ[3]

وهناك روايةٌ عن الشَّعبيّ المتوفَّى عام 103 هـــ (721م) تفيد: أنَّ أوَّل من كذب عبد الله بن سبأ[4] . وتحدَّث ابن حبيبٍ[5] المتوفى عام 245 هـ (860م) عن ابن سبأ حينما اعتبره أحد أبناء الحبشيَّات[6] . كما روى أبوعاصم خُشيش بن أصرم المتوفَّى سنة 253 هـ خبر إحراق عليٍّ رضي الله عنه لجماعةٍ من أصحاب ابن سبأ في كتابه الاستقامة[7]، ويعتبر الجاحظ[8] المتوفى سنة 255 هـــ من أوائل من أشــار إلى عبد الله بن ســبأ[9]، ولكن روايته ليســت أقدم رواية عن ابن ســبأ، كما يرى الدُّكتور جواد علي[10] .

---

[1] تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (70/1) .

[2] هو عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث الهمدانيُّ: المعروف بأعشى همدان: شاعرٌ فارسيٌّ ، أحد الفقهاء القرَّاء ، لكنَّه قال الشِّعر ، وعرف به ، قال الذَّهبي: شاعر مفوَّه شهيرٌ ، كان متعبِّداً فاضلاً ، قتل عام 83هـ .

[3] ديوان أعشى همدان ، ص(148) .

[4] تاريخ دمشق ، لابن عساكر (331/9) .

[5] محمد بن حبيب بن أميَّة الهاشمي عالمٌ بالأنساب ، والأخبار ، واللُّغة ، والشِّعر توفي عام 245هـ ، تاريخ بغداد (277/2) .

[6] المحبّر ، لابن حبيب ، ص(308) ، عبد الله بن سبأ ، العودة ، ص(53) .

[7] هو خشيش بن أصرم بن الأسود النَّسائي ، ترجم له الذَّهبي ، تذكرة الحفَّاظ (551/2) . وشذرات الذَّهب (129/2) .

[8] هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، من أئمَّة الأدب ، والعلم توفي عام 255هـ . وفيات الأعيان (470/3) .

[9] البيان والتَّبيين (81/3) .

[10] تحقيق مواقف الصَّحابة (290/1) . عبد الله بن سبأ ، للعودة ، ص(53) .

وخبر إحراق عليّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه لطائفة من الزَّنادقة تكشف عنه الرِّوايات الصَّحيحة في كتب الصِّحاح، والسُّنن، والمسانيد[1]، ولفظ الزَّندقة ليس غريباً عن عبد الله بن سبأ، وطائفته، يقول ابن تيميَّة: إنَّ مبدأ الضلال إنَّما كان من الزِّنديق عبد الله بن سبأ[2] .

ويقول الذَّهبي: عبد الله بن سبأ من غُلاة الزَّنادقة، ضالٌّ مضلٌّ[3] . ويقول ابن حجر: عبد الله بن سبأ من غُلاة الزَّنادقة ... وله أتباعٌ يقال لهم: السَّبئيَّة معتقدون الإلهية في عليّ بن أبي طالبٍ، وقد أحرقهم عليٌّ بالنَّار في خلافته[4]، ويوجد لابن سبأ ذكرٌ في كتب الجرح، والتعديل، يقول ابن حبان المتوفى 354 هـ. وكان الكلبيُّ – محمد بن السَّائب الإخباري – سبئيّاً، من أصحاب عبد الله بن سبأ، من أولئك الّذين يقولون: إنَّ عليّاً لم يمت، وإنَّه راجعٌ إلى الدُّنيا قبل قيام السَّاعة ... وإن رأوا سحابةً، قالوا: أمير المؤمنين فيها[5] ...، كما أنَّ كتب الأنساب هي الأخرى تؤكِّد نسبة (السَّبئيَّة) إلى عبد الله بن سبأ، ومنها على سبيل المثال كتاب (الأنساب للسَّمعانيّ)[6] المتوفى عام 562 هـ[7]، وعرَّف ابن عساكر المتوفى عام 571 هـ ابن سبأ بقوله: عبد الله بن سبأ الّذي تنسب إليه السَّبئيَّة، وهم الغُلاة من الرَّافضة، أصله من اليمن، كان يهوديّاً، وأظهر الإسلام[8] .

---

(1) تحقيق مواقف الصَّحابة (290/1) .

(2) مجموع الفتاوى (483/28) .
(3) ميزان الاعتدال للذَّهبي (426/2) .
(4) لسان الميزان (290/3 - 389) .
(5) المجروحين (253/2) .
(6) عبد الكريم بن محمد السَّمعاني ، توفي عام 562هـ . وتذكرة الحفَّاظ (1316/4) .
(7) الأنساب (24/7) .
(8) تاريخ دمشق (328/9 - 329) .

ولم يكن سيف بن عمر هو المصدر الوحيد لأخبار عبد الله بن سبأ ؛ إذ أورد ابن عساكر في تاريخه رواياتٍ لم يكن سيف فيها، وهي تثبت ابن سبأ، وتؤكِّد أخباره[1]، ويذكر شيخ الإسلام ابن تيميَّة المتوفى سنة 728 هـ: أنَّ أصل الرَّفض من المنافقين الزَّنادقة، فإنَّه ابتداعُ ابن سبأ الزِّنديق، وقد أظهر الغلوَّ في عليٍّ ودعا لإمامته، والنَّص عليها، وادَّعى العصمة له[2] .

ويشير الشَّاطبيُّ[3]، المتوفَّى عام 790 هـ إلى أن بدعة السَّبئيَّة من البدع الاعتقاديَّة المتعلِّقة بوجود إله مع الله – تعالى الله – وهي بدعةٌ تختلف عن غيرها من المقالات[4] .

وفي خطط المقريزي المتوفى عام 845 هـ أنَّ عبد الله بن سبأ قام في زمن عليٍّ محدثاً القول بالوصيَّة، والرَّجعة، والتَّناسخ[5] .

وأمَّا المصادر الشِّيعيَّة الَّتي ذكرت ابن سبأ: فقد روى الكشِّيُّ عن محمَّد بن قولوي، قال: حدَّثني سعد بن عبد الله، قال: حدَّثني يعقوب بن يزيد، ومحمَّد بن عيمن، عن عليِّ بن مهزيار، عن فضالة بن أيوب الأزديِّ، عن أبان بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: لعن الله عبد الله بن سبأ، إنَّه ادَّعى الرُّبوبية في أمير المؤمنين، وكان والله أميرُ المؤمنين عبداً طائعاً . الويل لمن كذب علينا ! وإنَّ قوماً يقولون فينا ما لا نقول في أنفسنا نبرأ إلى الله منهم[6] والرِّواية من حيث السَّند

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة (298/1) .
[2] مجموع فتاوى (435/4) .
[3] إبراهيم بن موسى ، محمد الغرناطي ، توفي عام 790هـ .
[4] الاعتصام (197/2) .
[5] المواعظ والاعتبار (256/2 - 357) .
[6] رجال الكشي (324/1) .

صحيحةٌ[1].

وفي كتاب (الخصال) أورد القمِّي الخبر نفسه، ولكن موصولاً بسندٍ اخر، وأمَّا صاحب روضات الجنَّات، فقد ذكر ابن سبأ عنده على لسان الصَّادق المصدوق الّذي لعن ابن سبأ لاتِّهامه بالكذب، والتَّزوير، وإذاعة الأسرار، والتأويل[2] .

وقد ذكر الدُّكتور سليمان العودة في كتابه مجموعة من النُّصوص الّتي تزخر بها كتب الشِّيعة، ومرويَّاتهم عن عبد الله بن سبأ، فهي أشبه ما تكون بوثائق مسجَّلة تدين من حاول إنكار ابن سبأ، أو التَّشكيك فيه من متأخِّري الشِّيعة بحجَّة قلَّة، أو ضعف المصادر الّتي حكت أخباره[3] .

إنَّ شخصية ابن سبأ حقيقةٌ تاريخيَّةٌ لا لبس فيها في المصادر السُّنيَّة، والشِّيعيَّة المتقدِّمة، والمتأخرة على السَّواء، وهي كذلك أيضاً عند غالبية المستشرقين أمثال: يوليوس فلهاوزن[4]، وفان فولتن[5]، وليفي ديلافيدا[6]، وجولد تسهير[7]، ورينولد نكلسن[8]، ودوايت رونلدسن[9] ... على حين يبقى ابن سبأ محلَّ شكٍّ، أو مجرَّد خرافةٍ عند فئة قليلةٍ من المستشرقين ؛ أمثال: كيتاني، وبرنارد لويس[10]، وفريد

---

[1] عبد الله بن سبأ الحقيقة المجهول ، لمحمد علي المعلِّم ، ص(30) .
[2] عبد الله بن سبأ ، العودة ، ص(62) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .
[4] الخوارج والشِّيعة ، يوليوس فلها وزن ، ص(170) .
[5] السِّيادة العربيَّة ، والشِّيعة ، والإسرائيليات ، ص(80) فان فولتن .
[6] تحقيق مواقف الصَّحابة (312/1) .
[7] العقيدة ، والشَّريعة الإسلاميَّة ، جولد تسهير ، ص(229) .
[8] تاريخ العرب الأدبي في الجاهليَّة ، وصدر الإسلام ، ص(235) .
[9] عقيدة الشِّيعة ، ص(58) .
[10] أصول الإسماعيليَّة ، ص(86) .

لندر المتأرجح[1] علماً بأنَّنا لا نعتدُّ بهم في أحداث تاريخنا .

ومن استقرأ المصادر، سواءٌ القديمة، والمتأخِّرة، عند السُّنَّة، والشِّيعة، يتأكَّد له بأنَّ وجود ابن سبأ كان وجوداً حقيقيّاً، تؤكِّده الرِّوايات التَّاريخيَّة، وتفيض فيه كتب العقائد، وذكرته كتب الحديث، والرِّجال، والأنساب، والأدب، واللُّغة، وسار على هذا النَّهج كثيرٌ من المحقِّقين والباحثين المحدَثين، ويبدو: أنَّ أول من شـــكَّك في وجود ابن سبأ بعض المستشرقين، ثمَّ دعَّم هذا الطرح الغالبية من الشِّيعة المحدثين، بل وأنكر بعضـــهم وجوده البتَّة، وبرز من الباحثين العرب المعاصـــرين مَنْ أُعجِب باراء المســتشــرقين، ومن تأثَّر بكتابات الشِّـيعة المحدثين، ولكنَّ هؤلاء جميعاً ليس لهم ما يدعمون به شكَّهم، وإنكارهم إلا الشَّـكَّ ذاته، والاستناد إلى مجرَّد الظُّنون، والفرضيات[2]، ومن أراد التوسُّع في معرفة المراجع والمصادر السُّنيَّة، والاستشراقيَّة والشِّيعيَّة، الّتي ذكرت ابن سبأ، فليراجع: تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة للدُّكتور محمد أمحزون، وعبد الله بن ســـبأ، وأثره في أحداث الفتنة في صـــدر الإســـلام، للدكتور سليمان بن حمد العودة .

2. دور عبد الله بن سبأ في تحريك الفتنة:

في السَّـــنوات الأخيرة من خلافة عثمان رضـــي الله عنه بدت في الأفق سمات الاضـــطراب في المجتمع الإســـلاميِّ نتيجة عوامل التَّغيير الّتي ذكرناها، وأخذ بعض اليهود يتحيَّنون فرصـــة الظهور مســـتغلِّين عوامل الفتنة، ومتظاهرين بالإســـلام، واستعمال التَّقيَّة، ومن هؤلاء: عبد الله بن سبأ الملقَّب بابن السَّوداء، وإذا كان ابن

---

(1) تحقيق مواقف الصَّحابة (312/1) .

(2) مثال سعيد الأفغاني في كتابه (عائشة والسِّياسة) .

ســـبأ لا يجوز التَّهويل من شـــأنه كما فعل بعض المغالين في تضـــخيم دوره في الفتنة[1]، فإنَّه كذلك لا يجوز التَّشـكيك فيه، أو الاسـتهانة بالدَّور الّذي لعبه في أحداث الفتنة، كعاملٍ من عواملها، على أنَّه أبرزها، وأخطرها ؛ إذ إنَّ هناك أجواءً للفتنة مهَّدت له، وعوامل أخرى ســـاعدته، وغاية ما جاء به ابن ســـبأ اراءٌ، ومعتقداتٌ ادَّعاها، واخترعها من قبل نفسـه، وافتعلها من يهوديَّته الحاقدة، وجعل يروِّجها لغايةٍ ينشـدها، وغرضٍ يسـتهدفه ؛ وهو الدَّسُّ في المجتمع الإسـلامي بغية النَّيل من وحدته، وإذكاء نار الفتنة، وغرس بذور الشِّـقاق بين أفراده، فكان ذلك من جملة العوامل الّتي أدَّت إلى قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وتفرُّق الأمَّة شيعاً، وأحزاباً، وخلاصة ما جاء به أن أتى بمقدِّماتٍ صادقةٍ، وبنى عليها مبادىء فاسدةً راجت لدى السُّذَّج، والغلاة، وأصحاب الأهواء من النَّاس، وقد سلك في ذلك مســـالك ملتويةً لبَّس فيها على مَنْ حوله، حتَّى اجتمعوا عليه، فطرق باب القران بتأوُّله على زعمه الفاسـد، حيث قال: لَعَجبٌ ممَّن يزعم أنَّ عيسـى يرجع، ويكذِّب بأن محمَّداً يرجع، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ **[القصص: 85]** فمحمَّد أحقُّ بالرُّجوع من عيسى[2]، كما سلك طريق القياس الفاسـد من ادِّعاء إثبات الوصـيَّة لعليٍّ رضـي الله عنه بقوله: إنَّه كان ألف نبيٍّ، ولكلِّ نبيٍّ وصيٌّ، وكان عليٌّ وصيَّ محمَّدٍ، ثمَّ قال: محمَّد خاتم الأنبياء، وعليٌّ خاتم الأوصياء[3] .

وحينما اســتقرَّ الأمر في نفوس أتباعه انتقل إلى هدفه المرســوم، وهو خروج

---

(1) تحقيق مواقف الصَّحابة (327/1) .
(2) تاريخ الطَّبري (347/5) .
(3) المصدر السَّابق نفسه .

النَّاس على الخليفة عثمان رضـــي الله عنه فصـــادف ذلك هوىً في نفوس بعض القوم، حيث قال لهم: من أظلم ممَّن لم يُجِزْ وصـــيَّة رســـول الله(ﷺ) ووثب على وصيِّ رسول الله(ﷺ) وتناول أمر الأمَّة ! ثمَّ قال لهم بعد ذلك: إنَّ عثمان أخذها بغير حقٍّ، وهذا وصــيُّ رســول الله(ﷺ) فانهضــوا في هذا الأمر، فحرِّكوه، وابدؤوا بالطَّعن على أمرائكم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر ؛ تســـتميلوا النَّاس، وادعوهم إلى هذا الأمر[1]، وبثِّ دعاته .

وكاتب من كان استفسد في الأمصار، وكاتبوه، ودعوا في السرِّ إلى ما عليه رأيهم، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وجعلوا يكتبون إلى الأمصـــار بكتبٍ يضعونها في عيوب ولاتهم، ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كلِّ مصـرٍ منهم إلى مصـرٍ اخر بما يصـنعون، فيقرأه أولئك في أمصـارهم، وهؤلاء في أمصـارهم حتَّى تناولوا بذلك المدينة، وأوسـعوا الأرض إذاعةً، وهم يريدون غير ما يظهرون، ويسـرُّون غير ما يبدون، فيقول أهل مصـر: إنَّا لفي عافية ممَّا ابتلي به هؤلاء، إلا أهل المدينة فإنَّهم جاءهم ذلك عن جميع الأمصـــار، فقالوا: إنَّا لفي عافية ممَّا فيه النَّاس[2] .

ويظهر من هذا النَّصِّ الأسـلوب الّذي تبعه ابن سـبأ، فهو أراد أن يوقع في أعين النَّاس بين اثنين من الصَّحابة، حيث جعل أحدهما مهضـوم الحقِّ، هوعليٌّ، وجعل الثَّاني مغتصـباً، وهو عثمان، ثمَّ حاول بعد ذلك أن يحرِّك النَّاس – خاصَّـة في الكوفة – على أمرائهم باسـم الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، فجعل هؤلاء

---

[1] المصدر السَّابق نفسه (348/5) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .

يثورون لأصـــغر الحوادث على ولاتهم، علماً بأنَّه ركَّز في حملته هذه على الأعراب الّذين وجد فيهم مادَّةً ملائمةً لتنفيذ خطَّته، فالقرَّاء منهم اســـتهواهم عن طريق الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وأصـــحاب المطامع منهم هيَّج أنفســـهم بالإشـاعات المغرضـة المفتراة على عثمان، مثل تحيُّزه لأقاربه، وإغداق الأموال من بيت مال المســـلمين عليهم، وأنَّه حمى الحمى لنفســـه، إلى غير ذلك من التُّهم، والمطاعن الّتي حرَّك بها نفوس الغوغاء ضدَّ عثمان رضي الله عنه، ثمَّ إنَّه أخذ يحضُّ أتباعه على إرسال الكتب بأخبارٍ سيِّئةٍ مفجعةٍ عن مصرهم إلى بقيَّة الأمصار.

وهكذا يتخيَّل النَّاس في جميع الأمصـار: أنَّ الحال بلغ من السُّـوء ما لا مزيد عليه، والمستفيد من هذه الحال هم السَّبئيَّة ؛ لأنَّ تصديق ذلك من النَّاس يفيدهم في إشعال شرارة الفتنة داخل المجتمع الإسلاميِّ[1]، هذا وقد شعر عثمان رضي الله عنه بأن شـيئاً ما يحاك في الأمصـار، وأنَّ الأمَّة تمخض بشـرٍّ، فقال: والله إن رحى الفتنة لدائرةٌ، فطوبى لعثمان إن مات، ولم يحرِّكها[2] !

على أنَّ المكان الّذي رتع فيه ابن سـبأ هو في مصـر، وهناك أخذ ينظِّم حملته ضـــدَّ عثمان رضـــي الله عنه، ويحثُّ النَّاس على التوجُّه إلى المدينة لإثارة الفتنة بدعوى: أنَّ عثمان أخذ الخلافة بغير حقٍّ، ووثب على وصـيِّ رسـول الله، يقصـد عليًّا[3]، وقد غشَّـــهم بكتبٍ ادَّعى أنَّها وردت من كبار الصَّـــحابة حتَّى إذا أتى هؤلاء الأعراب المدينة المنوَّرة واجتمعوا بالصَّـحابة لم يجدوا منهم تشـجيعاً، حيث تبرَّؤوا ممَّا نســب إليهم من رســائل تؤلِّب النَّاس على عثمان[4]، ووجدوا عثمان

---

[1] الدَّولة الأمويَّة ، يوسف العش ، ص(68) . وتحقيق مواقف الصَّحابة (330/1) .
[2] تاريخ الطَّبري (350/5) .
[3] تحقيق مواقف الصَّحابة (330/1) . وتاريخ الطَّبري (348/5) .
[4] تحقيق مواقف الصَّحابة (330/1) . وتاريخ الطَّبري (365/5) .

مقدِّراً للحقوق، بل وناظرهم فيما نسـبوا إليه، وردَّ عليهم افتراءهم، وفسَّـر لهم صـدق أعماله، حتَّى قال أحد هؤلاء الأعراب وهو مالك الأشـتر النَّخعي: لعلَّه مُكر به، وبكم[1]، ويعتبر الذَّهبي: أنَّ عبد الله بن سبأ المهيِّج للفتنة بمصر، وباذر بذور الشِّقاق والنِّقمة على الولاة ثمَّ على الإمام - عثمان - فيها[2]، ولم يكن ابن سبأ وحده، وإنَّما كان عمله ضمن شبكة من المتامرين، وأخطبوطاً من أساليب الخداع، والاحتيال، والمكر، وتجنيد الأعراب، والقرَّاء، وغيرهم، ويروي ابن كثير: أنَّ من أسباب تألُّب الأحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ، وذهابه إلى مصر، وإذاعته بين النَّاس كلاماً اخترعه من عند نفسه، فافتتن به بشرٌ كثيرٌ من أهل مصر[3] .

إنَّ المشاهير من المؤرِّخين والعلماء من سلف الأمَّة وخلفها يتَّفقون على أنَّ ابن سبأ ظهر بين المسلمين بعقائد، وأفكارٍ، وخططٍ سبئيَّةٍ ليلفت المسلمين عن دينهم، وطاعة إمامهم، ويوقع بينهم الفرقة، والخلاف، فاجتمع إليه من غوغاء النَّاس ما تكوَّنت به الطَّائفة السَّبئيَّة المعروفة الّتي كانت عاملاً من عوامل الفتنة المنتهية بمقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفَّان رضي الله عنه والّذي يظهر من خطط السَّبئيَّة أنَّها كانت أكثر تنظيماً ؛ إذ كانت بارعةً في توجيه دعايتها، ونشر أفكارها؛ لامتلاكها ناصية الدِّعاية، والتَّأثير بين الغوغاء والرُّعاع من النَّاس، كما كانت نشيطةً في تكوين فروعٍ لها سواءٌ في البصرة، أم الكوفة، أم مصر، مستغلَّةً العصبية القبليَّة، ومتمكِّنةً من إثارة مكامن التَّذمُّر عند الأعراب، والعبيد، والموالي، عارفةً بالمواضع الحسَّاسة في حياتهم، وبما يريدون[4] .

* * *

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة (331/1) .
[2] المصدر السَّابق نفسه (338/1) .
[3] البداية والنهاية (167/7 ، 168) .
[4] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة ، ص(339) .

الفصل السَّابع : مقتل عثمان بن عفَّان رضي الله عنه

المبحث الأوَّل : اشتعال الفتنة

نجح الموتورون الحاقدون الكاذبون في إزاحة الوليد بن عقبة عن ولاية الكوفة، وعيَّن عثمان رضـــي الله عنه ســـعيد بن العاص والياً جديداً على الكوفة، وعندما وصــل سـعِيد إلى ولايته صـعد المنبر، وبعدما حمد الله، وأثنى عليه، قال: والله لقد بعثت إليكم، وإنِّي لكارهٌ، ولكنِّي عندما أمرني عثمان ؛ لم أجد بدّاً من التَّنفيذ، ألا وإنَّ الفتنة قد أطلعت رأسها فيكم، ووالله لأضربنَّ وجهها، حتَّى أقمعها، أو تغلبني وإنِّي رائدٌ نفسي اليوم[1] .

واطَّلع ســعيد على أحوال الكوفة، وعرف توجُّهات النَّاس فيها، وأدرك تعمُّق الفتن فيها، وضُلوع مجموعةٍ من الخوارج، والموتورين، والحاقدين، وأعداء الإسلام في التامر، والكيد، والفتنة، وســيطرة الرُّعاع، والغوغاء، والأعراب على الرَّأي فيها[2]، وكتب سعيد رسالةً إلى أمير المؤمنين عثمان يخبره فيها بالأوضاع المتردِّية في الكوفة، وممَّا قال فيها: إنَّ أهل الكوفـة قد اضطرب أمرهـم، وقد غلب فيها أهل الشَّرف، والسَّــابقة، والمقدمة، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، وأعراب لَحَتْ، حتى ما ينظر فيها إلى ذي شـرفٍ، وبلاء .. ! فردَّ عليه عثمان رضـي الله عنه برسـالةٍ، طلب منه فيها إعادة ترتيب أوضـــاع أهلها، وتصـــنيفهم على أســـاس السَّـــبق، والجهاد، وتقديم أهل العلم، والصِّـــدق، والجهاد على غيرهم، وممَّا قال له فيها:

---

(1) تاريخ الطَّبري (5/380) .

(2) الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(122) .

فضِّــل أهل السَّــابقة والقِدْمة، ممَّن فتح الله على أيديهم تلك البلاد، واجعل الّذين نزلوا البلاد بعد فتحها من الأعراب تبعاً لأولئك السَّـابقين المجاهدين، إلا أن يكون السَّابقون تثاقلوا عن الجهاد، والحقِّ، وتركوا القيام به، وقام به مَنْ بعدهم ! واحفظ لكلِّ إنسانٍ منهم منزلته، وأعطهم جميعاً قِسْطَهم بالحقِّ، فإنَّ المعرفة بالنَّاس يتحقَّق بها العدل بينهم[1]، وقام ســعيد بتنفيذ توجيهات عثمان رضـــي الله عنه، وأخبر الخليفة بما فعل، وجمع عثمان أهل الحلِّ والعقد في المدينة، وأبلغهم بأوضاع الكوفة، ورســوخ الفتنة فيها، وإجراءات ســعيد بن العاص لمواجهتها، فقالوا: أصــبت بما فعلت، ولا تسعف أهل الفتنة بشيءٍ، ولا تقدِّمهم على النَّاس، ولا تطمعهم فيما ليســوا له بأهلٍ، فإنَّه إذا تولَّى الأمور من ليس أهلاً لها ؛ لم يقم بها، بل يفســدها. فقال عثمان لهم: يا أهل المدينة! إنَّ النَّاس قد تحرَّكوا للفتنة، فاســتعدُّوا لمواجهتها، واستمسكوا بالحقِّ، وسوف أخبركم بأخبارها، وأنقلها لكم أوَّلاً بأوَّلٍ[2].

أولاً: تأذِّي أصحاب الأهواء من الإصلاح:

تأذَّى الرُّعاع، وأجلاف الأعراب من تقديم أصـــحاب السَّـــابقة، والجهاد، والبلاء، والعلم، والتَّقوى في المجالس والرِّئاسـة، والاسـتشـارة، وصـاروا يعيبون على الولاة تقديم هؤلاء عليهم، واستشارتهم دونهم، ويعتبرونه تمييزاً، وجفوةً، وإقصاءً لهم، واســتغلَّ الحاقدون الموتورون هذا الأمر في نفوســهم، وغرســوا فيهم كُره الخليفة، والدَّولة، ورفض أعمال الوالي سعيد بن العاص، ونشر الإشاعات ضدَّه بين النَّاس.

---

[1] تاريخ الطَّبري (280/5) .
[2] المصدر السَّابق نفسه (281/5) .

ورفض عـامَّةُ النَّاس في الكوفـة كلام الموتورين الخـارجين، فسـكـت هؤلاء الحاقدون، وصـاروا يُخفون شـبهاتهم، ولا يظهرونها ؛ لرفض معظم المسـلمين لها، ولكنَّهم كانوا يُسِـرُّون بها إلى من يؤيِّدهم من الأعراب، أو الغوغاء، أو المعاقبين المغرَّرين[1]، وكان أعداء الإسـلام الموتورون على تعدُّد اتجاهاتهم ونزغاتهم يتامرون على الإسـلام، والمسـلمين، وينشـرون الإشـاعات الكاذبة ضـدَّ الخليفة، والولاة، ويسـتثمرون الأخطاء الّتي تصـدر عن بعضـهم في تهييج العامَّة ضـدهم، ويزيدون عليها الكثير من الافتراءات والتَّزويرات، وهم يهدفون من ذلك إلى نشر الفوضى، وتعميق الفرقة بين المسلمين، وذلك لتغذية غيظهم، وحقدهم على الإسلام الّذي قضـى على أديانهم الباطلة، وهدمِ نظام الحكم الإسـلاميّ، الّذي حطَّم دولهم، وقضـى على جيوشـهم . وجنَّد هؤلاء الأعداء لتحقيق أهدافهم الموتورين من الرُّعاع، والسُّـذَّج، والبُلهاء، والتفَّ حولهم الحاقدون ممَّن أدَّبهم، أو حدَّهم، أو عزَّرهم الخليفة، أو أحد ولاته، ونظَّم هؤلاء الأعداء (جمعيَّة سـرِّيَّة) خبيثةً، جعلوا أعضاءها هؤلاء الّذي استجابوا لهم، وجعلوا لهم أتباعاً في المدن الكبيرة ؟ والأقاليم العديدة، وكوَّنوا شبكة اتِّصالات سرِّيَّة بينهم[2]، وكانت أهم فروع جمعيتهم الخبيثة في: الكوفة، والبصرة، ومصر، ولهم بعض العناصر في المدينة المنوَّرة، والشَّام[3] .

ثانياً: عبد الله بن سبأ اليهودي على رأس العصابة:

أوصـى ابن سـبأ أتباعه المجرمين في جمعيَّته السِّـريَّة الخبيثة المنتشـرين في بلاد

---

[1] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(124) .
[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(124) .
[3] المصدر السَّابق نفسه .

المسلمين، فقال لهم: انهضوا في هذا الأمر، فحرِّكوه، وابدؤوا بالطَّعن على أمرائكم، وولاتكم الّــذين يعيِّنهم الخليفــة، وأظهروا الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، لتستميلوا النَّاس إليكم، وادعوهم إلى هذا الأمر[1]، وبثَّ عبد الله بن سبأ دعاته في الأمصار، وكاتب أتباعه الّذين أفسدهم في الأمصار، وضمَّهم إليه، وكاتبوه، وتحرَّك أتباعه في البلدان بدعوتهم، ودعوا مؤيِّديهم في السِّــرِّ إلى ما هم عليه من الخروج على الولاة، والخليفة، والعمل على عزل عثمان عن الخلافة، وكانوا في الظاهر يُظهرون الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، ليؤثِّروا في النَّاس، ويستــميلوهم، ويخدعوهم، وصــار أتباع ابن ســبأ يؤلِّفون الأكاذيب، والافتراءات عن عيوب أمرائهم، وولاتهم، وينشرونها في كتبٍ يرسلها بعضهم إلى بعض في الأمصار، وصار أهل كلِّ مصر منهم يكتبون كتباً بهذه الأكاذيب إلى أهل مصر اخرين، فيقرأ أهل كلِّ مصر تلك الكتــب المزوَّرة على النَّاس عندهم، فيســمع النَّاس عندهم عن عيوب، وأخطــاء الوالي في ذلك البلد، فيقولون: إنَّا لفي عافيةٍ، مما ابتُلي به المسـلمون في ذلك البلد، ويصـدِّقون ما يسـمعون ! وبذلك أفسـد السَّـبئيُّون في الأرض، وأفســدوا المســلمين، ومزَّقوا كلمتهم، وزعزعوا أخوَّتهم، ووحدتهم، وهيَّجوا النَّاس على الولاة، والأمراء، ونشـروا الافتراءات ضـدَّ الخليفة عثمان نفسـه، وكانوا بهذه الجرائم المنظَّمة، والمدروسة بمهارةٍ يريدون غير ما يظهرون، ويُســرُّون غير ما يعلنون، ويهدفون إلى عزل عثمان، والقضاء على دولة الإسلام[2] .

توجَّه ابن سبأ إلى الشَّام ليفسد بعض أهلها، ويؤثِّر فيهم، ولكنَّه لم ينجح في

---

[1] تاريخ الطَّبري (348/5) .

[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(126) .

هدفه الشَّيطانيّ، فقد كان له معاوية رضي الله عنه بالمرصاد[1]، ودخل البصرة ؛ ليجنِّد الأتباع له من المارقين، أو الحاقدين، أو الرُّعاع البُلَهاء، وكان والي البصرة عبد الله بن عامر بن كريز، وكان حازماً عادلاً صالحاً، ولما وصل ابن سبأ البصرة، نزل عند رجل خبيثٍ من أهلها كان لصّاً فاتكاً، هو حكيم بن جبلة[2].

وبلغ عبد الله بن عامر: أنَّ رجلاً غريباً نازلٌ على حكيم بن جبلة، وكان حكيم بن جبلة رجلاً لصّاً، وعندما كانت تعود جيوش الجهاد إلى البصرة، كان حكيم يتخلَّف عنها، ليسعى في أرض فارس فساداً، ويُغِيْرُ على أرض أهل الذمَّة، ويعتدي على أرض المسلمين، ويأخذ منها ما يشاء، فشكاه أهل الذِّمَّة، والمسلمون إلى عثمان، فكتب عثمان إلى عبد الله بن عامر، وقال له: احبس حكيم بن جبلة في البصرة، ولا تتركه يخرج منها حتَّى تأنس منه رُشداً، فحبسه ابن عامر في بيته، وكان لا يستطيع أن يخرج من البصرة، وبينما كان اللِّصُّ ابن جبلة تحت الإقامة الجبريَّة في بيته ؛ نزل عليه اليهوديُّ عبد الله بن سبأ، واستغلَّ ابن سبأ زعارة[3]ابن جبلة، وانحرافه، وحقده، ولؤمه، فجنَّده لصالحه، وصار ابن جبلة هو رجلُ ابن سبأ في البصرة، وصار ابن جبلة يقدِّم لابن سبأ أمثاله من المنحرفين، والموتورين، فيغرس ابن سبأ في نفوسهم أفكاره، ويجنِّدهم بجمعيته السِّريَّة . ولما علم ابن عامر بابن سبأ ؛ استدعاه، وقال له: ما أنت ؟ قال ابن سبأ: أنا رجل من أهل الكتاب، رغب في الإسلام، فأسلم، ورغب في جوارك، فأقام عندك .

قال ابن عامر: ما هذا الكلام الّذي يبلغني عنك ؟ ! اخرج عنِّي، أخرجه ابن

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(128) .
[3] الأزعر: سيِّئ الخُلُق .

عامر من البصـــرة، فغادرها ابن ســبأ، بعد أن ترك فيها رجالاً، وأتباعاً له، وجعل فيها فرعاً لحزبه السَّبئيّ اليهوديِّ، ذهب ابن سبأ إلى الكوفة، فوجد فيها رجالاً من المنحرفين، جاهزين لاســـتقباله، فجنَّدهم لجماعته وحزبه، ولما علم به ســـعيد بن العاص أخرجه من الكوفة، فتوجَّه إلى مصــر، فأقام فيها، وعشَّـــشَ فيها، وباض، وفرَّخ فيها، وأفســـد، واســتمال أناســاً هناك من الرُّعاع والبلهاء، ومن الحاقدين، والموتورين، ومن العصـاة، والمذنبين، وكان ابن سـبأ يرتِّب الاتصـالات السِّـرِّيَّة بين مقرِّه في مصـر، وبين أتباعه في المدينة، والبصـرة، والكوفة، ويتحرَّك رجاله بين هذه البلدان[1]، واسـتمرَّت جهود ابن سـبأ وأعوانه حوالي سـتِّ سـنواتٍ، حيث بدؤوا أعمالهم الشَّيطانيَّة سنة ثلاثين، ونجحوا في اخر سنة خمس وثلاثين في قتل الخليفة عثمان، واستمرَّ إفسـادهم طيلة خلافة عليٍّ رضي الله عنه، وقرَّرَ (السَّبئيُّون) أن تكون بداية الفتنة في الكوفة[2] .

ثالثاً: أهل الفتنة يفسدون في مجلس سعيد بن العاص:

في يوم من أيام سـنة ثلاث وثلاثين جلس سـعيد بن العاص في مجلسـه العام، وحوله عامَّة النَّاس، وكانوا يتحدَّثون، ويتناقشـون فيما بينهم، فتسلَّلَ هؤلاء الخوارج من السَّبئيِّين إلى المجلس، وعملوا على إفساده، وعلى إشعال نار الفتنة .

جرى كلامٌ وحوار في المجلس بين سـعيد بن العاص، وبين أحد الحضـور، وهو (خُنيس بن حُبيش الأســـديُّ)، واختلفا على أمر، وكان ســـبعةٌ من الخوارج،

---

(1) الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(129) .
(2) المصدر السَّابق نفسه ، ص(130) .

أصحاب الفتنة جالسين ؛ منهم: جندب الأزديُّ، الّذي قتل ابنه السَّارق بسبب تورطه في قضية قتلٍ، ومنهم: الأشتر النَّخعيُّ، وابن الكوَّاء، وصعصعة بن صوحان، فاستغلَّ أصحاب الفتنة المناسبة، وقاموا بضرب خُنَيس الأسديِّ في المجلس، ولما قام أبوه يساعده، وينقذه، ضربوه، وحاول سعيد منعهم من الضَّرب، فلم يمتنعوا، وأُغمي على الرَّجل وابنه من شدَّة الضَّرب، وجاء بنو أسد للأخذ بثأر أبنائهم، وكادت الحرب تقع بين الفريقين، ولكنَّ سعيداً تمكَّن من إصلاح الأمر[1]، ولما علم عثمان بالحادثة ؛ طلب من سعيد بن العاص أن يعالج الموضوع بحكمةٍ، وأن يضيِّق على الفتنة ما استطاع . ذهب الخوارج المفتونون إلى بيوتهم، وصاروا ينشرون الإشاعات، ويُذيعون الافتراءات والأكاذيب ضدَّ سعيدٍ، وضدَّ عثمان، وضدَّ أهل الكوفة، ووجوهها، فاستاء أهل الكوفة منهم، وطلبوا من سعيد أن يعاقبهم، فقال لهم سعيد: إنَّ عثمان قد نهاني عن ذلك، فإذا أردتم ذلك ؛ فأخبروه، وكتب أشراف أهل الكوفة، وصلحاؤهم إلى عثمان بشأن هؤلاء النَّفر، وطلبوا منه إخراجهم من الكوفة، ونفيهم عنها، فهم مفسدون مخرِّبون فيها، فأمر عثمان واليه سعيد بن العاص بإخراجهم من الكوفة، وكانوا بضعة عشر رجلاً، وأرسلهم سعيد إلى معاوية في الشَّام بأمر عثمان، وكتب عثمان إلى معاوية بشأن هؤلاء، فقال له: إنَّ أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفراً خلقوا للفتنة، فَرُعْهُم، وأَخِفْهم، وأدِّبهم، وأقم عليهم، فإن انست منهم رشداً، فاقبل منهم[2] . ومن الّذين تمَّ نفيهم إلى الشام، الأشتر النَّخعيُّ، وجندب الأزديُّ، وصعصعة بن صوحان، وكميل بن زياد، وعمير

---

[1] تاريخ الطَّبري (323/5) .

[2] المصدر السَّابق نفسه (324/5) .

بن ضابأى، وابن الكوَّاء[1].

رابعاً: أهل الفتنة منفيُّون عند معاوية:

لما قدموا على معاوية رحَّب بهم، وأنزلهم كنيسةً تسمَّى مريـــم، وأجرى عليهم بأمر عثمان ما كان يُجرى عليهم بالعراق، وجعل لا يزال يتغدَّى، ويتعشَّى معهم . فقال لهم يوماً: إنَّكم قوم من العرب لكم أسـنان، وألسـنةٌ، وقد أدركتم بالإسـلام شـرفاً، وغلبتم الأمم، وحويتم مراتبهم، ومواريثهم، وقد بلغني أنَّكم نقمتم قريشــاً، وإنَّ قريشاً لو لم تكن؛ لعدتم أذلةً كما كنتم[2].

كان عثمان رضـي الله عنه يدرك: أنَّ معاوية للمعضـلة، فله من فصـاحته، وبلاغته، وله من حلمه، وصـبره، وله من ذكائه، ودهائه ما يواجه به الفتن، ومن أجل ذلك ما إن تقع المعضلة حتَّى يرسلها لابن أبي سفيان كي يحلَّها، وفعلاً بذل معاوية رضـي الله عنه ما بوسـعه من أجل إقناع هؤلاء النَّفر: أكرمهم أوَّلاً، وخالطهم، وجالسـهم، وعرف سـرائرهم من خلال هذه المجالسـة قبل أن يحكم عليهم بما نُقِلَ عنهم، وبعد أن أزال الوحشـة عنهم، وأزال الكلفة بينه وبينهم، لاحظ أنَّ النَّعرة القبليَّة هي الّتي تحرِّكهم، وأنَّ شـهوة الحكم والسُّـلطة هي الّتي تثيرهم، فكان لا بدَّ أن يلج عليهم من زاويتين اثنتين:

الأولى: أثر الإسلام في عزَّة العرب .

الثانية: دور قريش في نشر الإسلام، وتحمُّل أعبائه .

---

[1] الخلفاء الرَّاشدون ، ص(131) .
[2] تاريخ الطَّبري (324/5) .

فإن كان للإســـلام أثرٌ في تكوينهم، فلا بدَّ أن يرعَوُوا لهذا الحديث، بعد هذا وضـع أمامهم صـورةً لوضـع العرب، وقد انقلبوا بالإسـلام أمَّةً واحدةً تخضـع لإمامٍ واحدٍ، وودعوا حياة الفوضى، وسفك الدِّماء، والقبليَّة المنتنة[1] .

ويتـابع معـاويـة حـديثـه معهم، فيقول: إنَّ أئمَّتكم لكم إلى اليوم جُنَّـة[2] فلا تشـــذوا عن جنَّتكم، وإن أئمَّتكم اليوم يصـــبرون لكم على الجور، ويحتملون منكم المؤونة، والله لتنتهنَّ أو ليبتلينَّكم الله بمن يســومكم، ثمَّ لا يحمدكم على الصَّـبر، ثم تكونون شـــــركاءهم فيما جررتم على الرَّعيَّة في حياتكم، وبعد موتكم، فقال رجل من القوم: أمَّـا مـا ذكرت من قريش، فـإنهـا لم تكن أكثر العرب، ولا أمنعهـا في الجاهلية، فتخوفنا، وأما ما ذكرت من الجُنَّة، فإن الجُنَّة إذا اخترقت خلص إلينا . فقال معاوية: عرفتكم الان، علمت: أنَّ الّذي أغراكم على هذا قلَّة العقول، وأنت خطيب القوم، ولا أرى لك عقلاً. أُعْظِم عليك أمر الإسلام، وأذكِّرك به، وتذكِّرني الجاهليَّة ؟ وقد وعظتك وتزعم لما يُجنُّك: أنَّه يخترق، ولا ينسب ما يخترق إلى الجُنَّة، أخزى الله أقواماً أعظموا أمركم، ورفعوا إلى خليفتكم[3] .

وعرف معاوية أنَّ الإشــارة العابرة لن تقنعهم، لا بدَّ من شـرحٍ مســهبٍ لواقع قريش أوَّلاً، فقال: افقهوا – ولا أظنكم تفقهون – أنَّ قريشــاً لم تعزَّ في جاهليةٍ ولا في إســـلام إلا بالله – عزَّ وجلَّ – ؛ لم تكن أكثر العرب، ولا أشـــدَّهم، ولكنَّهم كانوا أكرمهم أحسـاباً، وأمحضـهم أنسـاباً، وأعظمهم أخطاراً، وأكملهم مروءةً، ولم يمتنعوا في الجاهليَّة والناس يأكل بعضهم بعضاً، إلا بالله الّذي لا يُستَذَل مَنْ أعزَّ،

[1] معاوية بن أبي سفيان ، لمنير الغضبان ، ص(101) .
[2] جُنّة: وقاية .
[3] تاريخ الطّبري (324/5) .

ولا يوضع مَنْ رفع، هل تعرفون عرباً، أو عجماً، أو سوداً، أو حمراً إلا قد أصابه الدَّهر في بلده، وحرمته بدولةٍ، إلا ما كان من قريشٍ، فإنَّه لم يردهم أحد بكيدٍ إلا جعل الله خدَّه الأسفل، حتَّى أراد الله أن ينقذ من أكرم، واتَّبع دينه من هوان الدُّنيا، وسوء مردِّ الاخرة، فارتضى لذلك خير خلقه، ثمَّ ارتضى له أصحاباً، فكان خيارهم قريشاً، ثمَّ بنى هذا الملك عليهم، وجعل هذه الخلافة فيهم، ولا يصلح ذلك إلا عليهم، فكان الله يحوطهم وهم على دينه، وقد حاطهم الله في الجاهليَّة من الملوك الَّذين كانوا يدينونكم . أفٍّ لك، ولأصحابك ! ولو أن متكلِّماً غيرك تكلَّم، ولكنَّك ابتدأت، فأمَّا أنت يا صعصعةُ فإنَّ قريتك شرُّ قرىً عربيةٍ، أنتنها نبتاً، وأعمقها وادياً، وأعرفها بالشَّرِّ، وألأمها جيراناً، لم يسكنها شريفٌ قطُّ، ولا وضيعٌ إلا سُبَّ بها، وكانت عليه هُجنةً، ثمَّ كانوا أقبح العرب ألقاباً، وألأمه أصهاراً نزَّاع[1] الأمم، وأنتم جيران الخطِّ، وفعلة فارس، حتَّى أصابتكم دعوة النَّبيّ(ﷺ)، ونكبتك دعوته، وأنت نزيع شَطير[2] في عمان، لم تسكن البحرين، فتشركهم في دعوة النَّبيّ(ﷺ)، فأنت شرٌّ قومك، حتَّى إذا أبرزك الإسلام، وخلطك بالنَّاس، وحملك على الأمم الَّتي كانت عليك ؛ أقبلت تبغي دين الله عوجاً، وتنزع إلى اللامة والذِّلَّة، ولا يضع ذلك قريشاً، ولن يضرَّهم، ولن يمنعهم من تأدية ما عليهم، إنَّ الشَّيطان عنكم غير غافلٍ، قد عرفكم بالشَّرِّ من بين أمَّتكم، فأغرى بكم النَّاس، وهو صارعكم، لقد علم: أنَّه لا يستطيع أن يردَّ بكم قضاء الله، ولا أمراً أراده الله، ولا تدركون بالشَّرِّ أمراً إلا فتح الله عليكم شرّاً منه، وأخزى، ثمَّ قام

(1) النزاع: جمع نزيع وهو الغريب .
(2) الشَّطير: الغريب .

وتركهم، فتذامروا، فتقاصرت إليهم أنفسهم[1] .

وبذلك بذل معاوية كلَّ طاقاته الفكريَّة، والثَّقافيَّة والسِّياسيَّة لإقناعهم:

. عرض لهم أولاً أمر قريش في الجاهليَّة، والإسلام .

ــــ تناول قبائل هؤلاء النَّفر، ووضعها في الجاهليَّة، حيث كانت تعاني سوء المناخ، ونتن المنبت من الناحية الطَّبيعيَّة، ثمَّ الذلَّة، والتبعيَّة لفارس من النَّاحية السِّياسيَّة، إلى أن أكرمها الله بالإسلام، فعزَّت بعد ذلٍّ، وارتقت بعد هوانٍ .

ـ تناول معاوية رضي الله عنه صعصعة بن صوحان خطيب القوم، وكيف تلكَّأ عن تلبية نداء الرِّسالة، وقد دخل قومه بها، ثمَّ عاد وانضمَّ إلى الإسلام، ورفعه الإسلام ثانيةً بعد انحدارٍ .

ــــ كشف معاوية رضي الله عنه مخطَّطات صعصعة، وأصحابه، وكيف يبغون الفتنة، ويبغون دين الله عوجاً .

وإنَّ الشَّيطان هو وكر هذه الفتنة، ومحرِّك هذا الشَّرِّ، وبذلك ربط تاريخ الأمَّة بالله، ثمَّ بالإسلام، والعقيدة، ثمَّ كشف عن زيف هؤلاء النَّفر، وفضحهم عن اخرهم، وأبان عن مخطَّطاتهم، وصلتها بدعوى الجاهليَّة[2] .

. جلسة أخرى:

ثمَّ أتاهم القابلة فتحدَّث عندهم طويلاً، ثم قال: أيُّها القوم ! ردُّوا عليَّ خيراً،

---

[1] تاريخ الطَّبري (326/5) .

[2] معاوية بن أبي سفيان ، للغضبان ، ص(111) .

أو اسكتوا، وتفكَّروا، وانظروا فيما ينفعكم، وينفع أهليكم، وينفع عشائركم، وينفع جماعة المسلمين، فاطلبوه ؛ تعيشوا، ونعش بكم .

قال صعصعة: لستَ بأهلٍ لذلك، ولا كرامة لك أن تطاع في معصية الله . فقال معاوية: أوليس ما ابتدأتكم به أن أمرتكم بتقوى الله، وطاعته، وطاعة نبيه(ﷺ)، وأن تعتصموا بحبله جميعاً، ولا تفرقوا ؟ ! قالوا: بل أمرت بالفرقة، وخلاف ما جاء به النَّبيّ(ﷺ) ! قال: إنِّي امركم الان، إن كنت فعلت فأتوب إلى الله، وامركم بتقواه، وطاعته، وطاعة نبيِّه(ﷺ)، ولزوم الجماعة، وكراهة الفرقة، وأن توقِّروا أئمتكم، وتدلُّوهم على كلِّ حسنٍ ما قدرتم، وتعظوهم في لينٍ، ولطفٍ في شيءٍ إن كان منهم . قال صعصعة: فإنا نأمرك أن تعتزل عملك فإنَّ من المسلمين من هو أحقُّ به منك . قال معاوية: من هو ؟ قالوا: من كان أبوه أحسن قِدْماً من أبيك، وهو بنفسه أحسن قِدْماً منك في الإسلام . قال معاوية: والله إن لي في الإسلام قِدْماً، ولغيري كان أحسن قِدْماً منّي، ولكنَّه ليس في زماني أحدٌ أقوى على ما أنا فيه منّي، ولقد رأى ذلك عمر بن الخطَّاب، فلو كان غيري أقوى منّي؛ لم يكن لي عند عمر هوادةٌ، ولا لغيري، ولم أحدث من الحدث ما ينبغي لي أن أعتزل عملي، ولو رأى ذلك أمير المؤمنين، وجماعة المسلمين ؛ لكتب بخطِّ يده، فاعتزلت عمله، ولو قضى الله أن يفعل ذلك ؛ لرجوت أن لا يعزم له على ذلك إلا هو خير . فمهلاً فإنَّ في ذلك وأشباهه ما يتمنَّى الشيطان، ويأمر، ولعمري لو كانت الأمور تُقضى على رأيكم، وأمانيِّكم ما استقامت الأمور لأهل الإسلام يوماً ولا ليلةً، ولكنَّ الله يقضيها، ويدبِّرها وهو بالغ أمره، فعاوِدوا الخير، وقولوه . قالوا: لست لذلك أهلاً . قال معاوية: أما والله إنَّ لله سطواتٍ، ونقماتٍ، وإنِّي

لخائف عليكم أن تتابعوا في مطاوعة الشَّـــيطان حتَّى تُحلَّكم مطاوعة الشَّـــيطان، ومعصـــية الرَّحمن دار الهوان من نقم الله في عاجل الأمر، والخزي الدَّائم في الاجل، فوثبوا عليه، فأخذوا بلحيته، ورأســه، فقال: مه ! إن هذه ليســت بأرض الكوفة، والله لو رأى أهل الشَّام ما صنعتم بي وأنا إمامهم ما ملكت أن أنهاهم عنكم حتَّى يقتلوكم ؛ فلعمري إنَّ صـنيعكم ليشـبه بعضـه بعضـاً ! ثم قام من عندهم، فقال: والله لا أدخل عليكم مدخلاً ما بقيت[1] .

هذه المحاولة الأخيرة الّتي بذل فيها معاوية أمير الشَّــام كلَّ جهده، واســتعمل حلمه، وثقافته، وأعصـــابه كي يثنيهم عن الفتنة، إنَّه يدعوهم إلى تقوى الله، وطاعته، والاســتمســاك بالجماعة، والابتعاد عن الفرقة، وإذ بهم يرفعون عقيرتهم قائلين: ليس لك أن تطاع في معصية الله[2] . وبحلمه الكبير، وصدره الواسع عاد، فذكَّرهم بأنَّه لا يأمرهم إلا بطاعة الله، وعلى حدِّ زعمهم، فهو يتوب من المعصـية؛ إن وقعت، ثمَّ يعود لـدعوتهم إلى الطَّاعـة، والجماعـة، والابتعـاد عن تفريق كلمـة الأمَّة، ولو كان الوعظ يجدي معهم ؛ لأمكن أن تتأثَّر قلوبهم لهذه المعاملة، وهذا اللُّطف، وهذا الحلم، لكنَّهم اعتبروا ذلك ضعفاً، وتهاوناً منه، خاصَّة وهو يوجِّههم إلى أن يستعملوا الأسلوب الهادي في العظة، واللِّين في النُّصح، فوجدوا المجال رحباً أن يكشـــفوا عن مكنون قلوبهم. فقالوا: فإنَّا نأمرك أن تعتزل عملك، فإنَّ في المسلمين من هو أحقُّ به منك، وانتبه معاوية انتباهاً مفاجئاً إلى ما يكنُّون، فأحبَّ أن يتعرف جانباً غامضـــاً عليه، لعلَّ في هذا التعرُّف ما يوصـــله إلى من يحرِّكهم،

---

(1) تاريخ الطَّبري (330/5 ، 331) .

(2) المصدر السَّابق نفسه (330/5) .

ويبثُّ في ذهنهم الأراجيف المغرضــة، ولكنَّهم أخفوا ما يكنُّون، واكتفوا بالإشــارة إلى أنَّهم يحبون أن يدع العمل لمن هو أفضل منه، ولمن أبوه أفضل من أبيه، ثمَّ تحلَّم عليهم أكثر فأكثر، رغم الأسلوب الفجِّ الّذي سلكوه معه، وهم يأمرونه بأن يعتزل العمل . وهنا نجد لمعاوية جواباً مســتفيضــاً عن وجهة نظره في الحكم، والإمارة، والقيادة، **وقد لخَّص معاوية إجابته في ستِّ نقاطٍ أساسيَّة ومهمَّةٍ:**

1 – هي أنَّ له قِدْماً، وسـابقة في الإسـلام، فهو حامي ثغر الشَّـام منذ وفاة أخيه يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

2 – أنَّ هناك في المسلمين من هو أفضل منه، وأكرم، وأحسن سابقةً، وأكثر بلاءً، وهو يرى أنَّه أقوى من يحمي هذا الثَّغر الإسـلاميَّ العظيم – الشَّـام – فمنذ أن تولاه تمكن مِنْ ضبطه، وسياسته، وفهم نفسيَّات أهله حتَّى أحبُّوه .

3 – إنَّ الميزان الحســـاس، والمعيـار الـدَّقيق الّـذي يقيّم الولاة هو عمر بن الخطَّاب رضـــي الله عنه، الّذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فلو وجد من معاوية شـــططاً، أو انحرافاً، أو ضـــعفاً ؛ لعزله، ولما أبقى عليه يوماً واحداً، فقد عمل له طيلة خلافته، كما ولاه من قبل رســـول الله(ﷺ) على بعض عمله، واســـتخدمه كاتباً بين يديه، وولاه أبو بكرٍ الصِّدِّيق من بعده، ولم يطعن في كفاءته أحدٌ .

4 – إنَّ اعتزال العمل يجب أن يســـتند لأســـبابٍ موجبةٍ للاعتزال، فما هي الحجَّة الّتي يقدِّمها دعاة الفتنة ؛ ليتمَّ الاعتزال على أساسها ؟

5 – إنَّ الّـذي يقرِّر العزل عن العمـل، أو البقـاء في الإمـارة ليس هؤلاء

الأدعياء، إنَّ ذلك من حقِّ أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وهو الّذي له الحقُّ في تعيين الولاة، وعزلهم .

6 – إنَّ أمير المؤمنين عثمان يوم يقرِّر عزل معاوية، فهو واثقٌ، أنَّ أمره خيرٌ كلُّه، ولا غضاضة في ذلك، فهو أميرٌ مأمورٌ، وهو أمر خليفة المسلمين[1] .

كان ختام الجلسة مؤسفاً أشدَّ الأسف، مؤلماً أشدَّ الألم، لقد حذَّرهم نقمة الله، وغضبه، وحذَّرهم مهاوي الشَّيطان، ومنزلقاته، وحذَّرهم فرقة الكلمة، ومعصية الإمام وحذَّرهم الانقياد إلى أهوائهم، وغرورهم، فماذا كان منهم مقابل ذلك ؟ وثبوا عليه، وأخذوا برأسه ولحيته، وعندئذٍ زجرهم، وقمعهم، ووجَّه لهم كلاماً قاسياً مبطَّناً بالتَّهديد، وعرف: أنَّ هؤلاء يستحيل أن ينصاعوا للحقِّ، فلا بدَّ من إبلاغ أمرهم لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وكشف هويَّاتهم، وخطرهم، ليرى فيهم أمير المؤمنين رأياً اخر[2] .

كتاب معاوية إلى عثمان رضي الله عنهما بشأن أهل الفتنة من الكوفة:

كتب معاوية إلى عثمان رضي الله عنهما قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عثمان أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، أما بعد يا أمير المؤمنين، فإنك بعثت إليَّ أقواماً يتكلمون بألسنة الشياطين وما يُملون عليهم، ويأتون النَّاس – زعموا – من قِبَل القران فيشبهون على الناس، وليس كل النَّاس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقة، ويقربون فتنة، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رُقَى

[1] معاوية بن أبي سفيان ، صحابيٌّ كبيرٌ ، وملكٌ مجاهدٌ ، ص(114 إلى 117) .
[2] معاوية بن أبي سفيان ، للغضبان ، ص(117 ، 118) .

الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من النَّاس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست امن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الّذي نجم فيه نفاقهم[1] .

خامساً: رجوع أهل الفتنة إلى الكوفة ثم نفيهم إلى الجزيرة:

كتب عثمان إلى سعيد بن العاص بالكوفة، فردَّهم إليه، فلم يكونوا إلا أطلق ألسنة منهم حين رجعوا، وكتب سعيد إلى عثمان يضجُّ منهم، فكتب عثمان إلى سعيدٍ أن سيِّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وكان أميراً على حمص[2]، فلمَّا وصلوا إلى عبد الرَّحمن بن خالد بن الوليد، استدعاهم، وكلَّمهم كلاماً شديداً، وكان ممَّا قاله لهم: يا الة الشيطان ! لا مرحباً بكم، ولا أهلاً ! لقد رجع الشَّيطان محسوراً خائباً، وأنتم ما زلتم نشيطين في الباطل ! خَسَّرَ الله عبد الرحمن إن لم يؤدِّبكم، ويُخزِكم ! يا معشر من لا أدري من أنتم ! أعربٌ، أم عجمٌ ؟ لن تقولوا لي كما كنتم تقولون لسعيد ومعاوية، أنا ابن خالد بن الوليد، أنا ابن من قد عجَمْته العاجمات، أنا ابنُ فاقأى الرِّدَّة، والله لأذلَّنكم ! وأقامهم عبد الرحمن بن خالد عنده شهراً كاملاً، وعاملهم بمنتهى الحزم، والشِّدَّة، ولم يَلِن معهم كما لان سعيدٌ، ومعاوية، وكان إذا مشى مشوا معه، وإذا ركب ركبوا معه، وإذا غزا غزوا معه، وكان لا يدع مناسبةً إلا ويذلُّهم فيها، وكان إذا قابل زعيمهم (صعصعة بن صوحان) يقول له: يا بن الخطيئة ! هل تعلم أنَّ من لم يصلحه الخير أصلحه الشَّرُّ، وأن من لم يصلحه اللِّين أصلحته الشدَّة ؟ وكان يقول لهم: لماذا لا تردُّون

---

[1] تاريخ الطَّبري (331/5) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .

عليّ، كما كنتم تردُّون على ســـعيد في الكوفة، وعلى معاوية بالشَّـــام ؟ لماذا لا تخاطبوني، كما كنتم تخاطبونهما؟

ونفع معهم أسلوب عبد الرَّحمن بن خالدٍ، وأخرسهم حزمه، وشدَّته، وقسوته، وأظهروا له التَّوبة، والنَّدم . وقالوا له: نتوب إلى الله، ونســتغفره، أَقِلْنَا أقالك الله ! وسامحنا سامحك الله ! بقي القوم في الجزيرة عند عبد الرَّحمن بن خالدٍ، وأرسل عبد الرَّحمن أحد زعمائهم وهو الأشـتر النَّخعي إلى عثمان ليخبره بتوبتهم، وصـلاحهم، وتراجعهم عمَّا كانوا عليه من الفتنة، فقال عثمان للأشــتر: احلُل أنت ومن معك حيث شـئتم، فقد عفوت عنكم . قال الأشـتر: نريد أن نبقى عند عبد الرَّحمن بن خالد بن الوليد، وذكر من فضــل عبد الرحمن، وحزمه، فأقاموا عند عبد الرَّحمن في الجزيرة مدَّةً، أظهروا فيها التَّوبة، والاســتقامة، والصَّــلاح[1]، وســكت أصــحاب الفتنة في الكوفة إلى حينٍ، وكان هذا في شهور سنة ثلاثٍ وثلاثين، بعدما تمَّ نفي رؤوس الفتنة إلى معاوية في الشَّــام، ثمَّ إلى عبد الرَّحمن بن خالد، فرأى أصـــحاب الفتنة في الكوفة أنَّ المصلحة تقتضي أن يسكتوا إلى حينٍ[2] .

1. أهل الفتنة بالبصرة يفترون على أشجِّ عبد القيس:

أمَّا أهل الفتنة بالبصــرة بزعامة حكيم بن جبلة، فقد كانوا ضــدَّ أهل الفضــل فيها، وتامروا، وكذبوا عليهم، وكان من أفضــل، وأتقى أهل البصــرة (أشــجُّ عبد القيس) واسمه عامر بن عبد القيس، وكان زعيماً لقومه، وقد وفد على رســـول الله(ﷺ)، وتعلَّم منه، ومدحه رسـول الله(ﷺ) بقوله: « إنَّ فيك خصـلتين يحبُّهما

---

[1] تاريخ الطَّبري (327/5) .

[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(134) .

الله، ورســـوله: الحلم، والأناة »[1] . وكان عامر بن عبد القيس من قادة الجهاد في القادسـيَّة، وغيرها، وكان مقيماً في البصـرة، وكان على قسـطٍ كبيرٍ من الصَّـلاح، والتَّقوى، فكذب الخارجون عليه، واتَّهموه بالباطل، فســـيَّره عثمان إلى معاوية بالشَّـام، ولما كلَّمه معاوية رضـي الله عنه، وعامله، عرف براءته، وصـدقه، وكَذِبَ الخوارج، وافتراءهم عليه، وكان الّذي تولى الكذب على عامر ابن عبد القيس هو (حمران بن أبان) وهو رجلٌ عاصٍ بدون دينٍ، حيث تزوَّج امرأة في أثناء عدَّتها ! ولما علم عثمان بذلك ؛ فرَّق بينهما، وضربه، ونكَّل به لمعصيته، ونفاه إلى البصرة، وهناك التقى مع زعيم السَّبَئِيّين فيها، اللِّصِّ حكيم ابن جبلة[2] .

2. ابن سبأ يحدِّد سنة أربع وثلاثين للهجرة للتَّحرُّك:

وفي سنة أربع وثلاثين – السَّنة الحادية عشرة من خلافة عثمان – أحكم عبد الله بن ســبأ اليهوديُّ خطَّته، ورســم مؤامراته، ورتَّب مع جماعته السَّــبئِيّين الخروج على الخليفة، وولاته، فقد اتَّصــل ابن ســبأ اليهوديُّ من وكر مؤامرته في مصـــر بالشَّــياطين من حزبه في البصــرة، والكوفة، والمدينة، واتَّفق معهم على تفاصــيل الخروج، وكاتبهم، وكاتبوه، وراسلهم، وراسلوه، وكان ممَّن كاتبهم، وراسلهم السَّبئيُّون في الكوفة، وقد كانوا بضـعة عشـر رجلاً منهم منفيين في الشَّـام، ثمَّ في الجزيرة عند عبد الرَّحمن بن خالد بن الوليد، وبعد نفي أولئك الخارجين، كان زعيم السَّـــبئِيّين الحاقدين في الكوفة يزيد بن قيس[3]، وقد خلت الكوفة في ســنة أربع وثلاثين من

---

[1] رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، رقم (25) . وقال النَّووي في شرحه: أمَّا الحلم ، فهو العقل ، وأمَّا الأناة فهي التثبُّت ، وترك العجلة .
[2] تاريخ الطَّبري (333/5 ، 334) .

[3] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(135) .

وجوهها، وأشـــرافها ؛ لأنَّهم توجَّهوا للجهاد في ســـبيل الله، ولم يبق إلا الرُّعاع، والغوغاء، الذين أثَّر فيهم السَّـــبئيُّون والمنحرفون، وشـــحنوهم بأفكارهم الخبيثة، وهيَّجوهم ضدَّ والي عثمان على الكوفة سعيد بن العاص رضي الله عنه[1].

3. أوضاع أهل الكوفة عند تحرُّك أهل الفتنة:

قال الطَّبريُّ عن أوضـاع الكوفة سـنة أربع وثلاثين: وفد سـعيد بن العاص إلى عثمان في ســنة إحدى عشــرة من إمارة عثمان، وقد بعث ســعيدٌ قبل خروجه الأشـعث ابن قيس إلى أذربيجان، وسـعيد بن قيس إلى الرَّيِّ، والنُّسـير العجليَّ إلى همذان، والسَّـائب بن الأقرع إلى أصـبهان، ومالك بن حبيب إلى ماه، وحكيم بن سـلامة إلى الموصـل، وجرير بن عبد الله إلى قرقيسيا، وسـلمان بن ربيعة إلى الباب، وعُتَيبـة بن النَّهـاس إلى حلوان، وجعـل على الحرب القعقـاع بن عمرو التَّميميَّ، وكـان نائبـه بعـد خروجـه عمرو بن حُريـث، وبـذلـك خلـت الكوفـة من الوجوه والرُّؤسـاء، ولم يبق فيها إلا منزوعٌ، أو مفتونٌ[2]، وفي هذا الجوِّ خرج زعيم السَّبئيِّين في الكوفة (يزيد بن قيس) بعد اتِّفاقٍ مع شـيطانه ابن سـبأ في مصـر، وخرج معه أهل الفتنة الّذين انضموا إلى جمعية ابن سبأ السِّريَّة، والغوغاء الّذين تأثَّروا بها[3] .

4. القعقاع بن عمرو التَّميميُّ يقضي على التَّحرُّك الأوَّل:

خرج يزيـد بن قيس في الكوفـة، وهو يريـد خَلْع عثمـان، فـدخـل المســـجـد، وجلس فيه، وتجمَّعَ عليه في المســجد السَّـبئيُّون، الّذين كان ابن السَّـوداء يكاتبهم

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(136) .
[3] تاريخ الطَّبري (337/5) .

من مصـــر، ولما تجمع الخارجون في المســـجد، علم بأمرهم القعقاع بن عمرو أمير الحرب، فـألقى القبض عليهم، وأخـذ زعيمهم يزيـد بن قيس معه، ولما رأى يزيـد شـــدَّة القعقاع، ويقظته، وبصـــيرته ؛ لم يجاهره بهدفهم، وخطَّتهم في الخروج على الخليفة عثمان، وخلعه، وأظهر له أنَّ كل ما يريده هو وجماعته عزل الوالي ســـعيد ابن العاص، والمطالبة بوالٍ اخر مكانه، فاســتُجيب لطلبهم، ولذلك أطلق القعقاع ســـراح الجمـاعـة ؛ لما سمع كلام يزيـد، ثمَّ قـال ليزيـد: لا تجلس لهذا الهدف في المســـجد، ولا يجتمع عليك أحدٌ، واجلس في بيتك، واطلب ما تريد من الخليفة، وسيحقِّق لك ذلك[1] .

5. يزيد بن قيس يكاتب أهل الفتنة عند عبد الرحمن بن خالد:

جلس يزيد بن قيس في بيته، واضـــطرَّ إلى تعديل خطَّته في الخروج، والفتنة، واســتأجر هذا السَّــبئيُّ (يزيد بن قيس) رجلاً، وأعطاه دراهم، وبغلاً، وأمره أن يذهب بسرعة، وكتمانٍ إلى السَّبئيين من أهل الكوفة الّذين نفاهم عثمان بن عفَّان إلى الشَّـام، ثم إلى الجزيرة، وهم مقيمون عند عبد الرَّحمن بن خالد بن الوليد هناك، وقد أظهروا له التَّوبة، والنَّدم، وقال يزيد لإخوانه الشَّــياطين في كتابه: إذا وصلكم كتابي هذا فلا تضعوه من أيديكم، حتَّى تأتوا إليَّ، فقد راسلنا إخواننا في مصر – وهم السَّــبئيّون هناك – واتفقنا معهم على الخروج، ولما قرأ الأشــتر كتاب وصــاح يزيد بن قيس في الغوغاء، والرُّعاع داخل المســـجد وخارجه، وقال: إنِّي خارج إلى طرق المدينة، لأمنع سـعيد بن العاص من دخول الكوفة، ومن شـاء أن يخرج معي

[1] تاريخ الطَّبري (338/5) . والخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(138) .

لمنع ســـعيد من الدُّخول، والمطالبة بوالٍ مكانه ؛ فليفعل . فاســـتجاب لندائه السَّبئيُّون والرُّعاع، وخرج معه حوالي ألف منهم[1] .

6. القعقاع بن عمرو يرى قتل قادة أهل الفتنة:

لما خرج السَّــبئيُّون، والغوغاء طلباً للفتنة، والتمرُّد، وإحداث القلاقل، بقي في المسجد وجوه المسلمين، وأشرافهم، وحلماؤهم، فصعد المنبر نائب الوالي عمرو بن حُريث، وطالب المســـلمين بالأخوَّة، والوحدة، ونهاهم عن التَّفرُّق، والاختلاف، والفتنة، والخروج، ودعاهم إلى عدم الاســـتجابة للخارجين، والمتمرِّدين[2]، قال القعقاع بن عمرو: أتردُّ السَّـيل عن عبابه، فاردد الفرات عن أدراجه، هيهات ! لا والله لا تُســكِّن الغوغاء إلا المشـرفيَّة[3]، ويوشـك أن تُنْتضـى، ثمَّ يعجُّون عجيج العتدان[4]، ويتمنَّون ماهم فيه، فلا يرده عليهم أبداً، فاصـبر، فقال: أصـبر، وتحوَّل إلى منزله[5].

7. أهل الفتنة يمنعون سعيد بن العاص من دخول الكوفة:

سـار يزيد بن قيس ومعه الأشتر النَّخعي بالألف من الخارجين إلى مكان على طريق المدينة، يســمَّى (الجَرَعَة)، وبينما كانوا معســكرين في الجرعة، طلع عليهم ســـعيد بن العاص عائداً من عند عثمان، فقالوا له: عُد من حيث أتيت، ولا حاجة لنا بك، ونحن نمنعك من دخول الكوفة، وأخبرْ عثمان: أنَّنا لا نريد والياً

---

[1] المصدر السَّابق نفسه (338/5) .
[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(139) .
[3] نوعٌ من السُّيوف .
[4] تُنْتَضى: انتضى السَّيف أي: أخرجه من غمده . العتود: الجدي الَّذي استكرش ، وقيل: الحوليُّ من أولاد الماعز .
[5] تاريخ الطَّبري (338/5) .

علينا، ونريد من عثمان أن يجعل أبا موســـى الأشـــعريَّ والياً مكانك، قال لهم سـعيد: لماذا خرجتم ألفاً لتقولوا لي هذا الكلام ؟ كان يكفيكم أن تبعثوا رجلاً إلى أمير المؤمنين بطلبكم، وأن توقفوا لي رجلاً في الطَّريق ليخبرني بذلك، وهل يخرج ألف رجلٍ لهم عقول لمواجهة رجلٍ واحدٍ[1] ؟ رأى ســعيد بن العاص: أنَّ من الحكمة عدم مواجهتهم، وعدم تأجيج نار الفتنة، بل محاولة إخمادها، أو تأجيل اشتعالها على الأقلِّ، وهذا رأي أبي موسى الأشعريِّ، وعمرو بن حريث، والقعقاع بن عمرو في الكوفة[2]، وعاد ســعيد بن العاص إلى عثمان وأخبره خبر القوم الخوارج. قال له عثمان: ماذا يريدون ؟ هل خلعوا يداً من طاعةٍ ؟ وهل خرجوا على الخليفة؟ وأعلنوا عدم طاعتهم له ؟ قال له ســعيد: لا، لقد أظهروا أنَّهم لا يريدونني والياً عليهم، ويريدون والياً اخر مكاني . قال له عثمان: من يريدون والياً؟ قال سعيد بن العاص: يريدون أبا موسى الأشعريَّ . قال عثمان: قد عيَّنا، وأثبتنا أبا موســى والياً عليهم، ووالله لن نجعل لأحدٍ عُذراً، ولن نترك لأحدٍ حُجَّة، ولنصبرنَّ عليهم كما هو مطلوب منَّا، حتَّى نعرف حقيقة ما يريدون، وكتب عثمان إلى أبي موسى بتعيينه والياً على الكوفة[3] .

وقبل وصــول كتاب عثمان رضــي الله عنه بتعيين أبي موســى والياً، كان في مسجد الكوفة بعض أصحاب رسول الله(ﷺ)، وقد حاولوا ضبط الأمور، وتهدئة العامَّة، ولكنَّهم لم يتمكَّنوا من ذلك ؛ لأنَّ السَّــبئيِّين، والحاقدين ســيطروا على الرُّعاع، والغوغاء، وهيَّجوهم، فلم يعودوا يســمعون صــوت عقلٍ، أو منطقٍ، وكان

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(140) .
[3] تاريخ الطَّبري (339/5) .

في مسـجد الكوفة وقت التمرُّد والفتنة اثنان من أصـحاب رسـول الله(ﷺ)، هما حذيفة بن اليمان، وأبو مسـعودٍ عقبة بن عمرو الأنصـاريُّ البدريُّ، وكان أبو مسـعود غاضـباً لتمرُّد، وثورة الرُّعاع، وخروجهم إلى الجرعة، وعزلهم الوالي سـعيد، وعصـيانهم له، وهي أوَّل مرَّةٍ تحصـل، بينما كان حذيفة بعيد النَّظر، يتعامل مع الحدث بموضوعيَّةٍ، وتفكيرٍ[1] .

قال أبو مسعود لحذيفة: لن يعودوا من الجرعة سالمين، وسيرسل الخليفة جيشاً لتأديبهم، وستسفك فيها دماءٌ كثيرةٌ، فردَّ عليه حذيفة قائلاً: والله سيعودون إلى الكوفة، ولن يكون هناك اشتباكٌ أو حربٌ، ولن تسفك هناك دماءٌ، وما أعلم من هذه الفتن اليوم شيئاً، إلا وقد علمته من رسول الله(ﷺ) وهو حيٌّ، حيث أخبرنا عن هذه الفتن الّتي نراها اليوم قبل وفاته، ولقد أخبرنا رسول الله(ﷺ): «أنَّ الرَّجل يصبح على الإسلام، ثمَّ يمسي، وليس معه من الإسلام شيءٌ، ثمَّ يقاتل المسلمين، فيرتدُّ، وينكصُ قلبه، ويقتله الله غداً» وسيكون هذا فيما بعد[2].

لقد كان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه متخصِّصاً في علم الفتن، وتعامل مع فتن السَّـبئيِّين في الكوفة، وغيرها، وفق ما سمعه، وعلمه من رسـول الله(ﷺ)، واسـتحضـر ما حفظه من تلك الأحاديث، ففهم حقيقة ما يجري حوله، ولم يستبعده، ولم يستغربه، وحاول الإصلاح ما أمكنه[3].

---

[1] الخلفاء الرَّاشدون ، ص(141) .
[2] تاريخ الطَّبري (342/5) .
[3] حذيفة بن اليمان، لإبراهيم العلي،ص(86).والخلفاء الرَّاشدون، للخالدي، ص(141).

8 – أبو موسى الأشعري يهدِّىء الأمور، وينهى عن العصيان:

قام أبو موســـى الأشــعريُّ رضـــي الله عنه بتهدئة الأمور، ونهى النَّاس عن العصـيان. وقال لهم: أيها النَّاس ! لا تخرجوا في مثل هذه المخالفة، ولا تعودوا لمثل هذا العصـــيان، الزموا جماعتكم، والطَّاعة، وإيَّاكم والعجلة، اصـــبروا، فكأنَّكم بأميرٍ[1]. فقالوا: فصلِّ بنا، قال: لا، إلا على السَّمع، والطَّاعة لعثمان بن عفَّان، قالوا: على السَّمع، والطَّاعة لعثمان[2] .

وما كانوا صـــادقين في ذلك، لكنَّهم كانوا يخفون أهدافهم الحقيقيَّة عن الاخرين، وكان أبو موســى يصـلِّي بالنَّاس إلى أن جاءه كتاب عثمان بتعيينه والياً على الكوفة، ولما هدأت الأمور في الكوفة إلى حينٍ، في ســنة أربع وثلاثين ؛ عاد حذيفة بن اليمان إلى أذربيجان والباب يقود جيوش الجهاد هناك، وعاد العمَّال، والولاة إلى أعمالهم في مناطق فارس[3] .

9. كتاب عثمان إلى الخارجين في الكوفة:

كتب عثمان بن عفَّان إلى الخارجين من أهل الكوفة كتاباً، يبيِّنُ فيه الحكمة من استجابته لطلبهم في عزل سعيد، وتعيين أبي موسى بدله، وهي رسالةٌ ذات دلالات هامَّة، وتبيِّن طريقة عثمان في مواجهة هذه الفتن، ومحاولته تأجيل اشتعالها ما استطاع، مع علمه اليقينيّ: أنَّها قادمةٌ، وأنَّه عاجزٌ عن مواجهتها، فهذا ما علمه من رسول الله(ﷺ) . قال لهم عثمان في رسالته: أمَّا بعد: فقد أمَّرت عليكم من

---

(1) أي: يأتيكم من قبل أمير المؤمنين عثمان .

(2) تاريخ الطَّبري (339/5) .

(3) الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(142) .

اخترتم، وأعفيتكم من سعيدٍ، والله لأفرشنَّ لكم عِرضي، ولأبذُلنَّ لكم صبري، ولأستصلحنَّكم بجهدي، واسألوني كلَّ ما أحببتم، ممَّا لا يُعصى الله فيه، فسأعطيه لكم، ولا شيئاً كرهتموه لا يُعصى الله فيه إلا استعفيتم منه، أنزل فيه عند ما أحببتم، حتَّى لا يكون لكم علي حجَّةٌ . وكتب بمثل ذلك في الأمصار[1]، رضي الله عن أمير المؤمنين عثمان، ما كان أصلحه ! وأوسع صدره ! وكم ظلمه السَّبئيُّون والخارجون الحاقدون، وكذبوا وافتروا عليه[2] !

* * *

[1] تاريخ الطَّبري (343/5) .
[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(143) .

المبحث الثَّاني : سياسة عثمان رضي الله عنه في التَّعامل مع الفتنة

من خلال النُّصوص التَّاريخيَّة في العديد من المصادر يتَّضح: أنَّ عثمان رضي الله عنه قد واجه الفتنة بعددٍ من الأساليب، وهي:

أولاً: رأي بعض الصَّحابة بأن يرسل عثمان لجان تفتيشٍ، وتحقيقٍ:

اهتزَّ محمَّد بن مسلمة، وطلحة بن عبيد الله، وغيرهما لما سمعوا من الإشاعات الّتي بثها عبد الله بن سبأ في الأمصار، فدخلوا على أمير المؤمنين عثمان على عجلٍ، وقالوا: يا أمير المؤمنين ! أيأتيك عن النَّاس الّذي يأتينا ؟ قال: لا والله ! ما جاءني إلا السَّلامة . قالوا: فإنَّا قد أتانا، وأخبروه بما تناهى لسمعهم عن الفتنة الّتي تموج بها الأمصار الإسلاميَّة، وعن الهجوم الشَّرس على ولاته في كل صقع . وقال: أنتم شركائي، وشهود المؤمنين ؛ فأشيروا عليَّ ! قالوا: نشير عليك أن تبعث رجالاً ممَّن تثق بهم إلى الأمصار حتَّى يرجعوا إليك بخبرهم[1] .

فقام عثمان بإجراءٍ سديدٍ عظيمٍ، وتخيَّر نفراً من الصَّحابة، لا يختلف اثنان في صدقهم، وتقواهم، وورعهم، ونصحهم، اختار محمَّد بن مسلمة الّذي كان عمر يأتمنه على محاسبة ولاته، والتَّفتيش عليهم في الأقاليم، وأسامة بن زيد حبَّ رسول الله(ﷺ)، وابن حبِّه، وأمير الجيش الّذي أوصى النَّبيّ(ﷺ) بإنفاذه في اخر عهده بالدُّنيا، فقال(ﷺ): « أنفذوا بعث أسامة »، وعمَّار بن ياسر، السَّبَّاق إلى الإسلام، والمجاهد العظيم، وعبد الله بن عمر، التَّقيَّ الفقيه الورع، فأرسل محمَّد بن

[1] تاريخ الطَّبري (348/5) .

مسلمة إلى الكوفة، وأسامة إلى البصرة، وعمَّاراً إلى مصر، وابن عمر إلى الشَّام، وكانوا على رأس جماعةٍ، فأرسلهم إلى تلك الأمصار الكبيرة، فمضوا جميعاً إلى عملهم الشَّاقِّ المضني الخطير العظيم، ثمَّ عادوا جميعاً عدا عمَّار بن ياسر الَّذي استبطأ في مصر، ثمَّ عاد، وقدَّموا بين يدي أمير المؤمنين ما شاهدوه، وسمعوه، وسألوا النَّاس عنه[1]، وكان ما جاء به هؤلاء واحداً في كلِّ الأمصار، وقالوا: أيُّها النَّاس ! ما أنكرنا شيئاً ! ولا أنكر المسلمون إلا أنَّ أمراءهم يقسطون بينهم، ويقومون عليهم[2] . وأمَّا ما روي من اتِّهام عمَّار بن ياسر رضي الله عنه – بالتأليب على عثمان رضي الله عنه فإنَّ أسانيد الرِّوايات الَّتي تتضمَّن هذه التُّهمة ضعيفةٌ، لا تخلو من علَّةٍ، كما أنَّ في متونها نكارةً[3] .

رجع مفتشو الأمصار، واتَّضح بأنه ليس هناك ما يوجب على الخليفة أن يعزل واحداً من ولاته، والنَّاس في عافيةٍ، وعدلٍ، وخيرٍ، ورحمةٍ، واطمئنانٍ، وأمير المؤمنين يعدل في القضيَّة، ويقسم بالسَّويَّة، ويرعى حقَّ الله وحقوق الرَّعيَّة، وما يثار هو شكوكٌ، وأراجيف، وأكاذيب يبثُّها الحاقدون في الظُّلمات ؛ لكي لا يُعرف مصدرها، ولكنَّ الخليفة البارَّ الرَّاشد العظيم لم يكتف بهذا، بل كتب إلى أهل الأمصار[4].

---

[1] عثمان بن عفَّان الخليفة الشَّاكر الصَّابر ، ص(210) .
[2] تاريخ الطَّبري (348/5) .
[3] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (117/1) .
[4] تاريخ الطَّبري (349/1) .

ثانياً: كتب إلى أهل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلان عامٍّ لكلِّ المسلمين:

أمَّا بعد: فإنِّي اخذ العمال بموافاتي في كلِّ موســـمٍ، وقد ســـلَّطت الأمَّة منذ وليت على الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، فلا يُرفع عليَّ شـــيءٌ، ولا على أحدٍ من عمَّالي إلا أعطيته، وليس لي، ولعيالي حقٌّ قبل الرَّعيَّة إلا متروكٌ لهم، وقد رفع إلى أهل المدينة: أنَّ أقواماً يُشتَمون، واخرون يُضـرَبون، فيا مَنْ ضُـرِبَ ســرّاً، وشُتم سرّاً، من ادَّعى شيئاً من ذلك ؛ فليواف الموسم، فليأخذ بحقِّه حيث كان، منِّي، أو من عمَّالي، أو تصدقوا، فإنَّ الله يجزي المتصدِّقين . فلمَّا قرأى في الأمصار أبكى النَّاس، ودعوا لعثمان، وقالوا: إنَّ الأمَّة لتَمخَّضُ بشرٍّ[1] .

فهل تريد الدُّنيا أن تسـمع بحزمٍ، وعزمٍ أعلى، وأشمخ من هذا الحزم، والعزم من رجلٍ زاد ســـنُّه عن اثنتين وثمانين ســـنةً، وهو في هذه الفورة، والقوَّة من المتابعة والتَّنقيب عن المظالم ؟ أم هل يريد النَّاس أن يروا عدلاً أرفع، وأسمى من هذا العدل والإنصـاف، حتَّى إنَّ حقَّ أمير المؤمنين الشَّـخصـي متروكٌ لرعيَّته، ما دام حقُّ الله قائماً وحدوده مرعيَّةً ؟ نعم عند عثمان، الّذي لم يقف عند ذلك، ولم يكتف بأن أرسل أمناءه للتفتيش عن أحوال النَّاس، وكتابته من ثمَّ إلى أهل الأمصـار بأن يأتوا موســـم الحجِّ ليرفعوا شـــكاتهم – إن كانت لهم – أمام جموع الحجيج، ولم يكتف عثمان بذلك كلِّه، بل بعث إلى عمَّال الأمصـار أنفسـهم ؛ ليواجهوا النَّاس عندما يرفعون مظالمهم – إن وجدت – ثمَّ ليســـألهم أمير المؤمنين عما يتناقله النَّاس، وليشيروا عليه بالرَّأي النَّاصح السَّديد الرَّشيد[2] .

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) عثمان بن عفان الخليفة الشَّاكر الصَّابر ، ص(212) .

ثالثاً: مشورة عثمان لولاة الأمصار:

بعث عثمان رضي الله عنه إلى ولاة الأمصار واستدعاهم على عجلٍ: عبد الله ابن عامر، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص، وعمرو بن العاص – وهم من الولاة السَّابقين –: وكانت جلسةً مغلقةً وخطيرةً، جرت فيها الأبحاث التَّالية الّتي تقرِّر خطَّة العمل الجديدة في ضوء الأخبار المتناهية إلى المدينة عاصمة دولة الإسلام[1]، قال عثمان: ويحكم ! ما هذه الشِّكاية ؟ وما هذه الإذاعة ؟ إنِّي والله لخائف أن يكون مصدوقاً عليكم، وما يعصب[2] هذا إلا بي. فقالوا له: ألم تبعث ؟ ألم يرجع إليك الخبر عن القوم، ألم يرجعوا ولم يشافههم أحد بشيءٍ؟ لا والله ما صدقوا، ولا برُّوا، ولا نعلم لهذا الأمر أصلاً، وما كنت لتأخذ به أحداً فيضمنك على شيءٍ، وما هي إلا إذاعةٌ لا يحلُّ الأخذ بها، ولا الانتهاء إليها ! قال: فأشيروا عليَّ . فقال سعيد بن العاص: هذا أمرٌ مصنوعٌ يُصنع في السِّرِّ، فيُلقي به غير ذي معرفةٍ، فيخبر به، فيُتحدث به في مجالسهم . قال: فما دواء ذلك ؟ قال: طلب هؤلاء القوم، ثمَّ قتل هؤلاء الّذي يخرج هذا من عندهم .

وقال عبد الله بن سعد: خذ من النَّاس الّذي عليهم إذا أعطيتهم الّذي لهم ؛ فإنَّه خير من أن تدعهم . قال معاوية: قد ولَّيتني، فوليت قوماً لا يأتيك عنهم إلا الخير، والرَّجلان أعلم بناحيتهما، قال: فما الرأي ؟ قال: حسن الأدب، قال: فما ترى يا عمرو ؟ ! قال: أرى أنَّك قد لنت لهم، وتراضيت عنهم، وزدتهم عمَّا كان

---

[1] معاوية بن أبي سفيان ، ص(126) .

[2] يعصب بي: يناط بي .

يصنع عمر، فأرى أن تلزم طريقة صاحبك، فتشدَّ في موضع الشِّدَّة، وتلين في موضع اللِّين، إنَّ الشِّدَّة تنبغي لمن لا يألوا النَّاس شرّاً، واللِّين لمن يخلف النَّاس بالنُّصح، وقد فرشتهما جميعاً اللِّين .

وقام عثمان، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: كل ما أشرتم به عليَّ قد سمعت، ولكلِّ أمرٍ باب يؤتى منه، إنَّ هذا الأمر الّذي يُخاف على هذه الأمَّة كائنٌ، وإنَّ بابه الّذي يُغلق عليه، فيُكفكف به اللِّين، والمؤاتاة، والمتابعة، إلا في حدود الله تعالى ذكره، الّتي لا يستطيع أحدٌ أن يبادي بعيب أحدها، فإن سدَّه شيءٌ فرفق، فذاك والله ليُفتحنَّ، وليست لأحدٍ عليَّ حجَّة حقٍّ، وقد علم الله أنِّي لم ال الناس خيراً، ولا نفسي. ووالله إنَّ رحا الفتنة لدائرةٌ، فطوبى لعثمان إن مات ولم يحرِّكها ! كفكفوا النَّاس، وهبوا لهم حقوقهم، واغتفروا لهم، وإذا تعوطيت حقوق الله ؛ فلا تُدهِنوا فيها[1].

لقد خالف عثمان رضي الله عنه رأي أخيه عمرو باتِّباع الشِّدَّة، ولم يخالف في اتِّباع سنَّة صاحبيه، فرحى الفتنة دائرةٌ، ولا تعالج بالعنف ؛ لأنَّ العنف هو الّذي يدير هذه الرَّحى، ولن يرضى أمير المؤمنين أن يكون صاحبها، (فطوبى لعثمان إن مات، ولم يحركها !) وكان واضحاً صريحاً رضي الله عنه فيما لا هوادة فيه، وهي حدود الله، فلا مداهنة فيها، وما غير ذلك فالرِّفق أولى، والمغفرة أفضل، ولا بدَّ من تأدية الحقوق كلِّها[2] .

وقد جاءت رواياتٌ بسندٍ فيه ضعيفٌ، ومجهولون تشوِّه العلاقة بين عمرو بن

[1] تاريخ الطَّبري (351/5) .
[2] عمرو بن العاص الأمير المجاهد ، للغضبان ، ص(447) .

العاص، وعثمان رضي الله عنهما وساهمت رواياتٌ ساقطةٌ في مسخ صورة عمرو بن العاص رضـــي الله عنه وتحويل علاقته بعثمان رضـــي الله عنه إلى علاقة فاتكٍ خطَّط لقتل أميره، ثم عاد بانتهازيَّة ليطالب بدمه[1]، وهذه الرِّواية ضـــعيفةٌ، ومرفوضـــةٌ عند أهل التَّاريخ، وأهل الحديث[2]، وقد جاء في روايةٍ بســـندٍ فيها ضـــعفاء، ومجهولون أيضـــاً بأنَّ عمرو بن العاص قال: يا عثمان ! إنَّك قد ركبت النَّاس بمثل بني أميَّة، فقلت: وقالوا، وزغت، وزاغوا، فاعتدل، أو اعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزماً، وامضِ قدماً[3]، وجاء في نفس الرِّواية: أنَّ عبد الله بن عامر قال: أرى لك أن تجمرهم في هذه البعوث حتَّى يهمَّ كلُّ رجلٍ منهم قمل فروة رأســـه، ودبر دابته، وتشغلهم عن الإرجاف بك[4] .

إنَّ عثمان رضي الله عنه منع الولاة من التَّنكيل بمثيري الشَّغب، وحبسـهم، أو قتلهم، وقرَّر أن يعاملهم بالحسـنى، واللِّين[5]، وطلب من عماله أن يعـــودوا إلى أعمالهم، وفق ما أعلنه لهم من أسلوب مواجهة الفتنة الّتي كان كلُّ بصيرٍ يرى أنَّها قادمةٌ[6] .

1. اقتراحان لمعاوية يرفضهما عثمان رضي الله عنهما:

قبل أن يتوجه معاوية بن أبي سفيان إلى الشَّام أتى إلى عثمان وقال له: يا أمير المؤمنين ! انطلق معي إلى الشَّـــام، قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(448) .
[2] المصدر السَّابق نفسه .
[3] تاريخ الطَّبري (340/5) .
[4] المصدر السَّابق نفسه .
[5] خلافة عثمان ، د . السُّلمي ، ص(77) .
[6] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(151) .

لا قِبَل لك بها .

قال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله(ﷺ) بشيءٍ، ولو كان فيه قطعُ خيط عنقي. قال له معاوية: إذاً أبعث لك جيشـــاً من أهل الشَّـــام، يقيم في المدينة، لمواجهة الأخطار المتوقَّعة ؛ ليدافع عنك، وعن أهل المدينة، قال عثمان: لا حتى لا أقتِّر على جيران رسول الله(ﷺ) الأرزاق، بجندٍ، تساكنهم، ولا أضيِّق على أهل الهجرة والنُّصــرة . قال له معاوية: يا أمير المؤمنين ! والله لتُغتالنَّ، أو لتُغزينَّ . قال عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل[1] !

لكأنَّما معاوية رضـــي الله عنه كان يعلم: أنَّ وراء تلك الفتن، والشَّـــائعات يداً خبيثةً تخطِّط لهدفٍ مرهوبٍ ليس دونه ضـــرب الخليفة، والخلافة ؛ لكن عثمان الخليفة الرَّاشـد كان له رأيٌ اخر، فهو يريد أن يسـير مع هؤلاء لاخر الطَّريق حتَّى لا يترك لهم حجَّةً عند الله ولا عند النَّاس، فيفضــــحهم في الدُّنيا، والاخرة، وتلك مصابرةٌ عظيمةٌ من هذا الإمام العادل العظيم[2] .

2. عثمان يخترق صفوف المتامرين بعد مجيئهم للمدينة:

كان أمير المؤمنين عثمان من اليقظة والوعي ما يجعله يحقِّق بقلم اســـتخباراته مع هؤلاء المتامرين ؛ حيث بثَّ في صـــفوفهم رجلين من المســـلمين كانا قد عوقبا من الخليفة ليطمئن المتامرون إليهم، فقد أرســـل عثمان رجلين، مخزوميّاً، وزهريّاً، فقال: انظرا ما يريدون، واعلما علمهم، وكانا ممَّا نالهما من عثمان أدبٌ، فاصطبرا

(1) تاريخ الطَّبري (353/5) .
(2) عثمان بن عفان الخليفة الشَّاكر الصَّابر ، ص(214) .

للحقِّ ولم يضـــطغنا[1] فلمَّا رأوهما باثُّوهما، وأخبروهما بما يريدون، فقالا: مَنْ معكم على هذا من أهل المدينة ؟ قالوا: ثلاثة نفر، فقالا: هل إلا ؟ قالوا: لا . قالا: فكيف تريدون أن تصنعوا ؟ وشرح هؤلاء القوم للرَّجلين أبعاد المؤامرة كاملةً والخطَّة المقترحة، وقالوا: نريد أن نذكر له أشـــياء قد زرعناها في قلوب النَّاس، ثم نرجع إليهم، فنزعم لهم أنا قرَّرناه بها، فلم يخرج، ولم يتب، ثمَّ نخرج كأنَّا حجَّاج حتى نقدم، فنحيط به، فنخلعه، فإن أبى ؛ قتلناه، وكانت إيَّاها، فرجعا إلى عثمان، فضـحك، وقال: الّلهمَّ سـلم هؤلاء فإنَّك إن لم تُسـلِّمهم ؛ شـقوا . فأرسـل إلى الكوفيين، والبصـريين، ونادى: الصَّـلاة جامعة ! وهم عنده في أصـل المنبر، فأقبل أصـحاب رسـول الله(ﷺ) حتَّى أحاطوا بهم، فحمد الله وأثنى عليه، وأخبرهم خبر القوم، وحقيقة ما يريدون، من تأكيد الشُّبهات عليه تمهيداً للخروج عليه، وخلعه، أو قتله، وقام الرجلان اللَّذان حادثا السَّـــبئيِّين، فشـــهدا بما أخبروهما به . فقال المســلمون جميعاً في داخل المســجد: اقتلهم يا أمير المؤمنين ! لأنَّهم يريدون الخروج على أمير المؤمنين، وتفريق كلمة المســـلمين، ورفض عثمان رضـــي الله عنه دعوة الصَّحابة لقتلهم ؛ لأنَّهم مسلمون – في الظاهر – من رعيته، ولا يرضى أن يقال: عثمان يقتل مســـلمين مخالفين له ؛ ولذلك ردَّ عثمان بن عفَّان على تلك الدَّعوة قائلاً: لا نقتلهم، بل نعفو، ونصـــفح، ونبصِّـــرهم بجهدنا، ولا نقتل أحداً من المسلمين، إلا إذا ارتكب حدّاً يوجب القتل، أو أظهر ردَّة، وكفراً[2] .

---

[1] اضطغن فلانٌ على فلانٍ: حقد عليه .

[2] تاريخ الطَّبري (354/5 ، 355) .

رابعاً: إقامة الحجَّة على المتمرِّدين:

ثمَّ دعا عثمان القوم السَّبئيّين إلى عرض ما عندهم من شبهاتٍ، وإظهار ما يرونه من أخطاءٍ، وتجاوزاتٍ، ومخالفات وقع هو فيها، وكانت جلسة مصارحةٍ، ومكاشفةٍ في المسجد على مرأى ومسمع من الصَّحابة والمسلمين، فتكلَّم السَّبئيُّون، وعرضوا الأخطاء الّتي ارتكبها عثمان - على حدِّ زعمهم - وقام عثمان رضي الله عنه بالبيان، والإيضاح، وقدَّم حججه، وأدلَّته فيما فعل، والمسلمون المنصفون يسمعون هذه المصارحة، والمحاسبة، والمكاشفة، وأورد عثمان ما أخذوه عليه، ثمَّ بيَّن حقيقة الأمر، ودافع عن حُسن فعله وأشهد معه الصَّحابة الجالسين في المسجد[1] .

1. قال: قالوا: إنِّي أتممت الصَّلاة في السَّفر، وما أتمَّها قبلي رسول الله، ولا أبو بكرٍ، ولا عمر . لقد أتممت الصَّلاة لما سافرت من المدينة إلى مكَّة، ومكَّة بلدٌ فيه أهلي، فأنا مقيمٌ بين أهلي، ولست مسافراً أليس كذلك ؟ فقال الصَّحابة: اللَهم نعم!

2ـــ وقالوا: إنِّي حميتُ حمىً، وضيّقتُ على المسلمين، وجعلت أرضاً واسعةً، خاصَّة لرعي إبلي ! ولقد كان الحمى قبلي، لإبل الصَّدقة، والجهاد، حيث جعل الحمى كلٌّ من رسول الله، وأبو بكرٍ، وعمر، وأنا زدت فيه لما كثرت إبل الصَّدقة، والجهاد، ثمَّ لم نمنع ماشية فقراء المسلمين من الرَّعي في ذلك الحمى، وما حميت لماشيتي ! ولما وِلِّيت الخلافة كنت من أكثر المسلمين إبلاً، وغنماً، وقد أنفقتها

[1] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(154 ، 155) .

كلَّها، وما لي الان ثاغيةٌ ولا راغيةٌ، ولم يبقَ لي إلا بعيران، خصَّصتهما لحجِّي ! أليس كذلك ؟ فقال الصَّحابة: اللَهمَّ نعم !

3ـــ وقالوا: إنِّي أبقيت نسخةً واحدةً من المصاحف، وحرَّقت ما سواها، وجمعت النَّاس على مصحفٍ واحدٍ ! ألا إن القران كلام الله، من عند الله، وهو واحدٌ، ولم أفعل سوى أن جمعت المسلمين على القران، ونهيتهم عن الاختلاف فيه، وأنا في فعلي هذا تابعٌ لما فعله أبو بكر، لما جمع القران ! أليس كذلك ؟ فقال الصَّحابة: اللَهمَّ نعم !

4ـــ وقالوا: إنِّي رددت الحكَم بن أبي العاص إلى المدينة، وقد كان رسول الله(ﷺ) نفاه إلى الطَّائف! إنَّ الحكم بن العاص مكِّيٌّ، وليس مدنيّاً، وقد سيَّره رسول الله(ﷺ) من مكَّة إلى الطَّائف، وأعاده الرسول(ﷺ) إلى مكَّة بعدما رضي عنه، فالرَّسول(ﷺ) سيَّره إلى الطَّائف، وهو الذي ردَّه وأعاده! أليس كذلك؟ فقال الصَّحابة: الّلهمَّ نعم!

5ـ وقالوا: إني استعملت الأحداث،ووليت الشَّباب صغار السِّنِّ ! ولم أُوَلِّ إلا رجلاً فاضلاً محتملاً مرضيّاً، وهؤلاء النَّاس أهل عملهم، فسَلوهم عنهم . ولقد ولَّى الّذين مِنْ قبلي من هم أحدث منهم، وأصغر منهم سنّاً، ولقد ولَّى رسول الله(ﷺ) أسامة بن زيدٍ،وهو أصغر ممَّن ولَّيته، وقالوا لرسول الله(ﷺ) أشدَّ ممَّا قالوا لي ؛ أليس كذلك ؟ قال الصَّحابة: اللَهمَّ نعم ! إنَّ هؤلاء النَّاس يعيبون للنَّاس ما لا يفسِّرونه، ولا يوضِّحونه .

6ـــ وقالوا: إنِّي أعطيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح ما أفاء الله به، وإنما

أعطيته خُمس الخمس – وكان مئة ألف – لما فتح إفريقية، جزاء جهاده، وقد قلت له: إن فتح الله عليك إفريقية ؛ فلك خمس الخمس من الغنيمة نفلاً، وقد فعلها قبلي أبو بكرٍ، وعمر رضـــي الله عنهما ومع ذلك قال لي الجنود المجاهدون: إنا نكره أن تعطيه خمس الخمس – ولا يحقُّ لهم الاعتراض والرَّفض – فأخذت خمس الخمس من ابن سعد، ورددته على الجنود، وبذلك لم يأخذ ابن سعد شيئاً ! أليس كذلك ؟ قال الصَّحابة: اللَهمَّ نعم !

7ــــــ وقالوا: إِنِّي أحبُّ أهل بيتي، وأعطيهم ! فأمَّا حبِّي لأهل بيتي، فإنَّه لم يحملني على أن أميل معهم إلى جور، وظلم الاخرين، بل أحملُ الحقوق عليهم واخذ الحقَّ منهم، وأمَّا إعطاؤهم فإِنِّي أعطيهم من مالي الخاص، وليس من أموال المسلمين ؛ لأنِّي لا أستحلُّ أموال المسلمين لنفسي، ولا لأحدٍ من النَّاس . ولقد كنت أعطي العطيَّة الكبيرة الرَّغيبة من صُــلب مالي أزمان رســول الله(ﷺ)، وأبي بكرٍ، وعمر، رضـــي الله عنهما، وأنا يومئذ شـــحيحٌ حريصٌ، أفحين أتيت على أســـنان أهل بيتي، وفني عمري، وجعلت مالي الّذي لي لأهلي، وأقاربي ؛ قال الملحدون ما قالوا ؟ وإِنِّي والله ما أخذت من مصر من أمصار المسلمين مالاً، ولا فضلاً، ولقد رددت على تلك الأمصار الأموال، ولم يُحضروا إلى المدينة إلا الأخماس من الغنائم، ولقد تولَّى المسلمون تقسيم تلك الأخماس، ووضعها في أهلها ! ووالله ما أخذت من تلك الأخماس وغيرها فلساً فما فوقه ! وإنَّني لا اكل إلا من مالي ! ولا أعطي أهلي إلا من مالي !

8 – وقالوا: إِنِّي أعطيت الأرض المفتوحة لرجالٍ معيَّنين، وإنَّ هذه الأرضـــين

المفتوحة، قد اشــترك في فتحها المهاجرون، والأنصــار، وغيرهم من المجاهدين، ولما قسَّـمت هذه الأراضـي على المجاهدين الفاتحين ؛ منهم من أقام بها، واسـتقرَّ فيها، ومنهم من رجع إلى أهله في المدينة، أو غيرها، وبقيت تلك الأرض ملكاً له، وقد با ع بعضهم تلك الأراضي، وكان ثمنها في أيديهم !

وبذلك أورد عثمان رضــي الله عنه أهمَّ الاعتراضــات الّتي أثيرت عليه، وتولَّى توضيحها، وبيان وجه الحقِّ فيها[1] .

وترى من ذلك الدِّفاع المحكم الّذي دافع به عثمان بن عفَّان رضـــي الله عنه، وساجل الصَّحابة فيه، وذاكرهم إيَّاه صورةً لما كان يجري من النَّقد المرِّ العنيف له، رضي الله عنه، وما كان يشيعه السَّبئيُّون من قالة السُّوء، وما يعملون على ترويجه من باطلٍ مزيَّفٍ، فقد أجمل رضـي الله عنه ذكر الاعتراضـات الّتي كانوا يعترضـون بها عليه، وبيَّن وجه الحقِّ فيما يفعل، وأنَّه كان على بيِّنةٍ من أمره، وعلى حجَّةٍ من دينه، ولكنَّهم مغرضـون لا يريدون رشـاداً، ولا يبغون سـداداً، فمجادلته لهم مجادلة رجلٍ مخلصٍ مع اخر يتربَّص به الدَّوائر، ويتسقَّط هفواته، لينفِّذ أغراضاً، ويلقي في نفوس النَّاس عنه إعراضـــاً، ومن كان شـــأنه كذلك لا تقنعه الحجَّة، ولا يهديه الدَّليل، ومن يضلل الله ؛ فلا هادي له[2] .

وقد سمع كلامه، وتوضـــيحه زعماء أهل الفتنة الّذين بجانب المنبر، كما سمعه الصَّــحابة الكرام، ومن معهم من المســلمين الصَّــالحين، وتأثَّر المســلمون بكلام

---

[1] العواصم من القواصم ، ص(61 إلى 111) . وتاريخ الطَّبري (355/5 ، 356) . والخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(158) . والفتنة ، لأحمد عرموش ، ص(10 - 14) .

[2] تاريخ الجدل ، لمحمد أبو زهرة ، ص(98 ، 99) .

عثمان، وبيانه، وتوضيحه، وصدَّقوه فيما قال: وازدادوا حبّاً، أمَّا السَّبئيُّون دعاة الفتنة، والفرقة، فلم يتأثَّروا بذلك، ولم يتراجعوا ؛ لأنَّهم لم يكونوا باحثين عن حقٍّ، ولا راغبين في خيرٍ، إنَّما كان هدفهم الفتنة، والكيد للإسلام، والمسلمين، وقد أشار الصَّحابة، والمسلمون على عثمان بقتل أولئك السَّبئيّين (زعماء الفتنة) بسبب ما ظهر من كذبهم، وتزويرهم، وحقدهم، بل أصرُّوا عليه في قتلهم، ليتخلَّص المسلمون من شرِّهم، وتستقرَّ بلاد المسلمين، ويُقضى على الفتنة الّتي يثيرها هؤلاء، وأتباعهم، ولكنَّ عثمان كان له رأيٌ اخر، وتحليلٌ مغايرٌ، فاثر أن يتركهم، ورأى عدم قتلهم، محاولةً منه لتأخير وقوع الفتنة، ولم يتَّخذ عثمان ضدَّ السَّبئيّين القادمين من مصر، والكوفة، والبصرة، أيَّ إجراءٍ مع علمه بما يخطِّطون، ويريدون، وتركهم يغادرون المدينة ويعودون إلى بلادهم[1].

خامساً: الاستجابة لبعض مطالبهم:

الاستجابة لبعض مطالبهم في خلع بعض الولاة، وتولية مَنْ طلبوا توليته، فهذه الأساليب كافيةٌ في المعالجة، وإقامة الحقِّ، والعدل ؛ لو كانت الأمور تسير في وضعها الطَّبيعيِّ، لكنَّ الواقع: أنَّ وراء هذه الشَّكاوى، والإثارات أموراً خفيَّةً، وأحقاداً جاهليَّةً، تسعى لإثارة الفتنة بين المسلمين، وتفريق وحدتهم، ووقع ما أخبر به النَّبيّ(ﷺ) من استشهاد عثمان رضي الله عنه[2] .

(1) الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(158 ، 159) .
(2) خلافة عثمان للسُّلمي ، ص(78) .

سادساً: ضوابط التَّعامل مع الفتن عند عثمان رضي الله عنه:

إنَّ المتأمِّل في هدي عثمان رضـــي الله عنه في تعامله مع الفتنة الّتي وقعت في عهده يمكنه أن يستنبط بعض الضَّوابط الّتي تُعين المسلم في مواجهته للفتن، ومن هذه الضَّوابط:

1. التَّثبُّت:

فقد أرسل لجان تفتيشٍ للأمصار، واستمع لأهلها، واستطاع أن يخترق جماعة السَّبئيِّين، ويقف على حقيقة أمرهم، ولم يستعجل في إصداره للأحكام عليهم .

2. لزوم العدل، والإنصاف:

فقد اتَّضــح هذا الضَّـابط في كتبه للأمصـار، وطلب ممَّن ادَّعى، أنَّه شُـتم، أو ضرب من الولاة ؛ فليوافِ الموسم، فليأخذ بحقِّه حيث كان، منه أو من عمَّاله[1].

3. الحلم والأناة:

ويتَّضـــح هذا الضَّـــابط في كتابه لأهل الكوفة عندما طلبوا عزل ســـعيد بن العاص، وتعيين أبي موسى الأشعريِّ، وقد جاء في هذا الكتاب:... والله لأفرشنَّكم عِرضـي، ولأبذلنَّ لكم صـبري، ولأستصـلحنَّكم بجهدي، فلا تدعوا شـيئاً أحببتموه لا يعصـى الله فيه إلا سـألتموه، ولا شـيئاً كرهتموه لا يُعصـى الله فيه إلا اسـتعفيتم منه[2].

---

[1] تاريخ الطَّبري (349/5) .
[2] تاريخ الطَّبري (343/5) .

4. الحرص على ما يجمع، ونبذ ما يفرِّق بين المسلمين:

ولذلك جمع النَّاس على مصـــحفٍ واحدٍ كما مرَّ معنا، وعندما عرض عليه الأشـــتر النَّخعيُّ عروضـــاً ثلاثة يأتي تفصـــيلها بإذن الله ؛ قال عثمان:... وإن قتلتموني؛ فلم أرتكـب مـا يوجـب قتلي، ووالله لئن قتلتموني فـإنَّكم لا تتحـابُّون بعدي أبداً، ولا تصلُّون جميعاً بعدي أبداً، ولا تقاتلون العدوَّ جميعاً بعدي[1] !

5. لزوم الصَّمت، والحذر من كثرة الكلام:

من خلال سيرة عثمان رضي الله عنه تتَّضح صفة قلَّة كلامه إلا فيما ينفع من علمٍ، أو نصـــحٍ، أو توجيهٍ، أو ردِّ اتِّهاماتٍ باطلةٍ، وقد كان رضـــي الله عنه كثير الصَّمت قليل الكلام.

6. استشارة العلماء الرَّبانيّين:

فقد كان رضـي الله عنه يسـتشـير علماء الصَّـحابة، كعليٍّ، وطلحة، والزُّبير، ومحمَّد بن مســلمة، وابن عمر، وعبد الله بن ســلام – رضـــي الله عنهم جميعاً – فالعلماء هم صـــمَّام الأمان، والملجأ في الخطوب المدلهمَّة، والفتن المظلمة ؛ لأنَّهم أبصـــر النَّاس بحالها، وأعرفهم بمآلها، فمن التجأ إليهم؛ وجد الفهم السَّـليم، والنَّظر الصَّحيح والموقف الشَّرعيَّ الواضح[2] .

---

(1) البداية والنِّهاية (184/7) .
(2) أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(728) .

7. الاسترشاد بأحاديث رسول الله(ﷺ) في الفتن:

إنَّ منهج عثمان رضـــي الله عنه أثناء الفتنة، ومســـلكه مع المتمرِّدين، الّذين خرجوا عليه لم تفرضــه عليه مجريات الأحداث، ولا ضـغط الواقع، بل كان منهجاً نابعاً من مشـكاة النُّبوَّة حيث أمره رسـول الله(ﷺ) بالصَّـبر، والاحتسـاب، وعدم القتال حتَّى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، وقد وفَّى ذو النُّورين رضي الله عنه بوعده، وعهده لرســـول الله(ﷺ) طوال أيَّام خلافته، حتَّى خرَّ شـــهيداً مضـــرَّجاً بدمائه الطَّاهرة الزَّكيَّة[1].

وقد قال محبُّ الدِّين الخطيب: الّذي يدلُّ عليه مجموع الأخبار عن مواقف عثمان من أمر الدِّفاع عنه، أو الاســـتســـلام للأقدار، هو أنَّه كان يكره الفتنة، ويتَّقي الله في دماء المســـلمين إلا أنَّه صـــار في اخر الأمر يودُّ لو كانت لديه قوَّةٌ راجحةٌ يهابها البغاة، فيرتدعون عن بغيهم، بلا حاجةٍ إلى اســـتعمال السِّـــلاح للوصـــول إلى هذه النتيجة، وقبل أن تبلغ الأمور مبلغها ؛ عرض عليه معاوية أن يرسـل إليه قوَّةً من جند الشَّـام تكون رهن إشـارته، فأبى أن يضـيِّق على أهل دار الهجرة بجند يسـاكنهم، وكان لا يظنُّ أنَّ الجرأة تبلغ بفريقٍ من إخوانه المسلمين إلى أن يتكالبوا على دم أوَّل مهاجرٍ إلى الله في سبيل دينه .

فلمَّا تذاءب عليه البُغاة، واعتقد: أنَّ الدفاع عنه تســـفك فيه الدِّماء جزافاً ؛ عزم على كلِّ مَنْ له عليهم سمعٌ، وطاعةٌ أن يكفُّوا أيديهم، وأســـلحتهم عن مزالق العنف.

---

[1] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص(116) .

والأخبار بذلك مستفيضةٌ في مصادر أوليائه، وشانئيه، على أنَّه لو ظهرت في الميدان قوَّةٌ منظَّمة ذات هيبةٍ تقف في وجوه الثُّوار، وتضـــع حدّاً لغطرســـتهم وجاهليتهم؛ لارتاح عثمان وذلك، وســـرَّ به، مع ما هو مطمئنٌ إليه من أنَّه لن يموت إلا شهيداً[1] .

* * *

[1] العواصم من القواصم ، ص(138) .

المبحث الثَّالث : احتلال أهل الفتنة للمدينة

أولاً: قدوم أهل الفتنة من الأمصار:

اتَّفق أهل الفتنة فيما بينهم على القيام بخطوتهم العمليَّة النهائيَّة في مهاجمة عثمان في المدينة، وحمله على التنازل عن الخلافة، وإلا ؛ يقتل، وقرَّروا أن يأتوا من مراكزهم الثلاثة: مصر، والكوفة، والبصرة في موسم الحجِّ، وأن يغادروا بلادهم مع الحجَّاج، وأن يكونوا في صورة الحجَّاج، وأن يعلنوا للاخرين: أنَّهم خارجون للحجِّ، فإذا وصلوا المدينة تركوا الحجَّاج يذهبون إلى مكَّة لأداء مناسك الحجِّ، واستغلُّوا فراغ المدينة من معظم أهلها – المشغولين بالحجِّ – وقاموا بمحاصرة عثمان ؛ تمهيداً لخلعه، أو قتله[1].

وفي شوَّال سنة خمسٍ وثلاثين كان أهل الفتنة على مشارف المدينة[2]، فقد خرج المتمرِّدون من مصر في أربع فرق، لكلِّ فرقةٍ أمير، ولهؤلاء الأمراء أميرٌ، ومعهم شيطانهم عبد الله بن سبأ، وأمراء الفرق الأربعة هم: عبد الرَّحمن بن عديس البلويُّ، وكنانة بن بشر التَّجيبيُّ، وسُودانُ بن حمران السَّكونيُّ، وقتيرة بن فلان السَّكونيُّ، وأمير هؤلاء الأمراء هو الغافقيُّ بن حرب العكيُّ، وكان عدد الفرق الأربعة ألف رجل، وخرج المتمرِّدون من الكوفة ألف رجلٍ في أربع فرقٍ، وأمراء فرقهم هم: زيد

---

(1) الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(159) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .

بن صـوحان العبديُّ، والأشـتر النَّخعيُّ، وزياد بن النَّضـر الحارثيُّ، وعبد الله بن الأصمِّ، وأمير متمردي الكوفة هو عمرو بن الأصمِّ .

وخرج متمردو البصـرة ألف رجلٍ في أربع فرقٍ، وأمراء فرقهم هم: حكيم بن جبلة العبديُّ، وذريحُ بن عبَّاد العبديُّ، وبشر بن شريح القيسيُّ، وابن المحرّش ابن عبد الحنقيُّ، وأمير متمردي البصـرة هو حُرقوص بن زهير السَّعديُّ، وكان عبد الله بن سـبأ يسـير مع هؤلاء مزهوّاً مسـروراً، بنجاح خطَّته اليهوديَّة الشَّـيطانيَّة، وكان أهل الفتنة من مصـر يريدون عليَّ بن أبي طالب خليفةً، وكان أهل الفتنة من الكوفة يريدون الزُّبير بن العوَّام خليفةً، وكان أهل الفتنة من البصـرة يريدون طلحة ابن عبيد الله[1]، وهذا العمل منهم كان بهدف الإيقاع بين الصَّـحابة رضـوان الله عليهم، وهو ما ذهب إليه الإمام الاجريُّ، حيث قال: وقد برأ الله – عزَّ وجلَّ – عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه وطلحة، والزُّبير رضي الله عنهما من هذه الفرق، وإنَّما أظهروا ؛ ليموِّهوا على النَّاس، وليوقعوا بين الصَّـحابة، وقد أعاذ الله الكريم الصَّحابة من ذلك[2] .

وبلغ خبر قدوم عثمان رضي الله عنه قبل وصولهم، وكان في قريةٍ خارج المدينة، فلمَّا سمعوا بوجوده فيها، اتَّجهوا إليه، فاستقبلهم فيها، ولم تصرِّح لنا الرِّوايات باسم هذه القرية، ويحدِّد المدائنيُّ تاريخ قدومهم بليلة الأربعاء هلال ذي القعدة[3]، وكان أوَّلَ من وصـل المصـريُّون، فقالوا لعثمان: ادع بالمصـحف، فدعا به، فقالوا: افتح السَّـابعة، وكانوا يسـمُّون سـورة يونس بالسَّـابعة – فقرأ حتَّى أتى هذه الاية: ﴿قُلْ

---

[1] تاريخ الطبري (357/5) .
[2] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، لخالد الغيث ، ص(118) .
[3] فتنة مقتل عثمان ، د . محمد الغبان (127/1) .

أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً قُلْ آللّه أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ *﴾ [يونس: 59] .

فقالوا له: قف، أرأيت ما حميت من الحمى ؟ الله أذن لك أم على الله تفتري ؟ فقال: امضــــه، نزلت في كذا، وكذا، فأمَّا الحمى فإنَّ عمر حماه قبلي لإبل الصَّدقة، فلمَّا ولِّيت زادت إبل الصَّدقة، فزدت في الحمى لما زاد من إبل الصَّدقة، امضــه، قال: فجعلوا يأخذونه بالاية، فيقول: امضــه، نزلت في كذا، فما يزيدون، فأخذوا ميثاقه، وكتبوا عليه شرطاً، وأخذ عليهم ألا يشقوا عصا، ولا يفارقوا جماعةً ما أقام لهم شرطهم، ثمَّ رجعوا راضين[1] .

علي بن أبي طالب يرسله عثمان للمفاوضة مع أهل الفتنة من الأمصار:

ونزل القوم في ذي المروة، قبل مقتله بما يقارب شــهراً ونصــفاً، فأرسـل عثمان إليهم عليّاً رضـي الله عنه ورجلاً اخر لم تسـمِّه الرِّوايات، والتقى بهم عليٌّ رضـي الله عنه فقال لهم: تعطون كتاب الله، وتعتبون من كلِّ ما ســـــخطتم، فوافقوا على ذلك[2]، وفي روايةٍ: أنَّهم شادُّوه، وشادهم مرَّتين، أو ثلاثاً، ثمَّ قالوا: ابن عمِّ رسول الله(ﷺ)، ورســول أمير المؤمنين يعرض عليكم كتاب الله ! فقبلوا[3]، فاصــطلحوا على خمس: على أنَّ المنفي يُقبل، والمحروم يُعطى، ويوفر الفيء، ويعدل في القسـم، ويستعمل ذو الأمانة والقوَّة، وكتبوا ذلك في كتاب، وأن يردَّ ابن عامر على البصرة، وأن يبقى أبو موسـى على الكوفة[4] . وهكذا اصـطلح عثمان رضـي الله عنه مع

---

(1) المصدر السابق نفسه (128/1) .
(2) تاريخ دمشق، ترجمة عثمان، ص(328). وتاريخ خليفة بن خيَّاط ص(169 - 170) .
(3) فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (129/1) .
(4) المصدر السَّابق نفسه .

كل وفدٍ على حدةٍ، ثم انصرفت الوفود إلى ديارها[1].

الكتاب المزعوم بقتل وفد أهل مصر:

وبعد هذا الصلح وعودة أهل الأمصار جميعاً راضين تبيَّن لمشعلي الفتنة: أنَّ خطَّتهم قد فشلت، وأنَّ أهدافهم الدَّنيئة لم تتحقَّق، لذا خطَّطوا تخطيطاً اخر يذكي الفتنة، ويحييها، ويقتضي تدمير ما جرى من صلحٍ بين أهل الأمصار، وعثمان، رضي الله عنه، وبرز ذلك فيما يأتي: في أثناء طريق عودة أهل مصر، رأوا راكباً على جملٍ يتعرَّض لهم، ويفارقهم – يظهر أنَّه هارب منهم – فكأنَّه يقول: خذوني، فقبضوا عليه، وقالوا له: مالك ؟ فقال: أنا رسول أمير المؤمنين إلى عامله بمصر، ففتَّشوه، فإذا هم بالكتاب على لسان عثمان رضي الله عنه، وعليه خاتمه إلى عامله، فتحوا الكتاب فإذا فيه أمرٌ بصلبهم، أو قتلهم، أو تقطيع أيديهم، وأرجلهم، فرجعوا إلى المدينة حتَّى وصلوها[2]، ونفى عثمان رضي الله عنه أن يكون كتب هذا الكتاب، وقال لهم: إنَّهما اثنتان: أن تقيموا رجلين من المسلمين، أو يمين بالله الّذي لا إله إلا هو ما كتبت، ولا أمللت، ولا علمت، وقد يكتب الكتاب على لسان الرَّجل،وينقش الخاتم . فلم يصدِّقوه[3] .

وهذا الكتاب الّذي زعم هؤلاء المتمرِّدون البغاة المنحرفون: أنَّه من عثمان، وعليه خاتمه يحمله غلامه على واحدٍ من إبل الصَّدقة إلى عامله بمصر ابن أبي سرح، يأمر فيه بقتل هؤلاء الخارجين هو كتاب مزوَّر مكذوبٌ على لسان عثمان،

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] تاريخ الطَّبري (379/5) .
[3] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (132/5) . والبداية والنهاية (191/7) .

وذلك لعدَّة أمور:

1ـ أنَّ حامل الكتاب المزوَّر قد تعرَّض لهؤلاء المصريِّين، ثمَّ فارقهم، وكرَّر ذلك مراراً، وهو لم يفعل ذلك إلا ليلفت أنظارهم إليه، ويثير شكوكهم فيه، وكأنَّه يقول لهم: معي شيءٌ مهمٌّ بشأنكم ! وإلا فلو كان من عثمان ؛ لخافهم حامل الكتاب المزعوم، ولأبعد عنهم، وأسرع إلى والي مصر ؛ ليضع بين يديه الأمر، فينفذه .

2ـ كيف علم العراقيُّون بالأمر، وقد اتَّجهوا إلى بلادهم، وفصلتهم عن المصريين - الّذين أمسكوا بالكتاب المزعوم - مسافةٌ شاسعةٌ، فالعراقيُّون في الشَّرق والمصريون في الغرب، ومع ذلك عادوا جميعاً في انٍ واحدٍ، كأنَّما كانوا على ميعادٍ ؟ لا يعقل هذا إلا إذا كان الّذين زوَّروا الكتاب، واستأجروا راكباً ليحمله، ويمثِّل الدَّور في (البُوَيْب) أمام المصريِّين، قد استأجروا راكباً اخر انطلق إلى العراقيِّين ؛ ليخبرهم بأنَّ المصريين قد اكتشفوا كتاباً بعث به عثمان لقتل المنحرفين المصريِّين ! ! وهذا ما احتجَّ به عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه فقد قال: كيف علمتم يا أهل الكوفة، ويا أهل البصرة بما لقي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ؛ ثمَّ طويتم نحونا[1] ؟ بل إنَّ عليّاً يجزم: هذا والله أمرٌ أبرم بالمدينة[2].

3ـ كيف يكتب عثمان إلى ابن أبي سرح بقتل هؤلاء، وابن أبي سرح كان عقب خروج المتمرِّدين من مصر متَّجهين إلى المدينة كتب إلى الخليفة يستأذنه بالقدوم عليه، وقد تغلَّب على مصر محمَّد بن أبي حذيفة، وفعلاً خرج ابن أبي سرح من مصر إلى العريش، وفلسطين، فالعقبة، فكيف يكتب له عثمان بقتلهم،

---

(1) تاريخ الطَّبري (359/5) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .

وعنده كتابه الّذي يستأذن به منه بالقدوم عليه ؟

4ــ أن عثمان رضي الله عنه قد نهى عن قتل المتمرّدين عندما حاصروه، وأبى على الصَّحابة أن يدافعوا عنه، ولم يأمر بقتال الخارجين دفاعاً عن نفسه - كما سيأتي تفصيله إن شاء الله - فكيف يكتب مثل هذا الكتاب المزوَّر وقد خرجوا عنه من المدينة مظهرين التَّوبة، والإنابة .

5ـــ تخلُّف حُكيم بن جَبَلة، والأشتر النَّخعيِّ - بعد خروج المتمرِّدين - في المدينة، يشير إشارةً واضحة إلى أنَّهما هما اللَّذان افتعلا الكتاب ؛ إذ لم يكن لهما أيُّ عملٍ بالمدينة ليتخلَّفا فيها، وما مكثا إلا لمثل هذا الغرض، فهما صاحبا المصلحة في ذلك[1]، وربما كان ذلك بتوجيه من عبد الله بن سبأ، ولم يكن لعثمان رضي الله عنه في ذلك أيَّة مصلحةٍ، وكذلك ليس لمروان بن الحكم أيَّة مصلحةٍ، والّذين يتَّهمون مروان في هذا إنَّما ينسبون إلى الخليفة الغفلة عن مهامِّه، وأنَّ في ديوان الخلافة من يجري الأمور، ويقضي بها دون علمه، وبذلك يبرِّئون ساحة أولئك المجرمين النَّاقمين الغادرين، ثمَّ لو أنَّ مروان زوَّر الكتاب، لكان أوصى حامل ذلك الكتاب أن يبتعد عن أولئك المنحرفين، ولا يتعرض لهم في الطَّريق حتَّى يأخذوه وإلا ؛ لكان متامراً معهم على عثمان، وهذا محالٌ .

6ــ إنَّ هذا الكتاب المشؤوم ليس أوَّل كتاب يزوِّره هؤلاء المجرمون، بل زوَّروا كتباً على لسان أمَّهات المؤمنين، وكذلك على لسان عليٍّ، وطلحة، والزُّبير، فهذه عائشة رضي الله عنها تُتَّهَم بأنَّها كتبت إلى النَّاس تأمرهم بالخروج على عثمان،

---

[1] عثمان بن عفان الخليفة الشَّاكر الصابر ، ص(227) .

فتنفي، وتقول: لا والذي امن به المؤمنون، وكفر به الكافرون ما كتبتُ لهم سوداء في بيضاء حتَّى جلست مجلسي هذا[1] !

ويعقِّب الأعمش فيقول: فكانوا يرون: أنَّه كتب على لسانها[2]، ويتَّهم الوافدون عليّاً بأنَّه كتب إليهم أن يقدموا عليه بالمدينة، فينكر ذلك عليهم، ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتاباً[3] ! كما ينسب إلى الصَّحابة بكتابة الكتب إلى أهل الأمصار يأمرونهم بالقدوم إليهم، فدين محمَّدٍ قد فسد، وترك، والجهاد في المدينة خيرٌ من الرِّباط في الثغور البعيدة[4]، ويعلِّق ابن كثيرٍ على هذا الخبر قائلاً: وهذا كذبٌ على الصَّحابة، وإنما كتبت كتبٌ مزوَّرة عليهم، فقد كتب من جهة عليٍّ، وطلحة، والزُّبير إلى الخوارج – قتلة عثمان – كُتُبٌ مزوَّرةٌ عليهم أنكروها، وكذلك زُوِّر هذا الكتاب على عثمان أيضاً، فإنَّه لم يأمر به، ولم يعلم به[5] .

ويؤكِّد كلام ابن كثير ما رواه الطَّبريُّ، وخليفة من استنكار كبار الصَّحابة – عليٍّ وعائشة، والزُّبير – أنفسهم لهذه الكتب في أصحِّ الرِّوايات[6]، إنَّ الأيدي المجرمة الَّتي زوَّرت الرَّسائل الكاذبة على لسان أولئك الصَّحابة، هي نفسها الَّتي أوقدت نار الفتن من أوَّلها إلى اخرها، ورتَّبت ذلك الفساد العريض، وهي الَّتي زوَّرت وروَّجت على عثمان تلك الأباطيل، وأنَّه فعل، وفعل، ولقَّنتها للناس، حتَّى قبلها الرُّعاع، ثمَّ زوَّرت على لسان عثمان ذلك الكتاب ؛ ليذهب عثمان ضحيةً

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة (334/1) .
[2] تاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص(169) .
[3] تحقيق مواقف الصَّحابة (335/1) .
[4] المصدر السَّابق نفسه .
[5] البداية والنِّهاية (175/7) .
[6] تحقيق مواقف الصَّحابة (335/1) .

إلى ربه شـــهيداً ســـعيداً، ولم يكن عثمان الشَّـــهيد هو المجنيُّ عليه وحده في هذه المؤامرة السَّـبئيَّة اليهوديَّة، بل الإســلام نفســه كان مجنيّاً عليه قبل ذلك، ثمَّ التاريخ المشـوَّه المحرَّف، والأجيال الإســلاميَّة الّتي تلقَّت تاريخها مشـوَّهاً، هي كذلك ممَّن جنى عليهم الخبيث اليهوديُّ، وأعوانه من أصـحاب المطامع، والشَّـهوات، والحقد الدَّفين، أما ان للأجيال الإسلاميَّة أن تعرف تاريخها الحقَّ، وسير رجالاتها العظام؟ بل ألم يأن لمن يكتب في هذا العصـر – من المسـلمين – أن يخاف الله، ولا يتجرَّأ على تجريح الأبرياء قبل أن يحقِّق، ويدقِّق حتَّى لا يسقط، كما سقط غيره[1] .

ثانياً: بدء الحصار ورأي عثمان في الصَّلاة خلف أئمَّة الفتنة:

لم تفصِّل الرِّوايات الصَّحيحة كيفية بدء الحصار، ووقوعه، ولعلَّ الأحداث الّتي سـبقته تلقي شـيئاً من الضَّـوء على كيفية بدئه، فبينما كان عثمان رضـي الله عنه يخطـب النَّـاس ذات يومٍ إذا برجـلٍ يقـال لـه: أعين[2]، يقـاطعه، ويقول لـه: يا نعثل[3]! إنَّك قد بدَّلت، فقال عثمان رضـــي الله عنه: من هذا ؟ فقالوا: أعين، قـال عثمـان: بل أنت أيُّها العبد ! فوثب الناس إلى أعين، وجعل رجلٌ من بني ليث يزعهم عنه حتَّى أدخله الدَّار[4]، وكان رجوع المتمرِّدين الثاني، وقبل اشـــتداد الحصـار كان عثمان رضـي الله عنه يتمكَّن من الخروج للصَّـلاة، ودخول من شـاء إليه، ثمَّ منع الخروج من الدَّار حتى إلى صــلاة الفريضــة[5]، فكان يصــلِّي بالناس

---

[1] عثمان بن عفان الخليفة الشَّاكر الصَّابر ، ص(228 ، 229) .
[2] أعين بن ضبعية بن ناجية بن غفال التَّميميُّ الحنظليُّ الدَّرميُّ .
[3] هو لقب أطلقه الخارجون على عثمان رضي الله عنه ، وهذا اللَّقب أطلق من باب التَّنقيص .
[4] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (143/1) . وتاريخ دمشق ، ترجمة عثمان (247) إسناده حسنٌ . وزعهم: كفَّهم .
[5] تاريخ دمشق ، ترجمة عثمان (341 - 342) إسناده حسنٌ .

رجلٌ من المحاصـــرين، من أئمَّة الفتنة، حتَّى إنَّ عبيد الله بن عديٍّ بن الخيار تحرَّج من الصَّلاة خلفه، فاستشار عثمان في ذلك؛ فأشار عليه بأن يصلِّي خلفه، وقال له: الصَّــلاة أحســن ما يعمل النَّاس، فإذا أحســن النَّاس، فأحســن معهم، وإذا أساؤوا، فاجتنب إساءتهم[1] .

وفي بعض الرِّوايات الضَّــعيفة: أنَّ الّذي كان يصــلِّي بالنَّاس هو أميرهم الغافقيُّ[2]، ولا صــحَّة لما روى الواقديُّ من أنَّ علياً رضــي الله عنه أمر أبا أيوب الأنصاريَّ أن يصلِّي بالنَّاس، فصلَّى بهم أوَّل الحصر، ثم صلَّى عليٌّ رضي الله عنه بهم العيد، وما بعده[3]، وإضــافة إلى شــدَّة ضــعف إســناد هذه الرِّواية، فلو كان الّذي يصــلِّي بالنَّاس هو عليٌّ، أو أبو أيُّوب الأنصــاريُّ رضــي الله عنهما لما تحرج عبيد الله بن عديٍّ بن الخيار من الصَّلاة خلفهما[4] .

ثالثاً: المفاوضات بين عثمان ومحاصريه:

وبعد أن تمَّ الحصــار، وأحاط الخارجون بدار عثمان رضــي الله عنه وطلبوا منه خلع نفسه، أو يقتلوه[5]، ورفض عثمان رضي الله عنه خلع نفسه، وقال: لا أخلع سربالاً سربلنيه الله[6]، يشير إلى ما أوصاه به رسول الله(ﷺ)، بينما كان قلَّةٌ من الصَّحابة – رضوان الله عليهم – يرون خلاف ما ذهب إليه، وأشار عليه بعضهم بأن يخلع نفسه ليعصم دمه، ومن هؤلاء المغيرة بن الأخنس، رضي الله عنه، لكنَّه

[1] البخاريُّ ، كتاب الصَّلاة رقم (192) .
[2] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (145/1) .
[3] تاريخ الطَّبري (444/5) .
[4] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (145/1) .
[5] الطَّبقات ، لابن سعد (66/3) . وتاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص(171) .
[6] التَّمهيد ، ص(46 - 47) .

رفض ذلك[1] .

1. ابن عمر يحثُّ عثمان على عدم التَّنازل عن منصب الخلافة:

دخل ابن عمر على عثمان رضي الله عنهما أثناء حصاره، فقال له عثمان رضي الله عنه: انظر إلى ما يقول هؤلاء، يقولون: اخلعها ولا تقتل نفسك، فقال ابن عمر رضي الله عنهما: إذا خلعتها أمخلَّدٌ أنت في الدُّنيا ؟ فقال عثمان رضي الله عنه: لا ! قال: فإن لم تخلعها هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال عثمان: لا! قال: فهل يملكون لك جنَّة أو ناراً؟ قال: لا! قال: فلا أرى لك أن تخلع قميصاً قمَّصكه الله، فتكون سنَّةً كلَّما كره قومٌ خليفتهم، أو إمامهم؛ قتلوه[2] .

رضي الله عن عبد الله بن عمر، ما كان أبعد نظره، إنَّه لا يريد أن يسنَّ عثمان سنَّةً سيئةً للخلفاء – وحاشا لعثمان أن يفعل – فلو تنازل عثمان لهؤلاء الخوارج السَّبئيّين، وخلع نفسه، لصار الخلفاء ألعوبةً وملهاةً بأيدي الطَّامعين، أو المغرضين، وبذلك تهتزُّ صورة الخليفة، وتزول هيبته عند النَّاس، ولقد سنَّ عثمان سنَّة حسنةً لمن بعده بمشورة ابن عمر، وغيره من الصَّحابة، رضوان الله عليهم، حيث صبر، واحتسب، فلم يتنازل عن الخلافة، ولم يسفك دماء المسلمين[3] .

إنَّ الاستجابة لمطالب المتمرِّدين – وهم فئة قليلةٌ من الأمَّة – ليسوا من أهل الحلِّ والعقد، ولا من رجالات الإسلام، وفقهاء الشَّريعة ستكون لها اثارٌ خطيرةٌ على مسيرة الأمَّة، وهيبة الخلافة، وعلاقة الرَّاعي بالرَّعيَّة، وكان ثمن دفع هذه الاثار

---

[1] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (147/1) .
[2] فضائل الصَّحابة (473/1) إسناده صحيحٌ .
[3] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(179) .

السَّيِّئة أن دفع الخليفة حياته، وهو يعلم بمصيره، ويستسلم له، وهو أمرٌ ثقيل على النَّفس، ولكنَّه قدَّم مصالح الأمَّة على مصلحته الشَّخصيَّة، ممَّا يكشف عن قوَّةٍ، وعزيمةٍ، وشجاعةٍ، ومضاءٍ، ويردُّ به على تلك التُّهم الّتي وجِّهت إليه من ضعفٍ في هذه الصفات، فإنَّه رضي الله عنه كان قادراً بإذن الله على كبح الفتنة، ولكنَّه قدَّر حدوث مفاسد تغلب على مصلحة كبحها، فأعرض عن ذلك درءاً لها، وبذلك يُعلم خطأ العقَّاد عندما قال بأن قتل عثمان: لا يوصف بأكثر من أنَّه (مشاغبةٌ دهماء) لم تجد من يكبحها[1]، فإنَّ في ذلك غمزاً في شخصيَّة، وشجاعة عثمان رضي الله عنه، وهي حقّاً فتنةٌ دهماء، ولكن عدم كبحها يعدُّ منقبةً لعثمان رضي الله عنه ؛ لما فيه من تضحيةٍ في سبيل الله، رجاء تحصيل مصلحةٍ للأمَّة، وعملاً بوصيَّة رسول الله (ﷺ).

2. توعُّد المحاصرين له بالقتل:

وبينما كان عثمان رضي الله عنه في داره، والقوم أمام الدَّار محاصروها ؛ دخل ذات يوم مدخل الدَّار، فسمع توعُّد المحاصرين له بالقتل، فخرج من المدخل، ودخل على من معه في الدَّار، ولونه ممتقعٌ، فقال: إنَّهم ليتوعَّدونني بالقتل انفاً ! فقالوا له: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين ! فقال: ولم يقتلونني ؟ وقد سمعت رسول الله(ﷺ) يقول: « لا يحلُّ دم امرأى مسلمٍ إلا في إحدى ثلاث: رجلٍ كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفسٍ » فوالله ما زنيت في جاهليةٍ، ولا في إسلام قطُّ، ولا تمنَّيت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلت نفساً،

[1] ذو النُّورين عثمان بن عفَّان ، ص(122) .

ففيم يقتلونني[1] ؟!

ثمَّ أشـــرف على المحاصـــرين، وحاول تهدئة ثورتهم، وثنيهم عن خروجهم على إمامهم، مضـمِّناً كلمة الردِّ على ما عابوه به، وكشـف الحقائق الّتي لبَّسـها القوم، عسى أن يفيق المغرَّر بهم، ويعودوا إلى رشدهم، فطلب من المحاصرين أن يخرجوا له رجلاً يكلِّمه، فأخرجوا له شـابّاً يقال له: صـعصـعة بن صـوحان، فطلب عثمان رضي الله عنه أن يبيِّن له ما نقموه عليه[2].

3. إقامة عثمان الحجَّة على زيف استدلال صعصعة:

قال صـــعصـــعة: أُخرجنا من ديارنا بغير حقٍّ إلا أن قلنا: ربُّنا الله . فقال له عثمان رضـــي الله عنه: اتل ؛ أي: اســـتدلَّ بالقران، فقرأ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْـــرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ **[الحج: 39]** . فقال عثمان: ليســـت لك، ولا لأصـــحابك، ولكنَّها لي ولأصـــحابي، فقرأ عثمان الاية الّتي اســـتدل بها صعصعة، وما بعدها ممَّا يفسرها، ويبين زيف استدلال صعصعة بها فتلا: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْـرِهِمْ لَقَدِيرٌ *الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَـلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْـمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُـرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُـرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ *الَّـذِينَ إِنْ مَكَّنَّـاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَـامُوا الصَّـــلاَةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ *﴾ **[الحج: 39 - 41]** .

---

[1] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (149/1) .

[2] المسند (63/1) وقال أحمد شاكر (452): إسناده صحيحٌ .

فأفهم عثمان رضـي الله عنه النَّاس الايات فهماً صـحيحاً، كما نزلت ؛ مبيِّناً سـبب نزولها، وفيمن نزلت، وعلى ما تدلُّ ؛ لئلا يلبِّس عليهم مَنْ قرأ القران، وهو لا يعرف معناه، ويسـتدلُّ به على ما يضـادُّ مراده[1]، كما أنَّ نفي عثمان لمن نفاه إنَّما هو عملٌ بالاية الّتي تلي الاية التي اسـتدلَّ بها صـعصـعة، فإنَّها تأمر من مكَّنه الله في الأرض، أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وعثمان خليفة، ونفيهم أمرٌ بالمعروف، ونهيٌ عن المنكر لما قـاموا بـه من تعـدٍّ على بعض المســـلمين، ومن محاولاتٍ لإثارة الفتنة[2] .

4. تذكير عثمان رضي الله عنه النَّاس بفضائله:

وبعد أن ردَّ عثمان رضـــي الله عنه على هؤلاء، ذكَّر النَّاس بمكانته، وببعض فضائله مناشداً من يعلمها، أو سمعها من رسول الله(ﷺ) ليبيِّنها للنَّاس، فقد قال: أنشـد الله مَنْ شـهد رسـول الله(ﷺ) يوم حراء ؛ إذ اهتزَّ الجبل، فركله بقدمه، ثمَّ قال: « اسـكن حراء ليس عليك إلا نبيٌّ، أو صـدِّيقٌ، أو شـهيدٌ » وأنا معه[3]، فانتشـد له رجالٌ. ثمَّ قال: أنشـد الله مَن شَـهد رسـول الله يوم بيعة الرِّضـوان ؛ إذ بعثني إلى المشـــركين إلى أهل مكَّة فقال: هذه يدي، وهذه يد عثمان، فبايع لي، فانتشـد له رجالٌ. ثمَّ قال: أنشـد الله مَنْ شـهد رسول الله(ﷺ) قال: « من يوسِّع لنا لهذا البيت في المســـجد ببيتٍ له في الجنَّة » فابتعته من مالي، فوسَّـــعت به المسـجد . فانتشـد له رجالٌ . ثمَّ قال: أنشـد الله مَنْ شـهد رسـول الله(ﷺ) يوم جيش العسرة، قال: « من ينفق اليوم نفقةً متقبلة ؟ » فجهزت نصف الجيش من

---

[1] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (150/1) .
[2] المصدر السابق نفسه (151/1) .
[3] المصدر السَّابق نفسه (152/1) .

مالي . فانتشـــد له رجالٌ . ثمَّ قال: أنشـــد الله مَنْ شـــهِد رومةً يباع ماؤها ابن السبيل، فابتعتها من مالي، فأبحتها ابن السَّبيل، قال: فانتشد له رجالٌ[1] .

وعن أبي ثورٍ الفهمي يقول: قدِمت على عثمان، فبينا أنا عنده، فخرجت فإذا بوفد أهل مصـــر قد رجعوا، فدخلت على عثمان، فأعلمته، قال: فكيف رأيتهم ؟ فقلت: رأيتُ في وجوههم الشَّـرَّ، وعليهم ابن عُديس البلويُّ، فصعد ابن عُديس منبر رســـول الله(ﷺ) فصـــلَّى بهم الجمعة، وتنقَّص عثمان في خطبته، فدخلت على عثمان، فأخبرته بما قال فيهم، فقال: كذب والله ابن عديس ! ولولا ما ذكر ما ذكرت، إنِّي رابع أربعةٍ في الإسلام، ولقد أنكحني رسول الله(ﷺ) ابنته، ثمَّ تُوفِّيت، فأنكحني ابنته الأخرى، ولا زنيت، ولا سرقت في جاهلية، ولا إسلام، ولا تغنَّيت، ولا تمنَّيت الكفر منذ أسلمت، ولا مسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رســول الله، ولقد جمعت القران على عهد رســول الله، ولا أتت عليَّ جمعة إلا وأنا أعتق فيها رقبةً منذ أســـلمت، إلا أن لا أجدها في تلك الجمعة، فأجمعها في الجمعة الثَّانية[2] .

ولما رأى عثمان رضـي الله عنه إصـرار المتمرِّدين على قتله، حذَّرهم من ذلك، ومن مغبَّتـه، فـاطَّلع عليهم من كُوَّةٍ[3]، وقـال لهم: أيُّهـا النَّـاس، لا تقتلوني، واســـتعتبوني، فوالله لئن قتلتموني لا تقاتلوا جميعاً أبداً ! ولا تجاهدوا عدوّاً أبداً،

---

[1] روى مسلم نحوه ، كتاب فضائل الصَّحابة ، حديث (2417) ، ولفظه: أنَّه (ص) كان على جبل حراء بمكَّة هو ، وأبو بكرٍ ، وعمر ، وعثمان ، وعليٌّ ، وطلحة ، والزُّبير - وفي روايةٍ: وسعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنهم ، فتحرَّك فقال (ص): « اسكن حراء ! فما عليك إلا نبيٌّ ، أو صديقٌ ، أو شهيدٌ » . وهو من معجزاته (ص) .

[2] المسند (59/1) وقال أحمد شاكر (420): إسناده صحيحٌ .

[3] المعرفة والتَّاريخ (488/2) . وخلافة عثمان بن عفان ، للسُّلمي ، ص(91) .

لتختلفنَّ حتَّى تصيروا هكذا . وشبَّك بين أصابعه[1] .

وفي روايةٍ: أنَّه قال: أيها النَّاس لا تقتلوني، فإنِّي والٍ وأخٌ مســـلمٌ، فوالله إن أردت إلا الإصـــلاح ما اســـتطعت، أصـــبت، أو أخطأت، وإنَّكم إن تقتلوني لا تصلُّوا جميعاً أبداً، ولا تغزوا جميعاً أبداً، ولا يقسم فيئكم بينكم[2] .

وقال أيضـــاً: فوالله لئن قتلوني لا يحابُّون بعدي أبداً، ولا يقاتلون بعدي عدوّاً أبداً[3]. وقد تحقَّق ما حذرهم منه، فبعد قتله وقع كلُّ ما قاله رضـــي الله عنه، وفي ذلك يقول الحسن البصريُّ: فوالله إنْ صلَّى القوم جميعاً إنَّ قلوبهم لمختلفةٌ[4] .

رابعاً: دفاع الصَّحابة عن عثمان رضي الله عنه ورفضه لذلك:

أرســل عثمان رضــي الله عنه إلى الصَّــحابة رضــي الله عنهم يشــاورهم في أمر المحاصرين، وتوعُّدهم إيَّاه بالقتل، فكانت مواقفهم كالاتي:

1. عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

فقد أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ عليّاً أرسل إلى عثمان فقال: إنَّ معي خمســـمئة دارعٍ، فائْذَنْ لي، فأمنعك من القوم، فإنَّك لم تحدث شـــيئاً يُســـتحلُّ به دمك، فقال: جزيت خيراً، ما أحبُّ أن يهراق دمٌ في سببي[5] .

---

(1) الكوَّة: الخرق في الحائط يدخل منه الهواء ، والضوء (ج) كُوىً .
(2) الطبقات (71/3) . وتاريخ ابن خياط ، ص(171) إسناده صحيحٌ .
(3) الطَّبقات (67/3 - 68) . وفتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (156/1) .
(4) تاريخ ابن خيَّاط ، ص(171) . وفتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (157/1) إسناده حسنٌ .
(5) فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (157/1) .

2ـ الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه:

عن أبي حبيبة[1]، قال: بعثني الزُّبير إلى عثمان – وهو محاصرٌ – فدخلت عليه في يوم صائفٍ، وهو على كرسيٍّ، وعنده الحسن بن عليٍّ، وأبو هريرة، وعبد الله ابن عمر، وعبد الله بن الزُّبير، فقلت: بعثني إليك الزُّبير بن العوَّام، وهو يقرئك السَّلام، ويقول لك: إنِّي على طاعتي، لم أبدِّل، ولم أنكث، فإن شئت ؛ دخلت الدَّار معك، وكنت رجلاً من القوم، وإن شئت ؛ أقمت، فإنَّ بني عمرو بن عوف وعدوني أن يصبحوا على بابي، ثمَّ يمضون على ما امرهم به، فلمَّا سمع – يعني: عثمان – الرِّسالة، قال: الله أكبر، الحمد لله الّذي عصم أخي ! أقرئه السَّلام، ثم قل له: أحبُّ إليَّ، وعسى الله أن يدفع بك عنِّي، فلمَّا قرأ الرِّسالة أبو هريرة ؛ قام، فقال: ألا أخبركم ما سمعت أذناي من رسول الله(ﷺ) ؟ قالوا: بلى ! قال: أشهد لسمعت رسول الله(ﷺ) يقول: « تكون بعدي فتنٌ، وأمور » فقلنا: فأين المنجى منها يا رسول الله؟! قال: «إلى الأمين، وحزبه» وأشار إلى عثمان بن عفَّان، فقام النَّاس، فقالوا: قد أمكنتنا البصائر، فائْذنْ لنا في الجهاد ؟ فقال: أعزم على من كانت لي عليه طاعةٌ ألا يقاتل[2] .

3ـ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه:

فقد ورد: أنَّ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه دخل عليه – وهو محاصرٌ – فقال: إنَّك إمام العامَّة، وقد نزل بك ما ترى وإنِّي أعرض عليك خصالاً ثلاثاً، اختر إحداهنَّ: إما أن تخرج، فتقاتلهم، فإنَّ معك عدداً، وقوَّةً، وأنت على الحقِّ

---

(1) تاريخ دمشق ، ص(403) .
(2) هو أبو حبيبة مولى الزُّبير بن العوَّام ، روى عن الزُّبير ، وسمع أبا هريرة وعثمان محصورٌ .

وهم على الباطل، وإمَّا أن تخرق باباً ســـوى الباب الّذي هم عليه، فتقعد على رواحلك فتلحق بمكَّة، فإنَّهم لن يســتحلُّوك بها، وإمَّا أن تلحق بالشَّــام فإنَّهم أهل الشَّـــام، وفيهم معاوية، فقال عثمان: أما أن أخرج، فأقاتل ؛ فلن أكون أوَّل من خلف رســـول الله في أمته بســـفك الدِّماء، وأمَّا أن أخرج إلى مكَّة فإنَّهم لن يســـتحلُّوني، فإنِّي سمعت رســـول الله(ﷺ) يقول: « يلحد رجلٌ من قريش بمكَّة يكون عليه نصف عذاب العالم » . ولن أكون أنا، وأمَّا أن ألحق بالشَّام فإنَّهم أهل الشَّام، وفيهم معاوية، فلن أفارق دار هجرتي، ومجاورة الرَّسول(ﷺ)[1] .

4. عبد الله بن الزُّبير، رضي الله عنه:

عزم الصَّـحابة رضـي الله عنهم على الدِّفاع عن عثمان رضـي الله عنه، ودخل بعضــهم الدَّار، ولكن عثمان رضــي الله عنه عزم عليهم بشــدَّةٍ، وشــدَّد عليهم في الكفِّ عن القتال دفاعاً عنه ممَّا حال بين رغبتهم الصَّـــادقة في الدِّفاع عنه وبين تحقيقها، وكان من ضـــمن أولئك عبد الله بن الزُّبير رضـــي الله عنهما، فقد قال لعثمان رضـــي الله عنه: قاتلهم، فوالله لقد أحلَّ الله لك قتالهم ! فقال عثمان: لا والله لا أقاتلهم أبداً[2] !

وفي رواية: يا أمير المؤمنين ! إنَّا معك في الدَّار عصـابةٌ مسـتبصـرةٌ، ينصـر الله بأقلَّ منه، فائذَنْ لنا ! فقال عثمان رضي الله عنه: أنشد الله رجلاً أهراق فيَّ دمه[3] ! ثم أمَّره على الدَّار، وقال: من كانت لي عليه طاعةٌ فليطع عبد الله بن الزُّبير[4].

---

(1) فضائل الصَّحابة (1/511 - 512) إسناده صحيحٌ .
(2) البداية والنِّهاية (7/211) .
(3) الطَّبقات ، ابن سعد (3/70) إسناده صحيح .
(4) المصدر السَّابق نفسه (3/70) . وتاريخ ابن خياط ، ص(173) .

5. كعب بن مالك، وزيد بن ثابت الأنصاريّان رضي الله عنهما:

حثَّ كعب بن مالك رضي الله عنه الأنصار على نصرة عثمان رضي الله عنه، وقال لهم: يا معشر الأنصار ! كونوا أنصار الله مرَّتين، فجاءت الأنصار عثمان، ووقفوا ببابه ودخل زيد بن ثابت رضي الله عنه، وقال له: هؤلاء الأنصار بالباب، إن شئت كنَّا أنصار الله مرَّتين[1] . فرفض القتال، وقال: لا حاجة لي في ذلك، كفُّوا[2] !

6. الحسن بن عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنهما:

وجاء الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما وقال له: أخترط سيفي ؟ قال له: لا ! أبرأ[3] الله إذاً من دمك، ولكن ثم[4] سيفك، وارجع إلى أبيك[5].

7 – عبد الله بن عمر بن الخطَّاب، رضي الله عنهما:

ولما رأى الصَّحابة أنَّ الأمر استفحل، وأنَّ السيل بلغ الزُّبى[6] ؛ عزم بعضهم على الدِّفاع عنه دون استشارته، فدخل بعضهم الدَّار مستعدّاً للقتال، فقد كان ابن عمر معه في الدَّار، متقلِّداً سيفه، لابساً درعه ليقاتل دفاعاً عن عثمان، رضي الله عنه، ولكنَّ عثمان عزم عليه أن يخرج من الدَّار خشية أن يتقاتل مع القوم عند

---

(1) الطبقات ، ابن سعد (70/3) إسناده صحيح إلى عبد الله بن الزُّبير .
(2) الطَّبقات ،ءْ ابن سعد (70/3) . وفتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (162/1) .
(3) فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (1/162) .
(4) هكذا في الأصل ولعلَّها (أبرأ إلى الله) .
(5) هكذا في الأصل والثَّمُّ هو: إصلاح الشَّيء ، وإحكامه ، لسان العرب (79/12) ويحتمل أن تكون مصحَّفةً من شِمْ ، والشَّيم هو: إعادة السَّيف .
(6) فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (162/1) . والمصنَّف لابن أبي شيبة (224/15) .

دخولهم عليه، فيقتل . كما لبسه مرَّةً أخرى[1] .

8 – أبو هريرة رضي الله عنه:

ودخل الدَّار على عثمان رضـــي الله عنه يقول: يا أمير المؤمنين ! طاب امضرب[2]، فقال له: يا أبا هريرة أَيَسُرُّك أن تقتل النَّاس جميعاً وإيَّاي ؟ قال: لا ! قال: فإنَّك والله إن قتلت رجلاً واحداً فكأنَّما قُتل الناس جميعاً ! فرجع، ولم يقاتل، وفي روايةٍ: أنَّ أبا هريرة كان متقلِّداً سيفه ؛ حتَّى نهاه عثمان[3] .

9. سليط بن سليط:

قال: نهانا عثمان رضـــي الله عنه عن قتالهم، ولو أذن لنا ؛ لضـــربناهم حتَّى نخرجهم من أقطارها[4] .

ويقول ابن سيرين: كان مع عثمان رضي الله عنه في الدار سبعمئةٍ لو يدعهم؛ لضـربوهم – إن شـاء الله – حتَّى يخرجوهم من أقطارها، منهم: ابن عمر، والحسـن ابن عليّ، وعبد الله بن الزُّبير، ويقول أيضـــاً: لقد قتل عثمان – يوم قتل – وإنَّ الدَّار لغاصَّــةٌ، منهم: ابن عمر، وفيهم الحســن بن عليٍّ في عنقه السَّــيف، ولكنَّ عثمان عزم عليهم ألا يقاتلوا[5] .

وبذلك يظهر زيف ما اتُّهم به الصَّـــحابة مهاجرين، وأنصـــاراً من تخاذلٍ عن

---

[1] بلغ الماء الزُّبى ، أو الرُّبى ، ويروى بلغ السيل الزُّبى ، أو الرُّبى والزُّبى: جمع زبية الأسد ، وهي حفرةٌ تحفر له في مكان مرتفع ليصطاد ، فإذا بلغ الماء فهو المجحف ، الرُّبا: جمع ربوة وهذا المثل يضرب في الشرِّ الفظيع ، المستقصى في أمثال العرب للزَّمخشري (14/2) .
[2] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (163/1) .
[3] الميم بدل اللاَّم ، فأصلها (الضَّرب) ؛ وهي لغةٌ لبعض أهل اليمن .
[4] تاريخ خليفة بن خياط ، ص(164) .
[5] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (165/1) .

نصـرة عثمان رضـي الله عنه، وكلُّ ما روي في ذلك، فإنَّه لا يسـلم من علَّة إن لم تكن عللاً قادحةً في الإسناد، والمتن جميعاً[1] .

10. عرض بعض الصَّحابة على عثمان مساعدته في الخروج إلى مكَّة:

ولما رأى بعض الصَّـــحابة إصــرار عثمان رضـــي الله عنه على رفض قتال المحاصــرين، وأنَّ المحاصــرين مصــرُّون على قتله، لم يجدوا حيلةً لحمايته ســوى أن يعرضوا عليه مساعدته في الخروج إلى مكَّة هرباً من المحاصرين، فقد روي: أن عبد الله بن الزُّبير، والمغيرة بن شعبة، وأسامة بن زيد، عرضوا عليه ذلك، وكان عرضهم متفرِّقاً، فقد عرض كلُّ واحدٍ منهم عليه ذلك على حدةٍ، وعثمان رضـــي الله عنه يرفض كلَّ هذه العروض[2] .

الأسباب الّتي دعت عثمان إلى منع الصحابة من القتال:

يظهر للباحثين من خلال روايات الفتنة: أنَّ هناك أسباباً خمسةً، هي:

1ـــ العمل بوصيَّة رسول الله(ﷺ) الّتي سارَّه بها، وبيَّنها عثمان رضي الله عنه يوم الدَّار، وأنَّها عَهْدٌ به إليه، وأنَّه صابر نفسه عليه[3] .

2ـ ما جاء في قوله: لن أكون أوَّل من خلف رسول الله(ﷺ) في أمَّته بسفك الدِّماء، أي: كره أن يكون أوَّل من خلف رسـول الله(ﷺ) في أمَّته بسـفك دماء المسلمين[4] .

[1] تاريخ دمشق لابن عساكر ، ترجمة عثمان ، ص(395) .
[2] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (166/1) .
[3] فضائل الصَّحابة (605/1) إسناده صحيح .
[4] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (167/1) . و(المسند 396/1) أحمد شاكر .

3ـــــ علمه بأنَّ البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقَّى بالمؤمنين، وأحبَّ أن يقيهم بنفسه[1] .

4ـ علمه بأنَّ هذه الفتنة فيها قتله، وذلك فيما أخبره بها رسول الله(ﷺ) عند تبشيره إيَّاه بالجنَّة على بلوى تصيبه، وأنَّه سيقتل مصطبراً بالحقِّ، معطيه في فتنةٍ، والدَّلالات تدلُّ على أنَّ أوانها قد حان، وأكَّد ذلك تلك الرُّؤيا الَّتي راها ليلة قتله، فقد رأى رسول الله(ﷺ)، وقال له: أفطر عندنا القابلة، ففهم رضي الله عنه: أنَّ موعد الاستشهاد قد قرب .

5ـــ العمل بمشورة ابن سلام رضي الله عنه له ؛ إذ قال له: الكفَّ، الكفَّ، فإنَّه أبلغ لك في الحجَّة[2] .

وتحقَّق إخبار النَّبيّ(ﷺ) بأنَّ عثمان رضي الله عنه سوف يقتل،وذلك فيما رواه عبد الله بن حوالة رضي الله عنه[3]، عن النَّبيّ(ﷺ) قال: « من نجا من ثلاثٍ؛ فقد نجا – ثلاث مرَّاتٍ –: موتي، والدَّجال، وقتل خليفة مصطبرٍ بالحقِّ، معطيه»[4].

وممَّا تقدَّم يتبيَّن هدوءه في التَّفكير رضي الله عنه وأنَّ شدَّة البلوى لم تحل بينه وبين ذلك التَّفكير الصَّحيح، والرَّأي السليم، فقد تضافرت الأسباب لتحديد هذا الموقف المسالم في قتال الخارجين عليه، ولا شكَّ: أنَّه رضي الله عنه كان على الحقِّ

[1] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (167/1) وإسناد الرّواية فيه ضعفٌ .
[2] الطَّبقات (71/3) إسناده حسنٌ .
[3] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (168/1) ، إسناده حسنٌ ، أو صحيح .
[4] المسند (419/4) (346/5) ، تحقيق: أحمد شاكر .

في مواقفه الّتي اتَّخذها ؛ لما صـحَّ عن النَّبيّ(ﷺ): أنَّه أشـار إلى وقوع هذه الفتنة، وشهد لعثمان، وأصحابه أنَّهم على الحقِّ فيها[1] .

قال ابن تيميَّة – رحمه الله –: ومن المعلوم بالتَّواتر: أنَّ عثمان كان من أكفِّ النَّاس عن الدِّماء، وأصبر النَّاس عن من نال من عرضه، وعلى من سعى في دمه، فحاصروه، وسعوا في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاء المسلمون ينصرونه، ويشـيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر النَّاس بالكفِّ عن القتال، ويأمر مَنْ يطيعه ألا يقاتلهم ... وقيل له: تذهب إلى مكَّة ؟ فقال: لا أكون ممن ألحد في الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشَّام ؟ فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتلهم ! فقال: لا أكون أوَّل من خلف محمَّداً في أمَّته بالسَّـيف، فكان صـبر عثمان حتَّى قتل من أعظم فضائله عند المسلمين[2] .

خامساً: موقف أمَّهات المؤمنين، وبعض الصَّحابيات:

1. أمُّ حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنهما:

كان موقف السَّـيدة أمِّ المؤمنين، أمِّ حبيبة من المواقف البالغة الخطر في هذه الأحداث، وهو موقفٌ كان من الخطورة بحيث كادت رضي الله عنها أن تقتل فيه، ذلك أنَّه لما حوصر عثمان رضـي الله عنه ومنع عنه الماء، سـرَّح عثمان ابناً لعمرو بن حزم الأنصاريِّ – من جيران عثمان – إلى عليٍّ بأنَّهم قد منعونا الماء فإن قدرتم أن ترسـلوا إلينا شـيئاً من الماء ؛ فافعلوا . وإلى طلحة وإلى الزُّبير، وإلى عائشـة،

[1] فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه (168/1) . انظر الأحاديث الصَّحيحة الَّتي ذكرتها في فضائله ، وإخبار النَّبي (ص) عن قتله في هذا الكتاب .
[2] منهاج السُّنَّة (202/3-203) .

وأزواج النَّبيّ(ﷺ)، فكـان أوَّلهم إنجاداً لـه عليٌّ، وأمُّ حبيبة[1]، وكـانـت أمُّ حبيبـة معنيَّة بعثمان، كما قال ابن عســاكر، وكان هذا طبيعيّاً منها، حيث النَّسـب الأمويُّ الواحد، جاءت أمُّ حبيبة، فضربوا وجه بغلتها، فقالت: إنَّ وصايا بني أميَّة إلى هذا الرَّجل، فأحببت أن ألقاه، فأســأله عن ذلك كيلا تهلك أموال أيتامٍ، وأرامل . قالوا: كاذبةٌ، وأهووا لها، وقطعوا حبل البغلة بالسَّــيف، فندَّت[2] بأمِّ حبيبة، فتلقَّاها النَّاس وقد مالت راحلتها، فتعلَّقوا بها، وأخذوها وقد كادت تقتل، فذهبوا بها إلى بيتها[3]، ويبدو: أنَّها رضــي الله عنها أمرت ابن الجرَّاح، مولاها أن يلزم عثمان رضي الله عنه، فقد حدثت أحداث الدَّار، وكان ابن الجرَّاح حاضراً[4].

2. صفية زوجة رسول الله(ﷺ):

وما فعلته السَّـيدة أمُّ حبيبة فعلت مثله السَّـيدة صـفيَّة رضـي الله عنها، فلقد روي عن كنانة[5]، قال: كنت أقود بصــفيَّة لتردَّ عن عثمان، فلقيها الأشــتر[6]، فضـرب وجه بغلتها حتَّى مالت، فقالت: ذروني، لا يفضـحني هذا ! ثمَّ وضـعت خشباً من منزلها إلى منزل عثمان، تنقل عليه الطَّعام، والماء[7] .

3. عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها:

ولما حدث ما حدث للسَّـيدة أمِّ حبيبة أعظمه النَّاس جدّاً، فخرجت عائشـة

---

(1) دور المرأة السِّياسي ، أسماء محمد ، ص(340) .
(2) ندَّ البعير ، ونحوه ندّاً ، وندوداً: نفر ، وشرد .
(3) تاريخ الطَّبري نقلاً عن دور المرأة السِّياسي ، ص(340) .
(4) تاريخ المدينة (298/2) .
(5) كنانة بن عدي بن ربيعة بن عبد العزَّى بن عبد شمس بن عبد منافٍ العبشمي .
(6) دور المرأة السياسي ، ص(340) .
(7) سير أعلام النُّبلاء (237/2) .

رضـــي الله عنها من المدينة وهي ممتلئةٌ غيظاً على المتمرِّدين، وجاءها مروان بن الحكم، فقال: يا أمَّ المؤمنين ! لو أقمت كان أجدر أن يراقبوا هذا الرَّجل . فقالت: أتريد أن يُصـــنع بي كما صُـــنع بأمِّ حبيبة، ثمَّ لا أجد من يمنعني ! لا والله ! لا أُعيَّر[1]، ولا أدري إلام يسلم أمر هؤلاء[2]، ورأت رضي الله عنها: أنَّ خروجها ربما كان معيناً في فضِّ هذه الجموع كما ســـيتضـــح من الرِّواية الاتية بعد، وتجهَّزت أمَّهـات المؤمنين إلى الحجِّ هرباً من الفتنـة، على أنَّ خروجهنَّ لم يكن تنزُّهـاً عن ملابسـات الفتنة، وحسـب، ولم يكن هرباً محضـاً، وإنَّما كان محاولةً منهنَّ لتخليص عثمان رضـــي الله عنه من أيدي هؤلاء المفتونين، الَّذين كان منهم محمَّد بن أبي بكر، أخو السَّـيدة عائشـة؛ رضـي الله عنهما الَّذي حاولت أن تَسْـتَتْبعه معها إلى الحجِّ، فأبى . ولقد دلَّل على هذه المحاولة منها أن استتباعها له، ورفضه كانا لافتين للنَّظر، حتَّى إنَّ حنظلة الكـاتب[3]، قـد هـالـه رفض محمَّـد لأن يتبع أمَّ المؤمنين، وقارن بين هذا الرَّفض وبين متابعته لأهل الأمصـــار، قائلاً: يا محمد ! تدعوك أمُّ المؤمنين، فلا تتبعهـا، وتـدعوك ذؤبان[4] العرب إلى مـا لا يحـلُّ فتتبعهم ! فـأبى، فقالت السَّـــيِّدة عائشـــة: أما والله لو اســـتطعت أن يحرمهم الله ما يجولون ؛ لأفعلنَّ[5]!

وهذا القول منها بعد ما حاولته مع أخيها دليل على أنَّها قد بدأت محاولتها لفض الثَّائرين عن عثمان، ولإثارة الرَّأي العامِّ عليهم منذ بدأ تفكيرها في الذَّهاب

---

(1) أعيَّر: من العار . ولقد يبدي هذا التَّعبير: أنَّ الحالة الَّتي وضع فيها الغوغاء السَّيدة أمَّ حبيبة كانت شديدة الإيلام .

(2) تاريخ الطَّبري (401/5) .

(3) حنظلة بن ربيع التَّميمي ، كان يكتب الوحي لرسول الله (ص) فسمِّي الكاتب .

(4) ذؤبان: لصوص وصعاليك .

(5) تاريخ الطَّبري (401/5) .

إلى مكَّة، وهذا هو ما أكَّد عليه الإمام ابن العربيِّ، قال: إنَّه يروى أن تغيبهم – تغيُّب أمَّهات المؤمنين مع عددٍ من الصَّـــحابة – كان قطعاً للشَّــغب بين النَّاس، وجـاء أن يرجع النَّـاس إلى أمَّهـاتهم، وأمهـات المؤمنين، فيرعوا حرمـة نبيِّهم[1]، ويستمعوا إلى كلمتهنَّ، الَّتي طالما كانوا يقصدونها من كلِّ الافاق[2] .

أي: أنَّ خروجهم كان نوعاً من التَّفريق لهذه الجموع، حيث كان معروفاً عند النَّاس التماس رأيهنَّ، وفتاواهنَّ، وكنَّ – رضوان الله عليهن – لا يتصوَّرن أن يصل الأمر بهؤلاء النَّاس إلى قتل الخليفة رضي الله عنه[3] .

4. مواقف للصَّحابيَّات:

أ – وقد حاولت أسماء بنت عُميس نفس المحاولة الَّتي حاولتها أمُّ المؤمنين عائشـــة، فبعثت إلى ابنيها، محمَّد بن أبي بكر، ومحمَّد بن جعفر[4]، فقالت: إنَّ المصـباح يأكل نفســه، ويضـيء للنَّاس، فلا تأثما في أمر تسـوقانه إلى من لا يأثم فيكما، فإنَّ هذا الأمر الَّذي تحاولون اليوم لغيركم غداً، فاتَّقوا أن يكون عملكم اليوم حسرةً عليكم، فلجَّا، وخرجا مُغضَبين، يقولان: لا ننسى ما صنع بنا عثمان، وتقول: ما صنع بكما ! إلا ألزمكما الله[5] ؟ ! وقيل: الحديث كان بين ليلى بنت أسماء، وأخويها[6] .

---

[1] العواصم من القواصم ، ص(156) .
[2] دور المرأة السياسي ، ص(342) .
[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص(343) .
[4] محمَّد بن جعفر بن أبي طالب ، أمُّه أسماء بنت عميس الخثعمية ، ولد بأرض الحبشة ، شهد صفين مع عليٍّ ، وكان مع أخيه محمَّد بمصر لما قتل .
[5] تاريخ الطَّبري (202/5) .
[6] تاريخ الطَّبري (202/5) .

وهي في ذلك تشــير إلى أنَّه لما جاء أهل الأمصــار وكرُّوا راجعين إلى المدينة، بعدما كانوا ناظروا عثمان رضـــي الله عنه فناظرهم، وأقام عليهم الحجَّة، فأظهروا: أنَّهم راجعون إلى بلادهم، ثمَّ ما لبثوا أن عادوا بدعوى: أنَّ عثمان رضـــي الله عنه بعث رسـلاً في قتل أناسٍ كان منهم حسـب دعواهم: محمَّد بن أبي بكر[1]، ولعلَّ هذا هو ما يشـير إليه محمَّد بن أبي بكر في قوله: لا ننسـى ما صـنع بنا عثمان . وقد نفى عثمان رضي الله عنه نسبة هذا الكتاب إليه، وقال:

إما أن تقيموا شـــاهدين عليَّ بذلك، وإلا فيميني: أنِّي ما كتبتُ، ولا أمرتُ، وقد يكتب على لسان الرَّجل، ويُضرب على خطِّه، ويُنقش على خاتمه[2] .

لقد كانت السيدة أسماء رضي الله عنها واعية بما يجري من تدبير خفي لزعزعة أحوال المســلمين، وتنحية عثمان رضــي الله عنه عن الخلافة، وهكذا فإن موقفها رضـي الله عنها، من ابنيها، ووضـوح الأمر عندها على هذا النحو الّذي جعلها لا تتأثر في مقام الأمومة، ولا تبدو إلا مُحِقة للحق في هذا الموقف الواضــح، هذا الموقف لا يســتهان به ولا شــك، وهو يعد صــورة جلية لعدالة هؤلاء الصــحابة الكرام[3].

ب – الصعبة بنت الحضرمي:

ولما اشتدَّ حصار عثمان رضي الله عنه طلبت الصَّعبة بنتُ الحضرميِّ من ابنها طلحة بن عبيد الله أن يكلِّم عثمان ؛ كي يردعه عن إصـراره على إسـلامه نفسـه

---

(1) دور المرأة السياسي ، ص(343) .
(2) العواصم من القواصم ، ص(120) .
(3) دور المرأة السياسي ، ص(344) .

دون مدافعةٍ من الصَّحابة، واستنصارٍ بأهل الأمصار، فقد خرجت الصَّعبة بنت الحضرميّ، وقالت لابنها طلحة بن عبيد الله: إنَّ عثمان اشتدَّ حصره، فلو كلَّمته ؛ حتَّى تردعه[1]. والرِّواية يبدو منها إشفاق الصَّعبة على عثمان رضي الله عنه، كما يبدو منها كذلك عناية أمِّ عبد الله بن رافع بالأمر، ومتابعتها لما يجري من أحداث الفتنة[2]، وهي الّتي روت عن الصَّعبة بنت الحضرميِّ الحادثة[3] .

هذا هو الموقف العامُّ لنساء المسلمين، فقد كان موقفاً معتدلاً، وقادراً على النَّظر السليم في المسألة رغم الغيوم ؛ الّتي كانت ملتبسةً بها، وهو على كلِّ حال كان هذا موقف الصَّحابة جميعاً رضي الله عنهم، وأرضاهم[4] .

سادساً: من حجَّ بالنَّاس ذلك العام ؟ وهل طلب عثمان من الولاة نُصرته؟

1. من حجَّ بالناس ذلك العام (35 هـ) ؟:

استدعى عثمان عبد الله بن عبَّاسٍ رضي الله عنهم، وكلَّفه أن يحجَّ بالنَّاس هذا الموسم، فقال له ابن عبَّاس: دعني أكن معك ؛ وبجانبك يا أمير المؤمنين ! في مواجهة هؤلاء، فوالله إن جهاد هؤلاء الخوارج أحبُّ إليَّ من الحج ! قال له: عزمت عليك أن تحجَّ بالمسلمين ! فلم يجد ابن عبَّاسٍ أمامه إلا أن يطيع أمير المؤمنين، وكتب عثمان كتاباً مع ابن عبَّاس، ليقرأ على المسلمين في الحجِّ، بيَّن فيه

(1) المصدر السابق نفسه ، ص(345) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .
(3) المصدر السَّابق نفسه .
(4) المصدر السَّابق نفسه ، ص(345 ، 346) .

قصَّته مع الخوارج عليه، وموقفه منهم، وطلباتهم منه[1]، وهذا نصُّ خطاب عثمان رضي الله عنه للمسلمين في موسم الحج عام 35 هـ:

بســـم الله الرَّحمن الرَّحيم . من عبـد الله عثمـان أمير المؤمنين إلى المؤمنين والمسلمين، سلامٌ عليكم، فإنِّي أحمد الله إليكم الّذي لا إله إلا هو، أمَّا بعد: فإنِّي أذكِّركم بالله – جلَّ وعز – الّذي أنعم عليكم، وعلَّمكم الإســـلام، وهداكم من الضـلالة، وأنقذكم من الكفر، وأراكم البينات، وأوسع عليكم من الرِّزق، ونصـركم على العدوِّ، وأســـبغ عليكم نعمته، فإنَّ الله – عزَّ وجلَّ – يقول، وقوله الحق: ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَـأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُـوهَا إِنَّ الإِنْسَـانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ *﴾ [إبراهيم: 34] .

وقال عزَّ وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْـلِمُونَ *وَاعْتَصِـمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْـبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَـفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِـكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *﴾ [آل عمران: 102-105]

وقال، وقوله الحقُّ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ *﴾ [المائدة: 7] .

---

[1] الخلفاء الراشدون ، للخالدي ، ص(167 ، 168) .

وقال، وقوله الحقُّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ *وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ *فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ *﴾ [الحجرات: 6 - 8] .

وقوله – عزَّ، وجلَّ –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ *﴾ [آل عمران: 77]

وقال، وقوله الحقُّ: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *﴾ [التغابن: 16] .

وقال وقوله الحقُّ: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ *وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ *وَلاَ تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *وَلاَ تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ *مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *﴾ [النحل: 91 - 96] .

وقال، وقوله الحقُّ: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَــيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُــولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً *﴾ [النساء: 59] .

وقـال، وقولـه الحقُّ: ﴿وَعَـدَ اللَّهُ الَّـذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّــالِحَاتِ لَيَسْــتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ لاَ يُشْــرِكُونَ بِي شَــيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ *﴾ [النور: 55].

وقال، وقوله الحقُّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِــهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَــيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا*﴾ [الفتح: 10] .

أمَّا بعد: فإنَّ الله – عزَّ وجلَّ – رضــي لكم السَّــمع، والطَّاعة، والجماعة، وحذَّركم المعصــية، والفرقة، والاختلاف، ونبَّأكم ما قد فعله الّذين من قبلكم، وتقدَّم إليكم فيه ليكون له الحجَّة عليكم؛ إن عصيتموه، فاقبلوا نصيحة الله – عزَّ وجلَّ – واحذروا عذابه، فإنَّكم لن تجدوا أمَّة هلكت إلا بعد أن تختلف، إلا أن يكون لها رأسٌ يجمعها، ومتى ما تفعلوا ذلك لا تقيموا الصَّــلاة جميعاً، وسُــلِّط عليكم عدوُّكم، ويســتحلُّ بعضــكم حرمة بعضٍ، ومتى يفعل ذلك ؛ لا يقم لله سبحانه دينٌ، وتكونوا شيعاً، وقد قال الله – جلَّ وعزَّ – لرسوله(ﷺ):﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ *﴾ [الأنعام: 159].

وإنِّي أوصيكم بما أوصاكم الله، وأحذركم عذابه، فإن شعيباً – عليه السلام –

قال لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ * وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ *﴾ **[هود: 89 - 90]** .

أمَّا بعد: إنَّ أقواماً ممَّن كان يقول في هذا الحديث، أظهروا للنَّاس أنَّما يدعون إلى كتاب الله – عزَّ وجلَّ – والحقِّ، ولا يريدون الدُّنيا، ولا منازعة فيها، فلمَّا عُرض عليهم الحقُّ، إذا النَّاس في ذلك شتَّى، منهم اخذٌ للحقِّ، ونازعٌ عنه حين يُعطاه، ومنهم تاركٌ للحقِّ، ونازلٌ عنه في الأمر، يريد أن يبتزَّه بغير الحقِّ، طال عليهم عمري وراثَ عليهم[1]، أملهم الإمرة، فاستعجلوا القدر، وقد كتبوا إليكم: أنَّهم قد رجعوا بالّذي أعطيتهم، ولا أعلم أنِّي تركت من الّذي عاهدتهم عليه شيئاً، كانوا زعموا أنَّهم يطلبون الحدود، فقلت: أقيموها على مَنْ علمتم تعدَّاها في أحدٍ، أقيموها على من ظلمكم من قريبٍ، أو بعيد، قالوا: كتاب الله يُتلى، فقلت: فليتله من تلاه غير غالٍ فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب .

وقالوا: المحروم يرزق، والمال يوفَّى ؛ ليُستنَّ فيه السُّنَّة الحسنة، ولا يُعتدى في الخمس، ولا في الصَّدقة، ويؤمَّر ذو القوَّة، والأمانة، وتردُّ مظالم الناس إلى أهلها، فرضيت بذلك، واصطبرت له، كتبت إليكم وأصحابي الّذين زعموا في الأمر، استعجلوا القدر ومنعوا منِّي الصلاة، وحالوا بيني وبين المسجد، وابتزُّوا ما قدروا عليه بالمدينة، كتبت إليكم كتابي هذا، وهم يخبرونني إحدى ثلاث: إمَّا يقيدونني بكلِّ رجل أصبته خطأً، أو صواباً، غير متروكٍ منه شيءٌ، وإمَّا أعتزل الأمر،

---

[1] راث: أبطأ .

فيؤمِّرون اخر غيري، وإمَّا يرســـلون إلى من أطاعهم من الأجناد، وأهل المدينة فيتبَّرؤون من الّذي جعل الله سبحانه عليهم من السَّمع، والطَّاعة . فقلت لهم: أمَّا إقادتي من نفسي، فقد كان من قبلي خلفاء تخطأي، وتصيب، فلم يُستقد[1] من أحدٍ منهم، وقد علمت أنَّما يريدون نفســـي، وأمَّا أن أتبرأ من الإمارة، فإن يكلِّبوني[2] أحبُّ إليَّ من أن أتبرأ من عمل الله – عزَّ وجلَّ – وخلافته، وأمَّا قولكم: يرســـلون إلى الأجناد، وأهل المدينة فيتبرَّؤون من طاعتي، فلســـت عليكم بوكيل، ولم أكن اســتكرهتهم من قبل على السَّــمع والطَّاعة، ولكن أتوها طائعين، يبتغون مرضـــاة الله – عزَّ وجلَّ – وإصـــلاح ذات البين، ومن يكن منكم يبتغي الدُّنيا ؛ فليس بنائلٍ منها إلا ما كتب الله عزَّ وجلَّ له، ومن يكن إنَّما يريد وجه الله، والدَّار الاخرة، وصـلاح الأمَّة، وابتغاء مرضـاة الله عزَّ وجلَّ، والسُّـنَّة الحسـنة الّتي اسـتنَّ بها رسـول الله(ﷺ)، والخليفتان من بعده، رضـي الله عنهما، فإنَّما يجزي بذلكم الله، وليس بيدي جزاؤكم، ولو أعطيتكم الدُّنيا كلَّها ؛ لم يكن في ذلك ثمنٌ لدينكم، ولم يُغْن عنكم شيئاً، فاتَّقوا الله، واحتسبوا ما عنده، فمن يرضى بالنَّكث منكم فإِنِّي لا أرضـــاه له، ولا يرضـــى الله ســـبحانه، أن تنكثوا عهده، وأمَّا الذي تخيرونني فإنَّما كلُّه النَّزع، والتأمير، فملكت نفســـي، ومن معي، ونظرت حكم الله وتغيير النِّعمة من الله سبحانه، وكرهت سنَّة السُّوء، وشقاق الأمَّة، وسفك الدِّماء، فإِنِّي أنشـدكم بالله، وبالإسـلام ألا تأخذوا إلا الحقَّ، وتعطوه منِّي، وترك البغي على أهله، وخذوا بيننا بالعدل كما أمركم الله عزَّ وجلَّ، فإِنِّي أنشدكم الله سبحانه الّذي

[1] استقاد الحاكم: سأله أن يقيد القاتل بالقتل .
[2] كلَّبه: ضربه بالكُلاب . والكُلاب: المهماز ، وهو حديدةٌ في عقب خفِّ الفارس يستحثُّ بها فرسه .

جعل عليكم العهد، والمؤازرة في أمر الله، فإنَّ الله سـبحانه قال، وقوله الحقُّ: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً *﴾ [الإسراء: 34] .

فإنَّ هذه معذرةٌ إلى الله، ولعلكم تذكَّرون . أمَّا بعد: فإني لا أُبرِّأى نفسـي، ﴿وَمَا أُبَرِّيءُ نَفْسِـي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّـوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ*﴾ [يوسف: 53].

وإن عـاقبت أقواماً ؛ فما أبتغي بـذلك إلا الخير، وإنِّي أتوب إلى الله – عزَّ وجلَّ– من كل عملٍ عملته، وأستغفره، إنَّه لا يغفر الذُّنوب إلا هو، إنَّ رحمة ربي وسعت كلَّ شيء، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الضَّالون، وإنَّه يقبل التَّوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون . وأنا أسأل الله – عزَّ وجلَّ – أن يغفر لي، ولكم، وأن يؤلِّف قلوب هذه الأمَّة على الخير، ويُكرِّه إليها الفسـق . والسَّـلام عليكم، ورحمة الله وبركاته أيها المؤمنون، والمسـلمون ! قال ابن عبَّاس: فقرأت هذا الكتاب عليهم قبل التَّروية[1] بمكَّة بيوم .

2. هل طلب عثمان رضي الله عنه من الولاة نصرته ؟:

يزعم سـيف بن عمر في روايته عند الطَّبري: أنَّ عثمان لما حصـر كتب إلى عماله على الأمصـار يسـتمدُّهم، فبعث معاوية حبيب بن مسـلمة الفهري على رأس جيشٍ، وكذا فعل عبد الله بن سـعد في مصـر، فأرسـل معاوية بن حديج،

[1] تاريخ الطَّبري (425/5 إلى 431) .

وخرج من أهل الكوفة القعقاع بن عمرو على رأس قوّاته[1] . وهذا الزّعم لا يتّفق مع منهج عثمان في مواجهة الفتنة من إيثار العافية، والكفِّ، ولا يتّفق مع تيقُّنه بالقتل، ولا يتّفق مع ما لجأ إليه من صـــرف المدافعين عنه من كبار الصّـــحابة، وأبنائهم، بل عبيدة، ومواليه الّذين نهاهم أشـــدَّ النّهي عن القتال، بل جعل العتق نصيب من يكفُّ يده منهم، ولا يقاتل كما سوف نرى .

ولكنَّ الّذي يمكن تصـوُّره هو: أنَّه كما بادر جماعةٌ من الصـحابة إلى الدِّفاع عن عثمان دون أن يطلب منهم ذلك، ورغم محاولاته العديدة لصـــرفهم، فإنَّه قد بادرت جماعاتٌ كثيفةٌ من أجناد المسـلمين في الأمصـار للدِّفاع عن الخليفة المظلوم من تلقاء أنفسـهم، وتوجيهٍ من أمرائهم، ولا يصـحُّ أن نظنَّ: أنَّ رجلاً مثل معاوية في قرابته من عثمان كان سـيسـعه – لو أراد – أن يتقاعس عن السَّـير إليه، أو تسـيير الجنود إليه، ولا يمكن أن نفترض أنَّ رجالاً مثل أنصـار عثمان بمصـر – وعلى رأسهم معاوية بن حديج، ومسلمة بن مخلد، وغيرهما من أبطال المسلمين – كانوا سينتظرون قابعين حتَّى يقتل الخليفة، ثمَّ يتحركون للثّأر له، ويعرضون نحورهم للقتل في سـبيله، بل الّذي يمكن تصـوُّره، وافتراضـه، أنَّ جنوداً من الأمصـار قد تحرَّكت بالفعل نحو المدينة لنجدة الخليفة دون أن يطلب منها نجدته[2] .

3. اخر خطبةٍ خطبها عثمان رضي الله عنه:

كان اخر لقاء عام لعثمان مع المسلمين، بعد أسابيع من الحصار، حيث دعا النّاس، فاجتمعوا له جميعاً، المحارب الطّارأى من السّـبئيّين، والمسـالم المقيم من أهل

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، (379/5 إلى 380) .
[2] الدَّولة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(278 ، 279) .

المدينة، وكان في مقدِّمة القادمين: عليٌّ، وطلحة، والزُّبير، فلمَّا جلسوا أمامه ؛ قال لهم: إن الله – عزَّ وجلَّ – إنَّما أعطاكم الدُّنيا لتطلبوا بها الاخرة، ولم يعطكم الدُّنيا لتركنوا إليها، وإنَّ الدُّنيا تفنى، والاخرة تبقى، فلا تبطرنَّكم الفانية، ولا تشغلنَّكم عن الباقية، واثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدُّنيا منقطعةٌ، وإنَّ المصير إلى الله، واتَّقوا الله – عزَّ وجلَّ – فإنَّ تقواه جُنَّةٌ، ووقايةٌ من بأسه، وانتقامه، والزموا جماعتكم، ولا تصيروا أحزاباً . قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *﴾ **[آل عمران: 103].**

ثمَّ قال للمسلمين: يا أهل المدينة ! إنِّي أستودعكم الله، وأسأله أن يُحسن عليكم الخلافة من بعدي . وإنِّي والله لا أدخل على أحدٍ بعد يومي هذا، حتَّى يقضي الله فيَّ قضاءه، ولأدعنَّ هؤلاء الخوارج وراء بابي، ولا أُعطيهم شيئاً، يتَّخذونه عليكم دخلاً في دينٍ، أو دنيا، حتَّى يكون الله هو الصَّانع في ذلك ما أحبَّ . وأمر أهل المدينة بالرُّجوع، وأقسم عليهم، فرجعوا إلا الحسن، ومحمَّد بن طلحة، وابن الزُّبير، وأشباهاً لهم، فجلسوا على باب عثمان عن أمر ابائهم، وثاب إليهم ناسٌ كثير، ولزم عثمان الدَّار[1]، حتَّى أتاه أجله .

سابعاً: استشهاد عثمان رضي الله عنه:

وفضلاً عن تحرُّك جيوش الأمصار منها لنجدة الخليفة، فقد كانت أيَّام الحج

---

[1] تاريخ الطَّبري (5/399 ، 400) .

تنقضي سريعاً، وتوشك جماعاتٌ من هؤلاء أن تزحف إلى المدينة لنجدة الخليفة، وبخاصَّـةٍ مع وجود عبد الله بن عبَّاس، وعائشـة، وغيرهما من المدافعين عن عثمان، وقدمت الأخبار إلى المتمرِّدين بأنَّ أهل الموسـم يريدون نصـرة عثمان، فلمَّا أتاهم ذلك مع ما بلغهم من نفور أهل الأمصـار إليهم أعلقهم الشـيطان، وقالوا: لا يُخرجنا ممَّا وقعنا فيه إلا قتل هذا الرَّجل فيشتغل بذلك النَّاس عنَّا[1] .

1. اخر أيَّام الحصار وفيه الرُّؤيا:

وفي اخر أيَّام الحصار – وهو اليوم الَّذي قتل فيه – نام رضي الله عنه، فأصبح يحدِّث النَّاس: ليقتلني القوم[2]، ثمَّ قال: رأيت النَّبيّ(ﷺ) في المنام، ومعه أبو بكر، وعمر، فقال النَّبيّ(ﷺ): يا عثمان ! أفطر عندنا . فأصـبح صـائماً، وقتل من يومه[3].

2. صفة قتله:

هاجم المتمرِّدون الدَّار، فتصـدَّى لهم الحسـن بن عليٍّ، وعبد الله بن الزُّبير، ومحمَّد بن طلحة، ومروان بن الحكم، وسـعيد بن العاص، ومن كان من أبناء الصَّـحابة أقام معهم، فنشـب القتال فناداهم عثمان: الله ! الله ! أنتم في حلٍّ من نصرتي، فأبوا، ودخل غلمانُ عثمان لينصروه، فأمرهم ألا يفعلوا، بل إنَّه أعلن: أنَّه مَنْ كف يده منهم ؛ فهو حرٌّ، وقال عثمان في وضـوحٍ، وإصـرارٍ، وحسـم – وهو

---

[1] المصدر السَّابق نفسه ، (402/5) .
[2] الطَّبقات ، لابن سعد (75/3) . وفتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (172/1) .
[3] الطَّبقات (75/3) الخبر حسنٌ لغيره . وفتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (175/1) .

الخليفة الّذي تجب طاعته: أعزم على كلِّ من رأى: أنَّ عليه سمعاً، وطاعةً إلا كفَّ يده، وسلاحه[1]، ولا تبرير لذلك إلا بأنَّ عثمان كان واثقاً من استشهاده بشهادة النَّبيّ(ﷺ) له بذلك ؛ ولذلك أراد ألا تراق بسببه الدِّماء، وتقوم بسببه فتنةٌ بين المسلمين[2] .

وكان المغيرة بن الأخنس بن شريق فيمن حجَّ، ثمَّ تعجل في نفرٍ حجُّوا معه، فأدرك عثمان قبل أن يقتل، ودخل الدَّار يحمي عنه، وقال: ما عذرنا عند الله إن تركناك، ونحن نستطيع ألا ندعهم حتَّى نموت ؟ فأقدم المتمرِّدون على حرب الباب والسَّقيفة، فثار أهل الدَّار وعثمان يصلِّي حتى منعوهم، وقاتل المغيرة بن الأخنس، والحسن بن عليٍّ، ومحمد بن طلحة، وسعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، وأبو هريرة، فأبلوا أحسن البلاء، وعثمان يرسل إليهم في الانصراف دون قتالٍ، ثمَّ ينتقل إلى صلاته، فاستفتح قوله تعالى: ﴿طه *مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى *إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى *﴾ **[طه: 1-3]** .

وكان سريع القراءة فما أزعجه ما سمع، ومضى في قراءته ما يخطأى، وما يتعتع، حتَّى إذا أتى إلى نهايتها قبل أن يصلوا إليه ثمَّ عاد، فجلس، وقرأ: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ *﴾ **[آل عمران: 137].**

وأصيب يومئذٍ أربعة من شبَّان قريشٍ، وهم: الحسن بن عليٍّ، وعبد الله بن

---

[1] العواصم من القواصم ، ص(133) .
[2] الدَّولة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين ، ص(283) .

الزُّبير، ومحمَّد بن حاطب، ومروان بن الحكم[1]، وقتل المغيرة بن الأخنس، ونيار بن عبد الله الأسـلميُّ[2]، وزياد الفهريُّ، واسـتطاع عثمان أن يقنع المدافعين عنه، وألزمهم بالخروج من الـدَّار، وخُلِّي بينه وبين المحاصـــرين، فلم يبق في الـدَّار إلا عثمان، واله، وليس بينه وبين المحاصـرين مدافعٌ، ولا حام من النَّاس، وفتح رضـي الله عنه باب الدَّار[3] .

وبعد أن خرج مَنْ في الدَّار ممَّن كان يريد الدِّفاع عنه، نشـــر رضـــي الله عنه المصحف بين يديه، وأخذ يقرأ منه وكان إذ ذاك صائماً، فإذا برجلٍ من المحاصرين – لم تسـمِّه الرِّوايات – يدخل عليه، فلمَّا راه عثمان رضـي الله عنه قال له: بيني وبينك كتاب الله[4]، فخرج الرَّجل، وتركه . وما إن ولَّى حتى دخل اخر، وهو رجلٌ من بني سدوس، يقال له: الموت الأسود، فخنقه قبل أن يضربه بالسَّيف، فقال: والله ما رأيت شـيئاً ألين من خنقه، لقد خنقته حتَّى رأيت نفسـه مثل الجانِّ[5]، تردَّد في جسده، ثم أهوى إليه بالسَّيف، فاتَّقاه عثمان رضي الله عنه بيده فقطعها، فقال عثمان: أما والله إنَّها لأول كفٍّ خطَّت المفصَّـل[6]، وذلك أنَّه كان من كتبة الوحي، وهو أوَّل من كتب المصـحف من إملاء رسـول الله(ﷺ)، فقتل رضـي الله عنه والمصـحف بين يديه، وعلى أثر قطع اليد انتضـح الدَّم على المصـحف الّذي كان بين يديه يقرأ منه، وسـقط على قوله تعالى:﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ

[1] فتنة مقتل عثمان، رضي الله عنه (169/1) روايةٌ صحيحة. وتاريخ الطَّبري (404/5).
[2] الخلفاء الراشدون ، للخالدي ، ص(184 ، 185) . والبداية والنِّهاية (196/7) .
[3] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (188/1) .
[4] تاريخ الطَّبري (405/5 ، 406) .
[5] تاريخ ابن خيَّاط ، ص(174 ، 175) إسناده صحيحٌ ، أو حسنٌ .
[6] تاريخ الطَّبري (398/5) .

الْعَلِيمُ *﴾[البقرة: 137] (1) وفي روايةٍ: إنَّ أوَّل من ضـــربه رجلٌ يســـمَّى رومان اليمانيّ، ضربه بصولجان، ولما دخلوا عليه ليقتلوه أنشد قائلاً:

أَرَى الْمَـوتَ لاَ يُبْقِـي عزِيْـزاً وَلَمْ يَـدَعْ لِعَــادٍ مَــلاذاً في الْــبِلادِ وَمُرْتَقَــى

وقال أيضاً:

يَبِيْـــتُ أَهْـــلُ الحِصْـــن وَالْحِصْـــنُ وَيَأْتي الجَبَـــــــــــــــــــالَ في

ولمَّـــا أحاطوا به، قالت امرأته نائلة بنت الفرافصة: إن تقتلوه، أو تدعوه، فقد كان يحيي اللَّيل بركعةٍ، يجمع فيها القران(4) وقد دافعت نائلة عن زوجها عثمان، وانكبت عليه، واتَّقت السَّـــيف بيدها، فتعمَّدها ســـودان بن حمران، ونضـــح أصابعها، فقطع أصابع يدها، وولَّت، فغمز أوراكها(5) .

ولمَّـا رأى أحد غلمان عثمان رضي الله عنه الأمر ؛ راعه قتل عثمان رضي الله عنه، وكان يســمَّى (نجيح) فهجم نجيحٌ على ســودان بن حمران، فقتله، ولما رأى قتيرة بن فلان السَّـــكونيُّ نجيحاً قد قتل ســـودان، هجم على نجيحٍ فقتله، وهجم غلام اخر لعثمان رضي الله عنه اسمه (صبيح) على قتيرة بن فلانٍ فقتله، فصار في البيت أربعة قتلى، شـهيدان، ومجرمان، وأمَّا الشـهيدان: فعثمان رضـي الله عنه، وغلامه نجيح، وأمَّا المجرمان، فسودان، وقتيرة السَّكونيَّان، ولما تمَّ قتل عثمان رضي الله عنه نادى منادي القوم السَّـــبئيِّين قائلاً: إنَّه لم يحلَّ لنا دم الرَّجل ويحرم علينا

(1) المصدر السَّابق نفسه ، (398/5) الخبر له طرقٌ عديدةٌ بمجموعها يرتقي إلى درجة الحسن لغيره .
(2) شماريخها: رؤوسها (لسان العرب 31/3) .
(3) فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (191/1) . والبداية والنِّهاية (192/7) .
(4) الطَّبقات (76/3) . وفتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه(191/1) .
(5) تاريخ الطَّبري (406/5 ، 407) .

ماله، ألا إنَّ ماله حلال لنا، فانهبوا ما في البيت، فعاث رعاع السَّــبئيّين في البيت فسـاداً، ونهبوا كلَّ ما في البيت، حتَّى نهبوا ما على النِّسـاء، وهجم أحد السَّبئيِّين، ويُدعى كلثوم التَّجيبي على امرأة عثمان رضـي الله عنه نائلة رضـي الله عنها ونهب الملاءة الّتي عليها، ثمَّ غمز وزَكَها، وقال لها: ويح أمّك من عجيزة ما أتمَّك ! فراه غلام عثمان رضي الله عنه (صبيح) وسمعه، وهو يتكلَّم في حقِّ نائلة هذا الكلام الفاحش، فعلاه بالسَّيف فقتله[1] . وهجم أحد السَّبئيِّين على الغلام فقتله .

وبعدما أتمَّ السَّبئيُّون نهب دار عثمان، تنادوا، وقالوا: أدركوا بيت المال، وإيَّاكم أن يسـبقكم أحدٌ إليه، وخذوا ما فيه، وسمع حرَّاس بيت المال أصـواتهم، ولم يكن فيه إلا غرارتان من طعام فقالوا: انجوا بأنفسـكم فإن القوم يريدون الدُّنيا، واقتحم السَّبئيُّون بيت المال، وانتهبوا ما فيه[2] .

حقَّق الخوارج السَّـبئيُّون مرادهم، وقتلوا أمير المؤمنين، وتوقَّف كثير من أتباعهم من الرُّعاع والغوغاء بعد قتل عثمان ؛ ليفكِّروا، وما كانوا يظنُّون: أنَّ الأمر سينتهي بهم إلى قتله، لقد استغفلهم شـياطينهم السَّـبئيُّون، واسـتغلُّوهم في الشَّـغب على عثمان، أمَّا أن يقتلوه فهذا ما استفظعوه، واستشـنعوه، وأُسـقط في أيدي هؤلاء الغوغاء، وحصل لهم كما حصل لبني إسرائيل، لما عبدوا العجل، ندم بعضهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَـدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَـبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ * وَلَمَّا سُـقِطَ فِي أَيْـدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَـدْ ضَـلُّوا قَـالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَـا رَبُّنَـا وَيَغْفِرْ لَنَـا لَنَكُونَنَّ مِنَ

[1] المصدر السَّابق نفسه ، ص(407/5) .
[2] تاريخ الطَّبري (407/5) .

الْخَاسِرِينَ*﴾[1] [الأعراف: 148 - 149] .

وحزن الصَّالحون في المدينة لمقتل خليفتهم، وصاروا يسترجعون، ويبكون، لكن ماذا يفعلون ؟ وجيوش الخوارج السَّبئيِّين تحتلُّ المدينة، وتعيث فيها فساداً، وتمنع أهلها من فعل أيِّ شيءٍ ؟ وكان الحاكم الفعليُّ للمدينة هو أمير خوارج مصر (الغافقيُّ بن حرب العكيُّ) وكان معهم شيطانهم المخطط (عبد الله بن سبأ) وهو فرحٌ مسرورٌ لما وصل إليه من أهدافٍ، ومارب يهوديَّة شيطانيَّةٍ، وعلَّق كبار الصَّحابة على مقتل عثمان[2].

أ – الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه لما علم بمقتل عثمان ؛ قال: رحم الله عثمان! إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون ! فقيل له: إن القوم نادمون . فقال: دبَّروا، ودبَّروا، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ *﴾ [سبأ: 54] .

ب – طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه لما علم بمقتل عثمان ؛ قال: رحم الله عثمان ! إنَّا لله، وإنَّا إليه راجعون ! فقيل له: إن القوم نادمون . قال: تبّاً لهم ! وقرأ قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ *فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ *﴾ [يس: 49-50] .

جـ – عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه لما علم بمقتل عثمان؛ قال: رحم الله عثمان! إنَّا لله, وإنَّا إليه راجعون! فقيل له: إن القوم نادمون. فقرأ قوله تعالى:

---

[1] البداية والنِّهاية (197/7 ، 198) .
[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(190) . البداية والنِّهاية (197/7) .

﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ *فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ *﴾ [الحشر: 16 - 17].

د – سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: ولما علم سعد بن أبي وقَّاص بذلك، قال: رحم الله عثمان ! ثمَّ تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً *الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا *أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً * ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا *﴾ [الكهف: 103 - 106].

ثمَّ قال سعد: اللَّهمَّ أندمهم، واخزهم، واخذلهم، ثمَّ خذهم[1] ! واستجاب الله دعوة سعد – وكان مستجاب الدعوة – فقد أخذ كل من شارك في قتل عثمان، مثل عبد الله بن سبأ، والغافقيّ، والأشتر، وحكيم بن جبلة، وكنانة التَّجيبي، حيثُ قتلوا فيما بعد[2] .

ثامناً: تاريخ قتله، وسنُّه عند استشهاده، وجنازته، والصَّلاة عليه، ودفنه:

1. تاريخ قتله:

إنَّ في تحديد السَّنة الّتي قتل فيها عثمان رضي الله عنه شبه إجماع من المؤرِّخين، فلم يقع خلافٌ في أنَّه كان في السَّنة الخامسة بعد الثَّلاثين من الهجرة،

---

[1] تاريخ الطَّبري (407/5 ، 408) . والبداية والنِّهاية (189/7) .
[2] الخلفاء الرَّاشدون ، للخالدي ، ص(192) .

إلا ما رُوي عن مصعب بن عبد الله من أنَّه كان من السَّنة السَّادسة والثَّلاثين[1] وهو قولٌ شاذٌّ مخالفٌ للإجماع، فمن قال بالقول الأوَّل جمعٌ غفيرٌ، منهم: عبد الله بن عمرو بن عثمان، وعامر بن شرحبيل الشَّعبيُّ، ونافع مولى ابن عمر، ومخرمة بن سليمان، وغيرهم كثير[2]، ولم يختلف المؤرِّخون في الشَّهر الّذي قتل فيه، وأنَّه ذو الحِجَّة، إلا أنَّه اختُلف في تحديد ما بعد ذلك من اليوم والسَّاعة، والّذي ترجَّح لديَّ من أقوال العلماء الكثيرة: أنَّه استشهد في (35/12/18 هـ)[3] .

وأمَّا عن تحديد اليوم الّذي قتل فيه من أيَّام الأسبوع ففيه ثلاثة أقوال ؛ والّذي ترجَّح لديَّ من هذه الأقوال قول الجمهور، وهو يوم الجمعة ؛ لأنَّه قول الجمهور، ولم يخالفه قولٌ أقوى منه[4]، وكان وقت قتله صبيحة يوم الجمعة، وهو ما ذهب إليه الجمهور، ولم يخالف بأقوى منه[5].

2. سنُّه عند استشهاده:

اضطربت الرِّوايات في سنِّه عند استشهاده، والخلاف في ذلك قديمٌ، حتَّى إنَّ الطَّبريَّ – رحمه الله – يقول: اختلف السَّلف قبلنا في قدر مدَّة حياته[6]، والّذي أميل إليه أنَّه توفي وسنُّه: اثنتان، وثمانون (82 سنة) وهو قول الجمهور ويترجَّح **هذا القول لعدَّة أسبابٍ، منها:**

أ – أنَّ نتيجة مقارنة سنة ولادته مع سنة استشهاده تؤيِّد هذا القول ؛ فإنَّه

---

(1) تاريخ الطَّبري (435/5 ، 436) .
(2) فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (193/1 ، 194) .
(3) تاريخ الطَّبري (435/5) .
(4) المصدر السَّابق نفسه ، ص(436/5) .
(5) المصدر السَّابق نفسه ، ص(437/5) .
(6) تاريخ الطَّبري (438/5) .

ولد في السَّنة السَّادسة بعد عام الفيل، واستشهد في السَّنة الخامسة والثَّلاثين بعد الهجرة، فَطَرْحُ تاريخ مولده من تاريخ استشهاده يتبيَّن لنا سنُّه عند استشهاده .

ب - إنَّه قول الجمهور، ولم يخالفه قول أقوى منه[1] .

3. جنازته والصَّلاة عليه، ودفنه:

قام نفر من الصَّـــحابة في يوم قتله بغســـله، وكفَّنوه وحملوه على باب، ومنهم حكيم بن حزام، وحويطب بن عبد العزَّى، وأبو الجهم بن حذيفة، ونِيار بن مكرم الأســـلميُّ، وجبير بن مطعم، والزُّبير بن العوام، وعليُّ بن أبي طالب، وجماعةٌ من أصحابه، ونسائه، منهنَّ امرأتاه نائلة، وأم البنين بنت عتبة بن حصين، وصبيان، وصلَّى عليه جبير بن مطعم، وقيل: الزُّبير بن العوام، وقيل: حكيم بن حزام، وقيل: مروان بن الحكم، وقيل: المسور بن مخرمة[2]، والّذي ترجَّح عندي: أنَّ الّذي صلى عليه الزُّبير بن العوَّام لرواية الإمام أحمد في مسنده، فقد بيَّنت تلك الرِّواية أنَّ الزبير بن العوَّام رضي الله عنه، صلَّى على عثمان، ودفنه، وكان أوصى إليه[3] .

وقد دُفن رضـي الله عنه ليلاً وقد أكَّد ذلك ما رواه ابن سعدٍ، والذَّهبيُّ حيث ذكرا أنَّه دفن بين المغرب، والعشـاء[4]، رضـوان الله عليه، وأمَّا ما رواه الطَّبرانيُّ من طريق عبد الملك بن الماجشـون، قال: سمعت مالكاً يقول: قتل عثمان رضـي الله عنه فأقام مطروحاً على كناسة بني فلان ثلاثاً[5]، فالرِّواية السَّابقة ضعيفٌ سندها،

---

[1] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (204/1) .
[2] البداية والنِّهاية (199/7) .
[3] الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد (555/1) رجال الإسناد ثقاتٌ إلا أنه منقطعٌ .
[4] الطَّبقات (78/3) . وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ، ص(481) .
[5] المعجم الكبير (78/1) . واستشهاد عثمان ، ص(194) .

وباطلٌ متنها، فأمَّا السَّند ففيه علَّتان:

أ – ضـــعف عبد الملك بن الماجشـــون الّذي كان يروي المناكير عن الإمام مالكٍ.

ب – أن هذه الرِّواية مرســـلةٌ حيث إنَّ الإمام مالكاً لم يدرك مقتل عثمان رضي الله عنه لأنه لم يولد إلا سنة 93 هـ[1] .

وأمَّا متن هذه الرِّواية ؛ فباطلٌ، وفيه يقول ابن حزم: مَنْ قال: إنَّه رضـــي الله عنه أقام مطروحاً على مزبلةٍ ثلاثة أيَّامٍ فكذبٌ بحتٌ، وإفكٌ موضـــوعٌ، وتوليد مَنْ لا حياء في وجهه ... ولقد أمر رســـول الله(ﷺ) برمي أجســـاد قتلى الكفَّار من قريشٍ يوم بدر في القليب، وألقى التَّراب عليهم، وهم شـــرُّ خلق الله تعالى، وأمر عليه السَّـــلام أن يحفر أخاديد لقتلى يهود قريظة، وهم شـــرُّ مَنْ وارته الأرض، فمواراة المؤمن والكافر فرضٌ على المســلمين، فكيف يجوز لذي حياءٍ في وجهه أن ينسب إلى عليٍّ وهو الإمام، وَمَنْ بالمدينة من الصَّحابة ؛ أنَّهم تركوا رجلاً ميّتاً بين أظهرهم على مزبلةٍ ثلاثة أيامٍ، لا يوارونه[2] .

إنَّه لا يدخل في عقل أيِّ إنســانٍ ســليمٍ من داء الرَّفض: أنَّهم يتركون إمامهم ملقى دون دفنٍ ثلاثة أيَّام مهما كانت قوة أولئك الفجرة الّذين جاؤوا لحصـــاره وقتله، فالصَّحابة كما وصفهم ربُّهم لا يخافون في الله لومة لائم، وإنَّما تلك الرِّوايات الّتي شوهت كتب التَّاريخ من دسِّ الرَّوافض[3].

---

[1] التهذيب ابن حجر (408/6) .
[2] الفصل (239/4 ، 240) .
[3] عقيدة أهل السُّنَّة (1091/3) .

4. براءة محمَّد بن أبي بكر الصديق من دم عثمان رضي الله عنه:

إنَّ قاتل عثمان رضـــي الله عنه رجلٌ مصــريٌّ، لم تفصــح الرِّوايات عن اسمه، وبيَّنت: أنَّه سدوسيُّ الأصل، أسود البشرة، لقب بــــ(جبلة) لسواد بشرته، كما لقِّب أيضاً بــ(الموت الأسود) وذهب محبُّ الدِّين الخطيب إلى أنَّ القاتل: هو عبد الله بن سـبأ حيث قال: ومن الثَّابت أنَّ ابن سـبأ كان مع ثوَّار مصـر عند مجيئهم من الفسـطاط إلى المدينة، وهو في كلِّ الأدوار الّتي مثَّلها كان شـديد الحرص على أن يعمل من وراء ستار، فلعلَّ بـ(الموت الأسود) اسمٌ مستعارٌ له أراد أن يُرمز به إليه، ليتمكَّن من مواصلة دسائسه لهدم الإسلام[1]، وقد يشهد له: أنَّ ابن سبأ أسود البشرة، فقد صحَّ عن عليٍّ رضي الله عنه أنَّه وصفه بالخبث، وسواد البشرة، وذلك في قوله: الخبيث الأسود[2] .

وأمَّا ما يتعلَّق بتهمة محمد بن أبي بكر، بقتل عثمان بمشـاقصـه، فهذا باطلٌ، وقد جاءت رواياتٌ ضــعيفةٌ في ذلك، كما أنَّ متونها شــاذَّةٌ، لمخالفتها للرِّواية الصَّحيحة الّتي تبيِّن: أنَّ القاتل هو رجلٌ مصريٌّ[3]، وقد ذكر الدُّكتور يحيى اليحيى **عدَّة أسباب ترجِّح براءة محمَّد بن أبي بكرٍ من دم عثمان، منها:**

أ – أنَّ عائشة رضي الله عنها خرجت إلى البصرة للمطالبة بقتلة عثمان، ولو كان أخوها منهم ما حزنت عليه، لما قتل فيما بعد، وسيأتي تفصيله عند حديثنا عن عليٍّ ابن أبي طالب رضي الله عنه بإذن الله تعالى .

[1] العواصم من القواصم ، نقلاً عن فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (207/1) .
[2] لسان الميزان (290/3) .
[3] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (209/1) .

ب – لَعْنُ عليٍّ رضـــي الله عنه لقتلة عثمان رضـــي الله عنه وتبرُّؤه منهم يقتضـيعدم تقريبهم، وتوليتهم، وقد ولَّى محمَّد بن أبي بكر مصـر، فلو كان منهم ؛ ما فعل ذلك.

ج – ما أخرجه ابن عسـاكر بسـنده عن محمَّد بن طلحة بن مصـرف، قال: سمعت كنانة مولى صـــفيَّة بنت حييٍّ، قال: شـــهدت مقتل عثمان وأنا ابن أربع عشـرة سـنةً . قالت: هل أندى محمَّد بن أبي بكر بشـيءٍ من دمه ؟ فقال: معاذ الله! دخل عليه، فقال عثمان: يابن أخي ! لسـت بصـاحبي، فخرج، ولم يُنْدِ من دمه بشيءٍ[1].

ويشـــهد لهذا ما أخرجه خليفة بن خيَّاط، والطَّبري بإسـنادٍ رجاله ثقاتٌ عن الحسـن البصـريِّ – وكان ممَّن حضـر يوم الدَّار[2] ؛ أنَّ ابن أبي بكرٍ أخذ بلحيته، فقال عثمان: لقد أخذت منِّي مأخذاً، أو قعدت منِّي مقعداً ما كان أبوك ليقعده! فخرج، وتركه[3] .

وبهذا يتبيَّن لنا براءة محمَّد بن أبي بكر الصِّـــدِّيق من دم عثمان، براءة الذِّئب من دم يوسف، كما تبيَّن: أنَّ سبب تهمته هو دخوله عليه قبل القتل[4]، وقد ذكر ابن كثيرٍ – رحمه الله – أنَّه لما كلمه عثمان رضـي الله عنه استحى، ورجع، وتندَّم، وغطَّى وجهه، وحاجز دونه، فلم تفد محاجزته[5] .

---

[1] مرويَّات أبي مخنف في تاريخ الطَّبري ص (243) .
[2] مرويات أبي مخنف في تاريخ الطَّبري ص (244) . وتهذيب الكمال (97/6) .
[3] المصدر السَّابق نفسه ، ص(244) .
[4] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (209/1) .
[5] البداية والنِّهاية (193/7) .

المبحث الرَّابع : موقف الصَّحابة رضي الله عنهم من مقتل عثمان رضي الله عنه

شوَّهت بعض كتب التَّاريخ مواقف الصَّحابة من فتنة مقتل عثمان ؛ وذلك بسـبب الرِّوايات الإماميَّة الَّتي ذكرها كثيرٌ من المؤرِّخين، فالمتتبِّع لأحداث الفتنة في تاريخ الإمـام الطَّبريِّ، وكتـب التَّـاريخ الأخرى من خلال روايات أبي مخنف، والواقدي وابن أعثم، وغيرهم من الإخباريين يشـعر: أنَّ الصَّـحابة هم الَّذين كانوا يحركون المؤامرة، ويثيرون الفتنة، فأبو مخنف ذو الميول الشِّـــيعيَّة لا يتورَّع في اتِّهام عثمان بأنَّه الخليفة الَّذي كثرت سقطاته، فاستحقَّ ما استحقَّه، ويُظهِرُ طلحةَ في مرويَّاته كواحدٍ من الثائرين على عثمان، والمؤلِّبين ضـــدَّه، ولا تختلف روايات الواقدي عن روايات أبي مخنفٍ، فعمرو بن العاص يقدم المدينة، ويأخذ في الطَّعن على عثمان، وقد كثرت الرِّوايات الإمامية الَّتي تتَّهم الصَّحابة بالتامر ضدَّ عثمان رضـــي الله عنه وأنَّهم هم الَّذين حرَّكوا الفتنة، وأثاروا النَّاس، وهذا كلُّه كذبٌ، وزورٌ[1] .

وخلافاً للرِّوايات الإماميَّة والموضوعة والضَّعيفة فقد حفظت لنا كتب المحدِّثين – بحمد الله – الرِّوايات الصَّحيحة الَّتي يظهر فيها الصَّحابة من المؤازرين لعثمان، والمنافحين عنه، المتبرِّئين من قتله، والمطالبين بدمه بعد مقتله، وبذلك يُستبعد أيُّ اشتراكٍ لهم في تحريك الفتنة، أو إثارتها[2] .

---

(1) تحقيق مواقف الصَّحابة (14/2 إلى 18) .
(2) المصدر السَّابق نفسه .

إنَّ الصَّــحابة جميعاً رضــي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضــي الله عنه ومن قال خلاف ذلك ؛ فكلامه باطلٌ لا يســـتطيع أن يقيم عليه أيَّ دليل ينهض إلى مرتبة الصِّـحَّة، ولذلك أخرج خليفة في تاريخه عن عبد الأعلى بن الهيثم، عن أبيه، قال: قلت للحسن: أكان فيمن قتل عثمان أحدٌ من المهاجرين، والأنصار ؟ قال: لا، كانوا أعلاجاً[1]، من أهل مصر . وقال الإمام النَّوويُّ: ولم يشارك في قتله أحدٌ من الصَّـحابة، وإنَّما قتله همجٌ، ورعاعٌ من غوغاء القبائل سـفلة الأطراف والأراذل، تحزَّبوا، وقصدوه من مصر، فعجزت الصَّحابة الحاضرون عن دفعهم، فحصروه حتَّى قتلوه، رضي الله عنه[2] .

وقد وصفهم الزُّبير رضي الله عنه بأنَّهم غوغاء من الأمصار، ووصفتهم السَّيدة عائشـة بأنَّهم نزَّاع القبائل[3] . ووصـفهم ابن سـعد بأنَّهم حثالة النَّاس متَّفقون على الشَّرِّ[4] . ووصفهم ابن تيميَّة بأنَّهم خوارج مفسدون، وضالُّون، باغون معتدون[5]، ووصــفهم الذَّهبيُّ بأنَّهم رؤوس شــرٍّ، وجفاء[6]، ووصــفهم ابن العماد الحنبليُّ في الشَّذرات بأنَّهم أراذل من أوباش القبائل[7] .

ويشـهد على هذا الوصـف تصرُّف هؤلاء الرُّعاع منذ الحصـار إلى قتل الخليفة رضـــي الله عنه ظلماً، وعدواناً، فكيف يمنع الماء عنه، والطَّعام، وهو الَّذي طالما دفع من ماله الخاص ما يروي ظمأ المسـلمين بالمجَّان[8]، وهو الَّذي سـاهم بأموالٍ

---

[1] العِلج: كلُّ جافٍ شديدٍ من الرِّجال .
[2] شهيد الدَّار عثمان بن عفَّان ، ص(148) .
[3] شرح النَّوويِّ على صحيح مسلم (148/15) ، كتاب فضائل الصَّحابة .
[4] تحقيق مواقف الصَّحابة (481/1) ، طبقات ابن سعد (71/3) .
[5] منهاج السُّنَّة (189/2 - 206) .
[6] دول الإسلام للذَّهبي (12/1) .
[7] انظر: تحقيق مواقف الصَّحابة (482/1) . البخاري ، كتاب مناقب عثمان (202/4) . وشذرات الذَّهب (40/1) .
[8] المصدر السَّابق نفسه .

كثيرةٍ عندما يلمُّ بالنَّاس مجاعةٌ، أو مكروهٌ، وهو الدَّائم العطاء عندما يصيب النَّاس ضائقةٌ، أو شدَّةٌ من الشَّدا[1]، حتَّى إنَّ عليّاً رضي الله عنه يصف هذا الحال، وهو يؤنب المحاصرين بقوله: يا أيُّها النَّاس ! إنَّ الّذي تفعلونه لا يشبه أمر المؤمنين، ولا أمر الكافرين، فلا تمنعوا عن هذا الرَّجل الماء، ولا المادَّة – الطَّعام – فإن الرُّوم، وفارس لتأسر، وتطعم، وتسقي[2] .

لقد صـــحَّت الأخبار، وأكَّدت حوادث التَّاريخ على براءة الصَّـــحابة من التَّحريض على عثمان أو المشاركة في الفتنة ضدَّه[3] .

وإليك أقوال الصحابة في البراءة من دم عثمان:

أولاً: ثناء أهل البيت على عثمان رضي الله عنه وبراءتهم من دمه:

1. موقف السَّيدة عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها:

أ – عن فاطمة بنت عبد الرَّحمن اليشـــكريَّة عن أمِّها ؛ أنَّها ســـألت عائشـــة، وأرســـلها عمُّها، فقالت: إنَّ أحد بنيك يقرئك السَّـــلام، ويســـألك عن عثمان بن عفَّان، فإنَّ النَّاس قد أكثروا فيه ! قالت: لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعداً عند نبيِّ الله(ﷺ) وإنَّ رســـوله(ﷺ) مســـندٌ ظهره إليَّ، وأنَّ جبريل عليه السَّـــلام ليوحي إليه القران، وإنَّه ليقول: اكتب عثمان، فما كان الله لينزل تلك المنزلة إلا كريماً على الله، ورسوله[4] .

---

[1] التمهيد والبيان ، ص(242) .
[2] تاريخ الطَّبري (400/5) .
[3] تحقيق مواقف الصَّحابة (18/2) .
[4] تحقيق مواقف الصَّحابة (378/1) . المسند (250/6 ، 261) . والبداية والنِّهاية (219/7) .

ب – وعن مســروق عن عائشـــة، قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثَّوب النَّقيِّ من الدَّنس، ثمَّ قرَّبتموه تذبحونه، كما يذبح الكبش ! فقال لها مسـروقٌ: هذا عملك، أنت كتبت إلى النَّاس تأمرينهم بالخروج إليه ! قالت عائشـــة: لا والّذي امن به المؤمنون، وكفر به الكافرون ما كتبت إليهم بسوداء في بيضاء حتَّى جلست مجلسي هذا[1] ! وقد مرَّ معنا كذب السَّبئيِّين، وأنَّهم كتبوا رسائل لأهل الأمصار، ونسبوها كذباً وزوراً للسَّيدة عائشة رضي الله عنها .

ج – ولما سمعت بموت عثمان في طريق عودتها من مكَّة إلى المدينة رجعت إلى مكَّة ودخلت المسجد الحرام، وقصدت الحجر، فتستَّرت فيه، واجتمع النَّاس إليها، فقالت: أيُّها النَّاس ! إن الغوغاء من أهل الأمصار، وأهل المياه، وعبيد أهل المدينة اجتمعوا أن عاب الغوغاء على هذا المقتول بالأمس الإرب[2]، واســـتعمال من حدثت سنُّه، وقد استعمل أسنانهم قبله، ومواضع من الحمى حماها لهم، وهي أمورٌ قد سُـبق بها، لا يصـلح غيرها، فتابعهم، ونزع لهم عنها اسـتصـلاحاً لهم، فما لم يجدوا حجَّةً، ولا غدراً خلجوا[3]، وبادروا بالعدوان، ونبا فعلهم عن قولهم، فسفكوا الدَّم الحرام، واسـتحلُّوا البلد الحرام، وأخذوا المال الحرام، واسـتحلُّوا الشَّـهر الحرام . والله لإصبع عثمان خيرٌ من طباق الأرض أمثالهم، فنجاةً[4] من اجتماعكم عليهم حتَّى يُنكِّل[5] بهم غيرهم، ويشـرَّد[6] مَنْ بعدهم، ووالله لو أنَّ الّذي اعتدوا به عليه

---

[1] فتنة مقتل عثمان ، رضي الله عنه (391/1) . وتاريخ خليفة بن خيَّاط ، ص(176) ، إسناده صحيحٌ إلى عائشة ، رضي الله عنها .

[2] الأرب: الحاجة ، والدَّهاء ، والفطنة ، والعقل .

[3] خلجوا: تحرَّكوا ، واضطربوا .

[4] نجاة: اطلبوا النَّجاة باجتماعكم عليهم .

[5] ينكل بهم غيرهم: حتى يردعهم ، ويروِّع بهم غيرهم .

[6] يشرَّد: يفرَّق ، ويبدَّد جمعهم .

كـان ذنبـاً، لخلُص منه كما يخلص الـذَّهـب من خبثـه، أو الثَّوب من درنـه ؛ إذ ماصُّوه كما يماصُّ الثَّوب بالماء[1].

وعلى العكس من الصُّـــورة الطَّيبة الّتي نفهمها من الرِّوايات السَّـــابقة الموثوقة للعلاقة بين أمِّ المؤمنين عائشـــــة، وعثمان، فإنَّه تبقى عند الطَّبريِّ وغيره رواياتٌ أخرى صـوَّرت العلاقة بين عائشــة، وعثمان على صـورةٍ متناقضـةٍ تماماً لما انتهينا إليه، وشوَّهت الدَّور الرَّائع النَّاصع، الواعي، الّذي قامت به رضي الله عنها، دفاعاً عن حرمات الله عزَّ وجل، ودفعاً عن عثمان رضـــــي الله عنه، وفهماً لألاعيب السَّبئيَّة[2].

إنَّ الرِّوايات الّتي جـاءت في العقـد الفريـد، وفي الأغـاني، وتاريخ اليعقوبي، وتاريخ المسعودي، وأنسـاب الأشـراف، وما انتهت إليه من استدلالات في شـأن الدَّور السِّياسيِّ للسَّيدة عائشة رضي الله عنها في حياة عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، إنَّ جميع ما تؤدِّي إليه من استدلالات تدين الموقف السِّياسيِّ للسَّيدة عائشة رضـــي الله عنها، لا يعتدُّ بها لمخالفتها للرِّوايات الصَّـحيحة، وقيامها على رواياتٍ واهيةٍ[3]، فأغلبها رواياتٌ غير مسـندةٍ، والمسـند مجروحُ الإسـناد، لا يحتجُّ بروايته، هذا إلى فســـــاد متونها إذا ما قورنت بالرِّوايات الأخرى الأكثر صـــــحَّة، وقرباً بالحقيقة[4].

وقد قامت السَّـيدة أسماء محمَّد أحمد زيادة بدراسـة الأسـانيد، والمتون للرِّوايات

---

[1] تاريخ الطَّبري (473/5 ، 474) .
[2] دور المرأة السياسي في عهد النَّبيِّ ، والخلفاء الرَّاشدين ، ص(352) .
[3] انظر: أيضاً في هذه الاستدلالات الباطلة ، للعقاد (الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق) ، ص(116-124) .
[4] دور المرأة السياسي ، ص(370) .

الّتي تحدَّثت عن الدَّور السِّياسيِّ للسيّدة عائشة في أحداث الفتنة، ونقدت الرِّوايات القائلة بالخلاف السِّياسيّ بين عائشة، وعثمان عند الطَّبريِّ، وغيره، وبيَّنت زيفها، وكذبها، ثمَّ قالت: وكان الأحرى بنا أن نُعرض عن ذكرها جميعاً – كما ذكرت انفاً – لعدم وصولها إلينا عن طريقٍ معتمدٍ، بل الطُّرق الّتي وصلت منها رُمي أصحابها بالتَّشيُّع، والكذب، والرَّفض، لكننا عرضنا لها ؛ لشيوعها في أغلب الدِّراسات الحديثة، وللتَّدليل على سقوطها، فهي رواياتٌ –كما اتَّضح لنا– حاولت خلق تاريخ لا وجود له أصلاً من الخلاف، والتنكُّر بين عثمان، وعائشة، وبين عثمان والصَّحابة جميعاً[1]، ولو صحَّ: أنَّ عائشة اتَّفقت مع المتمرِّدين على التَّحريض على عثمان رضي الله عنه لكان من المتوقَّع أن يكون عندها نوعٌ من التماس العذر لهؤلاء المتمرِّدين، لكن لم يصحَّ عنها رضي الله عنها شيءٌ من هذا، وإنَّه لو صحَّ شيءٌ من هذه الرِّوايات في وصف موقف السَّيدة عائشة رضي الله عنها من مقتل عثمان، فهي رواياتٌ كفيلةٌ بإسقاط العدالة عن عائشة رضي الله عنها وعن الصَّحابة الّذين اشتركوا معها، وهو ما لا نقبل به للخبر الصَّادق عن الله، ورسوله في تقرير عدالتهم ؛ الّتي كانت كافيةً لدحض هذه الرِّوايات، لكنَّنا توقَّفنا أمام الرِّوايات، تأكيداً منَّا على سقوط هذه الرِّوايات، وَمِنْ بعدها الاستدلالاتُ القائمة عليها، حتَّى تجتمع الأدلَّة الدِّينيَّة، والعلميَّة، والتَّاريخيَّة، في صعيدٍ واحدٍ تؤكِّد بعضها بعضاً[2].

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) دور المرأة السياسي ، ص(371) .

2. عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه:

كان عليٌّ رضي الله عنه وال البيت يجلُّونه، ويعترفون بحقِّه فكان:

أ – أوَّل من بايعه بعد عبد الرَّحمن بن عوف عليُّ بن أبي طالبٍ[1]، وعن قيس بن عبَّاد، قال: سمعت عليّاً رضـــي الله عنه، وذكر عثمان، فقال: هو رجلٌ قال له رسول الله(ﷺ): « ألا أستحي ممَّن تستحي منه الملائكة »[2] .

ب – وقد شـهد رضـي الله عنه له بالجنَّة، فعن النَّزال بن سـبرة، قال: سـألت عليّاً عن عثمـان، فقـال: ذاك امرؤٌ يُدعى في الملأ الأعلى: ذا النُّورين، كـان ختن رسول الله(ﷺ) على ابنتيه، ضُمن له بيتٌ في الجنَّة[3] .

ج – وكان رضـي الله عنه طائعاً، معترفاً بإمامته، وخلافته، لا يعصـي له أمراً، فقد روى ابن أبي شـيبة بإسـناده عن ابن الحنفيَّة عن عليٍّ: قال لو سـيَّرني عثمان إلى صـرار ؛ لسـمعت، وأطعت[4]، والصِّـرار: هو الخيط الّذي يُشـدُّ فوق الخِلْفِ، والتَّودية لئلا يرضـــعها ولدها[5] . وفيه دليلٌ على مدى اتِّباعه، وطاعته لعثمان رضي الله عنهما[6].

د – ولما جمع عثمان رضـــي الله عنه النَّاس على قراءةٍ واحدةٍ، بعد اسـتشـارة

---

(1) البخاريُّ ، كتاب فضائل الصَّحابة ، رقم (3700) .
(2) مسلم ، كتاب فضائل الصَّحابة ، رقم (2401) .
(3) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتفريط ، ص(227) . المختصر من كتاب الموافقة بين أهل البيت والصَّحابة للزَّمخشري ، مخطوط بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلاميَّة . المخطوطة: قد طبعت عن طريق دار الحديث أخيراً .
(4) السُّنَّة للخلال (325/1) ، رقم (416) إسناده صحيحٌ .
(5) لسان العرب (451/4) .
(6) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتَّفريط ، ص(227) .

الصَّــحابة رضــوان الله عليهم، وإجماعهم على ذلك، قال عليٌّ رضــي الله عنه: لو ولِّيت الّذي ولي، لصنعت مثل الّذي صنع[1] .

هــــ ولقد أنكر عليٌّ رضي الله عنه قتل عثمان، وتبرَّأ من دمه، وكان يقسم على ذلك في خطبه، وغيرها: أنه لم يقتله، ولا أمر بقتله، ولا مالأ، ولا رضي، وقد ثبت ذلك عنه بطرقٍ تفيد القطع[2]، خلافاً لما تزعمه الإماميَّة من أنَّه كان راضــياً بقتل عثمان، رضــي الله عنهما[3]، وقال الحاكم بعد ذكر بعض الأخبار الواردة في مقتله، رضــــي الله عنه: فأمَّا الّذي ادعته المبتدعة من معونة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبٍ رضــي الله عنه فإنَّه كذبٌ، وزورٌ، فقد تواترت الأخبار بخلافه[4] . وقال ابن تيميَّة: وهذا كلُّه كذبٌ على عليٍّ رضي الله عنه، وافتراءٌ عليه، فعليٌّ رضي الله عنه لم يشــارك في دم عثمان، رضــي الله عنه ولا أمر، ولا رضــي، وقد روي عنه ذلك، وهو الصَّادق البارُّ[5]، وقد قال عليٌّ رضي الله عنه: الّلهمَّ إِنِّي أبرأ إليك من دم عثمان[6].

وروى الحاكم بإسناده عن قيس بن عبَّاد، قال: سمعت عليّاً رضي الله عنه يوم الجمل يقول: الّلهمَّ إِنِّي أبرأ إليك من دم عثمان، ولقد طاش عقلي يوم قتل عثمان، وأنكرت نفســي، وجاؤوني للبيعة، فقلت: والله إني لأســتحي من الله أن أبايع قوماً قتلوا رجلاً قال فيه رسـول الله(ﷺ): « ألا أسـتحي ممَّن تسـتحي منه

(1) السُّنن للبيهقيّ (42/2) .
(2) البداية والنِّهاية (202/7) .
(3) العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتَّفريط ، ص(229) . حقُّ اليقين لعبد الله شبر ص(189) .
(4) المستدرك (103/3) .
(5) منهاج السُّنَّة (406/4) .
(6) العقيدة في أهل البيت ، ص(230) ، إسناده حسن ، الطَّبقات (3/3) رواه من طرقٍ كلّها صحيحةٌ .

الملائكة »، وإنِّي لأستحي من الله أن أبايع وعثمان قتيلٌ على الأرض لم يدفن بعد، فانصرفوا، فلمَّا دُفن رجع النَّاس، فسألوني البيعة، فقلت: الّلهمَّ إنِّي مشفقٌ ممَّا أقدم عليه، ثمَّ جاءت عزيمةٌ، فبايعت، فلقد قالوا: يا أمير المؤمنين ! فكأنَّما صُدع قلبي، وقلت: الّلهمَّ خذ منِّي لعثمان ؛ حتَّى ترضى[1] !

وروى الإمام أحمد بسنده عن محمَّد بن الحنفيَّة قال: بلغ عليّاً: أنَّ عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد[2] قال: فرفع يديه، حتَّى بلغ بهما وجهه، فقال: وأنا ألعن قتلة عثمان، لعنهم الله في السَّهل، والجبل . قال مرَّتين، أو ثلاثاً[3] . وروى ابن سعدٍ بسنده عن ابن عبَّاسٍ ؛ أن عليّاً قال: والله ما قتلت عثمان، ولا أمرت بقتله ! ولكنِّي نهيت، والله ما قتلت عثمان، ولا أمرت ! ولكنِّي غلبت . قالها ثلاثاً[4] . وجاء عنه أيضاً: أنَّه قال رضي الله عنه: من تبرأ من دين عثمان ؛ فقد تبرأ من الإيمان، والله ما أعنت على قتله، ولا أمرت، ولا رضيت[5] !

وقال عليٌّ رضي الله عنه عن عثمان رضي الله عنه: ... كان أوصلنا للرَّحم، وأتقانا للرَّبِّ تعالى[6] .

ز – وعن أبي عونٍ، قال: سمعت محمَّد بن حاطب، قال: سألت عليّاً عن عثمان، فقال: هو من الّذين امنوا، ثم اتَّقوا، ثم امنوا، ثم اتَّقوا، ولم يختم الاية[7] .

---

(1) المستدرك (95/3) . حديثٌ صحيحٌ على شرط الشَّيخين ، ولم يخرِّجاه ، ووافقه الذَّهبي .
(2) موضعٌ قرب البصرة بينهما نحو ثلاثة أميالٍ .
(3) فضائل الصَّحابة (555/1) رقم (733) . إسناده صحيحٌ .
(4) الطَّبقات (82/3) . والبداية والنِّهاية (202/7) .
(5) الرِّياض النَّضرة ، ص(543) .
(6) صفة الصَّفوة (306/1) .
(7) فضائل الصَّحابة (580/1) إسناده صحيحٌ .

ح – عن عميرة بن سـعدٍ قال: كنَّا مع عليٍّ رضـي الله عنه على شـاطأى الفرات، فمرَّت سفينةٌ مرفوعٌ شراعها، فقال عليٌّ: يقول الله عز وجل: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالأَعْلاَمِ *﴾ [الرحمن:24] والّذي أنشأها في بحر من بحاره ما قتلت عثمان، ولا مالأت على قتله[1] ! .

ط – وروى الإمام أحمد في مسـنده عن محمَّد بن حاطبٍ، قال: سمعت عليّاً يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ *﴾ [الأنبياء-101] منهم عثمان[2] . وقال عليٌّ رضي الله عنه: إنَّما وهنت يوم قتل عثمان[3] .

وقد اعتنى الحافظ ابن عسـاكر بجمع الطُّرق الواردة عن عليٍّ رضـي الله عنه في تبرُّئه من دم عثمان، وقسـمه على ذلك في الخطب وغيرها، وكذا قسـمه: أنَّه لم يرض بذلك، وثبت ذلك عنه من طرقٍ تفيد القطع عند كثيرٍ من أئمَّة الحديث[4].

3ـ ابن عباسٍ رضي الله عنه:

روى الإمام أحمد بإسـناده عن ابن عباسٍ: أنَّه قال: لو اجتمع النَّاس على قتل عثمان ؛ لرموا بالحجارة كما رمي قوم لوطٍ[5]، وقال رضي الله عنه في مدح عثمان، وذمّ من ينتقصـه: رحم الله أبا عمرو ! كان والله أكرم الحفدة، وأفضـل البررة، هجَّاداً بالأسـحار، كثير الدُّموع عند ذكر النَّار، نهَّاضاً عند كلِّ مكرمةٍ، سبَّاقاً إلى كلِّ منحةٍ، حبيباً أبيّاً وفيّاً، صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله(ﷺ)، فأعقب

[1] المصدر السَّابق نفسه (559/1 ، 560) إسناده لغيره رقم (379) .
[2] المصدر السَّابق نفسه (580/1) ، رقم (771) إسناده صحيحٌ .
[3] المنتظم في تاريخ الملوك ، والأمم (61/5) .
[4] انظر: البداية والنِّهاية (193/7) .

[5] فضائل الصَّحابة (563/1) ، رقم (746) .

الله على من يلعنه لعنة اللاعنين إلى يوم الدِّين[1] !

4. زيد بن عليٍّ، رحمه الله:

روى ابن عساكر بإسناده إلى السُّدِّيِّ، قال: أتيته – أي: زيد – وهو في بارق– حيٍّ من أحياء الكوفة – فقلت له: أنتم سادتنا، وأنتم ولاة أمورنا، فما تقول في أبي بكرٍ، وعمر؟ فقال: تولَّهما، وكان يقول: البراءةُ من أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان البراءةُ من عليٍّ، والبراءةُ من عليٍّ البراءةُ من أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان[2].

5. عليُّ بن الحسين، رحمه الله:

وقد ثبت عن عليِّ بن الحسين البراءة من قول الإماميَّة في أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، رضي الله عنهم، فقد روى أبو نعيم بسنده عن محمَّد بن عليٍّ، عن أبيه عليِّ بن الحسين: أنَّه قال: جلس قومٌ من أهل العراق، فذكروا أبا بكرٍ، وعمر، فنالوا منهما، ثمَّ ابتدؤوا في عثمان، فقال لهم: أخبروني أأنتم من المهاجرين الأوَّلين: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ *﴾ [الحشر: 8] قالوا: لا ! قال: فأنتم من الّذين ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*﴾ [الحشر: 9] قالوا: لا ! فقال لهم: أمَّا أنتم فقد أقررتم، وشهدتم على أنفسكم أنَّكم لستم من هؤلاء، ولا

---

[1] العقيدة في أهل البيت ، ص(234) . مروج الذَّهب للمسعودي (64/3) .
[2] العقيدة في أهل البيت ، ص(335) . وتهذيب تاريخ دمشق (12/6) .

من هؤلاء، وأنا أشــهد أنَّكم لســتم من الفرقة الثَّالثة الَّذين قال الله – عزَّ وجلَّ – فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَــبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ [الحشر:10] فقوموا عنِّي، لا بارك الله فيكم ! ولا قرَّب دوركم، أنتم مستهزؤون بالإسلام، ولستم من أهله[1] !

ثانياً: موقف عمَّار بن ياسر رضي الله عنه:

جاء في الرِّوايات التَّاريخيَّة الَّتي تحمل في طيَّاتها غثّاً، وسميناً، أنَّ هناك خلافاً بين عمَّار، وعثمان، رضـي الله عنهما، وقد خُطم بعضــها بأســانيد، وأخرى لا خطام لها، ولا زمام، ولم أجد من أغنى فيه بحثاً، وتحليلاً إلا لماماً، والتَّعرض لمثل هذا الموضــوع الَّذي يَمَسُّ كرامة أطهر خلق الله، وأحبِّهم إليه، وإلى نبيِّه، لا يمكن معه الاعتماد على رواياتٍ تســرح في أعراض الصَّـحابة كما تشـاء، وتمرح من غير زمامٍ، أو خطام[2]، **ومن التُّهم السَّاقطة الَّتي ساقتها الرِّوايات الضَّعيفة:**

1. ضرب عمار بن ياسر:

تعتبر الرِّوايات الَّتي تحدَّثت عن ضــرب عثمان لعمَّار من أشــهر الرِّوايات في هذا الموضـوع، وأكثرها، ولقد تفنَّن واضـعوها في ذكر الأسـاليب الَّتي اسـتخدمها عثمان رضـي الله عنه بالضَّـرب، وفي ذكر ما نتج عنه، وهي مع فسـاد أسـانيدها

---

[1] العقيدة في أهل البيت ، ص(236) . والبداية والنِّهاية (112/9) . والجامع لأحكام القران (32-31/18) .
[2] عمَّار بن ياسر ، لأسامة أحمد سلطان ، ص(122) .

تحمل نكارةً شـديدةً في متونها[1]، يقول القاضـي أبو بكر بن العربيّ في عواصـمه ضـمن تفنيده لما نسـب إلى عثمان رضـي الله عنه من افتراءات: وأمَّا ضـربه لابن مسعود رضي الله عنه ومنعه عطاءه ؛ فزورٌ، وضربه لعمَّار رضي الله عنه إفكٌ مثله، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوهٍ لا ينبغي أن يُشـتغل بها ؛ لأنَّها مبنيَّةٌ على باطلٍ، ولا يُبنى حقٌّ على باطلٍ، ولا نذهب الزَّمان في مماشاة الجهَّال، فإنَّ ذلك لا اخر له[2] .

إنَّ أخلاق عثمان رضـي الله عنه في سنِّه، وإيمانه، وحيائه، ولين عريكته، ورقَّة طبعه وسابقته، وجليل مكانته في الإسلام أجلُّ من أن تنزل به إلى هذا الدَّرك من التَّصـرُّف مع رجلٍ من أجلاء أصـحاب النَّبيّ(ﷺ)، يعرف له عثمان سـابقته، وفضـله، مهما كان بينهما من اختلاف في الرَّأي، أفيرضـى عثمان لنفسـه – وهو الّذي أبى على النَّاس أن يقاتلوا دونه، ورضـي بالموت صـابراً محتسـباً حقناً لدماء المسـلمين واتِّقاءً للفتنة العامَّة – أفيرضـى أن يصـنع بعمار – وهو أعلم بسـابقته، وفضله في الإسلام – ما ذكرت الرِّوايات المزعومة بأنَّه أمر غلمانه بأن يضربوه حتَّى أغمي عليه، ثمَّ يقوم عثمان في هذه الحال فيطأه في بطنه ؟ ثمَّ هل ترضـى أخلاق عثمان، وحياؤه بأن يدعو بدعوة الجاهليَّة، فيعيِّر عماراً بأمِّه سميَّة، وهي من أهل السَّـابقة، والفضـل، وعثمان يعرف شـرف انتسـاب عمَّار إلى أمِّه سميَّة رضـي الله عنهما، أوَّل شهيدةٍ في الإسلام ؟ ! كلا إنَّ الأخبار الصَّحيحة، والموثوقة لا يوجد فيها ما يدني عثمان رضي الله عنه من هذا الأسلوب المنحطِّ في الزَّجر، والتَّأديب،

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) العواصم من القواصم ، ص(82-84) .

علاوةً على أنَّ أخلاقه، وطبيعته، وسيرته، تستبعد ذلك تماماً . وممَّا لا شكَّ فيه: أنَّ عرض أمثال تلك الرِّوايات الموضوعة على ما عرف من مواقف، وأخلاق أولئك الأئمَّة الأعلام، والأخذ بالاعتبار مقاييس ذلك العصر، ومعاييره لهو أصدق ميزانٍ في النَّقد، لكشف دخائل الوضَّاعين، والمفترين[1] .

2. اتِّهام عمار بالمساهمة في الفتنة، وإثارة الشَّغب ضدَّ عثمان:

اعتمد المؤرِّخون في نسبة هذه الافتراءات إلى عمَّار رضي الله عنه على روايات لم تسلم إحداها من الطَّعن في صحَّة أسانيدها، أو في استقامة متونها، وتتنوَّع التُّهم المنسوبة إلى عمَّار رضي الله عنه في تحريكه لأمر الفتنة، وتحريضه على عثمان، وسعيه بين العامَّة للتَّمرُّد عليه، فمنها ما ذكر من إرسال عثمان رضي الله عنه له إلى مصر لاستجلاء ما يحدث فيها ممَّا نقل إليه عن تمرُّد العامَّة هناك، أنَّ السبئيِّين استطاعوا استقطاب عمَّار، والتأثير عليه . وهذا الخبر الَّذي يرويه الطَّبري[2] فيه شعيب بن إبراهيم التَّميميُّ الكوفيُّ راوية كتب سيف، فيه جهالةٌ، وقال عنه الرَّاوي: ليس بالمعروف، وله أحاديث، وأخبار، وفيها بعض النَّكارة، وفيها ما فيه من تحاملٍ على السَّلف[3]، ورواه عمر بن شبَّة في تاريخ المدينة، وفيه شيخ عمر: عليُّ بن عاصم . قال عنه ابن المدينيِّ: كان عليُّ بن عاصمٍ كثير الغلط، وإذا رُدَّ عليه، لم يرجع، وكان معروفاً في الحديث، ويروي أحاديث

---

[1] الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفَّان ، ص(14-41) . وعمَّار بن ياسر ، ص(137) .
[2] تاريخ الطَّبري (348/5) .
[3] استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص(30) .

منكرةً[1]، وقال يحيى بن معين: ليس بشيءٍ[2]، وقال مرَّة: كذَّاب، ليس بشيءٍ[3]، وقال النَّسـائيُّ: متروك الحديث[4]، وقال البخاريُّ: ليس بالقويِّ عندهم، يتكلَّمون فيه[5]، وهناك من تلطَّف بالكلام عليه، وقال عنه ابن حجر: صـــدوقٌ يخطأى، ويصرُّ، ورمي بالتَّشيُّع[6]، وخبرٌ هذا حال إسناده لا يمكن الاطمئنان إليه، لا سيَّما ماعرف عن عمَّار رضـــي الله عنه من الورع الَّذي يربأ به عن الانغماس في مثل تلك الأوحال الَّتي ما عهدنا مرتاداً لها إلا سبئيّاً يهوديّاً حاقداً، ومعاذ الله أن يصل الحال بصـحابي من صـحابة النَّبيّ(ﷺ) إلى هذا المسـتوى . يقول خالد الغيث: وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصَّحابة – رضوان الله عليهم – هذا فضلاً عن عدم وروده من طريقٍ صحيحٍ[7] .

ومن الرِّوايات الباطلة في هذا الباب ما نسـب إلى سـعيد بن المسيِّب، وفيها: أنَّ الصـحابة بمجملهم نقموا على عثمان رضي الله عنه مع من نقم، وحنقوا عليه، وخاصَّـة أبا ذرٍّ، وابن مسـعودٍ، وعمَّار بن ياسـر، رضـي الله عنهم[8] . وافة هذه الرِّواية: أنَّ فيها تدليســاً ليس من النَّوع الممكن إقراره، والتَّجاوز عنه، فقد أسـقط منها، راوٍ متَّهم بالوضـــع، والكذب، وهو إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله، ولذلك جاء تضـــعيف علماء الحديث لهذه الرِّواية وبيان زيفها عند ترجمتهم لمحمَّد بن عيســـى ابن سميع راوي الخبر عن ابن أبي ذئبٍ، يقول الإمام البخاريُّ عن ابن

---

(1) سير أعلام النُّبلاء (253/9) .
(2) المصدر السَّابق نفسه (255/9) .
(3) المصدر السَّابق نفسه (257/9) .
(4) المصدر السَّابق نفسه (255/9) .
(5) المصدر السَّابق نفسه .
(6) تقريب التَّهذيب ، ص(403) .
(7) استشهاد عثمان ووقعة الجمل ، ص(86) .
(8) تاريخ دمشق (415/39) . وعمَّار بن ياسر ، ص(144) .

سميع: يقال: إنَّه لم يسمع من ابن أبي ذئب هذا الحديث، يعني حديثه عن الزُّهري في مقتل عثمان . ويقول ابن حبَّان: إنَّ ابن سميع لم يســـمع حديثه من ابن أبي ذئب، وإنَّما سمعه من إسماعيل بن يحيى، فدلَّس عنه .

وقال الحاكم: أبو محمد – يعني: ابن سميع – روى عن ابن أبي ذئب حديثاً منكراً، وهو حديث مقتل عثمان، ويقال: كان في كتابه عن إسماعيل بن يحيى عن ابن أبي ذئب، فأسقطه، وإسماعيل ذاهب الحديث[1] .

ويقول الدُّكتور يوسـف العش: والرِّواية المنسـوبة إلى سـعيد بن المسـيِّب يجب اسـتبعادها، فهي بعد التحرِّي تظهر موضـوعةً، فقد نصَّ الحاكم النيسـابوريُّ: أنَّ أحد رجال سندها قد أسقط من السَّند رجلاً واهياً، وأنَّها منكرةٌ، والواقع: أنَّها لا تنبأى عن الاحترام الّذي يكنُّه سـعيد بن المسـيِّب للصـحابة في أقواله الأخرى الصَّحيحة[2].

3. براءة عمَّار من دم عثمان رضي الله عنهما:

وممَّا يروى في ذلك اتِّهام مسـروق، وأبي موسـى رضـي الله عنهما لعمار بذلك عند قدومه مع الحســن لاســتنفار أهل الكوفة، وهذه الرواية قد وَهَى إســنادها بشعيبٍ المجهول، وسيفٍ المعلول، كما أنَّ الرِّواية الّتي في صحيح البخاريِّ لا تذكر شـيئاً من ذلك، فزيادتها لا تحتمل القبول، لا سـيَّما مع طعنها في صـحابيٍّ مثل

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة (16/2 - 18) . والتَّاريخ الكبير للبخاريّ (203/1) . والتَّهذيب (391/9) . وتهذيب التَّهذيب (392/9)
[2] الدَّولة الأموية ، ص(39) .

عمَّار ابن ياسـر المجار – على لسـان النَّبيّ(ﷺ) – من الشَّـيطان[1]، والمليء إلى المشاش من الإيمان[2] .

وقد بيَّن العلماء بطلان مثل هذا الاتِّهام الّذي لم يختصَّ بعمَّار فحسـب، بل تعدَّاه إلى مجموعةٍ أخرى من أجلَّة الصَّـحابة، يقول ابن كثير: أمَّا ما يذكره بعض النَّاس من أن بعض الصَّحابة أسلمه، ورضي بقتله ؛ فهذا لا يصحُّ عن أحدٍ من الصَّحابة بل كلُّهم كرهه، ومقته، وسبَّ مَنْ فعله[3]، ويقول القاضي أبو بكر بن العربيّ: فهذا أشبه ما روي في الباب، وبه يتبيَّن – وأصل المسألة سلوك سبيل أهل الحقِّ – أنَّ أحداً من الصَّحابة لم يَسْعَ عليه، ولا قعد عنه، ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة الاف غرباء عشـرين ألفاً بلديِّين، أو أكثر من ذلك، ولكنَّه ألقى بيده إلى المصـيبة[4]، ويقول: وقد انتدبت المردة، والجهلة إلى أن يقولوا: إنَّ كلَّ فاضل من الصَّحابة كان عليه مشاغباً مؤلِّباً، وبما جرى عليه راضياً، واخترعوا كتاباً فيه فصاحةٌ وأمثالٌ، كتب عثمان به مستصرخاً إلى عليٍّ، وذلك كلٌّ مصنوعٌ، ليوغروا قلوب المسلمين على السَّلف الماضين، والخلفاء الرَّاشدين، فالذي يُنخَل من ذلك: أنَّ عثمان مظلومٌ محجوجٌ بغير حجَّة، وأنَّ الصَّـحابة بُراء من دمه بأجمعهم ؛ لأنَّهم أتوا إرادته، وسلَّموا له رأيه في إسلام نفسه[5] .

---

(1) البخاريُّ ، رقم (3743) .
(2) عمَّار بن ياسر ، ص(147) .
(3) البداية والنِّهاية (207/7) .
(4) العواصم من القواصم ، ص(129) .
(5) المصدر السَّابق نفسه ، ص(132) .

ثالثاً: براءة عمرو بن العاص من دم عثمان:

لما أحيط بعثمان رضـــي الله عنه خرج عمرو بن العاص من المدينة متوجِّهاً إلى الشَّام، وقال: والله يا أهل المدينة ! ما يقيم بها أحدٌ فيدركه قتل هذا الرَّجل إلا ضربه الله – عزَّ وجلَّ – بذلٍّ، ومن لم يستطع نصره ؛ فليهرب، فسار، وسار معه ابناه عبد الله، ومحمَّد، وخرج بعده حسَّـــان بن ثابت، وتتابع على ذلك ما شـــاء الله[1]، وعندما جاءه الخبر عن مقتل عثمان رضـي الله عنه وبأنَّ النَّاس بايعوا عليَّ بن أبي طالبٍ، قال عمرو: أنا أبو عبد الله، تكون حربٌ مَنْ حكَّ فيه قرحةً ؛ نكأها، رحم الله عثمان، ورضـــي الله عنه، وغفر له ! فقال ســـلامة بن زنباغ الجذاميُّ: يا معشر العرب ! إنَّه قد كان بينكم وبين العرب بابٌ، فاتَّخذوا باباً ؛ إذ كســر الباب . فقال عمرو: وذاك الّذي نريد، ولا يصـلح الباب إلا أشـافٍ[2]، تُخرج الحقَّ من حافرة البأس، ويكون النَّاس في العدل ســـواءً، ثم تمثَّل عمرو بن العاص بهذه الأبيات:

فَيَا لَهْفَ نَفْسِـــي عَلَى مَالِكٍ ... أَيصْـــرِفُ مَـالِكُ حِفْظَ القَـدَرْ

أَنَـزْعٌ مِـنَ الحَـرِّ[3] أَوْدَى بِهِـمْ ... فَـأَعْـذُرُهُمْ أَمْ بِقَومِي سَـــكَرْ

ثُمَّ ارتحل راجلاً يبكي، ويقول: يا عثماناه ! أنعي الحياء، والدِّين .. حتَّى قدم

---

(1) تاريخ الطَّبري ، نقلاً عن عمرو بن العاص ، للغضبان ، ص(464) .
(2) أشافٍ: جمع أشفى ، وهو المثقب .
(3) الحرُّ ، جمع حرَّة ، وهي الظُّلمة الشَّديدة .

دمشق[1] .

هذه هي الصُّورة الصَّادقة عن عمرو رضي الله عنه والمتتالية مع شخصيته، وخطِّ حياته، وقربه من عثمان . أمَّا الصُّورة الّتي تمسخه إلى رجل مصالح، وصاحب مطامع، وراغب دنيا، فهي الرِّواية المتروكة الضَّعيفة رواية الواقديِّ عن موسى بن يعقوب[2] وقد تأثَّر بالرِّوايات الضَّعيفة، والسَّقيمة مجموعةٌ من الكتَّاب والمؤرِّخين، فأهووا بعمرو إلى الحضيض، كالّذي كتبه محمود شيت خطَّاب[3]، وعبد الخالق سيِّد أبو رابية[4]، وعبَّاس محمود العقَّاد الّذي يتعالى عن النَّظر في الإسناد، ويستخفُّ بقارئه، ويظهر له صورة معاوية وعمرو رضي الله عنهما بأنَّهما: انتهازيَّان، صاحبا مصالح، ولو أجمع النَّاقدون التَّاريخيُّون على بطلان الرِّوايات الّتي استند إليها في تحليله فهذا لا يعني للعقَّاد شيئاً، فقد قال بعد أن ذكر رواياتٍ ضعيفةً، واهيةً، لا تقوم بها حجَّةٌ: .. وليقل النَّاقدون التَّاريخيُّون ما بدا لهم أن يقولوا في صدق هذا الحوار، وصحَّة هذه الكلمات، وما ثبت نقله، ولم يثبت منه سندُه، ولا نصُّه فالّذي لا ريب فيه، ولو أجمعت التَّواريخ قاطبةً على نقضه: أنَّ الاتفاق بين الرَّجلين، كان اتفاق مساومةٍ، ومعاونةٍ على الملك، والولاية، وأنَّ المساومة بينهما كانت على النَّصيب الّذي ال على كلٍّ منهما، ولولاه لما كان بينهما اتِّفاقٌ[5] .

إنَّ شخصية عمرو بن العاص رضي الله عنه الحقيقية: أنَّه رجل مبادأى غادر

---

[1] تاريخ الطَّبري ، نقلاً عن عمرو بن العاص ، للغضبان ، ص(481) .
[2] عمرو بن العاص ، للغضبان ، ص(481) .
[3] سفراء النَّبي (ص) ، ص(508) .
[4] عمرو بن العاص ، لعبد الخالق سيد أبو رابية ، ص(316) .
[5] عمرو بن العاص ، للعقاد ، ص(231-232) .

المدينة حين عجز عن نصرة عثمان، وبكى عليه بكاءً مُرّاً حين قُتل، فقد كان من أقرب أصحابه، وخلانه، ومستشاريه، وكان يدخل في الشُّورى – في عهد عثمان – من غير ولاية، ومضى إلى معاوية رضي الله عنهما ليتعاونا معاً على حرب قتلة عثمان والثَّأر للخليفة الشَّهيد[1]، لقد كان مقتل عثمان كافياً لأن يحرِّك كلَّ غضبه على أولئك المجرمين السَّفَّاكين، وكان لا بدَّ من اختيار مكانٍ غير المدينة للثأر من هؤلاء الّذين تجرَّؤوا على حرم رسول الله، وقتلوا خليفته على أعين النَّاس، وأيُّ غرابةٍ أن يغضب عمرو لعثمان ؟ وإن كان هناك من يشكُّ في هذا الموضوع ؛ فمداره على الرِّوايات المكذوبة الّتي تصوِّر عمراً: كلُّ همِّه السُّلطة والحكم[2] .

رابعاً: من أقوال الصَّحابة في الفتنة:

1. أنس بن مالك رضي الله عنه:

قيل لأنس بن مالك رضي الله عنه: إنَّ حبَّ عليٍّ، وعثمان لا يجتمعان في قلبٍ، فقال أنس: كذبوا ! لقد اجتمع حبُّهما في قلوبنا[3] .

2. حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

عن خالد بن الرَّبيع قال: سمعنا بوجع حذيفة، فركب إليه أبو مسعودٍ الأنصاريُّ رضي الله عنه في نفرٍ فيهم إلى المدائن، قال: ثمَّ ذكر قتل عثمان، فقال: اللّهمَّ إنّي لم أشهد، ولم أقتل، ولم أرض[4] ! وأخرج أحمد بن حنبل عن ابن سيرين

---

[1] عمرو بن العاص ، للغضبان ، ص(489 ، 490) .
[2] المصدر السَّابق نفسه ، ص(492) .
[3] تحقيق مواقف الصَّحابة (25/2) . والتَّهذيب لابن حجر (141/7) .
[4] المصدر السَّابق نفسه ، ص(27/2) .

عن حذيفة، قال: لما بلغه قتل عثمان ؛ قال: اللّهمَّ إنَّك تعلم براءتي من دم عثمان، فإن كان الّذين قتلوه أصـــابوا، فإنِّي بريءٌ منهم، وإن كانوا أخطؤوا فقد تعلم براءتي من دمه، وستعلم العرب لئن كانت أصابت بقتله ؛ لحلبنا بذلك لبناً، وإن كانت أخطأت بقتله لتحتلبنَّ بذلك دماً، فاحتلبوا بذلك دماً، ما رفعت عنهم السُّيوف، ولا القتل[1] .

وروى ابن عساكر عن جندب بن عبد الله – له صحبةٌ –: أنَّه لقي حذيفة، فذُكِرَ له أمير المؤمنين عثمان فقال: أما إنَّهم ســـيقتلونه ! قال: قلت: فأين هو ؟ قال: في الجنَّة، قلت: فأين قاتلوه ؟ قال: في النَّار[2] .

3. أُمُّ سليم الأنصاريَّة رضي الله عنها:

قالت أمُّ سليم الأنصاريَّة رضي الله عنها لما سمعت بقتل عثمان: رحمه الله ! أما إنَّه لن يحلبوا بعده إلا دماً[3] .

4. أبو هريرة رضي الله عنه:

وعن أبي مريم قال: رأيت أبا هريرة يوم قتل عثمان وله ضفيرتان، وهو ممسكٌ بهما، وهو يقول: قُتل والله عثمان على غير وجه الحقِّ[4] !

---

(1) المصدر السَّابق نفسه .
(2) تحقيق مواقف الصحابة (28/2) ، تاريخ دمشق ، ص(388) .
(3) البداية والنِّهاية (195/7) .
(4) تحقيق مواقف الصَّحابة (31/2) ، تاريخ دمشق ، ص(493) .

5. أبو بكرة رضي الله عنه:

وروى ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي بكرة رضـــي الله عنه قال: لأن أخرَّ من السَّماء إلى الأرض أحبُّ إليَّ من أن أُشْرَك في قتل عثمان[1] .

6. أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه:

عن أبي عثمان النَّهديِّ قال أبو موســـى الأشـــعريُّ رضـــي الله عنه: إنَّ قتل عثمان رضـــي الله عنه لو كان هدىً، لاحتلبت به الأمَّة لبناً، ولكنَّه كان ضـــلالاً، فاحتلبت به دماً[2] .

7. سَمُرَة بن جندب رضي الله عنه:

روى ابن عساكر بإسناده إلى سمُرة بن جُنْدُب رضي الله عنه قال: إنَّ الإسلام كان في حصنٍ حصينٍ، وإنَّهم ثلموا في الإسلام ثلمةً بقتلهم عثمان، وإنَّهم شرطوا أشـرطةً، وإنَّهم لم يســدُّوا ثلمتهم، أو لا يســدُّونها إلى يوم القيامة، وإنَّ أهل المدينة كانت فيهم الخلافة، فأخرجوها، ولم تعد فيهم[3] .

8 – عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما:

وأخرج أبو نعيم في (معرفة الصَّـــحابة) بســـنده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قال: عثمان بن عفَّان ذو النُّورين قتل مظلوماً، أوتي كفلين من الأجر[4] .

---

[1] المصدر السَّابق نفسه .
[2] تاريخ المدينة (1245/4) .
[3] تحقيق مواقف الصَّحابة (31/2) . تاريخ دمشق ، ص(388) .
[4] معرفة الصَّحابة (245/1) . والمعجم الكبير (46/1) .

9. عبد الله بن سلام رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه: لا تقتلوا عثمان فإنَّكم إن فعلتم، لم تصلُّوا جميعاً[1] أبداً !

وفي روايةٍ: والله لا تهرقون مِحْجَماً من دمٍ – أي: من دم عثمان – إلا ازددتم به من الله بُعداً[2] .

10. الحسن بن عليٍّ رضي الله عنهما:

عن طلق بن خشاف، قال: انطلقنا إلى المدينة، ومعنا قُرط بن خيثمة، فلقينا الحسن بن عليٍّ، فقال له قرط: فيم قُتِل أمير المؤمنين عثمان؟ فقال: قُتِل مظلوماً[3].

11. سلمة بن الأكوع رضي الله عنه:

وعن يزيد بن أبي عبيدة، قال: لما قُتِل عثمان ؛ خرج سلمة بن الأكوع – وهو بدريٌّ – من المدينة قبل الرَّبذة، فلم يزل بها حتَّى كان قبيل أن يموت[4].

12. عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

فعن أبي حازمٍ، قال: كنت عند عبد الله بن عمر بن الخطَّاب، فذكر عثمان، فذكر فضله، ومناقبه، وقرابته؛ حتَّى تركه أنقى من الزُّجاجة، ثمَّ ذكر علي بن أبي طالبٍ، فذكر فضله، وسابقته، وقرابته؛ حتَّى تركه أنقى من الزُّجاجة، ثم قال: من

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة (34/2) . فضائل الصَّحابة وإسناده صحيحٌ .
[2] الطَّبقات (81/3) .
[3] تاريخ المدينة (124/4) .
[4] المصدر السابق نفسه .

أراد أن يذكر هذين فليذكرهما، هكذا، أو فليدع[1]، وقال ابن عمر رضـــي الله عنهما أيضاً: لا تسبُّوا عثمان، فإنَّا كنا نعدُّه من خيارنا[2].

خامساً: أثر مقتل عثمان في حدوث فتنٍ أخرى:

لقد كانت فتنة قتل عثمان ســـبباً في حدوث كثيرٍ من الفتن الأخرى، وألقت بظلالها على أحداث الفتن الّتي تلتها، فتغيَّرت قلوب الناس، وظهر الكذب، وبدأ الخط البيانيُّ للانحراف عن الإسلام في عقيدته، وشريعته[3]، وكان مقتل عثمان من أعظم الأســباب الّتي أوجبت الفتن بين النَّاس، وبســببه تفرَّقت الأمَّة إلى اليوم[4]، فتفرَّقت القلوب، وعظمت الكروب، وظهرت الأشـرار، وذلَّ الأخيار، وسـعى في الفتنة من كان عاجزاً عنها، وعجز عن الخير والصَّلاح من كان دأبه إقامته، فبايعوا أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالبٍ رضـــي الله عنه وهو أحق النَّاس بالخلافة حينئذٍ، وأفضـــل من بقي، لكنَّ القلوب متفرقةٌ، ونار الفتنة متوقِّدةٌ، فلم تتَّفق الكلمة، ولم تنتظم الجماعة، ولم يتمكَّن الخليفة، وخيار الأمَّة من كلِّ ما يريدونه من الخير، ودخل في الفرقة، والفتنة أقوامٌ[5].

وبدأ ضـــعف الفتوحات تدريجيّاً خلال السِّـــنين الأخيرة من خلافة عثمان، عندما بدأت الفتن تضـــرب بلاد الإســـلام ومركز الخلافة، ثمَّ توقفت عندما قتل عثمان، واســـتمرَّت متوقِّفةً – بل تراجعت في بعض الأماكن – إلى بداية عهد

---

[1] تحقيق مواقف الصَّحابة (379/1) .
[2] تحقيق مواقف الصَّحابة (379/2) . فضائل الصَّحابة وإسناده صحيحٌ .
[3] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(590) .
[4] مجموعة الفتاوى (162/25) .
[5] المصدر السَّابق نفسه .

معاوية، حيث اســـتقرَّت أحوال المســـلمين، فانطلقت الفتوحات شـــرقاً، وغرباً وشمالاً[1] .

ســـادســـاً: الظُّلم والاعتداء على الاخرين من أســـباب الهلاك في الدُّنيا، والاخرة:

إنَّ الظَّلم، والاعتداء على الاخرين بغير حقٍّ، من أســـباب الهلاك في الدُّنيا والاخرة، كما قال الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا *﴾ [الكهف: 59] وإنَّ المتتبع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان رضـــي الله عنه المعتدين عليه يجد: أن الله تعالى لم يمهلهم، بل أذلَّهم، وأخزاهم، وانتقم منهم فلم ينجُ منهم أحد[2].

روى خليفة بن خيَّاط في تاريخه بإسـنادٍ صـحيح إلى عمران بن الحُدير، قال: إن لا يكن عبد الله بن شـــقيق حدَّثني أنَّ أوَّل قطرةٍ قطرت من دمه – يعني: عثمان– على ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: 137] ، فإنَّ أبا حُريت ذكر: أنَّه ذهب وسُـهيلُ النَّميري، فأخرجوا إليه المصـحف، فإذا القطرة على فإنَّها في المصـحف ما حُكَّت﴿فَسَـيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾، وفي تاريخ ابن عســاكر عن محمَّد بن ســيرين قال: كنت أطوف بالكعبة، فإذا رجل يقول: اللَهمَّ اغفر لي، وما أظنُّ أن تغفر لي ! قلت: يا عبد الله ! ما سمعت أحداً يقول ما تقول ! قال: كنت أعطيت الله عهداً إن قدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته، فلمَّا قُتل وُضع على سـريره في البيت، والنَّاس يجيئون، فيصـلُّون عليه، فدخلت كأني أصـلِّي عليه، فوجدت خلوةً فرفعت

---

[1] أحداث وأحاديث فتنة الهرج ، ص(591) .
[2] تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة (483/1) .

الثَّوب عن وجهه، فلطمت وجهه، وسـجَّيته، وقد يبسـت يميني، قال محمَّد بن سـيرين: رأيتها يابسـةً كأنَّها عود[1]، ولو لم يكن من اثار ظلم هؤلاء الحاقدين إلا سلُّ المسلمين السَّيف عليهم إلى يوم القيامة ؛ لكفى بذلك رادعاً لهم، ولكلِّ من سار في فلكهم، قال القاسم بن محمَّد: مر عليٌّ رضي الله عنه على رجلين بالمدينة بعدما قتل عثمان، وقبل بيعته، وهما يقولان: قتل ابن بيضاء، ومكانه من الإسلام والعرب، ثمَّ والله ما انتطح فيه عنزان ! فقال عليٌّ: ما قُلتما ؟ فأعادا عليه، فقال: بلى والله ! ورجالٌ بعد رجالٍ، وكتائب بعد كتائب، أو يخرج ابن مريم[2].

سابعاً: تأثُّر المسلمين لمقتل عثمان رضي الله عنه، وما قيل من أشعار:

كان وقع المصيبة على نفوس المؤمنين عظيماً، فجلَّلهم الحزن، وفاضت ماقيهم بالدُّموع، ولهجت ألسنتهم بالثَّناء على عثمان، رضي الله عنه، والتَّرحُّم عليه، وقام حسَّان بن ثابت رضي الله عنه يرثي أمير المؤمنين، ويكثر التفجُّع لمقتله، ويهجو قاتليه، ويَقْرَعُهُم بما كسبت أيديهم[3]، فيقول:

أَتَـرَكْـتُـمُ غَـزْوَ الـدُّرُوبِ وَرَاْءَكُـمْ ... وَغَـزَوْتُمُـوْنَا عِـنْـدَ قَـبْرِ مُحَـمَّـدِ

فَلَبِئْسَ هَـدْيُ المسْـلِمِيْنَ هُـدِيْتُمُ ... وَلَبِئْسَ أَمْرُ الفَـاجِرِ المتَعَـمِّـدِ

إِن تُقْـدِمُوا نَجْعَـلْ قِرَى سَـرَوَاتِكُمْ ... حَوْلَ المـدِيْنَـةِ كُـلَّ لِيْنٍ مِـذْوَدِ[4]

أَوْ تُـدْبِرُوا فَلَبِئْسَ مَـا سَـافَرْتُمُ ... وَلِمِثْـلُ أَمْرِ أَمِيْرِكُمْ لَمْ يَرْشُـدِ

وَكَـأَنَّ أَصْـحَـابَ النَّبِيِّ عَشِـيَّـةً ... بُدْنٌ تُذَبَّحُ عِنْدَ بَابِ المسْـجِدِ

---

[1] سير الشُّهداء دروس وعبر ، للسحيباني ، ص(67) . تاريخ دمشق ، ص(458) ، وتحقيق مواقف الصَّحابة (485/1).
[2] تحقيق مواقف الصَّحابة (485/1) .
[3] سير الشهداء ، للسحيباني ، ص(62) .
[4] مذود: الة الذَّود .

أَبْكـي أَبَا عَـمْرٍو لِحُسْـــنِ بَلائِـهِ   أَمْسَـــى مُقِيْماً في بَقِيْعِ الغَرْقَدِ[1]

❖ وقال حسَّان أيضاً:

مَاذَا أَرَدْتُمْ مِنْ أَخِي الدِّيْنِ بَارَكَتْ   يَـدُ الله فِي ذَاكَ الأَدِيْمِ المقَـدَّدِ[2]

قَـتَلْتُمْ وَلِيَّ الله فِي جَـوْفِ دَارِهِ   وَجِئْـتُـمْ بِأَمْرٍ جَـائِرٍ غَـيْرَ مُـهْتَـد

فَـهَلا رَعَيْتُمْ ذِمَّـةَ الله بَيْنَكُمْ   وَأَوْفَـيْـتُـمُ بِالْـعَـهْـدِ عَـهْـدِ مُحَـمَّـدِ

أَلَمْ يَكُ فِيْكُمْ ذَا بَلاءٍ ومَصْـــدَقٍ   وَأَوْفَـاكُمُ عَهْـداً لَـدَى كُـلِّ مَشْـــهَدِ

فَلا ظَفِرَتْ أَيْمَـانُ قَوْمٍ تَبَـايَعُوا   عَلَى قَتْلِ عُثْمَانَ الرَّشِـيْدِ المسَـدَّدِ[3]

❖ وقال حسَّان أيضاً:

مَنْ سَـــرَّه الْمَوْتُ صَـــرْفاً لاَ مِزاجَ لَهُ   فَلْيَأْتِ مَأْسَـــدَةً فِي دَاْرِ عُثْمَانَا

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ المَاذِيّ[4] قَدْ شُفِعَتْ   قَبْلَ الْمَخَاطِمِ[5] بَيْضٌ زان أَبْدَانَا

صَـــبْراً فِـدًى لَكُمُ أُمِّي وَمَـا وَلَـدَتْ   قَدْ يَنْفَعُ الصَّـبْرُ فِي المَكْرُوهِ أَحْيَانَ

افَقَـدْ رَضِـــيْنَا بِأَهْـلِ الشَّـــامِ نَافِرَةً   وَبِالأَمِـيْرِ وبالإخْــوانِ إخْــوانَا

إِنِّي لَمِنْهُمْ وإنْ غَـابُوا وَإِنْ شَـــهِدُوا   مَا دُمْتُ حيّاً وَمَا سُمِّيتُ حسَّــان

---

[1] تاريخ الطَّبري (445/5) .
[2] الأديم المقدَّد: الجلد اليابس .
[3] الماذيُّ: خالص الحديد .
[4] المخاطم: الأنوف .
[5] تاريخ الطَّبري (447/5) .

اَلَتسْـــمَعُنَّ وَشِـــيْكـاً فِي دِيَارِهِم   الله أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثْمَـانَا[1] !

❖ وقال أيضاً:

إِنْ تُمْسِ دَارُ ابْنِ أَرْوَى مِنْـهُ خَـاوِيَةً   بَابٌ صَـــرِيْعٌ وَبَابٌ مُخْرَقٌ خَـرِبُف

فقَدْ يُصَـــادِفُ بَاغِي الخَيْرِ حَاجَتَهُ   فِيْهَا وَيَهْوِي إِلَيْهَا الذِّكْرُ وَالْحَسَـــبُ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَبْدُوا ذَاتَ أَنْفُسِـــكُمْ   لاَ يَسْـتَوِي الصِّـدْقُ عِنْدَ الله وَالْكَذِبِ

قُومُوا بِحَقِّ مَلِيْـكِ النَّـاسِ تَعْتَرِفُوا   بِغُرَّةٍ عُصَــــبٌ مِنْ خَلْفِها عُصَـــبُ

فِيْهِمْ حبيبٌ شـهابُ الموتِ يَقدُمهُم   مُسْـــتَلْئِماً قَدْ بَدَا فِي وَجْهِـهِ الغَض

❖ وقال كعب بن مالك، رضي الله عنه:

وَيْــحٌ لِأَمْــرٍ قَــدْ أَتَانِي رَائِــعٌ   هـدّ الجبال فَأَنْغِضَــــتْ بِرُجُوفِ

قَتْلُ الإِمَـامِ لَـهُ النُّجُومُ خَواضِــعٌ   والشَّـــمْسُ بَازِغَةٌ لَهُ بِكُسْـــوفِ

يَا لَهْفَ نَفْسِـــي إِذْ تَوَلَّوا غَـدْوَةً   بِالـنَّـعْشِ فَـوْقَ عَـوَاتِـقٍ وَكُـتُـوفِ

وَلَّوا وَدَلَّوا في الضَّـــرِيْحِ أَخَـاهُمُ   مَاذَا أَجَنَّ ضَـــرِيْحُهُ المِسْـــقُوفُ[2]

مِنْ نَائِـلٍ أَوْ سُــــؤْدُدٍ وَحَمَـالَـةٍ   سَـــبَقَتْ لَهُ فِي النَّاسِ أَوْ مَعْرُوْفِك

كمْ مِنْ يَتِيْمٍ كَـانَ يَجْبُرُ عَظْمَـهُ   أَمْسَـــى بِمَنْزِلَة الضَّـــيَاعِ يَطُوفُ

فَرَّجْتَهَــا عَنْــهُ بِرُحْمِـكَ بَعْـدَمَـا   كَـادَتْ وَأَيْقَنَ بَعْـدَهـا بِحُتُوفِ

---

[1] حبيب بن مسلمة الفهري ، تاريخ الطَّبري (446/5) .
[2] التمهيد والبيان ، ص(210) .

مَــا زَالَ يَقْبَلُهُمْ وَيَرْأَبُ ظُلْمَهُمْ ... حَتَّى سَمِعْـتُ بِرَنَّـة التَّـلْهِيْفِ

أَمسَـــى مُقِيْماً بِالْبَقِيْعِ وَأَصْــبَحُوا ... مُتَفَرِّقِيْنَ قَـدْ أَجْمَعُوا بِخُفُوفِ[1]

النَّـارُ مَوْعِـدُهُمْ بِقَتْـلِ إِمَـامِهِمْ ... عُثْمَـانَ صِـــهْرٍ فِي البِلادِ عَفِيْفِ

جَمَعَ الحَمَـالَـة[2] بَعْـدِ حِلْمٍ رَاجِحٍ ... وَالْخَـيْرُ فِـيْـهِ مُـبَـيَّنٌ مَـعْـرُوْفُ

يَاْ كَعْبُ لا تَنْفَكَّ تَبْكِي هَالِكاً ... مَـا دُمْـتَ حَيّاً فِي البِلاَدِ تَطُوْفُ

- وقال كعب أيضاً:

فَـكَـفَّ يَـدَيْـهِ ثُمَّ أَغْـلَـقَ بَابَـهُ ... وَأَيْـقَـنَ أنَّ الله لَـيْـسَ بِـغَـافِـلِ

وَقَـالَ لأِهْـلِ الـدَّارِ لاَ تَقْتُلُوهُمْ ... عَفَـا الله عَنْ كُلِّ امرىءٍ لَمْ يُقَـاتِلِ

فَكَيْفَ رَأَيْتَ الله صَـــبَّ عَلَيْهِمُ ... العَدَاوَةَ والْبَغْضَـاءَ بَعْدَ التَّواصُـلِ ؟

وَكَيْفَ رَأَيْـتَ الْخَيْرَ أَدْبَرَ بَعْـدَهُ ... عَنِ النَّاسِ إِدْبَارَ النَّعَامِ الجَوَافِلِ[3]

- وقال راعي الإبل النّميريُّ في ذلك:

عَشِـــيَّـة يَـدْخُلونَ بِغَيْرِ إِذْنٍ ... عَـلَـى مُـتَـوَكِّـلٍ أَوفى وَطَـابَا

خَلِيْـلُ مُحَمَّـدٍ وَوَزِيْرُ صِـــدْقٍ ... وَرَابِعُ خَيْرِ مَنْ وَطِـأى التُّرَابَا[4]

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

---

(1) التمهيد والبيان ، ص(211) .

(2) المصدر السَّابق نفسه .

(3) البداية والنِّهاية (205/7) .

(4) أي: خير من وطأى التُّراب في أمَّة محمَّدٍ (ص) بعد رسول الله (ص) ، ثمَّ أبو بكر ، ثمَّ عمر ، ثمَّ عثمان . البداية والنِّهاية (206/7)

الخلاصة

1 – كان رضـــي الله عنه في أيّام الجاهلية من أفضـــل النَّاس في قومه ؛ فهو عريضُ الجاه، ثريٌّ، شديد الحياء، عذب الكلمات، فكان قومه يحبُّونه أشدَّ الحبِّ، ويوقِّرونه، لم يســجد في الجاهلية لصـنم قطُّ، ولم يقترف فاحشـةً قطُّ، فلم يشـرب الخمر في الجاهليَّة .

2 – كـان عثمـان قـد ناهز الرَّابعـة والثلاثين من عمره حين دعـاه أبو بكر الصِّـدِّيق إلى الإسـلام، ولم يعرف عنه تلكُّؤٌ، أو تلعثمٌ، بل كان سـباقاً أجاب على الفور دعوة الصِّدِّيق، فكان بذلك من السَّابقين الأولين .

3 – فرح المسلمون بإسلام عثمان فرحاً شديداً، وتوثَّقت بينه وبينهم عُرا المحبَّة وأخوَّة الإيمان، وأكرمه الله تعالى بالزَّواج من بنت رسول الله(ﷺ) رقيَّة .

4 – إنَّ سـنَّة الابتلاء ماضـيةٌ في الأفراد، والجماعات، والشُّـعوب، والأمم، والدُّول، وقد مضت هذه السُّنَّة في الصَّحابة الكرام، وتحمَّلوا من البلاء ما تنوء به الرَّواسي الشَّامخات، وبذلوا أموالهم، ودماءهم في سبيل الله، وبلغ بهم الجهد ما شاء الله أن يبلغ، ولم يسـلم أشـراف المسـلمين من هذا الابتلاء، فقد أوذي عثمان، وعذِّب في سبيل الله تعالى على يدي عمِّه الحكم بن أبي العاص .

5 – منذ اليوم الّذي أسـلم فيه عثمان لزم النَّبيّ(ﷺ) حيث كان، ولم يفارقه إلا للهجرة بإذنه، أو في مهمَّةٍ من المهامِّ الّتي يندب لها، ولا يغني فيها أحدٌ غَناءه، شـأنه في هذه الملازمة شـأن الخلفاء الرَّاشـدين جميعاً، كأنَّما هي خاصَّـةٌ من

خواصِّهم، رشَّحهم لها ما رشحهم بعد ذلك للخلافة متعاقبين .

6 – كان ذو النُّورين على صلةٍ وثيقةٍ بالدَّعوة الكبرى من سنتها الأولى، فلم يَفُتْهُ من أخبار النُّبوَّة الخاصَّة، والعامَّة في حياة النَّبيّ(ﷺ)، ولم يَفُتْهُ شيءٌ بعدها من أخبار الخلافة في حياة الشَّيخين، ولم يَفُتْهُ بعبارةٍ أخرى شيءٌ ممَّا نسمِّيه اليوم بأعمال التأسيس في الدَّولة الإسلاميَّة .

7 – كان المنهج التَّربويُّ الّذي تربَّى عليه عثمان بن عفَّان، وكلُّ الصَّحابة الكرام هو القران الكريم، المنزَّل من عند ربِّ العالمين .

8 – إنَّ الرَّافد القويَّ الّذي أثَّر في شخصية عثمان بن عفَّان، وصقل مواهبه، وفجَّر طاقته، وهذَّب نفسه هو مصاحبته لرسول الله(ﷺ)، وتتلمذه على يديه في مدرسة النُّبوة، ذلك: أنَّ عثمان رضي الله عنه لازم الرَّسول(ﷺ) في مكَّة بعد إسلامه كما لازمه في المدينة بعد هجرته، فقد نظَّم عثمان نفسه، وحرص على التلمذة في حلقات مدرسة النُّبوَّة في فروع شتَّى من المعارف والعلوم على يدي معلم البشريَّة، وهاديها، والّذي أدَّبه ربُّه، فأحسن تأديبه .

9 – لم يكن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه ممَّن تخلَّفوا عن بدرٍ لتقاعسٍ منه، أو هروبٍ ينشده، كما يزعم أصحاب الأهواء ممَّن طعن عليه بتغيُّبه عن بدرٍ، فهو لم يقصد مخالفة الرَّسول(ﷺ)، لأنَّ الفضل الّذي حازه أهل بدر في شهود بدر طاعةُ الرَّسول، ومتابعتُه، وعثمان رضي الله عنه خرج فيمن خرج مع رسول الله(ﷺ) فردَّه(ﷺ) للقيام على ابنته، فكان في أجَلِّ فرضٍ لطاعته لرسول الله، وتخلُّفه، وقد ضرب له بسهمه، وأجره، فشاركهم في الغنيمة، والفضل، والأجر

لطاعته الله ورسوله، وانقياده لهما .

10 - في الحديبية ذكر المحبُّ الطَّبريُّ اختصـــاص عثمان بعدَّة أمورٍ، منها: اختصـــاصـــه بإقامة يد النَّبيِّ الكريمة مقام يد عثمان لما بايع الصَّـحابةَ ؛ وعثمان غائبٌ، واختصاصه بتبليغ رسالة رسول الله(ﷺ) إلى مَنْ بمكَّة أسيراً من المسلمين، وذكر شهادة النَّبيِّ لعثمان بموافقته في ترك الطَّواف لما أرسله في تلك الرسالة .

11 - قبل رسول الله(ﷺ) شفاعة عثمان بن عفَّان في عبد الله بن أبي السَّرح في فتح مكَّة .

12 - من حياة عثمان رضـــي الله عنه الاجتماعية في المدينة: زواجه من أمِّ كلثوم بنت رســـول الله(ﷺ) بعد وفاة رقيَّة بنت رســـول الله، ووفاة عبد الله بن عثمان، ثم وفاة أمِّ كلثوم رضي الله عنهما .

13 - من مساهمته الاقتصادية في بناء الدَّولة: شراء بئر رُومة بعشرين ألف درهم، وجعلها عثمان رضي الله عنه للغني والفقير وابن السبيل، وتوسعة المسجد النَّبويِّ، وإنفاقه الكبير على جيش العسرة .

14 - وردت أحاديث كثيرة في فضل عثمان رضي الله عنه ؛ منها ما ورد في فضله مع غيره، ومنها ما ورد في فضله وحده، وقد أخبر رسول الله(ﷺ) عن الفتنة الّتي يُقتل فيها عثمان .

15 - كان عثمان رضـي الله عنه من الصَّـحابة وأهل الشُّـورى الّذين يؤخذ رأيهم في أمَّهات المســـائل في عهد الصِّـــدِّيق ؛ فهو ثاني اثنين في الحظوة عند

الصِّــدِّيق، فعمر ابن الخطاب للحزم والشَّــدائد، وعثمان للرِّفق والأناة، وكان عمر وزير الخلافة الصِّــــدِّيقيَّة، وكان عثمان أمينها العام، وناموســــها الأعظم، وكاتبها الأكبر .

16 – كان عثمان ذا مكانة عند عمر، فكانوا إذا أرادوا أن يســألوا عمر عن شــــيء رَمَوه بعثمان، وبعبد الرحمن بن عوف، وكان عثمان يســــمَّى الرَّديف – والرَّديف بلســـان العرب هو الّذي يكون بعد الرَّجل – والعرب تقول ذلك للرَّجل الّذي يرجونه بَعْدَ رئيسٍ، وكانوا إذا لم يقدر هذان على عمل شــــيء ؛ ثلَّثوا بالعبَّاس.

17 – من أفضــل أعمال عبد الرحمن بن عوف عزله نفســه من الأمر وقت الشُّــورى، واختياره للأمَّة من أشــــــار به أهل الحلِّ، والعقد، فنهض في ذلك أتمَّ نهوضٍ على جمع الأمَّة على عثمان .

18 – هناك أباطيل ضــالَّة، وأكاذيب كثيرة دُسَّــت في التَّاريخ الإســلاميِّ في قصَّــة الشُّــورى، وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقَّفها المســتشــرقون، وقاموا بتوســيع نشــرها، وتأثَّر بها الكثير من المؤرِّخين، والمفكرين المحْدَثين، ولم يمحِّصــوا الرِّوايات، ويحقِّقوا في سندها، ومتنها، فانتشرت بين المسلمين .

19 – جاءت الأدلَّة الكثيرة الّتي تشـير وتنبِّه إلى أحقِّيَّة عثمان رضـي الله عنه بالخلافة، ولا نزاع عند المتمسِّـكين بالكتاب والسُّـنَّة في ذلك، وقد أجمع أصـحاب رسول الله، وكذا من جاء بعدهم ممَّن سلك سبيلهم من أهل السُّنَّة والجماعة على أنَّ عثمان بن عفان رضــي الله عنه أحقُّ النَّاس بخلافة النُّبوَّة بعد عمر بن الخطَّاب

رضي الله عنهما.

20 – عندما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة قام في النَّاس خطيباً، وأعلن عن نهجه السِّياسيّ، مبيناً: أنَّه سيتقيَّد بالكتاب والسُّنَّة، وسيرة الشَّيخين، كما أنَّه أشار في خطبته إلى أنَّه سيسوس النَّاس بالحلم، والحكمة إلا فيما استوجبوه من الحدود، ثمَّ حذَّرهم من الرُّكون إلى الدُّنيا، والافتتان بحطامها خوفاً من التَّنافس والتَّباغض، والتَّحاسد بينهم، ممَّا يفضي بالأمَّة إلى الفرقة والخلاف .

21 – إنَّ شخصية ذي النُّورين تعتبر شخصية قياديَّةً، وقد اتَّصف رضي الله عنه بصفات القائد الرَّبَّانيّ ؛ من العلم، والقدرة على التَّوجيه، والتَّعليم، والحلم، والسَّماحة، واللِّين، والعفو، والتَّواضع، والحياء، والعفَّة، والكرم، والشَّجاعة، والحزم، والصَّبر، والعدل، والعبادة، والخوف، والبكاء، والمحاسبة، والزُّهد، والشكر، وتفقُّد أحوال النَّاس، وتحديد الاختصاصات، والاستفادة من أهل الكفاءات .

22 – إنَّ معرفة صفات الخلفاء الرَّاشدين، ومحاولة الاقتداء بهم خطوةٌ صحيحةٌ لمعرفة صفات القادة الرَّبَّانيِّين الَّذين يستطيعون أن يقودوا الأمَّة نحو أهدافها المرسومة بخطواتٍ ثابتةٍ .

23 – قامت سياسة عثمان الماليَّة على الأسس العامَّة التَّالية: تطبيق سياسةٍ ماليَّةٍ عامَّةٍ إسلاميَّةٍ، عدم إخلال الجباية بالرِّعاية، أخذ ما على المسلمين بالحقِّ لبيت مال المسلمين، وأخذ ما على أهل الذِّمَّة لبيت مال المسلمين بالحقّ، وإعطاؤهم ما لهم، وعدم ظلمهم، وتخلُّق عمَّال الخراج بالأمانة، والوفاء، وتفادي أيَّة انحرافاتٍ ماليَّةٍ يسفر عنها تكامل النِّعم لدى العامَّة .

24 – كانت النَّفقات في عهد عثمان تصـرف على: صـرف مرتَّبات الولاة، ومرتَّبات الجند، وعلى الحجِّ، وإعادة بناء المسـجد النَّبويِّ، وتمويل توسـعة المسـجد الحرام، وإنشـاء أوَّل أسـطولٍ بحريٍّ، وتحويل السَّـاحل من الشعيبة إلى جدَّة، وحفر الابار، والإنفاق على المؤذِّنين، وغيرها من الأمور .

25 – اتُّهم عثمان رضـي الله عنه من قبل الغوغاء والخوارج بإسـرافه في بيت المال، وإعطائه أكثره لأقاربه، وقد سـاند هذا الاتِّهام حملةٌ دعائيَّةٌ باطلةٌ قادها السَّبئيُّون، وتلقَّفها أعداء الإسلام ضدَّه إلى يومنا هذا، وتسرَّبت في كتب التاريخ، وتعامل معها المفكِّرون والمؤرِّخون على كونها حقائق، وهي باطلةٌ لم تثبت لأنَّها مختلَقةٌ .

26 – يعتبر عهد ذي النُّورين امتداداً للعهد الرَّاشـدي الّذي تتجلَّى أهمِّيَّته بصلته بالعهد النَّبويِّ، وقربه منه، فكان العهد الرَّاشـدي عامَّةً، والجانب القضـائيُّ فيه خاصَّـةً، امتداداً للقضـاء في العهد النَّبويِّ، مع المحافظة الكاملة، والتَّامَّة على جميع ما ثبت في العهد النَّبويِّ، وتطبيقه بحذافيره، وتنفيذه بنصِّه، ومعناه .

27 – كانت خطَّة عثمان في الفتوحات تتَّسـم بالحسـم، والعزم،وتمثَّلت في الاتي: إخضـاع المتمرِّدين من الفرس، والرُّوم، وإعادة سـلطان الإسـلام إلى هذه البلاد، واستمرار الجهاد والفتوحات فيما وراء هذه البلاد لقطع المدد عنهم، وإقامة قواعد ثابتةٍ يرابط فيها المسـلمون لحماية البلاد الإسـلاميَّة، وإنشـاء قوَّةٍ بحريَّةٍ عسكريَّةٍ لافتقار الجيش الإسلامي إلى ذلك .

28 – كانت معسـكرات الإسـلام ومسـالحه (ثغوره) في عهد عثمان هي

عواصم أقطاره الكبرى، فمعسكر العراق: الكوفة، والبصرة، ومعسكر الشَّام في دمشق بعد أن خلص الشَّام كلُّه لمعاوية بن أبي سفيان، ومعسكر مصر، وكان مركزه الفسطاط، وكانت هذه المعسكرات تقوم بحماية دولة الإسلام، ومواصلة الفتوحات، ونشر الإسلام .

29 - من أشهر قادة الفتوحات في عهد عثمان رضي الله عنه: الأحنف بن قيس، وسليمان ابن ربيعة، وعبد الرحمن بن ربيعة، وحبيب بن مسلمة .

30 - كانت معركة ذات الصواري من مظاهر تفوق العقيدة الصَّحيحة الصُّلبة على الخبرة العسكريَّة، والتفوُّق في العدد والعُدد، فلقد كان الرُّوم هم أهل البحر منذ القدم، وقد مرُّوا بتجارب طويلةٍ في الحروب البحريَّة، بينما كان المسلمون حديثي عهدٍ بركوب البحر، والقتال البحريِّ .

31 - من أهم الدُّروس، والعبر، والفوائد في فتوحات عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: تحقُّق وعد الله للمؤمنين بالنَّصر، والتمكين، التطوُّر في فنون الحرب والسِّياسة، ركوب المسلمين البحر، جمع المعلومات عن الأعداء، الحرص على وحدة الكلمة في مواجهة العدوِّ .

32 - يظهر من قصَّة جمع القران في عهد عثمان رضي الله عنه مدى فهم الصَّحابة رضي الله عنهم لايات النَّهي عن الاختلاف، حيث إنَّ الله نهى عن الاختلاف، وحذَّر منه، فلعمق فهمهم لهذه الايات ارتعد حذيفة رضي الله عنه عندما سمع بوادر الاختلاف في قراءة القران، فرحل فوراً إلى المدينة النبويَّة، وأخبر عثمان رضي الله عنه بما رأى، وبما سمع، وفي مدَّة قصيرةٍ حسم عثمان الأمر،

وأغلق باب الخلاف.

33 – إنَّ الأخذ بالأسباب نحو تأليف قلوب المسلمين، وتوحيد صفِّهم من أعظم الجهاد، وهذه الخطوة مهمَّةٌ في إعزاز المسلمين، وإقامة دولتهم، وتحكيم شرع ربِّهم، وهذا من فقه الخلفاء الرَّاشدين، ويتجلَّى في أبهى صورةٍ في جمع عثمان رضي الله عنه للأمة على مصحفٍ واحدٍ .

34 – كانت أقاليم الدَّولة الإسلاميَّة في عهد عثمان رضي الله عنه كلاًّ من: مكَّة، والمدينة، والبحرين، واليمامة، واليمن، وحضرموت، والشَّام، وأرمينية، ومصر، والبصرة، والكوفة .

35 – اتَّخذ عثمان رضي الله عنه أساليب متنوِّعةً لمراقبة عمَّاله، والاطِّلاع على أخبارهم، منها: حضوره لموسم الحجِّ، سؤال القادمين من الأمصار، والولايات، إرسال المفتِّشين إلى الولايات، استقدام الولاة وسؤالهم، وغير ذلك من الأساليب .

36 – من حقوق الولاة في العهد الرَّاشدي: الطَّاعة في غير معصية الله، بذل النَّصيحة للولاة، إيصال الأخبار الصَّحيحة إليهم، احترامهم بعد عزلهم، وإعطاؤهم مرتَّباتهم.

37 – من واجبات الولاة في العهد الرَّاشدي: إقامة أمور الدِّين، تأمين النَّاس في بلادهم، الجهاد في سبيل الله، بذل الجهد في تأمين الأرزاق للنَّاس، تعيين العمال، والموظَّفين، رعاية أهل الذِّمَّة، مشاورة أهل الرَّأي في ولايتهم، النَّظر في

حاجة الولاية العمرانيَّة، مراعاة الأحوال الاجتماعيَّة لسكان الولاية .

38 – إنَّ عثمان خليفةٌ راشدٌ يُقتدى به، وأفعاله تشكِّل سوابق دستورية في هذه الأمَّة فكما أنَّ عمر ســـنَّ لمن بعده التَّحرُّج عن تقريب الأقربين، فإنَّ عثمان ســـنَّ لمن بعده تقريب الأقربين إذا كانوا في كفاءتهم الإدارية، وكلُّ ما أنكر على عثمان لا يخرج عن دائرة المباح .

39 – إنَّ الولاة الّذين ولاهم عثمان رضـــي الله عنه من أقاربه قد أثبتوا الكفاية، والمقدرة في إدارة شـــؤون ولاياتهم، وفتح الله على أيديهم الكثير من البلدان، وساروا في الرَّعية سيرة العدل والإحسان، ومنهم من تقلَّد مهام الولاية في عهد الصِّدِّيق، والفاروق، رضي الله عنهما .

40 – إنَّ الّذي يرجع إلى الصَّـحيح المحض من وقائع التَّاريخ، ويتتبَّع ســيرة الرِّجال الّذين اســتعان بهم أمير المؤمنين عثمان، وما كان لجهادهم من جميل الأثر في تاريخ الدَّعوة الإســلاميَّة، بل ما كان لحســن إدارتهم من عظيم النَّتائج في هناء الأمَّة، وسعادتها ؛ فإنَّه لا يستطيع أن يمنع نفسه من الجهر بالإعجاب، والفخر كلَّما أمعن في دراسة ذلك الدَّور من أدوار التَّاريخ الإسلاميِّ .

41 – إنَّ عثمان رضي الله عنه لم يسلم من كثيرٍ من الباحثين في كتاباتهم غير المنصـــفة، وغير المحقَّقة عن عهد عثمان، فقد تورَّط الكثير منهم في الرِّوايات الضَّـعيفة والإماميَّة، وبنوا أحكاماً باطلةً، وجائرةً في حقِّ عثمان، مثل طه حســين في كتابه: الفتنة الكبرى، وراضـــي عبد الرَّحيم في كتابه: النُّظم الإســـلاميَّة، ومحمَّد الرَّيِّس في كتابه: النَّظريات السِّياسيَّة، وعلي حسين الخربوطلي في كتابه: الإسلام

والخلافة، وأبي الأعلى المودودي في كتابه: الملك والخلافة، وسـيِّد قطب في كتابه: العدالة الاجتماعيَّة، وغيرهم، لقد كان عثمان رضـي الله عنه بحق الخليفة المظلوم الّذي افترى عليه خصومه الأوَّلون، ولم ينصفه المتأخِّرون .

42 – إنَّ الحقيقة التَّاريخيَّة تقول: إنَّ عثمان رضـي الله عنه لم ينف أبا ذرٍّ رضـي الله عنه، إنَّما اسـتأذنه، فأذن له، ولكنَّ أعداء عثمان رضـي الله عنه كانوا يشيعون عنه بأنَّه نفاه .

43 – إنَّ أبا ذرٍّ رضـي الله عنه لم يتأثَّر لا من قريبٍ ولا من بعيد باراء عبد الله بن سـبأ اليهوديِّ، وقد أقام بالرَّبذة حتَّى توفي، ولم يحضـر شـيئاً ممَّا وقع من الفتن.

44 – من أسباب فتنة مقتل عثمان رضي الله عنه أمورٌ عدَّةٌ، منها: الرَّخاء، وأثره في المجتمع، طبيعة التحوُّل الاجتماعيِّ في عهد عثمان رضـي الله عنه مجيء عثمان بعد عمر، رضـي الله عنهما خروج كبار الصَّـحابة من المدينة: العصـبيَّة الجـاهليَّـة، توقُّف الفتوحـات، المفهوم الخـاطئ للورع، طموح الطَّـامحين، تامر الحاقدين، التَّدبير المحكم لإثارة الماخذ ضدَّ عثمان، استخدام الأساليب، والوسـائل المهيِّجة للناس، دور عبد الله بن سبأ في الفتنة .

45 – كانت بداية اشتعال الفتنة بالكوفة، وقد تمَّ نفي رجالها إلى الشَّـام، ثمَّ استقرَّ أمرهم عند عبد الرَّحمن بن خالد بن الوليد بالجزيرة، ثمَّ رجعوا إلى الكوفة بعد مكاتبة يزيد بن قيس لهم بالمجيء للكوفة .

46 - كانت سياسة عثمان رضي الله عنه في التَّعامل مع الفتنة قائمةً على الحلم، والتَّأنِّي، والعدل، وقد اتَّخذ عدَّة أساليب لمواجهتها منها: إرسال لجان تفتيشٍ، وتحقيقٍ، كتب إلى أهل الأمصار كتاباً شاملاً بمثابة إعلانٍ عامٍّ لكلِّ المسلمين، مشورة عثمان لولاة الأمصار، إقامة الحجَّة على المتمرِّدين، الاستجابة لبعض مطالبهم .

47 - إنَّ المتأمِّل في هدي عثمان رضي الله عنه في تعامله مع الفتنة الّتي وقعت في عهده، يمكنه أن يستنبط بعض الضَّوابط الّتي تعين المسلم لمواجهته للفتن، ومن هذه الضَّوابط: التَّثبُّت، لزوم العدل، والإنصاف، والحلم، والأناة، الحرص على ما ينفع، ونبذ ما يفرِّق بين المسلمين، لزوم الصَّمت والحذر من كثرة الكلام، استشارة العلماء الربَّانيين، الاسترشاد بأحاديث رسول الله(ﷺ) في الفتن.

48 - يظهر للباحثين أنَّ هناك أسباباً دعت عثمان إلى منع الصَّحابة من القتال، وهي: العمل بوصيَّة الرَّسول(ﷺ) الّتي سارَّه بها، وبيَّنها عثمان رضي الله عنه يوم الدَّار، وأنَّها عهدٌ عُهِد به إليه، وأنَّه صابرٌ نفسه عليه، كره أن يكون أوَّل من خلف رسول الله(ﷺ) في أمَّته بسفك دماء المسلمين، عِلْمُه بأنَّ البغاة لا يريدون غيره، فكره أن يتوقَّى بالمؤمنين، وأحبَّ أن يقيهم بنفسه، عِلْمُهُ بأنَّ هذه الفتنة فيها قتلُه، وذلك فيما أخبره بها رسول الله(ﷺ) عند تبشيره إيَّاه بالجنة على بلوى تصيبه، وأنَّه سيقتل مصطبراً بالحقِّ، معطيه في فتنة، العمل بمشورة ابن سلام رضي الله عنه له، إذ قال له: الكفَّ ! الكفَّ ! فإنَّه أبلغ لك في الحجَّة .

49 - إنَّ قاتل عثمان رضي الله عنه رجلٌ مصريٌّ، لم تفصح الرِّوايات عن

اسمه، وأمَّا ما يتعلَّق بتهمة محمَّد بن أبي بكرٍ بقتل عثمان بمشـاقصـه، فهذا باطلٌ، والرِّوايات بذلك رواياتٌ ضعيفةٌ، كما أنَّ متونها شـاذَّةٌ لمخالفتها للرِّواية الصَّـحيحة الَّتي تبيِّن: أنَّ القاتل هو رجلٌ مصريٌّ .

50 - إنَّ الصَّحابة جميعاً رضي الله عنهم أبرياء من دم عثمان رضي الله عنه، وقد صـــحَّت الأخبار، وأكَّدت الحوادث، والتَّاريخ على براءة الصَّـــحابة من التَّحريض على عثمان، أو المشـــاركة في الفتنة ضـــدَّه، كما أوردنا ذلك بالرِّوايات الصَّحيحة .

51 - إن عثمان رضـــي الله عنه كان متيقِّظاً، ولم تنطل عليه المؤامرة، ولا أهدافها، بل اســتطاع أن يخترق صــفوف المتمرِّدين، ويكشــف مخطَّطهم كاملاً، وواجه بشجاعةٍ فائقةٍ، وكره أن يكون أوَّل من يسلَّ السيف في المسلمين، واثر أن يفدي الأمَّة بنفسه، وهذه قمَّة التَّضحية، والإيثار .

52 - كانت فتنة مقتل عثمان ســـبباً في حدوث كثيرٍ من الفتن الأخرى، وألقــت بظلالهـا على أحـداث الفتن الّتي تليهـا، فتغيَّرت قلوب النـاس، وظهر الكذب، وبدأ الخطُّ البياني للانحراف عن الإسلام في عقيدته، وشريعته .

53 - إنَّ الظُّلم، والاعتداء على الاخرين بغير حقٍّ من أســـباب الهلاك في الـدُّنيـا والاخرة، كمـا قـال تعـالى: ﴿وَتِلْـكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَـاهُمْ لَمَّـا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَـا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا*﴾ **[الكهف: 59]** وإنَّ المتتبّع لأحوال أولئك الخارجين على عثمان رضـــي الله عنه المعتدين عليه يجد: أنَّ الله تعالى لم يهملهم، بل أذلَّهم، وأخزاهم ؛ وانتقم منهم، فلم ينج منهم أحدٌ .

54 - كان وقع المصـــيبة على نفوس المســـلمين عظيماً، فذهلت عقولهم، وجلَّلهم الحزن، وفاضــت ماقيهم بالدموع، ولهجت ألســنتهم بالثَّناء على عثمان، والترحُّم عليه، وقام حسَّـــان بن ثابت رضــــي الله عنه يرثي أمير المؤمنين، ويكثر التفجُّع لمقتله، ويهجو قاتليه بقصـائد مبكيةٍ حزينةٍ، حفظها لنا التَّاريخ، ولم تهملها اللَّيالي، ولم تفصلها عنَّا حواجز الزَّمن، ولا أسوار القرون .

55 - وبعد فهذا ما يسَّره الله لي من جمعٍ، وترتيبٍ، وتحليلٍ، تضمَّنتها فصول هذا الكتاب (عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، شخصيَّته، وعصره) فما كان فيه من صــوابٍ، فهو محض فضــل الله عليَّ، فله الحمد والمنَّة، وما كان فيه من خطأ، فأستغفر الله تعالى، وأتوب إليه، والله، ورسولُه بريءٌ منه، وحسبي أنِّي كنت حريصاً على بيان الحقائق، والبراهين والأدلَّة الّتي تبيّن حقيقة الخليفة الرَّاشـــد عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرؤه في دعائه، فإنَّ دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مســتجابةٌ، إن شاء الله تعالى .

وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى:

﴿وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَـــبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *﴾ **[الحشر: 10] .**

- وبقول الشَّاعر:

إِنْ تَجِـدْ عَيْبَـاً فَسُــــدَّ الخَلَلا   جَـلَّ مَنْ لا عَيْـبَ فِيْـهِ وَعَلا

❖ وبقول الشَّاعر:

اطْلُبِ العِلْمَ وَلا تَكْسَـــلْ، فَمَـا أَبْعَـدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْـلِ الْكَسَـــل

اْحْتَفِـلْ لِلْفِقْـهِ فِي الـدِّين وَلا تَشْـــتَغِـلْ عَنْـهُ بِمَـالٍ وَحَـوَلْ

وَاهْجُرِ النَّومَ وَحَصِّــلْـهُ فَمَنْ يَعْرِفِ المطْلُوبَ يَحْقِرْ مَـا بَـذَلْ

لا تَـقُـلْ قَـدْ ذَهَـبَـتْ أَرْبَابُـهُ كُلُّ مَنْ سَـارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَـلْ

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

ومغفرته، ورحمته، ورضوانه

علي محمَّد محمَّد الصَّلابِيّ

8 ربيع الثاني 1423 هـ

2002/6/18 م

تعريف ببعض المناطق الّتي ذكرت في البحث[1]

1- طبرستان: منطقةٌ تقع جنوب بحر قزوين، عاصـمتها مدينة همدان، جاء اسمها من جمع كلمة « طبر » الّتي تعني في اللُّغة الفارسيَّة الفأس مع « زنان » الّتي تعني: النِّساء .

2- أذربيجان: أصـــل الكلمة: أتروباتن، الّتي تعني: أرض النَّار، وتقع هذه المنطقة غرب بحر قزوين، عاصمتها مدينة « أردبيل » .

3- أرمينيا: صقعٌ كبيرٌ يقع شرق اسيا الصُّغرى جنوب البحر الأسود، جاءت تسـميتها من سـكَّانها الأرمن، وهم قبائل هندية وأوروبية اعتنقوا النَّصرانية في بداية القرن الرَّابع الميلادي، بعد ذلك تحوَّلوا إلى المذهب المنوفيسـتي (أصـحاب الطَّبيعة الواحدة للسَّـيِّد المسـيح عليه السَّـلام)، كان سـكَّانها قد قاوموا الفتح الإسـلاميَّ لبلادهم، وبقوا محافظين على ديانتهم النَّصرانية .

4- طخارستان: إقليم يقع جنوب غرب بلاد ما وراء النَّهر، عاصمتها «بلخ» تقع غالبية أراضـــيها حاليّاً ضـــمن «أفغانســـتان» أهم مراكزها اليوم «قندز» و«خوست».

5- خراسان: معناها: مشرق الشَّمس، تقع شرق الهضبة الإيرانيَّة، عاصمتها مرو .

6- سجستان: منطقة تقع جنوب إقليم خراسان، عاصمتها « بست » جاء

[1] التعريف بهذه المناطق قام به الدكتور فرست مرعي الدهوكي جزاه الله خيراً.

اسمها من سَكَنٍ قوم فيها يدعون بالسَّاكا (الإسكيثيين)، أمَّا التَّرجمة الحرفيَّة لها ؛ فتعني: أرض الكلاب على أساس أنَّ « سك » تعني: الكلاب في اللُّغة الفارسية، واستان المنطقة، وحاليّاً تدعى « سيستان » .

7- بلاد ما وراء النهر: وهي الأراضي الواقعة ما بين نهري جيحون (اموداريا) وسيحون (سرداريا)، ومن مدنها بخارى وسمرقند وطشقند، وحاليّاً تقع ضمن جمهوريات تركمنستان وأوزبيكستان وطاجيكستان .

8 - جرجان: إقليمٌ يقع شرق بحر قزوين، وكان اسمها سابقاً إقليم باكتريا، حيث بشَّر فيه زرادشت بدعوته .

9- خوزستان: إقليمٌ يقع جنوب غرب الهضبة الإيرانيَّة يحادد العراق العربي، قصبتها الأهواز، أطلق عليها العرب اسم إقليم عربستان، سيطر عليه الشَّاه رضا بهلوي سنة 1925م بعد أن اعتقل حاكمها العربيَّ الشَّيخ خزعل الكعبيَّ، وهي مشهورةٌ بالنَّفط .

* * *

المراجع والمصادر

1- أباطيل يجب أن تمحى من التَّاريخ، إبراهيم شــعوط، بيروت، المكتب الإسلاميُّ، ط5، 1403 هـ 1983 م .

2- أثر التَّشــيُّع على الرِّوايات التَّـاريخيَّـة، د . عبـد العزيز نور ولي، دار الخضيري، المدينة، الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1996 م .

3- أحداث وأحاديث الفتنة الأولى، عبد العزيز صغير دخان، تحت الطَّبع .

4- الأحكام السُّـلطانيَّة، أبو الحسـن عليُّ بن محمَّد بن حبيب الماورديُّ، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ .

5- أدب صدر الإسلام، واضح الصَّمد .

6- الأدب في الإسلام في عهد النُّبوَّة وخلافة الرَّاشـدين، د . نايف معروف، دار النَّفائس، الطَّبعة الأولى 1410 هـ 1990 م .

7- الأسـاس في السُّـنَّة، وفقهها، والسِّـيرة النَّبويَّة، سـعيد حوَّى، دار السَّـلام، الطَّبعة الأولى 1409 هـ 1989 م .

8 - أسد الغابة في معرفة الصَّحابة، لعز الدين بن الأثير، أبي الحسن بن عليِّ بن محمـد الجزريِّ، دار إحيـاء التُّراث العربيِّ، بيروت، الطَّبعـة الأولى 1417 هـ 1996 م .

9- أشـهر مشـاهير الإسـلام، رفيق العظم، دار الرَّائد العربي، بيروت، لبنان، الطَّبعة السادسة 1403 هـ 1983 م .

10- أصـول الإسماعيليَّة، لويس بارنارد، ترجمه إلى العربيَّة خليل أحمد جلُّو، جاسم محمد الرَّجب، بغداد مكتبة المثنَّى 1367 هـ 1947 م .

11- أصول مذهب الشِّيعة الإماميَّة، ناصر بن عبد الله الغفاري، دار الرِّضا للنَّشر والتَّوزيع، الطَّبعة الثَّالثة 1418 هـ 1998 م .

12- أضواء البيان في تاريخ القران، صابر حسن محمَّد أبو سليمان، دار عالم الكتب، الطَّبعة الأولى 1421 هـ 2000 م .

13- أعلام المسلمين لخالد البيطار .

14- الاكتفاء بما تضـمَّنه من مغازي رسـول الله والثَّلاثة الخلفاء، لأبي الرَّبيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسيِّ، عالم الكتب، بيروت لبنان، الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1997 م .

15- الأموال لأبي عبيد .

16- أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالبٍ من الميلاد إلى الاستشـهاد، د . أحمد السَّيد يعقوب السيد يوسف الرِّفاعي، دار الفضيلة، القاهرة .

17- الأمين ذو النُّورين، محمود شـاكر، المكتب الإسـلاميِّ، الطَّبعة الأولى 1418 هـ 1997م .

18- الأنساب، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التَّميمي، تحقيق: عبد الرَّحمن بن يحيى المعلمي اليماني، بيروت، النَّاشر محمَّد أمين دمج، 1400 هـ 1980 م .

19- أوَّليَّات الفاروق، د . غالب عبد الكافي القرشيُّ، المكتب الإسلامي بيروت، مكتبة الحرمين الرِّياض، الطَّبعة الأولى 1403 هـ 1983م .

20- الإبانة في أصول الدِّيانة، لأبي الحسن الأشعريِّ، طبعة الجامعة الإسلاميَّة 1975م.

21- الإتقان للسُّيوطيِّ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطَّبعة الأولى 1407هـ 1987م.

22- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محمَّد الخضري، دار المعرفة، بيروت، الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1996 م.

23- الإدارة العسكريَّة في الدَّولة الإسلاميَّة نشأتها، وتطوُّرها، الدُّكتور سليمان بن صالح بن سليمان ال كمال، جامعة أمِّ القرى، معهد البحوث وإحياء التُّراث .

24- إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، عبد العزيز المحمَّد السَّلمان، مطابع الخالد، الرِّياض، الطَّبعة الأولى 1406 هـ .

25- الإصابة في تمييز الصَّحابة، أحمد بن علي بن حجر، دار الكتب

العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى 1415 هـ 1995 م.

26- الانشـــراح ورفع الضِّـــيق بســـيرة أبي بكر الصِّـــدِّيق، د . علي محمَّد الصَّلابي، مكتبة الصَّحابة، الشَّارقة، الطَّبعة الأولى 1421 هـ 2000 م.

27- الاجتهاد في الفقه الإسـلامي، عبد السـلام السُّـليمانيُّ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميَّة بالمغرب، طبعة 1417 هـ 1996 م.

28- اسـتشـهاد عثمان، ووقعة الجمل في مرويات سـيف بن عمر في تاريخ الطَّبريِّ دراســة نقديَّة، د . خالد بن محمد الغيث، دار الأندلس الخضــراء، جدَّة، الطَّبعة الأولى 1418 هـ .

29- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر، دار الجيل، بيروت، الطَّبعة الأولى1412 هـ 1992 م.

30- الاعتصام، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللَّخمي .

31- اقتضــاء الصِّــراط المســتقيم مخالفة أصــحاب الجحيم، لتقيِّ الدِّين ابن تيميَّــة، تحقيق: د . ناصـــر العقــل، طبع مطــابع العبيكــان الرِّياض، الطَّبعــة الأولى1404 هـ .

32- البحرين في صــدر الإســلام، وأثرها في حركة الخوارج، عبد الرَّحمن عبد الكريم النَّجم، دار الحرية بغداد 1973 م.

33- البداية والنِّهاية، أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدِّمشـــقي، دار الرَّيان،

الطَّبعة الأولى1408 هـ 1988 م.

34- البيان والتَّبيين، للجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، دار الخانجي بمصر، 1388 هـ 1968 م.

35- تاريخ الدَّعوة الإسلاميَّة في زمن الرَّسول والخلفاء الرَّاشدين، د . جميل عبد الله المصري، الطَّبعة الأولى 1407 هـ 1987 م.

36- تاريخ ابن خلدون .

37- تاريخ ابن خلدون، دار النَّفائس، الرِّياض، الطَّبعة الأولى 1419 هـ 1999م.

38- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر الطَّبري، دار الفكر، بيروت الطَّبعة الأولى 1407 هـ 1987 م.

39- تاريخ الإسلام، عهد الخلفاء الرَّاشدين، محمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، دار الكتاب العربي، الطَّبعة الأولى 1407 هـ 1987 م.

40- التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، د . عبد العزيز عبد الله الحميدي، دار الدَّعوة، الإسكندريَّة، دار الأندلس الخضراء، جدَّة، الطَّبعة الأولى 1418 هـ 1998 م.

41- تاريخ التَّشريع الإسلاميِّ، محمَّد الخضري، المكتبة التِّجارية الكبرى، مطبعة السَّعادة، الطبعة السَّادسة 1373 هـ 1954 م.

42- تاريخ الجدل

43- تاريخ العرب الأدبي في الجاهليَّة وصــدر الإســلام، نكلســن، رينولد، ترجمة صفاء خلوصي، بغداد: مطبعة المعارف 1388 هـ 1969 م.

44- تاريخ القضاء في الإسلام، د . محمد الزُّحيلي، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر لبنان، الطَّبعة الأولى 1415 هـ 1995 م.

45- تاريخ القضــاعي، كتاب عيون المعارف، وفنون أخبار الخلائف للإمام القاضي محمَّد بن سلام بن جعفر الشَّافعيِّ، مطبوعات جامعة أمِّ القرى .

46- تاريخ المدينة، أبو زيد عمر بن شــبَّة النَّميريُّ البصــريُّ، تحقيق: محمود شلتوت، نشر السَّيد حبيب محمود أحمد، المدينة 1393 هـ .

47- تاريخ اليعقوبي، دار بيروت للطِّباعة والنشــر، طبعة 1400 هـ 1980م.

48- تاريخ اليمن السياسي في العصر الإسلاميِّ، حسن سليمان محمود، الطَّبعة الأولى، بغداد 1969 م.

49- تاريخ خليفة بن خيَّاط، أبو عمر خليفة بن خيَّاط بن أبي هبيرة اللَّيثي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، الطَّبعة الثَّانية، مؤسَّسة الرِّسالة، ودار القلم، بيروت 1397 هـ .

50- تاريخ دمشق، ابن عساكر، ترجمة عثمان رضي الله عنه، تحقيق: سكينة

الشِّهابي، نشر المجمع العلمي بدمشق 1984 م.

51- تبصير المؤمنين بفقه النَّصر والتَّمكين في القران الكريم، علي الصَّلابي، دار الصَّحابة، الطَّبعة الأولى 1421 هـ .

52- التَّبيين في أنساب القرشيين، موفق الدِّين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي، حقَّقه محمد نايف الدُّليمي، عالم الكتب، الطَّبعة الثَّانية .

53- تجريد أسماء الصَّحابة، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، تصحيح صالحة عبد الحكيم شرف الدِّين، طبعة شرف الدِّين الكتبي وأولاده بومباي، الهند، 1389 هـ .

54- تحفة الأحوذي بشرح سنن التِّرمذيِّ، محمَّد عبد الرحمن المباركفوري، تصحيح عبد الرَّحمن محمَّد عثمان، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي.

55- تحقيق مواقف الصَّحابة في الفتنة من روايات الطَّبري والمحدِّثين، تأليف د. محمد أمحزون، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرِّياض، الطَّبعة الأولى 1415 هـ 1994 م.

56- تذكرة الحفَّاظ، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، بيروت، دار إحياء التُّراث .

57- التَّربية القياديَّة، منير الغضبان، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطَّبعة الأولى 1418 هـ 1998 م.

58- تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد الأنصاري، القرطبي، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، لبنان 1965 م.

59- التفوُّق والنَّجابة على نهج الصَّحابة، حمد بن بيلة بن مرهان العجمي، مكتبة العبيكان، الرِّياض، الطَّبعة الأولى .

60- تقريب التَّهذيب، لابن حجر .

61- التَّمهيد والبيان في مقتل الشَّهيد عثمان، محمَّد بن يحيى بن أبي بكر المالقي الأندلسي، حقَّقه د . محمود يوسف زايد، دار الثقافة الدَّوحة، الطَّبعة الأولى 1405 هـ 1985 م.

62- التَّنظيمات الاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة في البصرة في القرن الأول الهجري، صالح العلي، الطَّبعة الثانية، دار الطَّليعة، بيروت 1969 م.

63- تهذيب ابن عساكر، دار إحياء التُّراث العربي، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة 1407 هـ 1987 م.

64- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر، دار صادر، بيروت .

65- جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، مكتبة طيبة، المدينة المنوَّرة، مؤسَّسة الكتب الثَّقافية، بيروت، الطَّبعة الثانية 1410 هـ 1990 م.

66- الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرَّحمن بن أبي حاتم الرَّازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة بحيدر اباد الدَّكن، الهند 1372 هـ .

67- جمهرة أنساب العرب، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، 1382 هـ .

68- جولة تاريخيَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين، د . محمد السَّيِّد الوكيل، دار المجتمع، الطَّبعة الخامسة 1416 هـ 1995 م.

69- حذيفة بن اليمان، إبراهيم العلي، دار القلم، دمشق، الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1996 م.

70- حروب الإسلام في الشَّام في عهود الخلفاء الرَّاشدين، محمَّد أحمد باشميل، الطَّبعة الأولى1400 هـ 1980 م.

71- حروب الردَّة وبناء الدَّولة الإسلاميَّة، أحمد سعيد بن سالم، دار المنار، 1415 هـ 1994 م.

72- الحضارة العربيَّة في الإسلام، د . واضح الصَّمد، المؤسَّسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان .

73- حقبة من التَّاريخ، عثمان الخميس، دار الإيمان، الإسكندرية .

74- الحكمة في الدَّعوة إلى الله، سعيد القحطاني، مؤسَّسة الجريسي، الرِّياض، السُّعوديَّة، الطَّبعة الأولى1412 هـ 1992 م.

75- حلية الأولياء وطبقات الأصــفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، دار الكتب العلميَّة، بيروت .

76- الخراج لأبي يوســف، منشــورات مكتبة الرِّياض الحديثة، بدون تاريخ الطَّبع.

77- الخراج وصــناعة الكتابة، أبو الفتوح قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، شــرح، وتحقيق: د . محمد حســين الزَّبيدي، دار الرَّشــيد، بغداد 1981م.

78- الخلافة الرَّاشدة والدَّولة الأمويَّة من فتح الباري، يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الهجرة، الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1996 م.

79- الخلافة بين التَّنظير والتَّطبيق، محمود المرداوي، الطَّبعة الأولى، 1403 هـ 1983 م.

80 - خلافة عثمان بن عفَّان، د . محمد بن صامل السُّلمي، مكتبة سالم، العزيزيَّة، جامعة أمِّ القرى، الطَّبعة الأولى، 1419 هـ .

81 - الخلافة، والخلفاء الرَّاشدون بين الشُّورى، والديمقراطيَّة، المستشار سالم البهنساوي، مكتبة المنار الإسلاميَّة، الطَّبعة الثانية 1418 هـ 1997 م.

82 - الخلفاء الرَّاشــدون أعمالٌ وأحداثٌ، د . أمين القضــاة، دار الفرقان، الأردن، طبعة الفرقان الأولى 1420 هـ 2000 م.

83 – الخلفاء الرَّاشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، الدَّار الشاميَّة، بيروت الطَّبعة الأولى 1416 هـ 1995 م.

84 – الخلفاء الرَّاشدون، حسن أيُّوب، دار التَّوزيع والنَّشر الإسلاميَّة، الطَّبعة الأولى 1418 هـ 1997 م.

85 – الخلفاء الرَّاشدون، عبد الوهاب النَّجار، دار القلم، بيروت، لبنان، الطَّبعة الأولى 1406 هـ 1986 م.

86 – الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، عبد الرَّحمن عبد الكريم العاني، د . حسن فاضل زغين، دار الشؤون الثقافية العامَّة، بغداد طبعة 1989 م.

87 – الخوارج والشِّيعة، يوليوس فلهاوزن .

88 – دراسات في الأهواء والفرق والبدع، وموقف السَّلف منها، د . ناصر بن عبد الكريم العقل، مركز دار إشبيليا، الطَّبعة الأولى 1418 هـ 1997 م.

89 – دراسات في عهد النُّبوة والخلافة الرَّاشدة، د . عبد الرحمن الشُّجاع، الطَّبعة الأولى 1419 هـ 1999 م. دار الفكر المعاصر – صنعاء .

90– الدَّراهم المضروبة على الطِّراز الساساني للخلفاء الرَّاشدين في المتحف العراقي، مجلَّة المسكوكات، مديرية الاثار العامَّة بغداد 1969م، وداد علي القزاز .

91- دماء على قميص عثمان بن عفَّان، دار البشير، الطَّبعة الأولى 1421 هـ 2001 م.

92- الدَّوحة النَّبويَّة، د . فاروق حمادة، دار القلم، دمشـــق، الطَّبعة الأولى 1420هـ 2000 م.

93- دور المرأة السِّـياسـي في عهد النَّبيّ(ﷺ) والخلفاء الرَّاشـدين، تأليف: أسماء محمَّد أحمد زيادة، دار السلام بمصر، الطَّبعة الأولى 1421 هـ 2001 م.

94- الدَّولة الأمويَّة المفترى عليها، دراســة الشـبهات وردّ المفتريات، د . حمدي شاهين، دار القاهرة للكتاب 2001 م.

95- الدَّولة الأمويَّة، يوســف العش، دار الفكر، الطَّبعة الثانية 1406 هـ 1985م.

96- الدَّولة الإسلاميَّة في عصر الخلفاء الرَّاشدين، د . حمدي شاهين، دار القاهرة .

97- الدَّولة والسِّـيادة، د .فتحي عبد الكريم، مكتبة وهبة بمصـر، الطَّبعة الثانية 1404 هـ 1984 م.

98- الدِّين الخالص، محمَّد صـدِّيق حسـن القنوجيُّ البخاريُّ، تحقيق: محمد زهري النَّجار، مكتبة الفرقان .

99- ديوان أعشـى همدان، عبد الرَّحمن بن عبد الله بن الحارث، تحقيق: د .

حسن عيسى أبو ياسين، الرِّياض، دار العلوم، 1403 هـ 1983 م.

100- ذات الصَّــواري، شــوقي أبو خليل، دار الفكر، الطَّبعة الرَّابعة 1400هـ 1980م.

101- ذو النُّورين عثمان بن عفَّان، محمَّد رشيد رضا، دار الكتب العلميَّة، الطَّبعة الثانية 1402 هـ 1982م بيروت – لبنان .

102- ذو النُّورين عثمان بن عفَّان، محمد مال الله، مكتبة ابن تيميَّة، الطَّبعة الأولى 1410 هـ 1989 م.

103- الردُّ على الرَّافضــة لأبي حامد محمَّد المقدســي، تحقيق: عبد الوهاب خليل الرَّحمن، الدَّار السلفيَّة، بومباي الهند، الطَّبعة الأولى 1403هـ .

104- الرِّقَّة والبكاء، موفق الدِّين عبد الله بن أحمد بن قدامة، دار القلم، دمشق، الدَّار الشَّاميَّة، بيروت الطَّبعة الثانية 1422 هـ 2001 م.

105- الروض الأنف في شــرح السِّــيرة النَّبوية لابن هشــام، أبو القاســم السُّهيلي، تحقيق: عبد الرَّحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، طبعة 1387هـ .

106- الرِّياض النَّضـرة في مناقب العشـرة، لأبي جعفر أحمد الشَّـهير بالمحبِّ الطَّبريِّ، المكتبة القيِّمة، القاهرة .

107- زاد المعاد في هدي خير العباد، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة بيروت، ط13، 1406هـ .

108- الزُّهد للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد السَّعيد بسيوني زغلول، دار الكتاب العربي، بيروت 1409 هـ 1988 م.

109- سفراء النَّبيّ(ﷺ)، محمود شيت خطَّاب، مؤسَّسة الرَّيان، ودار الأندلس الخضراء بجدَّة، الطَّبعة الأولى 1407 هـ 1996 م.

110- سنن أبي داود، الإمام أبو داود، تحقيق وتعليق عزَّت الدَّعاس، سورية 1391هـ .

111- سنن ابن ماجه، الحافظ أبو عبد الله محمَّد بن زيد القزويني، دار الفكر .

112- سنن التِّرمذيّ، أبو عيسى محمَّد بن عيسى التِّرمذيُّ، دار الفكر 1398هـ.

113- السُّنن الكبرى، للحافظ أحمد بن الحسين البيهقيِّ، طبع دار المعارف، بيروت لبنان، توزيع مكتبة المعارف، الرِّياض .

114- السُّنَّة، والبدعة، عبد الله باعلوي الحضرميُّ، دار القلم، دمشق، الدار الشَّاميَّة، بيروت، طبعة دار القلم الأولى 1413 هـ 1992 م.

115- السُّنَّة، أبو بكر أحمد بن محمد الخلال، تحقيق: د . عطية الزَّهرانيّ، دار الرَّاية، الرِّياض، ط1، 1410هـ .

116- السِّيادة العربيَّة، والشِّيعة، والإسرائيليَّات، فان فولتن ترجمة حسن

إبراهيم حســـن، ومحمد زكي إبراهيم، القاهرة، مكتبة النهضـــة المصـــريَّة، ط2 1385هـ 1965 م.

117- السِّـياسـة الشَّـرعيَّة في إصـلاح الرَّاعي والرَّعيَّة، تقي الدِّين أحمد بن تيميَّة، دار المعرفة بيروت، الطَّبعة الرَّابعة 1969 م.

118- السِّياسـة الماليَّة لعثمان بن عفَّان، قطب إبراهيم محمَّد، الهيئة المصـريَّة العامَّة للكتاب، 1986 م.

119- ســـير أعلام النُّبلاء، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، الطَّبعة الثانية، مؤسسة الرِّسالة بيروت 1402هـ .

120- سـير الشُّـهداء دروس وعبر، عبد الحميد بن عبد الرَّحمن السَّـحيباني، دار الوطن، الطَّبعة الأولى 1419 هـ 1999 م.

121- السِّيرة النبويَّة في ضوء القران والسُّنَّة، د . محمَّد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط3 1417 هـ 1996 م.

122- السِّـيرة النبويَّة في ضـوء المصـادر الأصـليَّة، د . مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصـــل للبحوث والدِّراســـات الإســـلاميَّة، الرِّياض، ط1 1412 هـ 1999م.

123- السِّـــيرة النَّبويَّة لابن هشـــام، دار إحياء التُّراث، الطَّبعة الثانية، 1417هـ 1997 م.

124- السِّيرة النَّبويَّة، دروسٌ، وعبرٌ، مصطفى السِّباعي، المكتب الإسلاميُّ، بيروت – لبنان، الطَّبعة التاسعة 1406 هـ 1986 م.

125- السِّيرة النبويَّة، عرض وقائع وتحليل أحداث، د . علي محمد الصَّلابي، دار الصَّحابة، الشَّارقة، طبعة أولى 2001 م.

126- شذرات الذَّهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمَّد الحنبلي، بيروت، المكتب التِّجاري للطِّباعة، والنَّشر .

127- شرح صحيح مسلم، للإمام النَّوويِّ، بيروت، دار الفكر، طبعة 1401 هـ 1981 م.

128- الشَّرف والتَّسامي بحركة الفتح الإسلامي، د . علي محمَّد الصَّلابي، مكتبة الصَّحابة، الشَّارقة، الطَّبعة الأولى 1422 هـ 2001 م.

129- شعراء الخلفاء، نبال تيسير الخماش .

130- شهيد الدَّار عثمان بن عفَّان، أحمد الخروف، دار البيارق، دار عمَّار، الطَّبعة الأولى 1418 هـ 1997 م.

131- الصَّارم المسلول على شاتم الرَّسول، لتقي الدِّين ابن تيميَّة .

132- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، وزارة الثَّقافة والإرشاد القومي، القاهرة بدون تاريخ، نسخة مصوَّرة عن الطبعة الأميريَّة .

133- صـــحيح البخاريِّ، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاريِّ، دار الفكر، الطَّبعة الأولى، 1411 هـ 1991 م.

134- صحيح التَّوثيق في سيرة وحياة ذي النُّورين، مجدي فتحي السَّيِّد، دار الصَّحابة بطنطا، الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1996 م.

135- صحيح السِّيرة النَّبويَّة، إبراهيم العلي، دار النَّفائس، ط3 1408 هـ 1998 م.

136- صـــحيح النَّســـائيِّ للألباني، مكتب التَّربية العربي لدول الخليج، الرِّياض، الطَّبعة الثالثة 1408 هـ 1988 م.

137- صحيح سنن ابن ماجه، للألباني، مكتب التَّربية العربي لدول الخليج، الرِّياض، ط3 1408 هـ 1988 م.

138- صـــحيح ســنن التِّرمذيِّ، محمَّد ناصــر الدين الألباني، مكتبة التَّربية العربي لدول الخليج، الرِّياض، ط1، 1408هـ .

139- صـــحيح مســلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت – لبنان الطَّبعة الثانية 1972 م.

140- الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، للعقاد، مطبعة المعارف، مصر 1943 م.

141- صفة الصَّفوة للإمام أبي الفرج ابن الجوزي، دار المعرفة، بيروت .

142- صلاح الأمَّة في علو الهمَّة، د . سيد بن حسين العفَّاني، دار الرِّسالة،

الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1997 م.

143- الصَّـواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزَّندقة،شـهاب الدِّين أبو العباس أحمد بن حجر الهيثمي، دار الكتب العلميَّة بيروت .

144- الطَّبقات الكبرى، محمد سعيد بن منيع الهاشمي، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

145- عائشة والسِّياسة، سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، الطَّبعة الثانية 1391هـ 1971م.

146- عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام، سلمان بن حمد العودة، دار طيبة، الرِّياض، الطَّبعة الثالثة 1412هـ .

147- عبد الله بن مسعود، عبد السَّتار الشيخ، دار القلم، دمشق، الطَّبعة الثانية 1410 هـ 1990 م.

148- عبد الملك بن مروان والدَّولة الأمويَّة، ضـياء الدِّين الرِّيِّس مطابع سجل العرب، الطَّبعة الثَّالثة، سنة 1969 م.

149- عثمان بن عفَّان، الخليفة الشَّاكر الصَّابر، عبد السَّتار الشيخ، الطَّبعة الأولى، 1412 هـ 1991 م.

150- عثمان بن عفَّان، صـادق عرجون، الدَّار السـعودية، الطَّبعة الثَّالثة 1410هـ 1990 م.

151- عثمان بن عفَّان، محمَّد حسين هيكل .

152- العشـرة المبشَّـرون بالجنَّة، محمَّد صـالح عوض، مؤسَّسـة المختار، القاهرة، الطَّبعة الأولى 1419 هـ 1999 م.

153- عصـر الخلافة الرَّاشـدة، الدكتور أكرم ضـياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، الطَّبعة الأولى 1414 هـ 1994 م.

154- عصر الخلفاء الرَّاشدين، د . عبد الحميد بخيت، دار المعارف بمصر، الطَّبعة الثانية 1965 م.

155- عقائد الشِّيعة، رونلدسـن، دوايت تعريب (ع، م) القاهرة، مكتب الخانجي 1365 هـ 1946 م.

156- العقد الفريد، أبو عمر أحمد بن محمَّد بن عبد ربه بن حبيب، دار الفكر، بيروت .

157- عقيدة السَّلف، وأصحاب الحديث، ضمن الرَّسائل المنيريَّة، للشَّيخ إسماعيل الصَّابوني، نشر محمد أمين دمج، بيروت، 1970 م.

158- عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصَّحابة الكرام، الدُّكتور ناصـر بن علي عايض حسن الشَّيخ، مكتبة الرُّشد، الرياض .

159- العقيدة في أهل البيت بين الإفراط والتَّفريط، د . سـليمان بن سـالم بن رجاء السُّحيمي، مكتبة الإمام البخاري، الطَّبعة الأولى 1420 هـ 2000

م.

160- العقيدة والشَّريعة الإسلاميَّة، جولد تسهير أجناس، ترجمة د . محمَّد يوسف موسى واخرين، القاهرة، دار الكتب الحديثة .

161- عمَّار بن ياسر، رجل المحنة وميزان الفتنة، أسامة أحمد سلطان، المكتبة المكِّيَّة، مكَّة المكرَّمة، الطَّبعة الأولى 1420 هـ 1999 م.

162- عمدة القاري شرح صحيح البخاري .

163- عمرو بن العاص الأمير المجاهد، د . منير محمد الغضبان، جامعة أمِّ القرى، الطَّبعة الأولى 1420هـ .

164- عمرو بن العاص، عبد الخالق سيِّد أبو رابية، الطَّبعة الأولى 1408هـ 1988م.

165- عمرو بن العاص، محمود العقَّاد، النَّاشر: دار الكتاب العربيِّ، بيروت – لبنان، الطبعة الثَّانية 1969 م .

166- العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، تحقيق: محبِّ الدِّين الخطيب، إعداد محمد سعيد مبيِّض، دار الثَّقافة قطر، الدَّوحة، الطبعة الثَّانية 1989م .

167- غزوة الحديبية لأبي فارس، دار الفرقان، عمَّان، الأردن .

168- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: الأستاذ محبِّ الدِّين

الخطيب، دار الريَّان، القاهرة، الطَّبعة الأولى 1407هـ .

169- فتح القدير الجامع بين فني الرِّواية والدِّراية من علم التَّفسـير، محمد علي الشَّوكاني، دار الفكر للطباعة والنشر 1403 هـ 1983 م .

170- الفتنة الكبرى، عثمان، طه حسين، دار المعارف بمصر 1947 م .

171- الفتنة الكبرى، علي وبنوه، طه حسين، دار المعارف بمصر 1966م.

172- فتنة مقتل عثمان، د . محمد عبد الله الغبَّان، مكتبة العبيكان، الطَّبعة الأولى 1419 هـ 1999 م .

173- الفتنة، أحمد عرموش .

174- فتوح البلدان، لأبي العبَّاس، أحمد بن يحيى البلاذري، مؤسَّسة المعارف، بيروت، لبنان، 1407 هـ 1987 م .

175- فتوح مصر وأخبارها، لابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرَّحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، نسخة عن طبعة لندن 1339 هـ 1920م، نشر مكتبة المثنَّى، بغداد .

176- فرائد الكلام للخلفاء الكرام، قاسم عاشور، الطَّبعة الأولى 1419هـ 1998م.

177- فصل الخطاب في مواقف الأصحاب، محمَّد صالح الغرسي، دار السَّلام، مصر، الطَّبعة الأولى 1416 هـ 1996 م .

178- الفصـــــل في الملل والأهواء والنِّحل، لأبي محمَّد بن حزم الظَّاهري، مكتبة الخانجي، مصر .

179- فضـــائل الصَّـــحابة، لأبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل، دار ابن الجوزيِّ، السُّعودية، الطبعة الثَّانية 1420 هـ 1999 م .

180- فقه الأولويَّات، محمَّد الوكيلي، المعهد العالمي للفكر الإســـلاميِّ، هيرندن، فيرجينيا 1416 هـ 1997م، الطَّبعة الأولى .

181- فقه الخلافة، وتطوُّرها لتصبح عصبة أمم شرقيَّة، د . عبد الرزَّاق أحمد السَّنهوري، مؤسَّسة الرسالة، الطَّبعة الأولى 1422 هـ 2001 م .

182- الفكر الإسلاميِّ بين المثاليَّة والتَّطبيق، كامل الشَّريف .

183- فيض القدير للمناوي .

184- قادة الفتح الإسلاميِّ في أرمينية، محمود شيت خطَّاب، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، الطَّبعة الأولى 1419 هـ 1998 م .

185- قادة فتح السِّـند وأفغانسـتان، محمود شـيت خطَّاب، دار الأندلس الخضراء، دار ابن حزم، الطَّبعة الأولى 1419 هـ 1998 م .

186- قادة فتح بلاد المغرب، محمود شـــيت خطَّاب، دار الفكر، الطَّبعة السَّابعة 1404 هـ 1984 م .

187- القاموس المحيط، للفيروز ابادي، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان .

188- القواعد الفقهيَّة، مفهومها - تطوُّرها، دراســة مؤلفاتها، أدلَّتها - تطبيقـاتهـا، علي أحمـد النَّـدويُّ، بيروت، دار القلم، الطَّبعـة الأولى 1406 هـ 1986 م .

189- القيود الواردة على ســلطة الدَّولة، عبد الله الكيلاني، دار البشــير، عمَّان، مؤسسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى 1418 هـ 1997 م .

190- الكامل في التَّاريخ، أبو الحسن علي بن أبي المكارم الشَّيباني المعروف بابن الأثير، تحقيق: علي شــيري، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت، الطَّبعة الأولى 1408 هـ 1989 م .

191- الكامل في اللُّغة والاداب، لأبي العبَّاس محمَّد بن يزيد، النَّاشر: البابي الحلبي، مصر، طبعة 1356 هـ 1937 م، مؤسسة الرِّسالة .

192- كتاب الإمامة، والردُّ على الرَّافضــة، لأبي نعيم الأصــبهاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنوَّرة، الطَّبعة الثَّالثة 1422 هـ 2001 م .

193- الكفاءة الإداريَّة في السِّــياســة الشَّــرعيَّة، د . عبد الله قادري، دار المجتمع، جدَّة 1406 هـ 1986 م .

194- كيف نكتب التَّاريخ الإسلاميَّ ؟ محمَّد قطب، دار الوطن السُّعودية، الطَّبعة الأولى 1412هـ .

195- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر بيروت .

196- لســـــان الميزان، أحمد بن علي بن حجر، حيدر اباد الدَّكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية 1331 هـ 1912 م .

197- ليبيا من الفتح العربي حتَّى انتقال الخلافة الفاطميَّة إلى مصـــــر، د . صـالح مصـطفى مفتاح المزيني، منشـورات جامعة قاريونس، بنغازي، الطَّبعة الثَّالثة 1994م .

198- مبادىء الاقتصاد الإسلامي، سعاد إبراهيم صالح، دار عالم الكتب، الرِّياض، الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1997 م .

199- المجروحين من المحدِّثين، أبو حاتم محمَّد بن حبَّان بن أحمد التَّميمي، تحقيق: إبراهيم محمود زايد، حلب، دار الوعي .

200- مجلة البحوث الإسلاميَّة، العدد العاشر .

201- مجلَّة المؤرِّخ العربي، رقم 21 .

202- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق: محمد محيي الدِّين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، 1374 هـ 1955 م .

203- مجمع الزَّوائـد، ومنبع الفوائـد، نور الـدِّين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين: العراقي، وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت الطَّبعة الثَّالثة 1402هـ .

204- مجموعـة الفتـاوى، تقي الـدِّين أحمـد بن تيميَّـة الحرَّاني، دار الوفـاء،

الطَّبعة الأولى 1418 هـ 1997 م .

205- مجموعة الوثائق السِّياسيَّة في العهد النَّبويِّ، والخلافة الرَّاشدة، محمَّد حميد الله، دار النَّفائس، الطَّبعة الخامسة، 1405 هـ 1985 م .

206- المدينة المنوَّرة، فجر الإسلام، والعصر الرَّاشدي، محمَّد محمَّد حسن شُرَّاب، دار القلم، دمشق، الدَّار الشاميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى 1415 هـ 1994م .

207- مرويَّات أبي مخنف في تاريخ الطَّبري، يحيى إبراهيم اليحيى، دار العاصمة، الرِّياض، الطَّبعة الأولى 1410هـ .

208- مرويات العهد المكِّي، عادل عبد الغفور .

209- مرويات خلافة معاوية في تاريخ الطَّبري، خالد الغيث، دار الأندلس الخضراء، جدَّة، الطَّبعة الأولى 1420 هـ 2000 م .

210- المستدرك على الصَّحيحين، لأبي عبد الله محمَّد بن عبد الله النِّيسابوري، دار الكتب العلميَّة، بيروت - لبنان، الطَّبعة الأولى 1411 هـ 1990 م .

211- مسند الإمام أحمد، المكتب الإسلاميُّ، بيروت، لبنان .

212- المعارف لابن قتيبة .

213- معاوية بن أبي سفيان، صحابيٌّ كبيرٌ، وملكٌ مجاهدٌ، منير محمد

الغضبان، دار القلم دمشق، الطَّبعة الثالثة 1417 هـ 1996 م .

214- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صـــادر، بيروت 1397 هـ 1977 م .

215- معجم الطَّبرانيّ الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطَّبرانيِّ، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الثَّانية، 1406 هـ 1985 م .

216- معرفة الصَّحابة لأبي نعيم المتوفى سنة 430هـ تحقيق: محمَّد راضي بن حاج عثمان، مكتبة الدَّار في المدينة النَّبوية، ومكتبة الحرمين في الرِّياض، الطَّبعة الأولى 1408هـ .

217- المعرفة والتَّاريخ، لأبي يوسف الفسوي، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد 1394هـ .

218- المغازي، محمَّد عمر الواقدي، تحقيق: د . مارسـدن جونسـن، عالم الكتب بيروت، الطَّبعة الثَّالثة 1404 هـ 1984 م .

219- المغني، موفق الدِّين أبو محمَّد عبد الله بن أحمد بن قدامة، تحقيق: د.عبد الله التُّركي، د . عبد الفتاح الحلو، دار هجر القاهرة، الطبعة الثَّانية 1412هـ .

220- المنار المنيف في الصَّحيح، والضَّعيف، القاهرة، مطبعة السُّنَّة المحمَّديَّة.

221- مناقب الشَّـافعيِّ للبيهقيِّ، تحقيق: أحمد صـقر، مكتبة دار التُّراث،

طبع دار النَّصر، الطَّبعة الأولى 1391هـ .

222- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرَّحمن بن عليِّ بن محمَّد بن الجوزي، دار الكتب العلميَّة، بيروت .

223- منهاج السُّنَّة لابن تيميَّة، تحقيق: محمَّد رشاد سالم، مؤسَّسة قرطبة .

224- منهج التربية الإسلاميَّة لمحمَّد قطب، دار الشُّروق، الطَّبعة الخامسة 1403 هـ 1983 م .

225- منهج الرسول في غرس الرُّوح الجهاديَّة في نفوس أصحابه، د . السَّيِّد محمَّد نوح، نشرته جامعة الإمارات العربيَّة المتحدة، الطَّبعة الأولى 1411 هـ 1990 م .

226- موارد الظمان إلى زوائد ابن حبَّان، تحقيق: حسين الدَّاراني، عبده كوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، الطَّبعة الأولى 1411هـ .

227- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، المعروف بالخطط للمقريزي، أحمد ابن علي بن عبد القادر تقيِّ الدِّين أبي العبَّاس المقريزي .

228- موسوعة التَّاريخ الإسلامي، أحمد شلبي، مكتبة النَّهضة المصرية، الطَّبعة الرَّابعة عشرة 1996 م .

229- الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد، وزارة الشؤون الإسلاميَّة، والأوقاف، والدَّعوة، والإرشاد بالسُّعودية، الطبعة الثَّانية، 1420 هـ 1999 م .

230- موســـوعة فقه عثمان بن عفَّان، الدُّكتور محمد روَّاس قلعجي، دار النَّفائس طبعة 1404 هـ 1983 م .

231- ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال، محمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبي، تحقيق: علي البجـاوي، دار إحيـاء الكتـب العربيَّـة، القـاهرة، الطَّبعـة الأولى 1382هـ.

232- النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصـــر والقاهرة، جمال الدِّين أبو المحاســـن يوسف بن تغري بردي، وزارة الثَّقافة والإرشاد القوميِّ، القاهرة بدون تاريخ .

223- نساء أهل البيت، أحمد خليل جمعة، دار ابن كثير، دمشق، سورية .

234- نشـــأة الفقه الاجتهادي وأطواره، محمَّد الســـايس، مطبعة الأزهر 1387 هـ 1967 م مجمع البحوث بالأزهر المؤتمر الرَّابع .

235- نظام الأراضي في صدر الدَّولة الإسلاميَّة، محمَّد حسن أبو يحيى، دار عمَّار، عمَّان، الطَّبعة الأولى 1408 هـ 1988 م .

236- نظام الحكم في الإســـلام، عـارف أبو عيد، دار النَّفائس، الأردن، الطَّبعة الأولى 1416 هـ 1996 م .

237- نظام الحكم في الشَّـــريعة والتَّاريخ الإســـلاميّ، ظافر القاسمي، دار النفائس، بيروت، الطَّبعة الثالثة 1407 هـ 1987 م .

238- نظام الحكم في عهد الخلفاء الرَّاشـدين، حمد محمَّد الصَّـمد، المؤسَّسة

الجماعية للدراسات والنشر والتَّوزيع، بيروت، الطَّبعة الأولى 1414هـ .

239- نظام الخلافة في الفكر الإســلاميِّ، الدكتور مصــطفى حلمي، دار الدَّعوة الإسكندريَّة .

240- النُّظم الإسلاميَّة، صبحي الصَّالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة السَّابعة 1989 م .

241- النُّظم الإســلاميَّة، وقائع ندوة أبو ظبي، مكتب التُّراث العربي لدول الخليج، طبعة 1407 هـ 1987 م .

242- نهاية الأرب في فنون الأدب، شــهاب الدِّين أحمد بن عبد الوهاب النُّويري، الهيئة المصــريَّة العامَّة للكتاب، تحقيق: محمد أبو الفضــل إبراهيم، القاهرة 1395 هـ 1975 م .

243- الهجرة في القران الكريم، أحزمي ســامعون جزولي، مكتبة الرُّشــد الرِّياض، الطَّبعة الأولى 1417 هـ 1996 م .

244- وجوب التَّعاون بين المسلمين للسَّعدي، دار المعارف، الرِّياض، طبعة 1402هـ .

245- الوحدة الإسلاميَّة، محمَّد أبو زهرة .

246- وفيات الأعيان، وأبناء الزَّمان، لابن خلكان أبي العباس شمس الدِّين أحمد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت .

247- ولاة مصر، أبو يوسف محمَّد يوسف الكندي، تحقيق: د . حسين نصَّار، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ .

248- ولاية الشُّرطة في الإسلام، د . نمر الحميداني، دار عالم الكتب، الرِّياض، الطبعة الثَّانية، 1414 هـ 1994 م .

249- الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الرَّاشدين، د . عبد العزيز إبراهيم العمري، الطَّبعة الأولى، 1409هـ .

250- اليمن في صدر الإسلام، د . عبد الرحمن الشُّجاع، دار الفكر، دمشق .

* * *

فهرس الموضوعات

كتب صدرت للمؤلف:

1 – السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

2 – سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

3 – سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

4 – سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

5 – سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: شخصيته وعصره.

6 – سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.

7 – الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

8 – فقه النصر والتمكين في القران الكريم.

9 – تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

10 – تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

11 – عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

12 – الوسطية في القران الكريم.

13 – الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

14 – معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

15 – عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

16 – خلافة عبد الله بن الزبير.

17 – عصر الدولة الزنكية.

18 - عماد الدين زنكي.

19 - نور الدين زنكي.

20 - دولة السلاجقة.

21 - الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

22 - الشيخ عبد القادر الجيلاني.

23 - الشيخ عمر المختار.

24 - عبد الملك بن مروان وبنوه.

25 - فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

26 - حقيقة الخلاف بين الصحابة.

27 - وسطية القران في العقائد.

28 - فتنة مقتل عثمان.

29 - السلطان عبد الحميد الثاني.

30 - دولة المرابطين.

31 - دولة الموحدين.

32 - عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

33 - الدولة الفاطمية.

34 - حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

35 – صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.

36 – استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول (ﷺ)، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

37 – الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

38 – الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

39 – المشروع المغولي عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

40 – سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

41 – الشورى في الإسلام.

42 – الإيمان بالله جل جلاله.

43 – الإيمان باليوم الآخر.

44 – الإيمان بالقدر.

45 – الإيمان بالرسل والرسالات.

46 – الإيمان بالملائكة.

47 – الإيمان بالقران والكتب السماوية.

48 – السلطان محمد الفاتح.

49 – المعجزة الخالدة.

50 – الدولة الحديثة المسلمة، دعائمها ووظائفها.

51 – البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

52 – التداول على السلطة التنفيذية.

53 – الشورى فريضة إسلامية.

54 – الحريات من القرآن الكريم، حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.

55 – العدالة والمصالحة الوطنية ضرورة دينية وإنسانية.

56 – المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

57 – العدل في التصور الإسلامي.

58 – كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

59 – الأمير عبد القادر الجزائري.

60 – كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

61 – سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

62 – كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

63. أعلام التصوف السُني "ثمانية أجزاء".

64. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.



د. علي محمد محمد الصلابي

مفكر ومؤرخ وفقيه

- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام 1383 هـ/ 1963م
- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام 1993م، وبالترتيب الأول.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام 1996م.
- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام 1999م.
- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم والفقه والتاريخ والفكر الإسلامي.
- زادت مؤلفات الدكتور الصلابي عن ستين مؤلفًا أبرزها:
  - السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث
  - سير الخلفاء الراشدين
  - الدولة الحديثة المسلمة
  - الدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط
  - فاتح القسطنطينية السلطان محمد الفاتح
  - وسطية القرآن الكريم في العقائد.
  - صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي.
  - تاريخ كفاح الشعب الجزائري
  - العدالة والمصالحة الوطنية
  - وآخر مؤلفاته "الإباضية. مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج".